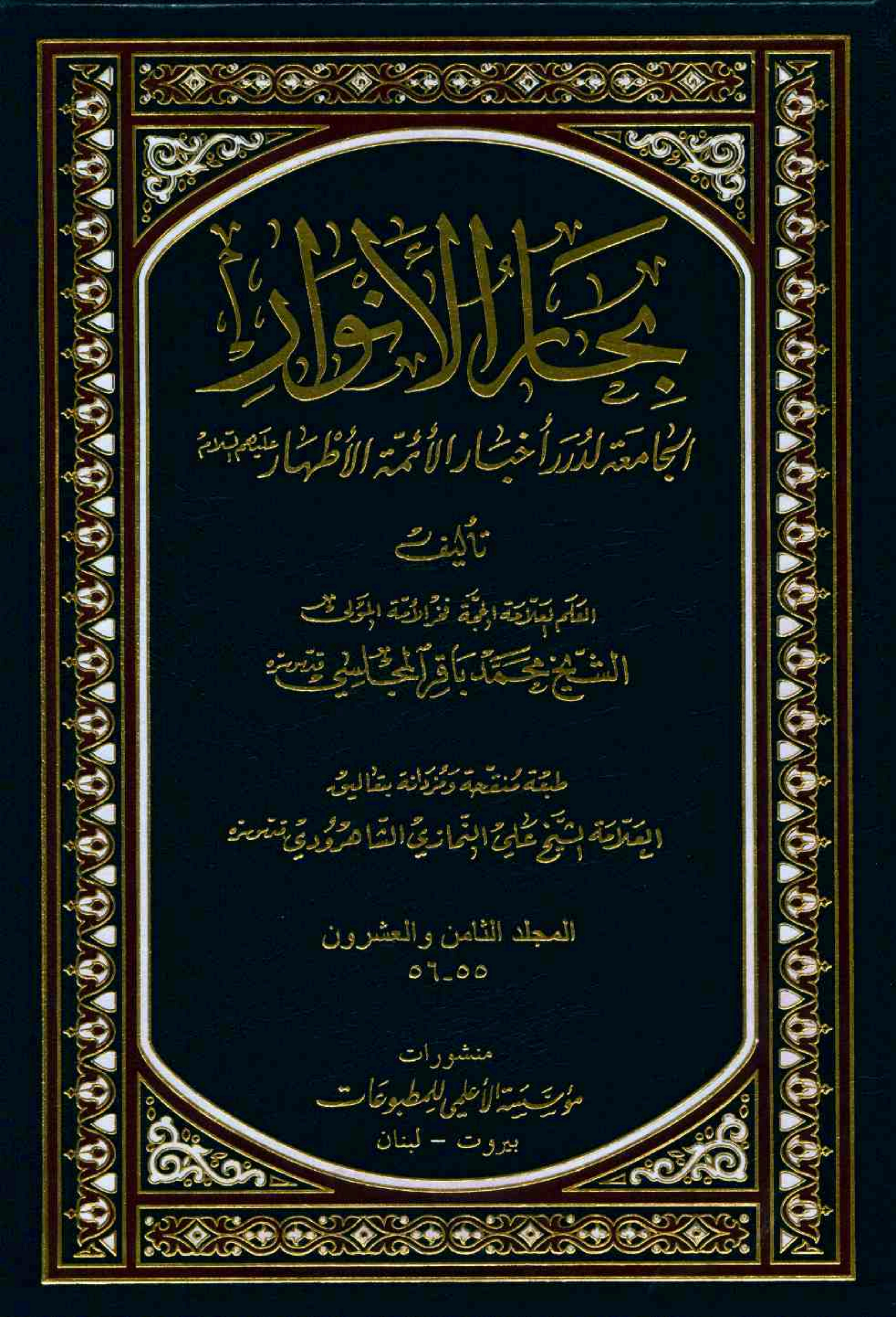


بحار الأنوار
الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام
تأليف
العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى
الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره
طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق
العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره
المجلد الثامن والعشرون
٥٥-٥٦
منشورات
مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
بيروت - لبنان





الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء الخامس والخمسون

منشورات
مؤسسة الأعلى للمطبوعات
بيروت - لبنان
ص ب : ٧١٢٠

الطبعة الأولى

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م



مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - طريق المطار - قرب سنتر زعرور

هاتف:٤٥٠٤٢٦ / ٠١ - فاكس:٤٥٠٤٢٧ / ٠١

صندوق بريد:٧١٢٠

Published by Aalami Est.

Beirut Airport Road

Tel:01/450426 Fax:01/450427

P.O.Box.7120

E-mail:alaalami@yahoo.com

http://www.alaalami.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

٥ - باب العرش والكرسيّ وحملتهما

الآيات: البقرة: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ «٢٥٥».

الأعراف: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٥٤».

يونس: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ﴾ «٣».

هود: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ «٧».

الرعد: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٢».

طه: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ «٥».

المؤمنون: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ «٨٦».

الفرقان: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ «٥٩».

النمل: ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ «٢٦».

التنزيل [السجدة]: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٤».

المؤمن [غافر]: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ «٧».

الحديد: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ «٤».

الحاقة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ «١٧».

تفسير: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله اختلف فيه على أقوال:

أحدها: وسع علمه السماوات والأرض عن ابن عبّاس ومجاهد، وهو المرويّ عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام ويقال للعلماء «كراسيّ» كما يقال لهم «أوتاد الأرض» لأنّ بهم قوام الدين والدنيا وثانيها: أنّ الكرسيّ ههنا هو العرش عن الحسن، وإنّما سمّي كرسيّاً لتركّب بعضه على بعض وثالثها: أنّ المراد بالكرسيّ ههنا الملك والسلطان والقدرة كما يقال «إجعل لهذا الحائط كرسيّاً» أي عماداً يعمد به حتّى لا يقع ولا يميل، فيكون معناه: أحاطت قدرته بالسماوات والأرض وما فيهما ورابعها: أنّ الكرسيّ سرير دون العرش وقد روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام وقريب منه ما روي عن عطاء أنّه قال: ما السماوات والأرض عند الكرسيّ إلّا كحلقة خاتم في فلاة، وما الكرسيّ عند العرش إلّا كحلقة في فلاة، ومنهم من قال: إنّ السماوات والأرض جميعاً على الكرسيّ، والكرسيّ تحت العرش فالعرش فوق السماوات.

وروى الأصبغ بن نباتة أنّ علياً عليه السلام قال: السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسيّ. وساق الحديث إلى آخره[1] كما سيأتي في رواية عليّ بن إبراهيم.

﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ منهم من فسّر العرش هنا بمعنى الملك، قال القفّال: العرش في كلامهم هو السرير الّذي يجلس عليه الملوك، ثمّ جعل العرش كناية عن نفس الملك يقال «ثُلّ عرشه» أي انتقض ملكه وقالوا: استوى على عرشه واستقرّ على سرير ملكه. ومنهم من فسّر العرش بالجسم الأعظم. والإستواء بمعني الإستيلاء كما مرّ. قال الرّازيّ في تفسيره: اتّفق المسلمون على أنّ فوق السماوات جسماً عظيماً هو العرش، واختلف في المراد بالعرش هنا، فقال أبو مسلم: المراد أنّه لمّا خلق الله السماوات والأرض سطحها ورفع سمكها، فإنّ كلّ بناء يسمّى عرشاً وبانيه يسمّى عارشاً، قال تعالى ﴿وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ والإستواء على العرش هو الإستعلاء عليه بالقهر، والمشهور بين المفسّرين أنّ المراد بالعرش فيها الجسم العظيم الّذي في السماء، وقيل: المراد من العرش الملك، وملك الله تعالى عبارة عن مخلوقاته ووجود مخلوقاته إنّما حصل بعد خلق السماوات والأرض، فلا جرم صحّ إدخال حرف «ثم» عليه، والحاصل أنّ المراد استواؤه على عالم الأجسام بالقهر والقدرة والتدبير والحفظ، يعني أنّ من فوق العرش إلى ما تحت الثرى في حفظه وتدبيره وفي الاحتياج إليه[2].

﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله قيل أي فاسأل عنه خبيراً والباء بمعنى عن والخبير ههنا هو الله تعالى أو محمّد صلى الله عليه وآله وقيل: أنّ الباء على أصلها، والمعنى: فاسأل سؤالك أيّها الإنسان خبيراً يخبرك بالحقّ في صفته. وقيل: أنّ الباء فيه مثل الباء في قولك «لقيت بفلان ليثاً» إذا وصفت شجاعته، والمعنى: إذا رأيته رأيت الشيء المشبّه بأنّه الخبير به[3].

﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله عبادة لله وامتثالاً لأمره ﴿وَمَنْ حَوْلَهُۥ﴾ يعني الملائكة المطيفين بالعرش وهم الكروبيّون وسادة الملائكة ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ينزّهون ربّهم عمّا يصفه به هؤلاء المجادلون، وقيل: يسبّحونه بالتسبيح المعهود ويحمدونه على إنعامه ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ أي ويصدّقونه ويعترفون بوحدانيّته ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي ويسألون الله المغفرة ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ من أهل الأرض أي صدّقوا بوحدانيّة الله واعترفوا بإلهيّته وبما يجب الإعتراف[4] به وقال في قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ﴾: يعني فوق الخلائق ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يعني يوم القيامة ﴿ثَمَٰنِيَةٌ﴾ من الملائكة عن ابن زيد، وروي ذلك عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّهم اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أيّدهم بأربعة أُخرى فيكونون ثمانية.

وقيل: ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عددهم إلّا الله تعالى عن ابن عبّاس[5].

---

(١) مجمع البيان، ج ٢ ص ١٦٠.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ١٧ ص ١٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٠٥.
(٤) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٢٧.
(٥) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣١٦.

وقال الرّازيّ: نقل عن الحسن أنّه قال: لا أدري أنّهم ثمانية أشخاص أو ثمانية آلاف يصفّون، وحمله على ثمانية أشخاص أولى لما روي أنّهم ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة، والعرش فوق رؤوسهم، وهم يطوفون يسبّحون. وقيل: بعضهم على صورة الإنسان، وبعضهم على صورة الأسد، وبعضهم على صورة الثور، وبعضهم على صورة النسر. وروي: ثمانية أملاك على صورة الأوعال ما بين أظلافها إلى ركبها مسيرة سبعين عاماً. وعن شهر بن حوشب: أربعة منهم يقولون: «سبحانك اللّهمّ وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك» وأربعة تقول «سبحانك اللّهمّ وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك»(١).

١ - **الخصال والمعاني والعياشي والدرّ المنثور:** في حديث أبي ذرّ عن النبيّ ﷺ قال: يا أبا ذرّ، ما السماوات السبع في الكرسيّ إلّا كحلقة ملقاة في أرض فلاة، وفضل العرش على الكرسيّ كفضل الفلاة على تلك الحلقة(٢).

٢ - **الفقيه والعلل والمجالس للصدوق:** روي عن الصادق عليه السلام أنّه سئل: لم سمّيت الكعبة كعبة؟ قال: لأنّها مربّعة، فقيل له: ولم صارت مربّعة؟ قال: لأنّها بحذاء البيت المعمور وهو مربّع، فقيل له: ولم صار البيت المعمور مربّعاً؟ قال: لأنّه بحذاء العرش وهو مربّع، فقيل له: ولم صار العرش مربّعاً؟ قال: لأنّ الكلمات الّتي بني عليها الإسلام أربع: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلّا الله والله أكبر(٣).

بيان وتأويل عليل: قال السيّد الداماد رحمه الله في بعض تعليقاته على الفقيه: العرش هو فلك الأفلاك، وإنّما حكم عليه السلام بكونه مربّعاً لأنّ الفلك يتعيّن له بالحركة المنطقة والقطبان، وكلّ دائرة عظيمة منصّفة للكرة، والفلك يتربّع بمنطقة الحركة والدائرة المارّة بقطبيها، والعرش وهو الفلك الأقصى والكرسيّ وهو فلك الثوابت يتربّعان بمعدّل النهار ومنطقة البروج والدائرة المارّة بالأقطاب الأربعة، وأيضاً دائرة الأفق على سطح الفلك الأعلى يتربّع بدائرة نصف النهار ودائرة المشرق والمغرب، فيقع منها بينها أرباعها، ويتعيّن عليها النقاط الأربع: الجنوب، والشمال، والمشرق، والمغرب. والحكماء نزّلوا الفلك منزلة إنسان مستلق على ظهره، رأسه إلى الشمال، ورجلاه إلى الجنوب، ويمينه إلى المغرب وشماله إلى المشرق. وأيضاً التربيع والتسديس أوّل الأشكال في الدائرة على ما قد استبان في مظانّه، إذ التربيع يحصل بقطرين متقاطعين على قوائم، والتسديس بنصف قطر، فإنّ وتر سدس الدور يساوي نصف القطر، وربع الدور قوس تامّة، وما نقصت عن الربع فمتمّمها إلى الربع

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ١٠٩.
(٢) الخصال، ص ٥٢٤ باب ٢ ح ١٣، معاني الأخبار، ص ٣٣٣، تفسير العياشي، ح ٤٥٦ من سورة البقرة.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ص ٢٧٨ ح ٢١١١، علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٨١ باب ١٣٨ ح ٢.

تمامها، وأيضاً الفلك الأقصى له مادّة، وصورة، وعقل هو العقل الأوّل ويقال له عقل الكلّ، ونفس هي النفس الأولى ويقال لها نفس الكلّ، فيكون مربّعاً وأوّل المربّعات في نظام الوجود، وهنالك وجوه أخرى يضيق ذرع المقام عن بسطها فليتعرّف (انتهى) ولا يخفى عدم موافقتها لقوانين الشرع ومصطلحات أهله، وسيأتي القول فيها، وقد مرّ بعض ما يزيّفها.

٣ - **المتهجّد والفقيه والتهذيب:** في خطبة الإستسقاء: الّذي جعل السماوات لكرسيّه عماداً، والجبال أوتاداً، والأرض للعباد مهاداً، وملائكته على أرجائها وحملة عرشه على أمطائها، وأقام بعزّته أركان العرش وأشرق بضوئه شعاع الشمس، وأطفأ بشعاعه ظلمة الغطش، وفجر الأرض عيوناً، والقمر نوراً والنجوم بهوراً[1].

٤ - **الإقبال:** عن التلعكبريّ، بإسناده عن أبي عبد الله عليه السلام في دعاء يوم عرفة: «وأسألك بكلّ إسم هو لك، وكلّ مسألة حتّى ينتهي إلى إسمك الأعظم الأكبر الأكبر العليّ الأعلى، الّذي استويت به على عرشك، واستقللت به على كرسيّك.

٥ - **العقائد للصدوق:** إعتقادنا في العرش أنّه جملة جميع الخلق، والعرش[2] في وجه آخر هو العلم. وسئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ فقال: استوى من كلّ شيء، فليس شيء أقرب منه من شيء، وأمّا العرش الّذي هو جملة جميع الخلق فحملته ثمانية من الملائكة، لكلّ واحد ثماني أعين، كلّ عين طباق الدنيا، واحد منهم على صورة بني آدم يسترزق الله تعالى لبني آدم، وواحد منهم على صورة الثور يسترزق الله تعالى للبهائم كلّها وواحد منهم على صورة الأسد يسترزق الله تعالى للسباع، وواحد منهم على صورة الديك يسترزق الله تعالى للطيور، فهم اليوم هؤلاء الأربعة فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية وأمّا العرش الّذي هو العلم فحملته أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، وأمّا الأربعة من الآخرين فمحمّد، وعليّ، والحسن، والحسين عليهم السلام، هكذا روي بالأسانيد الصحيحة عن الأئمّة عليهم السلام في العرش وحملته، وإنّما صار هؤلاء حملة العرش الّذي هو العلم، لأنّ الأنبياء الّذين كانوا قبل نبيّنا محمّد صلى الله عليه وآله على شرائع الأربعة من الأوّلين: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام، ومن قبل هؤلاء الأربعة صارت العلوم إليهم، وكذلك صار العلم بعد محمّد صلى الله عليه وآله وعليّ والحسن والحسين إلى من بعد الحسين من الأئمّة عليهم السلام[3].

---

(١) مصباح المتهجد، ص ٣٦٩، من لا يحضره الفقيه، ص ١٩٦ ح ١٥٠٢، تهذيب الأحكام ج ٣ ص ٥٢٦ باب ٨ ح ١١.

(٢) أقول: استشهاده بقوله تعالى: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ غير تمام لأنه مناف لقوله تعالى: ﴿أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ وقوله: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا﴾ الآية. [النمازي].

(٣) اعتقادات الصدوق، ص ٤٥.

أقول: قال الشيخ المفيد رحمه الله العرش في اللغة هو الملك، قال:

إذا ما بنو مروان ثلّت عروشهم وأودت كما أودت أياد وحميره

يريد: إذا ما بنوا مروان هلك ملكهم وبادوا.

وقال آخر: أظننت عرشك لا يزول ولا يغيّر؟

يعني أظننت ملكك لا يزول ولا يغيّر؟ وقال الله تعالى مخبراً عن وصف ملك ملكة سبأ ﴿وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾[1] يريد: ولها ملك عظيم فعرش الله تعالى هو ملكه، واستواؤه على العرش هو استيلاؤه على الملك والعرب تصف الإستيلاء بالاستواء، قال:

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهراق

يريد به: قد استولى على العراق، فأمّا العرش الّذي تحمله الملائكة فهو بعض الملك، وهو عرش خلقه الله تعالى في السماء السابعة، وتعبّد الملائكة بحمله وتعظيمه، كما خلق سبحانه بيتاً في الأرض وأمر البشر بقصده وزيارته والحجّ إليه وتعظيمه، وقد جاء الحديث: أنّ الله تعالى خلق بيتاً تحت العرش سمّاه «البيت المعمور» تحجّه الملائكة في كلّ عام، وخلق في السماء الرابعة بيتاً سمّاه «الضراح» وتعبّد الملائكة بحجّه والتعظيم له والطواف حوله، وخلق البيت الحرام في الأرض فجعله تحت الضّراح وروي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: لو ألقي حجر من العرش لوقع على ظهر بيت المعمور ولو ألقي من البيت المعمور لسقط على ظهر البيت الحرام، ولم يخلق الله عرشاً لنفسه يستوطنه، تعالى الله عن ذلك، لكنّه خلق عرشاً أضافه إلى نفسه تكرمة له وإعظاماً، وتعبّد الملائكة بحمله كما خلق بيتاً في الأرض ولم يخلقه لنفسه ولا يسكنه، تعالى الله عن ذلك، لكنّه خلقه لخلقه، وأضافه إلى نفسه إكراماً له وإعظاماً، وتعبّد الخلق بزيارته والحجّ إليه، فأمّا الوصف للعلم بالعرش فهو في مجاز اللّغة دون حقيقتها، ولا وجه لتأوّل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ بمعنى أنّه احتوى على العلم، وإنّما الوجه في ذلك ما قدّمناه، والأحاديث الّتي رويت في صفة الملائكة الحاملين للعرش أحاديث آحاد، وروايات أفراد، لا يجوز القطع بها ولا العمل عليها، والوجه الوقوف عندها، والقطع على أنّ العرش في الأصل هو الملك، والعرش المحمول جزء من الملك تعبّد الله بحمله الملائكة على ما قدّمناه[2].

٦ - **العقائد:** إعتقادنا في الكرسيّ أنّه وعاء جميع الخلق من العرش والسماوات والأرض وكلّ شيء خلق الله تعالى في الكرسيّ، وفي وجه آخر الكرسيّ هو العلم، وقد سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال: علمه[3].

٧ - **التوحيد:** عن محمّد بن إبراهيم بن إسحاق، عن أحمد بن محمّد بن أبي سعيد، عن

---

(١) سورة النمل، الآية: ٢٣. (٢) تصحيح الإعتقاد، ص ٧٧.

(٣) اعتقادات الصدوق، ص ٤٤.

أحمد بن محمّد بن عبد الله الصّغديّ، عن محمّد بن يعقوب العسكريّ وأخيه معاذ، عن محمّد بن سنان الحنظلي، عن عبد الله بن عاصم، عن عبد الرحمن بن قيس، عن أبي هاشم الرمّانيّ عن زاذان، عن سلمان الفارسيّ، قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني عن ربّك أيَحمل أو يُحمل؟ فقال: إنّ ربّنا جلّ جلاله يَحمل ولا يُحمل. قال النصرانيّ: كيف ذلك ونحن نجد في الإنجيل «ويحمل عرش ربّك فوقهم يومئذٍ ثمانية»؟ فقال عليّ عليه السلام إنّ الملائكة تحمل العرش وليس العرش كما تظنّ كهيئة السرير، ولكنّه شيء محدود مخلوق مدبّر وربّك عزّ وجلّ مالكه، لا أنّه عليه ككون الشيء على الشيء، وأمر الملائكة بحمله فهم يحملون العرش بما أقدرهم عليه. قال النصرانيّ: صدقت رحمك الله[١].

٨ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد البرقيّ، رفعه قال: سأل الجاثليق أمير المؤمنين عليه السلام فقال له: أخبرني عن الله عزّ وجلّ يحمل العرش أو العرش يحمله؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: الله عزّ وجلّ حامل العرش والسماوات والأرض وما فيهما وما بينهما وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾[٢] قال: فأخبرني عن قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾[٣] فكيف ذاك وقلت إنّه يحمل العرش والسماوات والأرض؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ العرش خلقه الله تبارك وتعالى من أنوار أربعة: نور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أبيض منه ابيضّ البياض، وهو العلم الّذي حمّله الله الحملة، وذلك نور من نور عظمته، فبعظمته ونوره أبصر قلوب المؤمنين، وبعظمته ونوره عاداه الجاهلون، وبعظمته ونوره ابتغى من في السماوات والأرض من جميع خلائقه إليه الوسيلة بالأعمال المختلفة، والأديان المشتبهة فكلّ شيء محمول يحمله الله بنوره وعظمته وقدرته لا يستطيع لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نشوراً فكلّ شيء محمول والله تبارك وتعالى الممسك لهما أن تزولا، والمحيط بهما من شيء وهو حياة كلّ شيء، ونور كلّ شيء، سبحانه وتعالى عمّا يقولون علوّاً كبيراً.

قال له: فأخبرني عن الله عزّ وجلّ أين هو؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام: هو ههنا وههنا وفوق وتحت ومحيط بنا ومعنا، وهو قوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟﴾[٤] فالكرسيّ محيط بالسماوات والأرض وما بينهما وما تحت الثرى وإن تجهر بالقول فإنّه يعلم السرّ وأخفى وذلك قوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ﴾ فالّذين يحملون العرش هم العلماء الّذين حمّلهم الله علمه، وليس يخرج من هذه الأربعة شيء خلق الله في

---

(١) التوحيد، ص ٣١٦.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٤١.
(٣) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٤) سورة المجادلة، الآية: ٧.

ملكوته، وهو الملكوت الّذي أراه الله أصفياءه، وأراه خليله عليه السلام فقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ﴾(١) وكيف يحمل حملة العرش الله وبحياته حييت قلوبهم وبنوره اهتدوا إلى معرفته؟(٢)!

توضيح: الجاثليق - بفتح الثاء - رئيس للنصارى في بلاد الإسلام بمدينة السلام، ذكره الفيروزآباديّ. ﴿أَن تَزُولَآ﴾ أي يمسكهما كراهة أن تزولا بالعدم والبطلان، أو يمنعهما ويحفظهما أن تزولا، فإنّ الإمساك، متضمّن للمنع والحفظ وفيه دلالة على أنّ الباقي يحتاج في بقائه إلى المؤثّر ﴿إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا﴾ أي ما أمسكهما ﴿مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓ﴾ أي من بعد الله، أو من بعد الزوال، و﴿مِنۡ﴾ الأولى زائدة للمبالغة في الاستغراق، والثانية للابتلاء «فأخبرني عن قوله» لعلّه توهّم المنافاة من جهتين: **الأولى**: أنّ حملة العرش ثمانية وقلت هو سبحانه حامله **والثانية**: أنّ الثمانية إذا حملوا عرشه فقد حملوه أيضاً لأنّه على العرش وقلت إنّه حامل جميع ما سواه خلقه الله من أنوار أربعة.

أقول: قد تحيّرت الأفهام في معنى تلك الأنوار الّتي هي من غوامض الأسرار فمنهم من قال هي الجواهر القدسيّة العقليّة الّتي هي وسائط جوده تعالى، وألوانها كناية عن اختلاف أنواعها الّذي هو سبب اختلاف الأنواع الرباعيّة في هذا العالم الحسّيّ، كالعناصر والأخلاط وأجناس الحيوانات أعني الإنسان والبهائم والسباع والطيور، ومراتب الإنسان أعني الطبع والنفس الحسّاسة والنفس المتخيّلة والعقل، وأجناس المولّدات كالمعدن والنبات والحيوان والإنسان. وقيل: إنّه تمثيل لبيان تفاوت تلك الأنوار بحسب القرب والبعد من نور الأنوار، فالنور الأبيض هو الأقرب، والأخضر هو الأبعد، فكأنّه ممتزج بضرب من الظلمة، والأحمر هو المتوسّط بينهما، ثمّ ما بين كلّ اثنين ألوان أُخرى كألوان الصبح والشفق المختلفة في الألوان لقربها وبعدها من نور الشمس. وقيل: المراد بها صفاته تعالى فالأخضر قدرته على إيجاد الممكنات وإفاضة الأرواح الّتي هي عيون الحياة ومنابع الخضرة، والأحمر غضبه وقهره على الجميع بالإعدام والتعذيب والأبيض رحمته ولطفه على عباده، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ﴾(٣).

وأحسن ما سمعته في هذا المقام ما استفدته من والدي العلّامة - رفع الله في الجنان مقامه - وملخّصه أنّ لكلّ شيء شبهاً ومثالاً في عالم الرؤيا والعوالم الّتي تطّلع عليها الأرواح سوى عالم الحسّ، وتظهر تلك الصور والمثل على النفوس مختلفة بحسب اختلاف مراتبها في الكمال، فبعض النفوس تظهر لها صورة أقرب إلى ذي الصورة وبعضها أبعد، وشأن المعبّر

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.

(٢) أصول الكافي، ج ١ ص ٧٥ باب العرش والكرسي ح ١.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠٧.

الكامل أن ينتقل من تلك الصور إلى ما هي صور لها بحسب أحوال ذلك الشخص، ولذا لا يطّلع عليها كما ينبغي إلّا الأنبياء والأوصياء عليهم السلام المطّلعون على مراتب استعدادات الأشخاص واختلافهم في النقص والكمال، فالنور الأصفر كناية عن العبادة وصورة لها كما هو المجرّب في الرؤيا أنّه إذا رأى العارف في المنام صفرة يوفّق بعده لعبادة، كما هو المشاهد في وجوه المتهجّدين، وقد ورد في الخبر أنّه ألبسهم الله من نوره لمّا خلوا به، والنور الأبيض العلم، كما جرّب أنّ من رأى في المنام لبناً أو ماءً صافياً يفاض عليه علم خالص عن الشكوك والشبهات، والنور الأحمر المحبّة كما هو المشاهد في وجوه المحبّين عند طغيانها، وجرّب أيضاً في الرؤيا، والنور الأخضر المعرفة وهو العلم المتعلّق بذاته وصفاته سبحانه كما هو مجرّب في الرؤيا، ويومئ إليه ما روي عن الرضا عليه السلام أنّه سئل عمّا يروى أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله رأى ربّه في صورة الشابّ الموفّق في صورة أبناء ثلاثين سنة رجلاه في خضرة، فقال عليه السلام: إنّ رسول الله عليه السلام حين نظر إلى عظمة ربّه كان في هيئة الشابّ الموفّق وسنّ أبناء ثلاثين سنة. فقال الراوي: جعلت فداك من كانت رجلاه في خضرة؟ قال: ذاك محمّد صلى الله عليه وآله كان إذا نظر إلى ربّه بقلبه جعله في نور مثل نور الحجب حتّى يستبين له ما في الحجب، إنّ نور الله منه أخضر، ومنه أحمر، ومنه أبيض، ومنه غير ذلك (تمام الخبر) لأنّه صلى الله عليه وآله كان حينئذ في مقام كمال العرفان، وخائضاً في بحار معرفة الرحيم المنّان، وكانت رجلاه في النور الأخضر وقائماً في مقام من المعرفة لا يطيقها أحد من الملائكة والبشر، وإنّما عبّروا بهذه العبارات والكنايات لقصور أفهامنا عن إدراك صرف الحقّ كما تعرض على النفوس الناقصة في المنام هذه الصور، ونحن في منام طويل من الغفلة عن المعارف الربّانيّة، والناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا، والأحوط في أمثال هذه الأخبار الإيمان بها مجملاً، وردّ علمها إليهم عليهم السلام.

ثمّ اعلم أنّه على الوجه الأخير الضمير في قوله «وهو العلم» راجع إلى النور الأبيض، وعلى سائر الوجوه راجع إلى العرش، أي وقد يطلق العرش على العلم أيضاً، أو العرش المركّب من الأنوار الأربعة هو العلم.

«أبصر قلوب المؤمنين» أي ما أبصروا وعلموا.

«عاداه الجاهلون» لأنّ الجهل مساوق الظلمة الّتي هي ضدّ النور، والمعاداة إنّما تكون بين الضدّين كذا قيل، والأظهر أنّ المراد به أنّ غاية ظهوره صارت سبباً لخفائه كما قيل «يا خفيّاً من فرط الظهور» فإنّه لو لم يكن للشمس غروب وأفول كان يشتبه على الناس أنّ ضوء النهار منها، ولمّا كان شمس عالم الوجود في نهاية الإستواء والكمال أبداً وفيضه جارٍ على الموادّ القابلة دائماً يتوهّم الملحد الجاهل أنّها بأنفسها موجودة غنيّة عن العلّة أو منسوبة إلى الدهر أو الطبيعة.

«ابتغى» أي طلب، ولعلّ المعنى أنّ نوره سبحانه لمّا طلع على عالم الوجود وآثاره سبحانه

ظهر في كلّ موجود طلبه جميع الخلق، لكن بعضهم أخطأوا طريق الطلب وتعيين المطلوب، فصاروا حيارى، فمنهم من يعبد الصنم لتوهّمه أنّ مطلوبه هناك، ومنهم من يعتقد الدّهر أو الطبيعة لزعمه أنّ أحدهما إلهه ومدبّره، فكلّ منهم يعلمون اضطرارهم إلى خالق ورازق وحافظ ومدبّر، ويطلبونه ويبتغون إليه الوسيلة، لكنّهم لضلالهم وعماهم خاطئون وعن الحقّ معرضون، وهذا المعنى الّذي خطر بالبال من غوامض الأسرار، وله شواهد من الأخبار، وإنّما أومأنا إليه على الإجمال، إذ بسط المقال فيه يؤدّي إلى إبداء ما تأبى عنه الأذهان السقيمة لكن تستعذبه العقول المستقيمة.

«الممسك لهما» أي للسماوات والأرض «والمحيط» بالجرّ عطفاً على ضمير لهما و«من» بيان له أي الممسك للشّيء المحيط بهما، أو متعلّق بقوله: ﴿أَن تَزُولَاۚ﴾ وقوله ﴿مِن شَيۡءٍ﴾ للتعميم ويجوز رفعه بالعطف على الممسك، و«من» بيان لضمير «بهما» لقصد زيادة التعميم، أو بيان لمحذوف يعني المحيط بهما مع ما حوتاه من شيء «وهو حياة كلّ شيء» أي من الحيوانات أو الحياة بمعنى الوجود والبقاء مجازاً «ونور كلّ شيء» أي سبب وجوده وظهوره، فالكرسيّ يمكن أن يكون المراد تفسير الكرسيّ أيضاً بالعلم ﴿وَلَا يَـُٔودُهُۥ﴾ أي لا يثقل عليه «هم العلماء» إذا كان المراد بالعرش عرش العلم كان المراد بالأنوار الأربعة صنوف العلم وأنواعه ولا يخرج عن تلك الأنواع أحد، وإذا كان المراد بالأنوار نور العلم والمحبة والمعرفة والعبادة كما مرّ فهو أيضاً صحيح، إذ لا يخرج شيء منها أيضاً، إذ ما من شيء إلّا وله عبادة ومحبّة ومعرفة وهو يسبّح بحمده، وقال الوالد رحمه الله: الظاهر أنّ المراد بالأربعة العرش والكرسيّ والسماوات والأرض، ويحتمل أن يكون المراد بها الأنوار الأربعة الّتي هي عبارة عن العرش، لأنّه محيط على ما هو المشهور.

٩ - **الكافي:** عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرّة المحدّث أن أدخله على أبي الحسن الرضا عليه السلام فاستأذنته فأذن لي فدخل، فسأله عن الحلال والحرام، ثمّ قال له: أفتقرّ أنّ الله محمول؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: كلّ محمول مفعول به مضاف إلى غيره محتاج والمحمول إسم نقص في اللفظ، والحامل فاعل، وهو في اللفظ مدحة، وكذلك قول القائل فوق، وتحت، وأعلى، وأسفل، وقد قال الله ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ فَٱدۡعُوهُ بِهَاۖ﴾[1] ولم يقل في كتبه إنّه المحمول، بل قال: إنّه الحامل في البرّ والبحر والممسك السماوات والأرض أن تزولا، والمحمول ما سوى الله، ولم يسمع أحد آمن بالله وعظمته قطّ قال في دعائه «يا محمول». قال أبو قرّة: فإنّه قال ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾[2] وقال ﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ﴾[3] فقال أبو

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٠. (٢) سورة الحاقة، الآية: ١٧.
(٣) سورة غافر، الآية: ٧.

الحسن عليه السلام : العرش ليس هو الله، والعرش إسم علم وقدرة وعرش فيه كلّ شيء ثمّ أضاف الحمل إلى غيره خلق من خلقه لأنّه استعبد خلقه بحمل عرشه، وهم حملة علمه، وخلقاً يسبّحون حول عرشه وهم يعملون بعلمه، وملائكة يكتبون أعمال عباده، واستعبد أهل الأرض بالطواف حوله بيته، والله على العرش استوى، كما قال، والعرش ومن يحمله ومن حول العرش والله الحامل لهم الحافظ لهم الممسك القائم على كلّ نفس، وفوق كلّ شيء، وعلى كلّ شيء، ولا يقال محمول ولا أسفل قولاً مفرداً لا يوصل بشيء فيفسد اللفظ والمعنى. قال أبو قرّة: فتكذّب بالرواية الّتي جاءت: أنّ الله تعالى إذا غضب إنّما يعرف غضبه أنّ الملائكة الّذين يحملون العرش يجدون ثقله على كواهلهم، فيخرّون سجّداً، فإذا ذهب الغضب خفّ ورجعوا إلى مواقفهم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام : أخبرني عن الله تبارك وتعالى منذ لعن إبليس إلى يومك هذا هو غضبان عليه فمتى رضي وهو في صفتك لم يزل غضباناً عليه وعلى أوليائه وعلى أتباعه؟ كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال، وأنّه يجري عليه ما يجري على المخلوقين؟ سبحانه وتعالى! لم يزل مع الزّائلين، ولم يتغيّر مع المتغيّرين، ولم يتبدّل مع المتبدّلين، ومن دونه في يده وتدبيره، وكلّهم إليه محتاج، وهو غنيّ عمّن سواه(١).

بيان: «والمحمول إسم نقص» أي كلّ إسم مفعول دلّ على تأثّر وتغيّر من غيره وفاقة إليه فهو إسم نقص كالمحفوظ والمربوب والمحمول وأمثالها، لا كلّ ما هو على هذه الصيغة، إذ يجوز إطلاق الموجود والمعبود والمحمود وأمثالها عليه تعالى «وكذلك قول القائل فوق وتحت» يعني أنّ مثل ذينك اللفظين في كون أحدهما إسم مدح والآخر إسم نقص قول القائل فوق وتحت، فإنّ فوق إسم مدح وتحت إسم نقص، وكذلك أعلى إسم مدح وأسفل إسم نقص، وقوله عليه السلام : «خلق» بالجرّ بدل «غيره» وأشار بذلك إلى أنّ الحامل لمّا كان من خلقه فيرجع الحمل إليه تعالى «وهم حملة علمه» أي وقد يطلق حملة العرش على حملة العلم أيضاً، أو حملة العرش في القيامة هم حملة العلم في الدنيا وقوله عليه السلام «خلقاً» و«ملائكة» معطوفان على خلقه، أي استعبد خلقاً وملائكة، والحاصل أنّه تعالى لا يحتاج في حمل العرش إلى غيره، بل استعبد أصناف خلقه بأنواع الطاعات، وحملة العرش عبادتهم حمل العرش من غير حاجة إليهم «وهم يعملون بعلمه» أي بما أعطاهم من العلم، ويحتمل أن يكون هذا مبنيّاً على كون العرش بمعنى العلم، فحملة العرش الأنبياء والأوصياء ومن حول العرش الّذين يأخذون العلم عنهم ويعملون بالعلم الّذي حمله الحملة فهم مطيفون بهذا العرش ومقتبسون من أنواره «كما قال» أي استواؤه سبحانه على العرش على النحو الّذي قال، وأراد

---

(١) أصول الكافي، ج ١ ص ٧٥ باب العرش والكرسي، ح ٢. ومفصل الرواية راجع كتاب الاحتجاج ص ٤٠٥.

من الاستواء النسبة أو الإستيلاء كما مرّ لا كما تزعمه المشبّهة. وقوله «والعرش» وما عطف عليه مبتدأ خبره محذوف أي محمول كلّهم أو سواء في نسبتهم إليه سبحانه.

«قولاً مفرداً لا يوصل بشيء» أي لا يقرن بقرينة صارفة عن ظاهره، أو ينسب إلى شيء آخر على طريقة الوصف بحال المتعلّق بأن يقال: عرشه محمول، أو أرضه تحت كذا، أو جحيمه أسفل ونحو ذلك، وإلّا «فيفسد اللفظ» لعدم الإذن الشرعيّ وأسماؤه توقيفيّة، وأيضاً هذا إسم نقص كما مرّ «والمعنى» لأنّه يوجب نقصه وعجزه تعالى عن ذلك علوّاً كبيراً «وهو في صفتك» أي في وصفك إيّاه أنّه لم يزل غضباناً على الشيطان وعلى أوليائه، والحاصل أنّه لمّا فهم من كلامه أنّ الملائكة الحاملين للعرش قد يكونون قائمين وقد يكونون ساجدين بطريان الغضب وضدّه وحمل الحديث على ظاهره نبّه عليه السلام على خطئه إلزاماً عليه بقدر فهمه بأنّه لا يصحّ ما ذكرت، إذ من غضبه تعالى ما علم أنّه لم يزل كغضبه على إبليس، فيلزم أن يكون حملة العرش منذ غضب على إبليس إلى الآن سجّداً غير واقفين إلى مواقفهم فعلم أنّ ما ذكرته وفهمته خطأ، والحديث على تقدير صحّته محمول على أنّ المراد بغضبه سبحانه إنزال العذاب، وبوجدان الحملة ثقل العرش اطّلاعهم عليه بظهور مقدّماته وأسبابه، وبسجودهم خضوعهم وخشوعهم له سبحانه خشية وخوفاً من عذابه، فإذا انتهى نزول العذاب وظهرت مقدّمات رحمته اطمأنّوا ورغبوا في طلب رحمته. ثمّ بعد إلزامه عليه السلام بذلك شرع في الإستدلال على تنزيهه سبحانه ممّا فهمه فقال «كيف تجترئ أن تصف ربّك بالتغيّر من حال إلى حال» وهو من صفات المخلوقات والممكنات «لم يزل» بضمّ الزّاي من زال يزول وليس من الأفعال الناقصة، ووجه الإستدلال بما ذكره عليه السلام قد مرّ مفصّلاً في كتاب التوحيد.

١٠- **الدرّ المنثور:** عن أبي ذرّ قال: سئل النبيّ صلى الله عليه وآله عن الكرسيّ، فقال يا أبا ذرّ ما السماوات السبع والأرضون السبع عند الكرسيّ إلّا كحلقة ملقاة بأرض فلاة، وإنّ فضل العرش على الكرسيّ كفضل الفلاة على تلك الحلقة[١].

١١ - عن ابن عبّاس وابن مسعود قالا: السماوات والأرض في جوف الكرسيّ والكرسيّ بين يدي العرش[٢].

١٢ - وعن ابن عبّاس قال: إنّما سمّي العرش عرشاً لارتفاعه[٣].

١٣ - وعن وهب قال: إنّ الله تعالى خلق العرش والكرسيّ من نوره، والعرش ملتصق بالكرسيّ. والملائكة في جوف الكرسيّ، وحول العرش أربعة أنهار: نهر من نور يتلألأ، ونهر من نار تتلظّى، ونهر من ثلج أبيض تلتمع منه الأبصار، ونهر من ماء، والملائكة قيام في تلك الأنهار يسبّحون الله، وللعرش ألسنة بعدد ألسنة الخلق كلّهم، فهو يسبّح الله ويذكره بتلك الألسنة[٤].

---

(١) - (٢) الدر المنثور، ج ١ ص ٣٢٨. (٣) - (٤) الدر المنثور، ج ٣ ص ٢٩٧-٢٩٨.

١٤ - وعن الشعبيّ قال: قال رسول الله ﷺ: العرش من ياقوتة حمراء وإنّ ملكاً من الملائكة نظر إليه وإلى عظمته فأوحى الله إليه إنّي قد جعلت فيك قوّة سبعين ألف ملك لكلّ ملك سبعون ألف ألف جناح فطر، فطار الملك بما فيه من القوّة والأجنحة ما شاء الله أن يطير، فوقف فنظر فكأنّه لم يرم[١].

١٥ - وعن حمّاد قال: خلق الله العرش من زمرّدة خضراء، وخلق له أربع قوائم من ياقوتة حمراء، وخلق له ألف لسان، وخلق في الأرض ألف أمّة، كلّ أمّة تسبّح الله بلسان من ألسن العرش[٢].

١٦ - وعن ابن عبّاس قال: ما يقدّر قدر العرش إلّا الّذي خلقه، وإنّ السماوات في خلق الرحمن مثل قبّة في صحراء[٣].

١٧ - وعن مجاهد قال: ما أخذت السماوات والأرض من العرش إلّا كما تأخذ الحلقة من أرض الفلاة[٤].

١٨ - وعن كعب قال: أنّ السماوات في العرش كالقنديل معلّق بين السماء والأرض[٥].

١٩ - وعن أبي ذرّ عن النبيّ ﷺ قال: ما الكرسيّ في العرش إلّا كحلقة من حديد أُلقيت بين ظهري فلاة من الأرض[٦].

٢٠- وعن وهب قال: خلق الله العرش وللعرش سبعون ألف ساق كلّ ساق كاستدارة السماء والأرض[٧].

٢١ - وعن جابر أنّ النبيّ ﷺ قال: أُذن لي أن أُحدّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام[٨].

٢٢ - وعن حسّان بن عطيّة قال: حملة العرش ثمانية، أقدامهم مثبتة في الأرض السابعة، ورؤوسهم قد جاوزت السماء السابعة، وقرونهم مثل طولهم عليها العرش[٩].

٢٣ - وعن زاذان قال: حملة العرش أرجلهم في التخوم، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور[١٠].

٢٤ - وعن هارون بن رئاب قال: حملة العرش ثمانية يتجاوبون بصوت رخيم يقول أربعة منهم «سبحانك وبحمدك على حلمك بعد علمك» وأربعة منهم يقولون: «سبحانك وبحمدك على عفوك بعد قدرتك»[١١].

٢٥ - وعن وهب قال: حملة العرش الّذين يحملونه لكلّ ملك منهم أربعة وجوه وأربعة أجنحة: جناحان على وجهه من أن ينظر إلى العرش فيصعق، وجناحان يطير بهما، أقدامهم في الثرى، والعرش على أكتافهم، لكلّ واحد منهم وجه ثور، ووجه أسد، ووجه إنسان،

(١) - (٧) الدر المنثور، ج ٣ ص ٢٩٧-٢٩٨. (٨) - (١١) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٤٦.

ووجه نسر، وليس لهم كلام إلّا أن يقولوا: «قدّوس الله القويّ، ملأت عظمته السماوات والأرض»(١).

٢٦ - وعن وهب قال: حملة العرش اليوم أربعة، فإذا كان يوم القيامة أُيّدوا بأربعة آخرين، ملك منهم في صورة إنسان يشفع لبني آدم في أرزاقهم، وملك في صورة نسر يشفع للطير في أرزاقهم، وملك في صورة ثور يشفع للبهائم في أرزاقها، وملك في صورة أسد يشفع للسباع في أرزاقها، فلمّا حملوا العرش وقعوا على ركبهم من عظمة الله فلقّنوا «لا حول ولا قوّة إلّا بالله» فاستووا قياماً على أرجلهم(٢).

٢٧ - وعن ميسرة قال: لا تستطيع الملائكة الّذين يحملون العرش أن ينظروا إلى ما فوقهم من شعاع النور(٣).

٢٨ - وعن ابن عبّاس قال: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام، وذكر أنّ خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب(٤).

٢٩ - وعن ميسرة قال: حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشدّ خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشدّ خوفاً من أهل السماء الّتي تليها، والّتي تليها أشدّ خوفاً من الّتي تليها(٥).

٣٠ - وعن ابن عبّاس أنّ رسول الله ﷺ خرج على أصحابه فقال: ما جمعكم فقالوا: اجتمعنا نذكر ربّنا ونتفكّر في عظمته. فقال: لن تدركوا التفكّر في عظمته! ألا أخبركم ببعض عظمة ربّكم؟ قيل: بلى يا رسول الله قال: إنّ ملكاً من حملة العرش يقال له «إسرافيل» زاوية من زوايا العرش على كاهله، قدماه في الأرض السابعة السفلى، ورأسه في السماء السابعة العليا، في مثله من خليقة ربّكم تبارك وتعالى(٦).

٣١ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قال: يقال ثمانية صفوف من الملائكة لا يعلم عدّتهم إلّا الله، ويقال ثمانية أملاك رؤوسهم تحت العرش في السماء السابعة، وأقدامهم في الأرض السفلى، ولهم قرون كقرون الوعلة ما بين أصل قرن أحدهم إلى منتهاه خمسمائة عام(٧).

٣٢ - وعن الربيع قال: ثمانية من الملائكة(٨).

٣٣ - وعن ابن زيد قال: لم يسمّ من حملة العرش إلّا إسرافيل، وميكائيل ليس من حملة العرش(٩).

٣٤ - وعن كعب قال: لبنان أحد الثمانية تحمل العرش يوم القيامة(١٠).

وعن ميسرة قال: ثمانية أرجلهم في التخوم، ورؤوسهم عند العرش، لا يستطيعون أن يرفعوا أبصارهم من شعاع النور(١١).

---

(١) - (٦) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٤٦-٣٤٧. (٧) - (١١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٦١.

٣٥ - **المهج:** في دعاء مرويّ عن موسى بن جعفر عليه السلام : يا من خافت الملائكة من نوره المتوقّد حول كرسيّه وعرشه، صافّون مسبّحون طائفون خاضعون مذعنون (الدّعاء)(١).

٣٦ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الكرسيّ أهو أعظم أم العرش؟ فقال عليه السلام : كلّ شيء خلق الله في جوف الكرسيّ خلا عرشه فإنّه أعظم من أن يحيط به الكرسيّ(٢).

٣٧ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه عن إسحاق بن الهيثم، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباتة، أنّ عليّاً عليه السلام سئل عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: السماوات والأرض وما فيهما من مخلوق في جوف الكرسيّ، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله، فأمّا ملك منهم في صورة الآدميّين، وهي أكرم الصور على الله، وهو يدعو الله ويتضرّع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لبني آدم، والملك الثاني في صورة الثور وهو سيد البهائم وهو يطلب إلى الله ويتضرّع إليه، ويطلب الشفاعة والرزق للبهائم، والملك الثالث في صورة النسر وهو سيّد الطير وهو يطلب إلى الله ويتضرّع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع الطير، والملك الرابع في صورة الأسد وهو سيّد السباع وهو يرغب إلى الله ويتضرّع إليه ويطلب الشفاعة والرزق لجميع السباع، ولم يكن في هذه الصور أحسن من الثور، ولا أشدّ انتصاباً منه حتّى اتّخذ الملأ من بني إسرائيل العجل فلمّا عكفوا عليه وعبدوه من دون الله خفض الملك الّذي في صورة الثور رأسه استحياءً من الله أن عبد من دون الله شيء يشبهه، وتخوّف أن ينزل به العذاب. ثمّ قال عليه السلام : إنّ الشجر لم يزل حصيداً(٣) كلّه حتّى دعي للرحمن ولد، عزّ الرحمن وجلّ أن يكون له ولد، فكادت السماوات يتفطّرن منه، وتنشقّ الأرض، وتخرّ الجبال هدّاً، فعند ذلك اقشعرّ الشجر وصار له شوك، حذاراً أن ينزل به العذاب، فما بال قوم غيّروا سنّة رسول الله صلى الله عليه وآله وعدلوا عن وصيّه لا يخافون أن ينزل بهم العذاب؟! ثمّ تلا هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾﴾ ثمّ قال: نحن والله نعمة الله الّتي أنعم الله بها على عباده، بنا فاز من فاز(٤).

بيان: قد تحمل هؤلاء الحملة على أرباب الأنواع الّتي قال بها أفلاطون وأضرابه، وما يظهر من صاحب الشريعة لا يناسب ما ذهبوا إليه بوجه، كما لا يخفى على العارف بمصطلحات الفريقين.

٣٨ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه، عن النضر، عن موسى بن بكر، عن زرارة، عن

---

(١) مهج الدعوات، ص ٢٩٣. (٢) الاحتجاج، ص ٣٣٤.

(٣) خضيداً: بالخاء والضاد، صحيح، وفي القاموس: خضد الشجر: قطع شوكه. [النمازي].

(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٩٣ في تفسيره لسورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ السماوات والأرض وسعن الكرسيّ أم الكرسيّ وسع السماوات والأرض؟ قال: بل الكرسيّ وسع السماوات والأرض والعرش وكلّ شيء خلق الله في الكرسيّ[1].

بيان: لعلّ سؤال زرارة لاستعلام أنّ في قرآن أهل البيت ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ منصوب أو مرفوع، وإلّا فعلى تقدير العلم بالرفع لا يحسن هذا السؤال لا سيّما من مثل زرارة، ويروى عن الشيخ البهائي رحمه الله أنّه قال: سألت عن ذلك والدي فأجاب رحمه الله بأنّ بناء السؤال على قراءة ﴿وَسِعَ﴾ بضمّ الواو وسكون السين مصدراً مضافاً، وعلى هذا يتّجه السؤال، وإنّي تصفّحت كتب التجويد فما ظفرت على هذه القراءة إلّا هذه الأيّام رأيت كتاباً في هذا العلم مكتوباً بالخطّ الكوفيّ وكانت هذه القراءة فيه وكانت النسخة بخطّ مصنّفه. وقوله «والعرش» لعلّه منصوب بالعطف على الأرض أو مرفوع بالابتدائيّة فالمراد بالكرسيّ العلم أو بالعرش فيما ورد أنّه محيط بالكرسيّ العلم، وقيل: العرش معطوف على الكرسيّ، أي والعرش أيضاً وسع السماوات والأرض، فالمعنى أنّ الكرسيّ والعرش كلّاً منهما وسع السماوات والأرض فالمراد بكلّ شيء خلق الله كلّ ما خلق فيهما.

٣٩ - **التوحيد:** عن أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار، عن أبيه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عبد الله بن محمّد الحجّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾ إلى قوله والعرش وكلّ شيء في الكرسيّ[2].

ومنه: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن الحسن بن الحسن بن أبان، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن ابن بكير، عن زرارة مثله[3].

العياشي: عن زرارة مثله.

٤٠ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ، عن أبي الطفيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبي عليّ بن الحسين عليه السلام فقال له: إنّ ابن عبّاس يزعم أنّه يعلم كلّ آية نزلت في القرآن في أيّ يوم نزلت وفيمن نزلت! فقال أبي عليه السلام: سله فيمن نزلت ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[4]؟ وفيمن نزلت ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ﴾[5]؟ وفيمن نزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟﴾[6]؟ فأتاه الرجل

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٩٢ في تفسيره لسورة البقرة، الآية: ٢٥٥.
(٢) - (٣) التوحيد، ص ٣٢٧-٣٢٨.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.
(٥) سورة هود، الآية: ٣٤.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٢٠٠.

فسأله فقال: وددت أنّ الّذي أمرك بهذا واجهني به فأسأله عن العرش ممّ خلقه الله وكم هو وكيف هو؟ فانصرف الرجل إلى أبي عليه السلام فقال أبي عليه السلام: فهل أجابك بالآيات؟ قال: لا، قال أبي: لكن أجيبك فيها بعلم ونور غير المدّعى ولا المنتحل، أمّا قوله ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾ ففيه نزلت وفي أبيه، وأمّا قوله ﴿وَلَا يَنفَعُكُمۡ نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ﴾ ففي أبيه نزلت، وأمّا الأخرى ففي إبنه نزلت وفينا ولم يكن الرباط الّذي أمرنا به، وسيكون ذلك من نسلنا المرابط، ومن نسله المرابط، وأمّا ما سأل عنه من العرش ممّ خلقه الله فإنّ الله خلقه أرباعاً، لم يخلق قبله إلّا ثلاثة أشياء: الهواء، والقلم، والنور، ثمّ خلقه من ألوان أنوار مختلفة من ذلك النور: نور أخضر منه اخضرّت الخضرة، ونور أصفر منه اصفرّت الصفرة، ونور أحمر منه احمرّت الحمرة، ونور أبيض وهو نور الأنوار، ومنه ضوء النهار، ثمّ جعله سبعين ألف طبق غلظ كلّ طبق كأوّل العرش إلى أسفل السافلين، ليس من ذلك طبق إلّا يسبّح بحمد ربه ويقدّسه بأصوات مختلفة وألسنة غير مشتبهة، لو أذن للسان واحد فأسمع شيئاً ممّا تحته لهدم الجبال والمدائن والحصون، وكشف البحار ولهلك ما دونه، له ثمانية أركان يحمل كلّ ركن منها من الملائكة ما لا يحصي عددهم إلّا الله. يسبّحون بالليل والنهار لا يفترون، ولو أحسّ حسّ شيء ممّا فوقه ما قام لذلك طرفة عين بينه وبين الإحساس حجب الجبروت والكبرياء والعظمة والقدس والرحمة والعلم وليس وراء هذا مقال، لقد طمع الحائر في غير مطمع، أما إنّ في صلبه وديعة قد ذرئت لنار جهنّم فيخرجون أقواماً من دين الله، وستصبغ الأرض بدماء أفراخ من أفراخ آل محمّد تنهض تلك الفراخ في غير وقت، وتطلب غير مدرك، ويرابط الّذين آمنوا، ويصبرون ويصابرون، حتّى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين[1].

٤١ - **التوحيد:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن عليّ بن إسماعيل، عن حمّاد بن عيسى، عن إبراهيم بن عمر اليمانيّ، عن أبي الطفيل عن أبي جعفر، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق العرش أرباعاً - وذكر مثله إلى قوله - وليس بعد هذا مقال[2].

الكشّي: عن جعفر بن معروف، عن يعقوب بن يزيد، عن حمّاد بن عيسى مثل ما رواه عليّ بن إبراهيم إلى آخر الخبر.

وقال أيضاً: حدثني عليّ بن محمّد بن قتيبة، عن الفضل بن شاذان، عن محمّد بن أبي عمير، قال: جاء رجل إلى عليّ بن الحسين عليهما السلام وذكر نحوه[3].

الاختصاص: عن جعفر بن الحسين، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد ابن

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٣ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ٧٢.
(٢) التوحيد، ص ٣٢٦.
(٣) رجال الكشي، ص ٥٣ ح ١٠٣-١٠٤.

الحسن الصفّار، عن عليّ بن إسماعيل عن حمّاد مثله[1].

بيان: «غير المدّعى» أي بلا حقيقة، والإنتحال أن يدّعي شعر غيره أو قوله لنفسه. وفي رواية الكشّي بعد ذلك: أمّا الأوّلتان فنزلتا في أبيه، وأمّا الأخيرة فنزلت في أبي وفينا. وكذا في الإختصاص وفيه بعده: ولم يكن الرباط الّذي أمرنا به بعد. وعلى التقادير يدلّ على أنّ العمى المذكور في الآية ليس عمى العين بل عمى القلب. إذ العبّاس لم ينقل عماه بل عبد الله صار أعمى «ففي إبنه نزلت» لعلّ الظاهر ففي بنيه، ويمكن أن يراد به الجنس، أو أوّل من خرج منهم أي نزلت في المرابطة، والانتظار الّذي أمرنا به في دولة ذرّيته الملعونة، فقوله عليه السلام «من نسله المرابط» على التهكّم، أو بزعمهم، فإنّهم كانوا يترقّبون الدولة في زمن بني أميّة، أو المراد المرابطة اللغويّة لا المذكورة في الآية، ويحتمل أن يكون المراد بالمرابط الخارج بالسيف، والمرابط من الأئمّة القائم عليه السلام ومنهم أوّلهم أو كلّهم وفي القاموس: ربطه: شدّه، والرباط: ما ربط به، والمواظبة على الأمر وملازمة ثغر العدو كالمرابطة والمرابطة أن يربط كلّ من الفريقين خيولهم في ثغره وكلّ معدّ لصاحبه فسمّي المقام في الثغر رباطاً ومنه قوله تعالى: ﴿وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ (انتهى)

«ولو أحسّ شيء ممّا فوقه» لعلّ قوله ممّا فوقه مفعول «أحسّ» أي شيئاً ممّا فوقه وفي الإختصاص «ولو أحسّ شيئاً ممّا فوقه» أي حاسٌّ أو كلّ من الملائكة الحاملين.

وفي بعض النسخ «ولو أحسّ حسّ شيء» وفي بعضها «ولو أحسّ حسّ شيئاً»، وهو أظهر «بينه وبين الإحساس» أي بين الملك أو الحاسّ وبين إحساس ما فوقه «حجب الجبروت والكبرياء» أي الصوريّة أو المعنويّة «وليس وراء هذا مقال» أي لا يمكن وصف ما وراء هذه الحجب «لقد طمع الحائر» أي ابن عبّاس، وفي بعض النسخ «الخائن» وفي بعضها «الخاسر» «في غير مطمع» أي في أمر لا ينفع طمعه فيه وهو فوق مرتبته.

«فيخرجون» وفي الكشّي: «يستخرجون أقواماً من دين الله أفواجاً كما دخلوا فيه» والمراد بالأفراخ السادات الّذين خرجوا وقتلوا، لأنّهم خرجوا في غير وقت الخروج وعند استقرار دولة المخالفين «وتطلب غير مدرك» على بناء المفعول أي ما لا يمكن إدراكه. وفي الكشّي: غير ما تدرك.. وقد مرّت الوجوه الكثيرة في تأويل الأنوار في كتاب التوحيد، وفي هذا الباب أيضاً فلا نعيدها ههنا.

٤٢ - **التفسير:** ﴿وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ﴾ قال: حملة العرش ثمانية لكلّ واحد ثمانية أعين، كلّ عين طباق الدنيا، وفي حديث آخر: حملة العرش ثمانية: أربعة من الأوّلين وأربعة من الآخرين، فأمّا الأربعة من الأوّلين فنوح،

(١) الاختصاص، ص ٧١.

وإبراهيم، وموسى وعيسى عليهم السلام وأمّا الأربعة من الآخرين، فمحمّد، وعليّ، والحسن، والحسين ومعنى «يحملون العرش» يعني العلم[١].

٤٣ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد الأصبهانيّ، عن سليمان بن داود، عن حفص بن غياث قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ حملة العرش ثمانية لكلّ واحد منهم ثمانية أعين كلّ عين طباق الدنيا[٢].

٤٤ - **ومنه:** عن ابن الوليد، عن الصفّار، مرسلاً قال: قال الصادق عليه السلام: إنّ حملة العرش أحدهم على صورة ابن آدم يسترزق الله لولد آدم، والثاني على صورة الديك يسترزق الله للطير، والثالث على صورة الأسد يسترزق الله للسباع، والرابع على صورة الثور يسترزق الله للبهائم، ونكس الثور رأسه منذ عبد بنو إسرائيل العجل، فإذا كان يوم القيامة صاروا ثمانية[٣].

بيان: يمكن أن يكون الّذي يسترزق للطير شبيهاً بالنسر والديك معاً، فلذا شبّه بهما.

٤٥ - **التوحيد:** عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسيّ، والكرسيّ جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزء من نور الستر (الخبر)[٤].

٤٦ - **التوحيد والمعاني:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حفص بن غياث، قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: علمه[٥].

٤٧ - **المعاني:** عن أحمد بن الحسن، عن عبد الرحمن بن محمّد الحسنيّ، عن أحمد بن عيسى بن أبي مريم، عن محمّد بن أحمد العرزميّ، عن عليّ بن حاتم المنقريّ، عن المفضل بن عمر، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسيّ ما هما؟ فقال: العرش في وجه هو جملة الخلق، والكرسيّ وعاؤه، وفي وجه آخر هو العلم الّذي أطلع الله عليه أنبياءه ورسله وحججه، والكرسيّ هو العلم الّذي لم يطّلع عليه أحد من أنبيائه ورسله وحججه عليهم السلام[٦].

٤٨ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن موسى بن جعفر البغداديّ، عن محمّد ابن جمهور، عن عبد الله بن عبد الرحمن، عن محمّد بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قال في كلّ يوم من شعبان سبعين مرّة «أستغفر الله الّذي لا إله إلّا هو الرحمن الرحيم

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٧٢ في تفسيره لسورة الحاقة، الآية: ١٧.

(٢) - (٣) الخصال، ص ٤٠٧ باب ٨ ح ٤-٥. (٤) التوحيد، ص ١٠٨ باب ٨ ح ٣.

(٥) التوحيد، ص ٣٢٧ باب ٥٢ ح ١، معاني الأخبار، ص ٣٠.

(٦) معاني الأخبار، ص ٢٢٨.

الحيّ القيّوم وأتوب إليه» كتب في الأفق المبين. قال: قلت: وما الأفق المبين؟ قال: قاع بين يدي العرش فيه أنهار تطرد، فيه من القدحان عدد النجوم(١).

٤٩ - **التوحيد:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن يعقوب بن يزيد، عن حمّاد، عن ربعيّ، عن الفضيل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ قال: يا فضيل السماوات والأرض وكلّ شيء في الكرسيّ(٢).

٥٠ - **ومنه:** عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقال: السماوات والأرض وما بينهما في الكرسيّ، والعرش هو العلم الّذي لا يقدّر أحد قدره(٣).

٥١ - **ومنه:** عن عليّ بن أحمد الدقّاق، عن محمّد بن جعفر الأسديّ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ، عن الحسين بن الحسن، عن أبيه، عن حنان بن سدير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العرش والكرسيّ فقال: إنّ للعرش صفات كثيرة مختلفة، له في كلّ سبب وصنع في القرآن صفة على حدة، فقوله ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ يقول: الملك العظيم، وقوله ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ يقول: على الملك احتوى، وهذا ملك الكيفوفيّة في الأشياء. ثمّ العرش في الوصل مفرد من الكرسيّ، لأنّهما بابان من أكبر أبو اب الغيوب، وهما جميعاً غيبان، وهما في الغيب مقرونان، لأنّ الكرسيّ هو الباب الظاهر من الغيب الّذي منه مطلع البدع ومنها الأشياء كلّها، والعرش هو الباب الباطن الّذي يوجد فيه علم الكيف والكون والقدر والحدّ والأين والمشيّة وصفة الإرادة وعلم الألفاظ والحركات والترك وعلم العود والبداء، فهما في العلم بابان مقرونان، لأنّ ملك العرش سوى ملك الكرسيّ، وعلمه أغيب من علم الكرسيّ، فمن ذلك قال ﴿رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾، أي صفته أعظم من صفة الكرسيّ، وهما في ذلك مقرونان. قلت: جعلت فداك فلم صار في الفضل جار الكرسيّ؟ قال عليه السلام: إنّه صار جاره لأنّ علم الكيفوفية فيه وفيه الظاهر من أبو اب البداء وأينيّتها وحدّ رتقها وفتقها، فهذان جاران أحدهما حمل صاحبه في الظرف. وبمثل صرف العلماء، وليستدلّوا على صدق دعواهما لأنّه يختصّ برحمته من يشاء وهو القويّ العزيز.

فمن اختلاف صفات العرش أنّه قال تبارك وتعالى: [﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وهو وصف عرش الوحدانية لأن قوماً أشركوا كما قلت لك] قال تبارك وتعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ﴾ ربّ الوحدانيّة - ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ وقوم وصفوه بيدين فقالوا ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ وقوم وصفوه بالرجلين فقالوا وضع رجله على صخرة بيت المقدس فمنها ارتقى إلى السماء، ووصفوه بالأنامل

---

(١) معاني الأخبار، ص ٢٢٨-٢٢٩. (٢) - (٣) التوحيد، ص ٣٢٧ باب ٥٢.

فقالوا: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله قال «إنّي وجدت برد أنامله على قلبي»، فلمثل هذه الصفات قال ﴿رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ يقول: ربّ المثل الأعلى عمّا به مثّلوه، ولله المثل الأعلى الّذي لا يشبهه شيء ولا يوصف ولا يتوهّم، فذلك المثل الأعلى. ووصف الّذين لم يؤتوا من الله فوائد العلم فوصفوا ربّهم بأدنى الأمثال وشبّهوه بالمتشابه منهم فيما جهلوا به، فلذلك قال ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ فليس له شبه ولا مثل ولا عدل، وله الأسماء الحسنى الّتي لا يسمّى بها غيره، وهي الّتي وصفها في الكتاب فقال ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ جهلاً بغير علم، فالّذي يلحد في أسمائه جهلاً بغير علم يشرك وهو لا يعلم، ويكفر به وهو يظنّ أنّه يحسن، فلذلك قال ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[1] فهم الّذين يلحدون في أسمائه بغير علم، فيضعونها غير مواضعها[2].

يا حنان! إنّ الله تبارك وتعالى أمر أن يتّخذ قوم أولياء، فهم الّذين أعطاهم الفضل وخصّهم بما لم يخصّ به غيرهم، فأرسل محمّداً صلى الله عليه وآله فكان الدليل على الله بإذن الله عزّ وجلّ حتى مضى دليلاً هادياً، فقام من بعده وصيّه عليه السلام دليلاً هادياً على ما كان هو دلّ عليه من أمر ربّه من ظاهر علمه ثمّ الأئمّة الراشدون عليهم السلام [3].

بيان: «صفات كثيرة» أي معان شتّى وإطلاقات مختلفة «ملك الكيفوفيّة في الأشياء» أي كيفيّة ارتباطه سبحانه بمخلوقاته وتدبيره لها وعلمه بها ومباينته عنها، ولذا وصف ذلك بالاستواء فليس بشيء أقرب من شيء، ورحمته وعلمه وسعا كلّ شيء، ويحتمل أن يكون المراد تدبير صفات الأشياء وكيفيّاتها وأوضاعها وأحوالها، ولعلّه أظهر. «ثمّ العرش في الوصل مفرد» أي إذا عطف أحدهما على الآخر ووصل بينهما في الذكر فالعرش مفرد عن الكرسيّ ومباين له، وفي غير ذلك قد يطلقان على معنى واحد كالعلم «وهما جميعاً غيبان» أي مغيّبان عن الحواسّ قوله عليه السلام «لأنّ الكرسيّ هو الباب الظاهر» يظهر منه مع غاية غموضه أنّ المراد بالكرسيّ والعرش هنا نوعان من علمه سبحانه، فالكرسيّ العلم المتعلّق بأعيان الموجودات، ومنه يطلع ويظهر جميع الموجودات بحقائقها وأعيانها، والأمور البديعة في السماوات والأرض وما بينهما، والعرش العلم المتعلّق بكيفيّات الأشياء ومقاديرها

---

(١) سورة يوسف، الآية: ١٠٦.

(٢) يظهر من هذه الرواية انّ العرش الذي اسم علم وقدرة وهو نور الولاية واسم الله الأعظم التكويني والمثل الأعلى الالهي، حملته الرّسول والائمّة المعصومون صلوات الله عليهم وهذا الملك العظيم الذي أعطاهم الله ربّ العالمين، ربّ العرش العظيم، وهذا العلم الرحمة الواسعة التي وسعت كل شيء ويقدر به على كل شيء باذن الله تعالى وفضله واحسانه يختصّ برحمته من يشاء. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «عرش»].

(٣) التوحيد، ص ٣٢١ باب ٥٠، وما بين قوسين زيادة من المصدر.

وأحوالها وبدئها وعودها، ويمكن أن يكون أحدهما عبارة عن كتاب المحو والإثبات، والآخر عن اللوح المحفوظ. قوله عليه السلام «لأنّ علم الكيفوفيّة» أي إنّهما إنّما صارا جارين مقرونين لأنّ أحدهما عبارة عن العلم المتعلّق بالأعيان والآخر عن العلم المتعلّق بكيفيّات تلك الأعيان فهما مقرونان، ومن تلك الجهة صحّ جعل كلّ منهما ظرفاً للآخر، لأنّ الأعيان لمّا كانت محالّ للكيفيّات فهي ظروفها وأوسع منها، ولمّا كانت الكيفيّات محيطة بالأعيان فكأنّها ظرفها وأوسع منها وبهذا الوجه يمكن الجمع بين الأخبار ولعلّه أشير إلى هذا بقوله «أحدهما جعل صاحبه في الظرف» بالظاء المعجمة أي بحسب الظرفيّة، وفي بعض النسخ بالمهملة أي حيث ينتهي طرف أحدهما بصاحبه إذا قرئ بالتحريك، وإذا قرئ بالسكون فالمراد نظر القلب. «وبمثل صرف العلماء» أي علماء أهل البيت عليهم السلام عبّروا عن هذه الأمور بالعبارات المتصرفة المتنوعة على سبيل التمثيل والتشبيه، فتارة عبّروا عن العلم بالعرش، وتارة بالكرسيّ، وتارة جعلوا العرش وعاء الكرسيّ، وتارة بالعكس، وتارة أرادوا بالعرش والكرسيّ الجسمين العظيمين، وإنّما عبّروا بالتمثيل ليستدلّوا على صدق دعواهما، أي دعواهم لهما، وما ينسبون إليهما ويبيّنون من غرائبهما وأسرارهما، وفي أكثر النسخ «وليستدلّوا» فهو عطف على مقدّر أي لتفهيم أصناف الخلق وليستدلّوا، ولعلّ الأظهر «دعواهم».

قوله عليه السلام: «فمن اختلاف صفات العرش» أي معانيه قال في سورة الأنبياء ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[1] فالمراد بالعرش هنا عرش الوحدانيّة، إذ هي أنسب بمقام التنزيه عن الشريك، إذ المذكور قبل ذلك ﴿أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾[2]، وقال سبحانه في سورة الزخرف: ﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾﴾[3] والمناسب هنا عرش التقدّس والتنزّه عن الأشباه والأمثال والأولاد، فالعرش في كلّ مقام يراد به معنى يعلمه الراسخون في العلم. ثمّ إنّه ظاهر الكلام يوهم أنّ الظرف في قوله ﴿عَمَّا يَصِفُونَ﴾ متعلّق بالعرش وهو بعيد، بل الظاهر تعلّقه بسبحان، وعلى ما قرّرنا عرفت أنّه لا حاجة إلى ارتكاب ذلك، ويدلّ الخبر على أنّ خطاب ﴿وَمَآ أُوتِيتُم﴾ متوجّه إلى السائلين عن الروح وأضرابهم لا إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قوله عليه السلام: «من ظاهر علمه» إنّما خصّ بالظاهر لأنّ باطن علمه لا يطيقه سائر الخلق سوى أوصيائه عليهم السلام.

واعلم أنّ هذا الخبر من المتشابهات، وغوامض المخبيّات، والظاهر أنّه وقع من الرواة والنسّاخ لعدم فهمهم معناه تصحيفات وتحريفات أيضاً، فلذا أجملت الكلام فيه، وما ذكرته إنّما هو على سبيل الإحتمال، والله يعلم وحججه حقائق كلامهم عليهم السلام.

٥٢ - **العياشي**: عن الأصبغ، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قول الله ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ

---

(١) - (٢) سورة الأنبياء، الآيتان: ٢١-٢٢. (٣) سورة الزخرف، الآيتان: ٨١-٨٢.

﴿السَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ فقال: إنّ السماء والأرض وما فيهما من خلق مخلوق في جوف الكرسيّ، وله أربعة أملاك يحملونه بإذن الله[1].

٥٣ - **تفسير العسكري:** قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله لمّا خلق العرش خلق له ثلاثمائة وستّين ألف ركن، وخلق عند كلّ ركن ثلاثمائة وستّين ألف ملك، لو أذن الله تعالى لأصغرهم فالتقم السماوات السبع والأرضين السبع ما كان ذلك بين لهواته إلّا كالرّملة في المفازة الفضفاضة! فقال لهم الله: يا عبادي احتملوا عرشي هذا، فتعاطوه فلم يطيقوا حمله ولا تحريكه، فخلق الله عزّوجلّ مع كلّ واحد منهم واحداً فلم يقدروا أن يزعزعوه، فخلق الله مع كلّ واحد منهم عشرة فلم يقدروا أن يحرّكوه، فخلق الله بعدد كلّ واحد منهم مثل جماعتهم فلم يقدروا أن يحرّكوه، فقال الله عزّوجلّ لجميعهم: خلّوه عليّ أمسكه بقدرتي، فخلّوه فأمسكه الله عزّوجلّ بقدرته، ثمّ قال لثمانية منهم: احملوه أنتم. فقالوا: يا ربّنا لم نطقه نحن وهذا الخلق الكثير والجمّ الغفير، فكيف نطيقه الآن دونهم؟! فقال الله عزّوجلّ: لأنّي أنا الله المقرّب للبعيد، والمذلّل للعبيد، والمخفّف للشديد، والمسهّل للعسير، أفعل ما أشاء وأحكم ما أريد، أعلّمكم كلمات تقولونها يخفّ بها عليكم. قالوا: وما هي؟ قال: تقولون «بسم الله الرحمن الرحيم ولا حول ولا قوّة إلّا بالله العليّ العظيم وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين» فقالوها فحملوه، وخفّ على كواهلهم كشعرة نابتة على كاهل رجل جلد قويّ. فقال الله عزّوجلّ لسائر تلك الأملاك: خلّوا على هؤلاء الثمانية عرشي ليحملوه، وطوفوا أنتم حوله وسبّحوني ومجّدوني وقدّسوني، فأنا الله القادر المطلق على ما رأيتم وعلى كلّ شيء قدير[2].

بيان: «الفضفاضة» الواسعة ذكره الجوهريّ، وقال: الجلد الصلابة والجلادة، تقول منه جلد الرجل بالضمّ فهو جلد.

٥٤ - **روضة الواعظين:** روى جعفر بن محمّد، عن أبيه، عن جده عليهم السلام أنّه قال: في العرش تمثال ما خلق الله من البرّ والبحر قال: وهذا تأويل قوله: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾[3] وإنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع مسيرة ألف عام، والعرش يكسى كلّ يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلّها في العرش كحلقة في فلاة، وإنّ لله تعالى ملكاً يقال له «خرقائيل» له ثمانية عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطر: هل فوق العرش شيء؟ فزاده الله تعالى مثلها أجنحة أخرى، فكان له ست وثلاثون ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، ثمّ أوحى الله إليه: أيّها الملك طر، فطار مقدار عشرين ألف عام لم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثمّ ضاعف الله له في الجناح والقوّة وأمره أن يطير، فطار

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ١٥٧ ح ٤٥٩ من سورة البقرة.

(٢) تفسير الإمام العسكري عليه السلام ص ١٤٦. (٣) سورة الحجر، الآية: ٢١.

مقدار ثلاثين ألف عام لم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه: أيّها الملك! لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوّتك لم تبلغ إلى ساق عرشي! فقال الملك «سبحان ربّي الأعلى» فأنزل الله عزّوجلّ: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: اجعلوها في سجودكم[(١)].

٥٥ - وروي من طريق المخالفين في قوله ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قال: ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلّا الله، لكلّ ملك منهم أربعة وجوه لهم قرون كقرون الوعلة، من أصول القرون إلى منتهاها مسيرة خمسمائة عام، والعرش على قرونهم، وأقدامهم في الأرض السفلى، ورؤوسهم في السماء العليا، ودون العرش سبعون حجاباً من نور[(٢)].

بيان: قال الجزريّ: الوعول تيوس الجبل، واحدها وعل بكسر العين، ومنه الحديث في تفسير قوله تعالى ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ قيل: هي ثمانية أوعال، أي ملائكة على صورة الأوعال.

٥٦ - **تأويل الآيات الظاهرة:** نقلاً من كتاب محمّد بن العبّاس بن ماهيار عن جعفر بن محمّد بن مالك، عن أحمد بن الحسين العلويّ، عن محمّد بن حاتم، عن هارون بن الجهم، عن محمّد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ﴾ قال: يعني محمّداً، وعليّاً، والحسن، والحسين، ونوحاً، وإبراهيم، وموسى، وعيسى عليهم السلام[(٣)].

٥٧ - **الاختصاص:** عن ابن عبّاس، قال: سأل ابن سلام النبيّ صلى الله عليه وآله فكان فيما سأله: ما الستّة عشر؟ وما الثمانية عشر؟ قال: ستّة عشر صفّاً من الملائكة حافّين من حول العرش، وذلك قوله ﴿حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ وأمّا الثمانية عشر فثمانية عشر حجاباً من نور معلّق بين الكرسيّ والحجب، ولولا ذلك لذابت صمّ الجبال الشوامخ، واحترقت الجنّ والإنس من نور الله. قال: صدقت يا محمّد[(٤)].

٥٨ - في بعض الكتب عن عليّ بن الحسين عليه السلام: إنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله.

٥٩ - **المتهجّد:** في دعاء ليلة الجمعة: اللّهمّ ربّ النور العظيم وربّ الكرسيّ الواسع، وربّ العرش العظيم، وربّ البحر المسجور (الدعاء)[(٥)].

---

(١) روضة الواعظين، ص ٤٧. قد ورد في روايات كثيرة أنّ روح النبي والائمّة عليهم السلام توافي ليلة الجمعة إلى العرش ويطوفون حول العرش سبعاً ويصلّون عند كل قائمة له ركعتين، فارجع إليها، فانظر تفاوت قدرة الملك مع قدرة النبيّ والائمّة عليهم السلام لا يعلمه إلاّ الله.

وفي المجمع عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: خلق الله تعالى ملكاً تحت العرش فأوحى إليه أن طر، فطار ثلاثين ألف سنة، ثمّ أوحى إليه أن طر فطار ثلاثين ألف سنة وهكذا إلى ثلاث مرّات فأوحى إليه: لو طرت حتّى ينفخ في الصور كذلك لم تبلغ إلى طرف الثاني من العرش؛ الخبر. [مستدرك السفينة ج ٧ لغة «عرش»].

(٢) روضة الواعظين، ص ٤٧.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة، ص ٤٣٢.

(٤) الإختصاص، ص ٤٧.

(٥) مصباح المتهجد، ص ٣٤٤.

٦٠ - وفي تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : وأسألك باسمك الّذي خلقت به عرشك الّذي لا يعلم ما هو إلّا أنت - إلى قوله - وأسألك يا الله باسمك الّذي تضعضع به سكّان سماواتك، واستقرّ به عرشك - إلى قوله - وأسألك باسمك الّذي أقمت به عرشك وكرسيّك في الهواء - إلى قوله - وأسألك باسمك الّذي دعاك به حملة عرشك فاستقرّت أقدامهم، وحمّلتهم عرشك بذلك الإسم يا الله الّذي لا يعلمه ملك مقرّب ولا حامل عرشك ولا كرسيّك إلّا من علّمته ذلك(١).

٦١ - **بيان التنزيل:** لابن شهرآشوب عن الصادق عليه السلام : إنّ بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير عشرة آلاف عام.

تحقيق وتوفيق: إعلم أنّ ملوك الدنيا لمّا كان ظهورهم وإجراء أحكامهم على رعيّتهم إنّما يكون عند صعودهم على كرسيّ الملك وعروجهم على عرش السلطنة ومنهما تظهر آثارهم وتتبيّن أسرارهم، والله سبحانه لتقدّسه عن المكان لا يوصف بمحلّ ولا مقرّ وليس له عرش ولا كرسيّ يستقر عليهما، بل يطلقان على أشياء من مخلوقاته أو صفاته الكمالية على وجه المناسبة، فالكرسيّ والعرش يطلقان على معان:

أحدها: جسمان عظيمان خلقهما الله تعالى فوق سبع سماوات، وظاهر أكثر الأخبار أنّ العرش أرفع وأعظم من الكرسيّ، ويلوح من بعضها العكس، والحكماء يزعمون أنّ الكرسيّ هو الفلك الثامن، والعرش هو الفلك التاسع، وظواهر الأخبار تدلّ على خلاف ذلك من كونهما مربّعين ذاتي قوائم وأركان، وربّما يؤوّلان بالجهات والحدود والصفات الّتي بها استحقّا التعظيم والتكريم، ولا حاجة لنا إلى هذه التكلفات، وإنّما سمّيا بالاسمين لبروز أحكامه وتقديراته من عندهما، وإحاطة الكرّوبيّين والمقرّبين وأرواح النبيّين والأوصياء بهما، وعروج من قرّبه من جنابه إليهما، كما أنّ أوامر الملوك وأحكامهم وآثار سلطنتهم وعظمتهم تبدو منهما، وتطيف مقرّبو جنابهم وخواصّ ملكهم بهما، وأيضاً لمّا كانا أعظم مخلوقاته الجسمانيّة وفيهما من الأنوار العجيبة والآثار الغريبة ما ليس في غيرهما من الأجسام فدلالتهما على وجوده وعلمه وقدرته وحكمته سبحانه أكثر من سائر الأجسام، فلذا خصّا بهذين الإسمين من بينهما، وحملتهما في الدنيا جماعة من الملائكة كما عرفت، وفي الآخرة إمّا الملائكة أو أولو العزم من الأنبياء مع صفوة الأوصياء عليهم السلام كما عرفت، ويمكن أن يكون نسبة الحمل إليهم مجازاً لقيام العرش بهم في القيامة وكونهم الحكّام عنده والمقرّبين لديه.

وثانيها: العلم كما عرفت إطلاقهما في كثير من الأخبار عليه وقد مرّ الفرق بينهما في خبر معاني الأخبار وغيره، وذلك أيضاً لأنّ منشأ ظهوره سبحانه على خلقه العلم والمعرفة، وبه

---

(١) مصباح المتهجد، ص ٣٧٢.

يتجلّى على العباد، فكأنّه عرشه وكرسيّه سبحانه وحملتهما نبيّنا وأئمّتنا عليهم السلام لأنّهم خزّان علم الله في سمائه وأرضه لا سيّما ما يتعلّق بمعرفته سبحانه.

وثالثها: الملك، وقد مرّ إطلاقهما عليه في خبر «حنان» والوجه ما مرّ أيضاً.

ورابعها: الجسم المحيط وجميع ما في جوفه أو جميع خلق الله كما ذكره الصدوق رحمه الله ويستفاد من بعض الأخبار، إذ ما من شيء في الأرض ولا في السماء وما فوقها إلّا وهي من آيات وجوده وعلامات قدرته، وآثار وجوده وفيضه وحكمته فجميع المخلوقات عرش عظمته وجلاله، وبها تجلّى على العارفين بصفات كماله وهذا أحد المعاني الّتي خطرت ببالي الفاتر في قولهم عليهم السلام «وارتفع فوق كلّ منظر» فتدبّر.

وخامسها: إطلاق العرش على كلّ صفة من صفاته الكماليّة والجلاليّة إذ كلّ منها مستقرّ لعظمته وجلاله، وبها يظهر لعباده على قدر قابليّتهم ومعرفتهم فله عرش العلم، وعرش القدرة، وعرش الرحمانيّة، وعرش الرحيميّة، وعرش الوحدانيّة، وعرش التنزّه كما مرّ في خبر حنان وغيره. وقد أوّل الوالد رحمه الله الخبر الّذي ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ أنّ المعنى: استوى من كلّ شيء فليس شيء أقرب إليه من شيء، أنّ المراد بالعرش هنا عرش الرحمانيّة والظرف حال أي الربّ سبحانه حال كونه على عرش الرحمانيّة استوى من كلّ شيء، إذ بالنظر إلى الرحيميّة الّتي هي عبارة عن الهدايات والرحمات الخاصّة بالمؤمنين أقرب، أو المراد أنّه تعالى بسبب صفة الرحمانيّة حال كونه على عرش الملك والعظمة والجلال استوى نسبته إلى كلّ شيء، وحينئذ فائدة التقييد بالحال نفي توهّم أنّ هذا الاستواء ممّا ينقص من عظمته وجلاله شيئاً.

وسادسها: إطلاق العرش على قلب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام وكمّل المؤمنين فإنّ قلوبهم مستقرّ محبّته ومعرفته سبحانه، كما روي أنّ قلب المؤمن عرش الرحمن وروي أيضاً في الحديث القدسيّ «لم يسعني سمائي ولا أرضي ووسعني قلب عبد ي المؤمن».

ثمّ إعلم أنّ إطلاقهما على بعض المعاني عند التصريح به أو إقامة القرائن عليه لا ينافي وجوب الإذعان بالمعنى الأوّل الّذي هو الظاهر من أكثر الآيات والأخبار، والله المطّلع على الأسرار.

٦ - باب الحجب والأستار والسرادقات

١ - **التوحيد والخصال:** عن أحمد بن الحسن القطّان، عن أحمد بن يحيى بن زكريّا القطّان، عن بكر بن عبد الله، عن تميم بن بهلول، عن نصر بن مزاحم المنقريّ، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف لوط بن يحيى، عن أبي منصور، عن زيد بن وهب، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن الحجب، فقال: أوّل الحجب سبعة، غلظ كلّ حجاب منها مسيرة

خمسمائة عام، وبين كلّ حجابين مسيرة خمسمائة عام، والحجاب الثاني سبعون حجاباً، بين كلّ حجابين مسيرة خمسمائة عام، حجبة كلّ حجاب منها سبعون ألف ملك، قوّة كلّ ملك منهم قوّة الثقلين، منها ظلمة، ومنها نور، ومنها نار، ومنها دخان، ومنها سحاب ومنها برق، ومنها رعد، ومنها ضوء، ومنها رمل، ومنها جبل، ومنها عجاج، ومنها ماء، ومنها أنهار. وهي حجب مختلفة غلظ كلّ حجاب مسيرة سبعين ألف عام، ثمّ سرادقات الجلال وهي ستّون سرادقاً، في كلّ سرادق سبعون ألف ملك، بين كلّ سرادق وسرادق مسيرة خمسمائة عام، ثمّ سرادق العزّ، ثمّ سرادق الكبرياء، ثمّ سرادق النور الأبيض، ثمّ سرادق الوحدانيّة وهو مسيرة سبعين ألف عام، ثمّ الحجاب الأعلى. وانقضى كلامه عليه السلام وسكت فقال له عمر: لا بقيت ليوم لا أراك فيه يا أبا الحسن[1]!

قال الصدوق رحمه الله ليست هذه الحجب مضروبة على الله، تعالى عن ذلك لأنّه لا يوصف بمكان، ولكنّها مضروبة على العظمة العليا من خلقه الّتي لا يقادر قدرها غيره تبارك وتعالى[2].

بيان: قوله عليه السلام: «منها ظلمة» لعلّ المراد من مطلق الحجب لا من الحجب المتقدّمة كما يدلّ عليه قوله «غلظ كلّ حجاب» الخ.

٢ - **المعاني والخصال:** عن أحمد بن محمّد بن عبد الرحمن المقري، عن محمّد بن إبراهيم الجرجانيّ، عن عبد الصمد بن يحيى الواسطيّ، عن الحسن بن عليّ المدنيّ، عن عبد الله بن المبارك، عن السفيان الثوريّ، عن جعفر بن محمّد الصادق، عن أبيه، عن جدّه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق نور محمّد صلى الله عليه وآله قبل أن خلق السماوات والأرض والعرش والكرسيّ واللوح والقلم والجنّة والنار، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان وكلّ من قال الله عزّ وجلّ في قوله: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ إلى قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] وقبل أن خلق الأنبياء كلّهم بأربعمائة ألف وأربع وعشرين ألف سنة، وخلق عزّ وجلّ معه اثني عشر حجاباً: حجاب القدرة، وحجاب العظمة، وحجاب المنّة، وحجاب الرحمة، وحجاب السعادة، وحجاب الكرامة، وحجاب المنزلة، وحجاب الهداية، وحجاب النبوّة، وحجاب الرفعة، وحجاب الهيبة، وحجاب الشفاعة، ثمّ حبس نور محمّد صلى الله عليه وآله في حجاب القدرة اثني عشر ألف سنة وهو يقول: «سبحان ربّي الأعلى» وفي حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول «سبحان عالم السرّ وأخفى وفي حجاب المنّة عشرة آلاف سنة وهو يقول «سبحان من هو قائم لا يلهو» وفي حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول «سبحان الرفيع الأعلى» وفي حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول

(١) التوحيد، ص ٢٧٨ باب ٣٨ ح ٣. (٢) الخصال، ص ٤٠١ باب ٧ ح ١٠٩.
(٣) سورة الأنعام، الآيات: ٨٤-٨٧.

«سبحان من هو دائم لا يسهو» وفي حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول «سبحان من هو غنيّ لا يفتقر» وفي حجاب المنزلة ستّة آلاف سنة وهو يقول «سبحان ربّي العليّ الكريم» وفي حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول «سبحان ذي العرش العظيم» وفي حجاب النبوّة أربعة آلاف سنة وهو يقول «سبحان ربّ العزّة عمّا يصفون» وفي حجاب الرفعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول «سبحان ذي الملك والملكوت» وفي حجاب الهيبة ألفي سنة وهو يقول «سبحان الله وبحمده» وفي حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول «سبحان ربّي العظيم وبحمده» ثمّ أظهر عزّ وجلّ اسمه على اللوح فكان على اللوح منوّراً أربعة آلاف سنة، ثمّ أظهره على العرش فكان على ساق العرش مثبتاً سبعة آلاف سنة، إلى أن وضعه الله عزّ وجلّ في صلب آدم عليه السلام إلى آخر ما مرّ في المجلّد السادس[1].

٣ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: قال جبرئيل في ليلة المعراج: إنّ بين الله وبين خلقه تسعين ألف حجاب، وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب: حجاب من نور، وحجاب من ظلمة، وحجاب من الغمام، وحجاب من ماء (الخبر)[2].

٤ - **المجالس للصدوق:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن أبي الحسن العبديّ، عن الأعمش، عن عباية بن ربعيّ، عن ابن عبّاس، في ذكر خبر المعراج قال: فعبر رسول الله صلى الله عليه وآله حتّى انتهى إلى الحجب، والحجب خمسمائة حجاب من الحجاب إلى الحجاب مسيرة خمسمائة عام (الخبر)[3].

٥ - **التوحيد:** عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسيّ، والكرسيّ جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر (الخبر)[4].

٦ - **المتهجّد:** في تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام: وأسألك بنور اسمك الّذي خلقت به نور حجابك النور - إلى قوله عليه السلام - وأسألك باسمك الزكيّ الطاهر المكتوب في كنه حجبك، المخزون في علم الغيب عندك على سدرة المنتهى، وأسألك باسمك المكتوب على سرادق السرائر[5] - إلى قوله - باسمك الّذي كتبته على حجاب عرشك، وبكل اسم هو

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣٠٦، الخصال، ص ٤٨١ باب الإثني عشر ح ٥٥.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٢. (٣) أمالي الصدوق، ص ٢٩٠ مجلس ٥٦ ح ١٠.

(٤) التوحيد، ص ١٠٨ باب ٨ ح ٣.

(٥) في زيارة أمير المؤمنين في يوم المولود المروية عن الإمام الصادق عليه السلام: السلام عليك يا من كتب اسمه في السماء على السرادقات. [النمازي].

لك في اللوح المحفوظ(١).

٧ - **الإقبال:** في تعقيبات نوافل شهر رمضان، روي عن أبي عبد الله عليه السلام: اللّهمّ إني أسألك باسمك المكتوب في سرادق المجد، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق البهاء، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العظمة، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق الجلال، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق العزّة، وأسألك باسمك المكتوب في سرادق السرائر، السابق الفائق الحسن النضير، وربّ الملائكة الثمانية، وربّ العرش العظيم (الدعاء)(٢).

٨ - **الدرّ المنثور للسيوطي:** نقلاً من عدّة كتب عن ابن عبّاس قال بين السماء السابعة إلى كرسيّه سبعة آلاف نور(٣).

٩ - وعن أنس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال جبرئيل: إنّ بيني وبين الربّ لسبعين حجاباً من نار أو نور، لو رأيت أدناها لاحترقت(٤).

١٠ - وعن أبي هريرة أنّ رجلاً من اليهود أتى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله هل احتجب الله من خلقه بشيء غير السموات؟ قال: نعم، بينه وبين الملائكة الّذين حول العرش سبعون حجاباً من نور، وسبعون حجاباً من ظلمة، وسبعون حجاباً من رفارف الاستبرق، وسبعون حجاباً من رفارف السندس، وسبعون حجاباً من درّ أبيض، وسبعون حجاباً من درّ أحمر، وسبعون حجاباً من درّ أصفر، وسبعون حجاباً من درّ أخضر، وسبعون حجاباً من ضياء، وسبعون حجاباً من ثلج، وسبعون حجاباً من ماء، وسبعون حجاباً من برد، وسبعون حجاباً من عظمته الّتي لا توصف.

قال: فأخبرني عن ملك الله الّذي يليه. فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الملك الّذي يليه إسرافيل، ثمّ جبرئيل، ثمّ ميكائيل، ثمّ ملك الموت عليهم السلام(٥).

١١ - وعن مجاهد، قال: بين الملائكة وبين العرش سبعون حجاباً، حجاباً من نور، وحجاباً من ظلمة(٦).

١٢ - وعن سهل بن سعد، وعبد الله بن عمرو قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: دون الله سبعون ألف حجاب من نور وظلمة لا يسمع من نفس من حسّ تلك الحجب إلّا زهقت نفسه(٧).

١٣ - **شرح النهج للكيدريّ:** عن النبيّ صلى الله عليه وآله في حديث المعراج قال: فخرجت من سدرة المنتهى حتّى وصلت إلى حجاب من حجب العزّة، ثمّ إلى حجاب آخر حتّى قطعت

(١) مصباح المتهجد، ص ٢١١.
(٢) إقبال الأعمال، ص ٤٦٢.
(٣) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٤.
(٤) - (٥) الدر المنثور، ج ١ ص ٩٣.
(٦) الدر المنثور، ج ٣ ص ٢٩٨.
(٧) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣.

سبعين حجاباً وأنا على البراق، وبين كلّ حجاب وحجاب مسيرة خمسمائة سنة - إلى أن قال - ورأيت في عليّين بحاراً وأنواراً وحجباً وغيرها لولا تلك لاحترق كلّ ما تحت العرش من نور العرش. قال: وفي الحديث أنّ جبرئيل عليه السلام قال: لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجه ربّنا.

فذلكة: إعلم أنّه قد تظافرت الأخبار العاميّة والخاصيّة في وجود الحجب والسرادقات وكثرتها، وفي القاموس: السرادق الّذي يمدّ فوق صحن البيت، والجمع سرادقات، والبيت من الكرسف، وبيت مسردق أعلاه وأسفله مشدود كلّه.

وفي النهاية: السرادق كلّ ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء (انتهى).

وظاهر أكثر الأخبار أنّها تحت العرش ويلوح من بعضها أنّها فوقه، ولا تنافي بينها، وروي من طرق المخالفين عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ لله تبارك وتعالى سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفت لأحرقت سبحات وجهه ما دونه. وقال الجزريّ: فيه أنّ جبرئيل قال: لله دون العرش سبعون حجاباً لو دنونا من أحدها لأحرقتنا سبحات وجهه. وفي حديث آخر: حجابه النور أو النار لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه كلّ شيء أدركه بصره. سبحات الله: جلاله وعظمته، وهي في الأصل جمع «سبحة» وقيل: أضواء وجهه، وقيل: سبحات الوجه محاسنه، لأنّك إذا رأيت الحسن الوجه قلت سبحان الله، وقيل: معناه تنزيه له، أي سبحان وجهه، وقيل: إنّ سبحات وجهه كلام معترض بين الفعل والمفعول، أي لو كشفها لأحرقت كلّ شيء بصره كما تقول لو دخل الملك البلد لقتل - العياذ بالله - كلّ من فيه، وأقرب من هذا كله أنّ المعنى: لو انكشف من أنوار الله الّتي تحجب العباد عنه شيء لأهلك كلّ من وقع عليه ذلك النور كما خرّ موسى صعقاً، وتقطّع الجبل دكّاً لمّا تجلّى الله سبحانه وتعالى. وقال النوويّ في شرح صحيح مسلم: سبحات (وجهه) - بضمّ السين والباء - أي نوره، وأراد بالوجه الذات، وبما انتهى إليه بصره جميع المخلوقات، لأنّ بصره محيط بجميعها، أي لو أزال المانع من رؤية أنواره لأحرق جلاله جميعهم.

والتحقيق أنّ لتلك الأخبار ظهراً وبطناً وكلاهما حقّ فأمّا ظهرها فإنّه سبحانه كما خلق العرش والكرسيّ مع عدم احتياجه إليهما كذلك خلق عندهما أستاراً وحجباً وسرادقات، وحشاها من أنواره الغريبة المخلوقة له ليظهر لمن يشاهدها من الملائكة وبعض النبيّين ولمن يسمعها من غيرهم عظمة قدرته وجلال هيبته وسعة فيضه ورحمته، ولعلّ اختلاف الأعداد باعتبار أنّ في بعض الإطلاقات اعتبرت الأنواع وفي بعضها الأصناف وفي بعضها الأشخاص أو ضمّ بعضها إلى بعض في بعض التعبيرات، أو اكتفي بذكر بعضها في بعض الروايات وأمّا بطنها فلأنّ الحجب المانعة عن وصول الخلق إلى معرفة كنه ذاته وصفاته أمور كثيرة، منها ما يرجع إلى نقص المخلوق وقواه ومداركه بسبب الإمكان والإفتقار والإحتياج

والحدوث وما يتبع ذلك من جهات النقص والعجز، وهي الحجب الظلمانيّة. ومنها ما يرجع إلى نوريّته وتجرّده وتقدّسه ووجوب وجوده وكماله وعظمته وجلاله وسائر ما يتبع ذلك وهي الحجب النورانيّة، وارتفاع تلك الحجب بنوعيه محال، فلو ارتفعت لم يبق بغير ذات الحقّ شيء، أو المراد بكشفها رفعها في الجملة بالتخلّي عن الصفات الشهوانيّة والأخلاق الحيوانيّة، والتخلّق بالأخلاق الربّانيّة بكثرة العبادات والرياضات والمجاهدات وممارسة العلوم الحقّة، فترتفع الحجب بينه وبين ربّه سبحانه في الجملة، فيحرق ما يظهر عليهم من أنوار جلاله تعيّناتهم وإراداتهم وشهواتهم، فيرون بعين اليقين كماله سبحانه ونقصهم، وبقاءه وفناءهم وذلّهم، وغناه وافتقارهم، بل يرون وجودهم المستعار في جنب وجوده الكامل عدماً، وقدرتهم الناقصة في جنب قدرته الكاملة عجزاً بل يتخلّون عن إرادتهم وعلمهم وقدرتهم، فيتصرّف فيهم إرادته وقدرته وعلمه سبحانه، فلا يشاؤون إلّا أن يشاء الله، ولا يريدون سوى ما أراد الله، ويتصرّفون في الأشياء بقدرة الله، فيحيون الموتى، ويردّون الشمس، ويشقّون القمر، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: «ما قلعت باب خيبر بقوّة جسمانيّة بل بقوّة ربّانيّة» والمعنى الّذي يمكن فهمه ولا ينافي أصول الدين من الفناء في الله والبقاء بالله هو هذا المعنى. وبعبارة أُخرى: الحجب النورانيّة الموانع الّتي للعبد عن الوصول إلى قربه وغاية ما يمكنه من معرفته سبحانه من جهة العبادات كالرياء والعجب والسمعة والمراء وأشباهها، والظلمانيّة ما يحجبه من المعاصي عن الوصول إليه، فإذا ارتفعت تلك الحجب تجلّى الله له في قلبه، وأحرق محبّة ما سواه حتّى نفسه عن نفسه وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الإيمان والكفر إن شاء الله تعالى، وكلّ ذلك لا يوجب عدم وجوب الإيمان بظواهرها إلّا بمعارضة نصوص صحيحة صريحة صارفة عنها وأوّل الإلحاد سلوك التأويل من غير دليل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

٧ - باب سدرة المنتهى ومعنى علّيّين وسجّين

الآيات: النجم: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَىٰ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾﴾.

المطفّفين: ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾﴾ - إلى قوله تعالى: - ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ﴾ أي جبرئيل في صورته الّتي خلق عليها نازلاً من السماء ﴿نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ وذلك أنّه رآه مرّتين على صورته ﴿عِندَ سِدْرَةِ الْمُنتَهَىٰ﴾ هي شجرة عن يمين العرش فوق السماء السابعة، انتهى إليها علم كلّ ملك عن الكلبيّ ومقاتل، وقيل: إليها ينتهي ما يعرج إلى السماء وما يهبط من فوقها من أمر الله عن ابن مسعود والضحّاك، وقيل: إليها ينتهي أرواح الشهداء وقيل: إليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، وإليها ينتهي ما

يعرج من الأرواح فيقبض منها والمنتهى موضع الانتهاء، وهذه الشجرة حيث تنتهي إليه الملائكة فأضيفت إليه، وقيل: هي شجرة طوبى عن مقاتل، والسدرة هي شجرة النبق ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ﴾ أي جنّة المقام وهي جنّة الخلد، وهي في السماء السابعة، وقيل في السماء السادسة، وقيل هي الجنّة الّتي كان أوى إليها آدم وتصير إليها أرواح الشهداء عن الجبائيّ وقتادة، وقيل: هي الّتي تصير إليها أهل الجنّة عن الحسن، وقيل: هي الّتي يأوي إليها جبرئيل والملائكة عن عطاء عن ابن عبّاس ﴿إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ﴾ قيل: يغشاها الملائكة أمثال الغربان حتّى يقعن على الشجرة عن الحسن ومقاتل، وروي أنّ النبيّ ﷺ قال: رأيت على كلّ ورقة من أوراقها ملكاً قائماً يسبّح الله تعالى، وقيل: يغشاها من النور والبهاء والحسن والصفاء الّذي يروق الأبصار ما ليس لوصفه منتهى عن الحسن، وقيل: يغشاها فراش من ذهب عن ابن عبّاس ومجاهد، وكأنّها ملائكة على صورة الفراش يعبدون الله تعالى والمعنى أنّه رأى جبرئيل على صورته في الحال الّتي يغشى فيها السدرة من أمر الله ومن العجائب المنبهة على كمال قدرة الله تعالى ما يغشاها، وإنّما أبهم الأمر في ما يغشى لتعظيم ذلك وتفخيمه[1].

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ يعني: كتابهم الّذي فيه تثبت أعمالهم من الفجور والمعاصي عن الحسن، وقيل: معناه أنّه كتب في كتابهم أنّهم يكونون في سجّين، وهي في الأرض السابعة السفلى عن ابن عبّاس ومجاهد وقتادة وضحّاك وعن البراء بن عازب قال: قال رسول الله ﷺ: سجّين أسفل سبع أرضين، وقال شمر بن عطيّة: جاء ابن عبّاس إلى كعب الأحبار فقال: أخبرني عن قول الله تعالى ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال: إنّ روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها ثمّ يهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فتدخل تحت سبع أرضين حتّى ينتهى بها إلى سجّين وهو موضع جند إبليس، والمعنى في الآية أنّ كتاب عملهم يوضع هناك. وقيل: إنّ سجّين جبّ في جهنّم مفتوح والفلق جبّ في جهنّم مغطّى، رواه أبو هريرة عن النبيّ ﷺ وقيل: إنّ السجّين إسم كتابهم وهو ظاهر التلاوة أي ما كتبه الله على الكفّار بمعنى أوجبه عليهم من الجزاء في هذا الكتاب المسمّى سجّيناً، ويكون لفظه من السجن الّذي هو الشدّة عن أبي مسلم[2].

وقال: ﴿لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ أي مراتب عالية محفوفة بالجلالة، وقيل: في السماء السابعة وفيها أرواح المؤمنين، وقيل: في سدرة المنتهى الّتي إليها ينتهي كلّ شيء من أمر الله تعالى، وقيل: علّيون الجنّة عن ابن عبّاس، وقال الفرّاء: في ارتفاع بعد ارتفاع لا غاية له، وقيل: هو لوح من زبرجدة خضراء معلّق تحت العرش أعمالهم مكتوبة فيها عن ابن عبّاس في رواية أخرى، وعن البراء بن عازب عن النبيّ ﷺ قال في علّيين: في السماء السابعة تحت

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٩٢.

(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٩٢.

العرش. وقال ابن عمر: إنّ أهل علّيّين لينظرون إلى أهل الجنّة من كذا، فإذا أشرف رجل منهم أشرقت الجنّة وقالوا: قد اطلع رجل من أهل علّيّين[(١)].

١ - **العلل:** عن محمّد بن موسى، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن أحمد بن محمّد، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن حبيب السجستانيّ، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: إنّما سمّيت سدرة المنتهى لأنّ أعمال أهل الأرض تصعد بها الملائكة الحفظة إلى محلّ السدرة، قال: والحفظة الكرام البررة دون السدرة يكتبون ما يرفعه إليهم الملائكة من أعمال العباد في الأرض فينتهي بها إلى محلّ السدرة[(٢)].

المحاسن: عن ابن محبوب مثله. «ج٢ ص ٦١ ح ١١٧٤».

٢ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا أسري بي إلى السماء انتهيت إلى محلّ سدرة المنتهى، وإذا الورقة منها تظلّ أمّة من الأمم، فكنت من ربّي كقاب قوسين أو أدنى (الخبر)[(٣)].

٣ - ومنه: قال: سدرة المنتهى في السماء السابعة، وجنّة المأوى عندها[(٤)].

٤ - ومنه: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: السجّين الأرض السابعة، وعلّيّون السماء السابعة[(٥)].

بيان: قال في النهاية: فيه «إنّ أهل الجنّة ليتراؤون أهل علّيّين كما ترون الكوكب الدريّ في أفق السماء» علّيّون إسم للسماء السابعة، وقيل: هو إسم لديوان الملائكة الحفظة ترفع إليه أعمال الصالحين من العباد، وقيل: أراد أعلى الأمكنة وأشرف المراتب وأقربها من الله تعالى في الدار الآخرة، ويعرب بالحروف والحركات كقنّسرين وأشباهها على أنّها جمع أو واحد وقال: سدرة المنتهى شجرة في أقصى الجنّة إليها ينتهي علم الأوّلين والآخرين ولا يتعدّاها.

٥ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس، سأل كعب الأحبار عن قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ قال: إنّ روح الفاجر يصعد بها إلى السماء فتأبى السماء أن تقبلها فيهبط بها إلى الأرض فتأبى الأرض أن تقبلها فيدخل بها تحت سبع أرضين حتّى ينتهى بها إلى سجّين وهو موضع جند إبليس، فيخرج لها من تحت جند إبليس رقّ لهلاكه للحساب، فذلك قوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ وقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ قال: إنّ روح المؤمن إذا قبضت عرج بها إلى السماء فتفتح لها أبو اب السماء وتلقاها الملائكة بالبشرى

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٩٦.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٧ باب ٣٨١ ح ١.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٧.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٢.
(٥) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٠٤.

حتّى ينتهى بها إلى العرش، وتعرج الملائكة فيخرج لها من تحت العرش رقّ فيرقم ويختم ويوضع تحت العرش لمعرفة النجاة لحساب يوم الدين، وتشهد الملائكة المقرّبون، فذلك قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾﴾[1].

٦ - وعن سعيد بن المسيّب قال: إلتقى سلمان وعبد الله بن سلام فقال أحدهما لصاحبه: إن متّ قبلي فالقني فأخبرني ما صنع بك ربّك، وإن أنا متّ قبلك لقيتك فأخبرتك. فقال عبد الله بن سلام: كيف هذا؟ أويكون هذا؟! قال: نعم، إنّ أرواح المؤمنين في برزخ من الأرض تذهب حيث شاءت، ونفس الكافر في سجّين[2].

٧ - وعن قتادة ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ قال: علّيون فوق السماء السابعة عند قائمة العرش اليمنى ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾ قال: رقم لهم بخير ﴿يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ قال: المقرّبون من ملائكة الله[3].

٨ - وعن الضحّاك قال: إذا قبض روح المؤمن عرج به إلى السماء الدنيا فينطلق معه المقرّبون إلى السماء الثانية قال الأجلح: فقلت: وما المقرّبون؟ قال: أقربهم إلى السماء الثانية، ثمّ الثالثة، ثمّ الرابعة، ثمّ الخامسة، ثمّ السادسة، ثمّ السابعة، حتّى ينتهى به إلى سدرة المنتهى. قال الأجلح: قلت للضحّاك: ولم تسمّى سدرة المنتهى؟ قال: لأنّه ينتهي إليه كلّ شيء من أمر الله لا يعدوها فيقولون: ربّ عبيدك فلان - وهو أعلم به منهم - فيبعث إليهم بصكّ مختوم بأمنه من العذاب، وذلك قوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾﴾[4].

٩ - وعن ابن عبّاس، سأل كعباً عن قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾ الآية قال: إنّ المؤمن يحضره الموت ويحضره رسل ربّه فلا هم يستطيعون أن يؤخّروه ساعة، ولا يعجّلوه حتّى تجيء ساعته، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة الرحمة، فأروه ما شاء الله أن يروه من الخير، ثمّ عرجوا بروحه إلى السماء فيشيّعه من كلّ سماء مقرّبوها حتّى ينتهوا به إلى السماء السابعة فيضعونه بين أيديهم لا ينتظرون به صلاتكم عليه، فيقولون: اللّهمّ هذا عبدك فلان قبضنا نفسه فيدعون له بما شاء الله أن يدعو فنحن نحب أن تشهدنا اليوم كتابه.

فينشر كتابه من تحت العرش، فيثبتون اسمه فيه وهم شهود، فذلك قوله: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ﴿٢٠﴾ يَشۡهَدُهُ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾ وسأله عن قوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٖ﴾ الآية قال: إنّ العبد الكافر يحضره الموت ويحضره رسل الله، فإذا جاءت ساعته قبضوا نفسه فدفعوه إلى ملائكة العذاب، فأروه ما شاء الله أن يروه من الشرّ، ثمّ هبطوا به إلى الأرض السفلى وهي سجّين، وهي آخر سلطان إبليس، فأثبتوا كتابه فيها[5].

---

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٤.

(٢) - (٥) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٦-٣٢٧.

١٠ - وعن عطاء بن يسار، قال: لقيت رجلاً من حمير كان علّامة يقرأ الكتب فقلت له: الأرض الّتي نحن عليها ما مكانها؟ قال: هي على صخرة خضراء، تلك الصخرة على كفّ ملك، ذلك الملك قائم على ظهر حوت. قلت: الأرض الثانية من سكّانها؟ قال: ساكنها الريح العقيم، لمّا أراد الله أن يهلك عاداً أوحى إلى خزنتها أن افتحوا عليهم منها باباً، قالوا: يا ربّنا مثل منخر الثور؟ قال: إذاً تتكفّأ الأرض ومن عليها، فضيّق ذلك حتّى جعل مثل حلقة الخاتم، فبلغت ما حدّث الله. قلت: الأرض الثالثة من سكّانها؟ قال: فيها حجارة جهنم. قلت: الأرض الرابعة من سكّانها؟ قال: فيها كبريت جهنّم، قلت: الأرض الخامسة من سكّانها؟ قال: فيها عقارب جهنّم، قلت: الأرض السادسة من سكّانها؟ قال: فيها حيّات جهنّم، قلت: الأرض السابعة من سكّانها؟ قال: تلك سجّين، فيها إبليس موثوق يد أمامه ويد خلفه ورجل أمامه ورجل خلفه، كان يؤذي الملائكة فاستعدت عليه فسجن هنالك، وله زمان يرسل فيه، فإذا أرسل لم تكن فتنة الناس بأعيى عليهم من شيء[1].

٨ - باب البيت المعمور

الآيات: الطور: ﴿وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ﴾ «٤».

تفسير: قال الطبرسيّ: البيت المعمور هو بيت في السماء الرابعة بحيال الكعبة تعمره الملائكة بما يكون منها فيه من العبادة عن ابن عبّاس ومجاهد، وروي أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ويدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه أبداً، وعن الزّهريّ عن سعيد بن المسيّب عن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: البيت المعمور في السماء الدنيا، وفي السماء الرابعة نهر يقال له «الحيوان» يدخل فيه جبرئيل كلّ يوم طلعت فيه الشمس وإذا خرج انتفض انتفاضة جرت منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيه فيفعلون ثمّ لا يعودون إليه أبداً، وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيت الّذي في السماء يقال له «الضراح» وهو بفناء البيت الحرام لو سقط سقط عليه، يدخله كلّ يوم ألف ملك لا يعودون إليه أبداً، وقيل: البيت المعمور هو الكعبة البيت الحرام معمور بالحجّ والعمرة عن الحسن، وهو أوّل مسجد وضع للعبادة في الأرض[2].

١ - **محاسبة النفس:** للسيّد عليّ بن طاوس رحمه الله نقلاً من كتاب خطب أمير المؤمنين عليه السلام لعبد العزيز الجلوديّ بإسناده قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام عن البيت المعمور والسقف المرفوع، قال عليه السلام: ويلك ذلك الضراح بيت في السماء الرابعة حيال الكعبة من لؤلؤة واحدة، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه إلى يوم القيامة، فيه كتّاب أهل الجنّة عن يمين الباب يكتبون أعمال أهل الجنّة، وفيه كتّاب أهل النار

---

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٧.

(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٧٢.

عن يسار الباب يكتبون أعمال أهل النار بأقلام سود، فإذا كان مقدار العشاء ارتفع الملكان فيسمعون منهما ما عمل الرجل، فذلك قوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾(١).

بيان: «فيسمعون» أي الملائكة الّذين عن يمين الباب ويساره «منهما» أي من الملكين الكاتبين ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله يعني ديوان الحفظة ﴿يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ﴾ أي يشهد عليكم بالحقّ، والمعنى: يبيّنه بياناً شافياً حتّى كأنّه ناطق ﴿إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ أي نستكتب الحفظة ما كنتم تعملون في دار الدنيا، والإستنساخ: الأمر بالنسخ مثل الاستكتاب، وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ يشهد بما قضى فيه من خير وشرّ، وعلى هذا فيكون معنى ﴿نَسۡتَنسِخُ﴾ أنّ الحفظة تستنسخ الخزنة ما هو مدوّن عندها من أعمال العباد وهو قول ابن عبّاس(٢).

٢ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشاء، عن أحمد بن عائذ، عن أبي خديجة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: لم سمّي البيت العتيق؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ أنزل الحجر الأسود لآدم من الجنّة وكان البيت درّة بيضاء، فرفعه الله إلى السماء وبقي أسّه، فهو بحيال هذا البيت يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يرجعون إليه أبداً، فأمر الله إبراهيم وإسماعيل ببنيان البيت على القواعد، وإنّما سمّي البيت العتيق لأنّه أعتق من الغرق(٣).

٣ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** «والبيت المعمور» قال: هو في السماء الرابعة وهو «الضراح» يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه أبداً(٤).

٤ - **العلل:** عن عليّ بن حاتم، عن القاسم بن محمّد، عن حمدان بن الحسين، عن الحسين بن الوليد، عن أبي بكر، عن حنان بن سدير، عن أبي حمزة الثماليّ، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: قلت له(٥): لم صار الطواف سبعة أشواط؟ قال: لأنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى وقالوا ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا وَيَسۡفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ قال الله ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾ وكان لا يحجبهم عن نوره فحجبهم عن نوره سبعة آلاف عام فلاذوا بالعرش سبعة آلاف سنة، فرحمهم وتاب عليهم وجعل لهم البيت المعمور الّذي في السماء الرابعة فجعله مثابة وأمناً، ووضع البيت الحرام تحت البيت المعمور فجعله مثابة للناس وأمناً، فصار الطواف سبعة أشواط واجباً على

(١) محاسبة النفس، ص ٤١.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ١٣٣.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٨٢ باب ١٤٠ ح ١.
(٤) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٢.
(٥) لأبي بدل له كما في ج ١١ ص ٧٥ ح ٢٥. [النمازي].

العباد، لكلّ ألف سنة شوطاً واحداً(١).

٥ - **العلل:** في علل ابن سنان عن الرضا عليه السلام : علّة الطواف بالبيت أنّ الله تبارك وتعالى قال للملائكة ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ فردّوا على الله تبارك وتعالى هذا الجواب، فعلموا أنّهم أذنبوا فندموا فلاذوا بالعرش واستغفروا، فأحبّ الله عزّ وجلّ أن يتعبّد بمثل ذلك العباد، فوضع في السماء الرابعة بيتاً بحذاء العرش يسمّى «الضراح» ثمّ وضع في السماء الدنيا بيتاً يسمّى البيت المعمور بحذاء الضراح، ثمّ وضع البيت بحذاء البيت المعمور ثمّ أمر آدم عليه السلام فطاف به فتاب الله عليه فجرى ذلك في ولده إلى يوم القيامة(٢).

٦ - **الكفعمي والبرسي:** بإسناديهما عن موسى بن جعفر عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: قال جبرئيل: والّذي بعثك بالحقّ نبيّاً إنّ الله تعالى بنى في السماء الرابعة بيتاً يقال له «البيت المعمور» يدخله في كلّ يوم سبعون ألف ملك ويخرجون منه ولا يعودون إليه إلى يوم القيامة (الخبر).

٧ - **الدرّ المنثور:** قال: أخرج الأزرقيّ عن عليّ بن الحسين عليهما السلام أنّ رجلاً سأله: ما بدء هذا الطواف بهذا البيت لم كان وحيث كان؟ فقال: أمّا بدء هذا الطواف بهذا البيت فإنّ الله قال للملائكة: إنّي جاعل في الأرض خليفة، فقالت الملائكة: أي ربّ أخليفة من غيرنا ممّن يفسد فيها ويسفك الدماء ويتحاسدون ويتباغضون ويتباغون؟ أي ربّ إجعل ذلك الخليفة منّا، فنحن لا نفسد فيها ولا نسفك الدماء ولا نتباغض ولا نتحاسد ولا نتباغى، ونحن نسبّح بحمدك ونقدّس لك ونطيعك ولا نعصيك. قال الله تعالى: إنّي أعلم ما لا تعلمون. قال: فظنّت الملائكة أنّ ما قالوا ردّ على ربّهم عزّ وجلّ ، وأنّه قد غضب عليهم من قولهم فلاذوا بالعرش ثلاث ساعات، فنظر الله إليهم فنزلت الرحمة عليهم، فوضع الله سبحانه تحت العرش بيتاً على أربع أساطين من زبرجد، وغشاهنّ بياقوتة حمراء، وسمّى البيت «الضراح» ثمّ قال الله للملائكة: طوفوا بهذا البيت ودعوا العرش فطافت الملائكة بالبيت وتركوا العرش فصار أهون عليهم وهو البيت المعمور الّذي ذكره الله، يدخله كلّ يوم وليلة سبعون ألف ملك لا يعودون فيه أبداً، ثمّ إنّ الله تعالى بعث ملائكته فقال: إبنوا لي بيتاً في الأرض بمثاله وقدره، فأمر الله سبحانه من في الأرض من خلقه أن يطوفوا بهذا البيت كما يطوف أهل السماء بالبيت المعمور(٣).

٨ - وعن مقاتل يرفع الحديث إلى النبيّ صلى الله عليه وآله أنّ آدم قال أي ربّ أعرف شقوتي! لا أرى

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٨٩ باب ١٤٣ ح ١. (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣٨٨ باب ١٤٢ ح ٧.
(٣) الدر المنثور، ج ١ ص ١٢٨.

شيئاً من نورك بعد فأنزل الله عليه البيت المعمور على عرض البيت وموضعه من ياقوت الجنّة ولكن طوله بين السماء والأرض وأمره أن يطوف به، فأذهب عنهم الهمّ الّذي كان قبل ذلك، ثمّ رفع على عهد نوح عليه السلام [1].

٩ - وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيت المعمور الّذي في السماء يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لا يعودون فيه إلى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام[2].

وعن أنس مثله.

١٠ - وعن أبي هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: في السماء الدنيا بيت يقال له: «المعمور» بحيال الكعبة، وفي السماء الرابعة نهر يقال له «الحيوان» يدخله جبرئيل كلّ يوم فينغمس انغماسة ثمّ يخرج فينتفض انتفاضة يجري منه سبعون ألف قطرة يخلق الله من كلّ قطرة ملكاً يؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلّون فيفعلون ثمّ يخرجون فلا يعودون إليه أبداً، ويولّي عليهم أحدهم يؤمر أن يقف بهم في السماء موقفاً يسبّحون الله فيه إلى أن تقوم الساعة[3].

١١ - وعن ابن عبّاس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: البيت المعمور في السماء يقال له «الضراح» على مثل البيت الحرام لو سقط سقط عليه، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك لم يروه قطّ، وإنّ له في السماء حرمة على قدر حرمة مكّة[4].

١٢ - وعن خالد بن مرّة أنّ رجلاً قال لعليّ عليه السلام: ما البيت المعمور؟ قال: بيت في السماء يقال له «الضراح» وهو بحيال الكعبة حرمته في السماء كحرمة البيت في الأرض، يصلّي فيه كلّ يوم سبعون ألفاً من الملائكة لا يعودون إليه أبداً[5].

١٣ - وعن أبي الطفيل أنّ ابن الكوّاء سأل عليّاً عليه السلام عن البيت المعمور ما هو؟ قال: ذاك الضراح بيت فوق سبع سماوات تحت العرش يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك ثمّ لا يعودون إليه إلى يوم القيامة[6].

١٤ - وعن ابن عبّاس، قال: هو بيت حذاء العرش تعمره الملائكة يصلّي فيه كلّ ليلة سبعون ألفاً من الملائكة ثمّ لا يعودون إليه[7].

١٥ - وعن الضحّاك قال: أُنزل من الجنّة وكان يعمر بمكّة، فلمّا كان الغرق رفعه الله فهو في السماء السادسة، يدخله كلّ يوم سبعون ألف ملك[8].

بيان: مقتضى الجمع بين الأخبار مع صحّة جميعها القول بتحقّق البيت في جميع تلك المواضع وسيأتي كثير من الأخبار المتعلّقة بالباب في باب الملائكة.

---

(١) الدر المنثور، ج ١ ص ١٣٠. (٢) - (٤) الدر المنثور، ج ٦ ص ١١٧.

(٥) - (٨) الدر المنثور، ج ٦ ص ١١٧.

٩ - باب السماوات وكيفياتها وعددها، والنجوم وأعدادها وصفاتها والمجرة

الآيات: الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۗ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ «٩٧».

الأعراف: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ «٤٠».

الرعد: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ «٢».

الحجر: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ «١٤ - ١٨».

النحل: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ «٣».

وقال: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ «١٦».

طه: ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ ٱلْأَرْضَ وَٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلْعُلَى﴾ «٤».

الأنبياء: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا ۖ وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا مُعْرِضُونَ﴾ «٣٢».

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ﴾ «١٠٤».

الحج: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ﴾ «٦٥».

المؤمنون: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ «١٧».

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾﴾.

الفرقان: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ «٦١».

العنكبوت: ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ «٤٤».

الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ﴾ «٢٥».

لقمان: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ﴾ «١٠».

الصافات: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾﴾ إلى قوله تعالى - ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ «١٠».

المؤمن [غافر]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ «٦٤».

فصلت: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

ق: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ «٦».

الذاريات: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾. وقال تعالى: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ وقال: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ «٤٧».

الطور: ﴿وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ﴾. وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا﴾ «٩».

النجم: ﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ﴾. وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ «٤٩».

القمر: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ «١».

الرحمن: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ «٥ - ٧».
وقال: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ «٣٧».

الواقعة: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾﴾.

الملك: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ «٣ - ٥».

الحاقة: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ «١٦».

المعارج: ﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ﴾ «٨».

نوح: ﴿أَلَمْ تَرَوْاْ كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ «١٥ - ١٦».

الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾.

المرسلات: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ «٨ - ٩».

النبأ: ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ «١٢ - ١٣».

التكوير: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ - إلى قوله تعالى -: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ﴾ «١٦».

الانفطار: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ «١ - ٢».

الانشقاق: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ «١ - ٢».

البروج: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ «١».

الطارق: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجْعِ﴾ «١١».

الغاشية: ﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ «١٨».

الشمس: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾﴾.

تفسير: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ﴾ أي خلقها لمنافعكم ﴿لِتَهْتَدُواْ بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ قيل:

أي في ظلمات الليل في البرّ والبحر، وإضافتها إليهما للملابسة أو في مشتبهات الطرق سمّاها ظلمات على الاستعارة وهو إفراد لبعض منافعها بالذكر بعد أن أجملها بقوله ﴿لَكُمُ﴾ وأوّلت النجوم في الأخبار بالأئمّة الأخيار عليهم السلام فإنّهم الهداة في ظلمات الفتن والشبهات ولا ينافي الظاهر. ﴿قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْأَيَٰتِ﴾ بيّناها فصلاً فصلاً ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنّهم المنتفعون به[1].

﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ﴾ أي لأدعيتهم وأعمالهم، أو لأرواحهم كما تفتح لأعمال المؤمنين وأرواحهم، ويدلّ على أنّ للسماء أبواباً، وربّما يحمل على المجاز[2]. ﴿بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قال الرّازيّ: في قوله ﴿تَرَوْنَهَا﴾ أقوال: الأوّل: أنّه كلام مستأنف والمعنى: رفع السماوات بغير عمد، ثمّ قال ترونها أي وأنتم ترونها أنّها مرفوعة بلا عماد الثاني: قال الحسن: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: رفع السماوات ترونها بغير عمد. الثالث: أنّ قوله ﴿تَرَوْنَهَا﴾ صفة للعمد، والمعنى: بغير عمد مرئية أي للسماوات عمد ولكنّا لا نراها، قالوا: ولها عمد على جبل قاف، وهو جبل من زبرجد محيط بالدّنيا ولكنّكم لا ترونه، وهذا التأويل في غاية السقوط لأنّه تعالى إنّما ذكر هذا الكلام ليكون حجّة على وجود الإله القادر ولو كان المراد ما ذكروه ما تمّت الحجّة، لأنّه يقال: إنّ السماوات لمّا كانت مستقرّة على جبل فأي دلالة تبقى فيها على وجود الإله؟

وعندي فيه وجه آخر أحسن من الكلّ، وهو أنّ العماد ما يعتمد عليه وقد دللنا على أنّ هذه الأجسام إنّما بقيت واقفة في الجوّ العالي بقدرة الله فحينئذٍ يكون عمدها هو قدرة الله تعالى فصحّ أن يقال رفع السماوات بغير عمد ترونها أي لها عمد في الحقيقة إلّا أنّ تلك العمد هي إمساك الله تعالى وحفظه وتدبيره وإبقاؤه إيّاها في الجوّ العالي وأنتم لا ترون ذلك التدبير ولا تعرفون كيفيّة ذلك الإمساك (انتهى)[3].

وأقول: هذا الوجه الأخير الّذي يتبجّح به ونسبه إلى نفسه أورده شيخنا الطبرسيّ رحمه الله في مجمع البيان راوياً عن ابن عبّاس ومجاهد.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ فيه أنواع من الدلالة على وجود الإله الحقّ وحكمته وقدرته، إذ أصل تلك الحركات السريعة واستمرارها وكونها على أقدار مخصوصة وكون بعضها مشرقيّة وبعضها مغربيّة وبعضها مائلة إلى الشمال وبعضها مائلة إلى الجنوب ممّا يدلّ دلالة قطعيّة على وجود قادر قاهر كامل في العلم والحكمة واللطف والرحمة. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ قال الرّازيّ: فيه قولان: الأوّل: قال ابن عبّاس: للشمس مائة وثمانون منزلاً كلّ يوم لها منزل وذلك في ستّة أشهر، ثمّ إنّها تعود مرّة أُخرى إلى واحد واحد منها في ستّة أشهر مرّة أُخرى وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً، فالمراد بقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هذا،

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٧. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٧٨.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ١٨ ص ٢٣٢.

وتحقيقه أنّه تعالى قدّر لكلّ واحد من هذه الكواكب سيراً خاصّاً إلى جهة خاصّة بمقدار خاصّ من السّرعة والبطء، ومتى كان الأمر كذلك لزم أن يكون لها بحسب كلّ لحظة ولمحة حال أخرى ما كانت حاصلة قبل ذلك. والثاني: المراد كونهما متحرّكين إلى يوم القيامة، وعند مجيء ذلك اليوم تنقطع هذه الحركات كقوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1].

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ قال البيضاويّ: أي أمر ملكوته من الإيجاد والإعدام والإحياء والإماتة وغير ذلك ﴿يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ﴾ ينزّلها ويبيّنها مفصّلة، أو يحدث الدلائل بواحد بعد واحد ﴿لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ﴾ لكي تتفكّروا فيها وتتحقّقوا كمال قدرته فتعلموا أنّ من قدر على خلق هذه الأشياء وتدبيرها قدر على الإعادة والجزاء[2].

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا﴾ ظاهره جواز الخرق على الأفلاك وإن أمكن أن يكون من قبيل التعليق على المحال ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ أكثر المفسّرين حملوه على البروج الإثني عشر المعروفة، وقيل هي الكواكب[3].

قال الطبرسيّ رحمه الله أي منازل للشمس والقمر ﴿وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ﴾ بالكواكب النيّرة عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل: البروج النجوم عن ابن عبّاس والحسن وقتادة ﴿وَحَفِظْنَٰهَا﴾ أي السماء ﴿مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾ أي مرجوم مرميّ بالشهاب، وقيل: ملعون مشؤوم، وحفظ السماء من الشيطان بالمنع حتّى لا يدخلها ولا يبلغ إلى موضع يتمكّن فيه من استراق السمع بما أعدّ له من الشهاب ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ المراد بالسمع المسموع، والمعنى: إلّا من حاول أخذ مسموع من السماء في خفية ﴿فَأَتْبَعَهُۥ﴾ أي لحقه ﴿شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ أي شعلة نار ظاهر لأهل الأرض بيّن لمن رآه ونحن في رأي العين نرى كأنّهم يرمون بالنجوم، والشهاب عمود من نور يضيء ضياء النار لشدّة ضيائه، وروي عن ابن عبّاس أنّه قال: كان في الجاهليّة كهنة ومع كلّ واحد شيطان، فكان يقعد من السماء مقاعد للسمع، فيستمع من الملائكة ما هو كائن في الأرض فينزل ويخبر به الكاهن، فيفشيه الكاهن إلى الناس، فلمّا بعث الله عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات، ولما بعث محمّد صلى الله عليه وآله منعوا من السماوات كلّها وحرست السماء بالنجوم، والشهاب من معجزات نبيّنا صلى الله عليه وآله لأنّه لم ير قبل زمانه. وقيل: إنّ الشهاب يقتل الشياطين، وقيل: لا يقتلهم[4].

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ﴾ أي لأمر حقّ هو العبادة والمعرفة، أو على مقدار وشكل وأوضاع وصفات مختلفة قدّرها وخصّصها بحكمته ﴿تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ منها أو

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٨ ص ٢٣٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٣٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٠٦.
(٤) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٠٦.

ممّا يفتقر في وجوده أو بقائه إليها وممّا لا يقدر على خلقها[١].

﴿وَعَلَٰمَٰتٍ﴾ عطف على قوله ﴿رَوَٰسِيَ﴾ في قوله ﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ﴾ أي ألقى في الأرض وجعل فيها معالم تستدلّ به السابلة من جبل ومنهل وريح ونحو ذلك ﴿وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بالليل في البراري والبحار، والمراد بالنجم الجنس، وقيل: الثريّا والفرقدان وبنات النعش والجدي، قيل: ولعلّ الضمير لقريش لأنّهم كانوا كثيري الأسفار للتجارة مشهورين بالإهتداء في مسائرهم بالنجوم، وفي كثير من الروايات أنّ العلامات الأئمّة عليهم السلام والنجم رسول الله صلى الله عليه وآله وضمير ﴿هُمْ﴾ راجع إلى العلامات باعتبار المعنى. والعلى جمع العليا تأنيث الأعلى، أي السماوات الرفيعة العالية.

﴿وَجَعَلْنَا ٱلسَّمَآءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ أي عن الوقوع بقدرته، أو عن الفساد والانحلال إلى الوقت المعلوم بمشيّته، أو عن استراق السّمع بالشهب ﴿وَهُمْ عَنْ ءَايَٰتِهَا﴾ أي أحوالها الدّالّة على وجود الصانع ووحدته وكمال قدرته وتناهي حكمته ﴿مُعْرِضُونَ﴾ غير متفكّرين[٢].

﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله المراد بالطيّ هنا هو الطيّ المعروف، فإنّ الله سبحانه يطوي السماء بقدرته، وقيل: إنّ طيّ السماء ذهابها عن الحسن ﴿كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ السجلّ صحيفة فيها الكتب، وقيل: ملك يكتب أعمال العباد، وقيل: إسم كاتب كان للنبيّ صلى الله عليه وآله انتهى[٣].

وأقول: تدلّ الآية على حدوث السماوات وإمكان خرقها وزوالها وتغيّر أحوالها ردّاً على الحكماء المنكرين لجميع ذلك.

﴿أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال البيضاويّ: من أن تقع أو كراهة أن تقع بأن خلقها على صورة متداعية إلى الاستمساك ﴿إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ أي إلّا بمشيّته، وذلك يوم القيامة، وفيه ردّ لاستمساكها بذاتها فإنّها مساوية لسائر الأجسام في الجسميّة فتكون قابلة للميل الهابط قبول غيرها (انتهى)[٤].

﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ قال الرّازيّ: أي سبع سماوات، وإنّما قيل طرائق لتطارقها بمعنى كون بعضها فوق بعض، يقال طارق الرجل نعليه إذا طبّق نعلاً على نعل وطارق بين ثوبين إذا لبس ثوباً على ثوب، هذا قول الخليل والزجّاج وقال الزجّاج: هو قوله: ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ وقال عليّ بن عيسى سمّيت بذلك لأنّها طرائق الملائكة في العروج والهبوط والطيران وقال آخرون: لأنّها طرائق الكواكب فيها مسيرها والوجه في إنعامه علينا بذلك أنّه تعالى جعلها موضعاً لأرزاقنا بإنزال الماء منها، وجعلها مقرّاً للملائكة، وأنّها موضع الثّواب، ولأنّها مكان إرسال الأنبياء ونزول الوحي. وأمّا قوله ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ ففيه وجوه: أحدها

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٩٢.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١١٣.
(٣) مجمع البيان، ج ٧ ص ١١٩.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٥٣.

ما كنّا غافلين بل كنّا للخلق حافظين من أن تسقط عليهم السبع الطرائق فتهلكهم، وثانيها إنّما خلقناها فوقهم لتنزل عليهم الأرزاق والبركات منها، وثالثها أنّا خلقنا هذه الأشياء فدلّ خلقنا لها على كمال قدرتنا ثمّ بيّن كمال العلم بقوله ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ﴾ يعني عن أعمالهم وأقوالهم وضمائرهم، وذلك يفيد نهاية الزجر، ورابعها وما كنّا عن خلق السماوات غافلين بل نحن لها حافظون، لئلّا تخرج عن التقدير الّذي أردنا كونها عليه، كقوله تعالى ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (انتهى)[1].

﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ قال الرّازيّ: البروج هي القصور العالية، سميت بروج الكواكب به لأنّها لهذه الكواكب كالمنازل لسكّانها، واشتقاق البرج من التبرّج لظهوره، وفيه قول آخر عن ابن عبّاس أنّ البروج هي الكواكب العظام، والأوّل أولى. والسراج الشمس (انتهى)[2]، ﴿بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي بمحض إرادته ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ قيل: أي مشارق الكواكب، أو مشارق الشمس في السنة، وهي ثلاثمائة وستّون يشرق كلّ يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب ولذلك اكتفى بذكرها مع أنّ الشروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النعمة ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي القربى منكم ﴿بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ﴾ أي بزينة هي الكواكب بالإضافة البيانيّة أو البدليّة على القراءتين ﴿وَحِفْظًا﴾ منصوب بإضمار فعله، أو العطف على (زينةٍ) باعتبار المعنى كأنّه قال: إنّا خلقنا الكواكب زينة للسماء وحفظاً من كلّ شيطان ﴿مَّارِدٍ﴾ خارج من الطاعة يرمى بالشهب.

﴿قَرَارًا﴾ أي مستقرّاً تستقرّون عليه ﴿وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ أي وجعل السماء بناءً مرتفعاً فوقها، ولو جعلهما رتقاً لما أمكن الخلق الانتفاع بما بينهما ﴿كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا﴾ أي رفعناها بلا عمد وزيّنّاها بالكواكب ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ أي فتوق كسائر الأبنية المبنيّة من الأحجار واللبنات، بل خلقها ملساء متّصلة، أو ليس لها فروج ظاهرة مرئيّة فلا ينافي الأبواب الكائنة فيها، وقال الكسائيّ: معناه ليس فيها تفاوت واختلاف قال الرازيّ: قالت الفلاسفة: الآية دالّة على أنّ السماء لا تقبل الخرق، وكذلك قالوا في قوله ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وقوله ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ وتعسّفوا فيه لأنّ قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ صريح في عدم ذلك، والأخبار عن عدم شيء لا يكون إخباراً عن عدم إمكانه، فإنّ من قال «ما لفلان مال» لا يدلّ على نفي إمكانه، ثمّ إنّه تعالى بيّن خلاف قولهم بقوله ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ﴾ وقوله ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ وقوله ﴿فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ في مقابلة قوله ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ قال ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ إلى غير ذلك والكلّ في الردّ عليهم صريح، وما ذكروه في الدلالة ليس بظاهر بل وليس له دلالة خفيّة أيضاً، وأمّا دليلهم المعقول فأضعف وأسخف من تمسّكهم بالمنقول[3].

﴿ذَاتِ ٱلْحُبُكِ﴾ قال البيضاويّ: ذات الطرائق، والمراد إمّا الطرائق المحسوسة الّتي هي

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣ ص ٨٧.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٤ ص ١٠٦.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٨ ص ١٥٥.

مسير الكواكب، أو المعقولة الّتي يسلكها النظّار ويتوصّل بها إلى المعارف، أو النجوم فإنّ لها طرائق، أو إنّها تزيّنها كما تزيّن الموشيّ طرائق الوشي، جمع «حبيكة» كطريقة وطرق، أو «حباك» كمثال ومثل[١]. قال الطبرسيّ رحمه الله أي ذات الطرائق الحسنة، لكنّا لا نرى تلك الحبك لبعدها عنّا وقيل: ذات الخلق الحسن المستوي، وقيل: ذات الحسن والزينة عن عليّ عليه السلام (انتهى)[٢].

وأقول: سيأتي تأويل آخر في الرواية عن الرضا عليه السلام [٣].

﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ﴾ أي أسباب رزقكم أو تقديره، وقيل: المراد بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنّه سبب الأقوات ﴿وَمَا تُوعَدُونَ﴾ من الثواب لأنّ الجنّة فوق السماء السابعة، أو لأنّ الأعمال وثوابها مكتوبة مقدّرة في السماء ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ أي بقوّة ﴿وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ أي لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة، والموسع: القادر على الإنفاق، أو لموسعون السماء، أو ما بينها وبين الأرض، أو الرزق[٤]. وقيل: أي قادرون على خلق ما هو أعظم منها. ﴿وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ﴾ هو السماء عن عليّ عليه السلام، ﴿يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا﴾ أي تدور دوراناً وتضطرب وتموج وتتحرّك[٥]. ﴿وَالنَّجْمِ﴾ المراد جنس النجم أو الثريّا فإنّه غلب فيه، وأوّل في بعض الأخبار بالرسول صلى الله عليه وآله ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ أي غرب، أو انتثر يوم القيامة، أو انقضّ أو طلع فإنّه يقال «هوى هويّاً» بالفتح إذا سقط على الأرض، أو إذا نمى وارتفع[٦] وعلى الأخير معراجه أو نزوله صلى الله عليه وآله. ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ﴾ إنّما خصّ بالذكر لأنّ خزاعة كانت تعبدها[٧].

﴿وَانشَقَّ الْقَمَرُ﴾ قال الرازيّ: المفسّرون بأسرهم على أنّ المراد أنّ القمر انشقّ وحصل فيه الانشقاق، ودلّت الأخبار الصحاح عليه، وإمكانه لا يشكّ فيه وقد أخبر عنه الصادق فيجب اعتقاد وقوعه، وحديث امتناع الخرق والالتئام حديث اللئام، وقد ثبت جواز الخرق والتخريب على السماوات (انتهى)[٨].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨٦.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٥٤.
(٣) سيأتي في ج ٥٧ من هذه الطبعة.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٨٨ و١٩٢.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٧٢.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٠٢.
(٧) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٠٥. هو نجم يطلع في آخر الليل في الجوزاء أو بعده في شدّة الحر، وكان قوم من المشركين يعبدونه. ونحوه كلام القمّي في تفسيره. وقيل: هي كوكبة مضيئة من الثوابت، شرقيّ صورة الجبار في السّماء وكانت الخزاعة وحمير تعبدان هذه الكوكبة. وقيل: أوّل من عبده أبو كبشة أحد أجداد النبيّ من قبل امّهاته، والمشركون يسمّونه ابن أبي كبشة لمخالفته إيّاهم في الدين، كما خالف أبو كبشة غيره في عبادة الشعرى. وفي الهيئة الجديدة أنّ ما بينه وبين الأرض تسع سنوات نوريّة، وقمره يدور حوله في خمسين سنة، وهو أضوأ من الشمس أربعين ضعفاً وأثقل وزناً منها ثلاث مرّات. [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «شعر»].
(٨) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٩ ص ٢٨.

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي يجريان بحساب معلوم مقدّر في بروجهما ومنازلهما، ويتّسق بذلك أمور الكائنات السفليّة، وتختلف الفصول والأوقات ويعلم السنون والحساب. ﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ﴾ المشهور أنّ المراد بالنجم النبات الّذي ينجم أي يطلع من الأرض ولا ساق له، وبالشجر الّذي له ساق، وقيل: المراد بالنجم نجم السماء. ﴿يَسْجُدَانِ﴾ أي ينقادان لله فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجد من المكلّفين طوعاً ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا﴾ خلقها مرفوعة محلاً ومرتبة، فإنّها منشأ أقضيته، ومنزل أحكامه، ومحلّ ملائكته[1].

﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ﴾ يعني يوم القيامة ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي فصارت حمراء ثمّ تجري ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ وهو جمع الدهن عند انقضاء الأمر، وقيل: هي كالدّهان الّتي تصبّ بعضها بألوان مختلفة، وقيل: الدهان الأديم الأحمر[2]. ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ قيل: إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم، أو فأُقسم «ولا» مزيدة للتأكيد، أو فلأنا أُقسم فحذف المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ أي بمساقطها وتخصيص المغارب لما في غروبها من زوال أثرها والدلالة على وجود مؤثّر لا يزول تأثيره، أو بمنازلها ومجاريها، وقيل: النجوم نجوم القرآن، ومواقعها أوقات نزولها ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾ لما في المقسم به من الدلالة على عظم القدرة وكمال الحكمة، وفرط الرحمة[3]، ﴿طِبَاقًا﴾ أي مطابقة بعضها فوق بعض، مصدر طابقت النعل إذا خصفتها طبقاً على طبق وصف به، أو طوبقت طباقاً، أو ذات طباق جمع طبق كجبل وجبال، وقيل: أراد بالمطابقة المشابهة أي يشبه بعضها بعضاً في الإحكام والإتقان[4] ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ أي اختلاف وتناقض من طريق الحكمة بل ترى أفعاله كلّها سواء في الحكمة وإن كانت متفاوتة في الصور والهيئة، وقيل: معناه ما ترى يا ابن آدم في خلق السماوات من عيب واعوجاج بل هي مستقيمة مستوية كلّها مع عظمها ﴿فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ﴾ أي فردّ البصر وأدرها في خلق الله واستقص في النظر مرّة بعد أُخرى، والتقدير: انظر ثمّ ارجع النظر في السماء، وقيل: أي قد نظرت إليها مراراً فانظر إليها مرّة أخرى متأمّلاً فيها لتعاين ما أخبرت به من تناسبها واستقامتها واستجماعها ما ينبغي لها ﴿هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ أي شقوق وفتوق، وقيل: من وهي وخلل ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ أي ثمّ كرّر النظر مرّتين لأنّ من نظر في الشيء كرّة بعد أخرى بان له ما لم يكن بائناً، وقيل: المراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبّيك وسعديك[5]، ولذلك أجاب الأمر بقوله ﴿يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا﴾ أي بعيداً عن إصابة المطلوب كأنّه طرد عنه طرداً بالصغار ﴿وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ كليل من طول المعاودة وكثرة المراجعة ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ﴾ أي بكواكب مضيئة إضاءة السراج[6].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٢٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٤٣.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٣٨.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٩٧.
(٥) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٩.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٩٨.

واعلم أنّ ههنا إشكالاً مشهوراً وهو أنّه اتّفق أصحاب الهيئة على أنّه ليس في السماء الأولى سوى القمر، وسائر السيارات كلٌّ في فلك، والثوابت كلّها في الثامن، والآية الكريمة تدلّ على أنّ كلّها أو أكثرها في السماء الدنيا وأُجيب عنه بوجوه:

الأوّل: أنّ النسبة إليها أنّه لمّا كانت ترى منها فكانت زينة لها كما أنّ السراج المرئي خلف الزجاج زينة لها، أو لأنّه بحسب الحسّ لمّا كان يتوهّم أنّه فيها فكأنّه زينة لها، وهذا الوجه وإن كان أوفق بأصولهم إلّا أنّه متضمّن لتكلّف كثير في الآيات.

الثاني: ما ذكره الرازيّ في تفسيره وهو أنّه لا يبعد وجود كرة تحت كرة القمر وتكون في البطء مساوية لكرة الثوابت وتكون الكواكب المركوزة فيما يقارن القطبين مركوزة في هذه الكرة السفليّة، إذ لا يبعد وجود كرتين مختلفتين بالصغر والكبر مع كونهما متشابهتين في الحركة، وعلى هذا التقدير لا يمتنع أن تكون هذه المصابيح مركوزة في السماء الدنيا، فثبت أنّ مذهب الفلاسفة في هذا الباب ضعيف (انتهى)[1].

وأقول: جملة القول في ذلك أنّ الحكماء أثبتوا أفلاكاً تسعة، لأنّهم وجدوا أوّلاً لجميع الكواكب حركة سريعة من المشرق إلى المغرب، وهي الّتي بها يتحقّق طلوعها وغروبها، وبها يتحقّق الليل والنهار، وهي المسمّاة بالحركة اليوميّة وبالحركة الأولى وبحركة الكلّ، فأثبتوا لها فلكاً واحداً يشتمل على الجميع، ثمّ وجدوا لكلّ واحد من الكواكب السبعة المعروفة بالسيّارة حركة من المغرب إلى المشرق مخالفة لحركة آخر منها في السرعة والبطء، فأثبتوا لكلّ واحدة منها فلكاً، ثمّ وجدوا لجميع الكواكب الّتي غير السبعة حركة واحدة غربية بطيئة جدّاً فأثبتوا لها فلكاً على حدة، فحصلت تسعة أفلاك لتسعة حركات، وهي المسمّاة بالأفلاك الكلّيّة. وأمّا ترتيب السيّارات فالمشهور أنّ القمر في الفلك الّذي هو أقرب إلينا، ثمّ عطارد، ثمّ الزهرة، ثمّ الشمس، ثمّ المرّيخ، ثمّ المشتري، ثمّ زحل، ثمّ فلك الثوابت، ثمّ الأطلس الّذي هو غير مكوكب، وما ورد في لسان الشرع بلفظ السماوات ينزلونها على أفلاك السيّارات وبلفظ الكرسيّ على فلك البروج وهو الثامن وبلفظ العرش على التاسع. واستدلّوا على الترتيب المذكور بأنّ زحل يكسف بعض الثوابت فيكون تحتها، وينكسف بالمشتري فيكون فوقه، والمشتري ينكسف بالمريخ فهو فوقه، وهذه الثلاثة تسمّى علويّة، وأمّا كون الشمس تحتها فلأنّ لها اختلاف منظر دون العلويّة، وأمّا الزهرة وعطارد فلا جزم بكونهما تحت الشمس أو فوقها إذ لا يكسفها غير القمر ولا يدرك كسفها لشيء من الكواكب لاحتراقها عند مقارنتها، ولا يعرف لهما اختلاف منظر أيضاً لأنّهما لا يبعدان عن الشمس كثيراً ولا يصلان إلى نصف النهار، والآلة الّتي يعرف بها اختلاف المنظر إنّما تنصب في

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ٦٠.

سطح دائرة نصف النهار، فحكموا بكونهما تحت الشمس استحساناً لتكون متوسّطة بين الستّة بمنزلة شمسة القلادة، وأيّدوا ذلك بمناسبات أُخر. وذكر الشيخ وبعض من تقدّمه أنّه رأى الزهرة كشامة على وجه الشمس، وبعضهم ادّعى أنّه رآها وعطارد كشامتين عليها وسمّيا سفليّين لذلك، والزهرة منها فوق عطارد لانكسافها به، والقمر تحت الكلّ لانكساف الكلّ به.

وأمّا خصوص عدد التسعة فجزم الأكثر بأنّه لا أقلّ منها والمحقّق الطوسي ﷺ جوّز كونها ثمانية حيث قال في التذكرة: وإسناد إحدى الحركتين الأوليين إلى المجموع لا إلى فلك خاص به لم يكن ممتنعاً، لكنّهم لم يذهبوا إلى ذلك. وقال صاحب التحفة: إنّي سمعت من الأستاذ أنّ جواز إسناد إحدى الأوليين إلى المجموع لا إلى فلك خاص بها معلّل بجواز اتّصال نفس بالثمانية وأُخرى بالثامنة وتكون دوائر البروج والمنطقتان مفروضة على محدّب الثامنة، فقلت: فعلى هذا يمكن أن تكون الأفلاك الكلّية سبعة فقط بأن تفرض الثوابت مركوزة في ممثّل زحل ودوائر البروج على محدّبه متحرّكة بالحركة السريعة دون البطيئة، وتتعلّق نفس واحدة بمجموع السبعة وتحرّكه الحركة الأولى، ونفس أُخرى تعلّقت بممثّل زحل وحده وتحرّكه الحركة البطيئة، ونفس الثانية تعلّقت بخارجه وتحرّكه الحركة الخاصّة، وباقي الأفلاك الستّة على حالها. فاستحسنه وأثنى عليّ (انتهى).

وقال المحقّق الدوانيّ: يجوز أن تكون الأفلاك الكلّية اثنين، بأن تفرض الأفلاك الخارجة المراكز كلّها سوى خارج القمر في ثخن ممثّل واحد بحيث لا تكون السطوح الّتي يثبتونها بين الممثّلات إلّا بين ذلك الممثّل وممثّل القمر، فتنحصر الأفلاك الكلّية فيهما (انتهى) هذا هو الكلام في جانب القلّة، وأمّا في جانب الكثرة فلا قطع، لاحتمال أن يكون كلّ من الثوابت أو كلّ طائفة منها في فلك على حدة وأن يكون أفلاكاً كثيرة غير مكوكبة. هذا ما ذكروه في هذا الباب، ولنرجع إلى ما يناسب الكتاب فنقول:

يمكن أن يكون أكثر الكواكب الثابتة وهي الّتي لم تكن في ممرّ السيّارات في فلك من الأفلاك الجزئيّة للقمر مساوية حركته لحركة الثوابت، فإنّهم أثبتوا كلّاً من تلك الأفلاك الجزئيّة لدواعي دعتهم إلى ذلك، مع أنّه تلزمهم على ذلك إشكالات لم يمكنهم حلّها، فلا مانع من إثبات فلك آخر لتصحيح ما في الآيات والأخبار، بحيث لا يخالف قواعدهم المبنيّة على الظنّ والتخمين، وبالقيد المذكور لا مانع من جهة الانكساف أيضاً.

الثالث: ما خطر بالبال القاصر، وهو أن يكون جميع الأفلاك الثمانية الّتي أثبتوها لجميع الكواكب فلكاً واحداً مسمّى بالسماء الدنيا، وتكون غيرها ستّة سماوات أُخر غير مكوكبة، كما أنّهم يثبتون لكلّ من الكواكب أفلاكاً كثيرة جزئيّة ويعدّون الكلّ فلكاً واحداً كلّيّاً، فلا ينافي شيئاً من أصولهم، وإنّما يخالف مصطلحهم ولا عبرة بمخالفة الاصطلاح. وقد ذهب بعض قدماء الحكماء أيضاً إلى أنّ الثوابت في فلك القمر. قال بليناس الحكيم في كتاب

«علل الأشياء»: هي سبعة أفلاك بعضها في جوف بعض، وصارت الأفلاك في كلّ منها كوكب غير فلك القمر، فإنّ الكواكب تبدّدت فيه وتقطّعت لاختلاطها بكثرة الرياح الصاعدة إليه من قرب الأرض. وقال في موضع آخر: وأمّا سماء الدنيا فإنّها تبدّدت كواكبها من قبل حبكها وتدرّجها، فتقلّبت الكواكب فصارت متعلّقة بتلك الدرج وقال عند ذكر الملائكة: سكّان فلك القمر من الروحانيّين كثيرة رحمتهم، قليلة شرورهم، متعطّفين على الحيوان، مصلحين للنبات، دائبين في مسرّة بني آدم متّصلين بهم، فلاتّصالهم ربّما ظهروا لهم وكلّموهم بلا هيبة منهم بالرحمة لهم وبألفة وهم مسلّطون على السماء، يحرسون السماء من شيطانك وولده أن يسترقوا السمع من الملائكة الأعلين الروحانيّين المتّصلين بفلك الشمس، وإنّ الروحانيّين الموكّلين بالشمس إذا طلعت الشمس من مشرقها كان عندهم الأحداث الّتي تحدث في العالم في ذلك اليوم كلّه، فشيطانك وولده يسترقون ما أوحي إلى أولئك الملائكة، فالملائكة الّذين في فلك القمر يحملون النجوم حتّى يصير ناراً، ثمّ يرجمونهم بها فيهربون منها (إلى آخر ما قال).

الرابع: أن يكون المراد بالكواكب في الآية الكريمة الشهب المنقضّة قريباً منها، ولمّا كانت تُرى حسّاً على سطح السماء فهي زينة لها، وتؤيّده تتمّة الآية كما ستعرف.

الخامس: أن يكون المراد بالدنيا الدنوّ من الناحية العليا والعرش الأعلى، فالمراد بها الفلك الثامن على سياق قوله تعالى: ﴿دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ فإنّ ترتيب الأفلاك قد يبتدأ ممّا يلينا فيكون فلك القمر أوّلها وأدناها، وقد يبتدأ به من الجانب الأعلى ففلك الثوابت أوّل الأفلاك المكوكبة وأدناها من العرش. ويرد عليه أنّ في لسان الشرع يعبّر عنه بالكرسيّ كما مرّ.

﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِّلشَّيَاطِينِ﴾ قال البيضاويّ: وجعلنا لها فائدة أُخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المسبّبة عنها، وقيل: معناها: رجوماً وظنوناً لشياطين الإنس وهم المنجّمون فالرجوم جمع «رجم» بالفتح وهو مصدر سمّي به ما يرجم به ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ﴾ في الآخرة بعد الإحراق بالشهب في الدنيا (انتهى)[1].

وأقول: على الاحتمال الرابع لا تحتاج إلى تكلّف في ذلك.

﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ قال الرازيّ: لنزول الملائكة ﴿فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ﴾ أي مسترخية ساقطة القوّة كالعهن المنفوش بعدما كانت محكمة شديدة. ﴿كَالْمُهْلِ﴾ قيل: كدرديّ الزيت، وقيل: كعكر القطران. ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾[2] قال الرازيّ: هذا يقتضي كون بعضها مطبقاً على البعض، وهذا يقتضي أن لا يكون ههنا فرج فالملائكة كيف يسكنون؟ والجواب أنّ الملائكة

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٩٨. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ١٠٨.

أرواح، وأيضاً المراد من كونها طباقاً كونها موازية لا أنّها متماسّة[١]. ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قال البيضاويّ: أي في السماوات وهو في السماء الدنيا وإنّما نسب إليهنّ لما بينهنّ من الملابسة. ﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ مثّلها به لأنّها تزيل ظلمة الليل عن وجه الأرض كما يزيلها السراج عمّا حوله[٢]. ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ أي طلبنا بلوغ السماء أو خبرها، واللّمس مستعار من المسّ للطلب كالجسّ ﴿حَرَسًا﴾ أي حرّاساً - إسم جمع كالخدم - ﴿شَدِيدًا﴾ قويّاً وهم الملائكة الّذين يمنعونهم عنها ﴿وَشُهُبًا﴾ جمع شهاب وهو المضيء المتولّد من النار ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ﴾ أي مقاعد خالية عن الحرس والشهب أو صالحة للرصد والاستماع، و﴿لِلسَّمْعِ﴾ صلة لنقعد أو صفة لمقاعد ﴿شِهَابًا رَّصَدًا﴾ أي شهاباً راصداً له ولأجله يمنعه عن الاستماع بالرجم، أو ذوي شهاب راصدين على أنّه إسم جمع للرّاصد[٣].

﴿طُمِسَتْ﴾ أي محقت وأُذهب نورها ﴿فُرِجَتْ﴾ أي شقّت ﴿سَبْعًا شِدَادًا﴾ أي سبع سماوات أقوياء محكمات لا يؤثّر فيها مرور الدهور ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ متلألئاً وقّاداً، أو بالغاً في الحرارة والمراد الشمس ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي انقضت أو أظلمت ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ﴾ أي قلعت وأُزيلت كما يكشط الإهاب عن الذبيحة ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ قال الرازيّ: فيه قولان الأوّل: وهو المشهور الظاهر أنّها النجوم، الخنّس جمع «خانس» والخنوس الانقباض والاستخفاء، تقول: خنس بين القوم وانخنس، والكنّس جمع «كانس» و«كانسة» يقال: كنس إذا دخل الكناس وهو مقرّ الوحش يقال: كنست الظباء في كناسها، وتكنّست المرأة إذا دخلت هودجها تشبّه بالظبي إذا دخل الكناس، ثمّ اختلفوا في خنوس النجوم وكنوسها على ثلاثة أوجه، فالقول الأظهر أنّ ذلك إشارة إلى رجوع الكواكب الخمسة السيّارة واستقامتها، فرجوعها هو الخنوس، وكنوسها اختفاؤها تحت ضوء الشمس، ولا شكّ أنّ هذه حالة عجيبة وفيها أسرار عظيمة باهرة، والقول الثاني ما روي عن عليّ عليه السلام وغيره أنّها هي جميع الكواكب، وخنوسها عبارة عن غيبوبتها عن البصر في النهار، وكنوسها عن ظهورها للبصر في الليل أي تظهر في أماكنها كالوحش في كنسها، والقول الثالث أنّ السبعة السيّارة تختلف مطالعها ومغاربها على ما قال تعالى: ﴿بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ ولا شكّ أنّ فيها مطلعاً واحداً ومغرباً واحداً هما أقرب المطالع والمغارب إلى سمت رأسنا ثمّ إنّها تأخذ في التباعد من ذلك المطلع إلى سائر المطالع طول السنة ثمّ ترجع إليها، فخنوسها عبارة عن تباعدها عن ذلك المطلع وكنوسها عبارة عن عودها إليه فعلى القول الأوّل يكون القسم واقعاً بالخمسة المتحيّرة، وعلى الثاني بجميع الكواكب، وعلى الثالث بالسبعة السيّارة.

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ١٤٠.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٢٨.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٣٢.

والقول الثاني أنّها بقر الوحش، وقال ابن جبير: هي الظباء، وعلى هذا الخنّس من الخنس في الأنف وهو تقعير فيه فإنّ البقر والظباء أنوفها على هذه الصفة، والكنّس جمع كانس وهي الّتي تدخل الكناس، والقول هو الأوّل لأنّه أنسب بما بعده، ولأنّ محلّ قسم الله كلّما كان أعظم وأعلى رتبة كان أولى (انتهى)[1].

وأقول: الخمسة المتحيّرة هي ما خلا الشمس والقمر من السبعة السيّارة وإنّما سمّيت متحيّرة لكونها في حركاتها الخاصة تارة مستقيمة ترى متحرّكة من المغرب إلى المشرق وتارة واقفة وتارة راجعة كالمتحيّر في أمره، ولذا أثبتوا لها تداوير لظنّهم عدم الاختلاف في حركات فلك واحد.

قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾ قال الرازيّ: أي انشقّت ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ إذ عند انتقاض تركيب السماء لا بدّ من انتثار الكواكب على تخوم الأرض، والفلاسفة ينكرون إمكان الخرق والالتئام على الأفلاك، ودليلنا على إمكان ذلك أنّ الاجسام متماثلة في كونها أجساماً فوجب أن يصحّ على كلّ واحد منها ما يصحّ على الآخر، وإنّما قلنا إنّها متماثلة لأنّه يصحّ تقسيمها إلى السماويات والأرضيّات ومورد التقسيم مشترك بين القسمين، فالعلويّات والسفليّات مشتركة في أنّها أجسام، وإنّما قلنا إنّه متى كان كذلك وجب أن يصحّ على العلويّات ما يصحّ على السفليّات لأنّ المتماثلات حكمها واحد فما صحّ حكمه على كلّ واحد منها وجب أن يصحّ على الباقي[2]. وقال في قوله سبحانه ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾ قد مرّ شرحه في مواضع، وعن عليّ عليه السلام أنّها تنشقّ من المجرّة ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ أي استمعت له، والمعنى أنّه لم يوجد في جرم السماء ما يمنع من تأثير قدرة الله في شقّها وتفريق أجزائها فكانت في قبول ذلك التأثير كالعبد الطائع الّذي إذا ورد عليه الأمر من جهة المالك أنصت له وأذعن ولم يمتنع، فكذلك قوله: ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ يدلّ على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير مانع أصلاً، كما أنّ قوله ههنا ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا﴾ يدلّ على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام والإفناء من غير ممانعة أصلاً، وأمّا قوله ﴿وَحُقَّتْ﴾ فهو من قولك هو محقوق بكذا وحقيق به يعني وهي حقيقة بأن تنقاد ولا تمتنع، وذلك لأنّه جسم وكلّ جسم ممكن لذاته، وكلّ ممكن لذاته فإنّ الوجود والعدم بالنسبة إليه على السويّة وكلّ ما كان كذلك فإنّ ترجيح عدمه على وجوده لا بدّ وأن يكون بتأثير واجب الوجود وترجيحه، فيكون تأثير قدرته في إيجاده وإعدامه نافذاً سارياً من غير ممانعة أصلاً، وأمّا الممكن فليس له إلّا القبول والاستعداد، ومثل هذا الشيء حقيق به أن يكون قابلاً للوجود تارة وللعدم أُخرى من واجب الوجود. وقال في قوله تعالى ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ ثلاثة أقوال: أحدها: أنّها هي البروج الإثنا عشر، وإنّما حسن القسم بها لما فيها من عجيب الحكمة، وذلك لأنّ سير الشمس فيها، ولا

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ٧١.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ٧٦.

شكّ أنّ مصالح العالم السفليّ مرتبطة بسير الشمس، فدلّ ذلك على أنّ لها صانعاً حكيماً **وثانيها**: أنّ البروج هي منازل القمر وإنّما حسن القسم بها لما في سير القمر وحركته من الآثار العجيبة **وثالثها**: أنّ البروج هي عظام الكواكب سمّيت بروجاً لظهورها (انتهى)(١).

وأقول: في بعض الأخبار تأويل السماء بسيّد الأنبياء ﷺ والبروج بالأئمّة الإثني عشر عليهم السلام.

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ﴾ قال الرازيّ: أمّا الطارق فهو كلّ ما أتاك ليلاً سواء كان كوكباً أو غيره ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ﴾ قال سفيان بن عيينة: كلّ شيء في القرآن ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فقد أخبر الرسول ﷺ به، وكلّ شيء فيه ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ لم يخبر به كقوله ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ثمّ قال ﴿النَّجْمُ الثَّاقِبُ﴾ أي هو طارق رفيع الشأن، وهو النجم الّذي يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر، ويوقف به على أوقات الأمطار، ووصف بكونه ثاقباً لوجوه: أحدها أنّه يثقب الظلام بضوء ينفذ فيه، وثانيها أنّه يطلع من المشرق نافذاً في الهواء كالشيء الّذي يثقب الشيء، وثالثها أنّه الّذي يرمى به الشيطان فيثقبه أي ينفذ فيه ويحرقه، ورابعها قال الفرّاء: هو النجم المرتفع على النجوم، قال بعضهم: أُشير به إلى جماعة النجوم كما قيل: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ وقال آخرون: إنّه نجم بعينه، قال ابن زيد: إنّه الثريّا، وقال الفرّاء: إنّه زحل لأنّه يثقب بنوره سمك سبع سماوات، وقال آخرون: إنّه الشهب الّتي ترجم بها الشياطين لقوله تعالى ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾(٢).

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله أي ذات المطر، عن أكثر المفسّرين، وقيل: يعني بالرجع شمسها وقمرها ونجومها تغيب ثمّ تطلع، وقيل: رجع السماء إعطاؤها الخير الّذي يكون من جهتها حالاً بعد حال على مرور الأزمان فترجع بالغيث وأرزاق العباد وغير ذلك (انتهى)(٣).

وأقول: لا يبعد أن يكون إشارة إلى رجوع المتحيّرة كما عرفت.

﴿وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ أي رفعاً بعيد المدى بلا إمساك وبغير عمد ﴿وَمَا بَنَاهَا﴾ أي ومن بناها.

تذييل: قال الرازيّ: إعلم أنّ منافع النجوم كثيرة: منها أنّه زيّن الله السماء بها، ومنها أنّه يحصل بسببها في الليل قدر من الضوء ولذلك فإنّه إذا تكاثفت السحاب في الليل عظمت الظلمة وذلك بسبب أنّ السحاب يحجب أنوارها، ومنها أنّه يحصل بسببها تفاوت في أحوال الفصول الأربعة فإنّها أجسام عظيمة نورانيّة فإذا قاربت الشمس كوكباً مسخناً في الصيف صار أقوى حرّاً، وهي مثل نار تضمّ إلى نار أُخرى فإنّه لا شكّ أنّه يكون الأثر الحاصل من

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ١٠٣-١١٤. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ١٢٧.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٢٤.

المجموع أقوى ومنها أنّه تعالى جعلها علامات يهتدى بها في ظلمات البرّ والبحر على ما قال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾، ومنها أنّه تعالى جعلها رجوماً للشياطين الّذين يخرجون الناس من نور الإيمان إلى ظلمة الكفر، يروى أنّ السبب في ذلك أنّ الجنّ كانت تسمع بخبر السماء، فلمّا بعث محمّد ﷺ حرست السماء ورصدت الشياطين فمن جاء منهم مسترقاً للسمع رمي بشهاب فأحرقه لئلّا ينزل به إلى الأرض فيلقيه إلى الناس فيخلط على النبيّ أمره ويرتاب الناس بخبره، وهذا هو السبب في انقضاض الشهب، فهذا هو المراد من قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ﴾ ومن الناس من طعن في هذا من وجوه:

أحدها: أنّ انقضاض الكواكب مذكور في كتب قدماء الفلاسفة، قالوا: إنّ الأرض إذا سخنت بالشمس ارتفع منها بخار يابس، فإذا بلغ النار الّتي دون الفلك احترق بها فتلك الشعلة هي الشهاب.

وثانيها: أنّ هؤلاء الجنّ كيف يجوز أن يشاهدوا واحداً وألفاً من جنسهم يسترقون السمع فيحترقون، ثمّ إنّه مع ذلك يعودون لمثل صفتهم فإنّ العاقل إذا رأى الهلاك في شيء مرّة ومراراً امتنع أن يعود إليه من غير فائدة.

وثالثها: أنّه يقال في ثخن السماء مسيرة خمسمائة عام، فهؤلاء الجنّ إن نفذوا في جرم السماء وخرقوا اتّصاله فهذا باطل، لأنّه تعالى نفى أن يكون فيها فطور على ما قال: ﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ﴾ وإن كانوا لا ينفذون في جرم السماء فكيف يمكنهم أن يسمعوا أسرار الملائكة من ذلك البعد العظيم؟ فلم لا يسمعون كلام الملائكة حال كونهم في الأرض؟.

ورابعها: أنّ الملائكة إنّما اطّلعوا على الأحوال المستقبلة إمّا لأنّهم طالعوها من اللوح المحفوظ، أو لأنّهم يتلقّونها من وحي الله تعالى إليهم، وعلى التقديرين فلم لا يمسكون عن ذكرها حتّى لا يتمكّن الجنّ من الوقوف عليها؟.

وخامسها: أنّ الشياطين مخلوقون من النار، والنار لا تحرق النار بل تقوّيها، فكيف يحتمل أن يقال الشيطان زجر من استراق السمع بهذه الشهب.

وسادسها: أنّه إن كان هذا القذف لأجل النبوّة فلم دام بعد وفاة الرسول ﷺ.

وسابعها: أنّ هذه الرجوم، إنّما تحدث بالقرب من الأرض بدليل أنّا نشاهد حركاتها بالغة ولو كانت قريبة من الفلك لما شاهدنا حركاتها كما لم نشاهد حركات الكواكب، وإذا ثبت أنّ هذه الشهب إنّما تحدث بالقرب من الأرض فكيف يقال إنّها تمنع الشياطين من الوصول إلى الفلك؟.

وثامنها: أنّ هؤلاء الشياطين لو كان يمكنهم أن ينقلوا أخبار الملائكة من المغيبات إلى الكهنة فلم لا ينقلون أسرار المؤمنين إلى الكفّار حتّى يتوسّل الكفّار بواسطة وقوفهم على أسرارهم إلى إلحاق الضرر بهم؟.

وتاسعها: لم لم يمنعهم الله ابتداءً من الصعود إلى السماء حتّى لا يحتاج في دفعهم عن السماء إلى هذه الشهب؟.

والجواب عن السؤال الأوّل: أنّا لا ننكر أنّ هذه الشهب كانت موجودة قبل مبعث النبيّ ﷺ وقد يوجد بسبب آخر وهو دفع الجنّ وزجرهم. يروى أنّه قيل للزّهري: أكان يرمى في الجاهليّة؟ قال: نعم، قال: أفرأيت قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ قال: غلظت وشدّد أمرها حين بعث النبيّ ﷺ.

والجواب عن السؤال الثاني: أنّه إذا جاء القدر عمي البصر، فإذا قضى الله على طائفة منهم الحرق لطغيانها وضلالها قيّض لها من الدواعي المطمعة في درك المقصود ما عندها يقدم على العمل المفضي إلى الهلاك والبوار.

والجواب عن السؤال الثالث: أنّ البعد بين الأرض والسماء مسيرة خمسمائة عام فأمّا ثخن الفلك فلعلّه لا يكون عظيماً.

والجواب عن السؤال الرابع: ما روى الزهريّ عن عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام عن ابن عبّاس قال: بينا رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه إذ رمي بنجم فاستنار، فقال: ما كنتم تقولون في الجاهلية إذا حدث مثل هذا؟ قالوا كنّا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. قال النبيّ ﷺ: فإنّها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربّنا تعالى إذا قضى الأمر في السماء سبّحت حملة العرش، ثمّ سبّح أهل السماء وسبّح كلّ سماء حتّى ينتهي التسبيح إلى هذه السماء، ويستخبر أهل السماء حملة العرش: ماذا قال ربّكم؟ فيخبرونهم، ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء إلى سماء إلى أن ينتهي الخبر إلى هذه السماء، ويتخطّف الجنّ فيرمون، فما جاؤوا به فهو حقٌّ ولكنّهم يزيدون فيه.

والجواب عن السؤال الخامس: أنّ النار قد تكون أقوى من نار أُخرى فالأقوى تبطل الأضعف.

والجواب عن السؤال السادس: أنّه إنّما دام لأنّه ﷺ أخبر ببطلان الكهانة، فلو لم يدم هذا القذف لعادت الكهانة، وذلك يقدح في خبر الرسول ﷺ عن بطلان الكهانة.

والجواب عن السؤال السابع: أنّ البعد على مذهبنا غير مانع من السماع فلعلّه تعالى أجرى عادته بأنّهم إذا وقعوا في تلك المواضع سمعوا كلام الملائكة.

والجواب عن السؤال الثامن: لعلّه تعالى أقدرهم على استماع الغيوب عن الملائكة وأعجزهم عن إيصال أسرار المؤمنين إلى الكافرين.

والجواب عن السؤال التاسع: أنّه تعالى يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فهذا ما يتعلّق بهذا الباب على سبيل الإختصار (انتهى)(١).

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣٠ ص ٦٠-٦٢.

وأقول: الأصوب في الجواب عن الثالث أن يقال: قد ظهر أنّ للسماء أبو اباً يصعد منها الملائكة وصعد منها نبيّنا ﷺ وعيسى وإدريس عليهما السلام بل أجساد سائر الأنبياء والأوصياء بعد وفاتهم على قول وقد ورد في الأخبار أنّ الجنّ كانوا يصعدون قبل عيسى عليه السلام إلى ما تحت العرش، وبعد بعثته كانوا يصعدون إلى الرابعة وبعد بعثة النبيّ ﷺ منعوا عن صعود السماء مطلقاً بالشهب، فصعودهم إمّا من أبو ابها أو لكونهم أجساماً لطيفة يمكنهم النفوذ في جرمها، ولعلّ المراد بالفطور فيها أن ترى فيها شقوق وثقب، أو تنهدم وتنحلّ أجزاؤها، فلا إشكال في ذلك.

١ - **العلل والعيون والخصال:** في خبر الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه سأله ممّ خلق السماوات؟ قال: من بخار الماء، وسأله عن سماء الدنيا ممّا هي؟ قال: من موج مكفوف، وسأله كم طول الكواكب وعرضه؟ قال: اثنا عشر فرسخاً في اثني عشر فرسخاً، وسأله عن ألوان السماوات السبع وأسمائها فقال له: إسم السماء الدنيا «رفيع» وهي من ماء ودخان، وإسم السماء الثانية «قيدوم» وهي على لون النحاس، والسماء الثالثة اسمها «الماروم» وهي على لون الشبه، والسماء الرابعة اسمها «أرفلون» وهي على لون الفضّة، والسماء الخامسة اسمها «هيعون» وهي على لون الذهب، والسماء السادسة اسمها عروس وهي ياقوتة خضراء، والسماء السابعة اسمها «عجماء» وهي درّة بيضاء (الخبر)(١).

بيان: «من موج مكفوف» أي من جسم موّاج ممنوع من السيلان بقدرته سبحانه، أو بأن أجمدها بعد ما كانت سيّالة، ويحتمل أن يكون كناية عن كونها مخلوقة من جسم لطيف قد استقرّ في محلّه ولا ينزل ولا يسيل، أو موجها كناية عن تلألؤ الكواكب فيها بناءً على أنّها فيها، ويمكن أن يكون المقدار المذكور للكوكب لأصغر الكواكب الّتي في المجرّة، إذ المرصودة منها على المشهور أكبر من ذلك بكثير، بل ما سوى القمر والسفليّين أكبر من الأرض بأضعافها، وقد أوّل بعض السالكين مسالك الفلاسفة اختلاف الألوان الوارد في هذا الخبر باختلاف أنواعها وطبائعها، فإنّهم يقولون ليس للسماوات لون كما ستعرف إن شاء الله، وذكر السيّد الدّاماد رحمه الله لتقدير الكواكب تأويلاً غريباً أوردته في مقام آخر وإن كانت أقوالهم في أمثال ذلك لم تورث إلّا ظنّاً.

٢ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لمّا أسري بي إلى السماء رأيت في السماء السابعة بحاراً من نور يتلألأ، يكاد تلألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار من ظلمة وبحار ثلج ترعد (الخبر)(٢).

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٤ باب ٣٨٥ ح ٤٤، الخصال ص ٣٤٤ باب ٧ ح ١١.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٢.

بيان: «ترعد» أي يظهر منها صوت الرعد، أو على بناء المجهول أي تضطرب.

٣ - **العلل:** عن عليّ بن أحمد بن محمّد، عن الكلينيّ، عن علّان رفعه قال: سأل يهوديّ أمير المؤمنين عليه السلام لم سمّيت السماء سماء؟ قال: لأنّها وسم الماء يعني معدن الماء (الخبر)(١).

بيان: فسّر الوسم بالمعدن لأنّ معدن كلّ شيء علامة حصوله، ولعلّه مبنيّ على الاشتقاق الكبير، لأنّ الوسم من معتلّ الفاء والسماء على المشهور من معتلّ اللّام من السموّ، وهو الرفعة، أو هو على القلب كما أنّ الاسم أيضاً من السموّ.

٤ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن محمّد بن مروان، عن جرير، عن الضحّاك بن مزاحم، قال: سئل عليّ عليه السلام عن الطارق، قال: هو أحسن نجم في السماء وليس يعرفه الناس، وإنّما سمّي الطارق لأنّه يطرق نوره سماء سماء إلى سبع سماوات ثمّ يطرق راجعاً حتّى يرجع إلى مكانه(٢).

٥ - **الاحتجاج:** عن الأصبغ قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام عن المجرّة الّتي تكون في السماء، قال: هي شرج السماء، وأمان لأهل الأرض من الغرق، ومنه أغرق الله قوم نوح بماء منهمر (الخبر)(٣).

بيان: الشرج اسم للمجرّة، ولعلّهم شبّهوها بالعرى الّتي في الكيس والعيبة تشدّ بها، أو بمجرى الماء لأنّها مجراه حقيقة كما في الخبر، أو لأنّها شبيهة بالنهر في وسط الوادي، قال الفيروزآبادي: الشرج - محرّكة - العرى، ومنفسح الوادي، ومجرّة السّماء، وانشقاق في القوس، والشرج: الفرقة، ومسيل ماء من الجرّة إلى السهل وشد الخريطة. وقال الجوهريّ: شرج العيبة بالتحريك عراها وقد أشرجت العيبة إذا داخلت بين أشراجها، ومجرَّة السماء تسمّى شرجاً.

تفسير عليّ بن إبراهيم: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عمّن حدّثه عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام أنّه قال ملك الموت: غلظ السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام، ومن السماء الرّابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام وكلّ سماء وما بينهما كذلك (الخبر)(٤).

٧ - **العلل:** في خبر يزيد بن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله: ما بال النجوم تستبين صغاراً وكباراً ومقدار النجوم كلّها سواء؟ قال: لأنّ بينها وبين سماء الدنيا بحاراً يضرب الرّيح أمواجها فلذلك تستبين صغاراً وكباراً ومقدار النجوم كلّها سواء (الخبر)(٥).

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ١٠ باب ١ ح ١.
(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٨ باب ٣٨٤ ح ١.
(٣) الاحتجاج، ص ٢٥٨.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢١.
(٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤٨ باب ٢٢٢ ح ٣٣.

بيان: لعلّ غرض السائل السؤال عن علّة كون النجم الواحد يرى في بعض الأحيان أصغر وفي بعضها أكبر مع أنّ مقداره في جميع الأحوال واحد كما أنّ كلّاً من الشمس والقمر إذا كان عند الأفق أو قريباً منه يرى أكبر منه إذا كان في قريب سمت الرأس لكثرة الأبخرة وانعطاف الأشعّة البصريّة عند وصولها إلى الملأ الغليظ كما بيّن في علم المناظر، ويحتمل أن تكون البحار كناية عن الأبخرة.

تفسير عليّ بن إبراهيم: عن أبيه ويعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام هذه النجوم الّتي في السماء مدائن مثل المدائن الّتي في الأرض مربوطة كلّ مدينة إلى عمود من نور، طول ذلك العمود في السماء مسيرة مأتين وخمسين سنة[1].

أقول: سيجيء خبر الحسين بن خالد عن الرضا عليه السلام في باب صفة الأرضين[2].

٩ - **التوحيد:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن السيّاريّ، عن عبد الله بن حمّاد، عن جميل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم، أخبرني أبي عن أبيه عن جده عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام (الخبر)[3].

١٠ - **منتخب البصائر:** عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن الحسين، عن عليّ بن الريّان، عن عبيد الله بن عبد الله الدّهقان، عن أبي الحسن الرّضا عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ لله خلف هذه النّطاق زبرجدة خضراء منها اخضرّت السماء. قلت: وما النّطاق؟ قال: الحجاب، ولله عزّ وجلّ وراء ذلك سبعون ألف عالم أكثر من عدد الجنّ والإنس وكلّهم يلعن فلاناً وفلاناً[4].

١١ - **إرشاد المفيد:** روى أبو بصير عن أبي جعفر عليه السلام في حديث طويل أنّه قال: إذا قام القائم عليه السلام سار إلى الكوفة، فهدم بها أربعة مساجد، ولم يبق مسجد على أهل الأرض له شرف إلّا هدمها وجعلها جمّاء، ووسّع الطريق الأعظم وكسر كلّ جناح خارج عن الطريق، وأبطل الكنف والميازيب إلى الطرقات ولا يترك بدعة إلّا أزالها ولا سنّة إلّا أقامها، ويفتتح قسطنطنيّة والصين وجبال الديلم، فيمكث على ذلك سبع سنين مقدار كلّ سنة عشر سنين من سنيكم هذه، ثمّ يفعل الله ما يشاء. قال: قلت له: جعلت فداك فكيف تطول السنون؟ قال: يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلّة الحركة فتطول الأيّام لذلك والسنون! قال: قلت له: إنّهم يقولون إنّ الفلك إن تغيّر فسد! قال: ذلك قول الزّنادقة، فأمّا المسلمون فلا

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٣٢.
(٢) سيأتي في ج ٥٧ من هذه الطبعة.
(٣) التوحيد، ص ١٨٢.
(٤) مختصر بصائر الدرجات، ص ١٢.

سبيل لهم إلى ذلك، وقد شقّ الله القمر لنبيّه ﷺ، وردّ الشّمس من قبله ليوشع بن نون، وأخبر بطول يوم القيامة، وأنّه كألف سنة ممّا تعدّون[1].

١٢ - **كتاب النجوم:** روى ابن جمهور العميّ في كتاب الواحدة في أوائل أخبار مولانا الحسن بن عليّ عليه السلام من خطبة له في صفة النجوم ما هذا لفظه: ثمّ أجرى في السماء مصابيح ضوؤها في مفتحه وحارثها بها وجال شهابها من نجومها الدّراري المضيئة الّتي لولا ضوؤها ما أنفذت أبصار العباد في ظلم الليل المظلم بأهواله المدلهمّ بحنادسه، وجعل فيها أدلّة على منهاج السبل لما أحوج إليه الخليقة من الانتقال والتحوّل، والإقبال والإدبار[2].

١٣ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم الثقفي بإسناده عن أبي عمران الكنديّ قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: ذات الخلق الحسن، قال فما المجرّة؟ قال يا ويلك سل تفقّهاً ولا تسأل تعنّتاً! يا ويلك سل عمّا يعنيك قال: فوالله إنّ ما سألتك عنه ليعنيني! قال: إنّها شرج السماء، ومنها فتحت السماء بماء منهمر زمن الغرق على قوم نوح عليه السلام قال: فكم بين السماء والأرض؟ قال: مدّ البصر ودعوة بذكر الله فيسمع لا نقول غير ذلك[3].

بيان: «لا نقول غير ذلك» أي لا نخبر الخلق بمقدار ذلك إذ لا مصلحة لهم في ذلك، فيدلّ على أنّ التفكّر في أمثال ذلك ممنوع منه، وليس كما تزعمه الفلاسفة أنّها كمال النفس ولا بدّ للإنسان في تحصيل السعادات الأبديّة من النظر فيها.

١٤ - **الغارات:** بإسناده عن ابن نباتة، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام: كم بين السماء والأرض؟ قال: مدّ البصر ودعوة المظلوم. وسئل: كم بين المشرق والمغرب؟ قال: يوم طراد الشمس وسئل عن المجرّة فقال أبو اب السماء فتحها الله على قوم نوح ثمّ أغلقها فلم يفتحها. وسئل عن القوس فقال: أمان الأرض كلّها من الغرق إذا رأوا ذلك في السماء (الخبر)[4].

بيان: «يوم طراد» أي تامّ، أو قصير، أو يوم يجري فيه الشمس. قال في القاموس: الطريد من الأيّام الطويل كالطراد، والطريدان: الليل والنهار، وككتاب رمح قصير، ومطاردة الأقران حمل بعضهم على بعض وهم فرسان الطراد، واطّرد الأمر تبع بعضه بعضاً وجرى (انتهى) واعلم أنّ الحكماء اختلفوا في المجرّة فقيل: احتراق حدث من الشّمس في تلك الدائرة في بعض الأزمان السالفة. وأورد عليه أنّه مخالف لقواعدهم الّتي منها عدم كون الشمس موصوفة بالحرارة والإحراق، ومنها عدم كون الفلك قابلاً للتأثّر. وقيل: بخار دخانيّ واقع في الهواء، وأورد عليه بأنّه لو كان كذلك لكان يختلف في الصيف والشتاء

---

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٣٦٥.
(٢) فرج المهموم، ص ٩٦.
(٣) الغارات، ص ١٧٩.
(٤) الغارات، ص ١٨٨.

وقيل: هي كواكب صغار متقاربة متشابكة لا تتمايز حسّاً بل هي لشدّة تكاثفها وصغرها صارت كأنّها لطخات سحابيّة وهذا أقرب الوجوه.

١٥ - **العلل** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: معنى السماء أنّها ارتفعت أي سمت من السموّ، ومعنى الأرض أنّها انخفضت، وكلّ شيء انخفض فهو أرض.

١٦ - **النهج:** قال عليه السلام اللّهمّ ربّ السقف المرفوع، والجوّ المكفوف، الّذي جعلته مغيضاً للّيل والنهار، ومجرىً للشمس والقمر، ومختلفاً للنجوم السيّارة، وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك، لا يسأمون من عبادتك، وربّ هذه الأرض الّتي جعلتها قراراً للأنام، ومدرجاً للهوامّ، والأنعام، وما لا يحصى ممّا يرى وممّا لا يرى، وربّ الجبال الرواسي الّتي جعلتها للأرض أوتاداً، وللخلق اعتماداً[١].

بيان: السقف المرفوع السماء، والجوّ الهواء وما بين السماء والأرض، وكفّه أي جمعه وضمّ بعضه إلى بعض، وفسّر بعضهم الجوّ المكفوف بالسماء أيضاً والظاهر أنّ المراد به هنا الهواء بين السماء والأرض فإنّه مكفوف بالسماء، وقد ورد في الدعاء «وسدّ الهواء بالسماء» وغاض الماء يغيض غيضاً: نضب وقلّ، وكون السماء مغيضاً للّيل والنهار والشمس والقمر ظاهر لأنّها فيها تغيب، وأمّا الجوّ المكفوف فإن فسّر بالسماء فظاهر أيضاً، وإن فسّر بالهواء فلكون آثارها تظهر فيه ويرى بحسب الحسّ كذلك، وقيل: المراد به الهواء والفضاء بين السماوات فإنّه مكفوف بها، ويمكن حمله على البعد الموجود أو الموهوم الّذي هو مكان الفلك، وكفّها تحديدها وضبطها بالسماوات، ويمكن جعل الموصول صفة لمجموع السقف والجوّ لاتّصالهما بعدّهما شيئاً واحداً، فإنّ المجموع محلّ لتلك الآثار والأجرام في الجملة ومختلفاً للنجوم السيّارة. وقال ابن ميثم: المراد بالجوّ السماء، وكونه مغيضاً للّيل والنهار لأنّ الفلك بحركته المستلزمة لحركة الشمس على وجه الأرض يكون سبباً لغيبوبة الليل وعن وجهها لغيبوبة النهار، فكان كالمغيض لهما، وقيل: جعلته مغيضاً أي غيضة لهما، وهي في الأصل الأجمة كما يجتمع فيها الماء فتسمّى غيضة وينبت فيها الشجر، كأنّه جعل الفلك كالغيضة والليل والنهار كالشجر النابت فيها. وقال الكيدريّ في شرحه المغيض: الموضع الّذي يغيض فيه الماء أي ينضب ويقلّ، وجعل السماء والفلك مغيضاً للّيل والنهار مجازاً أي ينقص الله الليل مرّة والنهار أُخرى وإن زاد في الآخر، وذلك بحسب جريان الشمس. وقال: الجوّ المكفوف كأنّه أراد الهواء المحدود الّذي ينتهي حدّه إلى السماء، والجوّ ما بين السماء والأرض كأنّه كفّ أي منع من تجاوز حدّيه. وقال أبو عمرو: الجوّ ما اتّسع من الأودية، وكلّ مستدير فهو كفّة - بالكسر - كأنّه أراد الهواء الّذي هو على

(١) نهج البلاغة، ص ٣٤٥ خ ١٦٩.

هيئة المستدير، لأنّه داخل الفلك الكرويّ الشكل، أو أراد بالجوّ الفلك العريض الواسع وبالمكفوف ما كان عليه كفّة من المجرّة والنيّرات فيكون من كفّة الثوب أو أراد بالمكفوف الفلك المحكم الخلق الشديد المتبرّئ عن الخلل والفطور من قولهم «عيبة مكفوفة» أي مشرجة مشدودة (انتهى).

والاختلاف: التردّد، وحمله على اختلاف الفصول بعيد. والسبط - بالكسر - الأمّة والقبيلة.

«لا يسأمون» أي لا يملّون «قراراً» أي محلّ استقرار، ودرج كقعد أي: مشى. والهوامّ: الحشرات. وقال ابن ميثم: قال بعض العلماء: من أراد أن يعرف حقيقة قوله عليه السلام: «ممّا يرى وممّا لا يرى» فليوقد ناراً صغيرة في فلاة في ليلة صيفيّة وينظر ما يجتمع عليها من غرائب أنواع الحيوان العجيبة الخلق لم يشاهدها هو ولا غيره. **وأقول**: يحتمل أن يراد ما ليس من شأنه الرؤية لصغره أو لطافته كالملك والجنّ. والاعتماد: الاتّكاء والاتّكال، إذ الجبال مساكن لبعضهم ومنها تحصل منافعهم.

١٧ - **النهج**: عن نوف البكاليّ عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال في خطبة: فمن شواهد خلقه خلق السماوات موطّدات بلا عمد، قائمات بلا سند، دعاهنّ فأجبن طائعات مذعنات، غير متلكّئات ولا مبطئات، ولولا إقرارهنّ له بالربوبيّة، وإذعانهنّ بالطواعية لما جعلهنّ موضعاً لعرشه، ولا مسكناً لملائكته، ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصالح من خلقه، جعل نجومها أعلاماً يستدلّ بها الحيران، في مختلف فجاج الأقطار، لم يمنع ضوء نورها ادلهمام سجف الليل المظلم، ولا استطاعت جلابيب سواد الحنادس أن تردّ ما شاع في السماوات من تلألؤ نور القمر (إلى آخر الخطبة)(١).

توضيح: المراد بشواهد الخلق آيات الإبداع وعلامات التدبير المحكم، أو ما يشهد من الخلق بوجوده سبحانه وتدبيره وعلمه، أو ما حضر من خلقه أي ظهر وجوده بحيث لا يمكن لأحد إنكاره من علامات التدبير. ووطدت كوعدت أطدُها طدة ووطّدتها توطيداً: إذا أثبتّها بالوطء أو غيره حتّى تتصلّب، وتوطيد السماوات إحكام خلقها وإقامتها في مقامها على وفق الحكمة. والعمد - بالتحريك -: جمع عماد - بالكسر - وهو ما يسند به، أو جمع عمود. والسند - بالتحريك -: ما استندت إليه واتّكأت من حائط وغيره، والطائع: المنقاد السلس. وأذعن أي انقاد ولم يستعص وتلكّأ: أي توقّف واعتلّ. والطواعية - كثمانية -: الطاعة، ولعلّ المراد بالملائكة المقرّبون أو الأكثر، لأنّ منهم من يسكن الهواء والأرض والماء، وصعود الكلم الطيّب والعمل الصالح صعود الكتبة بصحائف أعمال العباد إلى السماوات، وفيه إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾(٢)

(١) نهج البلاغة، ص ٣٦٣ خ ١٨٠. (٢) سورة فاطر، الآية: ١٠.

وإجابتهنّ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾[1] وقد مرّ الكلام في تأويل الآية، وقيل: هنا إقرارهنّ بالربوبيّة له راجع إلى شهادة حال الممكن للحاجة إلى الربّ والانقياد لحكم قدرته، وظاهر أنّه لولا إمكانها وانفعالها عن قدرته وتدبيره لم يكن فيها عرش ولم تكن مسكناً للملائكة ولا مصعداً للكلم الطيّب والعمل الصالح من الخلق (انتهى).

وأمّا تخصيصه عليه السلام السماوات بالطاعة مع اشتراك الأرض لها في ذلك في الآية فلعلّه لكونها أكثر طاعة لكون مادّتها أقبل أو لشرفها. والعلم - بالتحريك -: ما يهتدى به والمختلف: الاختلاف أي التردّد، أو موضعه، أو هو من المخالفة. والفجّ: الطريق الواسع بين جبلين، والقطر: الجانب والناحية، فالمعنى: يستدلّ بها الحيارى في التردّد في فجاج الأقطار، أو في اختلاف الفجاج الموجودة في الأقطار، وذهاب كلّ منها إلى جهة غير ما يذهب إليه الآخر كاختلاف القوم في الآراء. والسجف - بالكسر وبالفتح -: الستر، والجلباب - بالكسر -: ثوب واسع تغطّي به المرأة ثيابها كالملحفة، وقيل: هو الخمار، وقيل: القميص. والحندس - كزبرج -: الشديد الظلمة، وشاع الشيء يشيع أي ظهر وذاع وفشا، وتلألأ القمر والبرق أي لمع.

١٨ - **كتاب المثنى بن الوليد الحناط:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن السماوات السبع، فقال: سبع سماوات ليس منها سماء إلّا وفيها خلق، وبينها وبين الأخرى خلق، حتّى ينتهي إلى السابعة. قلت: والأرض؟ قال: سبع، منهنّ خمس فيهنّ خلق من خلق الربّ، واثنتان هواء ليس فيهما شيء[2].

١٩ - **كتاب زيد النرسي:** عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا نظرت إلى السماء فقل - وذكر الدعاء إلى قوله - اللّهمّ ربّ السقف المرفوع، والبحر المكفوف، والفلك المسجور، والنجوم المسخّرات، وربّ هور بن إيسيّة صلّ على محمّد وآل محمّد وعافني من كلّ عقرب وحيّة - إلى آخر الدعاء - قال: قلت: وما «هور بن إيسيّة» قال: كوكبة في السماء خفيّة تحت الوسطى من الثلاث الكواكب الّتي في بنات نعش المتفرّقات، ذلك أمان ما قلت[3].

٢٠ - **الدرّ المنثور:** نقلاً من سبعة من كتبهم عن ابن مسعود قال: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين كلّ سمائين خمسمائة عام، وغلظ كلّ سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء السابعة إلى الكرسيّ مسيرة خمسمائة عام، وما بين الكرسيّ والماء مسيرة خمسمائة عام، والعرش على الماء[4].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ١١.
(٢) الأصول الستة عشر، ص ١٠٥.
(٣) الأصول الستة عشر، ص ٥٧.
(٤) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٤.

٢١ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير، عن عنبسة، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ ذكره إذا أراد فناء دولة قوم أمر الفلك فأسرع السير فكانت على مقدار ما يريد[١].

بيان: أمر الفلك لعلّه كناية عن تسبيب أسباب زوال دولتهم على الاستعارة التمثيليّة، ويحتمل أن يكون لكلّ دولة فلك سوى الأفلاك المعروفة الحركات وقد قدّر لدولتهم عدد من الدورات فإذا أراد الله إطالة مدّتهم أمر بإبطائه في الحركة وإذا أراد سرعة فنائها أمر بإسراعه.

٢٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن عنبسة بن بجاد العابد، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كنّا عنده - وذكروا سلطان بني أميّة - فقال أبو جعفر عليه السلام: لا يخرج على هشام أحد إلّا قتله. قال: وذكر ملكه عشرين سنة، قال: فجزعنا فقال: ما لكم؟ إذا أراد الله عزّ وجلّ أن يهلك سلطان قوم أمر الملك فأسرع بسير الفلك فقدّر على ما يريد (الخبر)[٢].

٢٣ - **توحيد المفضّل:** قال: قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل في النجوم واختلاف مسيرها، فبعضها لا تفارق مراكزها من الفلك ولا تسير إلّا مجتمعة، وبعضها مطلقة تنتقل في البروج وتفترق في مسيرها، فكلّ واحد منها يسير سيرين مختلفين: أحدهما عامّ مع الفلك نحو المغرب، والآخر خاصّ لنفسه نحو المشرق، كالنملة الّتي تدور على الرحى، فالرحى تدور ذات اليمين، والنملة تدور ذات الشمال، والنملة في تلك تتحرّك حركتين مختلفتين: إحداهما بنفسها فتتوجّه أمامها والأخرى مستكرهة مع الرحى تجذبها إلى خلفها، فاسأل الزاعمين أنّ النجوم صارت على ما هي عليه بالإهمال من غير عمد ولا صانع لها ما منعها أن تكون كلّها راتبة أو تكون كلّها متنقلة؟ فإنّ الإهمال معنى واحد فكيف صار يأتي بحركتين مختلفتين على وزن وتقدير؟ ففي هذا بيان أنّ مسير الفريقين على ما يسيران عليه بعهد وتدبير وحكمة وتقدير وليس بإهمال كما تزعمه المعطّلة.

فإن قال قائل: ولم صار بعض النجوم راتباً وبعضها متنقّلاً؟ قلنا: إنّها لو كانت كلّها راتبة لبطلت الدلالات الّتي يستدلّ بها من تنقّل المتنقّلة ومسيرها في كلّ برج من البروج، كما قد يستدلّ على أشياء ممّا يحدث في العالم بتنقّل الشمس والنجوم في منازلها، ولو كانت كلّها متنقّلة لم يكن لمسيرها منازل تعرف ولا رسم يوقف عليه، لأنّه إنّما يوقف بمسير المتنقّلة منها لتنقّلها في البروج الراتبة، كما يستدلّ على سير السائر على الأرض بالمنازل الّتي يجتاز عليها، ولو كان تنقّلها بحال واحدة لاختلط نظامها وبطلت المآرب فيها، ولساغ لقائل أن يقول: إنّ كينونيتها على حال واحدة توجب عليها الإهمال من الجهة الّتي وصفنا، ففي اختلاف سيرها وتصرّفها وما في ذلك من المآرب والمصلحة أبين دليل على العمد والتدبير فيها.

---

(١) روضة الكافي، ح ١٥٧.　(٢) روضة الكافي، ح ٥٩٣.

فكّر في هذه النجوم الّتي تظهر في بعض السنة وتحتجب في بعضها كمثل ثريّا، والجوزاء، والشعريين، وسهيل، فإنّها لو كانت بأسرها تظهر في وقت واحد لم تكن لواحد فيها على حياله دلالات يعرفها الناس، ويهتدون بها لبعض أمورهم كمعرفتهم الآن بما يكون من طلوع الثور والجوزاء إذا طلعت، واحتجابها إذا احتجبت فصار ظهور كلّ واحد واحتجابه في وقت غير الوقت الآخر لينتفع الناس بما يدلّ عليه كلّ واحد منها على حدته، وكما جعلت الثريّا وأشباهها تظهر حيناً وتحجب حيناً لضرب من المصلحة كذلك جعلت بنات النعش ظاهرة لا تغيب لضرب آخر من المصلحة، فإنّها بمنزلة الأعلام الّتي يهتدي بها الناس في البرّ والبحر للطرق المجهولة، وذلك أنّها لا تغيب ولا تتوارى فهم ينظرون إليها متى أرادوا أن يهتدوا بها إلى حيث شاؤوا، وصار الأمران جميعاً على اختلافهما موجّهين نحو الإرب والمصلحة، وفيها مآرب أخرى: علامات ودلالات على أوقات كثيرة من الأعمال كالزراعة والغراس والسفر في البرّ والبحر، وأشياء ممّا يحدث في الأزمنة من الأمطار والرياح والحرّ والبرد، وبها يهتدي السائرون في ظلمة الليل لقطع القفار الموحشة واللجج الهائلة، مع ما في تردّدها في كبد السماء مقبلة ومدبرة ومشرقة ومغربة من العبر، فإنّها تسير أسرع السير وأحثّه، أرأيت لو كانت الشمس والقمر والنجوم بالقرب منّا حتّى يتبيّن لنا سرعة سيرها بكنه ما هي عليه ألم تكن ستخطف الأبصار بوهجها وشعاعها، كالّذي يحدث أحياناً من البروق إذا توالت واضطربت في الجوّ، وكذلك أيضاً لو أنّ أناساً كانوا في قبّة مكلّلة بمصابيح تدور حولهم دوراناً حثيثاً لحارت أبصارهم حتّى يخرّوا لوجوههم، فانظر كيف قدّر أن يكون مسيرها في البعد البعيد لكيلا تضرّ في الأبصار، وتنكأ فيها، وبأسرع السرعة لكيلا تتخلّف عن مقدار الحاجة في مسيرها، وجعل فيها جزء يسير من الضوء ليسدّ مسدّ الأضواء إذا لم يكن قمر ويمكن فيه الحركة إذا حدثت ضرورة، كما قد يحدث الحادث على المرء فيحتاج إلى التجافي في جوف الليل، وإن لم يكن شيء من الضوء يهتدى به لم يستطع أن يبرح مكانه، فتأمّل اللطف والحكمة في هذا التقدير حين جعل للظلمة دولة ومدّة لحاجة إليها، وجعل خلالها شيء من الضوء للمآرب الّتي وصفنا.

فكّر في هذا الفلك بشمسه وقمره ونجومه وبروجه تدور على العالم هذا الدوران الدائم بهذا التقدير والوزن لما في اختلاف الليل والنهار وهذه الأزمان الأربعة المتوالية على الأرض وما عليها من أصناف الحيوان والنبات من ضروب المصلحة كالّذي بيّنت ولخّصت لك آنفاً، وهل يخفى على ذي لبّ أنّ هذا تقدير مقدّر وصواب وحكمة من مقدّر حكيم؟ فإن قال قائل: إنّ هذا شيء اتّفق أن يكون هكذا فما منعه أن يقول مثل هذا في دولاب تراه يدور ويسقي حديقة فيها شجر ونبات، فترى كلّ شيء من آلته مقدّراً بعضه يلقى بعضاً على ما فيه صلاح تلك الحديقة وما فيها وبم كان يثبت هذا القول لو قاله؟ وما ترى الناس كانوا قائلين له لو سمعوه منه؟ فينكر أن يقول في دولاب خشب مصنوع بحيلة قصيرة لمصلحة قطعة من

الأرض أنّه كان بلا صانع ومقدّر، ويقدر أن يقول في هذا الدولاب الأعظم المخلوق بحكمة يقصر عنها أذهان البشر لصلاح جميع الأرض وما عليها أنّه شيء اتّفق أن يكون بلا صنعة ولا تقدير لو اعتلّ هذا الفلك كما تعتلّ الآلات الّتي تتّخذ للصناعات وغيرها أيُّ شيء كان عند الناس من الحيلة في إصلاحه[١].

بيان: قوله عليه السلام : «لا تفارق مراكزها» لعلّ المراد أنّه ليس لها حركة بيّنة ظاهرة كما في السيّارات، أو لا يختلف نسب بعضها إلى بعض بالقرب والبعد بأن تكون الجملة التالية مفسّرة لها، ويحتمل أن يكون المراد بمراكزها البروج الّتي تنسب إليها على ما هو المصطلح بين العرب من اعتبار محاذاة تلك الأشكال في الانتقال إلى البروج وإن انتقلت عن مواضعها، وعليه ينبغي أن يحمل قوله عليه السلام «وبعضها مطلقة ينتقل في البروج» أو على ما ذكرنا سابقاً من كون انتقالها في البروج ظاهرة بيّنة يعرفه كلّ أحد، والأوّل أظهر كما سيظهر من كلامه عليه السلام .

قوله عليه السلام : «فإنّ الإهمال معنى واحد» يحتمل أن يكون المراد أنّ الطبيعة أو الدهر اللّذين يجعلونهما أصحاب الإهمال مؤثّرين كلّ منهما أمر واحد غير ذي شعور وإرادة، ولا يمكن صدور الأمرين المختلفين عن مثل ذلك كما مرّ، أو المراد أنَّ العقل يحكم بأنّ مثل هذين الأمرين المتّسقين الجاريين على قانون الحكمة لا يكون إلّا من حكيم راعى فيهما دقائق الحكم، أو المراد أنّ الإهمال أي عدم الحاجة إلى العلّة وترجّح الأمر الممكن من غير مرجّح كما تزعمون أمر واحد حاصل فيهما فلم صارت إحداهما راتبة والأخرى متنقّلة ولم لم يعكس الأمر؟ والأوّل أظهر كما لا يخفى. قوله عليه السلام «لبطلت الدلالات» ظاهره كون الأوضاع النجوميّة علامات الحوادث. قوله عليه السلام «في البروج الراتبة» يدلّ ظاهراً على ما أشرنا إليه من أنّه عليه السلام راعى في انتقال البروج محاذاة نفس الأشكال، وإن أمكن أن يكون المراد بيان حكمة بطء الحركة ليصلح كون تلك الأشكال علامات للبروج ولو بقربها منها لكنّه بعيد. قوله عليه السلام «والشعريين» قال الجوهريّ: الشعرى الكوكب الّذي يطلع بعد الجوزاء وطلوعه في شدّة الحرّ، وهما الشعريان: الشعرى العبور الّتي في الجوزاء، والشعرى القميصاء الّتي في الذراع، تزعم العرب أنّهما أختا سهيل (انتهى) والقفار جمع قفر وهو الخلاء من الأرض، وخطف البرق البصر: ذهب به. ووهج النار - بالتسكين -: توقّدها، وقوله «حثيثاً» أي مسرعاً، وتجافى: أي لم يلزم مكانه، وبرح مكانه: زال عنه.

٢٤ - **المتهجد:** في تعقيب صلاة أمير المؤمنين عليه السلام : وأسألك باسمك الّذي أجريت به الفلك، فجعلته معالم شمسك وقمرك، وكتبت اسمك عليه[٢].

---

(١) توحيد المفضل، ص ١٣٢-١٣٧. (٢) مصباح المتهجد، ص ٤٢٩.

٢٥ - **الدرّ المنثور**: للسيوطيّ نقلاً من تسعة عشر من كتبهم عن العبّاس بن عبد المطلب قال: كنّا عند النبيّ ﷺ فقال: هل تدرون كم بين السماء والأرض؟ قلنا: الله ورسوله أعلم قال: بينهما مسيرة خمسمائة عام، ومن كلّ سماء إلى سماء مسيرة خمسمائة عام، وكثف كلّ سماء خمسمائة سنة، وفوق السماء السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين السماء والأرض، ثمّ فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهنّ وأظلافهنّ كما بين السماء والأرض ثمّ فوق ذلك العرش بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض[1].

٢٦ - ومن عدّة كتب بأسانيدهم عن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام وغلظ كلّ سماء مسيرة خمسمائة عام، وما بين السماء إلى الّتي تليها مسيرة خمسمائة عام، كذلك إلى السماء السابعة، والأرضون مثل ذلك، وما بين السماء السابعة إلى العرش مثل جميع ذلك. ولو حفرتم لصاحبكم ثمّ دلّيتموه لوجدتم الله ثمّة - يعني علمه -[2].

٢٧ - وبأسانيد أخرى عن النبيّ ﷺ قال: كنّا جلوساً مع رسول الله ﷺ فمرّت سحابة فقال: أتدرون ما هذه؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه الغيابة يسوقها الله إلى أهل بلد لا يعبدونه، ولا يشكرونه! هل تدرون ما فوق ذلك! قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ فوق ذلك موج مكفوف وسقف محفوظ، هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ فوق ذلك سماء أخرى، هل تدرون كم ما بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: فإنّ بينهما مسيرة خمسمائة عام - حتّى عدّد سبع سماوات بين كلّ سمائين مسيرة خمسمائة عام - ثمّ قال: هل تدرون ما فوق ذلك؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ فوق ذلك العرش، فهل تدرون كم ما بينهما؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّ بين ذلك كما بين السمائين ثمّ قال: هل تدرون ما هذه؟ هذه أرض، هل تدرون ما تحتها؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: أرض أخرى، وبينهما مسيرة خمسمائة عام، حتّى عدّ سبع أرضين بين كلّ أرضين مسيرة خمسمائة عام[3].

٢٨ - وعن عبد الله بن عمر أنّه نظر إلى السماء فقال: تبارك الله! ما أشدّ بياضها، والثانية أشدّ بياضاً منها، ثمّ كذلك حتّى بلغ سبع سماوات، وخلق فوق السابعة الماء، وجعل فوق الماء العرش، وجعل فوق السماء الدنيا الشمس والقمر والنجوم والرجوم[4].

٢٩ - وعن ابن عبّاس قال: قال رجل: يا رسول الله ما هذا السماء؟ قال: هذا موج مكفوف عنكم[5].

٣٠- وعن الربيع بن أنس قال: السماء الدنيا موج مكفوف، والثانية مرمرة بيضاء، والثالثة حديد، والرابعة نحاس، والخامسة فضّة، والسادسة ذهب، والسابعة ياقوتة حمراء، وما

(١) - (٥) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٣-٤٤.

فوق ذلك صحاري من نور، وما يعلم ما فوق ذلك إلّا الله، وملك موكّل بالحجب يقال له «ميطاطروش»[١].

٣١ - وعن سلمان الفارسيّ رضي الله عنه قال: السماء الدنيا من زمرّدة خضراء اسمها «رفيعا» والثانية من فضّة بيضاء واسمها «أذقلون» والثالثة من ياقوتة حمراء واسمها «قيدوم» والرابعة من درّة بيضاء واسمها «ماعونا» والخامسة من ذهبة حمراء واسمها «ديقا» والسادسة من ياقوتة صفراء واسمها «دفنا» والسابعة من نور واسمها «عربيّا»[٢].

٣٢ - وعن عليّ عليه السلام قال: إسم السماء الدنيا رفيع، واسم السابعة الضراح[٣].

٣٣ - وعن ابن عبّاس قال: سيّد السماوات السماء الّتي فيها العرش وسيّد الأرضين الأرض الّتي أنتم عليها[٤].

٣٤ - وعن الشعبيّ قال: كتب ابن عبّاس إلى أبي الجحدر حين سأله عن السماء من أيّ شيء هي فكتب إليه: إنّ السماء من موج مكفوف[٥].

٣٥ - وعن حبّة العرنيّ قال: سمعت عليّاً عليه السلام ذات يوم يحلف: والّذي خلق السماء من دخان وماء[٦].

٣٦ - وعن كعب قال: السماء أشدّ بياضاً من اللبن[٧].

٣٧ - وعن سفيان الثوريّ قال: تحت الأرضين صخرة بلغنا أنّ تلك الصخرة منها خضرة السماء.

٣٨ - وعن قتادة في قوله: ﴿فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ قال: بعضهنّ فوق بعض بين كلّ سمائين مسيرة خمسمائة عام[٨].

٣٩ - وعن ابن جبير قال: إنّ هرقل كتب إلى معاوية وقال: إن كان بقي فيهم شيء من النبوّة فسيخبروني عمّا أسألهم عنه، قال: وكتب إليه يسأله عن المجرّة وعن القوس وعن البقعة الّتي لم تصبها الشمس إلّا ساعة واحدة. قال فلمّا أتى معاوية الكتاب والرسول قال: إنّ هذا شيء ما كنت أظن أن أسأل عنه إلى يومي هذا! من لهذا؟ قالوا: ابن عبّاس. فطوى معاوية كتاب هرقل وبعث به إلى ابن عبّاس فكتب إليه أنّ القوس أمان لأهل الأرض من الغرق، والمجرّة باب السماء الّذي يشقّ منه، وأمّا البقعة الّتي لم تصبها الشمس إلّا ساعة من نهار فالبحر الّذي أفرج عن بني إسرائيل[٩].

٤٠ - وعن أبي صالح في قوله: ﴿كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَٰهُمَا﴾ قال: كانت السماء واحدة ففتق منها سبع سماوات، وكانت الأرض واحدة ففتق منها سبع أرضين[١٠].

٤١ - وعن الحسن وقتادة قالا: كانتا جميعاً ففصل الله بينهما بهذا الهواء[١١].

---

(١) - (٩) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٤. (١٠) - (١١) الدر المنثور، ج ٤ ص ٣١٧.

٤٢ - وعن ابن جبير قال: كانت السماوات والأرضون ملتزقتين، فلمّا رفع الله السماء وأبعدها من الأرض فكان فتقها الّذي ذكر الله[١].

٤٣ - وعن ابن عبّاس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ﴾ قال: حسنها واستواؤها[٢].

٤٤ - وروي عنه أيضاً أنّه قال: ذات البهاء والجمال، وأنّ بنيانها كالبرد المسلسل[٣].

٤٥ - وفي رواية أخرى عنه: ذات طرائق والخلق الحسن[٤].

٤٦ - وعن عليّ عليه السلام قال: هي السماء السابعة[٥].

٤٧ - وعن عكرمة: ذات الخلق الحسن محبّكة بالنجوم[٦].

٤٨ - وعن أبي الطفيل أنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليّاً عليه السلام عن المجرّة فقال: هي شرج السماء، ومنها فتحت أبو اب السماء بماء منهمر، ثمّ قرأ ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ﴾[٧].

٤٩ - وعن ابن عبّاس في قوله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قال: منتهى أمره من أسفل الأرضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سماوات مقداره خمسين ألف سنة، ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك ينزّل الأمر من السماء إلى الأرض ومن الأرض إلى السماء في يوم واحد، فذلك مقداره ألف سنة، لأنّ ما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام[٨].

٥٠ - وعنه أيضاً قال: غلظ كلّ أرض خمسمائة عام، وبين كلّ أرض إلى أرض خمسمائة عام، ومن السماء إلى السماء خمسمائة عام، وغلظ كلّ سماء خمسمائة عام، فذلك أربعة عشر ألف عام، وبين السماء وبين العرش مسيرة ستّة وثلاثين ألف عام، فذلك قوله ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[٩].

٥١ - وعن وهب قال: مقدار ما بين أسفل الأرض إلى العرش خمسون ألف سنة[١٠].

٥٢ - وعن الحسن في قوله ﴿سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ قال: بعضهنّ فوق بعض كلّ سماء وأرض خلق وأمر[١١].

٥٣ - وعن أبي ذرّ قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وآله ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ﴾ حتّى ختمها، ثمّ قال: إنّي أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ! ما فيها موضع أربع أصابع إلّا وفيه ملك واضع جبهته ساجداً لله، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذّذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عزّ وجلّ[١٢].

---

(١) الدر المنثور، ج ٤ ص ٣١٧.

(٢) - (٦) الدر المنثور، ج ٦ ص ١١٢.

(٧) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٣٤.

(٨) - (١٠) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٦٤.

(١١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٦٨.

(١٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٩٧.

٥٤ - وعن عليّ عليه السلام قال: السقف المرفوع السماء، والبحر المسجور بحر في السماء تحت العرش[١].

بيان: قال في النهاية: الوعول والأوعال تيوس الجبل، واحدها «وعل» بكسر العين، ومنه الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ قيل ثمانية أوعال أي ملائكة على صورة الأوعال (انتهى). قوله «لوجدتم الله ثمّة» أي نسبته سبحانه إلى العرش وتحت الثرى وجميع الأماكن متساوية من حيث عدم حصوله بذاته في شيء منها، وإحاطة علمه وقدرته بجميعها.

وقال الطيبيّ: فيما رووا «لو دلّيتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله» دلّيتم أي أرسلتم، وعلى الله أي على علمه وقدرته وسلطانه وفي النهاية: الغيابة كلّ شيء أظلّ الإنسان فوق رأسه كالسحابة وغيرها (انتهى). موج مكفوف قال الطيبيّ: أي ممنوع من الاسترسال، حفظها الله أن تقع على الأرض، وهي معلّقة بلا عمد كالموج المكفوف.

٥٥ - **الدرّ المنثور:** عن عليّ عليه السلام في قوله ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ قال: هي الكواكب تكنس بالليل وتخنس بالنهار فلا ترى[٢].

٥٦ - وعن عليّ عليه السلام في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ﴾ قال: خمسة أنجم: زحل، وعطارد، والمشتري، وبهرام، والزهرة، ليس في الكواكب شيء يقطع المجرّة غيرها[٣].

٥٧ - وعن ابن عبّاس قال: الخنّس نجوم تجري يقطعن المجرّة كما يقطع الفرس[٤].

٥٨ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾﴾ قال: هي النجوم السبعة: زحل، وبهرام، وعطارد، والمشتري، والزهرة، والشمس، والقمر، خنوسها رجوعها، وكنوسها تغيّبها بالنهار[٥].

٥٩ - وعن الأعمش قال: كان أصحاب عبد الله يقولون في قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ ذات القصور[٦].

٦٠- وعن أبي صالح في قوله: ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قال النجوم العظام[٧].

٦١ - وعن جابر عن عبد الله أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله سئل عن السماء ذات البروج فقال: الكواكب. وسئل ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا﴾ فقال: الكواكب. قيل: فبروج مشيّدة؟ فقال القصور[٨].

٦٢ - وعن قتادة في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قال: بروجها نجومها ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ قال: يوم القيامة ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: يومان عظيمان عظّمهما الله من أيّام الدنيا، كنّا نحدّث أنّ الشاهد يوم القيامة، وأنّ المشهود يوم عرفة[٩].

---

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ١١٨.
(٢) - (٥) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٠.
(٦) - (٩) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٣١.

٦٣ - وعن الحسن في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قال: حبكت بالخلق الحسن ثمّ حبكت بالنجوم ﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾ قال: يوم القيامة[1].

٦٤ - وعن مجاهد ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾ قال: ذات النجوم ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾ قال: الشاهد ابن آدم، والمشهود يوم القيامة[2].

فائدة: إعلم أنّ أصحاب الهيئة قالوا: بُعد مقعّر فلك القمر عن مركز العالم أحد وأربعون ألفاً وتسعمائة وستّة وثلاثون فرسخاً، وبُعد محدَّبه الّذي هو مماسّ لمقعّر فلك عطارد بزعمهم خمسة وثمانون ألف فرسخ وسبعمائة فرسخ وثلاث فراسخ، وبُعد مقعّر فلك الزهرة مائتان وخمسة وسبعون ألف فرسخ وثلاثمائة وثمانون فرسخاً، وبُعد مقعّر فلك الشمس ألف ألف فرسخ وثمانمائة وثمان وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة وخمسة وثمانون فرسخاً، وبُعد مقعّر فلك المرّيخ ألف ألف فرسخ وسبعة وعشرون ألف فرسخ، وتسعمائة وأربع وثلاثون فرسخاً وبُعد مقعّر فلك المشتري أربعة آلاف ألف فرسخ وسبعمائة وسبعون ألف فرسخ وستّمائة واثنان وسبعون فرسخاً، وبُعد مقعّر فلك زحل ثلاثة وعشرون ألف ألف فرسخ وتسعمائة وأحد وتسعون ألف فرسخ ومائتان وخمسة عشر فرسخاً، وبُعد مقعّر فلك الثوابت ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ خمسمائة ألف وتسعة آلاف فرسخ ومائة وثمانية وثمانون فرسخاً، وبُعد مقعّر الفلك الأعلى ثلاثة وثلاثون ألف ألف فرسخ وخمسمائة وأربعة وعشرون ألف فرسخ وستّمائة وتسعة فراسخ، وبُعد محدّب الفلك الأعلى لا يعلمه أحد إلّا الربّ تبارك وتعالى ومن أوحى إليه.

وذكروا أنّ قطر القمر سبعمائة وأحد وثلاثون فرسخاً، وجرمه سدس سبع جرم الأرض. وقيل: جزء من تسعة وثلاثين جزءاً منها، وقطر العطارد مائة وتسعة فراسخ، وجرمه جزء من اثني عشر ألف جزء وسبعمائة وتسعة وستّين جزءاً من جرم الأرض، وقطر الزهرة تسعمائة فرسخ وخمسة وستّون فرسخاً، وجرمه ثلث تسع جرم الأرض، وقيل: جزء من سبعة وثلاثين جزءاً من الأرض، وقطر الشمس سبعة عشر ألف فرسخ وخمسمائة وثمانية وستّون فرسخاً، وجرمه ثلاثمائة وثمانية وعشرون ضعف جرم الأرض، وقيل: مائة وستّة وستّون ضعفاً، وقطر المرّيخ ثلاثة آلاف فرسخ وسبعمائة وخمسة وتسعون فرسخاً، وجرمه ثلاثة أضعاف جرم الأرض، وقيل: مثل الأرض ونصفها، وقطر المشتري أربعة عشر ألف فرسخ وخمسمائة وستّة وتسعون فرسخاً، وجرمه مائة وثمان وثمانون ضعفاً من الأرض، وقيل: اثنان وثمانون ضعفاً وربعاً منها، وقطر زحل أربعة عشر ألف فرسخ وأربعمائة وخمسة وثلاثون فرسخاً، وجرمه مائة واثنان وثمانون ضعفاً من الأرض، وقيل: سبع وسبعون ضعفاً، والكواكب الغير المرصودة لا يعلم عددها إلّا الله تعالى وحججه عليهم السلام، وما رصدوا

(١) - (٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٣١.

منها ألف واثنان وعشرون كوكباً، فأعظمها على ما ذكره بعضهم ثمانية وتسعون ضعفاً للأرض وسدسها، وأصغرها عشرة أضعاف وثلاث من الأرض وعلى ما ذكره آخرون: أعظمها مائتان واثنان وعشرون ضعفاً من الأرض، وأصغرها ثلاثة وعشرون ضعفاً منها، ورتّبوا أقدارها المختلفة في ستّ مراتب ينقص كلّ مرتبة عن صاحبتها في القطر بسدس، فأولاها أعظمها وفيها خمسة عشر كوكباً، وفي الثانية خمسة وأربعون، وفي الثالثة مائتان وثمانية، وفي الرابعة أربعمائة وأربعة وسبعون، وفي الخامسة مائتان وسبعة عشر، وفي السادسة تسعة وأربعون، وأربعة عشر خارجة عن المراتب، تسعة خفيّة تسمّى مظلمة، وخمسة سحابيّة كأنّها قطعة غيم، وقد يزاد ثلاثة تسمّى «صفيرة» ثمّ توهّموا لتعريف هذه الكواكب صوراً تكون هي عليها، أو فيما بينها، أو بقربها، والصور ثمانية وأربعون: إحدى وعشرون في الشمال، واثنتا عشرة على المنطقة، وهي صور البروج المشهورة، وخمس عشرة في الجنوب.

هذا ما ذكروه واستنبطوه من قواعدهم والله تعالى يعلم حقائق الأمور.

وقال بعضهم: يسير الفلك الأعظم بمقدار ما يقول أحد «واحد» ألفاً وسبعمائة واثنين وثلاثين فرسخاً من مقعّره، والله تعالى يعلم ما يسير من محدّبه! وهو أسرع الحركات، وحركته من المشرق إلى المغرب، ويتمّ في يوم بليلته دوراً بالتقريب، وقطباه يسمّيان بقطبي العالم، ومنطقته تسمّى بمعدّل النهار، وهي تقطع العالم بنصفين: شماليّ، وجنوبيّ، والصغار الموازية المرتسمة من تحرّك النقاط عن جنبتيها تسمّى بالمدارات اليوميّة، وسائر الحركات الخاصّة للكواكب من المغرب إلى المشرق على توالي البروج وأبطأها حركة فلك الثوابت، ويوافقه جميع الممثّلات، ويقطع في كلّ خمسة وعشرين ألفاً ومأتي سنة دوراً، ويقطع في كلّ سنة عشرة فراسخ، ومع ذلك لا ترى حركتها في قريب من خمسين سنة، بل ترى في تلك المدّة كأنّها ساكنة وقطباه يسمّيان بقطبي البروج، ومنطقته بمنطقة البروج وفلك البروج، وهي تقطع المعدّل على نقطتين تسمّيان بالاعتدالين: الربيعيّ والخريفيّ، وأبعد أجزائها عنه بالانقلابين الصيفيّ والشتويّ، وغاية هذين البعدين من الجانب الأقرب تسمّى بالميل الكلّيّ، وهو بالرصد الجديد ثلاثة وعشرون جزءً وثلاثون دقيقة، وتنقسم منطقة البروج بهذه النقاط الأربع أرباعاً قطع الشمس لكلّ منها أحد الفصول الأربعة، ولها دوائر صغار كالأولى الّتي تسمى بمدارات العرض، وتوهّموا في كلّ ربع من تلك الأرباع نقطتين انقسم بها بثلاثة أقسام متساوية فحصلت البروج الاثنا عشر، فالحمل والثور والجوزاء ربيعيّة، والسرطان والأسد والسنبلة صيفيّة، والميزان والعقرب والقوس خريفيّة، والجدي والدلو والحوت شتويّة، فتحصّل بالحركة الخاصّة للشمس في هذه البروج، الفصول الأربعة في كلّ سنة، والقمر يقطع تلك البروج في سبعة وعشرين يوماً وليلة وثلث تقريباً، والعطارد والزهرة يقطعانها في سنة تقريباً، والمرّيخ يقطعها في سنة وعشرة أشهر وأحد وعشرين يوماً

وليلة واثنتين وعشرين ساعة وخمسين دقيقة، والمشتري يقطعها في إحدى عشرة سنة وشهرين وثلاثة عشر يوماً وليلة وإحدى عشرة ساعة وتسع دقائق وقال المحقّق الطوسيّ رحمه الله في اثنتي عشرة سنة تقريباً، وزحل يقطعها في ثلاثين سنة، ويقال للشمس والقمر «النيّران» ولزحل والمشتري «العلويّان» ولعطارد والزهرة «السفليّان» وللمشتري والزهرة «السعدان» ولزحل والمريخ «النحسان».

ثمّ إنّ القدماء قالوا: كلّ واحد من أفلاك الكواكب السبعة يشتمل على أفلاك أُخر جزئية مفروزة عن كلّها متحرّكة بحركة أُخرى غير حركة الكلّ وذلك لأنّه يعرض لها في حركاتها السرعة والبطء والتوسّط بينهما، وكذا الوقوف والرجوع والاستقامة، وقد تكون حركة بعضها متشابهة حول نقطة، أي يحدث عندها في أزمنة متساوية زوايا متساوية وقسيّاً متساوية، مع أنّه يقرب منها تارة ويبعد عنها أُخرى إلى غير ذلك من الاختلافات، فأثبتوا لفلك الشمس فلكاً آخر شاملاً للأرض، مركزه خارج عن مركز العالم مائل إلى جانب من الفلك الكلّي لها بحيث يماسّ محدّب سطحيه السطح الأعلى من الفلك الكلّي على نقطة مشتركة بينهما تسمّى «الأوج» ومقعّر سطحيه السطح الأدنى منه على نقطة مشتركة تسمّى «الحضيض» فيحصل بسبب ذلك جسمان متدرّجا الثخن إلى غاية هي ضعف ما بين المركزين أحدهما حاوٍ للفلك الخارج المركز، والآخر محويّ، فيه رقّة الحاوي ممّا يلي الأوج، وغلظه ممّا يلي الحضيض، ورقّة المحويّ وغلظه بالعكس يقال لكلّ منهما «المتمّم» وجرم الشمس مركوز في ثخن الخارج عند منتصف ما بين قطبيه مماسّ لسطحيه على نقطتين، وأفلاك كلّ من الكواكب العلويّة والزهرة كذلك، إلّا أنّ لها تداوير مركوزة في خوارجها كارتكاز الشمس وهي فيها يماسّ سطح كلّ سطح تدويره على نقطة، وكذلك فلك القمر إلّا أنّ له فلكاً آخر مركزه مركز العالم محيطاً بالكلّ يسمّى بالجوزهر، وأمّا عطارد فمركز فلكه الّذي في ثخنه الخارج غير مركز العالم ويسمّى بالمدير، وهو في ثخن فلكه الكلّي الّذي مركزه مركز العالم كالخارج في ثخنه على الرسم المذكور، فله خارجان وأوجان وحضيضان وأربعة متمّمات. وتسمّى الأفلاك الكلّية بالممثّلات لمماثلتها لمنطقة البروج في المركز والحركة والمنطقة والقطبين، وتسمّى الخوارج المراكز كلّها سوى المدير بالحوامل، وتسمّى البعد الأبعد في التداوير بالذروة، والأقرب بالحضيض. هذا ما ذكره القدماء في ذلك، وأمّا المتأخّرون فزادوا أفلاكاً جزئيّة أُخرى لحلّ بعض ما لا ينحلّ من مشكلات هذا الفنّ لم نتعرّض لها ولا لذكر جهات حركات هذه الأفلاك ومقاديرها وأقطابها ودوائرها ومناطقها المذكورة في كتب القوم، لأنّها لا تناسب هذا الكتاب، وكلّ ما ذكروه مبنيّ على أوهام وخيالات يستقيم بعض الحركات بها، وتحيّروا في كثير منها، ولا يعلمها بحقيقتها إلّا خالقها ومن خصّه بعلمها من الأنبياء والأوصياء عليهم السلام [1].

(١) عين اليقين للفيض الكاشاني المطبوع مع كتابه علم اليقين، ص ٣٣٣.

١٠ - باب الشمس والقمر وأحوالهما وصفاتهما والليل والنهار وما يتعلّق بهما

الآيات: البقرة: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ «١٨٩».

آل عمران: ﴿تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ «٢٧».

الأنعام: ﴿فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ﴾ «٩٦».

الأعراف: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ «٥٤».

يونس: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ «٥ - ٦».

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ «٦٧».

الرعد: ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ - إلى قوله -: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ «٢ - ٣».

إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ﴾ «٣٣».

النحل: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ «١٢».

الإسراء: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ وَكُلَّ شَىْءٍ فَصَّلْنَٰهُ تَفْصِيلًا﴾ «١٢».

الكهف: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ «٨٦ - ٩٠».

الأنبياء: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ «٣٣».

الحج: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ «٦١».

المؤمنون: ﴿وَلَهُ ٱخْتِلَٰفُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ «٨٠».

النور: ﴿يُقَلِّبُ ٱللَّهُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ «٤٤».

الفرقان: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا ثُمَّ جَعَلْنَا ٱلشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ

﴿ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ «٦١ - ٦٢».

النمل: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا جَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِيَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ «٨٦».

القصص: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

العنكبوت: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾.

الروم: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ «٢٣».

لقمان: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ «٢٩».

فاطر: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ﴾ «١٣».

يس: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ «٣٧ - ٤٠».

الصافات: ﴿وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ «٥».

الزمر: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾ «٥».

المؤمن [غافر]: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾.

فصلت: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ «٣٧».

الرحمن: ﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ وقال تعالى: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾﴾.

الحديد: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ «٦».

المعارج: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ﴾ «٤٠».

نوح: ﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ «١٦».

المدثر: ﴿كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥)﴾ .

النبأ: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ «٩ - ١٣».

التكوير: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١) وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ (٢)﴾ . إلى قوله: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ (١٨)﴾ .

الفجر: ﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤)﴾ .

الشمس: ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا (١) وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا (٢) وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا (٤)﴾ .

الضحى: ﴿وَالضُّحَىٰ (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ (٢)﴾ .

الفلق: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ «١ - ٣»

تفسير: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ قال البيضاويّ: سأله معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم فقالا: ما بال الهلال يبدو دقيقاً كالخيط ثمّ يزيد حتّى يستوي ثمّ لا يزال ينقص حتّى يعود كما بدأ؟ فنزلت ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ إنّهم سألوا عن الحكمة في اختلاف حال القمر وتبدّل أمره فأمره الله أن يجيب بأنّ الحكمة الظاهرة في ذلك أن يكون معالم للناس يوقّتون بها أمورهم، ومعالم للعبادات الموقّتة يعرف بها أوقاتها، وخصوصاً الحجّ، فإنّ الوقت مراعى فيه أداء وقضاء والمواقيت جمع ميقات من الوقت[1]. وقال في قوله تعالى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ﴾ إيلاج الليل والنهار إدخال أحدهما في الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص[2].

وقال في قوله تعالى: ﴿فَالِقُ الْإِصْبَاحِ﴾ شاقّ عمود الصبح عن ظلمة الليل أو عن بياض النهار، أو شاقّ ظلمة الإصباح وهو الغبش الّذي يليه، والإصباح في الأصل مصدر «أصبح» إذا دخل في الصبح سمّي به الصبح. وقرئ بفتح الهمزة على الجمع ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا﴾ يسكن إليه التعب بالنهار لاستراحته فيه، من «سكن إليه» إذا اطمأنّ إليه استئناساً به، أو يسكن فيه الخلق من قوله ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ ونصبه بفعل دلّ عليه (جاعل) لا به، فإنّه في معنى الماضي، ويدلّ عليه قراءة الكوفيّين ﴿وَجَعَلَ اللَّيْلَ﴾ حملاً على معنى المعطوف عليه، فإنّ فالق بمعنى فلق فلذلك قرئ به، أو به على أنّ المراد منه جعل مستمرّ في الأزمنة المختلفة، وعلى هذا يجوز أن يكون ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ عطفاً على محلّ الليل ويشهد له قراءتهما بالجرّ، والأحسن نصبهما بجعل مقدّر، وقرئ بالرفع على الابتداء والخبر محذوف أي مجعولان ﴿حُسْبَانًا﴾ أي على أدوار مختلفة تحسب بها الأوقات ويكونان علمي الحساب وهو مصدر حسب - بالفتح - كما أنّ الحسبان - بالكسر - مصدر حسب - بالكسر - وقيل: جمع حساب كشهاب وشهبان. ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى جعلهما حسباناً أي ذلك السير بالحساب

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٧٤. (٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٢٤٧.

المعلوم ﴿تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ﴾ الّذي قهرهما وسيّرهما على الوجه المخصوص ﴿ٱلْعَلِيمِ﴾ بتدبيرهما والأنفع من التداوير الممكنة لهما(١).

وفي قوله تعالى: ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ يغطيه به، ولم يذكر عكسه للعلم به أو لأنّ اللفظ يحتملهما، ولذلك قرئ ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ بنصب الليل ورفع النهار، وقرأ حمزة والكسائيّ ويعقوب وأبو بكر عن عاصم بالتشديد وفي الرعد للدلالة على التكرير ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ يعقبه سريعاً كالطالب له لا يفصل بينهما شيء والحثيث: فعيل من الحثّ، وهو صفة مصدر محذوف، أو حال من الفاعل بمعنى حاثّاً، أو المفعول بمعنى محثوثاً. ﴿وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ﴾ أي بقضائه وتصريفه، ونصبها بالعطف على السماوات ونصب مسخّرات على الحال وقرأ ابن عامر كلّها بالرفع على الابتداء والخبر (انتهى)(٢).

وقال الرازيّ في قوله سبحانه ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾: إعلم أنّه سبحانه وصف هذه الحركة بالسرعة والشدّة، وذلك هو الحقّ لأنّ تعاقب الليل والنهار إنّما يحصل بحركة الفلك الأعظم وتلك الحركة أشدّ الحركات سرعة وأكملها شدّة، حتّى أنّ الباحثين عن أحوال الموجودات قالوا الإنسان إذا كان في العدو الشديد الكامل فإلى أن يرفع رجله ويضعها يتحرّك الفلك الأعظم ثلاثة آلاف ميل وإذا كان الأمر كذلك كانت تلك الحركة في غاية السرعة والشدّة، فلهذا السبب قال تعالى ﴿يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ ثمّ قال: في هذه الآية لطائف فالأولى أنّ الشمس لها نوعان من الحركة: أحدهما حركتها بحسب ذاتها وهي إنّما تتمّ في سنة كاملة، وبسبب هذه الحركة تحصل السنة، والثاني حركتها بسبب حركة الفلك الأعظم، وهذه الحركة تتمّ في اليوم بليلته، إذا عرفت هذا فنقول: الليل والنهار لا يحصلان بسبب حركة الشمس بل بحركة السماء الأقصى الّتي يقال لها العرش، ولهذا السبب لمّا ذكر العرش بقوله ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ربط به قوله ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ﴾ تنبيهاً على أنّ سبب حصول الليل والنهار هو حركة الفلك الأقصى لا حركة الشمس والقمر.

والثانية: أنّه تعالى لمّا شرح كيفيّة تخليق السماوات قال: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ فدلّت تلك الآية على أنّه سبحانه خصّ كلّ ذلك بلطيفة نورانيّة ربّانيّة من عالم الأمر، ثمّ قال بعده ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ وهو إشارة إلى أنّ كلّ ما سوى الله إمّا من عالم الخلق أو من عالم الأمر، أمّا الّذي هو من عالم الخلق فالخلق عبارة عن التقدير وكلّ ما كان جسماً أو جسمانيّاً كان مخصوصاً بمقدار معيّن فكان من عالم الخلق، وكل ما كان بريئاً عن الحجميّة والمقدار كان من عالم الأرواح ومن عالم الأمر، فدلّ على أنّه سبحانه خصّ كلّ واحد من أجرام الأفلاك والكواكب الّتي هي من عالم الخلق بملك من الملائكة وهم من

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٦. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٨٣.

عالم الأمر، والأحاديث الصحيحة مطابقة لذلك، وهي ما روي من الأخبار أنّ لله ملائكة يحرّكون الشمس والقمر عند الطلوع والغروب وكذا القول في سائر الكواكب، وأيضاً قوله سبحانه: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ﴾ إشارة إلى أنّ الملائكة الّذين يقومون بحفظ العرش ثمانية، ثمّ إذا دقّقت النظر قلت إنّ عالم الخلق في تسخير الله، وعالم الأمر في تدبير الله، واستيلاء الروحانيّات على الجسمانيّات بتقدير الله، فلهذا المعنى قال ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾.

ثمّ كون الشمس والقمر والنجوم مسخّرات بأمره يحتمل وجوهاً:

أحدها: أنّا قد دللنا أنّ الأجسام متماثلة، ومتى كان كذلك كان اختصاص جسم الشمس بذلك النور المخصوص والضوء الباهر والتسخين الشديد والتدبيرات العجيبة في العالم العلويّ والسفليّ لا بدّ وأن يكون لأجل أنّ الفاعل الحكيم والمقدّر العليم خصّ ذلك الجسم بهذه الصفات، فجسم كلّ واحد من الكواكب والنيّرات كالمسخّر في قبول تلك القوى والخواصّ عن قدرة المدبر الحكيم.

وثانيها: أن يقال إنّ لكلّ واحد من أجرام الشمس والقمر والكواكب سيراً خاصّاً بطيئاً من المشرق إلى المغرب وسيراً آخر سريعاً بسبب حركة الفلك الأعظم فالحقّ سبحانه خصّ جرم الفلك الأعظم بقوّة زائدة على أجرام سائر الأفلاك باعتبارها صارت مستولية عليها قادرة على تحريكها على سبيل القهر من المشرق إلى المغرب، فأجرام الأفلاك والكواكب صارت كالمسخّرة لهذا القهر والقسر[1].

أقول: ثمّ ذكر وجوهاً أخرى لا طائل تحتها، وفيما نقل عنه أيضاً مخالفات لأصول المسلمين ومناقشات لا يخفى على المتدبّرين.

﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً﴾ قال البيضاويّ: أي ذات ضياء، وهو مصدر كقيام، أو جمع ضوء كسياط وسوط، والياء فيه منقلبة عن الواو، وعن ابن كثير «ضئاء» بهمزتين في كلّ القرآن على القلب بتقديم اللّام على العين ﴿وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ أي ذا نور، أو سمّي نوراً للمبالغة وهو أعمّ من الضوء، وقيل: ما بالذات ضوء وما بالعرض نور، وقد نبّه سبحانه بذلك على أنّه خلق الشمس نيّرة بذاتها والقمر نيّراً بعرض مقابلة الشمس ﴿وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ﴾ الضمير لكلّ واحد أي قدّر مسير كلّ واحد منهما منازل، أو قدّره ذا منازل، أو للقمر، وتخصيصه بالذكر لسرعة سيره ومعاينة منازله وإناطة أحكام الشرع به، ولذلك علّله بقوله ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ أي حساب الأوقات من الأشهر والأيّام في معاملاتكم وتصرّفاتكم ﴿مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ إلّا متلبّساً بالحقّ مراعياً فيه مقتضى الحكمة البالغة ﴿يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ فإنّهم المنتفعون بالتأمّل فيها (انتهى)[2].

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٤ ص ١١٨. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٢١٩.

﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ أي مجيء كلّ منهما خلف الآخر، أو اختلافهما بالزيادة والنقصان المستلزم لحصول الفصول الأربعة ﴿وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي من الكواكب والملائكة والمواليد وأنواع الأرزاق والنعم ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ أي دلالات على وجود الصانع تعالى وعلمه وقدرته وحكمته ولطفه ورحمته ﴿لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾ الشرك والمعاصي، فإنّهم المنتفعون بها. ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي لسكونكم وراحتكم وراحة قواكم من التعب والكلال ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي مضيئاً تبصرون فيه، ونسبة الإبصار إليه على المجاز ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي الحجج سماع تدبّر وتعقّل. ﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾ قال الرازيّ: هذا الكلام اشتمل على نوعين من الدلالة: الأوّل الاستدلال على وجود الصانع القادر بحركات هذه الأجرام، وذلك لأنّ الأجسام متماثلة فاختصاصها بالحركة الدائمة دون السكون لا بدّ له من مخصّص، وأيضاً إنّ كلّ واحد من تلك الحركات مختصّة بكيفيّة معيّنة من البطء والسرعة فلا بدّ أيضاً من مخصّص وأيضاً تقدير تلك الحركات بمقادير مخصوصة على وجه تحصّل عوداتها ودوراتها متساوية بحسب المدّة حالة عجيبة فلا بدّ فيه من مقدّر، وبعض تلك الحركات مشرقيّة وبعضها مغربيّة وبعضها مائلة إلى الشمال وبعضها إلى الجنوب وهذا أيضاً لا يتمّ إلّا بتدبير كامل وحكمة بالغة. والنوع الثاني قوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وفيه قولان الأوّل قال ابن عبّاس: للشمس مائة وثمانون منزلاً كلّ يوم لها منزل وذلك في ستّة أشهر، ثمّ إنّها تعود مرّة أُخرى إلى واحد واحد منها في ستّة أشهر مرّة أُخرى، وكذلك القمر له ثمانية وعشرون منزلاً فالمراد بقوله: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هذا. والثاني كونهما متحرّكين إلى يوم القيامة وعنده تنقطع تلك الحركات(١).

وقال في قوله تعالى ﴿دَآئِبَيْنِ﴾: معنى الدؤوب في اللغة مرور الشيء في العمل على عادة مطّردة. قال المفسّرون: معناه يدأبان في سيرهما وإنارتهما وتأثيرهما في إزالة الظلمة وفي إصلاح النبات والحيوان، فإنّ الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل ولولا الشمس لما حصلت الفصول الأربعة، ولولاها لاختلّت مصالح العالم بالكلّيّة. وقال في قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ﴾: فيه قولان **الأوّل**: أن يكون المراد من الآيتين نفس الليل والنهار والمعنى أنّه تعالى جعلهما دليلين للخلق على مصالح الدين والدنيا، أمّا في الدين فلأنّ كلّ واحد منهما مضادّ للآخر معاند له فكونهما متعاقبين على الدوام من أقوى الدلائل على أنّهما غير موجودين لذاتيهما بل لا بدّ لهما من فاعل يدبّرهما ويقدّرهما بالمقادير المخصوصة، وأمّا في الدنيا فلأنّ مصالح الدنيا لا تتمّ إلّا بالليل والنهار، فلولا الليل لما حصل السكون والراحة، ولولا النهار لما حصل الكسب والتصرّف في وجوه المعاش، ثمّ قال تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ فعلى هذا القول تكون الإضافة للتبيين، والتقدير: فمحونا الآية الّتي هي

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٨ ص ٢٣٣.

الليل وجعلنا الآية الّتي هي النهار مبصرة. **الثاني**: أن يكون المراد وجعلنا نيّري الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل وهي القمر، وفي تفسير محو القمر قولان: الأوّل المراد منه ما يظهر في القمر من الزيادة والنقصان في النور فيبدو في أوّل الأمر في صورة الهلال ثمّ لا يزال يتزايد نوره حتّى يصير بدراً كاملاً ثمّ يأخذ في الانتقاص قليلاً قليلاً وذلك هو المحو إلى أن يعود إلى المحاق، والثاني أنّ المراد من محو القمر الكلف الّذي يظهر في وجهه، يروى أنّ الشمس والقمر كانا سواء في النور والضوء فأرسل الله جبرئيل فأمرّ جناحه على وجه القمر فطمس عنه الضوء، ومعنى المحو في اللغة إذهاب الأثر.

وأقول: حمل المحو على الوجه الأوّل أولى لقوله: ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِن رَّبِّكُمْ﴾ - الآية -، لأنّ المحو إنّما يؤثّر في ابتغاء فضل الله إذا حملناه على زيادة نور القمر ونقصانه، لأنّ بسبب حصول هذه الحالة تختلف أحوال نور القمر وأهل التجارب بيّنوا أنّ اختلاف أحوال القمر في مقادير النور له أثر عظيم في أحوال هذا العالم ومصالحه، مثل أحوال البحار في المدّ والجزر، ومثل أحوال البحرانات على ما يذكره الأطبّاء في كتبهم. وأيضاً بسبب زيادة نور القمر ونقصانه تحصل الشهور، وبسبب معاودة الشهور تحصل السنون العربيّة المبتنية على رؤية الأهلّة كما قال: ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ وأقول أيضاً لو حملنا المحو على الكلف الحاصل في وجه القمر فهو أيضاً برهان قاطع على صحّة قول المسلمين في المبدأ والمعاد، أمّا دلالته على صحّة قولهم في المبدأ فلأنّ جرم القمر جرم بسيط عند الفلاسفة فوجب أن يكون متشابه الصفات، فحصول الأحوال المختلفة الحاصلة بسبب المحو يدلّ على أنّه ليس بسبب الطبيعة بل لأجل أنّ الفاعل المختار خصّص بعض أجزائه بالنور القوي وبعض أجزائه بالنور الضعيف، وذلك يدلّ على أنّ مدبّر العالم فاعل مختار لا موجب بالذات. وآخر ما ذكره الفلاسفة في الاعتذار عنه أنّه ارتكز في وجه القمر أجسام قليلة الضوء مثل ارتكاز الكواكب في أجرام الأفلاك، فلمّا كانت تلك الأجرام أقلّ ضوءاً من جرم القمر لا جرم شوهدت تلك الأجرام في وجه القمر كالكلف في وجه الإنسان. وهذا لا يفيد مقصود الخصم لأنّ جرم القمر لمّا كان متشابه الأجزاء فلم ارتكزت تلك الأجرام الظلمانيّة في بعض أجزاء القمر دون سائر الأجزاء، وبمثل هذا الطريق يتمسّك في أحوال الكواكب وذلك لأنّ الفلك جرم بسيط متشابه الأجزاء فلم يكن حصول جرم الكواكب في بعض جوانبه أولى من حصوله في سائر الجوانب، وذلك يدلّ على أنّ اختصاص ذلك الكوكب بذلك الموضع المعيّن من الفلك لأجل تخصيص الفاعل المختار الحكيم.

وأمّا قوله: ﴿وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ ففيه وجهان: **الأوّل**: أنّ معنى كونها مبصرة أي مضيئة، وذلك لأنّ الإضاءة سبب لحصول الإبصار، فأطلق اسم الإبصار على الإضاءة إطلاقاً لإسم المسبّب على السبب. **والثاني**: قال أبو عبيدة: يقال قد أبصر النهار إذا صار

الناس يبصرون فيه، كقوله «رجل مخبث» إذا كان أصحابه خبثاء، و«رجل مضعف» إذا كان دوابّه ضعافاً، فكذا قوله: ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أي أهله بصراء ﴿لِتَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ أي لتبصروا كيف تتصرّفون في أعمالكم ﴿وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ﴾ إعلم أنّ الحساب يبنى على أربع مراتب: الساعات، والأيّام، والشهور، والسنون. فالعدد للسنين، والحساب لما دون السنين وهي الشهور والأيّام والساعات، وبعد هذه المراتب الأربعة لا يحصل إلّا التكرار كما أنّهم رتّبوا العدد على أربع مراتب: الآحاد، والعشرات، والمئات، والألوف وليس بعدها إلّا التكرار(١).

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا﴾ أي كلّ شيء بكم إليه حاجة في مصالح دينكم ودنياكم فصّلنا وشرحنا. وقال في قوله سبحانه: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ قرأ ابن عامر وحمزة والكسائيّ وأبو بكر عن عاصم «في عين حامية» بالألف من غير همزة أي حارّة. وعن أبي ذرّ قال: كنت رديف رسول الله ﷺ على جمل، فرأى الشمس حين غابت فقال: أتدري يا أبا ذرّ أين تغرب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّها تغرب في عين حامئة وهي قراءة ابن مسعود وطلحة، وأبو عمرو والباقون ﴿حَمِئَةٍ﴾ وهي قراءة ابن عبّاس. واتفق أنّ ابن عبّاس كان عند معاوية فقرأ معاوية «حامية» فقال ابن عبّاس: حمئة، فقال معاوية لعبد الله بن عمر: كيف تقرأ؟ فقال: كما يقرأ أمير المؤمنين، ثمّ وجّه إلى كعب الأحبار وسأله كيف تجد الشمس تغرب؟ قال: في ماء وطين، كذلك نجده في التوراة. والحمئة ما فيه حمأة سوداء. واعلم أنّه لا تنافي بين الحمئة والحامية، فجائز أن يكون الماء جامعاً للوصفين. ثمّ اعلم أنّه ثبت بالدليل أنّ الأرض كرة، وأنّ السماء محيطة بها ولا شكّ أنّ الشمس في الفلك. وأيضاً قال: ﴿وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا﴾ ومعلوم أنّ جلوس القوم في قرن الشمس غير موجود، وأيضاً فالشمس أكبر من الأرض مرّات كثيرة فكيف يعقل دخولها في عين من عيون الأرض؟!

إذا ثبت هذا فنقول: في تأويله وجوه:

الأوّل: أنّ ذا القرنين لمّا بلغ موضعاً ما في المغرب لم يبق بعده شيء من العمارات وجد الشمس كأنّها تغرب في وهدة مظلمة وإن لم يكن كذلك في الحقيقة كما أنّ راكب البحر يرى الشمس كأنّها تغرب في البحر إذا لم ير الشطّ وهي في الحقيقة تغيب وراء البحر، ذكره الجبائيّ.

الثاني: أنّ بالجانب الغربيّ من الأرض مساكن يحيط البحر بها فالناظر إلى الشمس يتخيّل كأنّها تغيب في تلك البحار، ولا شكّ أنّ البحار الغربيّة قويّة السخونة فهي حامية، وهي أيضاً حمئة لكثرة ما فيها من الباه وهي الحمأة السوداء، فقوله: ﴿تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ إشارة إلى أنّ الجانب الغربيّ من الأرض قد أحاط البحر به، وهو موضع شديد السخونة.

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٠ ص ١٦٤.

الثالث : قال أهل الأخبار إنّ الشمس تغرب في عين حمئة كثيرة الماء والحمأة وهذا في غاية البعد، وذلك أنّا إذا رصدنا كسوفاً قمريّاً ورأينا أهل المغرب قالوا حصل هذا الكسوف أوّل الليل، رأينا أهل المشرق قالوا حصل في أوّل النهار فعلمنا أنّ ما هو أوّل الليل عند أهل المغرب فهو أوّل النهار عند أهل المشرق، بل ذلك الوقت الّذي هو أوّل الليل عندنا فهو وقت العصر في بلد ووقت الظهر في بلد آخر ووقت الضحوة في بلد ثالث ووقت طلوع الشمس في بلد رابع ونصف الليل في بلد خامس، وإذا كانت هذه الأحوال معلومة بعد الاستقراء والاختبار وعلمنا أنّ الشمس طالعة ظاهرة في كلّ هذه الأوقات كان الّذي يقال إنّها تغيب في الطين والحمأة كلاماً على خلاف اليقين، وكلام الله مبرّأ عن البهمة فلم يبق إلّا أن يضاف إلى التأويل الّذي ذكرنا، والضمير في قوله : ﴿عِندَهَا﴾ عائد إلى الشمس لأنّ الإنسان لمّا تخيّل أنّ الشمس تغرب هناك فكان سكّان ذلك الموضع كأنّهم سكنوا بالقرب من الشمس، أو عائد إلى العين[١].

وقال في قوله : ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ﴾ أي وجد الشمس تطلع ﴿عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ فيه قولان : الأوّل : أنّه شاطئ بحر لا جبل ولا شيء يمنع من وقوع شعاع الشمس عليهم، فلهذا السبب إذا طلعت الشمس دخلوا في أسراب وأغلّة في الأرض أو غاصوا في الماء فيكون عند طلوع الشمس يتعذّر عليهم التصرّف في المعاش، وعند غروبها يشتغلون بتحصيل مهمّات المعاش، وحالهم بالضدّ من أحوال سائر الخلق.

والقول الثاني : أنّ معناه لا ثياب لهم ويكونون كسائر الحيوانات عراة أبداً وفي كتب الهيئة أنّ حال أكثر الزنج كذلك، وحال كلّ من سكن البلاد القريبة من خطّ الاستواء كذلك، وذكر في كتب التفسير أنّ بعضهم قال : سافرت حتّى جاوزت الصين فسألت عن هؤلاء القوم فقيل : بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة، فبلغتهم وإذا أحدهم يفرش إحدى أذنيه ويلبس الأخرى، فلمّا قرب طلوع الشمس سمعت صوتاً كهيئة الصلصلة فغشي عليّ ثمّ أفقت فلمّا طلعت الشمس إذا هي فوق الماء كهيئة الزيت فأدخلوا في سربالهم، فلمّا ارتفع النهار جعلوا يصطادون السمك ويطرحونه في الشمس فينضج[٢].

﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ﴾ أي كلّ منهما أو مع النجوم بقرينة الجمع في فلك واحد أو كلّ واحد منهما أو منها في فلك على حدة ﴿يَسْبَحُونَ﴾ أي يجرون. قال الرازيّ : لا يجوز أن يقول كلّ في فلك يسبحون إلّا ويدخل في الكلام مع الشمس والقمر النجوم ليثبت معنى الجمع والكلّ. ثمّ قال : الفلك في كلام العرب كلّ شيء دائر، وجمعه أفلاك، واختلف العقلاء فيه فقال بعضهم : الفلك ليس بجسم وإنّما هو مدار هذه النجوم، وهو قول الضحّاك، وقال الأكثرون بل هي أجسام تدور النجوم عليها وهذا أقرب إلى ظاهر القرآن، ثمّ اختلفوا في كيفيّته فقال بعضهم : الفلك موج مكفوف تجري الشمس والقمر والنجوم فيه، وقال الكلبيّ : ماء مكفوف

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ١٦٦. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ١٦٨.

أي مجموع تجري فيه الكواكب، واحتجّ بأنّ السباحة لا تكون إلّا في الماء. قلنا: لا نسلّم، فإنّه يقال للفرس الّذي يمدّ يديه في الجري «سابح» وقال جمهور الفلاسفة وأصحاب الهيئة: إنّها أجرام صلبة لا خفيفة ولا ثقيلة غير قابلة للخرق والالتئام والنموّ والذبول. والحق أنّه لا سبيل إلى معرفة السماوات إلّا بالخبر. واختلف الناس في حركات الكواكب، والوجوه الممكنة فيها ثلاثة: فإنّه إمّا أن يكون الفلك ساكناً والكواكب تتحرّك فيه، كحركة السمكة في الماء الراكد، وإمّا أن يكون الفلك متحرّكاً والكواكب تتحرّك فيه أيضاً، إمّا مخالفاً لجهة حركته أو موافقاً لجهته، إمّا بحركة مساوية لحركة الفلك في السرعة والبطء أو مخالفة، وإمّا أن يكون الفلك متحرّكاً والكواكب ساكنة، أمّا الرأي الأوّل فقالت الفلاسفة إنّه باطل لأنّه يوجب خرق الفلك وهو محال عندهم وأمّا الرأي الثاني فحركة الكواكب إن فرضت مخالفة لحركة الفلك فذاك أيضاً يوجب الخرق، وإن كانت حركتها إلى جهة حركة الفلك فإن كانت مخالفة لها في السرعة والبطء لزم الانخراق وإن استويا في الجهة والسرعة والبطء فالخرق أيضاً لازم لأنّ الكواكب تتحرّك بسبب حركته فتبقى حركته الذاتيّة زائدة فيلزم الخرق فلم يبق إلّا القسم الثالث وهو أن يكون الكوكب مغروزاً في الفلك واقفاً فيه، والفلك يتحرّك، فيتحرّك الكوكب بسبب حركة الفلك. واعلم أنّ مدار هذا الكلام على امتناع الخرق على الأفلاك وهو باطل، بل الحقّ أنّ الأقسام الثلاثة ممكنة والله تعالى قادر على كلّ الممكنات، والّذي يدلّ عليه لفظ القرآن أن تكون الأفلاك واقفة والكواكب تكون جارية فيها كما تسبح السمكة في الماء. واحتجّ «ابن سينا» على أنّ الكواكب أحياء ناطقة بقوله: ﴿يَسْبَحُونَ﴾ فإنّ الجمع بالواو والنون لا يكون إلّا للعقلاء، وبقوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

والجواب: إنّما جعل واو الضمير للعقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة.

فإن قلت: لكلّ واحد من القمرين فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون في فلك؟ قلت: هذا كقوله: «كساهم الأمير حلّة وقلّدهم سيفاً» أي كلّ واحد منهم(١).

﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ قال البيضاويّ: أي ويختصّ به تعاقبهما لا يقدر عليه غيره، فيكون ردّاً لنسبته إلى الشمس حقيقةً أو مجازاً أو لأمره وقضائه تعاقبهما أو انتقاص أحدهما وازدياد الآخر(٢). وفي قوله سبحانه: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالمعاقبة بينهما، أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر، أو بتغيير أحوالهما بالحرّ والبرد والظلمة والنور، أو ما يعمّ ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ فيما تقدّم ذكره ﴿لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ لدلالته على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيّته وتنزّهه على الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة(٣).

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٢ ص ١٦٧. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ١٧٦.

(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٠٥.

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ أقول: للعلماء في تأويل هذه الآية مسالك:

الأوّل: ألم تنظر إلى صنع ربّك كيف بسطه، أو ألم تنظر إلى الظلّ كيف بسطه ربّك فغيّر النظم إشعاراً بأنّ المعقول من هذا الكلام لوضوح برهانه وهو دلالة حدوثه وتصرّفه على الوجه النافع بأسباب ممكنة على أنّ ذلك فعل الصانع الحكيم كالمشاهد المرئيّ فكيف بالمحسوس منه، أو ألم ينته علمك إلى أنّ ربّك كيف مدّ الظلّ وهو فيما بين طلوع الفجر والشمس وهو أطيب الأحوال، فإنّ الظلمة الخالصة تنفّر الطبع وتسدّ النظر وشعاع الشمس يسخن الهواء ويبهر البصر ولذلك وصف به الجنّة فقال ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾. ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي ثابتاً من السكنى، أو غير متقلّص من السكون بأن يجعل الشمس مقيمة على وضع واحد. ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ فإنّه لا يظهر للحسّ حتّى تطلع فيقع ضوؤها على بعض الأجرام إذ لا يوجد ولا يتفاوت إلّا بسبب حركتها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا﴾ أي أزلناه بإيقاع الشعاع موقعه ﴿قَبْضًا يَسِيرًا﴾ أي قليلاً قليلاً حسب ما ترتفع الشمس لتنتظم بذلك مصالح الكون ويتحصّل به ما لا يحصى من منافع الخلق، و﴿ثُمَّ﴾ في الموضعين لتفاضل الأمور، أو لتفاضل مبادئ أوقات ظهورها.

الثاني: أنّ المعنى مدّ الظلّ لما بنى السماء بلا نيّر ودحا الأرض تحتها وألقت عليها ظلّها، ولو شاء لجعله ثابتاً على تلك الحال، ثمّ خلق الشمس عليه دليلاً أي مسلّطاً عليهم مستتبعاً إيّاه كما يستتبع الدليل المدلول، أو دليل الطريق من يهديه يتفاوت بحركتها ويتحوّل بتحوّلها ﴿ثُمَّ قَبَضْنَاهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا﴾ شيئاً فشيئاً إلى أن ينتهي نقصانه، أو قبضاً سهلاً عند قيام الساعة بقبض أسبابه من الأجرام المظلّة والمظلّ عليها. وهذان الوجهان ذكرهما البيضاوي(١) وغيره من المفسّرين.

الثالث: أن يكون المراد بالظلّ الروح كما يطلق عالم الظلال على عالم الأرواح لأنّها تابعة للبدن كالظلّ، أو لكونها أجساماً لطيفة، أو لتجرّدها إن قيل به ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ بعدم تعلّقها بالأجساد، والمراد بالشمس شمس عالم الوجود وهو الربّ تعالى لأنّه دليل الممكنات إلى الوجود وسائر الكمالات، وقبضه عبارة عن قبض الروح شيئاً فشيئاً إلى أن يموت الشخص، وفي قوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ﴾ نوع التفاوت.

الرابع: أن يراد بالظلّ الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فإنّهم ظلاله سبحانه لكونهم تابعين لإرادته متخلّقين بأخلاقه، وكونهم ظلال رحمته على عباده ﴿وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا﴾ أي لم يبعثهم إلى الخلق ﴿ثُمَّ جَعَلْنَا الشَّمْسَ﴾ أي شمس الوجود ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ أي لهم دليلاً، هادياً لهم إلى كمالاتهم، وقبضه جذبهم إلى عالم القدس.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٣١.

الخامس: أن يكون المراد بالظلال الأعيان الثابتة والحقائق الإمكانية على مذاق الصوفيّة، ومدّها عبارة عن الفيض الأقدس بزعمهم، أي جعل الماهيّات ماهيّات، والشمس عبارة عن الفيض المقدّس وهو إفاضة الوجود، والقبض اليسير بزعمهم إشارة إلى تجدّد الأمثال وإعدام كلّ شيء وإيجاده في كلّ آن، وبه أوّلوا قوله سبحانه: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ أيضاً، وربما يحمل الظلّ على عالم المثال كما هو ذوق المتألّهين من الحكماء، وهذه احتمالات في هذه الآية الّتي هي من المتشابهات وما يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم. وفسّر عليّ بن إبراهيم الظلّ بما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.

﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله أي غطاء ساتراً للأشياء بالظلام كاللباس الّذي يشتمل على لابسه، فالله سبحانه ألبسنا الليل وغشانا به لنسكن فيه ونستريح من كدّ الأعمال ﴿وَالنَّوْمَ سُبَاتًا﴾ أي راحة لأبدانكم وقطعاً لأعمالكم، قال الزجّاج: السبات أن ينقطع عن الحركة والروح في بدنه ﴿وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا﴾ لانتشار الروح باليقظة فيه، مأخوذ من نشور البعث، وقيل: لأنّ الناس ينتشرون فيه لطلب حوائجهم ومعايشهم، فالنشور بمعنى التفرّق لابتغاء الرزق عن ابن عبّاس[1].

﴿تَبَارَكَ﴾ تفاعل من البركة، معناه: عظمت بركاته وكثرت عن ابن عبّاس والبركة: الكثرة من الخير، وقيل: معناه تقدّس وجلّ بما لم يزل عليه من الصفات ولا يزال كذلك فلا يشاركه فيها غيره، وأصله من بروك الطير فكأنّه قال: ثبت ودام فيما لم يزل ولا يزال، عن جماعة من المفسّرين. وقيل: معناه قام بكلّ بركة وجاء بكلّ بركة. ﴿الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا﴾ يريد منازل النجوم السبعة السيّارة، وهي: الحمل، والثور، والجوزاء، والسرطان، والأسد، والسنبلة، والميزان، والعقرب، والقوس، والجدي، والدلو، والحوت. وقيل: هي النجوم الكبار، وسمّيت بروجاً لظهورها. ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا﴾ أي وخلق في السماء شمساً، ومن قرأ «سرجاً» أراد الشمس والكواكب معها ﴿وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾ أي مضيئاً بالليل إذا لم تكن شمس ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً﴾ أي يخلف كل واحد منهما صاحبه فيما يحتاج أن يعمل فيه، فمن فاته عمل الليل استدركه بالنهار، ومن فاته عمل النهار استدركه بالليل، وهو قوله ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يقضي صلاة الليل بالنهار. وقيل: معناه أنّه جعل كلّ واحد منهما مخالفاً لصاحبه، فجعل أحدهما أسود والآخر أبيض ﴿لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ أي يتفكر ويستدلّ بذلك على أنّ لهما مدبّراً ومصرّفاً لا يشبههما ولا يشبهانه فيوجّه العبادة إليه ﴿أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ أي أراد شكر نعمة ربّه عليه فيهما، وعلى القول الأوّل فمعناه: أراد النافلة بعد أداء الفريضة[2].

﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قال البيضاويّ: بالنجوم وعلامات الأرض،

---

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٠١.

(٢) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣١٠.

والظلمات ظلمات الليالي، والإضافة إلى البرّ والبحر للملابسة أو مشتبهات الطرق، يقال «طريقة ظلماء وعمياء» للّتي لا منار بها[١].

﴿لِيَسْكُنُوا فِيهِ﴾ بالنوم والقرار ﴿وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ أصله ليبصروا فيه فبولغ فيه بجعل الإبصار حالاً من أحواله المجعول عليها بحيث لا ينفكّ عنها[٢].

﴿سَرْمَدًا﴾ أي دائماً، من السرد وهو المتابعة، والميم مزيدة كميم «دلامص» ﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكان الشمس تحت الأرض أو تحريكها حول الأفق الغائر ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ كان حقّه هل إله فذكر بمن على زعمهم أنّ غيره آلهة ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماع تدبّر واستبصار. ﴿إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا﴾ بإسكانها في وسط السماء أو تحريكها على مدار فوق الأفق ﴿بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ استراحة من متاعب الأشغال، ولعلّه لم يصف الضياء بما يقابله لأنّ الضوء نعمة في ذاته مقصود بنفسه ولا كذلك الليل، ولأنّ منافع الضوء أكثر ممّا يقابله، ولذلك قرن به ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ وبالليل ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأنّ استفادة العقل من السمع أكثر من استفادته من البصر ﴿لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾ أي في الليل ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ أي بالنهار بأنواع المكاسب ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ أي ولكي تعرفوا نعمة الله في ذلك فتشكروه عليها. ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ المسؤول عنهم أهل مكّة ﴿لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لما تقرّر في العقول من وجوب انتهاء الممكنات إلى واحد واجب الوجود[٣].

﴿وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ﴾ منامكم في الزّمانين لاستراحة القوى النفسانيّة وتقوّي القوى الطبيعيّة وطلب معاشكم فيهما، أو منامكم بالليل وابتغاؤكم بالنهار، فلفّ وضمّ بين الزّمانين والفعلين بعاطفين إشعاراً بأنّ كلّاً من الزّمانين وإن اختصّ بأحدهما فهو صالح للآخر عند الحاجة ويؤيّده سائر الآيات الواردة فيه[٤] ﴿كُلٌّ يَجْرِي﴾ أي كلّ من النيّرين يجري في فلكه ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أي إلى منتهى معلوم، الشمس إلى آخر السنة، والقمر إلى آخر الشهور، وقيل: إلى يوم القيامة[٥].

وقال في قوله ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مدّة دوره أو منتهاه أو يوم القيامة[٦]. ﴿نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ﴾ أي نزيله ونكشفه عن مكانه، مستعار من سلخ الجلد ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾ أي داخلون في الظلام[٧].

أقول: وفي الكافي عن الباقر عليه السلام: يعني قبض محمّد صلى الله عليه وآله وظهرت الظلمة فلم يبصروا فضل أهل بيته. وهو من بطون الآية[٨].

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٨٦.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٩١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣١٣.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٤٣.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٦١.
(٦) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٢١.
(٧) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٣٧.
(٨) روضة الكافي، ح ٣٨٠.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ أي لحدّ معيّن ينتهي إليه دورها، فشبّه بمستقرّ المسافر إذا قطع مسيره، أو لكبد السماء فإنّ حركتها فيه توجد إبطاء، بل ورد في الرواية أنّ لها هناك ركوداً، أو لاستقرار لها على نهج مخصوص، أو لمنتهى مقدّر لكلّ يوم من المشارق والمغارب فإنّ لها في دورها ثلاثمائة وستّين مشرقاً ومغرباً يطلع كلّ يوم من مطلع ويغرب في مغرب ثمّ لا تعود إليهما إلى العام القابل، أو لمنقطع جريها عند خراب العالم. قال الطبرسيّ: رُوي عن السجّاد والباقر والصادق عليهم السلام وابن عبّاس وابن مسعود وعكرمة وعطاء «ولا مستقر لها» بنصب الراء ﴿ذَٰلِكَ﴾ الجري على هذا التقدير المتضمّن للحكم الّتي تكلّ الفطن عن إحصائها ﴿تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ﴾ الغالب بقدرته على كلّ مقدور ﴿الْعَلِيمِ﴾ المحيط علمه بكلّ معلوم.

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ أي قدّرنا مسيره منازل، أو سيره في منازل، وهي ثمانية وعشرون: الشَرَطين والبُطَين، والثُريّا، والدَبَران، والهَقعَة، والهَنعَة، والذِراع، والنَثرة، والطرف، والجَبهة، والزُبرة، والصَرفة، والعَوّاء، والسماك، والغَفر، والزُّباني، والإكليل، والقلب، والشَولة، والنعائم، والبَلدة، وسعد الذابح، وسعد بُلَع، وسعد السعود، وسعد الأخبية، وفرع الدلو المقدّم، وفرع الدلو المؤخّر، والرشاء وهو بطن الحوت، ينزل كلّ ليلة في واحدة منها، فإذا كان في آخر منازله وهو الّذي يكون فيه قبل الاجتماع دقّ واستقوس ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ﴾ أي كالشمراخ المعوجّ ﴿الْقَدِيمِ﴾ العتيق. وعن الرضا عليه السلام أنّه يصير كذلك ستّة أشهر، وسيأتي مزيد تحقيق لذلك في باب السنين والشهور إن شاء الله.

﴿لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا﴾ أي يصحّ ويتسهّل لها ﴿أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ﴾ في سرعة سيره، فإنّ ذلك يخلّ بتكوّن النبات وتعيّش الحيوان، أو في آثاره ومنافعه، أو مكانه بالنزول إلى محلّه وسلطانه فيطمس نوره ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾ بأن يسبقه فيفوته ولكن يعاقبه، وقيل: المراد بهما آيتاهما وهما نيّران وبالسبق سبق القمر إلى سلطان الشمس فيكون عكساً للأوّل، وقد مرّ عن الرضا عليه السلام برواية العيّاشي أنّ المراد به أنّ النهار خلق قبل الليل، وسيأتي ما يشعر بذلك أيضاً. ﴿وَكُلٌّ﴾ أي كلّهم، والتنوين عوض المضاف إليه، والضمير للشموس والأقمار فإنّ اختلاف الأحوال يوجب تعدّداً ما في الذات، أو إلى الكواكب فإنّ ذكرهما مشعر بها[1]، وقد مرّ معنى السباحة.

﴿وَرَبُّ الْمَشَارِقِ﴾ قال البيضاويّ: أي مشارق الكواكب، أو مشارق الشمس في السنة، وهي ثلاثمائة وستّون تشرق كلّ يوم في واحد وبحسبها تختلف المغارب، ولذلك اكتفى بذكرها مع أنّ الشروق أدلّ على القدرة وأبلغ في النعمة، وما قيل إنّها مائة وثمانون إنّما يصحّ لو لم تختلف أوقات الانتقال[2] ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ أي يغشي

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٣٨. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٥٠.

كلّ واحد منهما الآخر كأنّه يلفّ عليه لفّ اللباس باللابس، أو يغيّبه به كما يغيّب الملفوف باللفافة أو يجعله كارّاً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة ﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادر على كلّ ممكن الغالب على كلّ شيء ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ حيث لم يعاجل بالعقوبة وسلب ما في هذه الصنائع من الرحمة وعموم المنفعة(١).

﴿لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ﴾ أي لتستريحوا فيه بأن خلقه بارداً مظلماً ليؤدّي إلى ضعف المحرّكات وهدوء الحواسّ ﴿وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا﴾ يبصر فيه أو به، وإسناد الإبصار إليه مجاز ومبالغة، ولذلك عدل به عن التعليل إلى الحال(٢).

﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله وإن كان فيهما منافع كثيرة لأنّهما ليسا بخالقين ﴿وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ﴾ وتأنيث الضمير لأنّ غير ما يعقل يجمع على لفظ التأنيث، ولأنّه في معنى الآيات ﴿إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ أي إن كنتم تقصدون بعبادتكم الله كما تزعمون فاسجدوا لله دون غيره(٣).

﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ﴾ أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها وهما يدلّان على عدد الشهور والسنين والأوقات عن ابن عبّاس وغيره، فأضمر يجريان وحذفه لدلالة الكلام عليه. وتحقيق معناه أنّهما يجريان على وتيرة واحدة وحساب بيّن متفّق على الدوام لا يقع فيه تفاوت، فالشمس تقطع بروج الفلك في ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً وشيء والقمر في ثمانية وعشرين يوماً فيجريان أبداً على هذا الوجه، وإنّما خصّهما بالذكر لما فيهما من المنافع الكثيرة للنّاس من النور والضياء ومعرفة الليل والنهار ونضج الثمار إلى غير ذلك، فذكرهما لبيان النعمة بهما على الخلق(٤).

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ أي مشرق الشتاء والصيف ومغربيهما، وقيل مشرقي الشمس والقمر ومغربيهما(٥).

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا﴾ قيل: فيه وجوه: أحدها: أنّ المعنى: وجعل القمر نوراً في السماوات والأرض عن ابن عبّاس، قال: يضيء ظهره لما يليه من السماوات ويضيء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس. وثانيها: أنّ معنى ﴿فِيهِنَّ﴾ معهنّ، يعني: وجعل القمر معهنّ أي مع خلق السماوات نوراً لأهل الأرض. وثالثها: أنّ معنى ﴿فِيهِنَّ﴾ في حيّزهنّ، وإن كان في واحدة منها كما تقول «إنّ في هذه الدور لبئراً» وإن كانت في واحدة منها، لأنّ ما كان في إحداهنّ كان فيهنّ، وكما تقول «أتيت بني تميم» وإنّما أتيت بعضهم(٦).

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٧.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٦٤.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٥.
(٤) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٣٠.
(٥) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٣٥.
(٦) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٣٦.

﴿وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا﴾ أي مصباحاً تضيء لأهل الأرض، فهي سراج العالم كما أنّ المصباح سراج الإنسان. وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿كَلَّا﴾ أي حقّاً، وقيل: معناه ليس الأمر على ما يتوهّمونه ﴿وَٱلْقَمَرِ﴾ أقسم بالقمر لما فيه من الآيات العجيبة في طلوعه وغروبه ومسيره وزيادته ونقصانه ﴿وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ﴾ قرأ نافع وحمزة وحفص ويعقوب وخلف «إذ» بغير ألف ﴿أَدْبَرَ﴾ بالألف، والباقون (إذا) بالألف «دبر» بغير الألف، فعلى الأوّل أقسم بالليل إذا ولّى وذهب، يقال دبر وأدبر عن قتادة، وقيل: دبر إذا جاء بعد غيره وأدبر إذا ولّى مدبراً، فعلى هذا يكون المعنى في «والليل إذا دبر» إذا جاء الليل في أثر النهار، وفي «إذ أدبر» إذا ولّى الليل فجاء الصبح عقيبه، وعلى القول الأوّل فيهما لغتان معناهما ولّى وانقضى ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ﴾ أي أضاء وأنار، وقيل: معناه إذا كشف الظلام وأضاء الأشخاص، وقال قوم: التقدير في هذه الأقسام «وربّ هذه الأشياء» لأنّ اليمين لا يكون إلّا بالله تعالى. ﴿إِنَّهَا﴾ أي السقر الّتي هي النور ﴿لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ﴾ أي لإحدى العظائم «والكبر» جمع الكبرى(١).

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أي راحة ودعة لأجسادكم، أو قطعاً لأعمالكم وتصرّفكم إذ ليس بموت على الحقيقة ولا مخرجاً عن الحياة والإدراك ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ أي غطاء وسترة يستر كلّ شيء بظلمته وسواده ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ أي مطلب معاش ومبتغاه، أو وقت معاشكم لتتصرّفوا في معايشكم ﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا﴾ أي سبع سماوات ﴿شِدَادًا﴾ محكمة أحكمنا صنعها وأوثقنا بناءها ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾ يعني الشمس جعلها سبحانه سراجاً للعالم وقّاداً متلألئاً بالنور يستضيئون به، قال مقاتل: جعل فيه نوراً وحرّاً، والوهج مجمع النور والحرّ(٢).

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ أي ذهب ضوؤها ونورها فأظلمت واضمحلّت عن ابن عبّاس وغيره، وقيل: ألقيت ورمي بها، وقيل: جمع ضوؤها ولفّت كما تلفّ العمامة.

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾ أي تساقطت وتناثرت يقال: انكدر الطائر من الهواء إذا انقضّ، وقيل: تغيّرت، والأوّل أولى لقوله ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾(٣).

﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ أي إذا أدبر بظلامه عن عليّ عليه السلام، وقيل: أقبل بظلامه وقيل: أظلم. ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ أي إذا أسفر وأضاء، والمعنى: امتدّ ضوؤه حتّى يصير نهاراً(٤).

﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ أقسم سبحانه بفجر النهار وهو انفجار الصبح كلّ يوم، وقيل: فجر ذي الحجّة، وقيل: فجر أوّل المحرّم، وقيل: فجر يوم النحر، وقيل: أراد بالفجر النهار ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ يعني العشر من ذي الحجّة، وقيل: العشر الأواخر من شهر رمضان، وقيل: عشر موسى للثلاثين ليلة الّتي أتمّها الله بها ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾ أراد جنس الليالي، أقسم بالليل إذا مضى

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٧٦.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٤١.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٧٦.
(٤) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٠.

بظلامه، وقيل: إنّما أضاف اليسر إليه لأنّ الليل يسير بمسير الشمس في الفلك وانتقالها من أفق إلى أفق، وقيل: إذا يسر: إذا جاء وأقبل إلينا ويريد كلّ ليلة، وقيل: إنّها ليلة المزدلفة وفيها يسري الحاج من عرفة إليها ويغدي منها إلى منى وأصل ﴿يَسْرِ﴾ يسري، حذفت الياء اكتفاءً بالكسرة تخفيفاً ولرعاية الفواصل(١).

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا﴾ أقسم سبحانه بالشمس لكثرة الانتفاع بها وبضحاها وهو امتداد ضوئها وانبساطه، وقيل: هو النهار كلّه، وقيل: حرّها ﴿وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا﴾ أي تبعها فأخذ من ضوئها وسار خلفها، قالوا: وذلك في النصف الأوّل من الشهر إذا غربت الشمس تلاها القمر في الإضاءة وخلفها في النور، وقيل: تلاها ليلة الهلال وهي أوّل ليلة من الشهر، وقيل: في الخامس عشر، وقيل: في الشهر كلّه فهو في النصف الأوّل يتلوها وتكون أمامه وهو وراءها وفي النصف الأخير يتلو غروبها بالطلوع ﴿وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا﴾ أي جلّى الظلمة وكشفها، أو أبرز الشمس وأظهرها ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾ أي يغشى الشمس حتّى تغيب فتظلم الآفاق ويلبسها سواده(٢).

أقول: وقد مرّ تأويلها في الأخبار بأنّ الشمس رسول الله ﷺ به أوضح الله للناس دينهم، والقمر أمير المؤمنين عليه السلام تلا رسول الله ﷺ ونفثه بالعلم نفثاً، والليل أئمّة الجور الّذين استبدّوا بالأمر دون آل الرسول وجلسوا مجلساً كان آل الرسول أولى به منهم فغشوا دين الله بالظلم والجور، والنهار الإمام من ذرّيّة فاطمة عليها السلام يسأل عن دين الله فيجلّيه لمن سأله، وقد مرّ شرحها وبيانها.

﴿وَالضُّحَىٰ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله أقسم سبحانه بضوء النهار كلّه من قولهم «ضحى فلان للشمس» إذا ظهر لها، ويدلّ عليه قوله سبحانه في مقابلته ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ أي سكن واستقرّ ظلامه، وقيل: المراد بالضحى أوّل ساعة من النهار، وقيل: صدر النهار وهي الساعة الّتي فيها ارتفاع الشمس واعتدال النهار في الحرّ والبرد والشتاء والصيف، وقيل: معناه وربّ الضحى وربّ الليل إذا سجى، وقيل: إذا سجى: إذا غطى بالظلمة كلّ شيء، وقيل: إذا أقبل ظلامه(٣).

﴿بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ أي بربّ الصبح وخالقه ومدبّره ومطلعه متى شاء على ما يرى من الصلاح فيه ﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾ من الجنّ والإنس وسائر الحيوانات، وإنّما سمّي الصبح «فلقاً» لانفلاق عموده بالضياء عن الظلام، وقيل: الفلق المواليد، وجبّ في جهنّم ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾ أي ومن شرّ الليل إذا دخل بظلامه، فالمراد من شرّ ما يحدث في الليل من الشرّ والمكروه وإنّما خصّ لأنّ الفسّاق يقدمون على الفساد بالليل، وكذلك الهوامّ والسباع تؤذي فيه أكثر(٤).

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٤٧.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٦٩.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٨١.
(٤) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٤٩٣.

١ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم وعدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد جميعاً، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي الصباح الكنانيّ، عن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ للشمس ثلاثمائة وستّين برجاً، كلّ برج منها مثل جزيرة من جزائر العرب فتنزل كلّ يوم على برج منها فإذا غابت انتهت إلى حدّ بطنان العرش، فلم تزل ساجدة إلى الغد، ثمّ تردّ إلى موضع مطلعها ومعها ملكان يهتفان معها، وإنّ وجهها لأهل السماء وقفاها لأهل الأرض، ولو كان وجهها لأهل الأرض لأحرقت الأرض ومن عليها من شدّة حرّها. ومعنى سجودها ما قال سبحانه وتعالى ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾[1].

توضيح: «ثلاثمائة وستّين برجاً» لعلّ المراد بالبرج الدرجات الّتي تنتقل إليها بحركاتها الخاصّة، أو المدارات الّتي تنتقل إلى واحد منها كلّ يوم فيكون هذا العدد مبنيّاً على ما هو الشائع بين الناس من تقدير السنة به وإن لم يكن مطابقاً لشيء من حركتي الشمس والقمر. «مثل جزيرة من جزائر العرب» أي نسبتها إلى الفلك نسبة جزيرة من الجزائر إلى الأرض، أو الغرض التشبيه في أصل العظمة لا خصوص المقدار، والمقصود بيان سرعة حركتها وإن كانت بطيئة بالنسبة إلى الحركة اليوميّة. قال الفيروزآباديّ: جزيرة العرب ما أحاط به بحر الهند وبحر الشام ثمّ دجلة والفرات، أو ما بين عدن أبين إلى أطراف الشام طولاً ومن جدّة إلى ريف العراق عرضاً. «فإذا غابت» أي بالحركة اليوميّة «إلى حدّ بطنان العرش» أي وسطه، ولعلّ المراد وصولها إلى دائرة نصف النهار من تحت الأرض فإنّها بحذاء أوساط العرش بالنسبة إلى أكثر المعمورة، إذ ورد في الأخبار أنّ العرش محاذ للكعبة «فلم تزل ساجدة» أي مطيعة خاضعة منقادة جارية بأمره تعالى «حتى تردّ إلى مطلعها» والمراد بمطلعها ما قدّر أن تطلع منه في هذا اليوم، أو ما طلعت فيه في السنة السابقة في مثله. وقوله «ومعنى سجودها» يحتمل أن تكون من تتمّة الخبر لبيان أنّه ليس المراد بالسجود ما هو المصطلح، ولعلّ الأظهر أنّه من كلام الكلينيّ أو غيره من الرواة، وسيأتي تفسير الآية في محلّه.

٢ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن عيسى وأحمد بن محمّد بن خالد جميعاً عن الحسن بن محبوب، عن إبراهيم بن مهزم، عن رجل، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الشمس تطلع ومعها أربعة أملاك: ملك ينادي «يا صاحب الخير أتمّ وأبشر» وملك ينادي «يا صاحب الشرّ إنزع وأقصر» وملك ينادي «أعط منفقاً خلفاً وآت ممسكاً تلفاً» وملك ينضحها بالماء، ولولا ذلك اشتعلت الأرض[2].

بيان: يحتمل أن يكون النضح بالماء كناية عن بثّ الأجزاء المائيّة في الهواء بسبب

---

(١) روضة الكافي، ح ١٤٨، الآية من سورة الحج رقم ١٨.
(٢) الكافي، ج ٤ ص ٣١٩ باب ٣٥ ح ١.

الأنهار والبحار والآبار وغيرها، فإنّه لولاها لكان تأثير الحرارة في الهواء والأرض والأبدان والأشجار والنباتات أكثر. وأقول: قال السيّد الداماد في بعض زبره: فيما نقله رهط من المفسّرين عن ابن عبّاس ممّا استفاد عن أمير المؤمنين عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ أنّ للشمس مائة وثمانين منزلاً في مائة وثمانين يوماً ثمّ إنّها تعود مرّة أخرى إلى واحد واحد منها في أمثال تلك الأيّام ومجموع تلك الأيّام سنة، وقال علّامتهم المفسّر الأعرج النيسابوريّ في تفسيره: إن صحّ هذا عنه فلعلّه أراد تصاعدها على دائرة نصف النهار وتنازلها منها في أيّام السنة، أو أراد نزولها في فلكها الخارج المركز من الأوج إلى الحضيض ثمّ صعودها من الحضيض إلى الأوج، فإنّ لها بحسب كلّ جزء من تلك الأجزاء في كلّ يوم من تلك الأيّام تعديلاً خاصّاً زائداً أو ناقصاً، ونحن نقول: ذلك تجشّم وتكلّف بل أراد بمنازلها في أيّام السنة مداراتها اليوميّة بحسب أجزاء مدارها الّذي عليه طول السنة بحركتها الخاصّة، فإنّ ذلك المدار في سطح منطقة البروج مقاطعاً لمنطقة معدّل النهار على نقطتي الاعتدالين، وكلّ جزئين من أجزائه شماليّين أو جنوبيّين هما متساوياً البعد عن إحدى نقطتي الانقلابين، وبعد أحدهما عن إحدى نقطتي الاعتدالين كبعد الآخر عن الأخرى، فإنّهما متّحدان في المدار اليوميّ فالشمس بحسب كونها في أجزاء مدارها بحركتها الخاصّة تعود بالحركة الشرقيّة في الربع الصيفيّ من أرباع السنة إلى مداراتها اليوميّة الربيعيّة، وفي الربع الشتويّ إلى مداراتها اليوميّة الخريفيّة، ففي النصف الشتويّ والربيعيّ من السنة تعود إلى مداراتها الخريفيّة والصيفيّة، وفي النصف الصيفيّ والخريفيّ إلى مداراتها الربيعيّة والشتويّة فاحفظ بذلك فإنّه من بدائع الصنائع الإلهية.

٣ - **التوحيد والمجالس: للصدوق:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن محمّد ابن جعفر الأسديّ، عن موسى بن عمران النخعيّ، عن النوفلي، عن السكونيّ، عن أبي نعيم البلخيّ، عن مقاتل بن حيّان، عن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبي ذرّ الغفاريّ، قال: كنت آخذاً بيد النبيّ صلى الله عليه وآله ونحن نتماشى جميعاً، فما زلنا ننظر إلى الشمس حتّى غابت، فقلت: يا رسول الله أين تغيب؟ قال: في السماء ثمّ ترفع من سماء إلى سماء حتّى ترفع إلى السماء السابعة العليا حتّى تكون تحت العرش، فتخرّ ساجدة فتسجد معها الملائكة الموكّلون بها، ثمّ تقول: يا ربّ من أين تأمرني أن أطلع أمن مغربي أم من مطلعي؟ فذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[1] يعني بذلك صنع الربّ العزيز في ملكه بخلقه. قال: فيأتيها جبرئيل بحلّة ضوء من نور العرش على مقادير ساعات النهار في طوله في الصيف أو قصره في الشتاء أو ما بين ذلك في الخريف والربيع، قال: فتلبس تلك الحلّة كما يلبس أحدكم ثيابه. ثمّ تنطلق بها في جوّ السماء حتّى تطلع من مطلعها. قال

---

(١) سورة يس، الآية: ٣٨.

النبيّ ﷺ فكأنّي بها قد حبست مقدار ثلاث ليال ثمّ لا تكسى ضوءاً وتؤمر أن تطلع من مغربها، فذلك قوله عزّوجلّ : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ والقمر كذلك من مطلعه ومجراه في أفق السماء ومغربه وارتفاعه إلى السماء السابعة ويسجد تحت العرش، وجبرئيل يأتيه بالحلّة من نور الكرسيّ، فذلك قوله عزّوجلّ : ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمۡسَ ضِيَآءً وَٱلۡقَمَرَ نُورًا﴾(١) قال أبو ذرّ رحمه الله ثمّ اعتزلت مع رسول الله ﷺ فصلّينا المغرب(٢).

بيان: قد يحمل أكثر ما ورد في الخبر على الاستعارة التمثيليّة والمجاز الشائع في كلام العرب والله يعلم حقائق الأمور.

٤ - **تفسير عليّ بن إبراهيم**، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن يسار، عن معروف بن خرّبوذ، عن الحكم بن المستنير، عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: إنّ من الآيات الّتي قدّرها الله للناس ممّا يحتاجون إليه البحر الّذي خلقه الله بين السماء والأرض، قال: وإنّ الله قدّر فيه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، ثمّ قدّر ذلك كلّه على الفلك، ثمّ وكّل بالفلك ملكاً معه سبعون ألف ملك، فهم يديرون الفلك فإذا أداروه دارت الشمس والقمر والنجوم والكواكب معه، فنزلت في منازلها الّتي قدّرها الله فيها ليومها وليلتها وإذا كثرت ذنوب العباد وأراد الله أن يستعتبهم بآية من آياته أمر الملك الموكّل بالفلك أن يزيل الفلك الّذي عليه مجاري الشمس والقمر والنجوم والكواكب، فيأمر الملك أولئك السبعين الألف الملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه، قال: فيزيلونه فتصير الشمس في ذلك البحر الّذي يجري الفلك فيه، فيطمس ضوءها ويغيّر لونها، فإذا أراد الله أن يعظم الآية طمست الشمس في البحر على ما يحبّ الله أن يخوّف خلقه بالآية، فذلك عند شدّة انكساف الشمس، وكذلك يفعل بالقمر، فإذا أراد الله أن يخرجهما ويردّهما إلى مجراهما أمر الملك الموكّل بالفلك أن يردّ الشمس إلى مجراها فيردّ الملك الفلك إلى مجراه فتخرج من الماء وهي كدرة، والقمر مثل ذلك.

ثمّ قال عليّ بن الحسين عليه السلام : أما إنّه لا يفزع لهما ولا يرهب إلّا من كان من شيعتنا، فإذا كان ذلك فافزعوا إلى الله وراجعوه قال: وقال أمير المؤمنين عليه السلام : الأرض مسيرة خمسمائة عام، الخراب منها مسيرة أربعمائة عام والعمران منها مسيرة مائة عام والشمس ستّون فرسخاً في ستّين فرسخاً، والقمر أربعون فرسخاً في أربعين فرسخاً بطونهما يضيئان لأهل السماء وظهورهما لأهل الأرض، والكواكب كأعظم جبل على الأرض، وخلق الشمس قبل القمر.

وقال سلام بن المستنير: قلت لأبي جعفر عليه السلام لمَ صارت الشمس أحرّ من القمر؟ قال:

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥.

(٢) التوحيد، ص ٢٨٠ باب ٣٨ ح ٧، أمالي الصدوق، ص ٣٧٤ مجلس ٧١ ح ١.

إنّ الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتّى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن هنالك صارت أحرّ من القمر. قلت: فالقمر؟ قال: إنّ الله خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا حتّى إذا صارت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء، فمن هنالك صار القمر أبرد من الشمس(١).

الكافي: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن عبد الله بن سنان، عن معروف بن خرّبوذ، عن الحكم بن المستورد عن عليّ بن الحسين عليه السلام مثله - إلى قوله - فإذا كان كذلك فافزعوا إلى الله عزّ وجلّ ثمّ ارجعوا إليه(٢).

الفقيه: عنه عليه السلام مرسلاً مثله. «ج ١ ح ١٥٠٧».

توضيح: «إنّ من الآيات» كذا في الفقيه وبعض نسخ التفسير، وفي بعضها «الأوقات» والأوّل أصوب، وفي الكافي «من الأقوات» أي أسبابها «قدّر فيه» أي في البحر أي عليه، ومحاذياً له، أو جعله بحيث يمكن أن يجري الكواكب فيه عند الحاجة، وفي الكتابين «فيها» فالمراد أيضاً البحر بتأويل الآية، ويمكن إرجاعه إلى الآيات أو إلى السماء، «وقدّر ذلك» أي الجريان «كلّه على الفلك» أي الفلك الأعظم أو فلك الكوكب والأوّل أظهر، وفي الفقيه هكذا «أمر الملك الموكّل بالفلك أن يزيل الفلك عن مجاريه قال فيأمر الملك السبعين الألف الملك أن أزيلوا الفلك - إلى قوله - في ذلك البحر الّذي كان فيه الفلك» وفيهما «فإذا أراد الله أن يجلّيها ويردّها إلى مجراها أمر الملك الموكّل بالفلك أن يردّ الفلك إلى مجراه فيردّ الفلك وترجع الشمس إلى مجراها قال فتخرج» وفي الفقيه «أما إنّه لا يفزع للآيتين ولا يرهب إلّا من كان من شيعتنا». قوله عليه السلام: «أن يستعتبهم» أي يطلب عتباهم ورجوعهم أو يحملهم على ما يوجب الرضا، وفي القاموس: العتب: الموجدة والغضب، والعتبى: الرضا، واستعتبه: أعطاه العتبى كأعتبه، وطلب إليه العتبى ضدّ. ﴿وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ﴾(٣) أي إن يستقيلوا ربّهم لم يقلهم، أي لم يردّهم إلى الدنيا. قوله «فيطمس ضوءها» أي بعض ضوئها، قوله «طمست الشمس» أي كلّها أو أكثرها بحسب ما يراه في تأديبهم من المصلحة. قوله عليه السلام: «وهي كدرة» أي بعدما كانت كدرة، أو تبقى فيها كدورة قليلة بعد الخروج أيضاً في زمان قليل قوله عليه السلام: «إلّا من كان من شيعتنا» لأنّهم يؤمنون بهذا، وأمّا أكثر الخلق الّذين يسندونهما إلى حركات الأفلاك فلا يرهبون لهما.

تفصيل كلام لرفع أوهام: إعلم أنّ الفلاسفة ذهبوا إلى أنّ جرم القمر مظلم كثيف صقيل يقبل من الشمس الضوء لكثافته وينعكس عنه لصقالته، فيكون أبداً المضيء من جرمه الكريّ أكثر من النصف بقليل، لكون جرمه أصغر من جرم الشمس، وقد ثبت في الأصول أنّه إذا قبل

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٧ في تفسيره لسورة الإسراء.

(٢) روضة الكافي، ح ٤١.

(٣) سورة فصلت، الآية: ٢٤.

الضوء كرة صغرى من كرة أعظم منها كان المضيء من الصغرى أعظم من نصفها، وتفصل بين المضيء والمظلم دائرة قريبة من العظيمة تسمّى دائرة النور، وتفصل بين ما يصل إليه نور البصر من جرم القمر وبين ما لا يصل دائرة تسمّى دائرة الرؤية، وهي أيضاً قريبة من العظيمة لما ثبت في «٢٤» من مناظر إقليدس أنّ ما يرى من الكرة يكون أصغر من نصفها، وهاتان الدائرتان يمكن أن تتطابقا، وقد تتفارقان إمّا متوازيتين، أو متقاطعتين، أو لا ذا ولا ذاك، وقد تؤخذان عظيمتين إذ لا تفاوت في الحسّ بين كلّ منهما وبين العظيمة ويجعل ما يقارب التطابق تطابقاً، فإذا اجتمعت الشمس والقمر صار وجهه المضيء إليها والمظلم إلينا وتطابق الدائرتان وهو المحاق، فإذا بعد عنها يسيراً تقاطعت الدائرتان على حوادّ ومنفرجات، فإذا بعد منها قريباً من اثنتي عشرة درجة يرى من وجهه المضيء ما وقع منه بين الدائرتين في جهة الحادّتين اللّتين إلى صوب الشمس وهو الهلال، ولا تزال هذه القطعة تتزايد بتزايد البعد عن الشمس، والحوادّ تتعاظم والمنفرجات تتصاغر حتّى يصير التقاطع بين الدائرتين على قوائم، ويحصل التربيع فيرى من الوجه المضيء نصفه، ولا يزال يتزايد المرئيّ من المضيء ويتعاظم انفراج الزاويتين الأوّلتين إلى وقت الاستقبال، فتطابق الدائرتان مرّة ثانية ويصير الوجه المضيء إلينا وإلى الشمس معاً وهو البدر، ثمّ يقع التقارب فيعود تقاطع الدائرتين على المختلفات أوّلاً ثمّ على قوائم ثانياً وحصل التربيع الثاني، ثمّ يؤول الحال إلى التطابق فيعود المحاق، وهكذا إلى ما شاء الله سبحانه.

والكسوف عندهم حالة تعرض للشمس من عدم الاستنارة والإنارة بالنسبة إلى الأبصار حينما يكون من شأنها ذلك بسبب توسّط القمر بينها وبين الأبصار، وذلك إذا وقع القمر على الخطّ الخارج من البصر إلى الشمس، ويسمّى ذلك بالاجتماع المرئيّ، ويكون لا محالة على إحدى العقدتين: الرأس أو الذنب، أو بقربهما بحيث لا يكون للقمر عرض مرئيّ بقدر مجموع نصف قطره وقطر الشمس، فلا محالة يحول بين الشمس وبين البصر ويحجب بنصفه المظلم نورها من الناظرين بالكلّ وهو الكسوف الكلّي، أو البعض فالجزئيّ، ولكونه حالة تعرض للشمس لا في ذاتها بل بالنسبة إلى الأبصار جاز أن يتّفق الكسوف بالنسبة إلى قوم دون قوم، كما إذا سترت السراج بيدك بحيث يراه القوم وأنت لا تراه وأن يكون كلّيّاً لقوم جزئيّاً لآخرين أو جزئيّاً للكلّ لكن على التفاوت وأمّا إذا كان عرض القمر المرئيّ بقدر نصف مجموع القطرين فيما بين جرم القمر ومخروط شعاع الشمس فلا يكون كسوف.

وأمّا خسوف القمر فيكون عندهم عند استقبال الشمس إذا كان على إحدى العقدتين أو بقربها بحيث يكون عرضه أقلّ من مجموع نصف قطره وقطر مخروط ظلّ الأرض انحجبت بالأرض عن نور الشمس، فيرى إن كان فوق الأرض على ظلامه الأصليّ كلّاً أو بعضاً وذلك هو الخسوف الكلّي أو الجزئيّ، وأمّا إذا كان عرضه عن منطقة البروج بقدر نصف القطرين فلا ينخسف.

إذا عرفت هذا فالكلام في هذا الخبر على وجوه. الأوّل: أن يقال إنّ هذه مقدّمات حدسيّة ظنيّة فإنّه يمكن أن تكون هذه الاختلافات لجهة أُخرى كما قال ابن هيثم في اختلاف تشكّلات القمر أنّه يجوز أن يكون ذلك لأنّ القمر كرة مضيئة نصفها دون نصف، وأنّها تدور على مركز نفسها بحركة متساوية لحركة فلكها، فإذا كان نصفه المضيء إلينا فبدر، أو المظلم فمحاق، وفيما بينهما يختلف قدر ما تراه من المضيء. وأيضاً يمكن أن يكون الفاعل المختار يحدث فيه نوراً بحسب إرادته في بعض الأحيان ولا يحدث في بعضها، فالحكم ببطلان الخبر أو تأويله غير مستقيم.

الثاني: أنّه يمكن أن يكون عند حدوث تلك الأسباب يقع المرور على البحر أيضاً ويكون له أيضاً مدخل في ذلك، وامتناع الخرق والالتئام على الأفلاك وعدم جواز الحركة المستقيمة فيها وامتناع اختلاف حركاتها وأمثال ذلك لم يثبتوها إلّا بشبهات واهية وخرافات فاسدة لا يخفى وهنها على من تأمّل بالإنصاف فيها، مع أنّ القول بها يوجب نفي كثير من ضروريات الدين من المعراج، ونزول الملائكة وعروجهم، وخرق السماوات وطيّها، وانتشار الكواكب وانكسافها في القيامة إلى غير ذلك ممّا صرح به في القرآن المجيد والأخبار المتواترة.

الثالث: ما ذكره الصدوق رحمه الله في الفقيه حيث قال: إنّ الّذي يخبر به المنجّمون فيتّفق على ما يذكرونه ليس من هذا الكسوف في شيء وإنّما يجب الفزع فيه إلى المساجد والصلاة لأنّه آية تشبه آيات الساعة. وقال الشهيد رحمه الله في الذكرى في جملة فروع أوردها في أحكام صلاة الكسوف: الرابع لو جامعت صلاة العيد بأن تجب بسبب الآيات المطلقة، أو بالكسوفين نظراً إلى قدرة الله تعالى وإن لم يكن معتاداً على أنّه قد اشتهر أنّ الشمس كسفت يوم عاشوراء لمّا قتل الحسين عليه السلام كسفةً بدت الكواكب فيها نصف النهار في ما رواه البيهقيّ وغيره، وقد قدّمنا أنّ الشمس كسفت يوم مات إبراهيم ابن النبيّ صلى الله عليه وآله وروى الزبير بن بكّار في كتاب الأنساب أنّه توفّي في العاشر من شهر ربيع الأوّل، وروى الأصحاب أنّ من علامات المهديّ عليه السلام كسوف الشمس في النصف الأوّل من شهر رمضان. إلى آخر ما قال:

وأقول: رأيت في كثير من كتب الخاصّة والعامّة وقوع الكسوف والخسوف في يوم عاشوراء وليلته، وروى الشيخ المفيد في الإرشاد بإسناده إلى الفضل بن شاذان عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن ثعلبة الأزديّ، قال: قال أبو جعفر عليه السلام: آيتان تكونان قبل القائم عليه السلام: كسوف الشمس في النصف من شهر رمضان، وخسوف القمر في آخره. قال: قلت: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في نصف الشهر والقمر في آخره؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: أنا أعلم بما قلت، إنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام ورواه في الكافي عن عدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد، عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن ثعلبة بن ميمون، عن بدر بن الخليل الأزديّ، قال: كنت جالساً عند أبي جعفر عليه السلام فقال: آيتان

تكونان قبل قيام القائم عليه السلام لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام إلى الأرض: تنكسف الشمس في النصف من شهر رمضان، والقمر في آخره. فقال رجل: يا ابن رسول الله تنكسف الشمس في آخر الشهر والقمر في النصف، فقال أبو جعفر عليه السلام إنّي أعلم ما تقول، ولكنّهما آيتان لم تكونا منذ هبط آدم عليه السلام [(١)] والأخبار في ذلك كثيرة أوردتها في سائر المجلّدات لا سيّما في الثالث عشر.

الرابع: ما أوّله بعض المتفلسفين، وهو أنّ المراد بالبحر في الكسوف ظلّ القمر، وفي الخسوف ظلّ الأرض على الاستعارة. ووجدت في بعض الكتب مناظرة لطيفةً وقعت بين رجل من المدّعين للإسلام يذكر هذا التأويل للخبر وبين رجل من براهمة الهند، قال له حين سمع ذلك التأويل منه: لايخلو من أن يكون مراد صاحب شريعتك ما ذكرت أم لا، فإن لم يكن مراده ذلك فالويل لك حيث اجترأت على الله وعليه وحملت كلامه على ما لم يرده وافتريت عليه، وإن كان مراده ذلك فله غرض في التعبير بهذه العبارة ومصلحة في عدم التصريح بالمراد، لقصور أفهام عامّة الخلق عن فهم الحقائق، فالويل لك أيضاً حيث نقضت غرضه وأبطلت مصلحته وهتكت سرّه.

وأقول: هذا الكلام متين وإن كان قائله على ما نقل من الكافرين، لأنّ عقول العباد قاصرة عن فهم الأسباب والمسبّبات، وكيفيّة نزول الأنكال والعقوبات، فإذا سمعوا المنجّم يخبر بوقوع الكسوف أو الخسوف في الساعة الفلانيّة بمقتضى حركات الأفلاك لم يخافوا عند ذلك، ولم يفزعوا إلى ربّهم، ولم يرتدعوا به عن معصيته، ولم يعدّوه من آثار غضب الله تعالى، لأنّهم لا يعلمون أنّه يمكن أن يكون الصانع القديم والقادر الحكيم لمّا خلق العالم، وقدّر الحركات، وسبّب الأسباب والمسبّبات، وعلم بعلمه الكامل أحوالهم وأفعالهم في كلّ عصر وزمان، وكلّ دهر وأوان، وعلم ما يستحقّون من التحذير والتنذير قدّر حركات الأفلاك على وجه يطابق الخسوف والكسوف وغيرهما من الآيات بقدر ما يستحقّونه بحسب أحوالهم من الإنذارات والعقوبات وهذا باب دقيق يعجز عنه أفهام أكثر الخلق. وبالجملة الحديث وإن كان خبراً واحداً غير نقيّ السند لكن لا يحسن الجرأة على ردّه، وينبغي التسليم له في الجملة وإن صعب على العقل فهمه، فإنّه سبيل أرباب التسليم، الثابتين على الصراط المستقيم.

قوله عليه السلام «والأرض مسيرة خمسمائة عام» لعلّ المراد أنّه إذا أراد إنسان أن يدور جميع الأرض ويطّلع على جميع بقاعه الظاهرة والغائرة لا يكون إلّا في خمسمائة سنة، وكذا المعمور وغير المعمور إذ لو كان المراد المسير (دائرة) على عظيمة محيطة بالأرض يكون ذلك في قليل من السنين إن كانت مساحتهم المذكورة في كتبهم حقّة لأنّهم قالوا مساحة محيط

(١) الإرشاد للمفيد، ص ٣٥٩.

دائرة عظيمة تفرض على الأرض ثمانية آلاف فرسخ، فيمكن قطعه في ثلاث سنين تقريباً، وكون الشمس ستّون فرسخاً لعلّه بالفراسخ السماويّة، أو المراد أنّ نسبتها إلى فلكها كنسبة تلك الفراسخ إلى الأرض، وكذا القمر، أو المراد به العدد الكثير، عبّر هكذا تقريباً إلى فهم السائل، وكذا المراد بكون الكواكب كأعظم جبل أنّ نسبة كلّ منها إلى السماء كنسبة أعظم جبل إلى الأرض، كلّ ذلك بناء على صحّة ما ذكره أصحاب الهيئة وهو غير معلوم، فإنّهم عوّلوا في ذلك على مساحات وأرصاد تصدّى جماعة من الكفرة لتحقيقها وضبطها، وخلق الشمس قبل القمر يدلّ على حدوثهما والله يعلم حقائق مخلوقاته ومن عرّفهم تلك من حججه عليهم السلام.

٥ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد، عن عليّ بن حسّان، عن عليّ بن أبي النوار، عن محمّد بن مسلم، قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: جعلت فداك، لأيّ شيء صارت الشمس أشدّ حرارةً من القمر؟ فقال: إنّ الله خلق الشمس من نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتّى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من نار، فمن ثمّ صارت أشدّ حرارةً من القمر. قلت: جعلت فداك والقمر؟ قال: إنّ الله تعالى ذكره خلق القمر من ضوء نور النار وصفو الماء طبقاً من هذا وطبقاً من هذا، حتّى إذا كانت سبعة أطباق ألبسها لباساً من ماء، فمن ثمّ صار القمر أبرد من الشمس[1].

العلل والخصال: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن عيسى بن محمّد، عن عليّ بن مهزيار، عن عليّ بن حسّان، عن أبي أيوب، عن محمّد بن مسلم مثله[2].

توضيح: قوله عليه السلام «حتى إذا كانت سبعة أطباق» يحتمل أن يكون المعنى أنّ الطبقة السابعة فيها من نار، فيكون حرارتها لجهتين: لكون طبقات النار أكثر بواحدة، وكون الطبقة العليا من النّار، ويحتمل أن يكون لباس النار طبقة ثامنة فتكون الحرارة للجهة الثانية فقط، وكذا في القمر يحتمل الوجهين. ثمّ إنّه يحتمل أن يكون خلقهما من النار والماء الحقيقيّين من صفوهما وألطفهما، وأن يكون المراد جوهرين لطيفين مشابهين لهما في الكيفيّة، ولم يثبت امتناع كون العنصريّات في الفلكيّات ببرهان، وقد دلّ الشرع على وقوعه في مواضع شتّى.

٦ - **الاحتجاج:** روى القاسم بن معاوية عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: لمّا خلق الله عزّ وجلّ القمر كتب عليه «لا إله إلّا الله، محمّد رسول الله، عليّ أمير المؤمنين» وهو السواد الّذي ترونه[3].

---

(١) روضة الكافي، ح ٣٣٢.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٧ باب ٣٨٠ ح ١، الخصال، ص ٣٥٦ باب ٧ ح ٣٩.

(٣) الإحتجاج، ص ٣٦٧.

٧ - **الخصال:** عن عليّ بن أحمد بن موسى، عن عليّ بن الحسن الهستجانيّ، عن سعد بن كثير بن عفير، عن ابن لهيعة ورشيد بن سعد، عن حريز بن عبد الله، عن أبي عبد الرحمن الجبليّ، عن عبد الله بن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في مرضه الّذي توفّي فيه: ادعوا ليّ أخي. قال: فأرسلوا إلى عليّ عليه السلام فدخل، فولّيا وجوههما إلى الحائط وردّا عليهما ثوباً فأسرّ إليه والناس محتوشون وراء الباب فخرج عليّ عليه السلام فقال له رجل من الناس: أسرّ إليك نبيّ الله شيئاً؟ قال: نعم أسرّ إليّ ألف باب في كلّ باب ألف باب. قال: وعيته؟ قال: نعم، وعقلته. فقال: فما السواد الّذي في القمر؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ قال ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾[1] قال له الرجل: عقلت يا عليّ[2].

بيان: «فولّيا» أي النبيّ وعليّ عليهما السلام ويقال «احتوش القوم على فلان» أي جعلوه وسطهم، ويقال «وعاه» أي حفظه، والظاهر أنّ السؤال كان عن علّة الكلف في القمر فأجاب عليه السلام بأنّه إنّما جعل فيه ذلك ليقلّ نوره ويحصل الفرق بينه وبين الشمس فيمتاز اللّيل من النهار كما يدلّ عليه خبر ابن سلام فالمحو في الآية تقليل نور القمر بإحداث الكلف فيه.

واعلم أنّهم اختلفوا في سبب الكلف فقيل: خيال لا حقيقة له، وأورد عليه بأنّه يستحيل عادةً توافق جميع الناس في خيال واحد لا حقيقة له. وقيل: هو شبح ما ينطبع فيه من السفليّات من الجبال والبحار وغيرها، وزيّف بأنّه لو كان كذلك لكان يختلف باختلاف القمر في قربه وبعده وانحرافه عمّا ينطبع فيه. وقيل: هو السواد الكائن في الوجه الآخر، وأورد عليه بأنّه لو كان كذلك لم ير متفرّقاً. وقيل: وهو سحق النار للقمر، وأجيب بأنّه غير مماسّ للنّار لأنّه مركوز في تدوير هو في ثخن حامل، فبينه وبين النار بعد بعيد، ولو فرض أنّه في حضيض التدوير مع كونه في حضيض الحامل لم يتصوّر هناك مماسّة إلّا بنقطة واحدة، وأيضاً فهو غير قابل للتسخّن عندهم فكيف ينسحق بها. وقيل: هو جزء منه لا يقبل النور كسائر أجزائه القابلة له، وأورد عليه أنّه مخالف لما ذهبوا إليه من بساطة الفلكيّات فيبطل جميع قواعدهم المبنيّة على بساطتها. وقيل: هو وجه القمر فإنّه مصوّر بصورة إنسان، فله عينان وحاجبان وأنف وفم، وأجيب بأنّه لا فائدة في جعل هذه الأجزاء فيه. وقيل: هو أجسام سماويّة مختلفة معه في تدويره غير قابلة للإنارة حافظة لوضعها معه دائماً، وهذا أقرب الوجوه عندهم، وكلّ ذلك قول بغير علم، ولا نعلم من ذلك إلّا أنّه سبحانه خلقه كذلك، والبحث عن سببه لا طائل تحته، وسنذكر وجوهاً أخر بعد ذلك إن شاء الله.

٨ - **العيون والعلل:** في خبر يزيد بن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله: ما بال الشمس والقمر لا يستويان في الضوء والنور؟ قال: لمّا خلقهما الله عزّ وجلّ أطاعا ولم يعصيا شيئاً، فأمر الله عزّ وجلّ جبرئيل أن يمحو ضوء القمر فمحاه، فأثّر المحو في القمر خطوطاً سوداء، ولو أنّ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(٢) الخصال، ص ٦٤٣ باب ما بعد الألف، ح ٢٣.

القمر ترك على حاله بمنزلة الشمس لم يمح لما عرف الليل من النهار ولا النهار من الليل، ولا علم الصائم كم يصوم، ولا عرف الناس عدد السنين، وذلك قول الله عزّوجلّ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّتَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ وَلِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾(١) قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني لم سمّي الليل ليلاً؟ قال: لأنّه يلايل الرجال من النساء، جعله الله عزّوجلّ ألفة ولباساً، وذلك قول الله عزّوجلّ ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾(٢) قال: صدقت يا محمّد (الخبر)(٣).

بيان: يظهر من الخبر أنّ الليل مشتقّ من الملايلة، وهي بمعنى المؤالفة والموافقة، والمشهور عند اللغويّين عكس ذلك، قال الفيروزآباديّ: لايلته استأجرته لليلة، وعامله ملايلة كمياومة.

٩ - **العلل والعيون:** في خبر الشاميّ أنّه سأل أمير المؤمنين عليه السلام عن طول الشمس والقمر وعرضها، قال: تسعمائة فرسخ (الخبر)(٤).

١٠ - **الاحتجاج:** عن الأصبغ: قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام عن المحو الّذي يكون في القمر، قال عليه السلام: الله أكبر، الله أكبر، رجل أعمى يسأل عن مسألة عمياء! أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ (الخبر)(٥).

العياشي: عن أبي الطفيل مثله(٦).

بيان: «عن مسألة عمياء» أي غامضة مشتبهة يصعب فهمها.

١١ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: الشمس سلطان النهار، والقمر سلطان الليل، لا ينبغي للشمس أن تكون مع ضوء القمر بالليل «ولا يسبق الليل النهار» يقول: لا يذهب الليل حتّى يدركه النهار ﴿وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ يقول: يجيء وراء الفلك بالاستدارة(٧).

بيان: «يجيء وراء الفلك» لعلّ المعنى: تابعاً لسير الفلك فكأنه وراءه.

١٢ - **العيون:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن مهزيار، عن أخيه عليّ، عن أحمد بن محمّد، عن حمّاد بن عثمان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٢.
(٢) سورة النبأ، الآيتان: ١٠-١١.
(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤٨ باب ٢٢٢ ح ٣٣.
(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٤ باب ٣٨٥ ح ٤٤.
(٥) الاحتجاج، ص ٢٥٨.
(٦) تفسير العياشي ج٢ ص ٣٠٦ ح ٣١.
(٧) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٩ في تفسيره لسورة يس، الآية: ٤٠.

كان يوم القيامة أُتي بالشمس والقمر في صورة ثورين عقيرين فيقذفان بهما وبمن يعبدهما في النار، وذلك أنّهما عُبدا فرضيا[١].

بيان: قال في النهاية: في حديث كعب «إنّ الشمس والقمر ثوران عقيران في النار» قيل: لمّا وصفهما الله تعالى بالسباحة في قوله: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ثمّ أخبر أنّه يجعلهما في النار يعذّب بهما أهلها بحيث لا يبرحانها صارا كأنّهما زمنان عقيران، حكى ذلك أبو موسى وهو كما تراه. وقال: العقير: المنحور لأنّهم كانوا إذا أرادوا نحر البعير عقروه، أي قطعوا إحدى قوائمه ثمّ نحروه.

١٣ - **التفسير:** ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ قال: المحو في القمر[٢].

١٤ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم، قال: سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام عن الشمس أين تغيب؟ قال: إنّ بعض العلماء قالوا: إذا انحدرت أسفل القبّة دار بها الفلك إلى بطن السماء صاعدةً أبداً إلى أن تنحطّ إلى موضع مطلعها، يعني أنّها تغيب في عين حامية ثمّ تخرق الأرض راجعة إلى موضع مطلعها، فتحير تحت العرش حتّى يؤذن لها بالطلوع، ويسلب نورها كلّ يوم وتتجلّل نوراً آخر. قال: فخلق النهار قبل الليل؟ قال: نعم، خلق النهار قبل الليل، والشمس قبل القمر، والأرض قبل السماء (الخبر)[٣].

بيان: قوله عليه السلام: «صاعدة» أشار عليه السلام بذلك إلى أنّ الشمس إذا غابت عندنا تطلع على قوم آخرين، فهي عندهم صاعدة إلى أن تصل إلى قمّة الرأس عندهم وهي قمّة القدم عندنا، ثمّ تنحطّ عندهم إلى أن تصل إلى مشرقنا. وتحيّرها وإذنها لعلّهما كنايتان عن أنّها مسخّرة للربّ متحرّكة بقدرته، إذا شاء حرّكها ومتى شاء سكّنها، ففي كلّ آن من آنات حركتها في مطلع قوم، وطلوعها عليهم بإذنه وقدرته سبحانه، ولو شاء لجعلها ساكنةً، ولما كان الباقي في البقاء محتاجاً إلى المؤثّر فهي في كلّ آن باعتبار إمكانها مسلوبة النور والصفات والوجود بحسب ذاتها، وإنّما تكتسب جميع ذلك من خالقها ومدبّرها فهي في جميع الأوقات والأزمان تحت عرش الرحمن وقدرته، متحيّرة في أمرها، ساجدة خاضعة لربّها، تسأله بلسان إمكانها وافتقارها الإذن في طلوعها وغروبها، وتكسى حلّة من نوره تعالى. والقائلون بتجدّد الأمثال يمكنهم التمسّك بأمثال هذا الخبر، لكن على ما حقّقناه لا دلالة لها على مذهبهم. وإنّما أومأت لك إلى بعض الأسرار، ليمكنك فهم غوامض الأخبار، وقد مرّ تحقيق خلق النهار قبل الليل في الباب الأوّل.

---

(١) لم نجده في كتاب العيون ولكنه في علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٧٤ باب ٣٨٥ ح ٧٨.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠٦ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ١٢.
(٣) الاحتجاج، ص ٣٣٤.

١٥ - **التوحيد:** عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان، عن عاصم بن حميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الشمس جزء من سبعين جزءاً من نور الكرسيّ، والكرسيّ جزء من سبعين جزءاً من نور العرش، والعرش جزء من سبعين جزءاً من نور الحجاب، والحجاب جزء من سبعين جزءاً من نور الستر (الخبر)(١).

١٦ - **قصص الراوندي:** بالإسناد إلى الصدوق، عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحجّال، عن العلاء، عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ موسى سأل ربّه أن يعلمه زوال الشمس فوكّل الله بها ملكاً فقال: يا موسى قد زالت الشمس، فقال موسى: متى؟ فقال: حين أخبرتك وقد سارت خمسمائة عام!(٢).

١٧ - **العياشي:** عن أبي بصير: عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ قال: هو السواد الّذي في جوف القمر(٣).

١٨ - **ومنه:** عن نصر بن قابوس، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السواد الّذي في القمر محمّد رسول الله(٤).

بيان: يحتمل أن يكون المراد أنّ هذا السواد لمّا كان من أعظم أسباب نظام العالم كما مرّ، والعلّة الغائيّة لخلق العالم ونظامه هو صلى الله عليه وآله فكأنّه يدلّ عليه، أو أنّه لمّا دلّ على حكمة الصانع وعدم تفويته ما فيه صلاح الخلق ورسالته صلى الله عليه وآله أعظم المصالح فهو يدلّ عليه، مع أنّه لا حاجة إلى هذه التكلّفات ويمكن حمله على الحقيقة.

١٩ - **العياشي:** عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام تغرب الشمس في عين حامية في بحر دون المدينة الّتي تلي المغرب يعني جابلقا(٥).

٢٠- **كتاب النجوم:** للسيّد ابن طاووس بأسانيده إلى محمّد بن إبراهيم النعمانيّ في كتاب الدلائل، عن محمّد بن همام، عن محمّد بن موسى بن عبيد، عن إبراهيم بن أحمد اليقطينيّ، قال: حدّثني إبن ذي العلمين قال: كنت واقفاً بين يدي ذي الرياستين بخراسان في مجلس المأمون وقد حضره أبو الحسن الرضا عليه السلام فجرى ذكر الليل والنهار وأيّهما خلق قبل، فخاضوا في ذلك واختلفوا، ثمّ إنّ ذا الرياستين سأل الرضا عليه السلام عن ذلك وعمّا عنده فيه، فقال له: أتحبّ أن أعطيك الجواب من كتاب الله أو من حسابك؟ فقال: أريده أوّلاً من جهة الحساب، فقال: أليس تقولون إنّ طالع الدنيا السرطان، وإنّ الكواكب كانت في

---

(١) التوحيد، ص ١٠٨. (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٦١.

(٣) - (٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٠٦ ح ٢٨-٢٩ من سورة الإسراء.

(٥) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٣٧٦ ح ٨٣ من سورة الكهف.

شرفها؟ قال: نعم، قال: فزحل في الميزان، والمشتري في السرطان، والمرّيخ في الجدي، والزهرة في الحوت، والقمر في الثور، والشمس في وسط السماء في الحمل، وهذا لا يكون إلّا نهاراً. قال: نعم، فمن كتاب الله؟ قال: قول الله عزّوجلّ: ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾ أي النهار يسبقه.

قال السيّد: ورويناه أيضاً بعدّة أسانيد عن ابن جمهور العمّي وكان عالماً فاضلاً في كتاب الواحدة، قال: ومن مسائل ذي الرياستين للرضا عليه السلام أنّهم تذاكروا بين يدي المأمون خلق الليل والنهار، فبعض قال: خلق الله النهار قبل الليل، وبعض قال: خلق الليل قبل النهار، فرجعوا بالسؤال إلى أبي الحسن عليه السلام فقال: إنّ الله جلّ ذكره خلق النهار قبل الليل، وخلق الضياء قبل الظلمة، فإن شئتم أوجدتكم من القرآن، وإن شئتم أوجدتكم من النجوم. فقال ذو الرياستين: أوجدنا من الجهتين جميعاً. فقال: أمّا النجوم فقد علمت أنّ طالع العالم السرطان ولا يكون ذلك إلّا والشمس في بيت شرفها في نصف النهار، وأمّا القرآن ألم تسمع إلى قوله تبارك وتعالى ﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ (الآية)[١].

٢١ - **ومنه:** نقلاً من كتاب إبن جمهور أيضاً بإسناده أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا صعد المنبر وقال سلوني قبل أن تفقدوني، قال: فقام إليه رجل فسأله عن السواد الّذي في القمر فقال عليه السلام: أعمى سأل عن عمياء! أما سمعت الله عزّوجلّ يقول: ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ والسواد الّذي تراه في القمر أنّ الله عزّوجلّ خلق من نور عرشه شمسين فأمر جبرئيل فأمرّ جناحه الّذي سبق من علم الله جلّت عظمته لما أراد أن يكون من اختلاف الليل والنهار، والشمس والقمر، وعدد الساعات والأيّام والشهور، والسنين والدهور، والارتحال والنزول، والإقبال والإدبار، والحجّ والعمرة، ومحلّ الدين، وأجر الأجير، وعدد أيّام الحبل، والمطلّقة، والمتوفّى عنها زوجها، وما أشبه ذلك[٢].

بيان: «الّذي» أي على الّذي سبق في علم الله أن يكون قمراً، والظاهر أنّه كان هكذا على أحدهما للّذي سبق.

٢٢ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أخيه إسحاق بن إبراهيم، عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن الرضا عليه السلام قال: قلت له: بلغني أنّ يوم الجمعة أقصر الأيّام، قال: كذلك هو، قلت: جعلت فداك كيف ذلك؟ قال: إنّ الله تعالى يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس، فإذا ركدت الشمس عذّب الله أرواح المشركين بركود الشمس ساعةً فإذا كان يوم الجمعة لا يكون للشمس ركود رفع الله عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة، فلا يكون للشمس ركود[٣].

٢٣ - **الاختصاص:** عن محمّد بن أحمد العلويّ، عن أحمد بن زياد، عن عليّ بن

(١) فرج المهموم، ص ٩٥. (٢) فرج المهموم، ص ٩٧.
(٣) فروع الكافي، ج ٣ ص ٢١٦ باب ٢٣٧ ح ١٤.

إبراهيم، عن محمّد بن عيسى، عن يونس، عن أبي الصباح الكنانيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ﴾[1] (الآية) فقال: إنّ للشمس أربع سجدات كلّ يوم وليلة: سجدة إذا صارت في طول السماء قبل أن يطلع الفجر، قلت: بلى جعلت فداك، قال: ذاك الفجر الكاذب، لأنّ الشمس تخرج ساجدةً وهي في طرف الأرض، فإذا ارتفعت من سجودها طلع الفجر ودخل وقت الصلاة. وأمّا السجدة الثانية فإنّها إذا صارت في وسط القبّة وارتفع النهار ركدت قبل الزوال، فإذا صارت بحذاء العرش ركدت وسجدت، فإذا ارتفعت من سجودها زالت عن وسط القبّة فيدخل وقت صلاة الزوال. وأمّا السجدة الثالثة أنّها إذا غابت من الأفق خرّت ساجدة، فإذا ارتفعت من سجودها زال الليل، كما أنّها حين زالت (عن ظ) وسط السماء دخل وقت الزوال زوال النهار[2].

بيان: السجود في الآية بمعنى غاية الخضوع والتذلّل والانقياد، سواء كان بالإرادة والاختيار أو بالقهر والاضطرار، فالجمادات لمّا لم يكن لها اختيار وإرادة فهي كاملة في الانقياد والخضوع لما أراد الربّ تعالى منها، فهي على الدوام في السجود والانقياد للمعبود، والتسبيح والتقديس له سبحانه بلسان الذلّ والإمكان والافتقار وكذا الحيوانات العجم، وأمّا ذوو العقول فلمّا كانوا ذوي إرادة واختيار فهم من جهة الإمكان والافتقار والانقياد للأمور التكوينية كالجمادات في السجود والتسبيح، ومن حيث الأمور الإراديّة والتكليفيّة منقسمون بقسمين: منهم الملائكة وهم جميعاً معصومون ساجدون منقادون من تلك الجهة أيضاً، ولعلّ المراد بقوله ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ هم وأمّا الناس فهم قسمان: قسم مطيعون من تلك الجهة أيضاً، ومنهم عاصون من تلك الجهة وإن كانوا مطيعين من الجهة الأخرى، فلم يتأتَّ منهم غاية ما يمكن منهم من الانقياد، فلذا قسّمهم سبحانه إلى قسمين فقال ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ فإذا حقّقت الآية هكذا لم تحتج إلى ما تكلّفه المفسّرون من التقديرات والتأويلات وسيأتي بعض ما ذكروه في هذا المقام. وأمّا الخبر فلعلّه كان ثلاث سجدات أو سقط الرابع من النسّاخ، ولعلّه بعد زوال الليل إلى وقت الطلوع، أو قبل زوال الليل كما في النهار، وإنّما خصّ عليه السلام السجود بهذه الأوقات لأنّه عند هذه الأوقات تظهر للناس انقيادها لله، لأنّها تتحوّل من حالة معروفة إلى حالة أُخرى ويظهر تغيّر تامّ في أوضاعها، وأيضاً إنّها أوقات معيّنة يترصّدها الناس لصلواتهم وصيامهم وسائر عباداتهم ومعاملاتهم، وأيضاً لما كان هبوطها وانحدارها وأفولها من علامات إمكانها وحدوثها كما قال الخليل عليه السلام ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْءَافِلِينَ﴾ خصّ السجود بتلك الأحوال، أو بما يشرف عليها والله يعلم أسرار الآيات والأخبار، وحججه الأبرار عليهم السلام.

---

(١) سورة الحج، الآية: ١٨.
(٢) الإختصاص، ص ٢١٣.

٢٤ - **الاختصاص:** قال الصادق عليه السلام : إذا كان عند غروب الشمس وكّل الله بها ملكاً ينادي «أيّها الناس أقبلوا على ربّكم، فإنّ ما قلّ وكفى خيرٌ ممّا كثر وألهى» وملك موكّل بالشمس عند طولها ينادي «يا ابن آدم لد للموت، وابن للخراب، واجمع للفناء»[(١)].

٢٥ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم الثقفيّ رفعه إلى أبي عمران الكنديّ قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام عن السواد الّذي في جوف القمر، قال: إنّ الله عزّوجلّ يقول ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ السواد الّذي في جوف القمر. قال: فكم بين المشرق والمغرب؟ قال: مسيرة يوم للشمس تطلع من مطلعها فتأتي مغربها، من حدّثك غير ذلك كذبك[(٢)].

٢٦ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم، قال العالم عليه السلام : علّة ردّ الشمس على أمير المؤمنين عليه السلام وما طلعت على أهل الأرض كلّهم أنّه جلّل الله السماء بالغمام إلّا الموضع الّذي كان فيه أمير المؤمنين عليه السلام وأصحابه، فإنّه جلّاه حتّى طلعت عليهم. قال: والعلّة في قصر يوم الجمعة أنّ الله يجمع الأرواح أرواح الكفّار والمشركين فيعذّبهم تحت عين الشمس إلّا يوم الجمعة، فإنّه ليس للشمس ركود ولا يعذّب الكفّار لفضل يوم الجمعة.

٢٧ - **تفسير عليّ بن إبراهيم** في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ قال: العرجون طلع النخل، وهو مثل الهلال في أوّل طلوعه. قال: وحدّثني أبي، عن داود بن محمّد النهديّ قال: دخل أبو سعيد المكاري على أبي الحسن الرضا عليه السلام فقال له: أبلغ من قدرك أن تدّعي ما ادّعى أبو ك؟ فقال له الرضا عليه السلام مالك أطفأ الله نورك وأدخل الفقر بيتك؟! أما علمت أنّ الله أوحى إلى عمران أنّي واهب لك ذكراً فوهب له مريم. ووهب لمريم عيسى، فعيسى من مريم ومريم من عيسى ومريم وعيسى واحد، وأنا من أبي، وأبي منّي، وأنا وأبي شيء واحد. فقال له أبو سعيد: فأسألك عن مسألة؟ قال: سل ولا إخالك تقبل منّي ولست من غنمي ولكن هاتها. فقال له: ما تقول في رجل قال عند موته كلّ مملوك له قديم فهو حرّ لوجه الله؟ قال: نعم، ما كان لستّة أشهر فهو قديم وهو حرّ، لأنّ الله يقول ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ فما كان لستّة أشهر فهو قديم وهو حرّ، قال: فخرج من عنده وافتقر وذهب بصره ثمّ مات لعنه الله وليس عنده مبيت ليلة[(٣)].

بيان: هذا التفسير للعرجون غريب لم أره في غير هذا الكتاب، ولا يناسب وصفه بالقديم أيضاً. وفي القاموس: الطلع من النخل شيء يخرج كأنّه نعلان مطبقان، أو ما يبدو من ثمرته في أوّل ظهورها. وأبو سعيد كان من الواقفة وكان ينكر إمامة الرضا عليه السلام وإطفاء النور كناية عن ذهاب العزّ أو ذهاب نور البصر ولعلّ جوابه عليه السلام مبنيّ على أنّ الواقفة كانوا متمسّكين

---

(١) الإختصاص، ص ٢٣٤. (٢) الغارات، ص ١٧٩.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٩ في تفسيره لسورة يس، الآية: ٣٩.

بما روي عن الصادق عليه السلام أنّ القائم عليه السلام من ولدي، فأجاب عن استدلالهم بأنّ ولد الولد أيضاً ولد، ولو سلّم كونه مجازاً فعلاقة المجاز هنا قويّة للاتّحاد في الكمالات والأنوار وفي القاموس خال الشيء خيلولة: ظنّه، وتقول في مستقبله: إخاله - بكسر الألف - ويفتح في لغيّة. قوله «ولست من غنمي» أي ممّن يقول بإمامتي ومن شيعتي «وليس عنده مبيت ليلة» أي قوت ليلة.

٢٨ - **الفقيه:** بإسناده عن محمّد بن مسلم أنّه سأل أبا جعفر عليه السلام عن ركود الشمس فقال: يا محمّد، ما أصغر جثّتك وأعضل مسألتك! وإنّك لأهل للجواب إنّ الشمس إذا طلعت جذبها سبعون ألف ملك بعد أن أخذ بكلّ شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة من بين جاذب ودافع، حتّى إذا بلغت الجوّ وجازت الكوّة قلبها ملك النور ظهراً لبطن، فصار ما يلي الأرض إلى السماء وبلغ شعاعها تخوم الأرض فعند ذلك نادت الملائكة «سبحان الله، ولا إله إلّا الله، والحمد لله الّذي لم يتّخذ صاحبة ولا ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذلّ وكبّره تكبيراً» فقلت له: جعلت فداك أحافظ على هذا الكلام عند زوال الشمس؟ فقال: نعم، حافظ عليه كما تحافظ على عينك فإذا زالت الشمس صارت الملائكة من ورائها يسبّحون الله في فلك الجوّ إلى أن تغيب(١).

٢٩ - وسئل الصادق عليه السلام عن الشمس كيف تركد كلّ يوم ولا يكون لها يوم الجمعة ركود؟ قال: لأنّ الله عزّ وجلّ جعل يوم الجمعة أضيق الأيّام، فقيل له: ولم جعله أضيق الأيّام؟ قال: لأنّه لا يعذّب المشركين في ذلك اليوم لحرمته عنده(٢).

بيان: «الركود» السكون والثبات «ما أصغر جثّتك!» تعجّب من أنّ الإنسان مع هذا الصغر يطلب فهم معاني الأمور ودقائقها، أو تأديب له بأنّه لا ينبغي له أن يتكلّف علم ما لم يؤمر بعلمه. وقال في النهاية: أصل العضل المنع والشدّة، يقال «أعضل بي الأمر» إذا ضاقت عليك فيه الحيل، ومنه حديث عمر «أعوذ بالله من كلّ معضلة ليس لها أبو حسن» وروي «معضلة» أراد المسألة الصعبة أو الخطّة الضيّقة المخارج من الإعضال أو التعضيل، ويريد بأبي الحسن عليّ بن أبي طالب عليه السلام «بعد أن أخذ» ليس في بعض النسخ «بعد أن» وعلى التقديرين يحتمل أن يكون خمسة آلاف من جملة السبعين أو غيرهم، وإن كان الثاني على النسخة الأولى أظهر «من بين جاذب ودافع» على الأوّل يكون المعنى أنّ هؤلاء السبعين مردّدون من بين جاذب يجذبها قدّامها، ودافع يدفعها من خلفها، ومنقسمون إليهما، أو الشمس كائنة بين جاذب ودافع من تلك السبعين، فالمراد بالجذب أوّلاً ما يصير سبباً للحركة أعمّ من أن يكون بالجذب أو الدفع، أو يكون نسبة الجذب إلى الجميع على المجاز وعلى الثاني فالمعنى أنّ الشمس واقعة بين جاذب من سبعين ألف ملك، ودافع من خمسة آلاف،

(١) - (٢) من لا يحضره الفقيه، ص ٨٩ ح ٦٧٥-٦٧٦.

وعلى الوجهين يحتمل أن يكون المراد بحركة الجذب الحركة اليوميّة السريعة على خلاف التوالي التابعة لحركة الفلك الأطلس الّتي يحصل اليوم والليل منها، وبحركة الدفع حركة الفلك الرابع الّذي فيه الشمس على توالي البروج وهي بطيئة تقطع بها في كلّ سنة دورة، فالمعنى أنّ الشمس إذا طلعت جذبها الملائكة السبعون ألفاً إلى المغرب بالحركة اليوميّة مع أنّه أخذ بكلّ شعاع منها أو بمكان كلّ شعاع منها خمسة آلاف من الملائكة تدفعها إلى جانب المشرق بالحركة الخاصّة، فتسير الشمس بقدر فضل ما بين الحركتين «حتى إذا بلغت الجوّ» أي وسط السماء مجازاً، وفي الأصل ما بين السماء والأرض «وجازت الكوّة» في بعض النسخ بدون التاء، وفي القاموس: الكوّة ويضمّ والكوّ: الخرق في الحائط، أو التذكير للكبير والتأنيث للصغير، والجمع: كوى وكوا (انتهى) أي خرجت أشعة الشمس من الكوى المشرقيّة، وذلك عند قرب الزوال، وربّما يؤوّل الكوّة بدائرة نصف النهار على الاستعارة «قلبها ملك النور» ربّما يؤوّل ذلك بأنّه لما كانت الشمس صاعدةً كان الجانب الّذي منها يلي المشرق تحت الجانب الغربيّ منها، فإذا جازت نصف النهار وانحدرت صار الأمر بالعكس، وصار ما كان يلي الأرض أي الجانب الشرقيّ إلى السماء أي إلى جهة الفوق، فلذا نسب إليه القلب، ولا يخفى أنّه على هذا يصير الكلام قليل الجدوى مع أنّ ظاهره غير ممتنع. والتخوم: جمع التخم وهو منتهى كلّ قرية وأرض، ولعلّ المراد بفلك الجوّ جوّ الفلك، أي ما بين السماء الرابعة والخامسة.

ثمّ إنّه يرد الإشكال على هذه الأخبار من وجوه: **الأوّل**: أنّ ركود الشمس حقيقةً مخالف لما يشهد به الحسّ من عدم التفاوت في أجزاء النهار وقطع قسيّ مدارات الشمس **والثاني**: أنّ الشمس في كلّ آن في نصف النهار لقوم، فيلزم سكون الشمس دائماً. **الثالث**: أنّ التفاوت بين يوم الجمعة وغيره أيضاً ممّا يشهد الحسّ بخلافه **الرابع**: أنّ حرارة الشمس ليس باعتبار جرمه حتّى يقع تعذيب أرواح المشركين بتقريبهم من عين الشمس، بل باعتبار انعكاس الأشعّة عن الأجسام الكثيفة، ولذا كلّما بعد عن الأرض كان تأثير الحرارة فيه أخفّ.

ويمكن الجواب عن الأوّل والثالث بأنّه يمكن أن يكون الركود قليلاً لا يظهر في الآلات الّتي تعرف بها الساعات، ولا يمكن الحكم على التواسع والعواشر وأقلّ منها على اليقين، وإنّما مبناها على التخمين. وعلى الثاني بأنّه يمكن أن يكون المراد نصف نهار موضع خاصّ كمكّة أو المدينة أو قبّة الأرض، وأورد عليه بأنّه يلزم أن يقع الركود في البلاد الأخر في الضحى أو في العصر ولا يلتزمه أحد. وعن الرابع بأنّه يمكن أن يكون للشمس حرارتان: حرارة من جهة الجرم وأخرى من جهة الانعكاس، وما قيل من أنّ الفلكيّات لا تقبل تلك الكيفيّات لم يثبت بدليل قاطع. وربّما يؤوّل الركود بوجهين: **الأوّل** أنّه عند القرب من نصف النهار يحسّ بحركة الشمس في غاية البطء، فكأنّه ساكن فأطلق الركود عليه مجازاً، أو بأنّه

يعدم الظلّ عند الزوال في بعض البلاد فلا حركة للظلّ حينئذ فركود الشمس ركود ظلّه، وما قيل من أنّ المراد ركود الظلّ بناء على ما تقرّر من أنّ بين كلّ حركتين مستقيمتين سكون فلا بدّ من سكون بين زيادة الظلّ ونقصانه فلا يخفى بعد حمل الركود على مثل ذلك جدّاً، مع أنّ نسبة الحركة إلى الظلّ مجاز بل هو إيجاد لبعض أجزاء الظلّ وإعدام له، وعلى تقدير كونه حقيقة فليست بحركة مستقيمة. **الثاني**: أنه لمّا كانت أيّام الراحة عند الناس سريعة الانقضاء وأيّام الشدّة طويلة، فيوم الجمعة عند المشركين قصير لعدم تعذيبهم عند زوال الشمس فيه، وسائر الأيّام طويلة عندهم لتعذيبهم عند زواله، فالمراد بقول السائل في الخبر الثاني «كيف تركد؟» ما معنى ركودها، فأجاب عليه السلام بأنّ المراد هذا الركود والضيق المجازيّان. وربّما يحمل ضيق الجمعة وقصره على أنّ أعمال المؤمنين فيه كثيرة لا يسع اليوم لها، فكأنّه لا تركد فيه الشمس. ولا يخفى بعد هذه الوجوه كلّها، والأولى في أمثال ذلك عدم الخوض فيها والتسليم لها بأيّ معنى صدرت عنهم عليهم السلام على تقدير صحّتها، فإنّها من متشابهات الأخبار ومعضلات الآثار، ولا يعلم تأويلها إلّا الله والراسخون في العلم.

٣٠ - **الفقيه:** بسنده الصحيح عن حريز بن عبد الله، أنّه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فسأله رجل فقال له: جعلت فداك، إنّ الشمس تنقضّ ثمّ تركد ساعة من قبل أن تزول؟ فقال: إنّها تؤامر: أتزول أم لا تزول[1].

بيان: انقضاض الطائر هويّها ليقع، وهذا أسرع ما يكون من طيرانه، والمراد هنا سرعة حركة الشمس عند الصعود، وركودها بطء حركتها. والمؤامرة إمّا من الملائكة الموكّلين بها، أو هي استعارة تمثيليّة شبّهت حالة الشمس في سرعتها عند الصعود وركودها ثمّ إسراعها في الهبوط بمن أتى سلطاناً قاهراً ثمّ أمره هل يذهب إلى حاجة أخرى أم لا، والغرض هنا ليس محض الاستعارة بل بيان أنّ جميع المخلوقات مقهورة بقهره سبحانه، مسخّرة لأمره، وكلّ ما يقع منها بتقديره وتدبيره تعالى.

٣١ - **الفقيه:** عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام أن أخرج عظام يوسف عليه السلام من مصر ووعده طلوع القمر، فأبطأ طلوع القمر عليه فسأل عمّن يعلم موضعه، فقيل له: ههنا عجوز تعلم علمه، فبعث إليها فأتي بعجوز مقعدة عمياء، فقال: تعرفين قبر يوسف؟ قالت: نعم، قال: فأخبريني بموضعه، قالت: لا أفعل حتّى تعطيني خصالاً: تطلق رجلي، وتعيد إليّ بصري، وتردّ إليّ شبابي، وتجعلني معك في الجنّة. فكبر ذلك على موسى عليه السلام، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: إنّما تعطي عليّ فأعطها ما سألت، ففعل فدلّته على قبر يوسف عليه السلام فاستخرجه من شاطئ النيل في صندوق مرمر، فلمّا أخرجه طلع القمر فحمله إلى الشام[2].

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ص ٨٩ ح ٦٧٧. (٢) من لا يحضره الفقيه، ص ٧٧ ح ٥٩٤.

أقول: قد مرّ نقلاً عن العيون عن الرضا عليه السلام أنّه قال: احتبس القمر عن بني إسرائيل، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى موسى عليه السلام أن أخرج عظام يوسف من مصر ووعده طلوع القمر إذا أخرج عظامه، فسأل موسى عليه السلام عمّن يعلم موضعه وساق الخبر كما مرّ[١].

بيان: يدلّ ردّاً على الفلاسفة على جواز الاختلاف في حركة الفلكيّات، ومنعها عن الحركة بإذن خالق الأرضين والسماوات.

٣٢ - **المتهجد:** روى محمّد بن إسماعيل بن بزيع عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: قلت: بلغني أنّ يوم الجمعة أقصر الأيّام. قال: كذلك هو، قلت: جعلت فداك، كيف ذاك؟ قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله يجمع أرواح المشركين تحت عين الشمس، فإذا كدرت الشمس عذّبت أرواح المشركين بركود الشمس فإذا كان يوم الجمعة رفع عنهم العذاب لفضل يوم الجمعة، فلا يكون للشمس ركود[٢].

٣٣ - **توحيد المفضّل:** فكر يا مفضّل في مقادير النهار والليل كيف وقعت على ما فيه صلاح هذا الخلق، فصار منتهى كلّ واحد منهما إذا امتدّ إلى خمس عشرة ساعة لا يجاوز ذلك أفرأيت لو كان النهار يكون مقداره مائة ساعة أو مائتي ساعة ألم يكن في ذلك بوار كلّ ما في الأرض من حيوان ونبات؟ أمّا الحيوان فكان لا يهدأ ولا يقرّ طول هذه المدّة، ولا البهائم كانت تمسك عن الرعي لو دام لها ضوء النهار، ولا الإنسان كان يفتر عن العمل والحركة، وكان ذلك سيهلكها أجمع ويؤدّيها إلى التلف. وأمّا النبات فكان يطول عليه حرّ النهار ووهج الشمس حتّى يجفّ ويحترق، وكذلك الليل لو امتدّ مقدار هذه المدّة كان يعوق أصناف الحيوان عن الحركة والتصرّف في طلب المعاش حتّى تموت جوعاً، وتخمد الحرارة الطبيعية من النبات حتّى يعفن ويفسد، كالّذي تراه يحدث على النبات إذا كان في موضع لا تطلع عليه الشمس.

اعتبر بهذا الحرّ والبرد كيف يتعاوران العالم، ويتصرّفان هذا التصرّف من الزيادة والنقصان والاعتدال لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة، وما فيهما من المصالح، ثمّ هما بعد دباغ الأبدان الّتي عليها بقاؤها وفيها صلاحها، فإنّه لولا الحرّ والبرد وتداولهما الأبدان لفسدت وأخوت وانتكثت. فكّر في دخول أحدهما على الآخر بهذا التدريج والترسّل، فإنّك ترى أحدهما ينقص شيئاً بعد شيء، والآخر يزيد مثل ذلك حتّى ينتهي كلّ واحد منهما منتهاه في الزيادة والنقصان، ولو كان دخول أحدهما على الآخر مفاجأة لأضرّ ذلك بالأبدان وأسقمها كما أنّ أحدكم لو خرج من حمّام حارّ إلى موضع البرودة لضرّه ذلك وأسقم بدنه، فلم جعل الله عزّ وجلّ هذا الترسّل في الحرّ والبرد إلّا للسلامة من ضرر المفاجأة؟ ولم جرى الأمر على ما فيه السلامة من ضرر المفاجأة لولا التدبير في ذلك؟ فإن زعم زاعم أنّ هذا

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٣٥ باب ٢٦ ح ١٨.
(٢) مصباح المتهجد، ص ٢٣٨.

الترسّل في دخول الحرّ والبرد إنّما يكون لإبطاء مسير الشمس في الارتفاع والانحطاط سئل عن العلّة في إبطاء مسير الشمس في ارتفاعها وانحطاطها، فإن اعتلّ في الإبطاء ببعد ما بين المشرقين سئل عن العلّة في ذلك، فلا تزال هذه المسألة ترقى معه إلى حيث رقي من هذا القول حتّى استقرّ على العمد والتدبير. لولا الحرّ لما كانت الثمار الجاسية المرّة تنضج فتلين وتعذب حتّى يتفكّه بها رطبة ويابسة، ولولا البرد لما كان الزرع يفرخ هكذا ويريع الريع الكثير الّذي يتّسع للقوت وما يرد في الأرض للبذر، أفلا ترى ما في الحرّ والبرد من عظيم الغناء والمنفعة، وكلاهما مع غنائه والمنفعة فيه يؤلم الأبدان ويمضّها وفي ذلك عبرة لمن فكّر، ودلالة على أنّه من تدبير الحكيم في مصلحة العالم وما فيه[1].

توضيح: قوله عليه السلام «لا يجاوز ذلك» أي في معظم المعمورة، وفي المصباح: خوت الدار: خلت من أهلها، وخوت الإبل تخوية: خمصت بطونها، وقال الفيروز آباديّ: خوّت الدار تهدّمت، والنجوم خيّاً أمحلت فلم تمطر كأخوت وخوّت وقال: المنتكث المهزول، وقال: الترسّل الرفق والتؤدة (انتهى) قوله عليه السلام: «ببعد ما بين المشرقين» أي المشرق والمغرب كناية عن عظم الدائرة الّتي يقطع عليها البروج، أو مشرق الصيف والشتاء، والأوّل أظهر. قوله عليه السلام «الجاسية» أي الصلبة «حتّى يتفكّه بها» أي يتمتع بها، والريع: النماء والزيادة، وقال الجوهريّ: أمضّني الجرح إمضاضاً إذا أوجعك، وفيه لغة أخرى: مضّني الجرح ولم يعرفها الأصمعي.

٣٤ - **توحيد المفضّل:** قال: قال الصادق عليه السلام: فإن قالوا فلم يختلف فيه أي في ذاته تعالى وصفاته؟ قيل لهم: لقصر الأفهام عن مدى عظمته، وتعدّيها أقدارها في طلب معرفته، وأنّها تروم الإحاطة به وهي تعجز عن ذلك وما دونه فمن ذلك هذه الشمس الّتي تراها تطلع على العالم ولا يوقف على حقيقة أمرها، ولذلك كثرت الأقاويل فيها، واختلفت الفلاسفة المذكورون في وصفها، فقال بعضهم: هو فلك أجوف مملوء ناراً له فم يجيش بهذا الوهج والشعاع، وقال آخرون: هو سحابة، وقال آخرون: هو جسم زجاجيّ يقبل نارية في العالم ويرسل عليه شعاعها وقال آخرون: هو صفو لطيف ينعقد من ماء بحر، وقال آخرون: هو أجزاء كثيرة مجتمعة من النار، وقال آخرون: هو من جوهر خامس سوى الجواهر الأربع. ثمّ اختلفوا في شكلها فقال بعضهم: هي بمنزلة صفيحة عريضة، وقال آخرون: هي كالكرة المدحرجة، وكذلك اختلفوا في مقدارها فزعم بعضهم أنّها مثل الأرض سواء، وقال آخرون: بل هي أقلّ من ذلك، وقال آخرون: بل هي أعظم من الجزيرة العظيمة، وقال أصحاب الهندسة: هي أضعاف الأرض مائة وسبعين مرّة، ففي اختلاف هذه الأقاويل منهم في الشمس دليل على أنّهم لم يقفوا على الحقيقة من أمرها، وإذا كانت هذه الشمس الّتي يقع

(١) توحيد المفضل، ص ١٣٧-١٤٠.

عليها البصر ويدركها الحسّ قد عجزت العقول عن الوقوف على حقيقتها فكيف ما لطف عن الحسّ واستتر عن الوهم؟[1]!

بيان: أقول: لعلّ ما ذكره عليه السلام من قول أصحاب الهندسة قول بعض قدمائهم، مع أنّه قريب من المشهور كما عرفت، والاختلاف بين قدمائهم ومتأخّريهم في أشباه ذلك كثير.

٣٥ - **توحيد المفضّل:** قال: قال الصادق عليه السلام فكّر يا مفضّل في طلوع الشمس وغروبها لإقامة دولتي النهار والليل، فلولا طلوعها لبطل أمر العالم كلّه فلم يكن الناس يسعون في معايشهم، ويتصرّفون في أمورهم، والدنيا مظلمة عليهم ولم يكونوا يتهنّؤون بالعيش مع فقدهم لذّة النور وروحه، والإرب في طلوعها ظاهر مستغن بظهوره عن الإطناب في ذكره، والزّيادة في شرحه، بل تأمّل المنفعة في غروبها، فلولا غروبها لم يكن للناس هدوء ولا قرار مع عظم حاجتهم إلى الهدوء والراحة، لسكون أبدانهم، وجموم حواسّهم، وانبعاث القوّة الهاضمة لهضم الطعام وتنفيذ الغذاء إلى الاعضاء، ثمّ كان الحرص سيحملهم من مداومة العمل ومطاولته على ما يعظم نكايته في أبدانهم، فإنّ كثيراً من الناس لولا جثوم هذا الليل لظلمته عليهم لم يكن لهم هدوء ولا قرار، حرصاً على الكسب والجمع والادّخار، ثمّ كانت الأرض تستحمي بدوام الشمس بضيائها وتحمي كلّ ما عليها من حيوان ونبات، فقدّرها الله بحكمته وتدبيره تطلع وقتاً وتغرب وقتاً، بمنزلة سراج يرفع لأهل البيت تارة ليقضوا حوائجهم، ثمّ يغيب عنهم مثل ذلك ليهدؤوا ويقرّوا، فصار النور والظلمة مع تضادّهما منقادين متظاهرين على ما فيه صلاح العالم وقوامه.

ثمّ فكّر بعد هذا في ارتفاع الشمس وانحطاطها لإقامة هذه الأزمنة الأربعة من السنة وما في ذلك من التدبير والمصلحة، ففي الشتاء تعود الحرارة في الشجر والنبات، فيتولّد فيهما موادّ الثمار، ويستكثف الهواء، فينشأ منه السحاب والمطر وتشتدّ أبدان الحيوان وتقوى. وفي الربيع تتحرّك وتظهر المواد المتولّدة في الشتاء، فيطلع النبات، وتنور الأشجار، ويهيج الحيوان للسفاد وفي الصيف يحتدم الهواء، فتنضج الثمار. وتتحلّل فضول الأبدان، ويجفّ وجه الأرض فتهيّأ للبناء والأعمال. وفي الخريف يصفو الهواء، ويرتفع الأمراض، وتصحّ الأبدان، ويمتدّ الليل ويمكن فيه بعض الأعمال لطوله، ويطيب الهواء فيه إلى مصالح أخرى لو تقصّيت لذكرها لطال فيها الكلام.

فكّر الآن في تنقّل الشمس في البروج الاثني عشر لإقامة دور السنة وما في ذلك من التدبير، فهو الدور الّذي تصحّ به الأزمنة الأربعة من السنة: الشتاء، والربيع، والصيف، والخريف، ويستوفيها على التمام، وفي هذا المقدار من دوران الشمس تدرك الغلّات

(١) توحيد المفضل، ص ١٧٨.

والثمار وتنتهي إلى غاياتها، ثمّ تعود فيستأنف النشوء والنموّ، ألا ترى أنّ السنة مقدار مسير الشمس من الحمل إلى الحمل، فبالسنة وأخواتها يكال الزمان من لدن خلق الله تعالى العالم إلى كلّ وقت وعصر من غابر الأيّام، وبها يحسب الناس الأعمار والأوقات الموقّتة للدّيون والإجارات والمعاملات وغير ذلك من أمورهم، وبمسير الشمس تكمل السنة ويقوم حساب الزمان على الصحّة، انظر إلى شروقها على العالم كيف دبّر أن يكون، فإنّها لو كانت تبزغ في موضع من السماء فتقف لا تعدوه لما وصل شعاعها ومنفعتها إلى كثير من الجهات، لأنّ الجبال والجدران كانت تحجبها عنها، فجعلت تطلع في أوّل النهار من المشرق فتشرق على ما قابلها من وجه المغرب، ثمّ لا تزال تدور وتغشى جهة بعد جهة حتّى تنتهي إلى المغرب، فتشرق على ما استتر عنها في أوّل النهار، فلا يبقى موضع من المواضع إلّا أخذ بقسطه من المنفعة منها، والإرب الّتي قدّرت له، ولو تخلّفت مقدار عام أو بعض عام كيف كان يكون حالهم؟ بل كيف كان يكون لهم مع ذلك بقاء؟ أفلا يرى الناس كيف هذه الأمور الجليلة الّتي لم تكن عندهم فيها حيلة فصارت تجري على مجاريها، لا تعتلّ ولا تتخلّف عن مواقيتها لصلاح العالم وما فيه بقاؤه؟

إستدلّ بالقمر ففيه دلالة جليلة تستعملها العامّة في معرفة الشهور، ولا يقوم عليه حساب السنة، لأنّ دوره لا يستوفي الأزمنة الأربعة، ونشوء الثمار وتصرّمها، ولذلك صارت شهور القمر وسنوه تتخلّف عن شهور الشمس وسنيها، وصار الشهر من شهور القمر ينتقل فيكون مرّة بالشتاء ومرّة بالصيف. فكّر في إنارته في ظلمة الليل والإرب في ذلك، فإنّه مع الحاجة إلى الظلمة لهدء الحيوان وبرد الهواء على النبات لم يكن صلاح في أن يكون الليل ظلمة داجية لا ضياء فيها، فلا يمكن فيه شيء من العمل، لأنّه ربّما احتاج الناس إلى العمل بالليل لضيق الوقت عليهم في تقضّي الأعمال بالنهار، أو لشدّة الحرّ وإفراطه، فيعمل في ضوء القمر أعمالاً شتّى، كحرث الأرض، وضرب اللبن، وقطع الخشب وما أشبه ذلك، فجعل ضوء القمر معونة للناس على معايشهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وأنساً للسائرين وجعل طلوعه في بعض الليل دون بعض، ونقص مع ذلك من نور الشمس وضيائها لكيلا تنبسط الناس في العمل انبساطهم بالنهار، ويمتنعوا من الهدء والقرار، فيهلكهم ذلك، وفي تصرّف القمر خاصّة في مهلّه ومحاقه، وزيادته، ونقصانه، وكسوفه، من التنبيه على قدرة الله خالقه المصرّف له هذا التصريف لصلاح العالم ما يعتبر فيه المعتبرون[١].

بيان: الدولة - بالفتح والضمّ -: انقلاب الزمان، ودالت الأيّام: دارت والله يداولها بين الناس. وهدأ - كمنع - هدءاً وهدوءاً: سكن، ويقال: نكيت في العدوّ نكاية إذا قتلت فيهم وجرحت، وجثم الإنسان والطائر والنعام يجثم جثماً وجثوماً: لزم مكانه لم يبرح، والمراد

(١) توحيد المفضل، ص ١٢٨.

جثومهم في الليل، والتظاهر: التعاون، ونوَّر الشجر أي أخرج نوره، وحدم النار شدّة احتراقها، والتقصّي: بلوغ أقصى الشيء ونهايته، والغابر: الباقي والماضي والمراد هنا الثاني، وبزغت الشمس بزوغاً: شرقت، أو البزوغ ابتداء الطلوع، وقال الجوهريّ: اعتلّ عليه واعتلّه إذا اعتاقه عن أمر (انتهى)، وليلة داجية أي مظلمة.

٣٦ - **الصحيفة السجّاديّة:** صلوات الله على من ألهمها: كان من دعائه عليه السلام إذا نظر إلى الهلال: أيّها الخلق المطيع الدائب السريع، المتردّد في منازل التقدير المتصرّف في فلك التدبير، آمنت بمن نوّر بك الظلم، وأوضح بك البهم، وجعلك آية من آيات ملكه، وعلامة من علامات سلطانه، وامتهنك بالزيادة والنقصان، والطلوع والأفول، والإنارة والكسوف، في كلّ ذلك أنت له مطيع، وإلى إرادته سريع، سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك، وألطف ما صنع في شأنك! جعلك مفتاح شهر حادث، لأمر حادث - إلى آخر الدعاء -[١].

تنوير: إعلم أنّ الهلال إنّما سمّي هلالاً لجريان عادتهم برفع الأصوات عند رؤيته من الإهلال وهو رفع الصوت، وقد اضطربوا في تحديد الوقت الّذي يسمّى فيه بهذا الإسم، فقال في الصحاح: الهلال أوّل ليلة والثانية والثالثة ثمّ هو قمر وزاد صاحب القاموس فقال: الهلال غرّة القمر، أو لليلتين، أو إلى ثلاث أو إلى سبع، ولليلتين من آخر الشهر: ستّ وعشرين، وسبع وعشرين، وفي غير ذلك قمر. وقال في مجمع البيان: اختلفوا في أنّه إلى كم يسمّى هلالاً ومتى يسمّى قمراً، فقال بعضهم: يسمّى هلالاً لليلتين من الشهر، ثمّ لا يسمّى هلالاً إلى أن يعود في الشهر الثاني. وقال آخرون: يسمّى هلالاً ثلاث ليال، ثمّ يسمّى قمراً. وقال آخرون: يسمّى هلالاً حتّى يحجر، وتحجيره أن يستدير بخطّ دقيق وهذا قول الأصمعيّ، وقال بعضهم: يسمّى هلالاً حتّى يبهر ضوؤه سواد الليل ثمّ يقال قمر وهذا يكون في الليلة السابعة (انتهى) وقالوا: إنّما يسمّى بعد الهلال قمراً لبياضه، فإنّ الأقمر هو الأبيض، وقيل: لأنّه يقمر الكواكب أي يغلبها بزيادة النور، ويسمّى في الليلة الرابعة عشر بدراً. قال في الصحاح: سمّي بذلك لمبادرته الشمس في الطلوع كأنّه يعجلها المغيب، ويقال: سمّي لتمامه (انتهى) أي تشبيهاً له بالبدرة الكاملة، وهي عشرة آلاف درهم. قال الشيخ البهائيّ رحمه الله يمتدّ وقت الدعاء بامتداد وقت التسمية هلالاً، والأولى عدم تأخيره عن الأولى عملاً بالمتيقّن المتّفق عليه لغة وعرفاً، فإن لم يتيسّر فعن الثانية لقول أهل اللغة بالامتداد إليها، فإن فاتت فعن الثالثة لقول كثير منهم بأنّها آخر لياليه.

وأمّا ما ذكره صاحب القاموس وشيخنا أبو عليّ رحمه الله من إطلاق الهلال عليه إلى السابعة فهو خلاف المشهور لغة وعرفاً، وكأنّه مجاز من قبيل إطلاقه عليه في الليلتين الأخيرتين - ثمّ

---

(١) الصحيفة السجادية، ص ١٨٣.

قال -: ولو قيل بامتداد ذلك إلى ثلاث ليال لم يكن بعيداً، فلو نذر قراءة دعاء الهلال عند رؤيته وقلنا بالمجازيّة فيما فوق الثلاث لم تجب عليه القراءة برؤيته فيما فوقها حملاً للمطلق على الحقيقة، وهل تشرع؟ الظاهر نعم إن رآه في تتمّة السبع، رعاية لجانب الاحتياط. فأمّا فيما فوقها فلا، لأنّه تشريع، ولو رآه يوم الثلاثين فلا وجوب على الظاهر، لعدم تسميته حينئذٍ هلالاً.

قوله عليه السلام: «أيّها الخلق المطيع» الخلق في الأصل مصدر بمعنى الإبداع والتقدير، ثمّ استعمل بمعنى المخلوق كالرزق بمعنى المرزوق، وإطاعته كناية عن تأتّي كلّ ما أراده سبحانه فيه، تشبيهاً بإطاعة العبد لمولاه «الدائب السريع» يقال: دأب فلان في عمله أي جدّ وتعب، وجاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ﴾ أي مستمرّين في عملهما على عادة مقرّرة جارية. قال الشيخ البهائيّ رحمه الله وصفه عليه السلام القمر بالسرعة، ربما يعطي بحسب الظاهر أن يكون المراد سرعته باعتبار حركته الذاتيّة الّتي يدور بها على نفسه، وتحرّك جميع الكواكب بهذه الحركة ممّا قال به جمّ غفير من أساطين الحكماء، وهو يقتضي كون المحو المرئيّ في وجه القمر شيئاً غير ثابت في جرمه، وإلّا لتبدّل وضعه كما قاله سلطان المحقّقين في شرح الإشارات. والأظهر أنّ ما وصفه به عليه السلام من السرعة إنّما هو باعتبار حركته العرضيّة الّتي يتوسّط فلكه، فإنّ تلك الحركة على تقدير وجودها غير محسوسة ولا معروفة، والحمل على المحسوس المتعارف أولى، وسرعة حركة القمر بالنسبة إلى سائر الكواكب أمّا الثوابت فظاهر، لكون حركتها من أبطأ الحركات، حتّى أنّ القدماء لم يدركوها، وأمّا السيّارات فلأنّ زحل يتمّ الدورة في ثلاثين سنة، والمشتري في اثنتي عشرة سنة، والمرّيخ في سنة وعشرة أشهر ونصف، وكلّاً من الشمس والزهرة وعطارد في قريب من سنة، وأمّا القمر فيتمّ الدورة في قريب من ثمانية وعشرين يوماً، ولا يبعد أن يكون وصفه عليه السلام القمر بالسرعة باعتبار حركته المحسوسة، على أنّها ذاتيّة له بناء على تجويز كون بعض حركات السيّارات في أفلاكها من قبيل حركة الحيتان في الماء كما ذهب إليه جماعة ويؤيّده ظاهر قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ ودعوى امتناع الخرق والالتئام على الأفلاك لم تقترن بالثبوت، وما لفّقه الفلاسفة لإثباتها أوهن من بيت العنكبوت، لابتنائه على عدم قبول الفلك بأجزائها للحركة المستقيمة، ودون ثبوته خرط القتاد، والتنزيل الإلهي الّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ناطق بانشقاقها، وما ثبت من معراج نبيّنا صلى الله عليه وآله بجسده المقدّس إلى السماء السابعة فصاعداً شاهد بانخراقها.

«المتردّد في منازل التقدير» أي السائر في المنازل الّتي قدّرها الله تعالى لها إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ وهي المنازل الثمانية والعشرون الّتي يقطعها في كلّ شهر بحركته الخاصّة، فيرى كلّ ليلة نازلاً بقرب واحد منها، قال نصير الملّة والدين رحمه الله في

التذكرة: وأمّا منازل القمر فهي من الكواكب القريبة من منطقة البروج، جعلها العرب علامات الأقسام الثمانية والعشرين الّتي قسمت المنطقة بها، لتكون مطابقة لعدد أيّام دور القمر. وقال الخفريّ في شرحه والمراد من المنزل المسافة الّتي يقطعها القمر في يوم بليلته، ومنازل القمر عند أهل الهند سبعة وعشرون يوماً بليلته وثلث، فحذفوا الثلث لكونه أقلّ من النصف كما هو عادة أهل التنجيم، وأمّا عند العرب فهي ثمانية وعشرون، لا لأنّهم تمّموا الثلث واحداً كما قال البعض، بل لأنّه لما كان سنوهم لكونها باعتبار الأهلّة مختلفة الأوائل لوقوعها في وسط الصيف تارة وفي وسط الشتاء أُخرى احتاجوا إلى ضبط سنة الشمس لمعرفة فصول السنة حتّى يشتغلوا في استقبال كلّ فصل منها بما يهمّهم فيه، فنظروا إلى القمر فوجدوه يعود إلى وضع له من الشمس في قريب من الثلاثين يوماً، ويختفي في آخر الشهر ليلتين أو أكثر أو أقل، فأسقطوا يومين من الثلاثين فبقي ثمانية وعشرون، وهو الزمان الواقع في الأغلب بين رؤيته بالعشيّات في أوّل الشهر ورؤيته بالغدوات في آخره، فقسّموا دور الفلك عليه، فكان كلّ منزل اثنتي عشرة درجة وإحدى وخمسين دقيقة تقريباً، أي ستّة أسباع درجة فنصيب كلّ برج منزلان وثلث، ثمّ وجدوا الشمس تقطع كلّ منزل في ثلاثة عشر يوماً بالتقريب، فصار المنازل في ثلاثمائة وأربعة وستّين يوماً، لكن عود الشمس إلى كلّ منزل إنّما يكون في ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً فزادوا يوماً في أيّام منازل غفر، وقد يحتاج إلى زيادة يومين للكبيسة حتّى تصير أيّامه خمسة عشر ويكون انقضاء أيّام السنة الشمسيّة مع انقضاء أيّام المنازل ورجوع الأمر إلى منزل جعل مبدأ. ثمّ إنّهم جعلوا علامات المنازل من الكواكب الظاهرة القريبة من المنطقة ممّا يقارب ممرّ القمر أو يحاذيه، فيرى كلّ ليلة نازلاً بقرب أحدها فإن سترها يقال «كفحه فكافحه» أي واجهه فغلبه ولا يتفاءل به، وإن لم يستره يقال «عدل القمر» ويتفاءل به، وإذا أسرع القمر في سيره فقد يخلّي منزلاً في الوسط، وإذا أبطأ فقد يبقى ليلتين في منزل، أوّل ليلتين في أوّله وآخرهما في آخره، وقد يرى في بعض الليالي بين منزلين، وما يقال في المشهور أنّ الظاهر من المنازل في كلّ ليلة يكون أربعة عشر وكذا الخفي، وأنّه إذا طلع منزل غاب رقيبه وهو الخامس عشر من الطالع ظاهر الفساد، لأنّها ليست على نفس المنطقة ولا أبعاد ما بينهما متساوية، ولهذا قد يكون الظاهر ستّة عشر أو سبعة عشر.

ويمكن أن يقال: إنّ مرادهم من المنازل نفس المنازل لا علاماتها، وحينئذٍ يصحّ الحكمان والمذكوران، وبمثل ما ذكر يعلم فساد ما هو المشهور أيضاً من أنّ ستّة بروج ظاهرة وستّة خفيّة، فإنّه أيضاً إنّما يصحّ بمقتضى الحساب في نفس البروج لا بحسب صورها من الثوابت، لأنّها لا تقسّم المنطقة على سواء بحيث ينطبق أوّل صورة كلّ برج على أوّله وآخرها على آخره، ولعلّ مرادهم بذلك أنّ نصف البروج نفسها ظاهرة لا أنّ نصف صورها ظاهرة، فيندفع الخلل عن هذا القول أيضاً، والعرب تسمّي خروج المنزل من ضياء الفجر طلوعه وغروب رقيبه وقت الصبح

سقوطه، وتسمّي المنازل الّتي يكون طلوعها في مواسم المطر «الأنواء» ورقباءها إذا طلعت في غير مواسم المطر «البوارح» والأربعة الشمالية الّتي أوّلها الشرطين وآخرها السماك «شاميّة» والباقية الّتي أوّلها الغفر وآخرها بطن الحوت «يمانيّة» (انتهى).

وقال الشيخ البهائيّ رحمه الله الظاهر أنّ مراده عليه السلام بتردّد القمر في منازل التقدير عوده إليها في الشهر اللاحق بعد قطعه إيّاها في السابق، فتكون كلمة «في» بمعنى «إلى» ويمكن أن تبقى على معناها الأصليّ بجعل المنازل ظرفاً للتردّد فإنّ حركته الّتي يقطع بها تلك المنازل لمّا كانت مركّبة من شرقيّة وغربيّة جعل كأنّه لتحرّكه فيها بالحركتين المختلفتين متردّد يقدّم رجلاً ويؤخّر أخرى، وأمّا على رأي من يمنع جواز قيام الحركتين المختلفتين بالجسم، ويرى أنّ للنملة المتحرّكة بخلاف حركة الرحى سكوناً حال حركتها فتشبيهه بالمتردّد أظهر.

«المتصرّف في فلك التدبير» التصرّف: التقلّب، إشارة إلى أنّ تقلّباته وتغيّراته بتدبير الحكيم الخبير والفلك مجرى الكواكب سمّي به تشبيهاً بفلكة المغزل في الاستدارة والدوران. قال أبو ريحان: إنّ العرب والفرس سلكوا في تسمية السماء مسلكاً واحداً، فإنّ العرب تسمّي السماء فلكاً تشبيهاً لها بفلكة الدولاب، والفرس سمّوها بلغتهم «آسمان» تشبيهاً لها بالرحى، فإنّ «آس» هو الرحى بلسانهم و«مان» دالّ على التشبيه (انتهى).

وقال الشيخ البهائيّ رحمه الله المراد بفلك التدبير أقرب الأفلاك التسع إلى عالم العناصر، أي الفلك الّذي يتدبّر بعض مصالح عالم الكون والفساد، وقد ذكر بعض المفسّرين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ أنّ المراد بها الأفلاك وهو أحد الوجوه الّتي أوردها الطبرسيّ رحمه الله ويمكن أن يكون على ضرب من المجاز كما يسمّى ما يقطع به الشيء قاطعاً، وربّما يوجد في بعض النسخ «المتصرّف في فلك التدوير» وهو صحيح أيضاً وإن كانت النسخة الأولى أصحّ، والمراد به رابع أفلاك القمر وهو الفلك الغير المحيط بالأرض، المركوز هو فيه، المتحرّك أسفله على توالي البروج وأعلاه بخلافه مخالفاً لسائر تداوير السيّارة كلّ يوم ثلاث عشرة درجة وثلاث دقائق وأربعاً وخمسين ثانية، وهو مركوز في ثخن ثالث أفلاكه المسمّى بالحامل، المباعد مركزه عن مركز العالم بعشر درج، المتحرّك على التوالي كلّ يوم أربعاً وعشرين درجة، واثنتين وعشرين دقيقة، وثلاث وخمسين ثانية، وهو واقع في ثخن ثاني أفلاكه المسمّى بالمائل، الموافق مركزه مركز العالم، المماسّ مقعّره بمحدّب النار، الفاضل عن الحامل الموافق له في ميل منطقته عن منطقة البروج بمتمّمين متدرّجي الرقّة إلى نقطتي الأوج والحضيض المتحرّك على خلاف التوالي كلّ يوم إحدى عشرة درجة، وتسع دقائق، وسبع ثوان، وهو واقع في جوف أوّل أفلاكه المسمّى بالجوزهر، الموافق مركزه مركز العالم ومنطقته منطقة البروج، المماسّ محدّبه مقعّر ممثّل عطارد، المتحرّك كالثاني كلّ يوم ثلاث دقائق وإحدى عشرة ثانية ثمّ قال: ولا يبعد أن تكون الإضافة

في فلك التدبير من قبيل إضافة الظرف إلى المظروف، كقولهم «مجلس الحكم» و«دار القضاء» أي الفلك الّذي هو مكان التدبير ومحلّه، نظراً إلى أنّ ملائكة سماء الدنيا يدبّرون أمر العالم السفليّ فيه، أو إلى أنّ كلّاً من السيّارات السبع يدبّر في فلكها أمراً هي مسخّرة له بأمر خالقها ومبدعها، كما ذكره جماعة من المفسّرين في تفسير قوله تعالى: ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ ويمكن أن يراد بفلك التدبير مجموع الأفلاك الجزئيّة يتدبّر بها الأحوال المنسوبة إلى القمر بأسرها، وينضبط بها الأمور المتعلّقة به بأجمعها، حتّى تشابه حامله حول مركز العالم، ومحاذاة قطر تدويره نقطة سواه إلى غير ذلك، وتلك الأفلاك الجزئيّة هي الأربعة السالفة مع ما زيد عليها لحلّ ذينك الإشكالين، ومع ما لعلّه يحتاج إليه أيضاً في انتظام بعض أموره وأحواله الّتي ربما لم يطّلع عليها الراصدون في أرصادهم، وإنّما يطّلع عليها المؤيّدون بنور الإمامة والولاية، وحينئذٍ يراد بالتدبير التدبير الصادر عن الفلك نفسه، ويكون اللّام فيه للعهد الخارجيّ، أي التدبير الكامل الّذي ينتظم به جميع تلك الأمور، ولا يبعد أن يراد بفلك التدبير الفلك الّذي يدبّره القمر نفسه، نظراً إلى ما ذهب إليه طائفة من أنّ كلّ واحد من السيّارات السبع مدبّر لفلكه كالقلب في بدن الحيوان قال سلطان المحقّقين في شرح الإشارات: ذهب فريق إلى أنّ كلّ كوكب منها ينزل مع أفلاكه منزلة حيوان واحد ذي نفس واحدة تتعلّق بالكوكب أوّل تعلّقها وبأفلاكه بواسطة الكوكب، كما تتعلّق نفس الحيوان بقلبه أوّلاً وبأعضائه الباقية بعد ذلك، فالقوّة المحرّكة منبعثة عن الكوكب الّذي هو كالقلب في أفلاكه الّتي هي كالجوارح والأعضاء الباقية (انتهى كلامه زيد إكرامه) ويمكن أن يكون هذا هو معنى ما أثبته له عليه السلام من التصرّف في الفلك والله أعلم بمقاصد أوليائه سلام الله عليهم أجمعين (انتهى).

وأقول: يمكن أن يكون في الكلام استعارة كما يقال «بيت العزّ» و«دار الشرف» تشبيهاً للتدبير بفلك هو مدبّره، وهذا النوع من الكلام شائع عند العرب والعجم. ثمّ قال رحمه الله خطابه عليه السلام للقمر ونداؤه له ووصفه بالطاعة والجدّ والتعب والتردّد في المنازل والتصرّف في الفلك ربما يعطي بظاهره كونه ذا حياة وإدراك، ولا استبعاد في ذلك نظراً إلى قدرة الله تعالى، إلّا أنّه لم يثبت بدليل عقلي قاطع يشفي العليل، أو نقليّ ساطع لا يقبل التأويل، نعم أمثال هذه الظواهر ربما تشعر به، وقد يستند في ذلك بظاهر قوله تعالى: ﴿كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ فإنّ الواو والنون لا يستعملان حقيقة لغير العقلاء، وقد أطبق الطبيعيّون على أنّ الأفلاك بأجمعها حيّة ناطقة عاشقة مطيعة لمبدعها وخالقها وأكثرهم على أنّ غرضها من حركاتها نيل التشبّه بجنابه والتقرّب إليه جلّ شأنه، وبعضهم على أنّ حركاتها لورود الشوارق القدسيّة عليها آناً فآناً، فهي من قبيل هزّة الطرب والرقص الحاصل من شدّة السرور والفرح، وذهب جمّ غفير منهم إلى أنّه لا ميّت في شيء من الكواكب أيضاً حتّى أثبتوا لكلّ واحد منها نفساً على حدة تحرّكه حركة مستديرة على نفسه، وابن سينا في الشفاء مال إلى هذا القول

ورجّحه، وحكم به في النمط الخامس من الإشارات، ولو قال به قائل لم يكن مجازفاً، وكلام ابن سينا وأمثاله وإن لم يكن حجّة يركن إليها الديّانيّون في أمثال هذه المطالب إلّا أنّه يصلح للتأييد، ولم يرد في الشريعة المطهّرة على الصادع بها أفضل الصلوات وأكمل التسليمات ما ينافي هذا القول، ولا قام دليل عقلي على بطلانه، وإذا جاز أن يكون لمثل البعوضة والنملة فما دونهما حياة فأيّ مانع من أن يكون لتلك الأجرام الشريفة أيضاً ذلك؟ وقد ذهب جماعة إلى أنّ لجميع الأشياء نفوساً مجرّدة ونطقاً، وجعلوا قوله تعالى ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾ محمولاً على ظاهره، وليس غرضنا من هذا الكلام ترجيح القول بحياة الأفلاك، بل كسر سورة استبعاد المصرّين على إنكاره وردّه، وتسكين صولة المشنّعين على من قال به أو جوّزه (انتهى كلامه ﷺ).

وأقول: هذا الترجيح الّذي أبداه ﷺ في لباس الاحتمال والتجويز مناف لسياق أكثر الآيات والأخبار الواردة في أحوال الكواكب والأفلاك ومسيرها وحركاتها، والإشارات الّتي تمسّك بها ظاهر من سياقها أنّها من قبيل المجازات والاستعارات الشائعة في كلام البلغاء بل في أكثر المحاورات، فإنّهم يخاطبون الجمادات بخطاب العقلاء وغرضهم تفهيم غيرها، كما في هذا الخطاب، وخطاب شهر رمضان ووداعه، وخطاب البيت، والمخاطب فيها حقيقة هو الله تعالى، والغرض إظهار نعمه تعالى وشكره عليها، ولم أر أحداً من المتكلّمين من فرق المسلمين قال بذلك إلّا بعض المتأخّرين الّذين يقلّدون الفلاسفة في عقائدهم، ويوافقون المسلمين فيما لا يضرّ بمقاصدهم. قال السيّد المرتضى ﷺ في كتاب الغرر والدرر: قد دلّت الدلالة الصحيحة الواضحة على أنّ الفلك وما فيه من شمس وقمر ونجوم غير متحرّك لنفسه ولا طبعه على ما يهذي به القوم، وأنّ الله تعالى هو المحرّك له والمتصرّف باختياره فيه، وقال ﷺ في موضع آخر: لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل عليه من الكواكب، فإنّها مسخّرة مدبّرة مصرّفة، وذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة كما سيأتي في باب النجوم.

«آمنت بمن نوّر بك الظلم وأوضح بك البهم وجعلك آية من آيات ملكه وعلامة من علامات سلطانه» النور والضوء مترادفان لغة، وقد تسمّى تلك الكيفية إن كانت من ذات الشيء ضوءاً، وإن كانت مستفادة من غيره نوراً، وعليه جرى قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ والظلم جمع ظلمة وتجمع على ظلمات أيضاً، وهي عدم الضوء عمّا من شأنه أن يكون مضيئاً، والبهم كصرد جمع بهمة - بالضمّ - وهي ما يصعب على الحاسّة إدراكه إن كان محسوساً وعلى الفهم إن كان معقولاً، والآية: العلامة، والسلطان: مصدر بمعنى الغلبة والتسلّط، وقد يجيء بمعنى الحجّة والدليل لتسلّطه على القلب وأخذه بعنانه.

قال البهائيّ ﷺ لمّا افتتح ﷺ الدعاء بخطاب القمر وذكر أوصافه أراد أن يذكر جملاً أخرى من أحواله، ناقلاً للكلام من أسلوب إلى آخر كما هو دأب البلغاء من تلوين الكلام

وجعل تلك الجمل مع تضمّنها لخطاب القمر وذكر أحواله موشّحة بذكر الله سبحانه والثناء عليه جلّ شأنه، تحاشياً عن أن يتمادى به الكلام، خالياً عن ذكر المفضل المنعام، معبّراً عن المنعم به جلّ شأنه بالموصول، ليجعل الصلة مشعرة ببعض أحوال القمر، ويعطف عليها الأحوال الأخر، فتتلاءم جمل الكلام، ولا يخرج عن الغرض المسوق له من بيان تلك الأوصاف والأحوال، واللّام في الظلم للاستغراق أعني العرفيّ منه لا الحقيقيّ، والمراد الظلم المتعارف تنويرها بالقمر من قبيل «جمع الأمير الصاغة» ويمكن جعله للعهد الخارجيّ، والحقّ أنّ لام الاستغراق العرفيّ ليست شيئاً وراء لام العهد الخارجيّ، فإنّ المعروف بها هو حصّة معيّنة من الجنس أيضاً، غايته أنّ التعيين فيها نشأ من العرف. والتنكير في قوله «آية» يمكن أن يكون للنوعيّة كما في قوله تعالى: ﴿وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٌ﴾ والأظهر أن يجعل للتعظيم، واحتمال التحقير ضعيف كما لا يخفى ثمّ قال رحمه الله الباء في قوله عليه السلام «نوّر بك الظلم» إمّا للسببيّة أو للآلة، ثمّ إن جعلنا الضوء عرضاً قائماً بالجسم كما هو مذهب أكثر الحكماء ومختار سلطان المحقّقين رحمه الله في التجريد، فالتركيب من قبيل «سوّدت الشيء وبيّضته» أي صيّرته متّصفاً بالسواد والبياض وإن جعلناه جسماً كما هو مذهب القدماء من أنه أجسام صغار شفّافة تنفصل عن المضيء وتتّصل بالمستضيء فالتركيب من قبيل «لبّنته وتمّرته» أي صيّرته ذا لبن أو تمر، وهذا القول وإن كان مستبعداً بحسب الظاهر إلّا أنّ إبطاله لا يخلو من إشكال كما أنّ إثباته كذلك. ولعلّه عليه السلام أراد بالظلم في قوله «نوّر بك الظلم» الأهوية المظلمة لا الظلمات أنفسها، فإنّها لا تتّصف بالنور، وتجويز كونه عليه السلام أراد ذلك مبنيّ على أنّ الهواء تتكيّف بالضوء وهو مختلف فيه، فالّذين جعلوا اللون شرطاً في التكيّف بالضوء منعوا منه، ويجوز أن يريد بالظلم الأجسام المظلمة سوى الهواء، وهذا أحسن لاستغنائه عن تجشّم الاستدلال على قبول الهواء للضوء، وسلامته عن شوب الخلاف، ويمكن أن يكون مراده عليه السلام بتنوير الظلم إعدامها بإحداث الضوء في محالّها، وهذا يبتني على القول بأنّ الظلمة كيفيّة وجوديّة كما ذهب إليه جماعة، وهذا الرأي وإن كان الأكثر على بطلانه إلّا أنّ دلائلهم على إبطاله ليست بتلك القوّة، فهو باق على أصل الإمكان، إلّا أن يذود عنه قاطع البرهان فلو جوّز مجوّز احتمال كونه أحد محامل كلامه عليه السلام لم يكن في ذلك حرج.

«وامتهنك بالزيادة والنقصان والطلوع والأفول والإنارة والكسوف» المهنة - بفتح الميم وكسرها وإسكان الهاء -: الخدمة والذلّ والمشقّة، والماهن: الخادم، وامتهنه: استعمله في المهنة، وطلوع الكوكب: ظهوره فوق الأفق أو من تحت شعاع الشمس، وأفوله: غروبه تحته، والكسوف: زوال الضوء عن الشمس أو القمر للعارض المخصوص، وقد يفسّر الكسوف بحجب القمر ضوء الشمس عنّا أو حجب الأرض ضوء الشمس عنه، وهو تفسير للشيء بسببه. وقال جماعة من أهل اللغة: الأحسن أن يقال في زوال ضوء الشمس كسوف وفي زوال ضوء القمر خسوف فإن صحّ ما قالوه فلعلّه عليه السلام أراد بالكسوف زوال الضوء

المشترك بين الشمس والقمر لا المختصّ بالقمر وهو الخسوف ليكون خلاف الأحسن، ولا يخفى أنّ امتهان القمر حاصل بسبب كثف الشمس أيضاً، فإنّه هو الساتر لها، ولمّا كان شمول الكسوف للخسوف أشهر من العكس اختاره عليه السلام ثمّ قال أراد عليه السلام بالزيادة والنقصان زيادة نور القمر ونقصانه بحسب ما يظهر للحسّ، لا أنّ الزيادة والنقصان حاصلان له في الواقع، لأنّ الأزيد من نصفه منير دائماً كما بيّن في محله، وأمّا زيادته في الاجتماع ونقصانه في الاستقبال كما هو شأن الكرة الصغيرة المستنيرة من الكبيرة حالتي القرب والبعد فليس الكلام فيهما، إنّما الكلام في الزيادة والنقصان المسبّبين عن البعد والقرب المدركين بالحسّ، وربما يتراءى لبعض الأفهام من ظاهر قوله عليه السلام «وامتهنك بالزيادة والنقصان» أنّ زيادة نور القمر ونقصانه المحسوسين واقعان بحسب الحقيقة، وحاصلان في نفس الأمر كما هو معتقد كثير من الناس وهذا وإن كان ممكناً نظراً إلى قدرة الله تعالى على أن يحدث في جرمه أوّل الشهر شيئاً يسيراً من النور ويزيده على التدريج إلى أن يصير بدراً، ثمّ يسلبه عنه شيئاً فشيئاً إلى المحاق، إلّا أن حمل كلامه عليه السلام على ما هو متّفق عليه بين أساطين علماء الهيئة حتّى عدّ من الحدسيّات أليق وأولى، وهم مع قطع النظر عمّا أوجب تحدُّسهم بذلك إنّما اقتبسوا هذا العلم من أصحاب الوحي سلام الله عليهم كشيث عليه السلام المدعوّ على لسانهم بهرمس، وقد نقل جماعة من المفسّرين منهم الشيخ الطبرسيّ رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ إِدْرِيسَ﴾ - الآية - أنّ علم الهيئة كان معجزة له إلى آخر ما ذكره في ذلك. ثمّ قال رحمه الله لا يخفى أنّ حكمهم بأنّ نور القمر مستفاد من الشمس ليس مستنداً إلى مجرّد ما يشاهد من اختلاف تشكّلاته النوريّة بقربه وبعده عن الشمس، فإنّ هذا وحده لا يوجب ذلك الحكم قطعاً، بل لا بدّ مع ذلك من ضمّ أمور أخر، كحصول الخسوف عند توسّط الأرض بينه وبين الشمس، إلى غير ذلك من الأمارات الّتي يوجب اجتماعها ذلك الحكم، لجواز أن يكون نصفه مضيئاً من ذاته ونصفه مظلماً، ويدور على نفسه كحركة فلكه، فإذا تحرّك بعد المحاق يسيراً رأيناه هلالاً، ويزداد فنراه بدراً ثمّ يميل نصفه المظلم شيئاً فشيئاً إلى أن يؤول إلى المحاق. ثمّ أفاد رحمه الله لعلّك تقول عند ملاحظة قوله «وامتهنك بالزيادة والنقصان» أنّ حصول الامتهان للقمر بنقصان نوره ظاهر. فما معنى حصول الامتهان له بزيادة النور؟ فأقول: فيه وجهان: **الأوّل**: أنّه كان أحد وجهيه مستنيراً بالشمس دائماً، وكانت زيادة نوره إنّما هي بحسب إحساسنا فقط، وقد سخّره الأمر الإلهيّ لأن يتحرّك في النصف الأوّل من الشهر على نهج لا يزيد به المنير منه في كلّ ليلة إلّا شيئاً يسيراً لا يستطيع أن يتخطّاه ولا يقدر على أن يتعدّاه، أثبت عليه السلام له الامتهان بسبب إذلاله، وتسخيره للزيادة على هذا الوجه المقرّر، والنهج الخاصّ، وقد شبّه بعضهم حال القمر في ظهور القدر المرئيّ منه شيئاً فشيئاً في النصف الأوّل من الشهر إلى أن يصير بدراً، ثمّ استتاره شيئاً فشيئاً في النصف الثاني إلى أن يختفي بما إذا أمر السيّد عبده بأن لا يكشف النقاب عن وجهه للناظرين إلّا على التدريج

شيئاً فشيئاً في مدّة معيّنة، وأنّه متى انكشف وجهه بأجمعه فليبادر في الحال إلى ستره وإرخاء النقاب عليه شيئاً فشيئاً إلى أن يختفي بأجمعه عن الأبصار. **الوجه الثاني**: أن يكون مراده عليه السلام الامتهان بمجموع الزيادة والنقصان، أعني التغيّر من حال إلى حال، وعدم البقاء على شكل واحد ولعلّ هذا الوجه أقرب، وهو جار فيما نسبه عليه السلام إليه من الطلوع والأفول والإنارة والكسوف، ويمكن أن يوجّه امتهانه بالإنارة بوجه آخر، وهو أن يراد بها إعطاؤه النور للغير كوجه الأرض مثلاً لا اتّصافه هو بالنور، فإنّ الإنارة والإضاءة كما جاءا في اللغة لازمين جاءا متعدّيين أيضاً، فحينئذٍ ينبغي أن يراد بالكسوف كسفه للشمس ليتمّ المقابلة، ويصير المعنى: امتهنك بأن تفيض النور على الغير تارة وتسلبه عنه أُخرى، ولو أريد المعنى الشامل للخسوف أو نفس الخسوف أيضاً لم يكن فيه بعد والله أعلم.

ثمّ قال رحمه الله لمّا كانت الشمس ملازمة لمنطقة البروج وكانت أعظم من الأرض كان المستنير بأشعّتها أعظم من نصفها والمظلم أقلّ، وحصل مخروط مؤلّف من قطعتين ترتسم إحداهما من الخطوط الشعاعيّة الواصلة بين الشمس وسطح الأرض، وتسمّى مخروط النور والمخروط العظيم، والأُخرى من ظلّ الأرض وتسمّى مخروط الظلّ والمخروط الصغير، ويحيط به طبقة يشوبها ضوء مع بياض يسير، ثمّ طبقة أُخرى يشوبها مع ضوء يسير حمرة، وهذه الطبقات الثلاث تظهر للبصر في المشرق من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس بهذا الترتيب وبعكسه بعد غروبها في المغرب، وقاعدة المخروط العظيم على كرة الشمس منصّفة بمنطقة البروج، وسهمه في سطحها، وينتهي رأسه في أفلاك الزهرة عند كون الشمس في الأوج، وفيما دونه في ما دونها وقاعدة المخروط الصغير صغيرة على وجه الأرض هي الفصل المشترك بين المنير منها والمظلم، وهذان المخروطان يتحرّكان على سطح الأرض كأنّهما جبلان شامخان يدوران حولها على التبادل: أحدهما أبيض ساطع، والآخر أسود حالك عليه ملابس متلوّنة، ويتحرّك الأبيض من المشرق إلى المغرب وهو النهار لمن هو تحته والأسود بالعكس وهو الليل لمن هو تحته، فتبارك الله أحسن الخالقين وإذا توهّمنا سطحاً كريّاً مركزه مركز العالم يمرّ بمركز القمر وبالمخروط الصغير فالدائرة الحادثة منه على جرم القمر تسمّى صفحة القمر، والحادثة على سطح المخروط دائرة الظلّ ومركزها على منطقة البروج. فإذا عرفت هذا فإذا لاقى القمر مخروط الظلّ في الاستقبال ووقعت صفحته كلّها أو بعضها في دائرة الظلّ انقطعت الأشعّة الشمسيّة عنه كلّاً أو بعضاً وهو الخسوف الكلّيّ أو الجزئيّ ولكون غاية عرض القمر - وهي خمسة أجزاء - أعظم من مجموع نصفي قطري صفحته ودائرة الظلّ لم ينخسف في كلّ استقبال، بل إذا كان عديم العرض، أو كان عرضه وهو بعد مركزه عن مركز دائرة الظلّ أقلّ من نصفيهما إذ لو كان مساوياً لهما ماسّ القمر محيط دائرة الظلّ من خارج على نقطة في جهة عرضه ولم ينخسف، وإن كان أكثر فبطريق أولى، أمّا إن كان العرض أقلّ من النصفين انخسف أقلّ من نصف قطره إن كان ذلك العرض أكثر من

نصف قطر دائرة الظلّ، ونصف قطره إن كان مساوياً له، لمرور دائرة الظلّ بمركز الصفحة حينئذ، وأكثر منه إن كان أقلّ منه وأكثر من فضل نصف قطر دائرة الظلّ على نصف قطر القمر، وكلّه غير ماكث إن كان مساوياً لفضل نصف قطر دائرة الظلّ على نصف قطر القمر لمماسّة القمر محيط الظلّ من داخل على نقطة في جهة عرضه، وماكثاً بحسب ما يقع في دائرة الظلّ إن كان أقلّ من هذا الفضل، وغاية المكث إذا كان عديم العرض وأوّل الخسوف يشبه أثراً دخانيّاً، ثمّ يزداد تراكماً بازدياد توغّل القمر في الظلّ، فإن كان عرضه أقلّ من عشر دقائق كان لونه أسود حالكاً، وإلى عشرين فأسود ضارباً إلى خضرة، وإلى ثلاثين فإلى حمرة، وإلى أربعين فإلى صفرة، وإلى خمسين فأغبر، وإلى ستّين فأشهب، وابتداء الانجلاء من شرقيّ القمر، كما أنّ ابتداء الخسوف كذلك.

ثمّ اعلم أنّ الأحوال المشهورة الحاصلة للقمر كثيرة، فبعضها يشاركه فيه سائر الكواكب كالإنارة والطلوع والأفول ونحوها، وهي كثيرة ولا حاجة داعية إلى ضبطها، وبعضها أمور تختصّ به ولا توجد في غيره من الكواكب، وقد اعتنى أهل الهيئة بالبحث عنها، وأشهرها ستّة: سرعة الحركة، واختلاف تشكّلاته النوريّة، واكتسابه النور من الشمس، وخسوفه بحيلولة الأرض بينها، وحجبه لنورها بالكسف لها، وتفاوت أجزاء صفحته في النور وهو المسمّى بالمحو. وهذه الأحوال الستّة يمكن فهمها من كلامه عليه السلام بعضها بالتصريح وبعضها بالتلويح، أمّا سرعة حركته واختلاف تشكّلاته فظاهر، وأمّا كسفه الشمس وخسوفه فلما مرّ من حمل الكسوف في كلامه عليه السلام على ما يشمل الأمرين معاً، وأمّا اكتسابه النور من الشمس فلدلالة اختلاف التشكّلات مع الخسوف عليه، فهذه الأمور الخمسة تفهم من كلامه عليه السلام على هذا النهج، وبقي الأمر السادس أعني تفاوت أجزائه في النور، فإنّ في إشعار كلامه عليه السلام به نوع خفاء، ويمكن أن يومئ إليه قوله عليه السلام «وامتهنك بالزيادة والنقصان» فإنّ المراد زيادة النور ونقصانه، ولا معنى لتفاوت أجزائه في النور إلّا زيادته في بعض ونقصانه في بعض آخر كما لا يخفى، فقد تضمّن كلامه عليه السلام مجموع تلك الأحوال الستّة المختصّة بالقمر، وقد مرّ الكلام في الأربعة الأول منها، وبقي الكلام في الأخيرتين، فنقول: أمّا الكسوف فهو ذهاب الضوء عن جرم الشمس في الحسّ كلّاً أو بعضاً، لستر القمر وجهها الموجّه لنا كلّاً أو بعضاً، وذلك عند كونهما بحيث يمرّ خطّ خارج من البصر بهما، إمّا مع اتّحاد موضعيهما المرئيّين، أو كان البعد بينهما أقلّ من مجموع نصفي قطريهما، فلو تساويا ماسّها ولا كسف، وإن زاد الأوّل فبالأولى، فإن وقع مركزاهما على الخطّ المذكور كسفها كلّها بلا مكث إن كان قطراهما متساويين حسّاً، ومع مكث إن كان قطرها أصغر، وبقي منها حلقة نورانيّة إن كان قطرها أعظم، وإن لم يقعا على ذلك الخطّ كسف منها بعضها أبداً، إلّا إذا كان قطره أعظم حسّاً، فقد يكسفها حينئذ كلّاً، وربما تبقى منها حلقة نورانيّة مختلفة الثخن أو قطعة نعلية إن كان قطره أصغر. ولمّا كان الكسوف غير عارض للشمس

لذاتها بل بالقياس إلى رؤيتها بحسب كيفيّة توسّط القمر بينها وبين الأبصار أمكن وقوعه في بقعة دون أُخرى مع كون الشمس فوق أفقهما، وكونه في إحداهما كلّياً أو أكثر وفي أُخرى جزئيّاً أو أقلّ، وابتداء الكسوف من غربيّ الشمس كما أنّ ابتداء الانجلاء كذلك.

ثمّ قال رحمه الله وأمّا محو القمر وهي الظلمة المحسوسة في صفحته فأمره ملتبس والآراء فيه متشعّبة، والأقوال متخالفة، وأذكر منها خمسة: **الأوّل**: أنّها آثار وجهه المظلم تأدّت إلى وجهه المضيء. وأورد عليه أنّه لو كان كذلك لكانت أطرافه أشدّ ظلمة وأوساطه أشدّ ضوءاً **الثاني**: أنّه أجرام مختلفة مركوزة مع القمر في تدويره غير قابلة للإنارة بالتساوي، وهو مختار سلطان المحقّقين رحمه الله في التذكرة وأورد عليه أنّ ما يتوسّط بينه وبين الشمس من تلك الأجرام وكذا بيننا وبينه في كلّ زمان ووضع شيء آخر لتحرّك التدوير على نفسه، فكيف يرى دائماً على نهج واحد غير مختلف؟ وقد يعتذر له بأنّ التفاوت المذكور لا يحسّ به في صفحة القمر لصغرها وبعد المسافة. **الثالث**: أنّ الأشعّة تنعكس إليه من البحر المحيط أو كرة البخار لصقالتهما انعكاساً بيّناً، ولا تنعكس لذلك من سطح الربع المكشوف لخشونته، فيكون المستنير من وجهه بالأشعّة النافذة إليه على الاستقامة، والأشعّة المنعكسة تبعاً أضوأ من المستنير بالأشعّة المستقيمة والمنعكسة من الربع المكشوف وهذا مختار صاحب التحفة. وأورد عليه أنّ ثبات الانعكاس دائماً على نهج واحد مع اختلاف أوضاع الأشياء المنعكس عنها من البخار والجبال في جانبي المشرق والمغرب مستحيل. واعتذر له بما اعتذر لأستاذه رحمه الله. **الرابع**: أنّ سطح القمر لمّا كان صقيلاً كالمرآة والناظر يرى فيه صورة البحار، والقدر المكشوف من الأرض وفيه عمارات وغياض وجبال، وفي البحار مراكب وجزائر مختلفة الأشكال، وكلّها تظهر للناظر أشباحها في صفحة القمر، ولا يميّز بينها لبعدها، ولا يحسّ منها إلّا بخيال، وكما لا يرى مواضع الأشباح في المرايا مضيئة فكذلك لا ترى تلك المواضع فيه برّاقة أو أنّه ترى صورة العمارات والغياض والجبال مظلمة كما هي عليه في الليل، وصورة البحار مضيئة، أو بالعكس، فإنّ صورتي الأرض والماء منطبعتان فيه، كما أنّ الأرض لكثافتها تقبل ضوء الشمس أكثر ممّا يقبله الماء للطافته، فكذا صورتاهما وهذا الوجه مختار الفاضل النيسابوريّ في شرح التذكرة، ومال إليه أستاذنا المحقّق البرجنديّ في شرح التذكرة أيضاً، والإيراد والاعتذار كما سبق. **الخامس**: أنّ أجراماً صغيرة نيّرة مركوزة في جرم الشمس أو في فلكها الخارج المركز بحيث تكون متوسّطة دائماً بين الشمس والقمر، وهي مانعة من وقوع شعاع الشمس على مواضع المحو من القمر، وإنّما قلنا نيّرة لأنّها لو كانت مظلمة فيرى المحو على وجه الشمس، والمراد أنّها نيّرة نوراً أقلّ من نور بقيّة أجزاء الشمس، وهذا الوجه للمدقّق الخفريّ. **وأقول**: فيه نظر، فإنّ تلك الأجرام إن كانت صغيرة جدّاً تلاقت الخطوط الخارجة من حولها إلى القمر بالقرب منها، ولم يصل ظلّها إليه، وإن كان لها مقدار يعتدّ به بحيث يصل ظلّها إلى جرم القمر فوصوله إلى سطح الأرض في بعض

الأوقات كوقت الاستقبال أولى، فكان ينبغي أن يظهر على سطح الأرض كما يظهر ظلّ الغيم ونحوه، وليس فليس والله أعلم بحقائق الأمور.

ثمّ قال - قدّس الله لطيفه -: ما مرّ من أنّ اكتساب النور من الشمس مختصّ بالقمر لا يشاركه فيه غيره من الكواكب هو المشهور، وعليه الجمهور، فإنّهم مطبقون على أنّ أنوار ما عداه من الكواكب ذاتيّة غير مكتسبة من الشمس، واستدلّوا على ذلك بأنّها لو استفادت النور من الشمس لظهر فيه التشكّلات البدريّة والهلاليّة بالبعد والقرب منها كما في القمر، هكذا أورده صاحب التحفة فيها وفي نهاية الإدراك. وأقول: فيه نظر، فإنّ القائل باستفادتها النور من الشمس ليس عليه أن يقول بأنّ المستضيء منها إنّما هو وجهها المقابل للشمس فقط، ليلزمه اختلاف تشكّلاته كالقمر بل له أن يقول بنفوذ الضوء من أعماقها كالقطعة من البلّور مثلاً إذا وقع عليها ضوء الشمس، فإنّ الناظر إليها من جميع الجهات يبصرها مضيئة بأجمعها فتبصر.

ثمّ إنّ صاحب التحفة أورد على الدليل المذكور أنّ اختلاف التشكّلات إنّما يلزم في السفليّين لا في بقيّة الكواكب الّتي فوق الشمس، لكون وجهها المقابل لنا هو المقابل للشمس بخلاف القمر، فيمكن أن يستفيد النور منها ولا يظهر فيها التشكّلات الهلاليّة بالقرب من الشمس، وما يقال من أنّه يلزم انخسافها في مقابلات الشمس مدفوع بأنّ ظلّ الأرض لا يصل إلى أفلاكها. ثمّ إنّه أجاب عن هذا الإيراد بأنّ تلك الكواكب إذا كانت على سمت الرأس غير قابلة للشمس ولا مقارنة لها لم يكن وجهها المقابل لنا هو المقابل لها بل بعضه. ويلزم اختلاف التشكّلات الهلاليّة.

ثمّ قال: فإن قيل: إنّما لا يرى شيء منها هلالياً لخفاء طرفيه لصغر حجم الكواكب في المنظر وهو ظهوره من البعد المتفاوت مستديراً. قلنا: لو كان كذلك لرئي الكوكب في قرب الشمس أصغر منه في بعدها.

هذا كلامه، **وأقول**: فيه نظر، لأنّ للخصم أن يقول: إنّما يلزم ذلك لو وقعت دائرة الرؤية فيها مقاطعة لدائرة النور، ولم لا يجوز أن لا يقع أبداً إلّا داخلها، إمّا موازية لها إذا كان الكوكب على سمت الرأس في مقابلة الشمس، أو غير موازية إمّا مماسّة لها كما لعلّه يتّفق في التربيع، أو غير مماسّة كما في غيره؟ ولا يندفع هذا إلّا إذا ثبت تقاطع الدائرتين على سطح الكوكب كما في القمر ودون ثبوته خرط القتاد. ويمكن تقرير النظر بوجه آخر بأن يقال: قرب الكواكب من الشمس على نحوين: قرب كثير يوجب ظهور الصغر للحسّ، وقرب قليل لا يوجب ذلك، والأوّل لا يكون إلّا إذا كانت الشمس تحت الأفق وكان الكوكب قريباً من الأفق، فلم لا يجوز أن يكون الكوكب حال القرب أصغر لكن تراكم البخار جبر ذلك الصغر فلم ير أصغر لذلك. ثمّ إنّ الّذي ما زال يختلج بخاطري أنّ القول بعدم الفرق بين القمر وسائر الكواكب في أنّ أنوار الجميع مستفادة من الشمس غير بعيد عن الصواب، وقد ذهب إلى هذا

جماعة من أساطين الحكماء ووافقهم الشيخ السهرورديّ حيث قال في الهياكل: إنّ الشمس قاهر العنق رئيس السماء، فاعل النهار، صاحب العجائب، عظيم الهيئة، الّذي يعطي جميع الأجرام ضوءها، ولا يأخذ منها هذا كلامه، وقد ذهب الشيخ العارف محيي الدّين أيضاً إلى هذا القول، وصرّح به في الفتوحات المكّيّة، ووافقه جمع من الصوفيّة والله أعلم بحقائق الأشياء (انتهى).

«سبحانه ما أعجب ما دبّر في أمرك وألطف ما صنع في شأنك» سبحان: مصدر كغفران بمعنى التنزيه عن النقائص، ولا يستعمل إلّا محذوف الفعل منصوباً على المصدريّة، فسبحان الله معناه تنزيه الله، كأنّه قيل: أسبّحه سبحاناً وأُبرّئه عمّا لا يليق بعزّ جلاله براءةً. قال الشيخ الطبرسيّ رحمه الله إنّه صار في الشرع علماً لاعلى مراتب التعظيم الّتي لا يستحقّها إلّا هو سبحانه، ولذلك لا يجوز أن يستعمل في غيره تعالى، وإن كان منزّهاً عن النقائص. وإلى كلامه هذا ينظر ما قاله بعض الأعلام من أنّ التنزيه المستفاد من سبحان الله ثلاثة أنواع: تنزيه الذات عن نقص الإمكان الّذي هو منبع السوء، وتنزيه الصفات عن وصمة الحدوث بل عن كونها مغايرة للذات المقدّسة وزائدة عليها، وتنزيه الأفعال عن القبح والعبث بل عن كونها جالبة إليه تعالى نفعاً أو دافعة عنه سبحانه ضرّاً كأفعال العباد. و«ما» في قوله عليه السلام «ما أعجب» إمّا موصولة، أو موصوفة، أو استفهاميّة، على الخلاف المشهور في ما التعجّبيّة، وهي مبتدأة والماضي بعدها صلتها أو صفتها على الأوّلين والخبر محذوف أي الّذي أو شيء صيّره عجيباً أمر عظيم، أو كونها هو الخبر على الأخير، و«ما» في «ما دبّر» مفعول أعجب، وهي كالأولى على الأوّلين، والعائد المفعول محذوف، والأمر والشأن مترادفان.

«جعلك مفتاح شهر حادث لأمر حادث» فصل هذه الجملة عمّا قبلها للاختلاف خبراً وإنشاءً مع كون السابقة لا محلّ لها من الإعراب، والشهر مأخوذ من الشهرة يقال: شهرت الشيء شهراً أي أظهرته وكشفته، وشهرت السيف: أخرجته من الغلاف وتشبيهه الشهر في النفس بالبيت المقفول استعارة بالكناية، وإثبات المفتاح له استعارة تخييليّة، ولا يخفى لطافة تشبيه الهلال بالمفتاح. والجارُّ في قوله عليه السلام: «لأمر حادث» يتعلّق بحادث السابق، أي حدوث ذلك الشهر وتجدّده لأمر حادث مجدّد ويجوز تعلّقه بجعل، وتنكير «أمر» للإبهام وعدم التعيّن، أي أمر مبهم علينا حاله كما قالوه في قوله تعالى: ﴿أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ﴾ إنّ المراد أرضاً منكورة مجهولة[1].

وأقول: يحتمل أن يكون المراد بالأمر الحادث ما نيط بالشهور من المصالح الدينيّة، كالحجّ والصوم والعدد وسائر العبادات المتعلّقة بها، والدنيويّة كالمعاملات والديون وسائر

(١) الحديقة الهلالية، ص ١٢٥.

الأمور المربوطة بها. وقال الشيخ المتقدّم رحمه الله جعله عليه السلام مدخول ما التعجّبيّة فعلاً دالاً على التعجّب بجوهره، ينبئ عن شدّة تعجّبه عليه السلام من حال القمر وما دبّره الله سبحانه فيه وفي أفلاكه بلطائف صنعه وحكمته، وهكذا كلّ من هو أشدّ اطّلاعاً على دقائق الحكم المودعة في مصنوعات الله سبحانه فهو أشدّ تعجّباً منها، وأكثر استعظاماً لها، ومعلوم أنّ ما بلغ إليه علمه عليه السلام من عجائب صنعه جلّ وعلا، ودقائق حكمته في خلق القمر، ونضد أفلاكه، وربطه ما ربطه به من مصالح العالم السفليّ، وغير ذلك فوق ما بلغ إليه علم أصحاب الأرصاد ومن يحذو حذوهم من الحكماء الراسخين بأضعاف مضاعفة، مع أنّ الّذي اطّلع عليه هؤلاء من أحواله وكيفيّة أفلاكه وما عرفوه ممّا يرتبط به من أمور هذا العالم أمور كثيرة يحار فيها ذو اللبّ السليم قائلاً: ربّنا ما خلقت هذا باطلاً. وتلك الأمور ثلاثة أنواع: **الأوّل**: ما يتعلّق بكيفيّة أفلاكه وعددها ونضدها وما يلزمه من حركاتها من الخسوف واختلاف التشكّلات وتشابه حركة حامله حول مركز العالم لا حول مركزه، ومحاذاة قطر تدويره نقطة سوى مركز العالم، إلى غير ذلك ممّا هو مشروح في كتب الهيئة.

الثاني: ما يرتبط بنوره من التغيّرات في بعض الأجسام العنصريّة كزيادة الرطوبات في الأبدان بزيادته، ونقصانها بنقصانه، وحصول البَحارين للأمراض، وزيادة مياه البحار، والينابيع زيادة بيّنة في كلّ يوم من النصف الأوّل من الشهر، ثمّ أخذها في النقصان يوماً فيوماً في النصف الأخير منه، وزيادة أدمغة الحيوانات وألبانها بزيادة النور، ونقصانها بنقصانه، وكذلك زيادة البقول والثمار نموّاً ونضجاً عند زيادة نوره، حتّى أنّ المزاولين لها يسمعون صوتاً من القثّاء والقرع والبطّيخ عند تمدّده وقت زيادة النور، وكإبلاء نور القمر الكتّان، وصبغه بعض الثمار إلى غير ذلك من الأمور الّتي تشهد به التجربة. قالوا: وإنّما اختصّ القمر بزيادة ما نيط به من أمثال هذه الأمور بين سائر الكواكب لأنّه أقرب إلى عالم العناصر منها، ولأنّه مع قربه أسرع حركة فيمتزج نوره بأنوار جميع الكواكب، ونوره أقوى من نورها فيشاركها شركة غالب عليها فيما نيط بنورها من المصالح بإذن خالقها ومبدعها جلّ شأنه.

الثالث: ما يتعلّق به من السعادة والنحوسة، وما يرتبط به من الأمور الّتي هو علامة على حصولها في هذا العالم، كما ذكره الديانيّون من المنجّمين، ووردت ببعضه الشريعة المطهّرة على الصادع بها أفضل التسليمات، كما رواه الكلينيّ رحمه الله عن الصادق عليه السلام «من سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى» وعن الكاظم عليه السلام «من تزوّج في محاق الشهر فليسلم لسقط الولد» وكما رواه الشيخ عن الباقر عليه السلام «أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بات ليلة عند بعض نسائه فانكسف القمر في تلك الليلة فلم يكن فيها شيء، فقالت له زوجته: يا رسول الله، بأبي أنت وأمّي كلّ هذا البغض. فقال لها: ويحك، هذا الحادث في السماء فكرهت أن أتلذّذ».

وفي آخر الحديث ما يدلّ على أنّ المجامع في تلك الليلة إن رزق من جماعه ولداً وقد

سمع بهذا الحديث لا يرى ما يحبّ[١].

أقول: تتمّة الدعاء سيأتي شرحها في مقام آخر أنسب من هذا المقام إن شاء الله تعالى.

٣٧ - **الصحيفة السجّادية:** صلوات الله على من ألهمها: الحمد لله الّذي خلق الليل والنهار بقوّته، وميّز بينهما بقدرته، وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً وأمداً ممدوداً، يولج كلّ واحد منهما في صاحبه، ويولج صاحبه فيه بتقدير منه للعباد فيما يغذوهم به وينشئهم عليه، فخلق لهم الليل ليسكنوا فيه من حركات التعب، ونهضات النصب، وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه، فيكون ذلك لهم جماماً وقوّة ولينالوا به لذّةً وشهوة، وخلق لهم النهار مبصراً ليبتغوا فيه من فضله، وليتسبّبوا إلى رزقه، ويسرحوا في أرضه، طلباً لما فيه نيل العاجل من دنياهم، ودرك الآجل في أخراهم، بكلّ ذلك يصلح شأنهم، ويبلو أخبارهم، وينظر كيف هم في أوقات طاعته، ومنازل فروضه، ومواقع أحكامه، ليجزي الّذين أساؤوا بما عملوا، ويجزي الّذين أحسنوا بالحسنى. اللّهمّ فلك الحمد على ما فلقت لنا من الإصباح، ومتّعتنا به من ضوء النهار، وبصّرتنا به من مطالب الأقوات، ووقيتنا فيه من طوارق الآفات - إلى آخر الدعاء -[٢].

بيان: «خلق الليل والنهار بقوّته» الخلق يكون بمعنى الإيجاد، وبمعنى التقدير، وكلّ منهما هنا مناسب، والجمع بينهما أيضاً ممكن، وخلقه تعالى الليل والنهار بخلقه الشمس مضيئة غاية الإضاءة بحيث يغلب نورها نور سائر الكواكب وبخلق الهواء مظلماً في نفسه قابلاً للإضاءة، وبخلق الأرض كثيفة قابلة للإضاءة بحيث تنعكس منها الأشعّة، وجعل الشمس متحرّكة حول الأرض، فبطلوعها أو ظهور علامتها البيّنة يحصل النهار، وبغروبها أو ذهاب حمرتها المشرقيّة يحصل الليل وتقديم الليل لتقدّمه شرعاً وعرفاً كما عرفت، أو لتقدّم الظلمة على النور لكونها عدمية أو شبيهة بالعدم، أو للتأسّي بالقرآن في أكثر مواضعه «وميّز بينهما بقدرته» أي جعل كلّ واحد منهما ممتازاً عن الآخر من حيث الصورة ومن حيث الخواصّ والآثار، وقيل: معناه أنّ الله تعالى لمّا قدّر لكلّ يوم وليلة من أيّام السنة الشمسيّة ولياليها في كلّ بقعة من بقاع الأرض زماناً معيّناً لا يزيد ولا ينقص أبداً فلا يدخل أحدهما في الآخر، بأن يدخل الليل في النهار قبل تمامه وبالعكس، فيمتاز كلّ واحد منهما عن الآخر، أي لا يختلط أحدهما بالآخر. لكن يمكن استفادة هذا المعنى من الفقرة الآتية، والقدرة صفة نفسانيّة من شأنها الإيجاد والإحداث بها على وجه يتصوّر ممّن قامت به الفعل بدلاً عن الترك، والترك بدلاً عن الفعل، والقوّة تطلق على القدرة، وعلى حالة يصحّ أن تصدر عن صاحبها أفعال شاقّة وقد تطلق على حالة تكون مصدراً لحدوث أمر أو سبباً له كالقوى الناطقة

---

(١) الحديقة الهلالية، ص ١١٠-١٣٩. (٢) الصحيفة السجادية، ص ٥٤.

والنامية والباصرة والسامعة وأمثالها. والباء في الموضعين للاستعانة، أو للملابسة «وجعل لكلّ واحد منهما حدّاً محدوداً وأمداً ممدوداً» حدّ الشيء منقطعه ومنتهاه، والحدّ الحاجز بين الشيئين، والمحدود المعيّن أو المميّز عن غيره، والأمد يطلق على الغاية وعلى الزمان الممتدّ، والمدود المبسوط الممتدّ. وفي بعض النسخ «موقوتاً» وهو قريب من المحدود، والأظهر «ممدوداً» وجعل الأمد بمعنى الامتداد ليكون تأسيساً.

«يولج كلّ واحد منهما في صاحبه ويولج صاحبه فيه» الإيلاج: الإدخال وقد عرفت أنّ لإيلاج كلّ واحد منهما في الآخر معنيين: أحدهما يرجع إلى مجيء الليل بعد النهار ومجيء النهار بعد الليل، وثانيهما يرجع إلى زيادة كلّ منهما ونقصان الآخر، ويرد في خصوص هذه العبارة إشكال، وهو أنّ الزيادة والنقص في كلّ منهما يستفاد من الفقرة الأولى، فأيّ فائدة في الفقرة الثانية؟ وأجيب عنه بوجوه: **الأوّل**: ما ذكره الشيخ البهائيّ رحمه الله حيث قال: مراده التنبيه على أمر مستغرب، وهو حصول الزيادة والنقصان معاً في كلّ من الليل والنهار في وقت واحد، وذلك بحسب اختلاف البقاع كالشماليّة عن خطّ الاستواء والجنوبيّة عنه سواء كانت مسكونة أو لا، فإنّ صيف الشماليّة شتاء الجنوبيّة وبالعكس، فزيادة النهار ونقصانه واقعان في وقت واحد، لكن في بقعتين، وكذا زيادة الليل ونقصانه ولو لم يصرّح عليه السلام بقوله «ويولج صاحبه فيه» لم يحصل التنبيه على ذلك، بل كان الظاهر من كلامه عليه السلام وقوع زيادة النهار في وقت ونقصانه في آخر، وكذا الليل كما هو محسوس معروف بين الخاصّ والعامّ، فالواو في قوله «ويولج صاحبه فيه» واو الحال بإضمار مبتدأ كما هو المشهور بين النحاة (انتهى).

وأقول: إنّما قدّر المبتدأ لأنّ الجملة الحالية إذا كانت مضارعاً مثبتاً يكون بالضمير وحده، فإذا أضمر المبتدأ تصير جملة إسميّة والإسميّة الحاليّة تكون بالواو والضمير أو بالواو وحدها، وقيل: لا حاجة إلى تكلّف الحاليّة بل مع العطف أيضاً يستقيم هذا المعنى، فكأنّه قال: كما يولج نهار النصف الأوّل من السنة من لياليها وليالي النصف الثاني في نهارها يولج أيضاً ليالي النصف الأوّل في نهارها ونهار النصف الثاني في لياليها، وذلك في الأفق المقابل، لأنّه يصير ثمّة قوس الليل قوس النهار وبالعكس، فالليل الّذي يلج عندنا في النهار هو بعينه نهار ثمّة يلج في الليل، وهذا الاعتبار أغرب وأبعد ممّا اعتبر أوّلاً، وهو أنّ البقاع الجنوبيّة أمرها على العكس باعتبار النصفين مطلقاً من غير اعتبار كلّ يوم وليل بعينه (انتهى)، وأقول: هذا المعنى إلى الحاليّة أحوج من الأوّل وإن كان يستقيم المعنيان بدونهما.

الثاني: ما قيل: أنّ الجملة الأولى تدلّ على أنّ كلاً منهما مولج في صاحبه، والثانية على أنّ كلاً منهما مولج فيه صاحبه، وهذا معنى آخر غير الأوّل، وهو وإن كان لازماً للأوّل إلّا أنّ التصريح بما علم ضمناً للاهتمام والمبالغة أمر شائع ذائع، خصوصاً فيما كان أمراً عظيماً فيه قوام العالم ونظامه، فإنّ الليل والنهار من ضروريّات مصالح هذا العالم، وآيتان دالّتان على

وحدة الله سبحانه وكمال قدرته، ولهذا كرّر الله هذا المعنى في كتابه العزيز بلفظ الإيلاج وغيره. **الثالث**: أن يكون التكرار للإشعار بتكرّر هذا الأمر واستمراره، كما يقال لهذا المعنى «يفعل فلان ويفعل، ويعطي ويعطي» وهذا وجه وجيه. **الرابع**: ما قيل: أنّ دلالة إيلاج كلّ منهما في صاحبه على إيلاج صاحبه فيه من الخارج لا من اللفظ فإنّا إذا علمنا في الخارج أن ليس للّيل صاحب إلّا النهار ولا للنهار صاحب إلّا الليل علمنا من قوله «يولج كلّ واحد منهما في صاحبه» إيلاج الصاحب أيضاً فيه، وأمّا بالنسبة إلى اللفظ فلا دلالة له أصلاً، فإنّا إذا قلنا يولج الليل في صاحبه ويولج النهار في صاحبه ولم يعلم من الخارج أنّ صاحبهما ماذا فلا يعلم إيلاج صاحبه فيه البتّة ونحتاج إلى ذكره وترك العطف للاستئناف، أو الحاليّة المقدّرة، والعدول إلى المضارع للدلالة على الاستمرار التجدديّ.

«بتقدير منه للعباد» الباء للسببيّة أو الملابسة والأوّل أظهر، والتنكير للتفخيم. «فيما يغذوهم به» الظرف متعلّق بتقدير، أي جعل الله الخلق والتميز والإيلاج لتقدير عظيم في الشيء الّذي يغذوهم به، كما مرّ أنّ تعاقب الليل والنهار واختلاف الفصول ممّا له مدخل عظيم في حصول الأغذية للعباد «وينشئهم عليه» عطف على «يغذوهم» أي له مدخل في نشوئهم ونموّهم كما مرّ ذكره «فخلق لهم الليل» الفاء للترتيب الذكريّ، وهو عطف المفصّل على المجمل «ليسكنوا فيه من حركات التعب ونهضات النصب» الإضافتان من إضافة السبب إلى المسبّب، أي من فوائد الليل أن يسكنوا أي يستقرّوا ويستريحوا من الحركات الواقعة في النهار لتحصيل المعاش وغيره الموجبة للتعب، والنهضات - بالتحريك -: جمع نهضة - بسكون الهاء - وهي المرّة من «نهض ينهض نهضاً ونهوضاً» أي قام، أي القيامات للأمور الشاقّة، والتردّدات البدنيّة، والأشغال القلبيّة الواقعة في النهار الّتي هي سبب النصب - بالتحريك - أي الإعياء والعجز، ويروى «بهظات» بالباء الموحّدة والظاء المعجمة «من بهظه الأمر أو الحمل» كمنع أي غلبه وثقل عليه، ولعلّهما إشارتان إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾.

«وجعله لباساً ليلبسوا من راحته ومنامه» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسًا﴾ وقد مرّ تفسيره، وقال الزمخشريّ، أي يستركم عن العيون إذا أردتم هرباً من عدوّ، أو بياتاً له، أو إخفاء ما لا تحبّون الاطّلاع عليه من كثير من الأمور ويفهم منه معنى آخر وهو أنّه تعالى لمّا جعل الليل سبباً لأن يلبس العباد لباس الراحة والنوم فكأنّه لباس، وشبّه الراحة والمنام - وهو مصدر ميميّ بمعنى النوم - باللباس، من حيث إنّ كلّ واحد منهما يغشاهم ويشتمل عليهم كاللباس كما قال تعالى: ﴿فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلۡجُوعِ وَٱلۡخَوۡفِ﴾[1] وإضافة الراحة والمنام إلى ضمير الليل للاختصاص بمعنى اللام، أي الراحة والمنام المختصّين بالليل، ويظهر من

---

(١) سورة النحل، الآية: ١١٢.

كلام ابن الحاجب أنّه بمعنى «في» وأنكره أكثر المحقّقين، والظاهر أنّ (من) في قوله «من راحته» للتبعيض، لبيان أنّه لم يخلق الليل ليصرفوا جميعه في الاستراحة والمنام بل ليستريحوا في بعضه ويعبدوه في بعضه، وقيل «من» للابتداء، لأنّ اللبس يبتدئ من جهة الراحة كما قال تعالى: ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ بأن يكون «من راحته» صفةً لموصوف محذوف يدلّ عليه «يلبسوا» أي ليلبسوا ثوباً من راحته أي الثوب الّذي هو راحته، ولا يخفى أنّ ما ذكرنا أظهر، فيكون عطف على «يلبسوا» والتفريع بالفاء لبيان أنّ لبس الراحة والمنام سبب للجمام والقوّة، والجمام - بالفتح -، الراحة بعد التعب، يقال: جمّ الفرس جماماً أي ذهب إعياؤه.

«ولينالوا به» أي يصيبوا بلبس لباس الراحة «لذّة» وهي إدراك الملائم من حيث إنّه ملائم «وشهوة» وهي مصدر شهيه كرضي أي أحبّه ورغب فيه كاشتهاه وتشهّاه والحاصل: ليصيبوا بسبب ذلك ما يلتذّون به ويشتهونه، أو المراد بهما الحاصل بالمصدر، ولا يبعد أن يكون المراد لذّة النوم وشهوة الجماع، ويحتمل التعميم فيهما. «وخلق لهم النهار» عطف على «خلق لهم الليل» «مبصراً» إسناد للفعل إلى الظرف «ليبتغوا» أي ليطلبوا فيه شيئاً «من فضل الله» والمراد به نعم الله مطلقاً لا الرزق فقط، وإن فسّر به قوله تعالى: ﴿وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ﴾[1] لأنّ طلب الرزق مذكور بعد ذلك في قوله عليه السلام «وليتسبّبوا إلى رزقه» فذكره بعد من باب ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام بشأنه، أي ليتوصلوا ويطلبوا سبباً من الأسباب المعهودة المشروعة إلى تحصيل رزقه، أو ليصيروا سبباً وواسطة في تحصيله كما قال في مقام آخر «تسبّبت بلطفك الأسباب».

«ويسرحوا في أرضه» يقال: سرحت الدابّة - كمنع - سروحاً: سامت وسرحتها سرحاً: أسمتها ورعيتها، يتعدّى ولا يتعدّى، والمراد هنا الأوّل.

شبّه عليه السلام سيرهم في الأرض سفراً وحضراً بلا عائق كيف شاؤوا آكلين ما اشتهوا وشاربين ما شاؤوا بسير الدابّة في الأرض وسومها «طلباً» مفعول له لقوله «يسرحوا» وما قبله من الفعلين، وما قيل من أنّه متعلّق بخلق الليل وخلق النهار أي طلب الله تعالى من خلقهما فوائد لعباده فلا يخفى بعده «لما فيه نيل العاجل» أي وصولهم إلى النفع العاجل أي الحاضر «من دنياهم» بيان للعاجل، وفي بعض النسخ «في دنياهم» فهو متعلّق بالنيل. والدرك: اللحوق والوصول، والآجل: خلاف العاجل «في أخراهم» متعلّق بالدرك أو صفة للآجل، أي النفع الآجل الكائن في أخراهم، والأخرى: تأنيث الآخر، أي الدار الأخرى غير الدنيا أو الأخيرة «بكلّ ذلك» متعلّق بـ«يصلح» وهو حال أي يصلح الله بكلّ من الليل والنهار وسائر الأمور المذكورة «شأنهم» هو بالهمز وقد يخفّف: الأمر والحال، أي أمورهم بحسب العاجل والآجل «ويبلو أخبارهم» قال الزمخشريّ في قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ

---

(١) سورة الجمعة، الآية: ١٠.

﴿الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ﴾(١) أي ما يحكى عنكم وما يخبر به من أعمالكم لنعلم حسنها من قبيحها، لأنّ الخبر على حسب المخبر عنه إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح (انتهى)(٢) ومعنى «يبلو» يختبر أي يعاملهم معاملة المختبر.

«وينظر كيف هم في أوقات طاعته» أي كيف يصنعون في الأوقات الّتي وقّتها لطاعتهم هل يطيعون أو يعصون «ومنازل فروضه» أي أوقات فروض الله تعالى الّتي فرضها على العباد، فالمراد المنازل الّتي ينزل فيها الفروض، أو منازل المكلّف وهي منسوبة إلى الفروض لحصول الفرض عندها، أو هو من إضافة المشبّه به إلى المشبّه كلجين الماء تشبيهاً للفروض بالمنازل الّتي ينزلها المسافر، حيث إنّ المسافر في سفره ينتظر المنزل قبل وصوله إليه ويتشوّق له، وإذا وصل إليه يفرح به ويفعل فيه ما ينبغي أن يفعل ويأنس به، فينبغي للمكلّف أن يكون بالنسبة إلى ما فرض الله عليه كذلك، وعلى التقادير من قبيل ذكر الخاصّ بعد العامّ للاهتمام، إذ الطاعة أعمّ من الفرض بمعانيه. ويحتمل أن يراد بأوقات الطاعة العبادات الموقّتة، وبمنازل الفروض غير الموقّتة، أو بالعكس، والأحكام: أعمّ منهما لشمولها للخمسة، وإن كان شمولها للمباح لا يخلو من تكلّف، بأن يقال: ينظر كيف هم فيه هل يعتقدونه مباحاً أم يبتدعون تحريمه أو غير ذلك، مع أنّه يمكن جعل المباحات طاعات بالنيّات كما سيأتي بيانه في محلّه. والمراد بمواقع الأحكام الأمور الّتي تتعلّق بها وهي أفعال المكلّفين، أو الأزمنة والأحوال الّتي تعرض فيها ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَٰـُٔوا۟﴾ متعلّق بما قبله من الأفعال الثلاثة، أي إنّما فعل تلك الأمور ليجزي الّذين أساؤوا أي عملوا السيّئة «بما عملوا» أي بعقاب ما عملوا، أو بمثل ما عملوا، أو بسببه ﴿وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا۟﴾ أي فعلوا الأعمال الحسنة ﴿بِالْحُسْنَى﴾ أي بالمثوبة الحسنى، أو بأحسن من أعمالهم وجزائها، أو بسبب الفعلة الحسنى، فالباء في الموضعين إمّا للصّلة أو للسببيّة فالظرفان متعلّقان بالجزاء، وتعلّقهما بأساؤوا وأحسنوا كما توهّم بعيد وأوسط التقادير الثلاثة المتقدّمة أظهر، لدلالته على جزاء السيّئة بالمثل والحسنة بأضعافها.

«اللهمّ» أصله يا الله، حذف حرف النداء وعوّض عنه الميم المشدّدة «فلك الحمد» لمّا حمده سبحانه على خلق مطلق الليل والنهار حمده تعالى على خصوص اليوم الّذي هو فيه والنعم الّتي اشتمل عليها، وتقديم الظرف للحصر «على ما فلقت» أي شققت «لنا» أي لانتفاعنا «من الإصباح» وهو في الأصل مصدر «أصبح» أي دخل في الصباح، سمّي به الصبح «ومتّعتنا به» أي على ما صيّرتنا ذوي تمتّع وانتفاع بسببه «من ضوء النهار» الإضافة بتقدير اللام أو بيانيّة «وبصّرتنا» أي على ما جعلتنا مبصرين له وبصراء به بسبب النهار «من مطالب الأقوات» بالإضافة البيانيّة أو اللاميّة، أي المواضع الّتي يطلب منها القوت،

(١) سورة محمد، الآية: ٣١.
(٢) تفسير الكشاف، ج ٤ ص ٣٢٨.

والأعمال الّتي هي مظنّة حصوله والقوت: ما يقوم به بدن الإنسان من الطعام «ووقيتنا» أي وعلى ما وقيتنا وحفظتنا منه في ذلك الصبح «من طوارق الآفات» بالإضافة البيانيّة أو إضافة الصفة إلى الموصوف، والطارق في الأصل من يأتي بالليل لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً، ويستعمل غالباً في الشرور الواقعة بالليل وقد يعمّ بما يشمل ما يقع بالنهار أيضاً، فالمراد هنا آفات البارحة أو مطلقاً. ثمّ اعلم أنّ لفظة «ما» الظاهرة في الفقرة الأولى والمقدّرة فيما بعدها من الجمل الثلاث موصولة، وضمير «به» المذكور في الجملتين والمقدّر في غيرهما عائد إليها، و«من» في المواضع الأربعة لبيان الموصول، ويمكن أن تكون «ما» مصدريّة في الجميع أو في سوى الأولى، والضمائر راجعة إلى الإصباح أو فلقه فيكون «من» في قوله «من مطالب» بمعنى الباء كما في قوله تعالى: ﴿يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ ثمّ الحمد في الفقرة الثانية يشمل العميان أيضاً فإنّهم يتمتّعون بضوء النهار، لاشتغال البصراء بالمهمّات والحوائج ومن جملتها حوائج الأضرّاء، وأمّا الثالثة فإن كان التبصير فيها من إبصار العين فهو لغيرهم، وإن كان من البصيرة فيشملهم، وهذا يؤيّد حمله على الأخير. وأمّا شرح تتمّة الدعاء فموضعه الفرائد الطريفة.

٣٨ - **الدرّ المنثور:** عن عبد الله بن مغفّل. قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ عيسى بن مريم عليه السلام قال: يا معشر الحواريّين! الصلاة جامعة. فخرج الحواريّون في هيئة العبادة، قد تضمّرت البطون، وغارت العيون، واصفرّت الألوان، فسار بهم عيسى عليه السلام إلى فلاة من الأرض، فقام على رأس جرثومة فحمد الله وأثنى عليه ثمّ أنشأ يتلو عليهم من آيات الله وحكمته فقال: يا معشر الحواريّين! اسمعوا ما أقول لكم، إنّي لأجد في كتاب الله المنزل الّذي أنزله الله في الإنجيل أشياء معلومة فاعملوا بها، قالوا: يا روح الله وما هي؟ قال: خلق اللّيل لثلاث خصال، وخلق النهار لسبع خصال، فمن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه، خلق الليل لتسكن فيه العروق الفاترة الّتي أتعبتها في نهارك، وتستغفر لذنبك الّذي كسبته بالنهار ثمّ لا تعود فيه، وتقنت فيه قنوت الصابرين، فثلث تنام، وثلث تقوم، وثلث تضرّع إلى ربّك، فهذا ما خلق له الليل. وخلق النهار لتؤدّي فيه الصلاة المفروضة الّتي عنها تسأل وبها تخاطب، وتبرّ والديك، وأن تضرب في الأرض تبتغي المعيشة معيشة يومك وأن تعودوا فيه وليّاً لله كيما يتغمّدكم الله برحمته، وأن تشيّعوا فيه جنازة كيما تنقلبوا مغفوراً لكم، وأن تأمروا بمعروف، وأن تنهوا عن منكر، فهو ذروة الإيمان وقوام الدين، وأن تجاهدوا في سبيل الله تزاحموا إبراهيم خليل الرحمن في قبّته، ومن مضى عليه الليل والنهار وهو في غير هذه الخصال خاصمه الليل والنهار يوم القيامة فخصماه عند مليك مقتدر[١].

---

(١) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٥٦.

بيان: قال في النهاية: فيه: كانت في المسجد جراثيم أي كان فيها أماكن مرتفعة عن الأرض مجتمعة من تراب أو طين.

٣٩ - **الدرّ المنثور:** عن ابن مسعود، في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ﴾ قال: طلوع الشمس والقمر من مغربهما مقترنين كالبعيرين القرينين، ثمّ قرأ ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾[1].

٤٠ - وعن حذيفة قال: سألت رسول الله ﷺ فقلت: يا رسول الله ما آية طلوع الشمس من مغربها؟ فقال: تطول تلك الليلة حتّى تكون قدر ليلتين، فيقوم الّذين كانوا يصلّون فيها فيعملون كما كانوا يعملون والنجوم مكانها لا تسري، ثمّ يأتون فرشهم فيرقدون حتّى تكلّ جنوبهم، ثمّ يقومون فيصلّون حتّى يتطاول عليهم الليل فيفزع الناس فبينما هم ينتظرون طلوع الشمس من مشرقها إذا هي طلعت من مغربها فإذا رآها الناس آمنوا ولا ينفعهم إيمانهم. وروى مثله عن قتادة[2].

٤١ - وعن ابن عبّاس وفي روايته: آية تلكم الليلة أن تطول كقدر ثلاث ليال[3].

٤٢ - وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: كنت ردف رسول الله ﷺ على حمار عليه برذعة أو قطيفة وذاك عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذرّ أتدري أين تغيب هذه؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنّها تغرب في عين حمئة تنطلق حتّى تخرّ لربّها ساجدة تحت العرش، فإذا حان خروجها أذن لها فتخرج فتطلع، فإذا أراد الله أن يطلعها من حيث تغرب حبسها فتقول: يا ربّ إنّ مسيري بعيد، فيقول لها اطلعي من حيث غربت، فذلك حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل[4].

٤٣ - وعن عبد الله بن أوفى، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ليأتينّ على الناس ليلة بقدر ثلاث ليال من لياليكم هذه، فإذا كان ذلك يعرفها المصلّون يقوم أحدكم فيقرأ حزبه ثمّ ينام، ثمّ يقوم فيقرأ حزبه ثمّ ينام، ثمّ يقوم فبينما هم كذلك إذ ماج الناس بعضهم في بعض فقالوا: ما هذا؟ فيفزعون إلى المساجد فإذا هم بالشمس قد طلعت من مغربها، فضجّ الناس ضجّة واحدة حتّى إذا صارت في وسط السماء رجعت وطلعت من مطلعها، وحينئذ لا ينفع نفساً إيمانها[5].

٤٤ - وعن أنس عن رسول الله ﷺ قال: إنّ الشمس والقمر والنجوم خلقن من نور العرش[6].

٤٥ - وعن السدّيّ في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا﴾ قال: لم يجعل الشمس كهيئة القمر لكي يعرف الليل من النهار، وهو قوله ﴿فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ﴾ الآية[7].

٤٦ - وعن ابن عبّاس قال: وجوههما إلى السماوات، وأقفيتهما إلى الأرض[8].

---

(١) - (٥) الدر المنثور، ج ٣ ص ٥٧-٥٨. (٦) الدر المنثور، ج ٣ ص ٩٢.

(٧) - (٨) الدر المنثور، ج ٣ ص ٣٠٠.

٤٧ - وعن أبي ذرّ ﵁ قال: كنت مع النبيّ ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: يا أبا ذرّ أتدري أين تغرب الشمس؟ قلت: الله ورسوله أعلم، فقال: إنّها تذهب حتّى تسجد تحت العرش فتستأذن في الرجوع، فيؤذن لها، فذاك قوله ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ﴾(١).

٤٨ - وعن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ: «لا مستقرّ لها»(٢).

٤٩ - وعن ابن عبّاس ﴿رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ﴾ قال: للشمس مطلع في الشتاء ومغرب في الشتاء. ومطلع في الصيف ومغرب في الصيف غير مطلعها في الشتاء وغير مغربها في الشتاء(٣).

٥٠ - وفي رواية أُخرى عنه قال: مشرق الفجر ومشرق الشمس، ومغرب الشمس ومغرب الشفق(٤).

٥١ - وعنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ﴾ قال: للشمس كلّ يوم مطلع تطلع فيه ومغرب تغرب فيه غير مطلعها بالأمس وغير مغربها بالأمس(٥).

٥٢ - وعن عكرمة قال: هي المنازل الّتي تجري فيها الشمس والقمر(٦).

٥٣ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾ قال: وجهه يضيء السماوات وظهره يضيء الأرض(٧).

٥٤ - وعن شهر بن حوشب قال: اجتمع عبد الله بن عمرو بن العاص وكعب الأحبار وقد كان بينهما بعض العتب، فتعاتبا فذهب ذلك، فقال عبد الله بن عمرو لكعب: سلني عمّا شئت فلا تسألني عن شيء إلّا أخبرتك بتصديق قولي من القرآن! فقال له: أرأيت ضوء الشمس والقمر أهو في السماوات السبع كما هو في الأرض؟ قال: نعم، ألم تروا إلى قول الله ﴿خَلَقَ ٱللَّهُ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗا ١٥ وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾(٨).

٥٥ - وعن ابن عبّاس قال: وجهه في السماء إلى العرش وقفاه إلى الأرض(٩).

٥٦ - وعن عكرمة قال: إنّه يضيء نور القمر فيهنّ كلّهنّ، كما لو كان سبع زجاجات أسفل منهنّ شهاب أضاء كلّهنّ، فكذلك نور القمر في السماوات كلّهنّ لصفائهنّ(١٠).

٥٧ - وعن ابن عبّاس في قوله: ﴿وَجَعَلَ ٱلۡقَمَرَ فِيهِنَّ نُورٗا﴾، قال: خلق فيهنّ حين خلقهنّ ضياءً لأهل الأرض، وليس في السماء من ضوئه شيء(١١).

٥٨ - وعن عطاء في قوله: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ﴾ قال: يجمعان يوم القيامة ثمّ يقذفان فيكون نار الله الكبرى(١٢).

---

(١) - (٢) الدر المنثور، ج ٥ ص ٢٦٣.
(٣) - (٤) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٤٢.
(٥) - (١١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٦٧-٢٦٩.
(١٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٨٨.

٥٩ - وعن ابن جريج قال: كوّرا يوم القيامة(١).

٦٠ - **العلل والعيون:** في خبر الشاميّ عن الرضا عليه السلام أنّه سأل رجل من أهل الشام أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل فكان فيما سأله أن سأله عن أوّل ما خلق الله تعالى قال: خلق النور، وسأله عن طول الشمس والقمر وعرضهما، قال: تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ(٢).

بيان: أقول تمامه في كتاب الاحتجاج، وقال السيّد الداماد رحمه الله بعد إيراد الخبر بتمامه: إنّما هذه السؤالات عن أشياء وجدها السائلون من أهل الكتاب في الكتب السماويّة المنزلة على أنبيائهم، فامتحنوا بها أمير المؤمنين عليه السلام واختبروا بها علمه بالكتب الإلهيّة والصحف السماويّة، وقوله عليه السلام: «أوّل ما خلق الله النور» المعنيّ به الجوهر المفارق الّذي هو أوّل الأنوار العقليّة كما قال سيّدنا رسول الله صلى الله عليه وآله «أوّل ما خلق الله العقل» وأمّا قوله عليه السلام «تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ» قال: المعنيّ به مكعّب تسعمائة فرسخ أي سبعمائة ألف ألف فرسخ وتسعة وعشرون ألف ألف فرسخ المجتمع من ضرب تسعمائة فرسخ في تسعمائة فرسخ ثمّ ضرب تسعمائة فرسخ في مربّعها الحاصل من ضربها في نفسها أي في ثمانمائة ألف فرسخ وعشرة آلاف فرسخ والّذي رامه بطول الشمس وعرضها المتساويين هو مساحة جميع سطحها المستدير المحيط بجرمها، وكذلك ما يرام بطول القمر وعرضه وليعلم أنّ ما نالته الحكماء التعليميّون ببراهينهم وأرصادهم وحصّلته العلماء الرياضيّون بحسبهم وحسباناتهم في مقادير الأبعاد والأجرام قد اختلف مذاهبهم فيه اختلافاً كثيراً، وذلك إمّا لاختلالات في الآلات الرصديّة، أو لخلل وزلل في نصبها في مناصبها اللائقة، وإمّا لمسامحات قلّ ما تخلو عنها حسابات الحاسبين، ومساهلات قلّ ما تعرو عنها أرصاد الراصدين، فلذلك كلّه ما قد اختلف أحكام الأرصاد، وعزّ ما يتّفق رصدان متّفقان وبالجملة فإذ قد أقرّت الجماهير أنّ بحث الأوائل أوفى فاعلمنّ أنّ بطلميوس ومن في طبقته من الأوائل وجدوا بأرصادهم حصّة درجة واحدة من الدائرة العظمى تقع على سطح الأرض اثنين وعشرين فرسخاً وتُسع فرسخ، فحكموا أنّ ثلاثمائة وستّين درجة وهي محيط الدائرة العظمى الأرضيّة ثمانية آلاف فرسخ، وقد بيّن أرشميدس في مقالته في مساحة الدائرة أنّ محيط كلّ دائرة كمجموع ثلاثة أمثال قطرها وسبع قطرها على التقريب، فيكون مقدار قطر الأرض ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً، وقد بيّن فيها أيضاً أنّ مسطّح نصف القطر في نصف المحيط مساو لتكسير الدائرة، فتستبين بقوّة الخامس والعشرين من أوّليْ كتاب الكرة والأسطوانة لأرشميدس أنّ السطح الّذي يحيط به قطر الكرة في المحيط أعظم دائرة تقع فيها مساو للسطح المحيط بالكرة، فإذا ضربت القطر في محيط الدائرة العظمى حصل تكسير سطح الأرض وهو عشرون ألف ألف فرسخ وثلاثمائة وثلاثة وستّون ألف فرسخ وستّمائة

(١) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٨٨.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٦ باب ٣٨٥ ح ٤٤.

وستّة وثلاثون فرسخاً وأربعة أجزاء من أحد عشر جزءاً من فرسخ، ووجدوا قطر الأرض مثل قطر جرم القمر ثلاث مرّات وخمسي مرّة فيكون مقدار جرم قطر القمر سبعمائة فرسخ وسبعة وأربعين فرسخاً بالتقريب فمحيط دائرة عظمى قمريّة ألفان وثلاثمائة فرسخ وأحد وأربعون فرسخاً ونصف فرسخ على التقريب، فمساحة جميع سطح القمر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخاً، ووجدوا قطر جرم الشمس خمسة أمثال ونصف مثل لقطر الأرض، إذ كانوا وجدوا قطر الشمس بنسبته إلى قطر الأرض كمجموع ثمانية عشر جزءاً وأربعة أخماس جزء بالنسبة إلى مجموع ثلاثة أجزاء وخمسي جزء، فخرج لهم من بعد القسمة خمسة ونصف، فمقدار قطر الشمس أربعة عشر ألف فرسخ إلّا فرسخين ونصف فرسخ، فمحيط دائرة عظمى على جرم الشمس أربعة وأربعون ألف فرسخ تقريباً قريباً من التحقيق على ذلك التقدير. فمساحة سطح جرم الشمس بناءً على ذلك ستّمائة ألف ألف فرسخ وستّة عشر ألف ألف فرسخ، ومجموع مساحة سطح الشمس والقمر جميعاً ستّمائة ألف ألف فرسخ وسبعة عشر ألف ألف فرسخ وسبعمائة ألف فرسخ وثلاثة وأربعون ألف فرسخ وثمانمائة فرسخ وخمسة وأربعون فرسخاً، واستخرجوا بحسبهم على ما قد استحصلته أرصادهم أنّ من الأرض إلى بعد الشمس الأوسط ألف ألف فرسخ وسبعة وثلاثين ألف فرسخ وثلاثمائة فرسخ وأحداً وثمانين فرسخاً بالتقريب، وأنّ الشمس مائة وستّة وستّون مثلاً وربع وثمن مثل للأرض وستّة آلاف وستّمائة وأربعة وأربعون مثلاً للقمر، وأنّ الأرض تسعة وثلاثون مثلاً وربع مثل للقمر. وقال قطب فلك التحصيل والتحقيق من العلماء المشهوريّة الجمهوريّة في طبيعيّات كتاب «درّة التاج» أنّ الحكيم الفاضل مؤيّد الدين العرضي حقّق الأمر تحقيقاً لم يسبقه إليه أحد ولم يلحقه أحد، وفيما نقل عنه أنّ جرم الشمس مائة وسبعة وستّون مثلاً لجرم الأرض، وجرم الأرض أربعون مثلاً لجرم القمر، ثمّ إنّ هؤلاء الراصدين الحاسبين جعلوا البعد الأبعد لكلّ كوكب البعد الأقرب للكوكب الّذي فوقه، وكان من الواجب أن يجعل بعد محدّب كلّ فلك بعد مقعّر الفلك الّذي فوقه، لكنّهم لم يعتبروا أنصاف أقطار الكواكب وثخن جوزهر القمر وما يبقى من متمّم عطارد بين أقرب أبعاده ومقعّر فلكه، إذ لم يكن غرضهم الأصلي إلّا الاطّلاع على عظم هذه الأجرام الشريفة على الإجمال، ليعلم أنّ قدرة مبدعها جلّت عظمته على أقصى غايات الكمال، لا استثبات معرفتها للذّهن البشريّ على طباق ما في العين، فإنّ عقول الحكماء وأفهام العقلاء لا تصادف ولا تلقى إلّا راجعة عن ذلك بخُفَّي حُنَين فلذلك تراهم يتساهلون كثيراً في الحساب مع أنّ إهمال ثانية واحدة يفضي إلى التبعيد بمراحل عن الصواب، ولقد أورد عليهم أنّ المسافة على ما في المجسطيّ وما في مرتبته بين محدّب الفلك المائل للقمر ومقعّر فلك الشمس ليست تُسع ثخني فلك الزهرة وعطارد فضلاً من أن يسعهما ما بين محدّب جوزهر القمر ومقعّر فلك الشمس والحقّ أنّ ذلك إنّما نشأ من

المساهلة في الحساب بإهمال الكسور وما يسير مسيره ويجري مجراه، فالراصد الفاضل الحاسب المهندس الكاشانيّ قد تشمّر محل الإشكال في رسالة «سلّم السماء» باستئناف الحساب على سبيل الاستقصاء من غير إهمال الثواني بل الثوالث، وأورد قطر جرم القمر على أنّه سبعمائة وأحد وثلاثون فرسخاً، والصواب فيه ما أثبتناه، وقطر الشمس سبعة عشر ألف وخمسمائة وثمانية وثلاثين فرسخاً على أنّه سبعة أمثال قطر الأرض إلّا عشر مثل تقريباً والّذي يوجبه الاستقصاء أنّه مثل قطر الأرض ستّ مرّات وخمسة أسداس مرّة ونصف عشر مرّة، وجرم القمر على أنّه كجزء من اثنين وأربعين جزءاً وسدس جزء من الأرض، والأحقّ فيه استبدال خمس مكان سدس. وجرم الشمس على أنّها ثلاثمائة وستّة وعشرون مثلاً للأرض، والأحقّ في ذلك وخمس مثل أيضاً تقريباً. وإذا علم ذلك فليعلم أنّ ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في جواب سؤال الشاميّ إنّما هو على مطابقة الشائع المعتبر الّذي اعتبرته الأوائل من الحكماء اليونانيّين، ثمّ استمرّ شيوعاً واستقرّ اعتباراً في العصور والدهور إلى هذه السنين الأخيرة، لكنّه لم يتساهل في الحساب ولم يهمل اعتبار الكسور، فلعلّه عليه السلام اعتبر قطر الأرض أكثر ممّا هو المشهور بشيء يسير، أو أنّه عليه السلام اعتبر قطر الشمس ستّة أمثال قطر الأرض كثمانية عشر بالنسبة إلى خمسة، وهم قد اعتبروه بالنسبة إليه كثمانية عشر جزءاً وأربعة أخماس جزء بالنسبة إلى ثلاثة أجزاء وخُمسي جزء، وبالجملة على ما قاله عليه السلام يجب أن يؤخذ قطر الشمس على أنّه خمسة عشر ألفاً ومائتا فرسخ تقريباً، ومحيط دائرة عظمى شمسيّة على أنّه سبعة وأربعون ألفاً وسبعمائة فرسخ وأحد وسبعون فرسخاً ونصف فرسخ تقريباً ليس هو على البعد من التحقيق، فإذن يكون مجموع مضروب قطرها في محيط عظماها وهو مساحة جميع سطحها ما آتيناك في مساحة جميع سطح القمر مساوياً لمكعّب تسعمائة فرسخ على التقريب القريب من التحقيق جدّاً والله سبحانه أعلم بأسرار كلام عبده ووليّه، وأخي رسوله ووصيّه، وباب علمه وعيبة حكمته، ولو رام رائم أن يتعرّف سبيل الجواب على الاستقصاء الّذي تولّاه الراصد الحاسب الكاشيّ على سبيل التقريب قيل له ألف في تسعمائة ثمّ في حاصل الضرب.

وأقول: ذهب بخُفّي حنين مثل سائر في خيبة الإنسان عمّا يرجوه. وقال الجوهريّ: قال ابن السكّيت عن أبي اليقظان كان حنين رجلاً شديداً ادّعى على أسد بن هاشم بن عبد مناف، فأتى عبد المطّلب وعليه خفّان أحمران، فقال: يا عمّ أنا ابن أسد بن هاشم، فقال عبد المطّلب: لا وثياب هاشم! ما أعرف شمائل هاشم فيك فارجع. فقالوا «ذهب حنين بخفّيه» فصار مثلاً، وقال غيره: هو اسم «إسكاف» من أهل الحيرة، ساومه أعرابيّ بخفّين فلم يشتره، فغاظه ذلك وعلّق أحد الخفّين في طريقه، فتقدّم فطرح الآخر وكمن له، وجاء الأعرابيّ فرأى أحد الخفّين فقال: ما أشبه هذا بخفّ حنين! لو كان معه آخر لاشتريته. فتقدّم فرأى الخفّ الثاني مطروحاً في الطريق، فنزل وعقل بعيره ورجع إلى الأوّل، فذهب الإسكاف براحلته وجاء إلى الحيّ بخُفّي حنين.

١١ - باب علم النجوم والعمل به وحال المنجّمين

الآيات: الصافات: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ۝٨٨ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ۝٨٩﴾.

تفسير: استشكل السيّد المرتضى ﵀ في كتاب «تنزيه الأنبياء» في هذه الآية بوجهين: أحدهما أنّه حكي عن نبيّه النظر في النجوم، وعندكم أنّ الّذي يفعله المنجّمون في ذلك ضلال. والآخر قوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ وذلك كذب. ثمّ أجاب بوجوه:

الأوّل: أنّ إبراهيم ﵇ كانت به علّة تأتيه في أوقات مخصوصة، فلمّا دعوه إلى الخروج معهم نظر إلى النجوم ليعرف منها قرب نوبة علّته، فقال إنّي سقيم، وأراد أنّه حضر وقت العلّة وزمان نوبتها، وشارفت الدخول فيها، وقد تسمّي العرب المشارف للشيء باسم الداخل فيه، كما قال تعالى ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[1].

فإن قيل: لو أراد ما ذكرتموه لقال فنظر إلى النجوم لأنّ لفظة ﴿فِي﴾ لا تستعمل إلّا فيمن ينظر كما ينظر المنجّم.

قلنا: حروف الصفات يقوم بعضها مقام بعض، قال سبحانه: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾[2] وإنّما أراد على جذوعها.

الثاني: أنّه يجوز أن يكون الله أعلمه بالوحي أنّه سيمتحنه بالمرض في وقت مستقبل، وإن لم يكن قد جرت بذلك المرض عادته، وجعل تعالى العلامة على ذلك ظاهراً له من قبل النجوم، إمّا لطلوع نجم على وجه مخصوص أو اقترانه بآخر، فلمّا نظر إبراهيم ﵇ في الأمارة الّتي نصبت له من النجوم قال إنّي سقيم تصديقاً لما أخبره الله تعالى.

الثالث: ما قاله قوم في ذلك أنّ من كان آخر أمره الموت فهو سقيم، وهذا لأنّ تشبيه الحياة المفضية إلى الموت بالسقم من أحسن التشبيه.

الرابع: أن يكون قوله إنّي سقيم معناه أنّي سقيم القلب أو الرأي، خوفاً من إصرار قومه على عبادة الأصنام، وهي لا تسمع ولا تبصر، ويكون قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ على هذا معناه أنّه نظر وفكّر في أنّها محدثة مدبّرة مصرّفة، وعجب كيف يذهب على العقلاء ذلك من حالها حين يعبدونها ويجوز أيضاً أن يكون قوله: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ معناه أنّه شخص ببصره إلى السماء كما يفعل المفكّر المتأمّل فإنّه ربّما أطرق إلى الأرض وربما نظر إلى السماء استعانة على فكره وقد قيل: إنّ النجوم ههنا نجوم النبت، لأنّه يقال لكلّ ما خرج من الأرض وغيرها وطلع: أنّه ناجم ونجم، ويقال للجميع نجوم، ويقولون: نجم قرن الظبي ونجم ثدي المرأة، وعلى هذا الوجه يكون إنّما نظر في حال الفكر والإطراق إلى الأرض. فرأى ما نجم منها وقيل أيضاً إنّه أراد بالنجوم ما نجم له من رأيه وظهر له بعد أن لم يكن ظاهراً، وهذا وإن

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٣٠.
(٢) سورة طه، الآية: ٧١.

كان يحتمله الكلام فالظاهر بخلافه، لأنّ الإطلاق في قول القائل «نجوم» لا يفهم من ظاهره إلّا نجوم السماء دون نجوم الأرض ونجوم الرأي، وقال أبو مسلم الأصفهاني: إنّ معنى قوله ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ﴾ أراد في القمر والشمس لمّا ظنّ أنّهما آلهة في حال مهلة النظر على ما قصّه الله تعالى من قصّته في سورة الأنعام، ولما استدلّ بأفولها وغروبها على أنّها محدثة غير قديمة ولا آلهة، وأراد بقوله ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أنّي لست على يقين من الأمر ولا شفاء من العلم، وقد يسمّى الشكّ بأنّه سقم كما يسمّى العلم بأنّه شفاء. ثمّ اعترض عليه بأنّه مخالف لسياق الآيات (انتهى ملخّص كلامه)(١).

وأقول: يمكن أن يقال إنّ حرمة النظر في النجوم على الأنبياء والأئمّة العالمين بها حقّ العلم غير مسلّم، وإنّما يحرم على غيرهم لعدم إحاطتهم بذلك ونقص علمهم كما ستعرف عند شرح الأخبار.

١ - **الاحتجاج:** عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلّم عليه، فردّ أبو عبد الله عليه السلام. فقال له: مرحباً يا سعد. فقال له الرجل: بهذا الإسم سمّتني أمّي، وما أقلّ من يعرفني به. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت يا سعد المولى، فقال الرجل: جعلت فداك بهذا كنت ألقّب. فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا خير في اللقب، إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾ ما صناعتك يا سعد؟ فقال: جعلت فداك أنا من أهل بيت ننظر في النجوم، لا يقال أنّ باليمن أحداً أعلم بالنجوم منّا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فكم ضوء المشتري على ضوء القمر درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجة؟ فقال اليماني: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الإبل، فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الكلاب؟ فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت في قولك لا أدري فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليمانيّ: نجس نحس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: لا تقل هذا، فإنّه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء عليهم السلام وهو النجم الثاقب الّذي قال الله في كتابه. فقال اليمانيّ: فما معنى الثاقب؟ فقال: إنّ مطلعه في السماء السابعة، فإنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدنيا، فمن ثمّ سمّاه الله النجم الثاقب، ثمّ قال: يا أخا العرب! عندكم عالم؟ قال اليمانيّ: نعم جعلت فداك، إنّ باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم! فقال أبو عبد

(١) تنزيه الأنبياء، ص ٢٥-٢٧.

الله عليه السلام : وما يبلغ من علم عالمهم؟ قال اليمانيّ : إنّ عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر في ساعة واحدة مسيرة شهر للراكب المحثّ المجدّ فقال أبو عبد الله عليه السلام : فإنّ عالم المدينة أعلم من عالم اليمن قال اليمانيّ : وما يبلغ من علم عالم المدينة؟ قال عليه السلام : إنّ علم عالم المدينة ينتهي إلى أن لا يقفو الأثر ولا يزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً، واثني عشر برّاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً! فقال له اليمانيّ : ما ظننت أنّ أحداً يعلم هذا وما يدري ما كنهه قال: ثمّ قام اليمانيّ[1].

إيضاح: «لا خير في اللقب» أي في الألقاب الرديّة، وذكره عليه السلام كان لبيان الإعجاز، أو المنهيّ عنه التنابز بها أوّلاً، فأمّا بعد الاشتهار فلا بأس للتعريف وغيره. «هاجت الإبل» أي للسفاد، قال الجوهريّ: الهائج الفحل الّذي يشتهي الضراب (انتهى) وزجر الطير: الحكم بصياحها وطيرانها على الحوادث تفؤّلاً وتشؤّماً، قال الجزريّ: الزجر للطير هو التيمّن والتشؤّم [بها والتفؤّل] بطيرانها كالسانح والبارح وهو نوع من الكهانة والعيافة (انتهى) والمراد بقفو الأثر إمّا ما كان شائعاً عند العرب من الاستدلال برؤية أثر القدم على تعيين الذاهب وأنّه إلى أين ذهب كما فعلوا ليلة الغار، أو الاستدلال بالعلامات والآثار والأوضاع الفلكيّة على الحوادث، وقوله «في ساعة واحدة مسيرة شهر» أي يحكم في ساعة واحدة بتلك الأمور على حدوث الحوادث في مسافة وناحية تكون مسيرة شهر. قوله عليه السلام «إلى أن لا يقفو الأثر» أي لا يحتاج في علمه بالحوادث إلى تلك الأمور، بل يعلم في لحظة واحدة بما أعطاه الله من العلم ما يقع فيما تطلع عليه الشمس وتقطعه، وهي مقدار اثني عشر برجاً في السماء في يوم، أو أصل البروج في سنة واثني عشر نوعاً من أنواع البراري وبحراً من أنواع البحور، واثني عشر عالماً من أصناف الخلق كما مرّ ومنها جابلقا وجابرسا، فلفظة «ما» زائدة، ويحتمل أن يكون المراد يعلم ما يحدث في اللحظة الواحدة في جميع تلك العوالم، ويحتمل أن يكون «يقطع» بالياء، أي يقطع العالم تلك العوالم بعلمه، أو بطيّ الأرض كما سيأتي.

٢ - **الاحتجاج:** عن سعيد بن جبير، قال: استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان من دهاقين الفرس فقال له بعد التهنئة: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطالعات وتناحست السعود بالنحوس، وإذا كان مثل هذا اليوم وجب على الحكيم الاختفاء ويومك هذا يوم صعب قد انقلب فيه كوكبان، وانقدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان! فقال أمير المؤمنين عليه السلام ويحك يا دهقان المنبئ بالآثار، المحذّر من الأقدار، ما قصّة صاحب الميزان وقصة صاحب السرطان؟ وكم المطالع من الأسد والساعات من المحرّكات؟ وكم بين السراريّ والدراريّ؟ قال: سأنظر وأومأ بيده إلى كمّه وأخرج منه أسطرلاباً ينظر فيه فتبسّم عليه السلام فقال: أتدري ما حدث البارحة؟ وقع بيت بالصين، وانفرج برج ماجين، وسقط

---

(١) الإحتجاج، ص ٣٤٧.

سور سرانديب وانهزم بطريق الروم بأرمنيّة، وفقد ديّان اليهود بإيلة، وهاج النمل بوادي النمل، وهلك ملك إفريقيّة، أكنت عالماً بهذا؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، فقال: البارحة سعد سبعون ألف عالم، وولد في كلّ عالم سبعون ألفاً، والليلة يموت مثلهم وهذا منهم، وأومأ بيده إلى سعد بن مسعدة الحارثيّ، وكان جاسوساً للخوارج في عسكر أمير المؤمنين عليه‌السلام فظنّ الملعون أنّه يقول «خذوه» فأخذ بنفسه فمات، فخرّ الدهقان ساجداً، فقال أمير المؤمنين عليه‌السلام ألم أروك من عين التوفيق؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين فقال: أنا وصاحبي لا شرقيّ ولا غربيّ، نحن ناشئة القطب، وأعلام الفلك، أمّا قولك «انقدح من برجك النيران» فكان الواجب أن تحكم به لي لا عليّ أمّا نوره وضياؤه فعندي، وأمّا حريقه ولهبه فذهب عنّي، فهذه مسألة عميقة احسبها إن كنت حاسباً[1].

بيان: «ما قصّة صاحب الميزان» أي الكواكب الّتي الآن في برج الميزان أو الكواكب المتعلّقة بتلك البرج المناسبة لها، وكذا صاحب السرطان «وكم المطالع من الاسد» أي كم طلع من ذلك البرج الآن؟ «والساعات» أي كم مضى من الساعات من طلوع سائر المتحرّكات، ولعلّ المراد بالسراريّ الكواكب الخفيّة، تشبيهاً لها بالسريّة، والدراريّ الكواكب الكبيرة المضيئة أو اصطلاحان في الكواكب لا يعرفهما المنجّمون، والغرض أنّه لو كان هذا العلم حقّاً فإنّما يمكن الحكم به بعد الإحاطة بجميع أوضاع الكواكب وأحوالها وخواصّها في كلّ آن وزمان، والمنجّمون لم يرصدوا من الكواكب إلّا أقلّها، ومناط أحكامهم أوضاع السيارات فقط مع عدم إحاطتهم بأحوال تلك أيضاً، ثمّ نبّهه عليه‌السلام على عدم إحاطته بذلك العلم، أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الأمور الحادثة.
وفي القاموس: البطريق ككبريت القائد من قوّاد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل (انتهى) وديّان اليهود عالمهم، وفي بعض النسخ بالنون جمع «دنّ» وهو الجبّ العظيم، و«صاحبي» أي النبيّ صلى‌الله‌عليه‌وآله «لا شرقيّ ولا غربيّ» إيماء إلى قوله سبحانه: ﴿لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ والغرض: لسنا كسائر الناس حتّى تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء والأشراف فإنّا فوق ذلك كلّه «نحن ناشئة القطب» أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب. أي حقيقة لثباتهم واستقرارهم في درجات العزّ والكمال، أو كناية عن أنّهم عليهم‌السلام غير منسوبين إلى الفلك والكواكب، بل هي منسوبة إليهم وسعادتها بسببهم، وأنّهم قطب الفلك، إذ الفلك يدور ببركتهم، وهم أعلام الفلك بهم يتزيّن ويتبرّك ويسعد. ثمّ ألزم عليه‌السلام عليه في قوله «انقدح من برجك النيران» بأنّ للنار جهتين: جهة نور، وجهة إحراق، فنورها لنا وإحراقها على عدوّنا، ويحتمل أن يكون المراد به أنّ الله يدفع ضررها عنّا بتوسّلنا به تعالى وتوكّلنا عليه «فهذه مسألة عميقة» أي كوننا ممتازين عن سائر الخلق في

(١) الإحتجاج، ص ٢٣٩.

الأحكام، أو كون النيران خيراً لنا وشرّاً لعدوّنا، أو أنّ التوسّل والدعاء يدفع النحوس والبلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك وحسابك، و يبطل جميع ما تظنّ من ذلك.

٣ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم، قال سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام فقال: ما تقول فيمن زعم أنّ هذا التدبير الّذي يظهر في هذا العالم تدبير النجوم السبعة؟ قال عليه السلام: يحتاجون إلى دليل أنّ هذا العالم الأكبر والعالم الأصغر من تدبير النجوم الّتي تسبح في الفلك، وتدور حيث دارت، متعبةً لا تفتر، وسائرةً لا تقف. ثمّ قال: وإن كلّ نجم منها موكّل مدبّر، فهي بمنزلة العبيد المأمورين المنهيّين، فلو كانت قديمة أزليّة لم تتغيّر من حال إلى حال. قال: فما تقول في علم النجوم؟ قال: هو علم قلّت منافعه وكثرت مضرّاته، لأنّه لا يدفع به المقدور ولا يتّقى به المحذور، إن أخبر المنجّم بالبلاء لم ينجه التحرّز من القضاء، وإن أخبر هو بخير لم يستطع تعجيله، وإن حدث به سوء لم يمكنه صرفه، والمنجّم يضادّ الله في علمه بزعمه أنّه يردّ قضاء الله عن خلقه (الخبر)(١).

٤ - **مجالس الصدوق:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ القرشيّ عن نصر بن مزاحم، عن عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لمّا اراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم، فقال له: يا أميرالمؤمنين! لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات يمضين من النهار. فقال أمير المؤمنين عليه السلام: ولم ذاك؟ قال: لأنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصاب أصحابك أذىً وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة الّتي أمرتك ظفرت وظهرت وأصبت كلّ ما طلبت! فقال له أمير المؤمنين عليه السلام تدري ما في بطن هذه الدابّة أذكر أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت: قال له أمير المؤمنين عليه السلام من صدّقك على هذا القول فقد كذّب بالقرآن، قال الله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾(٢) ما كان محمّد صلى الله عليه وآله يدّعي ما ادّعيت، أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي من سار فيها صرف عنه السوء والساعة الّتي من سار فيها حاق به الضرّ؟! من صدّقك بهذا استغنى بقولك عن الاستعانة بالله عزّ وجلّ في ذلك الوجه، وأحوج إلى الرغبة إليك في دفع المكروه عنه، وينبغي له أن يولّيك الحمد دون ربّه عزّ وجلّ فمن آمن لك بهذا فقد اتّخذك من دون الله نداً وضدّاً. ثمّ قال عليه السلام: اللّهمّ لا طير إلّا طيرك، ولا ضير إلّا ضيرك، ولا خير إلّا خيرك، ولا إله غيرك. بل نكذّبك ونخالفك ونسير في الساعة الّتي نهيت عنها(٣).

بيان: «فقال له» روي أنّ هذا القائل كان عفيف بن قيس أخا الاشعث، وكان يتعاطى علم

---

(١) الإحتجاج، ص ٣٣٤. (٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) أمالي الصدوق، ص ٣٣٨ مجلس ٦٤ ح ١٦.

النجوم. ويقال «ظفر بمطلوبه» كفرح أي فاز. «أتزعم» أي تقول وأكثر ما يستعمل في الباطل والحديث الّذي لا مستند له «وحاق به الأمر» أي لزمه ونزل به، والضرّ - بالضمّ -: سوء الحال «من صدّقك على هذا القول فقد كذّب بالقرآن» لادّعائه العلم الّذي أخبر الله سبحانه أنّه مختصّ به، إذ ظاهر قوله تعالى: ﴿عِندَهُ﴾ الاختصاص. فإن قيل: فقد أخبر النبيّ ﷺ والأئمّة ﷺ بالخمسة المذكورة في الآية في مواطن كثيرة فكيف ذلك؟ قلنا: المراد أنّه لا يعلمها أحد بغير تعليمه سبحانه، وما أخبروه من ذلك فإنّما كان بالوحي والإلهام أو التعلّم من النبيّ ﷺ الّذي علّمه بالوحي. لا يقال: علم النجوم أيضاً من هذا القبيل لما سيأتي من الأخبار الدالّة على أنّ له أصلاً وأنّه ممّا علّمه الله أنبياءه فكيف يكون تصديق المنجّم تكذيباً للقرآن؟ لأنّا نقول: الّذي سيظهر من الأخبار أنّ نوعاً من هذا العلم حقٌّ يعلمه الأنبياء والأوصياء ﷺ وأمّا أنّ ما في أيدي الناس من ذلك فلا كما سنبيّنه.

«أن يولّيك الحمد» على بناء الإفعال أو التفعيل، أي يقرّبك من الحمد من الولي بمعنى القرب، أو من قولهم «ولّاه الأمير عمل كذا» أي قلّده إيّاه، أي يجعلك وليّاً للحمد وأهلاً له، أو من قولهم «أوليته معروفاً» أي أنعمت عليه. «لا طير إلّا طيرك» الطير من الطيرة وهي التشؤّم بالشيء أي لا تأثير للطيرة إلّا طيرك أي قضاؤك وقدرك على المشاكلة، ويدلّ على أنّ ضرر النجوم من جهة الطيرة، والضير: الضرر.

٥ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن العبّاس بن معروف عن الحسن بن عليّ بن فضّال، عن ظريف بن ناصح، عن أبي الحصين، قال: سمعت أبا عبد الله ﷺ يقول: سئل رسول الله ﷺ عن الساعة فقال: عند إيمان بالنجوم وتكذيب بالقدر(١).

بيان: يومئ إلى أنّ الإيمان بالنجوم متضمّن للتكذيب بالقدر.

٦ - **الخصال:** عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسيّ، عن سليمان بن جعفر البصريّ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: أربعة لا تزال في أمّتي إلى يوم القيامة: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة. وإنّ النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقوم يوم القيامة وعليها سربال من قطران، ودرع من جرب(٢).

بيان: الاستسقاء بالنجوم اعتقاد أنّ للنجوم تأثيراً في نزول المطر.

٧ - **الخصال:** عن إبراهيم بن محمّد بن حمزة بن عمارة، عن سالم بن سالم وأبي عروبة

---

(١) الخصال، ص ٦٢ باب ٢ ح ٨٧.

(٢) الخصال، ص ٢٢٦ باب ٤ ح ٦٠.

معاً، عن أبي الخطّاب، عن هارون بن مسلم، عن القاسم بن عبد الرحمن الأنصاريّ، عن محمّد بن عليّ، عن أبيه، عن الحسين بن عليّ عليه السلام قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن خصال - إلى أن قال: - وعن النظر في النجوم[1].

ومنه: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن الصفّار، عن الحسن بن عليّ الكوفيّ، عن إسحاق بن إبراهيم، عن نصر بن قابوس، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: المنجّم ملعون، والكاهن ملعون، والساحر ملعون، والمغنّية ملعونة، ومن آواها وأكل كسبها ملعون.
وقال عليه السلام: المنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار.

قال الصدوق رحمه الله المنجّم الملعون هو الّذي يقول بقدم الفلك ولا يقول بمفلّكه وخالقه عزّوجلّ [2].

٨ - **البصائر:** عن محمّد بن عبد الله بن أحمد الرازيّ، عن إسماعيل بن موسى عن أبيه، عن جدّه، عن عمّه عبد الصمد بن عليّ، قال: دخل رجل على عليّ بن الحسين عليهما السلام فقال له عليّ بن الحسين: من أنت؟ قال: أنا منجّم، قال: فأنت عرّاف، قال: فنظر إليه ثمّ قال: هل أدلّك على رجل قد مرّ مذ دخلت علينا في أربعة عشر عالماً كلّ عالم أكبر من الدنيا ثلاث مرّات لم يتحرّك من مكانه؟! قال: من هو؟ قال: أنا، وإن شئت أنبأتك بما أكلت وما ادّخرت في بيتك[3].

بيان: قال في النهاية: فيه من أتى عرّافاً أو كاهناً، أراد بالعرّاف المنجّم أو الحازي الّذي يدّعي علم الغيب وقد استأثر الله به (انتهى) وقال الطيبيّ في شرح المشكاة: هو قسم من الكهّان يستدلّ على معرفة المسروق والضالّة بكلام أو فعل أو حالة.

٩ - **البصائر:** عن محمّد بن الحسين، عن عليّ بن سعدان، عن عبد الله بن القاسم، عن عمير بن أبان الكلبيّ، عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام حيث دخل عليه رجل من علماء أهل اليمن، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا يمانيّ أفيكم علماء؟ قال: نعم، قال: فأيّ شيء يبلغ من علم علمائكم؟ قال: إنّه ليسير في ليلة واحدة مسيرة شهرين، يزجر الطير، ويقفو الآثار! فقال له: فعالم المدينة أعلم من عالمكم! قال: فأيّ شيء يبلغ من علم عالمكم بالمدينة؟ قال: إنّه يسير في صباح واحد مسيرة سنة كالشمس إذا أُمرت، إنّها اليوم غير مأمورة ولكن إذا أمرت تقطع اثني عشر شمساً، واثني عشر قمراً واثني عشر مشرقاً، واثني عشر مغرباً، واثني عشر برّاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً قال، فما بقي في يدي اليمانيّ فما درى ما يقول، وكفّ أبو عبد الله عليه السلام [4].

---

(١) الخصال، ص ٤١٧ باب ٩ ح ١٠. وتمامه في ج ١٠٠ ص ٢٥ ح ٨.
(٢) الخصال، ص ٢٩٧ باب ٥ ح ٦٧.
(٣) - (٤) بصائر الدرجات، ص ٣٧٢ ج ٨ باب ١٢ ح ١٣-١٤.

١٠ - **ومنه:** عن أحمد بن محمّد، عن الحسين بن سعيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب، عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فدخل عليه رجل من أهل اليمن، فقال له: يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ قال: نعم، قال: فما بلغ من علم عالمكم؟ قال: يسير في ليلة مسيرة شهرين، يزجر الطير، ويقفو الأثر! فقال أبو عبد الله عليه السلام: عالم المدينة أعلم من عالمكم! قال: فما بلغ من علم عالم المدينة؟ قال: يسير في ساعة من النهار مسيرة الشمس سنة حتّى يقطع اثني عشر ألف عالم مثل عالمكم هذا، ما يعلمون أنّ الله خلق آدم ولا إبليس! قال: فيعرفونكم؟ قال: نعم، ما افترض عليهم إلّا ولايتنا والبراءة من عدوّنا[1].

١١ - **المحاسن:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن سفيان بن عمر قال: كنت أنظر في النجوم فأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك، فشكوت ذلك إلى أبي عبد الله عليه السلام فقال: إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أوّل مسكين ثمّ امض، فإنّ الله عزّ وجلّ يدفع عنك[2].

بيان: «فيدخلني من ذلك» أي همّ أو حالة تمنعني عن التوجّه إلى عمل، لما أظنّ من نحوسة الساعة، ويدلّ على أنّ أثر نحس الكواكب والأوضاع أو تأثير التطيّر بها يزول بالصدقة.

١٢ - **رسالة الاستخارات:** للسيّد ابن طاووس قال: ذكر الشيخ الفاضل محمّد بن عليّ ابن محمّد في كتاب له في العمل ما هذا لفظه: دعاء الاستخارة عن الصادق عليه السلام تقوله بعد فراغك من صلاة الاستخارة تقول: اللّهمّ إنّك خلقت أقواماً يلجؤون إلى مطالع النجوم لأوقات حركاتهم وسكونهم وتصرّفهم وعقدهم وخلقتني أبرأ إليك من اللجأ إليها ومن طلب الاختيارات بها، وأتيقّن أنّك لم تطلع أحداً على غيبك في مواقعها ولم تسهّل له السبيل إلى تحصيل أفاعيلها، وأنّك قادر على نقلها في مداراتها في مسيرها على السعود العامّة والخاصّة إلى النحوس، ومن النحوس الشاملة والمفردة إلى السعود، لأنّك تمحو ما تشاء وتثبت وعندك أمّ الكتاب، ولأنّها خلق من خلقك، وصنعة من صنيعك، وما أسعدت من اعتمد على مخلوق مثله، واستمدّ الاختيار لنفسه، وهم أولئك، ولا أشقيت من اعتمد على الخالق الّذي أنت هو، لا إله إلّا أنت وحدك لا شريك لك، وأسألك بما تملكه وتقدر عليه، وأنت به مليء وعنه غنيّ وإليه غير محتاج، وبه غير مكترث، من الخيرة الجامعة للسلامة والعافية والغنيمة لعبدك - إلى آخر الدعاء -[3]. وقد أوردناه في أبو اب الاستخارات.

بيان: «وعقدهم» أي عزمهم أو إيقاعهم العقود. وفي النهاية: المليء بالهمز الثقة الغنيّ، وقد أولع الناس بترك الهمز وتشديد الياء. وقال: ما أكترث به: أي ما أبالي.

---

(١) بصائر الدرجات، ص ٣٧٢ ج ٨ باب ١٢ ح١٥.

(٢) المحاسن، ج ٢ ص ٨٦.

(٣) فتح الأبواب، ص ١٩٨.

١٣ - **النجوم**: روينا بإسنادنا إلى الشيخ السعيد محمّد بن جرير الطبريّ الإماميّ، عن الحسين بن عبد الله الجرميّ، ومحمّد بن هارون التلعكبريّ، عن محمّد بن أحمد بن محروم، عن أحمد بن القاسم، عن يحيى بن عبد الرحمن، عن عليّ بن صالح بن حيّ الكوفيّ، عن زياد بن المنذر، عن قيس بن سعد، قال: كنت كثيراً أساير أمير المؤمنين عليه السلام إذا سار إلى وجه من الوجوه، فلمّا قصد أهل النهروان وصرنا بالمدائن وكنت يومئذ مسايراً له إذ خرج إليه قوم من أهل المدائن من دهاقينهم معهم براذين قد جاؤوا بها هديّة إليه فقبلها، وكان فيمن تلقّاه دهقان من دهاقين المدائن يدعى «سرسفيل» وكانت الفرس تحكم برأيه فيما مضى وترجع إلى قوله فيما سلف، فلمّا بصر بأمير المؤمنين عليه السلام قال له: يا أمير المؤمنين لترجع عمّا قصدت! قال: ولم ذاك يا دهقان؟ قال: يا أمير المؤمنين! تناحست النجوم الطوالع، فنحس أصحاب السعود، وسعد أصحاب النحوس، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاستخفاء والجلوس، وإنّ يومك هذا يوم مميت، قد اقترن فيه كوكبان قتّالان، وشرف فيه بهرام في برج الميزان، واتّقدت من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان. فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال أيّها الدهقان المنبئ بالأخبار، والمحذّر من الأقدار، ما نزل البارحة في آخر الميزان؟ وأيّ نجم حلّ في السرطان؟ قال: سأنظر ذلك، واستخرج من كمّه أسطرلاباً وتقويماً، قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أنت مسيّر الجاريات؟ قال: لا، قال: فأنت تقضي على الثابتات؟ قال: لا، قال: فأخبرني عن طول الأسد وتباعده من المطالع والمراجع، وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ قال: لا علم لي بذلك. قال فما بين السراريّ إلى الدراريّ؟ وما بين الساعات إلى المعجرات؟ وكم قدر شعاع المبدرات؟ وكم تحصل الفجر في الغدوات؟ قال: لا علم لي بذلك، قال: فهل علمت يا دهقان أنّ الملك اليوم انتقل من بيت إلى بيت بالصين، وانقلب برج ماجين، واحترق دور بالزنج، وطفح جبّ سرانديب، وتهدّم حصن الأندلس، وهاج نمل الشيح، وانهزم مراق الهنديّ، وفقد ديّان اليهود بإيلة، وهدم بطريق الروم بروميّة، وعمي راهب عموريّة، وسقطت شرفات القسطنطنيّة أفعالم أنت بهذه الحوادث وما الّذي أحدثها شرقيّها أو غربيّها من الفلك؟ قال: لا علم لي بذلك قال: وبأيّ الكواكب تقضي في أعلى القطب؟ وبأيّها تنحّس من تنحّس؟ قال: لا علم لي بذلك، قال: فهل علمت أنّه سعد اليوم اثنان وسبعون عالماً، في كلّ عالم سبعون عالماً، منهم في البرّ، ومنهم في البحر، وبعض في الجبال، وبعض في الغياض، وبعض في العمران، وما الّذي أسعدهم؟ قال: لا علم لي بذلك، قال: يا دهقان: أظنّك حكمت على اقتران المشتري وزحل لمّا استنارا لك في الغسق، وظهر تلألؤ شعاع المرّيخ وتشريقه في السحر، وقد سار فاتّصل جرمه بجرم تربيع القمر وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلّهم يولدون اليوم والليلة ويموت مثلهم وأشار بيده إلى جاسوس في عسكره لمعاوية فقال: ويموت هذا،

فإنّه منهم فلمّا قال ذلك ظنّ الرجل أنّه قال خذوه، فأخذه شيء بقلبه، وتكسّرت نفسه في صدره، فمات لوقته. فقال عليه السلام: يا دهقان ألم أرك غير التقدير في غاية التصوير؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، قال: يا دهقان! أنا مخبرك أنّي وصحبي هؤلاء لا شرقيّون ولا غربيّون، إنّما نحن ناشئة القطب، وما زعمت أنّ البارحة انقدح من برجي النيران فقد كان يجب أن تحكم معه لي، لأنّ نوره وضياءه عندي، فلهبه ذاهب عنّي يا دهقان هذه قضيّة عيص، فاحسبها وولّدها إن كنت عالماً بالأكوار والأدوار.

قال: لو علمت ذلك لعلمت أنّك تحصي عقود القصب في هذه الأجمة ومضى أمير المؤمنين عليه السلام فهزم أهل النهروان وقتلهم، وعاد بالغنيمة والظفر. فقال الدهقان: ليس هذا العلم بما في أيدي أهل زماننا، هذا علم مادّته من السماء(١).

١٤ - **أقول:** وروى السيّد الخبر أيضاً عن الأصبغ بن نباتة، قال: لمّا رحل أمير المؤمنين عليه السلام من «نهر بين» أتينا النهروان وقد قطع جسرها وسمّرت سفنها فنزل - صلى الله على محمّد وعليه - وقد سرّح الجيش إلى جسر بوران ومعه رجل من أصحابه، وقد شكّ في قتال الخوارج، فإذا برجل يركض فلمّا رأى أمير المؤمنين عليه السلام قال: البشرى يا أمير المؤمنين! قال له: وما بشراك؟ قال: لمّا بلغ الخوارج نزولك البارحة نهر بين ولّوا هاربين. قال عليّ عليه السلام: أنت رأيتهم حين ولّوا؟ قال: نعم، قال عليّ عليه السلام: كلا والله لا عبروا النهروان ولا تجاوزوا الأثيلات ولا النخيلات حتّى يقتلهم الله على يدي، عهد معهود، وقدر مقدور، ولا يقتلون منّا عشرة، ولا ينجو منهم عشرة، إذ أقبل عليه رجل من الفرس يقتدى برأيه في حساب النجوم لمعرفته بالطوالع والمراجع، وتقويم القطب في الفلك، ومعرفته بالحساب والضرب والجبر والمقابلة وتاريخ السنداباد وغير ذلك، وهو الدهقان، فلمّا بصر بأمير المؤمنين عليه السلام نزل عن فرسه وسلّم عليه فقال له: أيّها الأمير! لترجعنّ عمّا قصدت إليه - وكان اسم الدهقان «سرسفيل سوار» وكان دهقاناً من دهاقين المدائن - فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ولم يا سرسفيل سوار؟! قال: تناحست النجوم الطالعات، وتباعدت النجوم الناحسات، ولزم الحكيم في مثل هذا اليوم الاختفاء والقعود، ويومك هذا مميت يقلّب فيه رجمان، وانكشفت فيه الميزان، واقتدح من برجك النيران، وليس الحرب لك بمكان. قال له أمير المؤمنين عليه السلام: أخبرني يا دهقان عن قصّة الميزان، وفي أيّ مجرىً كان برج السرطان؟ قال: سأنظر لك في ذلك، ثمّ ضرب يده إلى كمّه فأخرج منها زيجاً وأصطرلاباً، فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام ثمّ قال له: يا دهقان! أنت مسيّر الثابتات؟ قال: لا، قال: فأنت تقضي على الحادثات؟ قال: لا، قال له: يا دهقان! فما ساعة الأسد من الفلك؟ وما له من المطالع والمراجع؟ وما الزهرة من التوابع والجوامع؟ قال: لا علم لي أيّها الأمير

(١) فرج المهموم، ص ١٠٢.

قال: فعلى أيّ الكواكب تقضي على القطب؟ وما هي الساعات المتحرّكات؟ وكم قدر الساعات المدبرات؟ وكم تحصل المقدّرات؟ قال: لا علم لي بذلك، قال له: يا دهقان! إن صحّ لك علمك علمت أنّ البارحة انقلب بيت في الصين وانقلب بيتانسين، واحترقت دور الزنج، وانحطم منار الهند، وطفح جبّ سرانديب، وهلك ملك إفريقيّة، وانقضّ حصن أندلس، وهاج نمل الشيح، وفقد ديّان اليهود، وجذم شطرنج الروميّ بأرمنيّة، وعتا عبّ عمّوريّة، وسقطت شرافات القسطنطنيّة، وهاجت سباع البحر واثبة على أهلها، ورجعت رجال النوبة المراجيح، والتقت الزرق مع الفيلة، وطار الوحش إلى العلقين، وهاجت الحيتان في الأخضرين، واضطربت الوحوش بالأنقلين، أفأنت عليم بهذه الحوادث وما أحدثها من الفلك شرقيّة أم غربيّة؟ ومن أيّ برج سعد صاحب النحس؟ وأيّ برج انتحس صاحب السعد؟ قال الدهقان: لا علم لي بذلك، قال: فهل دلّك علمك أنّ اليوم فيه سعد سبعون عالماً، في كلّ عالم سبعون ألف عالم، منهم في البحر، ومنهم في البرّ، ومنهم في الجبال، ومنهم في السهل والغياض والخراب والعمران؟ فأين لنا ما الّذي من الفلك أسعدهم؟ قال الدهقان: لا علم لي بذلك، قال له: يا دهقان! أظنّك حكمت على اقتران المشتري بزحل حين لاحا لك في الغسق قد شارفها واتّصل جرمه بجرم القمر، وذلك دليل على استحقاق ألف ألف من البشر كلّهم مولدون في يوم واحد ومائة ألف من البشر كلّهم يموتون الليلة وغداً، وهذا منهم - وأومأ بيده إلى سعد بن مسعود الحارثيّ وكان في عسكره جاسوساً للخوارج - فظنّ أنّ عليّاً عليه السلام يقول خذوا هذا، فقبض على فؤاده فمات في وقته. فقال عليّ عليه السلام: لم أرك عين التوفيق، أنا وأصحابي هؤلاء لا شرقيّون ولا غربيّون، إنّما نحن ناشئة القطب، وأعلام الفلك، وأمّا ما زعمت أنّ البارحة اقتدح من برجي النيران، فقد يجب عليك أن تحكم به لي، لأنّ ضياءه ونوره عندي، ولهبه وحريقه ذاهب عنّي، فهذه قضية عميقة، فاحسبها إن كنت حاسباً، واعرفها إن كنت عارفاً بالأكوار والأدوار، ولو علمت ذلك لعلمت عدد كلّ قصبة في هذه الأجمة وكانت عن يمينه أجمة قصب، فتشهّد الدهقان وقال: يا مولاي! الّذي فهّم إبراهيم وموسى وعيسى ومحمّداً عليهم السلام مفهّمهم مفهّمكها يا أمير المؤمنين، فهو الله المشار إليه، ولا أثر بعد عين، مدَّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، وأنّك الإمام والوصيّ المفترض الطاعة[١].

بيان: أكثر السؤالات المذكورة في الرواية على تقدير صحّتها وضبطها مبنيّة على اصطلاحات معرفتها مختصّة بهم عليهم السلام أوردها عليه السلام لبيان عجزه وجهله وعدم إحاطة علمه بما لا بدّ منه في هذا العلم. «وكم تحصل الفجر في الغدوات» يحتمل أن يكون المراد به زمان ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس، فإنّ ذلك يختلف في الفصول «وطفح جبّ سرنديب»

(١) فرج المهموم، ص ١٠٥.

أي امتلأ وارتفع، ومنه «سكران طافح»، والشيح: نبت معروف، ويحتمل أن يكون المراد هنا الوادي الّذي هو منبته، والعموريّة ماء للنصارى يغمسون فيه أولادهم «وما الّذي أحدثها» أي بزعمك «شرقيّها» أي الكواكب «لم أرَكَ غير التقدير» بكسر الغين وفتح الياء أي التغيّرات الناشئة من تقديرات الله تعالى، وفي بعض النسخ «عين التقدير» أي أصله «هذه قضيّة عيص» بالإضافة أي أصل في القاموس: العيص - بالكسر -: الأصل. وفي بعض النسخ «عويصة» أي صعبة شديدة «وولّدها» بصيغة الأمر وتشديد اللّام أي استنتج منها، والعمّورية - مشدّدة الميم -: بلد بالروم، ولعلّ المراد بالعبّ الماء العظيم، وبعتوّه طغيانه وكثرته، والمراجيح: الحلماء، والزُرّق كسكّر طائر صيّاد، ذكره الفيروزآباديّ. وفي حياة الحيوان: طائر يصاد به بين الباز والباشق، وقيل هو الباز الأبيض (انتهى) والفيلة بكسر الفاء وفتح الياء جمع الفيل. «فهو الله» أي مفهّمك الله «المشار إليه» بالدلائل والآيات «ولا أثر بعد عين» أي لا أطلب الآثار والدلائل والأخبار على حقيّتك بعد ما عاينت.

أقول: وكان في الخبرين فيما عندنا من النسخ تصحيفات كثيرة تركناها كما وجدنا.

١٥ - **النجوم:** رويت بعدّة طرق إلى يونس بن عبد الرحمن في جامعه الصغير بإسناده قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أخبرني عن علم النجوم ما هو؟ فقال: هو علم من علم الأنبياء، قال: فقلت: كان عليّ بن أبي طالب عليه السلام يعلمه؟ فقال: كان أعلم الناس به(١).

١٦ - **ومنه:** نقلاً من أصل من أصول أصحابنا اسمه «كتاب التجمّل» بإسناده عن جميل عن زرارة، عن أبي جعفر عليه السلام عمّن ذكره قال: كان قد علم نبوّة نوح عليه السلام بالنجوم(٢).

بيان: لعلّ من ذكره من باب الإرسال من أحد الرواة، وضمير قال للإمام عليه السلام، و«علم» بصيغة المعلوم والمعنى أنّه عليه السلام أخبر بأنّ فلاناً قد علم نبوّة نوح بالنجوم، ويحتمل أن يكون الإرسال من الإمام، وضمير «قال» عائداً إلى من ذكره، و«علم» على بناء المجهول، وعلى الثاني ليس الإخبار من كلامه عليه السلام والظاهر أنّه من تصحيف النسّاخ وقوله «عمّن ذكره» كان مقدّماً على قوله «عن أبي جعفر» عليه السلام و«علم» على بناء المجهول.

١٧ - **النجوم:** وجدت في كتاب عتيق عن عطا قال: قيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم، نبيّ من الأنبياء قال له قومه: إنّا لا نؤمن بك حتّى تعلّمنا بدء الخلق وآجاله، فأوحى الله عزّ وجلّ إلى غمامة فأمطرتهم، واستنقع حول الجبل ماءٌ صاف، ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى الشمس والقمر والنجوم أن تجري في ذلك الماء، ثمّ أوحى الله عزّ وجلّ إلى ذلك النبيّ أن يرتقي هو وقومه على الجبل فارتقوا الجبل فقاموا على الماء حتّى عرفوا بدء الخلق وآجاله بمجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار، وكان

---

(١) - (٢) فرج المهموم، ص ٢٤.

أحدهم يعلم متى يموت ومتى يمرض، ومن ذا الّذي يولد له ومن ذا الّذي لا يولد له، فبقوا كذلك برهة من دهرهم، ثمّ إنّ داود عليه السلام قاتلهم على الكفر، فأخرجوا إلى داود في القتال من لم يحضره أجله، ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، فكان يقتل من أصحاب داود عليه السلام ولا يقتل من هؤلاء أحد! فقال داود عليه السلام: ربّ أقاتل على طاعتك، ويقاتل هؤلاء على معصيتك، يقتل أصحابي ولا يقتل من هؤلاء أحد فأوحى الله عزّ وجلّ: إنّي كنت علّمتهم بدء الخلق وآجاله، وإنّما أخرجوا إليك من لم يحضره أجله، ومن حضر أجله خلّفوه في بيوتهم، فمن ثمّ يقتل من أصحابك ولا يقتل منهم أحد. قال داود عليه السلام: يا ربّ على ماذا علّمتهم؟ قال: على مجاري الشمس والقمر والنجوم وساعات الليل والنهار. قال: فدعا الله عزّ وجلّ فحبس الشمس عليهم، فزاد النهار واختلطت الزيادة بالليل والنهار فلم يعرفوا قدر الزيادة فاختلط حسابهم. وقال عليّ عليه السلام: فمن ثمّ كره النظر في علم النجوم[1].

١٨ - **الدرّ المنثور:** قال: قيل لعليّ بن أبي طالب عليه السلام: هل كان للنجوم أصل؟ قال: نعم، كان نبيّ من الأنبياء يقال له «يوشع بن نون» فقال له قومه - وساق إلى قوله - ثمّ أوحى الله إلى يوشع بن نون أن يرتقي - إلى آخر الخبر -[2].

بيان: «أن تجري في ذلك الماء» يمكن أن يكون المراد جريان عكس الكواكب فيها، فيكون الماء كالزيج لهم لاستعلام مقدار الحركات، أو خلق الله للكواكب أمثالاً فأجراها في الماء على قدر حركة أصلها في السماء أو صغّرها وأنزلها وأجراها فيه. وفي القاموس: البرهة - ويضمّ -: الزمان الطويل أو أعمّ (انتهى) «فمن ثمّ كره» أي من أجل أنّ الحساب اختلط فلا يمكنهم الحكم الواقعيّ على الكواكب وحركاتها فيكذبون، أو من جهة أنّه يصير سبباً لترك الأمور الضروريّة بسبب علمهم بما يترتّب عليه، والخبر ضعيف عاميّ، وفيه إشكال آخر وهو أنّهم لو كانوا بحسب تقدير الله تعالى وأحكام النجوم من الخارجين فلم لم يخرجوا؟ ولو لم يكونوا فلم يكن ترك خروجهم بسبب ذلك، وهذا من المسائل الغامضة من فروع مسألة القضاء والقدر، والعقل قاصر عن فهمها.

١٩ - **النجوم:** وأمّا دلالة النجوم على إبراهيم عليه السلام فقد روى صاحب كتاب التجمّل أنّ آزر أبا إبراهيم كان منجّماً لنمرود، ولم يكن يصدر إلّا عن أمره فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود: لقد رأيت في النجوم عجباً! قال: وما هو؟ قال: رأيت مولوداً يولد في زماننا يكون هلاكنا على يديه، ولا يلبث إلّا قليلاً حتّى يحمل به. قال: فتعجّب من ذلك، ثمّ قال: هل حملت به النساء بعد؟ قال: لا، فحجب الرجال عن النساء ولم يدع امرأة إلّا جعلها في المدينة، ولا يخلص إليها بعلها. قال: فوقع آزر على أهله، فحملت بإبراهيم، فظنّ أنّه

(١) فرج المهموم، ص ٢٢.
(٢) الدر المنثور، ج ٣ ص ٣٥.

صاحبه فأرسل إلى قوابل ذلك الزمان - وكنّ أعلم الناس بالجنين ولا يكون في الرحم شيء إلّا عرفنه وعلمن به - فنظرن فألزم ما في الرحم الظهر، فقلن: ما نرى في بطنها شيئاً. قال: وكان ممّا أوتي من العلم أنّ المولود سيحرق بالنار، ولم يؤت علماً أنّ الله سينجيه منها[١].

أقول: ورويت هذا الحديث عن إبراهيم الخزّاز عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام من أصل قرئ على هارون بن موسى التلعكبريّ رحمه الله وقد روى هذا الحديث عليّ بن إبراهيم في كتاب تفسير القرآن بأبسط من هذه الرواية ورواه أيضاً أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ في الجزء الأوّل من تاريخه، ورواه أيضاً سعيد بن هبة الله الراونديّ في كتاب قصص الأنبياء ورواه الثعلبيّ في تفسيره وغيره من العلماء. وممّن أخبر المنجّمون عن نبوّته ورسالته موسى بن عمران عليه السلام وقد تضمّنت كتب التواريخ وغيرها من المصنّفات ما يغني عن ذكر جميع الروايات فمن ذلك ما رواه الثعلبيّ في كتاب العرائس في المجالس فقال: إنّ فرعون رأى في منامه أنّ ناراً قد أقبلت من بيت المقدس حتّى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بني إسرائيل، فدعا فرعون السحرة والكهنة والمعبّرين والمنجّمين وسألهم عن رؤياه، فقالوا له: إنّه يولد في بني إسرائيل غلام يسلبك ملكك، ويغلبك على سلطانك، ويخرجك وقومك من أرضك، ويذلّ دينك، وقد أظلّك زمانه الّذي يولد فيه. ثمّ ذكروا ولادة موسى عليه السلام وما صنع فرعون في قتل ذكور الأولاد، وليس في ذكر ذلك ههنا ما يليق بالمراد. وذكر حكم المنجّمين بولادة موسى عليه السلام ونبوّته الزمخشريّ في كتاب «الكشّاف» وروى حديث دلالة النجوم على ولادة موسى عليه السلام وهب بن منبّه في الجزء الأوّل من كتاب «المبتدأ» بأبسط من رواية الثعلبيّ، وذكر أبو جعفر بن بابويه في كتاب النبوّة في باب سياقه حديث عيسى بن مريم عليه السلام فقال ما هذا لفظه: وقدم عليها وفد من عظماء علماء المجوس زائرين معظّمين لأمر ابنها، وقالوا: إنّا قوم ننظر في النجوم، فلمّا ولد ابنك طلع بمولده نجم من نجوم الملك، فنظرنا فيه فإذا ملكه ملك نبوّة لا يزول عنه ولا يفارقه حتّى يرفعه إلى السماء فيجاور ربه عزّ وجلّ ما كانت الدنيا مكانها ثمّ يصير إلى ملك هو أطول وأبقى ممّا كان فيه، فخرجنا من قبل المشرق حتّى رفعنا إلى هذا المكان فوجدنا النجم متطلّعاً عليه من فوقه، فبذلك عرفنا موضعه وقد أهدينا له هديّة جعلناها له قرباناً لم يقرّب مثله لأحد قطّ، وذلك أنّا وجدنا هذا القربان يشبه أمره، وهو الذهب والمرّ واللبان، لأنّ الذهب سيّد المتاع كلّه وكذلك ابنك هو سيّد الناس ما كان حيّاً، ولأنّ المرّ جبّار الجراحات والجنون والعاهات كلّها، ولأن اللبان يبلغ دخانه السماء ولن يبلغها دخان شيء غيره، وكذلك ابنك يرفعه الله عزّ وجلّ إلى السماء وليس يرفع من أهل زمانه غيره[٢].

٢٠ - ووجدت في كتاب دلائل النبوّة جمع أبي القاسم الحسين بن محمّد السكونيّ، روي

---

(١) فرج المهموم، ص ٢٤.

(٢) فرج المهموم، ص ٢٥.

عن محمّد بن عليّ بن الحسين، عن الحسن بن عبد الله بن غانم، عن هنّاد، عن يونس، عن أبي إسحاق، عن صالح بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن أسعد، عن ابن مسيّب عن حسّان بن ثابت، قال: إنّي والله لغلام يفقه ابن سبع أو ثمان سنين أعقل كلّ ما سمعت إذ سمعت يهوديّاً وهو على أكمة يثرب يصرخ: يا معشر اليهود فلمّا اجتمعوا قالوا: ويلك ما لك؟ قال: طلع نجم أحمد الّذي يبعث به الليلة[١].

ووجدت كتاباً عندنا الآن اسمه كتاب «اليد الصيني» عمله «كشينا» ملك الهند يذكر فيه تفصيل دلالة النجوم على نبوّة نبيّنا محمّد ﷺ [٢].

أقول: قد أوردنا ما ذكره السيّد من أمر هرقل وكسرى، واطّلاعهما من جهة النجوم على نبوّة نبيّنا ﷺ في باب البشائر به وباب مولده.

ثمّ قال: وأمّا دلالة النجوم على ظهور المسلمين على ملوك الفرس فالأخبار يمكن أن يكون بها كثيرة في التواريخ الكبيرة، فمن ذلك ما ذكره الطبريّ في تاريخه فقال: ولمّا أمر يزدجرد رستم بالخروج من ساباط بعث إلى أخيه بنحو من الكتاب الأوّل زاد فيه: فإنّ السمكة قد كدّرت الماء، وإنّ النعائم قد حبست، وحسنت الزهرة، فاعتدل الميزان، وذهب بهرام، ولا أرى هؤلاء القوم إلّا سيظهرون علينا، وسيولّون على ما يلينا، وإنّ أشدّ ما رأيت أنّ الملك قال لتسيرنّ إليهم أو لأسيرنّ إليهم أنا بنفسي وأنا سائر إليهم. قال: وكان الّذي جرّأ يزدجرد على إرسال رستم غلام جابان منجّم كسرى، وكان من أهل فرات بادقلي فأرسل إليه فقال: ما ترى في مسير رستم وحرب العرب، فخافه على الصدق فكذبه وكان رستم يعلم نحواً من علم ذلك المنجّم، فثقل عليه مسيره، وخفّ على الملك لما غرّه به وقال: إنّي أحبّ أن تخبرني بشيء أراه أطمئنّ له إلى قولك. فقال الغلام لدربا الهندي: سلني مسألة فقال: أيّها الملك يقبل طائر فيقع على ايوانك فيقع منه شيء في فيه ههنا - وخطّ دائرة - فقال العبد، صدق، والطائر غراب، والّذي في فيه درهم، وبلغ جابان أنّ الملك طلبه فأقبل حتّى دخل عليه فسأله عمّا قال غلامه فحسبه فقال صدق ولم يصب هو عقعق والّذي في فيه درهم، فيقع منه على هذا المكان وكذب دربا، ينزو الدرهم فيستقرّ ههنا، ودوّر دائرة أخرى. فما قاموا حتّى وقع على الشرافات عقعق، فسقط منه درهم في الخطّ الأوّل، فنزا فاستقرّ في الخطّ الآخر، ونافر الهنديّ جابان حيث خطّأه، فأتى ببقرة نتوج، فقال الهندي: سخلتها غراء سوداء، فقال جابان: كذبت، بل سوداء سفعاء. فنحرت البقرة واستخرجت سخلتها فإذا ذنبها أبيض، فقال جابان: من ههنا أتي دربا، وشجّعاه على إخراج رستم فأمضاه. ثمّ قال الطبريّ ما معناه: إنّ جابان كتب إلى من يشفق عليه من العسكر يأمره بالدخول مع العرب فيما

---

(١) - (٢) فرج المهموم، ص ٢٩.

يريدون، وأخبره أنّ ملك الفرس ذهب، فقبل منه وكان الأمر كما اقتضاه دلالة النجوم من ظهور العرب على الفرس(١).

أقول: ثمّ ذكر دلالة النجوم على إمامة القائم عليه السلام وولادته على ما أوردناه في باب ولادته عليه السلام.

بيان: قال في القاموس: العقعق طائر أبلق بسواد وبياض، صوته العين والقاف. وقال: أنتجت الفرس: حان نتاجها فهي نتوج لا منتج. وقال: سفع الشيء: أعلمه ووسمه، والسفع - بالضمّ -: السواد تضرب إلى الحمرة وفي النهاية: السفعة نوع من السواد مع لون آخر.

٢١ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابنا، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن ابن فضّال، عن الحسن بن أسباط، عن عبد الرحمن بن سيابة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إنّ النّاس يقولون إنّ النجوم لا يحلّ النظر فيها، وهو يعجبني، فإن كانت تضرّ بديني فلا حاجة لي في شيء يضرّ بديني، وإن كانت لا تضرّ بديني فوالله إنّي لأشتهيها وأشتهي النظر فيها. فقال: ليس كما يقولون لا تضرّ بدينك. ثمّ قال: إنّكم تنظرون في شيء منها كثيره لا يدرك، وقليله لا ينتفع به، تحسبون على طالع القمر، ثمّ قال: أتدري كم بين المشتري والزهرة من دقيقة؟ قلت: لا والله، قال: أفتدري كم بين الزهرة وبين القمر من دقيقة؟ قلت: لا والله، قال أفتدري كم بين الشمس وبين السكينة من دقيقة؟ قلت: لا والله، ما سمعته من أحد من المنجّمين قطّ. قال: أفتدري كم بين السكينة وبين اللوح المحفوظ من دقيقة؟ قلت: لا ما سمعته من منجّم قطّ، قال: ما بين كلّ واحد منهما إلى صاحبه ستّون أو سبعون دقيقة - شكّ عبد الرحمن - ثمّ قال: يا عبد الرحمن! هذا حساب إذا حسبه الرجل ووقع عليه عرف القصبة الّتي في وسط الأجمة، وعدد ما عن يمينها، وعدد ما عن يسارها، وعدد ما خلفها، وعدد ما أمامها، حتّى لا يخفى عليه من قصب الأجمة واحدة(٢).

النجوم: بإسناده عن الكلينيّ مثله، ثمّ قال السيّد: وروى هذا الحديث أصحابنا في المصنّفات والأصول، ورواه محمّد بن أبي عبد الله في أماليه، ورواه محمّد بن يحيى أخو مقلّس، عن حمّاد بن عثمان(٣).

بيان: «تحسبون على طالع القمر» يظهر منه أنّه كان مدار أحكام هؤلاء على حركات القمر وأوضاعه، وكانوا لا يلتفتون إلى أوضاع سائر الكواكب «كم بين المشتري والزهرة» أي بحسب الدرجات والأوضاع الحاصلة من الحركات، أو بعد فلك أحدهما عن الآخر، والأوّل أظهر، «وبين السكينة» هو اسم كوكب غير معروف عند المنجّمين له مدخل في الأحكام، وفي بعض النسخ «السنبلة» والأوّل أنسب بقوله «ما سمعته من منجّم».

---

(١) فرج المهموم، ص ٣٥.
(٢) روضة الكافي، ح ٢٣٣.
(٣) فرج المهموم، ٨٥.

٢٢ - **النجوم:** بإسناده عن الكلينيّ في كتاب تعبير الرؤيا، بإسناده عن محمّد بن سام، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: قوم يقولون النجوم أصحّ من الرؤيا، وذلك كانت صحيحة حين لم يردّ الشمس على يوشع بن نون، وعلى أمير المؤمنين عليه السلام فلمّا ردّ الله عزّ وجلّ الشمس عليهما ضلّ فيها علوم علماء النجوم(١).

٢٣ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن جميل بن صالح، عمّن أخبره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن النجوم فقال: ما يعلمها إلّا أهل بيت من العرب وأهل بيت من الهند(٢).

النجوم: بإسناده عن الكلينيّ مثله، وزاد في آخره «أولاد وصيّ إدريس عليه السلام» ثمّ قال: وروينا هذا الحديث بإسناده إلى ابن أبي عمير من أصله عن أبي عبد الله عليه السلام (٣).

بيان: «أهل بيت من العرب» أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ولا يدلّ على جواز النظر فيه والعمل به، بل على خلافهما أدلّ، لأنّ علم أكثر الخلق به ناقص فيكون حكمهم به قولاً بغير علم.

٢٤ - **الكافي:** عن أحمد بن محمّد وعليّ بن محمّد جميعاً، عن عليّ بن الحسن الميثميّ، عن محمّد بن خطّاب الواسطيّ، عن يونس بن عبد الرحمن، عن أحمد بن عمر الحلبيّ، عن حمّاد الأزديّ، عن هشام الخفّاف، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: كيف بصرك بالنجوم؟ قال: قلت: ما خلّفت بالعراق أبصر بالنجوم منّي؟ فقال: كيف دوران الفلك عندكم؟ قال: فأخذت قلنسوتي من رأسي فأدرتها، قال: فقال لي: إن كان الأمر على ما تقول فما بال بنات نعش والجدي والفرقدين لا يرون يدورون يوماً من الدهر في القبلة؟ قال: قلت: هذا والله شيء لا أعرفه ولا سمعت أحداً من أهل الحساب يذكره، فقال لي: كم السكينة من الزهرة جزءاً في ضوئها؟ قال: قلت: هذا والله نجم ما سمعت به ولا سمعت أحداً من الناس يذكره، قال: سبحان الله! فأسقطتم نجماً بأسره! فعلى ما تحسبون؟ ثمّ قال: فكم الزهرة من القمر جزءاً في ضوئه؟ قال: فقلت: هذا شيء لا يعلمه إلّا الله عزّ وجلّ، قال: فكم القمر جزءاً من الشمس في ضوئها؟ قال: قلت: ما أعرف هذا، قال: صدقت، ثمّ قال: فما بال العسكرين يلتقيان، في هذا حاسب، وفي هذا حاسب، فيحسب هذا لصاحبه بالظفر ثمّ يلتقيان فيهزم أحدهما الآخر، فأين كانت النجوم؟ قال: فقلت: لا والله، ما أعلم ذلك قال: فقال: صدقت، إنّ أصل الحساب حقّ ولكن لا يعلم ذلك إلّا من علم مواليد الخلق كلّهم(٤).

بيان: «فأدرتها» لعلّه زعم أنّ حركة الفلك في جميع المواضع رحويّة «ما بال العسكرين» هذا دليل تامّ على خطأ المنجّمين، فإنّ ملكين إذا تقابلا وكان لكلّ منهما منجّم فإنّهما

---

(١) فرج المهموم، ص ٨٥.
(٢) روضة الكافي، ح ٥٠٨.
(٣) فرج المهموم، ص ٨٧.
(٤) روضة الكافي، ح ٥٤٩.

يختاران لهما ساعة واحدة، ويحكم كلّ منهما لصاحبه بالظفر، مع أنّه يظفر أحدهما وينهزم الآخر، وذلك لعدم إحاطتهم بارتباط النجوم بالأشخاص فإنّه يمكن أن يكون لكلّ نجم مناسبة لشخص من الأشخاص يكون سعادته أو علوّه علامة لغلبته، أو يقال كما أنّ لتأثير الفواعل مدخلاً في حدوث الحوادث فكذا لاستعداد القوابل مدخل فيه، وهم على تقدير إحاطة علمهم بالأوّل لم يحط علمهم بالثاني كما قاله ابن سينا، وسيأتي تفصيله في قصّة هاروت وماروت. فقوله عليه السلام «لا يعلم ذلك إلّا من علم مواليد الخلق» يمكن أن يكون إشارة إلى الأوّل، كما أنّ المنجّمين يعتبرون طالع المولود في الأحكام، أو إلى الثاني بأن يكون المراد بمواليدهم خصوصيّات موادّهم واستعداداتهم وقابليّاتهم وأسباب ولادتهم، وهذا علم لا يمكن الإحاطة به إلّا بالوحي أو الإلهام من الخالق الحكيم، ويمكن أن يكون المراد به أنّ من أحاط بذلك العلم يعلم به جميع مواليد الخلق، ولمّا لم يعلم المنجّمون جميع ذلك ظهر أنّهم لا يحيطون به علماً، وعلى التقادير ظاهره حقيّة هذا العلم، وعدم جواز النظر فيه لسائر الخلق، لعدم إحاطتهم به وتضمّنه القول بما لا يعلم والله يعلم.

٢٥ - **النجوم:** وجدت في كتاب «نوادر الحكمة» تأليف محمّد بن أحمد بن يحيى بن عمران بن عبد الله القمّي رواه عن الرضا عليه السلام قال: قال أبو الحسن عليه السلام للحسن بن سهل: كيف حسابك للنجوم؟ فقال: ما بقي منها شيء إلّا وقد تعلّمته. فقال أبو الحسن عليه السلام: كم لنور الشمس على نور القمر فضل درجة؟ وكم لنور القمر على نور المشتري فضل درجة؟ وكم لنور المشتري على نور الزهرة فضل درجة؟ فقال: لا أدري، فقال: ليس في يدك شيء، هذا أيسر[1]!

بيان: أي هذا أيسر شيء من هذا العلم.

٢٦ - **النجوم:** وجدت في كتاب مسائل الصباح بن نصر الهندي لمولانا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام رواية أبي العبّاس بن نوح وأبي عبد الله محمّد بن أحمد الصفوانيّ من أصل كتاب عتيق لنا الآن ربما كان قد كتب في حياتهما بالإسناد المتّصل فيه عن الريّان بن الصلت، وذكر اجتماع العلماء بحضرة المأمون وظهور حجّته عليه السلام على جميع العلماء وحضور الصباح بن نصر الهنديّ عند مولانا الرضا عليه السلام وسؤاله عن مسائل كثيرة منها سؤاله عن علم النجوم فقال عليه السلام ما هذا لفظه: هو علم في أصل صحيح ذكروا أنّ أوّل من تكلّم في النجوم إدريس عليه السلام، وكان ذو القرنين بها ماهراً، وأصل هذا العلم من عند الله عزّ وجلّ، ويقال: إنّ الله بعث النجم الّذي يقال له المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأتى بلد العجم فعلّمهم في حديث طويل، فلم يستكملوا ذلك، فأتى بلد الهند فعلّم رجلاً منهم، فمن هناك صار علم

(١) فرج المهموم، ص ٩٣.

النجوم بها. وقد قال قوم: هو علم من علم الأنبياء، خصّوا به لأسباب شتّى، فلم يستدرك المنجّمون الدقيق منها، فشابوا الحقّ بالكذب. هذا آخر لفظ مولانا عليّ بن موسى الرضا عليه السلام في هذه الرواية الجليلة الإسناد، وقوله عليه السلام حجّة على العباد، وقوله عليه السلام «ذكروا» و«يقال» فإنّ عادته عليه السلام عند التقيّة من المخالفين والعامّة يقول نحو هذا الكلام، وتارة يقول «كان أبي يقول» وتارة «روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله»[1].

بيان: أقول: يحتمل أن يكون تصحيحه عليه السلام وإثباته لعلم النجوم تقيّةً لولوع المأمون بهذا العلم ورغبته إليه، فلذا عبّر عليه السلام بهذه العبارات، وفي أكثر الأعصار المنجّمون مقرّبون عند السلاطين، والناس يتّقون منهم، مع أنّه غير صريح في جواز التعليم والتعلّم والعمل به.

٢٧ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن محبوب، عن مالك بن عطيّة، عن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الحرّ والبرد ممَّ يكونان؟ فقال لي: يا أبا أيّوب، إنّ المرّيخ كوكب حارٌّ وزحل كوكب بارد فإذا بدأ المرّيخ في الارتفاع انحطّ زحل، وذلك في الربيع، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع المرّيخ درجةً انحطّ زحل درجةً ثلاثة أشهر حتّى ينتهي المرّيخ في الارتفاع وينتهي زحل في الهبوط، فيجلو المرّيخ فلذلك يشتدّ الحرّ، فإذا كان في آخر الصيف وأوان الخريف بدأ زحل في الارتفاع وبدأ المرّيخ في الهبوط، فلا يزالان كذلك كلّما ارتفع زحل درجة انحطّ المرّيخ درجة حتّى ينتهي المرّيخ في الهبوط وينتهي زحل في الارتفاع، فيجلو زحل وذلك في أوّل الشتاء وآخر الصيف فلذلك يشتدّ البرد، وكلّما ارتفع هذا هبط هذا وكلّما هبط هذا ارتفع هذا، فإذا كان في الصيف يوم بارد فالفعل في ذلك للقمر، وإذا كان في الشتاء يوم حارّ فالفعل في ذلك للشمس، هذا تقدير العزيز العليم، وأنا عبد ربّ العالمين[2].

بيان: أشكل على الناظرين في هذا الخبر حلّه من جهة أنّ حركتي زحل والمرّيخ الخاصّتين غير متوافقتين ولا مطابقتين لحركة الشمس والفصول الحاصلة منها بوجه، ويخطر بالبال حلّ يمكن حمل الخبر عليه ليندفع الإشكال، وهو أن يكون حرارة أحد الكوكبين وبرودة الآخر بالخاصّية لا بالكيفيّة من قبيل التأثيرات الناقصة الّتي تنسب إلى أوضاع الكواكب، ويكون لكلّ منهما تدوير، ويكون ارتفاع المرّيخ في تدويره إمّا مؤثّراً ناقصاً أو علامةً لزيادة الحرارة ويكون ارتفاعه عند انحطاط زحل بحركة تدويره وانحطاطه مؤثّراً ناقصاً أو علامةً لضعف البرودة فلذا يصير الهواء في الصيف حارّاً وفي الشتاء بعكس ذلك، ولم يدلّ دليل على امتناعه كما أنّهم يقولون في القمر: إنّ قوّته وارتفاعه مؤثّر وعلامة لزيادة البرد والرطوبات، وقد أثبتوا أفلاكاً كثيرةً جزئيّةً لكلّ من السيّارات لضبط الحركات ومع ذلك يرد عليهم ما لا يمكنهم حلّه فلا ضير في أن نثبت فلكاً آخر لتصحيح الخبر المنسوب إلى الإمام عليه السلام.

---

(١) فرج المهموم، ص ٩٤.
(٢) روضة الكافي، ح ٤٧٤.

قوله «فيجلو المرّيخ» كذا في أكثر نسخ الكافي، وهو إمّا من الجلاء بمعنى الخروج والمفارقة عن المكان، أي يأخذ في الارتفاع، أو من الجلاء بمعنى الوضوح والانكشاف، وفي بعض نسخه «فيعلو» في الموضعين، وفي كتاب النجوم «فيلحق» فيهما، ولهما وجه قريب. ولعلّ قوله عليه السلام «وأنا عبد ربّ العالمين» لحضور بعض الغلاة في ذلك المجلس، قال ذلك ردّاً عليهم، وقيل: أوّل الكلام مبنيّ على زعم المنجّمين من تأثير الكواكب، وردّ ذلك آخراً بقوله عليه السلام «هذا تقدير العزيز العليم» وحاصله أنّ المنجّمين يعدون الشمس والمرّيخ حارّين يابسين وزحل بارداً يابساً، والقمر بارداً رطباً، وغرضهم أنّ تأثيرها في السفليّات كذلك، وتخصيص المرّيخ وزحل بالذكر لكونهما من العلويّة وهي أشرف عندهم. والمراد بارتفاع مرّيخ وانحطاط زحل حسن حال الأوّل وسوء حال الثاني بزعمهم، إذ الشمس من أوّل الحمل كلّما ازداد ارتفاعاً في الآفاق المائلة الشماليّة اشتدّ حرارة الهواء، فارتفع مانع تأثير المرّيخ وقوي تأثيره وضعف تأثير زحل، وكذا العكس.

٢٨ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ آزر أبا إبراهيم كان منجّماً لنمرود، ولم يكن يصدر إلّا عن أمره، فنظر ليلة في النجوم فأصبح وهو يقول لنمرود: لقد رأيت عجباً! قال: وما هو؟ قال: رأيت مولوداً يولد في أرضنا يكون هلاكنا على يديه، ولا يلبث إلّا قليلا حتّى يحمل به. قال: فتعجّب من ذلك وقال: هل حملت به النساء؟ قال: لا، قال فحجب النساء عن الرجال فلم يدع امرأةً إلّا جعلها في المدينة لا يخلص إليها، ووقع آزر على أهله وعلقت بإبراهيم عليه السلام فظنّ أنّه صاحبه، فأرسلوا إلى نساء من القوابل في ذلك الزمان لا يكون في الرحم شيء إلّا علمن به، فنظرن فألزم الله عزّوجلّ ما في الرحم الظهر، فقلن: ما نرى في بطنها شيئاً. وكان فيما أوتي من العلم أنّه سيحرق في النار ولم يؤت علم أنّ الله تبارك وتعالى سينجّيه منها (الخبر)[1].

٢٩ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابنا، عن سهل بن زياد، عن الحسن بن عليّ بن عثمان، عن أبي عبد الله المدائنيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّوجلّ خلق نجماً في الفلك السابع، فخلقه من ماء بارد، وسائر النجوم الستّة الجاريات من ماء حارّ، وهو نجم الأنبياء والأوصياء، وهو نجم أمير المؤمنين عليه السلام يأمر بالخروج من الدنيا والزهد فيها، ويأمر بافتراش التراب، وتوسّد اللبن، ولباس الخشن، وأكل الجشب، وما خلق الله نجماً أقرب إلى الله منه[2].

بيان: يدلّ الخبر على أنّ المنجّمين قد أخطأوا في طبائع الكواكب، ومن ينسبونه إليها،

---

(١) روضة الكافي، ح ٥٥٨. (٢) روضة الكافي، ح ٣٦٩.

وفي سعدها ونحسها «يأمر بالخروج من الدنيا» لعلّ المراد أنّ من ينسب إليه هكذا حاله، أو من كان هذا الكوكب طالع ولادته يكون كذلك، أو أنّ المنسوبين إلى هذا الكوكب يأمرون بذلك.

أقول: فعلى الأوّل يمكن أن يقال لا تنافي بين ما ذكره المنجّمون وبين ما ورد في الخبر، لأنّ نحوسته بالنظر إلى أغراض أهل الدنيا وما يطلبون من عزّ الدنيا وفخرها وزخرفها، وسعادته بالنظر إلى أغراض أهل الآخرة وما يطلبون من ترك الدنيا ولذّاتها وشهواتها فتدبّر.

٣٠ - **النجوم:** روى معاوية بن حكيم، عن محمّد بن زياد، عن محمّد بن يحيى الخثعميّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم حقّ هي؟ قال لي: نعم، فقلت له: وفي الأرض من يعلمها؟ قال: نعم، وفي الأرض من يعلمها. قال السيّد: ورويناه بإسنادنا إلى محمّد بن يحيى الخثعميّ من غير كتاب معاوية بن حكيم(١).

٣١ - وروينا بإسنادنا عن معاوية بن حكيم في كتاب أصله حديثاً آخر عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في السماء أربعة نجوم ما يعلمها إلّا أهل بيت من العرب، وأهل بيت من الهند، يعرفون منها نجماً واحداً فبذلك قام حسابهم(٢).

٣٢ - **المناقب لابن شهرآشوب:** عن أبي بصير، قال: رأيت رجلاً يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم، فلمّا خرج من عنده قلت له: هذا علم له أصل؟ قال: نعم، قلت: حدّثني عنه، قال: أحدّثك عنه بالسعد ولا أحدّثك بالنحس، إنّ الله جلّ اسمه فرض صلاة الفجر لأوّل ساعة فهو فرض وهي سعد، وفرض الظهر لسبع ساعات وهو فرض وهي سعد، وجعل العصر لتسع ساعات وهو فرض وهي سعد، وجعل المغرب لأوّل ساعة من الليل وهو فرض وهي سعد، والعتمة لثلاث ساعات وهو فرض وهي سعد(٣).

بيان: لعلّ غرضه عليه السلام أنّ ذلك العلم له أصل، لكن لا ينبغي لك أن تطلب منه إلّا قدر ما تعلم به أوقات الفرائض، أو المعنى أنّ أوقات الفرائض لها سعادة لوقوع عبادة الله فيها.

٣٣ - **النجوم:** روينا بأسانيد عن الحسين بن عبيدالله الغضائريّ، ونقلته من خطّه من الجزء الثاني من كتاب الدلائل تأليف عبد الله بن جعفر الحميريّ بإسناده عن بيّاع السابريّ، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ لي في النظرة في النجوم لذّة، وهي معيبة عند الناس، فإن كان فيها إثم تركت ذلك، وإن لم يكن فيها إثم فإنّ لي فيها لذّة. قال: فقال: تعدّ الطوالع؟ قلت: نعم، فعددتها له فقال: كم تسقي الشمس القمر من نورها؟ قلت: هذا شيء لم أسمعه قطّ، وقال: وكم تسقي الزهرة الشمس من نورها؟ قلت: ولا هذا، قال: فكم تسقي الشمس من اللوح المحفوظ من نوره؟ قلت: وهذا شيء ما أسمعه قطّ، قال: فقال: هذا شيء إذا

---

(١) - (٢) فرج المهموم، ص ٩١. (٣) المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤ ص ٢٦٥.

علمه الرجل عرف أوسط قصبة في الأجمة. ثمّ قال: ليس يعلم النجوم إلّا أهل بيت من قريش وأهل بيت من الهند[١].

٣٤ - **ومنه:** وجدت في كتاب عتيق اسمه كتاب «التجمّل» قال أبو أحمد عن حفص بن البختريّ، قال: ذكرت النجوم عند أبي عبد الله عليه السلام فقال: ما يعلمها إلّا أهل بيت بالهند وأهل بيت من العرب[٢].

٣٥ - وفي الكتاب المذكور أيضاً عن محمّد وهارون ابني أبي سهل، وكتبا إلى أبي عبد الله عليه السلام إنّ أبانا وجدّنا كانا ينظران في النجوم، فهل يحلّ النظر فيها؟ قال نعم[٣].

٣٦ - **وفيه:** أيضاً أنّهما كتبا إليه: نحن ولد بني نوبخت المنجّم، وقد كنّا كتبنا إليك هل يحلّ النظر فيها؟ فكتبت: نعم، والمنجّمون يختلفون في صفة الفلك، فبعضهم يقول: إنّ الفلك فيه النجوم والشمس والقمر، معلّق بالسماء وهو دون السماء، وهو الّذي يدور بالنجوم والشمس والقمر والسماء فإنّها لا تتحرّك ولا تدور، ويقولون: دوران الفلك تحت الأرض، وإنّ الشمس تدور مع الفلك تحت الأرض، وتغيب في المغرب تحت الأرض، وتطلع بالغداة من المشرق. فكتب: نعم، ما لم يخرج من التوحيد[٤].

٣٧ - ومن الكتاب المذكور: أبو محمّد، عن الحسن بن عمر، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ﴾ قال: كان القمر منحوساً بزحل[٥].

بيان: «معلّق بالسماء» أي الفلك معلّق بالسماء، ولعلّ مرادهم بالسماء الفلك التاسع، وبعدم حركتها أنّها لا تتحرّك بالحركات الخاصّة للكواكب، وقولهم «دوران الفلك تحت الأرض» يحتمل الخاصّة واليوميّة والأعمّ، وغرضهم أنّ الكواكب كما تتحرّك تبعاً للأفلاك فوق الأرض فكذا تتحرّك تحتها، وقولهم «وإنّ الشمس تدور مع الفلك» أي بالحركة اليوميّة، هذا ما خطر بالبال في تأويله، وظاهره أنّ الأفلاك غير السماوات، ولعلّه كان ذلك مذهباً لجماعة كما ذهب إليه الكراجكيّ حيث قال في كنز الفوائد: اعلم أنّ الأرض على هيئة الكرة والهواء يحيط بها من كلّ جهة، والأفلاك تحيط بالجميع إحاطة استدارة، وهي طبقات بعضها يحيط ببعض، فمنها سبعة تختصّ بالنيّرين والكواكب الخمسة الّتي تسمّى «المتحيّرة» فالنيّران هما الشمس والقمر، والخمسة هي: زحل، والمشتري، والمرّيخ، والزهرة، وعطارد، فلكلّ واحد منها فلك يختصّ به من هذه السبعة ففلك زحل أعلاها، وفلك القمر أقربها من الأرض، وفلك الشمس في وسطها، وتحت فلك زحل فلك المشتري، ثمّ المرّيخ، وفوق القمر فلك عطارد، ثمّ فلك الزهرة، ويحيط بهذه الأفلاك السبعة فلك الكواكب الثابتة، وهي جميع ما يُرى في السماء غير ما ذكرنا. ثمّ الفلك المحيط الأعظم

(١) - (٥) فرج المهموم، ص ٩٧-١٠٠.

المحرّك جميع هذه الأفلاك، ثمّ السماوات السبع تحيط بالأفلاك، وهي مساكن الأملاك ومن رفعه الله تعالى إلى سمائه من أنبيائه وحججه عليهم السلام (انتهى) وهذا قول غريب لم أر به قائلاً غيره، ومخالفته لظاهر الآية أكثر من القول المشهور.

«فكتب نعم» أي يحلّ النظر فيها «ما لم يخرج من التوحيد» أي ما لم ينته إلى القول بتأثير الكواكب وأنّها شريكة في الخلق والتدبير للربّ سبحانه، والظاهر أنّ المراد بالنظر في النجوم هنا علم الهيئة والتفكّر في كيفيّة دوران الكواكب والأفلاك وقدر حركاتها وأشباه ذلك، لا استخراج الأحكام والإخبار عن الحوادث.

٣٨ - **النجوم:** من كتاب «نزهة الكرام وبستان العوام» تأليف محمّد بن الحسين بن الحسن السراويّ، وهذا الكتاب خطّه بالعجمية تكلّفنا من نقله إلى العربيّة، فذكر في أواخر المجلّد الثاني منه ما هذا لفظ من أعربه: وروي أنّ هارون الرشيد بعث إلى موسى بن جعفر عليه السلام فأحضره، فلمّا حضر عنده قال: إنّ الناس ينسبونكم يا بني فاطمة إلى علم النجوم، وأنّ معرفتكم بها معرفة جيّدة وفقهاء العامّة يقولون إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إذا ذكروا في أصحابي فاسكتوا، وإذا ذكروا القدر فاسكتوا، وإذا ذكروا النجوم فاسكتوا، وأميرالمؤمنين عليه السلام كان أعلم الخلائق بعلم النجوم، وأولاده وذرّيته الّذين تقول الشيعة بإمامتهم كانوا عارفين بها. فقال له الكاظم عليه السلام: هذا حديث ضعيف وإسناده مطعون فيه، والله تبارك وتعالى قد مدح النجوم، ولولا أنّ النجوم صحيحة ما مدحها الله عزّ وجلّ والأنبياء عليهم السلام كانوا عالمين بها وقد قال الله تعالى في حقّ إبراهيم خليل الرحمن عليه السلام ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِيٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلْمُوقِنِينَ﴾[1] وقال في موضع آخر ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾[2] فلو لم يكن عالماً بعلم النجوم ما نظر فيها وما قال إنّي سقيم، وإدريس عليه السلام كان أعلم أهل زمانه بالنجوم، والله تعالى قد أقسم بمواقع النجوم وإنّه لقسمٌ لو تعلمون عظيم، وقال في موضع آخر ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا﴾ - إلى قوله - ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ ويعني بذلك اثني عشر برجاً وسبعة سيّارات، والّذي يظهر بالليل والنهار بأمر الله عزّ وجلّ، وبعد علم القرآن ما يكون أشرف من علم النجوم، وهو علم الأنبياء والأوصياء وورثة الأنبياء الّذين قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3] ونحن نعرف هذا العلم وما نذكره. فقال له هارون: بالله عليك يا موسى هذا العلم لا تظهروه عند الجهّال وعوامّ الناس حتّى لا يشنّعوا عليك، ونفّس العوامّ به وغطّ هذا العلم وارجع إلى حرم جدّك. ثمّ قال له هارون: وقد بقي مسألة أخرى بالله عليك أخبرني بها! فقال له: سل، فقال له: بحقّ القبر والمنبر وبحقّ قرابتك من رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني أنت تموت قبلي أو أنا

(١) سورة الأنعام، الآية: ٧٥.
(٢) سورة الصافات، الآيتان: ٨٨-٨٩.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٦.

أموت قبلك؟ لأنّك تعرف هذا من علم النجوم، فقال له موسى عليه السلام : آمنّي حتّى أخبرك. فقال: لك الأمان. فقال: أنا أموت قبلك وما كذبت ولا أكذب ووفاتي قريب(١).

أقول: تمامه في أبو اب تاريخ موسى عليه السلام .

٣٩ - **ومنه:** قال: وجدت في كتاب عتيق بإسناد متّصل إلى الوليد بن جميع قال: إنّ رجلاً سأله عكرمة عن حساب النجوم، فجعل الرجل يتحرّج أن يخبره قال عكرمة: سمعت ابن عبّاس يقول: علم عجز الناس عنه، وددت أنّي علمته(٢).

٤٠ - **ومنه:** نقلاً من كتاب ربيع الأبرار للزمخشريّ عن الوليد بن جميع قال: رأيت عكرمة سأل رجلاً عن علم النجوم والرجل يتحرّج يخبره، فقال له عكرمة: سمعت ابن عبّاس يقول: علم عجز الناس عنه، ولوددت أنّي علمته(٣).

٤١ - وأيضاً فيه: عن ابن عبّاس: علم من علم النبوّة، وليتني كنت أحسنه(٤).

٤٢ - **ومنه:** قال: رويت عن محمّد بن النجّار في المجلّد الحادي والعشرين من تذييله على تاريخ الخطيب في ترجمة عليّ بن طرّاد بإسناده إلى عكرمة قال: قيل لابن عبّاس: إنّ ههنا رجلاً يهوديّاً يتكهّن، قال: فبعث إليه ابن عبّاس فجاء، فقال: يا يهوديّ بلغني أنّك تخبر بالغيب، فقال اليهودي: أمّا الغيب فلا يعلم إلّا الله، ولكن إن شئت أخبرتك. قال: هات، قال: ألك ابن عشر سنين يختلف إلى الكتّاب؟ قال: نعم، قال: فإنّه يأتي غداً محموماً من الكتّاب، ويموت يوم عاشره، وأمّا أنت فلا تخرج من الدنيا حتّى يذهب بصرك. قال: هذا ما أخبرتني عن ابني وعن نفسي، فأخبرني عن نفسك. قال: أموت رأس السنة. قال عكرمة فجاء ابن ابن عبّاس من الكتّاب محموماً ومات يوم عاشره، فلمّا كان رأس السنة قال ابن عبّاس: يا عكرمة انظر ما فعل اليهوديّ. فأتيت أهله، فقالوا: مات أمس، فما خرج ابن عبّاس من الدنيا حتّى ذهب بصره(٥).

بيان: «الكتّاب» بضمّ الكاف وتشديد التاء الكتبة ويطلق على المكتب تسمية للمحلّ باسم الحالّ.

٤٣ - **النجوم:** نقلاً من كتاب ربيع الأبرار عن عليّ عليه السلام : من اقتبس علماً من علم النجوم من حملة القرآن ازداد به إيماناً ويقيناً، ثمّ تلا: ﴿إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ﴾(٦).

٤٤ - وقال فيه أيضاً: عن ميمون بن مهران: إيّاكم والتكذيب بالنجوم، فإنّه علم من علوم النبوّة(٧).

وفيه أيضاً عن عليّ عليه السلام : يكره أن يسافر الرجل أو يتزوّج في محاق الشهر، وإذا كان القمر في العقرب(٨).

---

(١) فرج المهموم، ص ١٠٧.
(٢) - (٨) فرج المهموم، ص ١١٠-١١٣.

٤٥ - وذكر الخطيب في تاريخ بغداد حديثاً أسنده إلى تميم بن الحارث عن أبيه، عن عليّ عليه السلام: أنّه يكره أن يتزوّج الرجل أو يسافر إذا كان القمر في محاق الشهر أو العقرب[١].

٤٦ - **وفي كتاب ربيع الأبرار** فيما رواه عن مولانا عليّ عليه السلام: ويُروى أنّ رجلاً قال: إنّي أريد الخروج في تجارة لي وذلك في محاق الشهر. فقال: أتريد أن يمحق الله تجارتك؟ تستقبل هلال الشهر بالخروج[٢].

٤٧ - وفيه أيضاً: كان علماء بني إسرائيل يسترون من العلوم علمين: علم النجوم، وعلم الطبّ فلا يعلّمونهما أولادهم لحاجة الملوك إليهما، لئلّا يكون سبباً في صحبة الملوك والدنوّ منهم، فيضمحلّ دينهم[٣].

٤٨ - **ومنه** روى عبد الله بن الصلت في كتاب التواقيع من أصول الأخبار قال: حملت الكتاب وهو الّذي نقلته من العراق، قال: كتب معقلة بن إسحاق إلى عليّ بن جعفر رقعة يعلمه فيها أنّ المنجّم كتب ميلاده، ووقّت عمره وقتاً، وقد قارب ذلك الوقت، وخاف على نفسه، فأحبّ أن يسأله أن يدلّه على عمل يعمله يتقرّب به إلى الله عزّ وجلّ، فأوصل عليّ بن جعفر رقعة بعينها كتبها، فكتب إليه، بسم الله الرحمن الرحيم، متّعني الله بك، قرأت رقعة [فلان] فأصابني والله ما أخرجني إلى بعض لائمتك، سبحان الله أنت تعلم حاله منّا حقّاً ومن طاعتنا وأمورنا، فما منعك من نقل الخبر إلينا لنستقبل الأمر ببعض السهولة أو جعلته أنّه رأى رؤيا في منامه، أو بلغ سنّ إليه، أو أنكر شيئاً من نفسه كان يدرك بها حاجته، وكان الأمر يخفّ وقوعه، ويسهل خطبه، ويحتسب هذه الأمور عند الله بالأمس نذكره في اللفظة بأن ليس أحد يصلح لها غيره واعتمادنا عليه على ما تعلم، نحمد الله كثيراً، ونسأله الاستمتاع بنعمته، وبأصلح الموالي وأحسن الأعوان عوناً وبرحمته ومغفرته، مر فلاناً - لا فجعنا الله به - بما يقدر عليه من الصيام على ما أصف: إمّا كلّ يوم، أو يوماً ويوماً لا، أو ثلاثة في الشهر، ولا يخلو كلّ يوم أو يومين من صدقة على ستّين مسكيناً، أو ما يحرّكه عليه النيّة وما جرى وتمّ، ويستعمل نفسه في صلاة الليل والنهار استعمالاً شديداً، وكذلك في الاستغفار وقراءة القرآن وذكر الله تعالى والاعتراف في القنوت بذنوبه، ويستغفر الله منها ويجعل أبو اباً في الصدقة والعتق عن أشياء يسمّيها من ذنوبه، ويخلص نيّته في اعتقاد الحقّ، ويصل رحمه، وينشر الخير فيها، ونرجو أن ينفعه مكانه منّا، وما وهب الله من رضانا عنه وحمدنا إيّاه، فلقد والله ساءني أمره فوق ما أصف، على أنّه أرجو أن يزيد الله في عمره، ويبطل قول المنجّم، فما أطلعه الله على الغيب والحمد لله.

---

(١) - (٣) فرج المهموم، ص ١١٠-١١٥.

وقد رأيت هذا الحديث في كتاب التوقيعات لعبد الله بن جعفر الحميريّ رحمه الله قد رواه عن أحمد بن محمّد بن عيسى بإسناده إلى الكاظم عليه السلام [١].

بيان: النسخة كانت في هذه الرواية سقيمة جدّاً، ولم نجدها في مكان آخر نصلحها به، فتركناها كما كانت.

٤٩ - **النجوم:** روى محمّد بن خالد البرقيّ في قصص الأنبياء فقال ما هذا لفظه: عبد الله ابن سنان، عن عمّار بن أبي معاوية، قال: وفتحت مدائن الشام على يد يوشع بن نون حتّى انتهى إلى البلقاء، فلقوا بها رجلاً يقال له «بالق» به سمّيت البلقاء، فجعلوا يخرجون يقاتلونه لا يقتل منهم رجل، فسأل عن ذلك فقيل: إنّ في مدينته امرأة منجّمة تستقبل الشمس بفرجها، ثمّ تحسب ثمّ يعرض عليها الخيل، فلا يخرج يومئذ رجل حضر أجله. فصلّى يوشع بن نون ركعتين ودعا ربّه أن يؤخّر الشمس، فاضطرب عليها الحساب فقالت لبالق: انظر ما يعرضون عليك فأعطهم، فإنّ حسابي قد اختلط عليّ. قال: فتصفّحي الخيل فاخرجي، فإنّه لا يكون إلّا بقتال، قال: فتصفّحت وأخرجت، فقتلوا قتلاً لم يقتله قوم فسألوا يوشع الصلح، فأبى حتّى يدفع إليه المرأة، فأبى بالق أن يدفعها، فقالت: ادفعني إليه، فصالحها ودفعها إليه. فقالت: هل تجد فيما أوحي إلى صاحبك قتل النساء؟ قال: لا، قالت: أليس إنّما تدعوني إلى دينك؟ قال: بلى، قالت: فإنّي قد دخلت في دينك. هذا آخر لفظه في حديثه [٢].

بيان: «تستقبل الشمس بفرجها» أي تواجهها لتعلم مقدار حركتها، وهذه العبارة شائعة وقعت في مواضع، منها ما ورد فيما يتشأم به المسافر «والمرأة الشمطاء تلقي فرجها» أي تواجهها.

٥٠ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جدّه عليهم السلام قال: كانت أرض بيني وبين رجل، فأراد قسمتها وكان الرجل صاحب نجوم فنظر إلى الساعة الّتي فيها السعود فخرج فيها، ونظر إلى الساعة الّتي فيها النحوس فبعث إلى أبي، فلمّا اقتسما الأرض خرج خير السهمين لأبي، فجعل صاحب النجوم يتعجّب، فقال له أبي: ما لك؟ فأخبره الخبر، فقال له أبي: فهلا أدلّك على خير ممّا صنعت؟ إذا أصبحت فتصدّق بصدقة تذهب عنك نحس ذلك اليوم، وإذا أمسيت فتصدّق بصدقة تذهب عنك نحس تلك الليلة [٣].

٥١ - **دعوات الراوندي:** عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كانت أرض بين أبي وبين رجل فأراد قسمتها وذكر نحوه وقال عليه السلام: في علم النجوم عندنا معرفة المؤمن من الكافر [٤].

---

(١) فرج المهموم، ص ١١٥.
(٢) فرج المهموم، ص ١٤٣.
(٣) نوادر الراوندي، ص ٢٢٨ ح ٤٦٦.
(٤) الدعوات للراوندي، ص ١١٢.

بيان: لعلّه عليه السلام قال ذلك عند ذكر علم النجوم لبيان إحاطة علمه بما يدّعيه المنجّمون وبغيره، لا أنّه عليه السلام كان يعرف ذلك من النجوم، مع أنّه يحمل ذلك أيضاً لبيان قصور علمهم وعدم إحاطتهم به، فإنّهم لا يدّعون علم أمثال ذلك من جهة النجوم.

٥٢ - **الاحتجاج والنهج:** من كلام له قاله لبعض أصحابه لمّا عزم على المسير إلى الخوارج فقال له: يا أمير المؤمنين إن سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام: أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي من سار فيها صُرف عنه السوء، وتخوّف الساعة الّتي من سار فيها حاق به الضرّ؟ فمن صدّقك بهذا فقد كذّب القرآن، واستغنى عن الاستعانة بالله تعالى في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يولّيك الحمد دون ربّه، لأنّك بزعمك أنت هديته إلى الساعة الّتي نال فيها النفع وأمن فيها الضرّ. ثمّ أقبل عليه السلام على الناس فقال: أيّها الناس! إيّاكم وتعلّم النجوم إلّا ما يهتدى به في برّ أو بحر، فإنّها تدعو إلى الكهانة، المنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار. سيروا على اسم الله وعونه[1].

بيان: «فمن صدّقك بهذا» كأنّه أسقط السيّد من الرواية شيئاً كما هو دأبه، وقد مرّ تمامه. وعلى ما تقدّم هذا إشارة إلى علم ما في بطن الدابّة. وإن لم يكن سقط هنا شيء فيحتمل أن يكون إشارة إلى دعواه علم الساعتين المنافي لقوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾[2] ولقوله سبحانه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾[3] وقوله جلّ وعلا ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾[4] وما أفاد مثل هذا المعنى، ويمكن حمل الكلام على وجه آخر وهو أنّ قول المنجّم بأنّ صرف السوء ونزول الضرّ تابع للساعة، سواء قال بأنّ الأوضاع العلويّة مؤثرة تامّة في السفليّات ولا يجوز تخلّف الآثار عنها، أو قال بأنّها مؤثّرات ناقصة ولكن باقي المؤثّرات أمور لا يتطرّق إليها التغيّر، أو قال بأنّها علامات تدلّ على وقوع الحوادث حتماً فهو مخالف لما ثبت من الدين من أنّه سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت، وأنّه يقبض ويبسط ويفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ولم يفرغ من الأمر، وهو تعالى كلّ يوم في شأن، والظاهر من أحوال المنجّمين السابقين وكلماتهم جلّهم بل كلّهم أنّهم لا يقولون بالتخلّف وقوعاً أو إمكاناً، فيكون تصديقهم مخالفاً لتصديق القرآن وما علم من الدين والإيمان من هذا الوجه، ولو كان منهم من يقول بجواز التخلّف ووقوعه بقدرة الله واختياره، وأنّه تزول نحوسة الساعات بالتوكّل والدعاء والتوسّل والتصدّق، وينقلب السعد نحساً والنحس سعداً، وبأنّ الحوادث لا يعلم وقوعها إلّا إذا علم أنّ الله سبحانه لم تتعلّق حكمته

(١) الاحتجاج، ص ١٨٥، نهج البلاغة، ص ١٥٦ خ ٧٨. (٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.
(٣) سورة النمل، الآية: ٦٥. (٤) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

بتبديل أحكامها كان كلامه عليه السلام مخصوصاً بمن لم يكن كذلك، فالمراد بقوله «صرف عنه السوء وحاق به الضرّ» أي حتماً. قوله عليه السلام: «في قولك» أي على قولك أو بسبب قولك، أو هي للظرفيّة المجازيّة «إلّا ما يهتدى به» إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾[1].

والكهانة - بالفتح -: مصدر قولك كهن بالضم أي صار كاهناً، ويقال كهن يكهن كهانة مثل كتب يكتب كتابة إذا تكهّن، والحرفة الكهانة بالكسر، وهي عمل يوجب طاعة بعض الجانّ له بحيث يأتيه بالأخبار الغائبة، وهو قريب من السحر. قيل: قد كان في العرب كهنة كشقّ وسطيح وغيرهما، فمنهم من يزعم أنّ له تابعاً من الجنّ ورئيّاً يلقي إليه الأخبار، ومنهم من كان يزعم أنّه يعرف الأمور بمقدّمات وأسباب يستدلّ بها على مواقعها من كلام من يسأله أو فعله أو حاله وهذا يخصّونه باسم العرّاف، كالّذي يدّعي معرفة الشيء المسروق ومكان الضالّة ونحوهما. ودعوة علم النجوم إلى الكهانة إمّا لأنّه ينجرّ أمر المنجّم إلى الرغبة في تعلّم الكهانة والتكسّب به، أو ادّعاء ما يدّعيه الكاهن. والسحر قيل: هو كلام أو كتابة أو رقية أو أقسام وعزائم ونحوها يحدث بسببها ضرر على الغير، ومنه عقد الرجل عن زوجته، وإلقاء البغضاء بين الناس، ومنه استخدام الملائكة والجنّ واستنزال الشياطين في كشف الغائبات وعلاج المصاب، واستحضارهم وتلبّسهم ببدن صبيّ أو امرأة وكشف الغائب على لسانه (انتهى) والظاهر أنّه لا يختصّ بالضرر، وسيأتي بعض تحقيقه في باب هاروت وماروت، وتمام تحقيقه في باب الكبائر. ووجه الشبه في تشبيه المنجّم بالكاهن إمّا الاشتراك في الإخبار عن الغائبات، أو في الكذب والإخبار بالظنّ والتخمين والاستناد إلى الأمارات الضعيفة والمناسبات السخيفة، أو في العدول والانحراف عن سبيل الحقّ والتمسّك في نيل المطالب ودرك المآرب بأسباب خارجة عن حدود الشريعة وصدّهم عن التوسّل إلى الله تعالى بالدعاء والصدقة وسائر أصناف الطاعة، أو في البعد عن المغفرة والرحمة، ويجري بعض هذه الوجوه في التشبيهين الأخيرين، والمشبّه به في التشبيهات أقوى، ونتيجة الجميع دخول النار. ويمكن أن يكون قوله: «والكافر في النار» إشارة إلى وجه الشبه، وإن كان بعيداً، والمراد إمّا الخلود أو الدخول والأخير أظهر، وإن كان تحقّقه في الكافر في ضمن الخلود.

وقال ابن ميثم رحمه الله في شرح هذا الكلام منه عليه السلام: اعلم أنّ الّذي يلوح من سرّ نهي الحكمة النبويّة عن تعلّم النجوم أمران: **أحدهما**: اشتغال متعلّميها بها، واعتماد كثير من الخلق السامعين لأحكامها فيما يرجون ويخافون عليه فيما يسنده إلى الكواكب والأوقات، والاشتغال بالفزع إليه وإلى ملاحظة الكواكب عن الفزع إلى الله تعالى، والغفلة عن الرجوع

(١) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.

إليه فيما يهمّ من الأحوال، وقد علمت أنّ ذلك يضادّ مطلوب الشارع، إذ كان غرضه ليس إلّا دوام التفات الخلق إلى الله، وتذكّرهم لمعبودهم بدوام حاجتهم إليه. الثاني: أنّ الأحكام النجوميّة إخبارات عن أمور، وهي تشبه الاطّلاع على الأمور الغيبيّة، وأكثر الخلق من العوامّ أو النساء والصبيان لا يميّزون بينها وبين علم الغيب والإخبار به، فكان تعلّم تلك الأحكام والحكم بها سبباً لضلال كثير من الخلق، وموهناً لاعتقاداتهم في المعجزات، إذ الإخبار عن الكائنات منها، وكذا في عظمة بارئهم ويشكّكهم في عموم صدق قوله تعالى: ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ﴾ ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الآية، فالمنجّم إذا حكم لنفسه بأنّه يصيب كذا فقد ادّعى أنّ نفسه تعلم ما تكسب غداً وبأيّ أرض تموت، وذلك عين التكذيب للقرآن، وكأنّ هذين الوجهين هما المقتضيان لتحريم الكهانة والسحر والعزائم ونحوها، وأمّا مطابقة لسان الشريعة للعقل في تكذيب هذه الأحكام فبيانها أنّ أهل النظر إمّا متكلّمون وإمّا معتزلة أو أشعرية، أمّا المعتزلة فاعتمادهم في تكذيب المنجّم على أحد الأمرين أحدهما أنّ الشريعة كذّبته وعندهم أنّ كلّ حكم شرعيّ فيشتمل على وجه عقليّ وإن لم يعلم عين ذلك الوجه، والثاني مناقشته في ضبطه لأسباب ما أخبر عنه من كون أو فساد، وأمّا الأشعريّة فهم وإن قالوا لا مؤثّر في الوجود إلّا الله تعالى وزعم بعضهم أنّهم خلصوا بذلك من إسناد التأثيرات إلى الكواكب، إلّا أنّه لا مانع على مذهبهم أن يجعل الله تعالى اتّصال نجم بنجم أو حركته علامة على كون كائن أو فساده، وذلك ممّا لا يبطل على المنجّم قاعدة، فيرجعون أيضاً إلى بيان عدم إحاطته بأسباب كون ما أخبر عنه ومناقشته في ذلك، وأمّا الحكماء فاعلم أنّه قد ثبت في أصولهم أنّ كلّ كائن فاسد في هذا العالم فلا بدّ له من أسباب أربعة: فاعليّ، وماديّ، وصوريّ، وغائيّ، أمّا السبب الفاعليّ القريب فالحركات السماويّة والّذي هو أسبق منها فالمحرّك لها إلى أن ينتهي إلى الجود الإلهيّ المعطي لكلّ قابل ما يستحقّه، وأمّا سببه الماديّ فهو القابل لصورته، وتنتهي القوابل إلى القابل الأوّل، وهو مادّة العناصر المشتركة بينها، وأمّا الصوريّ فصورته الّتي تقبلها مادّته، وأمّا الغائيّ فهي الّتي لأجلها وجد، أمّا الحركات السماويّة فإنّ من الكائنات ما يحتاج في كونه إلى دورة واحدة للفلك، ومنها ما يحتاج إلى بعض دورة، ومنها ما يحتاج إلى جملة من أدواره واتّصالاته، وأمّا القوابل للكائنات فقد تقرّر عندهم أيضاً أنّ قبولها لكلّ كائن معيّن مشروط باستعداد معيّن له، وذلك الاستعداد يكون بحصول صورة سابقة عليه، وهكذا قبل كلّ [صورة] صورة معدّة لحصول الصورة بعدها، وكلّ صورة منها أيضاً تستند إلى الاتّصالات والحركات الفلكيّة، ولكلّ استعداد معيّن زمان معيّن وحركة معيّنة واتّصال معيّن يخصّه لا يفي بدركها القوّة البشريّة، إذا عرفت ذلك فنقول: الأحكام النجوميّة إمّا أن تكون جزئيّة أو كلّية، أمّا الجزئيّة فأن يحكم مثلاً بأنّ هذا الإنسان يكون من حاله كذا وكذا، وظاهر

أنّ مثل هذا الحكم لا سبيل له إلى معرفته إذ العلم به إنّما هو من جهة أسبابه، أمّا الفاعليّة فأن يعلم أنّ الدورة المعيّنة أو الاتّصال المعيّن سبب لملك هذا الرجل البلد المعيّن مثلاً، وأنّه لا سبب فاعليّ لذلك إلّا هو، والأوّل باطل لجواز أن يكون السبب غير ذلك الاتّصال أو هو مع غيره، أقصى ما في الباب أن يقال: إنّما كانت هذه الدورة وهذا الاتّصال سبباً لهذا الكائن لأنّها كانت سبباً لمثله في الوقت الفلانيّ، لكن هذا أيضاً باطل، لأنّ كونها سبباً للكائن السابق لا يجب أن يكون لكونها مطلقاً دورة واتّصالاً، بل لعلّه أن يكون لخصوصيّة كونها تلك المعيّنة الّتي لا تعود بعينها فيما بعد، وحينئذ لا يمكن الاستدلال بحصولها على كون حادث، لأنّ المؤثّرات المختلفة لا يجب تشابه آثارها والثاني أيضاً باطل، لأنّ العقل يجزم بأنّه لا اطّلاع له على أنّه لا مقتضي لذلك الكائن من الأسباب الفاعلة إلّا الاتّصال المعيّن، وكيف وقد ثبت أنّ من الكائنات ما يفتقر إلى أكثر من اتّصال واحد ودورة واحدة أو أقلّ، وأمّا القابليّة فأن يعلم أنّ المادّة قد استعدّت لقبول مثل هذا الكائن، واستجمعت جميع شرائط قبوله الزمانيّة والمكانيّة والسماويّة والأرضيّة، وظاهر أنّ الإحاطة بذلك غير ممكنة للإنسان.

وأمّا أحكامهم الكلّية فكأن يقال كلّما حصلت الدورة الفلانية كان كذا، فالمنجّم إنّما يحكم بذلك الحكم عن جزئيّات من الدورات تشابهت آثارها فظنّها متكرّرة، ولذلك يعدلون إذا حقّق القول عليهم إلى دعوى التجربة، وقد علمت أنّ التجربة تعود إلى تكرّر مشاهدات يضبطها الحسّ، والعقل يحصّل منها حكماً كلّياً كحكمه بأنّ كلّ نار محرقة، فإنّه لمّا أمكن للعقل استثبات الإحراق بواسطة الحسّ أمكنه الجزم الكليّ بذلك، فأمّا التشكّلات الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة المقتضية لكون ما يكون، فليس شيء منها يعود بعينه كما علمت، وإن جاز أن يكون تشكّلات وعودات متقاربة الأحوال ومتشابهة إلّا أنّه لا يمكن للإنسان ضبطها ولا الاطّلاع على مقدار ما بينها من المشابهة والتفاوت، وذلك أنّ حساب المنجّم مبنيّ على قسمة الزمان بالشهور والأيّام والساعات والدرج والدقائق وأجزائها، وتقسيم الحركة بإزائها ورفعهم بينها نسبة عدديّة، وكلّ هذه أمور غير حقيقيّة وإنّما تؤخذ على سبيل التقريب، أقصى ما في الباب أنّ التفاوت فيها لا يظهر في المدد المتقاربة، لكنّه يشبه أن يظهر في المدد المتباعدة، ومع ظهور التفاوت في الأسباب كيف يمكن دعوى التجربة وحصول العلم الكلّي الثابت الّذي لا يتغيّر باستمرار أثرها على وتيرة واحدة؟

ثمّ لو سلّمنا أنّه لا يظهر تفاوت أصلاً إلّا أنّ العلم بعود تلك الدورة لا يقتضي بمجرّده العلم بعود الأثر السابق، لتوقّف العلم بذلك على عود أمثال الأسباب الباقية للأثر السابق من الاستعداد وسائر أسبابه العلويّة والسفليّة، وعلى ضبطها فإنّ العلم التجريبيّ إنّما يحصل بعد حصرها ليعلم عودها وتكرّرها، وكلّ ذلك ممّا لا سبيل للقوّة البشريّة إلى ضبطه، فكيف يمكن دعوى التجربة؟ ثمّ قال: واعلم أنّ الّذي ذكرناه ليس إلّا بيان أنّ الأصول الّتي يبني

عليها الأحكاميّون أحكامهم وما يخبرون به في المستقبل أصول غير موثوق بها، فلا يجوز الاعتماد عليها في تلك الأحكام والجزم بها، وهذا لا ينافي كون تلك القواعد ممهّدة بالتقريب، كقسمة الزمان وحركة الفلك والسنة والشهر واليوم مأخوذاً عنها حساب يبنى عليه مصالح إمّا دينية كمعرفة أوقات العبادات كالصوم والحجّ ونحوهما أو دنيويّة كآجال المداينات وسائر المعاملات، وكمعرفة الفصول الأربعة ليعمل في كلّ منها ما يليق به من الحراثة والسفر وأسباب المعاش، وكذلك معرفة قوانين تقريبيّة من أوضاع الكواكب وحركاتها يهتدي بقصدها وعلى سمتها المسافرون في برّ أو بحر، فإنّ ذلك القدر منها غير محرّم، بل لعلّه من الأمور المستحبّة لخلوّ المصالح المذكورة فيه عن وجوه المفاسد الّتي تشتمل عليها الأحكام كما سبق، ولذلك امتنّ الله تعالى على عباده بخلق الكواكب في قوله ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا فِى ظُلُمَـٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ وقوله: ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾(١).

أقول: وروى ابن أبي الحديد هذه الرواية [بوجه آخر] أبسط ممّا أورده السيّد رحمه الله نقلاً من كتاب صفّين لابن ديزيل مرسلاً قال: عزم عليّ عليه السلام على الخروج من الكوفة إلى الحروريّة، وكان في أصحابه منجّم، فقال له: يا أمير المؤمنين لا تسر في هذه الساعة، وسر على ثلاث ساعات مضين من النهار، فإنّك إن سرت في هذه الساعة أصابك وأصحابك أذى وضرّ شديد، وإن سرت في الساعة الّتي أمرتك بها ظفرت وظهرت وأصبت ما طلبت فقال له عليّ عليه السلام: أتدري ما في بطن فرسي هذا أذكر أم أنثى؟ قال: إن حسبت علمت، فقال عليه السلام: فمن صدّقك بهذا فقد كذّب بالقرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾(٢) الآية، ثمّ قال عليه السلام: إنّ محمّداً صلى الله عليه وآله ما كان يدّعي علم ما ادّعيت علمه، أتزعم أنّك تهدي إلى الساعة الّتي يصيب النفع من سافر فيها، وتصرف عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها؟ فمن صدّقك بهذا فقد استغنى عن الاستعانة بالله جلّ وعزّ في صرف المكروه عنه، وينبغي للموقن بأمرك أن يولّيك الحمد دون الله جلّ جلاله، لأنّك بزعمك هديته إلى الساعة الّتي يصيب النفع من سار فيها، وصرفته عن الساعة الّتي يحيق السوء بمن سار فيها، فمن آمن بك في هذا لم آمن عليه أن يكون كمن اتّخذ من دون الله ضدّاً ونداً، اللّهمّ لا طير إلّا طيرك، ولا ضير إلّا ضيرك، ولا إله غيرك ثمّ قال: بل نخالف ونسير في الساعة الّتي نهيتنا، ثمّ أقبل على الناس فقال: أيّها الناس! إيّاكم والتعلّم للنجوم، إلّا ما يهتدى به في ظلمات البرّ والبحر، إنّما المنجّم كالكاهن، والكاهن كالكافر، والكافر في النار. أما والله إن بلغني أنّك تعمل بالنجوم لأخلّدنّك السجن أبداً ما بقيت، ولأحرمنّك العطاء ما كان لي سلطان ثمّ سار

(١) شرح نهج البلاغة لابن ميثم البحراني، ج ٢ ص ٢١٦-٢٢٠.
(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

في الساعة الّتي نهاه عنها المنجّم فظفر بأهل النهر، وظهر عليهم ثمّ قال: لو سرنا في الساعة الّتي أمرنا بها المنجّم لقال الناس سار في الساعة الّتي أمر بها المنجّم وظفر وظهر، أما إنّه ما كان لمحمّد صلى الله عليه وآله منجّم ولا لنا من بعده حتّى فتح الله علينا بلاد كسرى وقيصر. أيّها الناس توكّلوا على الله وثقوا به، فإنّه يكفي ممّن سواه[1].

وأقول: قال السيّد الجليل عليّ بن طاووس رحمه الله في كتاب النجوم بعدما أورد هذه الرواية نقلاً من النهج: إنّني رأيت فيما وقفت عليه في كتاب عيون الجواهر تأليف أبي جعفر محمّد ابن بابويه رحمه الله حديث المنجّم الّذي عرض لمولانا عليّ عليه السلام عند مسيره إلى النهروان مسنداً عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم، عن محمّد بن عليّ القرشيّ، عن نصر بن مزاحم المقري، عن عمر بن سعد، عن يوسف بن يزيد، عن عبد الله بن عوف بن الأحمر، قال: لمّا أراد أمير المؤمنين عليه السلام المسير إلى النهروان أتاه منجّم ثمّ ذكر حديثه، فأقول: إنّ في هذا الحديث عدّة رجال لا يعمل علماء أهل البيت عليهم السلام على روايتهم، ويمنع من يجوّز العمل بأخبار الآحاد من العمل بأخبارهم وشهادتهم، وفيهم عمر بن سعد بن أبي وقّاص مقاتل الحسين عليه السلام، فإنّ أخباره ورواياته مهجورة، ولا يلتفت عارف بحاله إلى ما يرويه أو يسند إليه، ثمّ طعن في الرواية بأنّها لو كانت صحيحة لكان عليه السلام قد حكم في هذا على صاحبه الّذي قد شهد مصنّف نهج البلاغة أنّه من أصحابه أيضاً بأحكام الكفّار، إمّا بكونه مرتدّاً عن الفطرة فيقتله في الحال، أو بردّة عن غير الفطرة فيتوبه، أو يمتنع من التوبة فيقتل، لأنّ الرواية قد تضمّنت أنّ المنجّم كالكافر، أو كان يجري عليه أحكام الكهنة أو السحرة، لأنّ الرواية تضمّنت أنّه كالكاهن والساحر، وما عرفنا إلى وقتنا هذا أنّه حكم على هذا المنجّم أحكام الكفّار ولا السحرة ولا الكهنة ولا أبعده ولا عزّره، بل قال: سيروا على اسم الله، والمنجّم من جملتهم لأنّه صاحبه، وهذا يدلّك على تباعد الرواية من صحّة النقل، أو يكون لها تأويل غير ظاهرها موافق للعقل.

ثمّ قال: وممّا نذكره من التنبيه على بطلان ظاهر الرواية بتحريم علم النجوم قول الراوي فيها «إنّ من صدقك فقد كذّب القرآن واستغنى عن الاستعانة بالله» ونعلم أنّ الطلائع للحروب يدلّون على السلامة من هجوم الجيوش وكثير من النحوس ويبشّرون بالسلامة، وما ألزم من ذلك أن يولّيهم الحمد دون ربّهم.

ثمّ إنّنا وجدنا في الدعوات الكثيرة التعوّذ من أهل الكهانة والسحرة، فلو كان المنجّم مثلهم كان قد تضمّن بعض الأدعية التعوّذ منه، وما عرفنا في الأدعية التعوّذ من النجوم والمنجّم إلى وقتنا هذا، ومن التنبيه على بطلان ظاهر هذه الرواية أنّ الدعوات تضمّن كثير

(١) شرح نهج البلاغة، ج ٢ ص ٤٤٣.

منها وغيرها من صفات النبيّ ﷺ أنّه لم يكن كاهناً ولا ساحراً، وما وجدنا إلى الآن ولا كان عالماً بالنجوم، فلو كان المنجّم كالكاهن والساحر ما كان يبعد أن يتضمّنه بعض الروايات والدعوات في ذكر الصفات (انتهى)[١].

وأقول: أمّا قدحه في سند الرواية فهي من المشهورات بين الخاصّة والعامّة ولذا أورده السيّد في النهج، إذ دأبه فيه أن يروي ما كان مقبول الطرفين، وضعف سند الرواية الّتي أورده الصدوق رحمه الله لا يدلّ على ضعف سائر الأسانيد، وعمر بن سعد الّذي يروي عنه نصر بن مزاحم ليس الملعون الّذي كان محارب الحسين عليه السلام كما يظهر من كتابه كتاب الصفّين الّذي عندنا فإنّ أكثر ما رواه فيه رواه عن هذا الرجل، وفي كثير من المواضع «عمرو» مكان «عمر» ولم يكن الملعون من جملة رواة الحديث وحملة الأخبار، حتّى يروى عنه هذه الأخبار الكثيرة، وأيضاً رواية نصر عنه بعيد جدّاً، فإنّ نصراً كان من أصحاب الباقر عليه السلام والملعون لم يبق بعد شهادة الحسين عليه السلام إلّا قليلاً، والشواهد على كونه غيره كثيرة لا تخفى على المتدرّب في الأخبار، العارف بأحوال الرجال، وهذا من السيّد رحمه الله غريب، وأمّا قوله أنّه عليه السلام لم يحكم بكفر المنجّم فيرد عليه أنّ الظاهر من التشبيه بالكافر أنّه ليس بكافر، وإنّما يدلّ على اشتراكه معه في بعض الصفات لا في جميع الأحكام حتّى يقتله في الحال أو بعد امتناعه من التوبة، على أنّه عليه السلام لم يشبّهه بالكافر بل بالمشبّه بالكافر، وأمّا قوله ولا أبعده ولا عزّره، ففيه أنّه قد ظهر ممّا رواه ابن أبي الحديد الإيعاد بالحبس المؤبّد، والتحريم من العطاء، ولم يعلم أنّه أصرّ المنجّم على العمل بالنجوم بعد ذلك حتّى يستحقّ تعزيراً أو نكالاً، وعدم اشتمال رواية السيّد على هذه الزيادة لا يدلّ على عدمها، فإنّ عادة السيّد الاقتصار على ما اختاره من كلامه عليه السلام بزعمه لا استيفاء النقل والرواية، مع أنّ عدم النقل في مثل هذا لا يدلّ على العدم، وكونه من أصحابه وبينهم لا يدلّ على كونه مرضيّاً، فإنّ جيشه عليه السلام كان مشتملاً على كثير من الخوارج والمنافقين كالأشعث أخي هذا المنجّم على ما ذكره السيّد وغيره أنّه كان عفيف بن قيس أخا الأشعث رأس المنافقين ومثير أكثر الفتن وأمّا قياسه على طلائع الحروب فالفرق بين الأمرين بيّن، فإنّ ما يهدي إليه الطلائع ونحوهم ليست أموراً يترتّب عليها صرف السوء ونيل المحبوب حتماً، بل يتوقّف على اجتماع أمور كوجود الشرائط وارتفاع الموانع، وكلّ ذلك لا يتيسّر الظفر بها إلّا بفضل مسبّب الأسباب، بخلاف ما ادّعاه المنجّم من أنّ الظفر يترتّب حتماً على الخروج في الساعة الّتي اختاره وأمّا عدم التعوّذ من النجوم والمنجّم فلأنّ المنجّم إنّما يعود ضرره إلى نفسه بخلاف الساحر والكاهن فإنّه يترتّب منهما ضرر كثير على الناس، مع أنّ الدعاء الّذي رواه السيّد في كتاب الاستخارات وأوردناه في هذا الباب يتضمّن البراءة إلى الله من اللجأ إلى العمل بالنجوم

(١) فرج المهموم، ص ٥٧.

وطلب الاختيارات منها وأمّا عدم وصف النبيّ ﷺ بأنّه لم يكن منجّماً لأنّ الكفّار إنّما كانوا يصفونه ﷺ بالسحر والكهانة والشعر، فورد براءته عنها ردّاً عليهم ولم يكونوا يصفونه بالنجوم، مع أنّه كان عالماً بالحقّ من علم النجوم وكان من فضائله.

٥٣ - **المكارم:** في الحديث أنّه نهى عن الحجامة في الأربعاء إذا كانت الشمس في العقرب[١].

٥٤ - **الذهبية:** عن الرضا عليه السلام: اعلم أنّ جماعهن والقمر في برج الحمل أو الدلو من البروج أفضل، وخير من ذلك أن يكون في برج الثور لكونه شرف القمر.

بيان: لعلّه قال ذلك موافقاً لرأي المأمون، ولما اشتهر في ذلك الزمان كما أشعر عليه السلام به في تلك الرسالة.

٥٥ - **المهج:** في حرز الجواد عليه السلام: وينبغي أن لا يكون طلوع القمر في برج العقرب[٢].

٥٦ - **التهذيب:** عن محمّد بن عليّ بن محبوب، عن أحمد بن الحسن بن عليّ، عن عليّ ابن يعقوب الهاشميّ، عن مروان بن مسلم، عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كسوف الشمس أشدّ على الناس والبهائم[٣].

بيان: هذا ممّا يوهم أنّ لأحوالها وأوضاعها تأثيراً في بعض الأشياء، ويمكن أن يكون المعنى أنّه علامة غضب الله عليهم، أو أنّهم يفزعون لذلك لحدوث الظلمة في غير وقتها.

٥٧ - **نوادر علي بن أسباط:** عن إبراهيم بن محمّد بن حمران، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من سافر أو تزوّج والقمر في العقرب لم ير الحسنى[٤].

الكافي: عن عدّة من أصحابه عن أحمد بن محمّد عن عليّ بن أسباط عن إبراهيم بن حمران عن أبيه مثله. «الروضة ح ٤١٦».

بيان: الظاهر أنّ المراد بكون القمر في العقرب هنا كونه محاذياً لكواكبه كما هو أدب العرب في البوادي وغيرها، إذ لم يكن عندهم ضوابط البروج والانتقالات إليها والاستخراجات الشائعة في تلك الأزمان. ولم يكن دأبهم عليهم السلام إحالة الناس في الأحكام الّتي تحتاج إليها عامّة الخلق على ما لا يعرفه إلّا الآحاد من العلماء لا سيّما إذا لم يكن شائعاً في تلك الأزمنة عند العلماء أيضاً، والكواكب الثابتة والأشكال الّتي سمّيت البروج بها قد انتقلت في زماننا عن البروج الّتي عيّنوها بمقدار برج تقريباً، فالعقرب في مكان القوس، فظهر أنّ ما وقع في الشريعة أيضاً لا يوافق قواعدهم المقرّرة عندهم.

---

(١) مكارم الأخلاق، ص ٦٩.
(٢) مهج الدعوات، ص ٥٥.
(٣) تهذيب الأحكام، ص ٥٢٨ ج ٣ باب ٩ ح ٥.
(٤) الأصول الستة عشر، ص ١٢٤.

٥٨ - **الخصال:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن الحسين السعدآباديّ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه وغيره، عن محمّد بن سليمان الصنعانيّ، عن إبراهيم بن الفضل، عن أبان بن تغلب، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه رجل من أهل اليمن فسلّم عليه، فردّ عليه السلام فقال له: مرحباً بك يا سعد! فقال له الرجل: بهذا الإسم سمّتني أمّي وما أقلّ من يعرفني به فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت يا سعد المولى! فقال الرجل: جعلت فداك، بهذا كنت ألقّب. فقال له أبو عبد الله عليه السلام لا خير في اللقب، إنّ الله تبارك وتعالى يقول في كتابه: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ﴾[1] ما صنعتك يا سعد؟ فقال: جعلت فداك، أنا من أهل بيت ننظر في النجوم، لا نقول إنّ باليمن [أحداً] أعلم بالنجوم منّا. فقال أبو عبد الله عليه السلام: فأسألك؟ فقال اليمانيّ: سل عمّا أحببت من النجوم، فإنّي أجيبك عن ذلك بعلم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: كم ضوء الشمس على ضوء القمر درجةً؟ فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فكم ضوء القمر على ضوء الزهرة درجةً؟ فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال أبو عبد الله عليه السلام: صدقت، فكم ضوء المشتري على ضوء عطارد درجةً؟ فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت: فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت البقر؟ فقال اليمانيّ: لا أدري، فقال له أبو عبد الله عليه السلام: صدقت في قولك لا أدري، فما زحل عندكم في النجوم؟ فقال اليمانيّ؟ نجم نحس، فقال أبو عبد الله عليه السلام: مه! لا تقولنّ هذا، فإنّه نجم أمير المؤمنين عليه السلام وهو نجم الأوصياء، وهو النجم الثاقب الّذي قال الله عزّ وجلّ في كتابه. قال اليماني: فما يعني بالثاقب؟ قال: إنّ مطلعه في السماء السابعة، وإنّه ثقب بضوئه حتّى أضاء في السماء الدنيا فمن ثمّ سماه الله عزّ وجلّ النجم الثاقب. يا أخا أهل اليمن عندكم علماء؟ فقال اليمانيّ: نعم جعلت فداك، إنّ باليمن قوماً ليسوا كأحد من الناس في علمهم. فقال أبو عبد الله عليه السلام: وما يبلغ من علم عالمهم؟ فقال له اليمانيّ: إنّ عالمهم ليزجر الطير ويقفو الأثر في الساعة الواحدة مسيرة شهر للراكب المجدّ! فقال أبو عبد الله عليه السلام إنّ علم عالم المدينة ينتهي إلى حيث لا يقفو الأثر ويزجر الطير ويعلم ما في اللحظة الواحدة مسيرة الشمس تقطع اثني عشر برجاً، واثني عشر برّاً، واثني عشر بحراً، واثني عشر عالماً! قال: فقال له اليمانيّ: جعلت فداك، ما ظننت أنّ أحداً يعلم هذا أو يدري ما كنهه! ثمّ قام اليمانيّ فخرج[2].

النجوم: قال السيّد رحمه الله وجدت في كتاب عتيق تأليف عليّ بن عبد العزيز النيسابوريّ، عن عليّ بن أحمد، عن إبراهيم بن الفضل، عن أبان بن تغلب. وذكر نحوه إلّا أنّ فيه «سعيد» مكان «سعد» في المواضع، «والمزني» مكان «المولى» وفيه «فما اسم النجوم الّتي إذا طلعت هاجت الإبل؟ قال: لا أدري، قال: فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت الكلاب، قال: لا

(١) سورة الحجرات، الآية: ١١.
(٢) الخصال، ص ٤٨٩ باب الإثني عشر، ح ٦٨.

أدري، قال: فما اسم النجم الّذي إذا طلع هاجت البقر إلى آخر الخبر، ثمّ قال السيّد رحمه الله وروَيت هذا الحديث بأسانيد إلى أبان من كتاب عبد الله بن القاسم الحضرمي[1].

٥٩ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن عثمان بن عيسى، عن ابي إسحاق الجرجانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدّة من ليال وأيّام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله عزّ وجلّ صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته، فطالت أيّامهم ولياليهم وسنينهم وشهورهم، وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر الله تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بإدارته، فقصرت لياليهم وأيّامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى له عزّ وجلّ بعدد الليالي والشهور[2].

بيان: قد مرّ الكلام في مثله.

٦٠ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن سلمة بن الخطّاب، وعدّة من أصحابنا عن سهل ابن زياد، جميعاً عن عليّ بن حسّان، عن عليّ بن عطيّة الزيّات، عن معلّى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النجوم أحقّ هي؟ فقال: نعم إنّ الله عزّ وجلّ بعث المشتري إلى الأرض في صورة رجل، فأخذ رجلاً من العجم فعلّمه النجوم حتّى ظن أنّه قد بلغ، ثمّ قال له: انظر أين المشتري، فقال: ما أراه في الفلك وما أدري أين هو، قال: فنحّاه وأخذ بيد رجل من الهند فعلّمه حتّى ظنّ أنّه قد بلغ، وقال: انظر إلى المشتري أين هو، فقال: إنّ حسابي ليدلّ على أنّك أنت المشتري، وقال: فشهق شهقةً فمات: وورث علمه أهله فالعلم هناك[3].

بيان: «في صورة رجل» لعلّ المراد على تقدير صحّة الخبر أنّ الله تعالى جعله في هذا الوقت ذا روح وحياة وعلم وبعثه إلى الأرض، لئلّا ينافي ما سيأتي من إجماع المسلمين على عدم حياة الأجسام الفلكيّة وشعورها، وأمّا أنّه كيف صار صغيراً بحيث وسعه الأرض وحضر عند الرجل فيمكن أن يكون على التكاثف، أو على إعدام بعض الأجزاء سوى الأجزاء الأصليّة الّتي بها تشخّص الكوكب، ثمّ إيجاد تلك الأجزاء وإعادتها، كما أنّ الشخص تتبدّل أجزاؤه من أوّل العمر إلى آخره وتشخّصه محفوظ بالأجزاء الأصليّة. «وورث علمه أهله» أي كتبه وما علّمهم قبل موته، والخبر يدلّ على أنّ لهذا العلم أصلاً ولا يدلّ على جواز النظر فيه وتعليمه وتعلّمه واستخراج الأحكام منه لسائر الخلق، ولعلّه يكون فتنةً كقصّة هاروت وماروت.

٦١ - **الفقيه:** بسنده الحسن عن عبد الملك بن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّي قد ابتليت بهذا العلم، فأريد الحاجة، فإذا نظرت إلى الطالع ورأيت الطالع الشرّ جلست ولم

(١) فرج المهموم، ص ٩٢. (٢) روضة الكافي، ح ٤٠٠.
(٣) روضة الكافي، ح ٥٠٧.

أذهب فيها، وإذا رأيت الطالع الخير ذهبت في الحاجة، فقال لي: تقضي؟ قلت: نعم، قال: أحرق كتبك[١].

دعوات الراوندي: عن عبد الملك مثله[٢].

بيان: قوله «تقضي» على بناء المعلوم، أي تحكم بالحوادث وتخبر بالأمور الآتية أو الغائبة، أو تحكم بأنّ للنجوم تأثيراً، أو أنّ لذلك الطالع أثراً، أو على بناء المجهول أي إذا ذهبت في الطالع الخير تقضى حاجتك وتعتقد ذلك، والأوّل عندي أظهر. وهذا خبر معتبر يدلّ - على أظهر الوجوه - على أنّ الإخبار بأحكام النجوم والاعتناء بسعادة النجوم والطوالع محرّم يجب الاحتراز عنه.

٦٢- **الفقيه:** روي عن ابن أبي عمير أنه قال: كنت أنظر في النجوم وأعرفها وأعرف الطالع فيدخلني من ذلك شيء، فشكوت ذلك إلى أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام فقال: إذا وقع في نفسك شيء فتصدّق على أوّل مسكين ثمّ امض، فإنّ الله عزّ وجلّ يدفع عنك[٣].

النجوم: نقلاً من الفقيه عن ابن أبي عمير مثله، ثمّ قال السيّد رحمه الله وروينا هذا الحديث أيضاً من كتاب التجمّل عن محمّد بن أذينة عن ابن أبي عمير وذكر نحوه، ثمّ قال: لو لم يكن في الشيعة عارف بالنجوم إلّا محمّد بن أبي عمير لكان حجّة في صحّتها وإباحتها، لأنّه من خواصّ الأئمّة والحجج، في مذاهبها وروايتها[٤].

بيان: أقول: روى هذا الخبر البرقيّ في المحاسن، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن سفيان بن عمر كما مرّ[٥]، فظهر أنّ العارف بالنجوم لم يكن ابن أبي عمير بل رجلاً مجهول الحال، ووقع سقط من نسخ الفقيه، ولو سلّم فجوابه عليه السلام يدلّ على أنّه لمّا كان ابتلي بهذا العلم وكان في نفسه من ذلك شيء علّمه عليه السلام ما يدفع ذلك من الصدقة كما يدفع به الطيرة الّتي لا أصل لها، ولم يكن ابن أبي عمير رحمه الله معصوماً حتّى يكون فعله حجّة.

٦٣ - **دلائل الإمامة:** للطبري وكتاب النجوم عن عبد الله بن محمّد البلويّ، عن عمّار بن زيد المدني، عن إبراهيم بن سعيد ومحمّد بن مسعر، عن محمّد بن إسحاق صاحب المغازي، عن عطاء بن يسار، عن عبد الله بن عبّاس، قال: مرّت بالحسن بن علي عليه السلام بقرة فقال: هذه حبلى بعجلة أُنثى لها غرّة في جبهتها ورأس ذنبها أبيض فانطلقنا مع القصاب حتّى ذبحها فوجدنا العجلة كما وصف على صورتها. فقلنا له: أوليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ﴾ فكيف علمت؟ قال: إنّا نعلم المخزون المكتوم الّذي لم يطّلع عليه ملك مقرّب

---

(١) من لا يحضره الفقيه، ص ٣٠٨ ج ٢ ح ٢٤٠٣.
(٢) الدعوات ص ١٢٢ ح ٢٧٣.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ص ٣٠٩ ج ٢ ص ٢٤٠٧.
(٤) فرج المهموم، ص ١٢٣-١٢٤.
(٥) المحاسن ج ٢ ص ٨٦ ح ١٢٢٨.

ولا نبيّ مرسل غير محمّد وذريّته عليهم السلام[١].

بيان: يدلّ على أنّه ليس للمنجّمين وأمثالهم علم بأمثال ذلك.

٦٤ - **الكافي:** بسند فيه إرسال عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بيني وبين رجل قسمة أرض، وكان الرجل صاحب نجوم، وكان يتوخّى ساعة السعود فيخرج فيها، وأخرج أنا في ساعة النحوس، فاقتسمنا فخرج لي خير القسمين، فضرب الرجل يده اليمنى على اليسرى ثمّ قال: ما رأيت كاليوم قطُّ! قلت: ويل الآخر، ما ذاك؟ قال: إنّي صاحب النجوم، أخرجتك في ساعة النحوس وخرجت أنا في ساعة السعود، ثمّ قسمنا فخرج لك خير القسمين. فقلت: ألا أحدّثك بحديث حدّثني به أبي عليه السلام؟ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من سرّه أن يدفع الله عنه نحس يومه فليفتتح يومه بصدقة يذهب الله بها عنه نحس يومه، ومن أحبَّ أن يذهب الله عنه نحس ليلته فليفتتح ليلته بصدقة يدفع الله عنه نحس ليلته. وإنّي افتتحت خروجي بصدقة فهذا خير لك من النجوم[٢].

بيان: يدلّ على أنّه لو كانت لها نحوسة فهي تندفع بالصدقة، وأنّه لا ينبغي مراعاتها بل ينبغي التوسّل في دفع أمثال ذلك بما ورد عن المعصومين عليهم السلام من الدعاء والتصدّق والتوكّل وأمثاله.

٦٥ - **معاني الأخبار:** عن القطّان، عن ابن زكريّا، عن ابن حبيب، عن ابن بهلول، عن أبيه، عن عبد الله بن الفضل، عن أبيه، عن أبي خالد الكابليّ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام قال: الذنوب الّتي تظلم الهواء السحر والكهانة والإيمان بالنجوم والتكذيب بالقدر (الخبر)[٣].

بيان: ظلمة الهواء كناية عن التحيّر في الأمور، أو شدّة البليّة وظهور آثار غضب الله في الجوّ.

٦٦ - **النجوم:** روى الشيخ الفاضل أحمد بن محمّد بن إبراهيم الثعلبيّ في كتاب العرائس: إنّما سمّي إدريس لكثرة درسه للكتب وصحف آدم وشيث، وكان أوّل من خطَّ بالقلم، وأوّل من خاط الثياب، ولبس المخيط، وأوّل من نظر في علم النجوم والحساب.

قال السيّد رحمه الله وذكر عليّ بن المرتضى في كتاب «ديوان النسب» فيما حكاه عن التوراة أنّ إدريس عليه السلام أوّل من خطّ بالقلم وأوّل من حسب حساب النجوم. قال: ورأيت في رسالة أبي إسحاق الطرسوسيّ إلى عبد الله بن مالك في باب معرفة أصل العلم ما هذا لفظه: إنّ الله تبارك وتعالى أهبط آدم من الجنّة، وعرّفه علم كلّ شيء، فكان ممّا عرّفه النجوم والطبّ[٤].

---

(١) دلائل الإمامة، ص ١٦٨.
(٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٠١ باب ٢ ح ٩.
(٣) معاني الأخبار، ص ٢٧١.
(٤) أقول: ويشهد عليه قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ وفي بعض الأخبار انه تعالى علّمه أسماء كل شيء وظاهر أن تعليمه ذلك يكون مع تعليم آثارها وفوائدها. [النمازي].

قال: ووجدت في كتاب «المنتخب» من طريق أصحابنا في دعاء كلّ يوم من رجب «ومعلّم إدريس عدد النجوم والحساب والسنين والشهور والأزمان» وذكر عبد الله بن محمّد بن طاهر في كتاب «لطائف المعارف»: أوّل من أظهر علم النجوم ودلّ على تركيب وقدر مسير الكواكب وكشف عن وجوه تأثيرها هرمس(١).

٦٧ - **الدرّ المنثور:** عن قتادة، قال: إنّ الله إنّما جعل هذه النجوم لثلاث خصال: جعلها زينة للسماء، وجعلها يهتدى بها، وجعلها رجوماً للشياطين، فمن تعاطى فيها غير ذلك فقد قال رأيه وأخطأ حظّه وأضاع نصيبه وتكلّف ما لا علم له به، وإنّ ناساً جهلةً بأمر الله قد أحدثوا في هذه النجوم كهانة: من أعرس بنجم كذا وكذا [كان كذا وكذا]، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا، ولعمري ما من نجم إلّا يولد به الأحمر والأسود، والطويل والقصير، والحسن والدميم، ولو أنّ أحداً علم الغيب لعلمه آدم الّذي خلقه الله بيده وأسجد له ملائكته وعلّمه أسماء كلّ شيء(٢).

٦٨ - وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: تعلّموا من النجوم ما تهتدون به في ظلمات البرّ والبحر، ثمّ انتهوا(٣).

٦٩ - وعن مجاهد، قال: لا بأس أن يتعلّم الرجل من النجوم ما يهتدي به في البرّ والبحر، ويتعلّم منازل القمر(٤).

٧٠ - وعن حميد الشاميّ، قال: النجوم هي علم آدم عليه السلام (٥).

٧١ - وعن الحسن بن صالح قال: سمعت عن ابن عبّاس أنّه قال: ذلك علم ضيّعه الناس النجوم(٦).

٧٢ - وعن عكرمة أنّه سأل رجلاً عن حساب النجوم، وجعل الرجل يتحرّج أن يخبره، فقال عكرمة سمعت ابن عبّاس يقول علم عجز الناس عنه، وددت أنّي علمته. قال الخطيب مراده الضرب المباح الّذي كانت العرب تختصّ به.

٧٣ - وعن عبد الله بن حفص قال: خصّت العرب بخصال: بالكهانة، والقيافة، والعيافة، والنجوم، والحساب، فهدم الإسلام الكهانة وثبت الباقي بعد ذلك(٧).

٧٤ - وعن القرظيّ قال: والله ما لأحد من أهل الأرض في السماء من نجم ولكن يتبعون الكهنة ويتّخذون النجوم علّة(٨).

٧٥ - وعن سمرة بن جندب، أنّه خطب فذكر حديثاً عن رسول الله ﷺ أنّه قال: أمّا بعد فإنّ ناساً يزعمون أنّ كسوف الشمس وكسوف هذا القمر وزوال هذه النجوم عن مواضعها لموت رجال عظماء من أهل الأرض، وإنّهم قد كذبوا ولكنّها آيات من آيات الله يعتبر بها عباده، لينظر من يحدث له منهم توبة(٩).

---

(١) فرج المهموم، ص ٢١-٢٢. (٢) - (٩) الدر المنثور، ص ج ٣ ص ٣٤-٣٥.

٧٦ - وعن عليّ عليه السلام قال: نهاني رسول الله صلى الله عليه وآله عن النظر في النجوم، وأمرني بإسباغ الطهور[١].

٧٧ - وعن أبي هريرة قال: نهى رسول الله صلى الله عليه وآله عن النظر في النجوم[٢].

٧٨ - وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا، وإذا ذكرت النجوم فأمسكوا[٣].

٧٩ - وعن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أخاف على أمّتي خصلتين: تكذيباً بالقدر، وتصديقاً بالنجوم. وفي لفظ: وحذقاً بالنجوم[٤].

٨٠ - وعن ابن عبّاس قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: من اقتبس علماً من النجوم اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد[٥].

٨١ - وعن ابن عبّاس قال: إنّ قوماً ينظرون في النجوم، ويحسبون أباجاد، وما أرى للّذين يفعلون ذلك من خلاق[٦].

٨٢ - وعن ميمون بن مهران قال: قلت لابن عبّاس: أوصني، قال: أوصيك بتقوى الله، وإيّاك وعلم النجوم، فإنّه يدعو إلى الكهانة[٧].

٨٣ - وعن الحسن بن عليّ عليه السلام قال: لمّا فتح الله على نبيّه صلى الله عليه وآله خيبر دعا بقوسه فاتّكأ على سيتها، وحمد الله وذكر ما فتح الله عليه ونصره، ونهى عن خصال: عن مهر البغيّ، وعن خاتم الذهب، وعن المياثر الحمر، وعن لبس الثياب القسيّ، وعن ثمن الكلب، وعن أكل لحوم الحمر الأهلية، وعن الصرف الذهب بالذهب والفضّة بالفضة وبينهما فضل، وعن النظر في النجوم[٨].

٨٤ - وعن مكحول قال: قال ابن عبّاس: لا تعلّم النجوم، فإنّها تدعو إلى الكهانة[٩]

٨٥ - وعن العبّاس بن عبد المطّلب قال: قال رسول الله: لقد طهّر الله هذه الجزيرة من الشرك ما لم تضلّهم النجوم[١٠].

٨٦ - وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ متعلّم حروف أبي جاد ليرى في النجوم ليس له عند الله خلاق يوم القيامة[١١].

بيان: قال الفيروزآباديّ «فال رأيه» أخطأ وضعف. وقال: عفت الطير أعيفها عيافة زجرتها، وهو أن يعتبر بأسمائها ومساقطها وأنوائها فيتسعّد أو يتشأم والعائف المتكهّن بالطير أو غيرها. وفي النهاية: الميثرة من مراكب العجم تعمل من حرير أو ديباج، وتتّخذ كالفراش الصغير، وتحشى بقطن أو صوف يجعلها الراكب تحته على الرحال فوق الجمال، ويدخل فيه مياثر السروج وقال: فيه أنّه نهى عن لبس القسيّ، هي ثياب من كتّان مخلوط

---

(١) - (١١) الدر المنثور، ص ج ٣ ص ٣٤-٣٦.

بحرير يؤتى بها من مصر نسبت إلى قرية على ساحل البحر قريباً من تنّيس يقال لها «القسّ» بفتح القاف وبعض أهل الحديث يكسرها، وقيل: أصل القسّيّ «القزّي» بالزاي منسوب إلى القزّ وهو ضرب من الإبريسم، فأبدل من الزاي سيناً، وقيل: منسوب إلى القسّ، وهو الصقيع لبياضه. والصقيع: الساقط من السماء بالليل كأنّه ثلج.

تذييل جليل وتفصيل جميل: - نذكر فيه أقوال بعض أجلّاء أصحابنا - رضوان الله عليهم - في حكم النظر في علم النجوم، والاعتقاد به، والإخبار عن الحوادث بسببه، ورعاية الساعات المسعودة والمنحوسة بزعمهم، والقول بتأثيرها، ثمّ نذكر ما ظهر لنا من الأخبار السابقة في جميع ذلك.

قال الشيخ السعيد المفيد رحمه الله في كتاب المقالات على ما نقل عنه السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب «فرج المهموم بمعرفة علم النجوم» وإن لم نجد فيما عندنا من نسخة حيث قال: أقول إنّ الشمس والقمر وسائر النجوم أجسام ناريّة لا حياة لها ولا موت ولا تميّز، خلقها الله تعالى لينتفع بها عباده، وجعلها زينة لسماواته، وآيات من آياته، كما قال سبحانه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾[3] وقال تعالى: ﴿وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾[4] فأمّا الأحكام على الكائنات بدلائلها أو الكلام على مدلول حركاتها فإنّ العقل لا يمنع منه، ولسنا ندفع أن يكون الله تعالى أعلمه بعض أنبيائه، وجعله عَلماً له على صدقه غير أنّا لا نقع عليه ولا نعتقد استمراره في الناس إلى هذه الغاية، وأمّا ما نجده من أحكام المنجّمين في هذا الوقت وإصابة بعضهم فيه فإنّه لا ينكر أن يكون ذلك بضرب من التجربة وبدليل عادة، وقد تختلف أحياناً ويخطئ المعتمد عليه كثيراً ولا يصحّ إصابته فيه أبداً، لأنّه ليس بجار مجرى دلائل العقول، ولا براهين الكتاب وأخبار الرسول صلى الله عليه وآله، وهذا مذهب جمهور متكلّمي أهل العدل، وإليه ذهب بنو نوبخت من الإماميّة، وأبو القاسم وأبو علي من المعتزلة (انتهى)[5].

وقال الشيخ محمّد بن الحسين الكيدريّ في شرح نهج البلاغة في تهجين أحكام النجوم: كيف يمكن أن يكون الإنسان يعرف الحوادث وأسبابها في الحال حتّى يعرف المسبّبات في المستقبل كما في الجزر والمدّ، ومن ادّعى أنّه يعرف أسباب الكائنات فمقدّماته ليست برهانيّة وإنّما هي تجربيّة أو شعريّة أو خطابيّة مؤلّفة من المشهورات في الظاهر أو المقبولات

---

(١) سورة يونس، الآية: ٥.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٩٧.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٦.
(٤) سورة فصلت، الآية: ١٢.
(٥) فرج المهموم، ص ٣٨.

والمظنونات، ومع ذلك فلا يمكنه أن يتعرّض إلّا لجنس من أجناس الأسباب، وهو تعرّض بعض الأسباب العلويّة، ولا يمكنه أن يتعرّض لجميع الأسباب السماويّة والقوابل، وإذا تغيّرت القوابل عن أحوالها تغيّر أثر الفاعل فيها، فإنّ النار في الحطب اليابس مؤثّرة تأثيراً لا تؤثّر في الرماد، وكذا معرفة بقائها على استعداد القبول شرط، ويمكن أن يكون للقوابل عوائق فلا يعلم تلك الأسباب والمسبّبات إلّا الله تعالى وأيضاً فإنّ المنجّم يحكم على مفردات الكواكب ولا يحكم على جميعها ممتزجة، وكما أنّ أحكام مفردات الترياق وسائر المعاجين غير أحكام المركّب الّذي حصلت له صورة نوعيّة كذلك حكم الكواكب المركوزة في الأفلاك غير حكم أفرادها، وإذا لم يمكن للمنجّم الحكم إلّا على المفردات كان الحكم ناقصاً غير موثوق به. ثمّ إنّه ربما يحصل التوأمان في غشاء فيكشف عنهما فإذا فيه صبيّان حيّان، وعلى قوانين الأحكاميّين يجب أن يكونا مثلين في الصورة والعمر والحركات، حتّى لا يجوز أن يختلفا في شيء من الأشياء، ولا يجوز أن يسكت أحدهما في وقت كلام الآخر، ولا يقوم في وقت قعود الآخر، ولا ينام في وقت لا ينام فيه الآخر، وإذا دخلا بيتاً فيه باب ضيّق فلا يمكنهما الدخول فإنّه لا بدّ ههنا من التقدّم والتأخّر، ولا يجوز أن يمسّ إنسان أحدهما دون الآخر، ولا يجوز أن يكون في التزويج امرأة أحدهما غير امرأة الآخر ولا أن يكون مكان أحدهما غير مكان الآخر في الأرض، وهذا ممّا لا يخفى فساده، وأيضاً فإنّ الحكم الكلّي عند أكثرهم يغلب الجزئيّ، ألا ترى أنّ طالع ناحية أو بلد إذا كان فاسداً فإنّه لا يفيد عطيّة الكدخدا لإنسان، فكيف يعتمد على الطوالع والاختيارات مع نفي العلم بالكلّيّات؟! ومن شنيع قولهم أنّهم يقولون إذا ولد للملك في حال ولد لسوقيّ ولد، فإنّ الكواكب تدلّ لابن الملك بخلاف ما تدلّ لابن السوقيّ مع اتفاقهما في كميّة العمر، لأنّ هيلاجهما وكذخداهما لا يختلفان، فإذا جاز أن تكون دلالة النجوم مختلفة في سعادة هذين الولدين فما أنكروا أن يكون مقادير أعمارهما أيضاً مختلفة؟ واختلفوا في تقويم الكواكب باختلاف الزيجات، ولا برهان على فساد بعضها وصواب بعضها، فربما يوجد في تقويم الشمس من التفاوت خمس درج، وتختلف درج الطوالع وبروج التحاويل بسبب ذلك فتفسد الأحكام.

ثمّ أورد عليهم كثيراً من الاختلافات والتناقضات لا نطيل الكلام بإيرادها.

وقال الشيخ إبراهيم بن نوبخت في كتاب «الياقوت»: قول المنجّمين يبطله قدم الصانع واشتراط اختياره، ويلزم عليهم أن لا يستقرّ الفعل على حال من الأحوال، وقول أهل الطبائع يبطل بمثل ذلك.

وقال العلامة رحمه الله في شرحه: اختلف قول المنجّمين على قسمين: أحدهما قول من قال إنّ الكواكب السبعة حيّة مختارة، والثاني قول من قال إنّها موجبة والقولان باطلان، أمّا الأوّل فلأنها أجسام محدثة فلا تكون آلهة، ولأنّها محتاجة إلى محدث غير جسم فلا بدّ من

القول بالصانع. وأمّا الثاني فلأنّ الكوكب المعيّن كالمرّيخ مثلاً إذا كان مقتضياً للحرب لزم دوام وقوع الهرج والمرج في العالم، وأن لا يستقرّ أفعالهم على حال من الأحوال، ولمّا كان ذلك باطلاً كان ما ذكروه باطلاً. وأمّا القائلون بالطبائع الّذين يسندون الأفعال إلى مجرّد الطبيعة فيبطل قولهم بمثل ذلك أيضاً، فإنّ الطبيعة قوّة جسمانيّة وكلّ جسم محدث فكلّ قوّة حالّة فهي محدثة تفتقر إلى محدث غير طبيعته، وإلّا لزم التسلسل، فلا بدّ من القول بالصانع سبحانه وتعالى.

وقال السيّد الشريف المرتضى ﷺ في كتاب «الغرر والدرر» في أجوبة المسائل السلّاريّة، حين سئل ﷺ ما القول فيما يخبر به المنجّمون من وقوع حوادث ويضيفون ذلك إلى تأثيرات النجوم؟ وما المانع من أن تؤثّر الكواكب على حدّ تأثير الشمس الأدمة فينا؟ وإن كان تأثير الكواكب مستحيلاً فما المانع من أن تكون التأثيرات من فعل الله تعالى بمجرى العادة عند طلوع هذه الكواكب أو انتقالها؟ فلينعم ببيان ذلك، فإنّ الأنفس إليه متشوّقة، وكيف تقول إنّ المنجّمين حادسون مع أنّه لا يفسد من أقوالهم إلّا القليل؟ حتّى أنّهم يخبرون بالكسوف ووقته ومقداره فلا تكون إلّا على ما أخبروا به، فأيّ فرق بين إخبارهم بحصول هذا التأثير في هذا الجسم وبين حصول تأثيرها في أجسامنا؟

الجواب: اعلم أنّ المنجّمين يذهبون إلى أنّ الكواكب تفعل في الأرض ومن عليها أفعالاً يسندونها إلى طباعها، وما فيهم من أحد يذهب إلى أنّ الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل عند قرب بعضها من بعض أو بعده أفعالاً من غير أن يكون للكواكب أنفسها تأثير في ذلك، ومن ادّعى هذا المذهب الآن منهم فهو قائل بخلاف ما ذهبت القدماء في ذلك، ومتجمّل بهذا المذهب عند أهل الإسلام ومتقرّب إليهم بإظهاره، وليس هذا بقول لأحد ممّن تقدّم، وكان الّذي كان يجوز أن يكون صحيحاً - وإن دلّ الدليل على فساده - لا يذهبون إليه، وإنّما يذهبون إلى المحال الّذي لا يمكن صحّته. وقد فرغ المتكلّمون من الكلام في أنّ الكواكب لا يجوز أن تكون فينا فاعلة، وتكلّمنا نحن أيضاً في مواضع على ذلك، وبيّنّا بطلان الطبائع الّذين يهذون بذكرها وإضافة الأفعال إليها، وبيّنّا أنّ الفاعل لا بدّ أن يكون حيّاً قادراً، وقد علمنا أنّ الكواكب ليست بهذه الصفة، وكيف تفعل وما يصحّح الأفعال مفقود فيها؟ وقد سطر المتكلّمون طرقاً كثيرة في أنّها ليست بحيّة ولا قادرة أكثرها معترض، وأشفّ ما قيل في ذلك أنّ الحياة معلوم أنّ الحرارة الشديدة كحرارة النار تنفيها ولا تثبت معها، ومعلوم أنّ حرارة الشمس أشدّ وأقوى من حرارة النار بكثير، لأنّ الّذي يصل إلينا على بعد المسافة من حرارة الشمس بشعاعها يماثل أو يزيد على حرارة النار، وما كان بهذه الصفة من الحرارة يستحيل كونه حيّاً، وأقوى من ذلك كلّه في نفي كون الفلك وما فيه من شمس وقمر وكوكب أحياء، السمع والإجماع وأنّه لا خلاف بين المسلمين في ارتفاع الحياة عن الفلك وما يشتمل

عليه من الكواكب، وأنّها مسخّرة مدبّرة مصرّفة وذلك معلوم من دين رسول الله ﷺ ضرورة، وإذا قطعنا على نفي الحياة والقدرة عن الكواكب فكيف تكون فاعلة. وعلى أنّنا قد سلّمنا لهم استظهاراً في الحجّة أنّها قادرة، قلنا: إنّ الجسم وإن كان قادراً فإنّه لا يجوز أن يفعل في غيره إلّا على سبيل التوليد، ولا بدّ من وصلة بين الفاعل والمفعول فيه، والكواكب غير مماسّة لنا ولا وصلة بينها وبيننا، فكيف تكون فاعلة فينا؟ فإن ادّعى أنّ الوصلة بيننا هي الهواء، فالهواء أوّلاً لا يجوز أن يكون آلة في الحركات الشديدة وحمل الأثقال ثمّ لو كان الهواء آلة تحرّكنا بها الكواكب لوجب أن نحسّ بذلك ونعلم أنّ الهواء يحرّكنا ويصرّفنا كما نعلم في غيرنا من الأجسام إذا حرّكناه بآلة، على أنّ في الحوادث الحادثة فينا ما لا يجوز أن يفعل بآلة ولا يتولّد عن سبب كالإرادات والاعتقادات وأشياء كثيرة، فكيف فعلت الكواكب ذلك فينا وهي لا تصحّ أن تكون مخترعة للأفعال، لأنّ الجسم لا يجوز أن يكون قادراً إلّا بقدرة، والقدرة لا يجوز لأمر يرجع إلى نوعها أن تخترع بها الأفعال، فأمّا الأدمة فليس تؤثّرها الشمس على الحقيقة في وجوهنا وأبداننا، وإنّما الله تعالى هو المؤثّر لها وفاعلها بتوسّط حرارة الشمس، كما أنّه تعالى هو المحرق على الحقيقة بحرارة النار والهاشم لما يهشمه الحجر بثقله وحرارة الشمس مسوّدة للأجسام من جهة معقولة مفهومة، كما أنّ النار تحرق الأجسام على وجه معقول، فأيّ تأثير للكواكب فينا يجري هذا المجرى في تمييزه والعلم بصحّته فليشر إليه، فإنّ ذلك ممّا لا قدرة عليه.

وممّا يمكن أن يعتمد في إبطال أن تكون الكواكب فاعلة فينا ومصرّفة لنا أنّ ذلك يقتضي سقوط الأمر والنهي والذمّ عنّا ونكون معذورين في كلّ إساءة تقع منّا ونجنيها بأيدينا، وغير مشكورين على شيء من الإحسان والإفضال، وكلّ شيء نفسد به قول المجبّرة فهو مفسد لهذا المذهب. وأمّا الوجه الآخر وهو أن يكون الله تعالى أجرى العادة بأن يفعل أفعالاً مخصوصة عند طلوع الكوكب أو غروبه واتّصاله أو مفارقته، وقد بيّنّا أنّ ذلك ليس بمذهب المنجّمين البتّة وإنّما يتجمّلون الآن بالتظاهر به وأنّه قد كان جائزاً أن يُجري الله تعالى العادة بذلك لكن لا طريق إلى العلم بأنّ ذلك قد وقع وثبت، ومن أين لنا بأنّ الله تعالى قد أجرى العادة بأن يكون زحل أو المرّيخ إذا كان في درجة الطالع كان نحساً، وأنّ المشتري إذا كان كذلك كان سعداً؟ وأيّ سمع مقطوع به جاء بذلك؟ وأيّ نبيّ خبّر به، واستفيد من جهته؟ فإن عوّلوا في ذلك على التجربة بأنّا جرّبنا ذلك ومن كان قبلنا فوجدناه على هذه الصفة، وإذا لم يكن موجباً وجب أن يكون معتاداً قلنا: ومن سلّم لكم صحّة هذه التجربة وانتظامها واطّرادها؟ وقد رأينا خطأكم أكثر من صوابكم فيها، وصدقكم أقلّ من كذبكم، فألا نسبتم الصحّة إذا اتّفقت منكم إلى الاتّفاق الّذي يقع من المخمّن والمرجّم، فقد رأينا من يصيب من هؤلاء أكثر ممّن يخطئ، وهو على غير أصل معتمد ولا قاعدة صحيحة. فإذا قلتم: سبب خطأ المنجّم زلل دخل عليه في أخذ الطالع أو تسيّر الكواكب، قلنا: ولم لا كانت إصابته سببها التخمين؟

وإنّما كان يصحّ لكم هذا التأويل والتخريج لو كان على صحّة أحكام النجوم دليل قاطع هو غير إصابة المنجّم، فأمّا إذا كان دليل صحّة الأحكام الإصابة فألا كان دليل فسادها الخطأ؟ فما أحدهما في المقابلة إلّا كصاحبه.

وممّا أفحم به القائلون بصحة الأحكام ولم يتحصّل منهم عنه جواب أن قيل لهم في شيء بعينه: خذوا الطالع واحكموا هل يؤخذ أو يترك؟ فإن حكموا إمّا بالأخذ أو الترك خولفوا وفعل خلاف ما خبّروا به. وقد أعضلتهم هذه المسألة واعتذروا عنها بأعذار ملفّقة لا يخفى على عاقل سمعها بُعدها من الصواب، فقالوا في هذه المسألة: يجب أن يكتب هذا المبتلى بها ما يريد أن يفعل أو يخبر به غيره فإنّا نخرج ما قد عزم عليه من أحد الأمرين. وهذا التعليل منهم باطل، لأنّه إذا كان النظر في النجوم يدلّ على جميع الكائنات الّتي من جملتها ما يختاره أحدنا من أخذ هذا الشيء أو تركه فأيّ فرق بين أن يُطوى ذلك فلا يخبر به ولا يكتبه حتّى يقول المنجّم ما عنده وبين أن يخبره به ويكتبه قبل ذلك؟ وإنّما فزعوا إلى الكتابة وما يجري مجراها حتّى لا يخالف المنجّم فيما يذكره ويحكم به من أخذ أو ترك، ولو كانت الأحكام صحيحة وفيها دلالة على الكائنات لوجب أن يعرف المنجّم ما اختاره من أحد الأمرين على كلّ حال. ولو نزلنا تحت حكمهم وكتبنا ما نريد أن نفعله لما وجدنا إصابتهم في ذلك إلّا أقلّ من خطئهم، ولم يزيدوا فيه على ما يفعله المخمّن المرجّم من غير نظر في طالع ولا غارب ولا رجوع إلى أصل وإلّا فالبلوى بيننا وبينهم.

وكان بعض الرؤساء بل الوزراء ممّن كان فاضلاً في الأدب والكتابة ومشغوفاً بالنجوم عاملاً عليها قال لي يوماً وقد جرى حديث يتعلّق بأحكام النجوم ورأى من مخائلي التعجّب ممّن يتشاغل بذلك ويفني زمانه به: أريد أن أسألك عن شيء في نفسي، فقلت: سل عمّا بدا لك، قال: أريد أن تعرّفني هل بلغ بك التكذيب بأحكام النجوم إلى أن لا تختار يوماً لسفر ولبس ثوب جديد وتوجّه في حاجة؟ فقلت: قد بلغت إلى ذلك - والحمد لله - وزيادة عليه، وما في داري تقويم، ولا أنظر فيه، وما رأيت مع ذلك إلّا خيراً. ثمّ أقبلت عليه فقلت: ندع ما يدلّ على بطلان أحكام النجوم ممّا يحتاج إلى ظنّ دقيق ورويّة طويلة، وههنا شيء قريب لا يخفى على أحد ممّن علت طبقته في الفهم أو انخفضت، خبّرني لو فرضنا جادّة مسلوكة وطريقاً يمشي فيه الناس ليلاً ونهاراً، وفي محجّته آبار متقاربة، وبين بعضها وبعض طريق يحتاج سالكه إلى تأمّل وتوقّف حتّى يتخلّص من السقوط في بعض تلك الآبار، هل يجوز أن تكون سلامة من يمشي في هذا الطريق من العميان كسلامة من يمشي فيه من البصراء - وقد فرضنا أنّه لا يخلو طرفة عين من المشاة فيه بصراء وعميان؟ - وهل يجوز أن يكون عطب البصراء يقارب عطب العميان، أو سلامة العميان مقاربة لسلامة البصراء؟ فقال: هذا ممّا لا يجوز، بل الواجب أن تكون سلامة البصراء أكثر من سلامة العميان، ولا يجوز في مثل هذا التقارب. فقلت: إذا كان هذا محالاً فأحيلوا نظيره وما لا فرق بينه وبينه، وأنتم تجيزون شبيه

ما ذكرنا وعديله، لأنّ البصراء هم الّذين يعرفون أحكام النجوم ويميّزون سعدها ونحسها، ويتوقّون بهذه المعرفة مضارّ الزمان ويتخطّونها، ويعتمدون منافعه ويقصدونها، ومثال العميان كلّ من لا يحسن تعلّم النجوم ولا يلتفت إليه من الفهماء والفقهاء، وأهل الديانات والعبادات، ثمّ سائر العوام والأعراب والأكراد وهم أضعاف أضعاف من يراعي عدد النجوم. ومثال الطريق الّذي فيه الآبار الزمان الّذي يمضي عليه الخلق أجمعون، ومثال آباره مصائبه ونوائبه ومحنه، وقد كان يجب لو صحّ العلم بالنجوم وأحكامها أن تكون سلامة المنجّمين أكثر ومصائبهم أقلّ لأنّهم يتوقّون المحن لعلمهم بها قبل كونها، وتكون محن كلّ من ذكرناه من الطبقات الكثيرة أوفر وأظهر، حتّى تكون السلامة هي الطريفة الغريبة، وقد علمنا خلاف ذلك وأنّ السلامة أو المحن في الجميع متقاربة غير متفاوتة. فقال: ربما اتّفق مثل ذلك، فقلت له، فيجب أن نصدّق من خبّرنا في ذلك الطريق المسلوك الّذي فرضناه بأنّ سلامة العميان كسلامة البصراء ونقول: لعلّ ذلك اتّفق، وبعدُ فإنّ الاتّفاق لا يستمرّ بل ينقطع، وهذا الّذي ذكرناه مستمرّ غير منقطع. فلم يكن عنده عذر صحيح.

وممّا يفسد مذهب المنجّمين ويدلّ على أنّ ما لعلّه يتّفق لهم من الإصابة على غير أصل أنّا قد شاهدنا جماعة من الزّراقين الّذين لا يعرفون شيئاً من علم النجوم ولا نظروا قطّ في شيء منه يصيبون فيما يحكمون به إصابات مستطرفة، وقد كان المعروف بالشعرانيّ الّذي شاهدناه وهو لا يحسن أن يأخذ الأسطرلاب للطالع، ولا نظر قطّ في زيج ولا تقويم، غير أنّه ذكيّ حاضر الجواب فطن بالزرق معروف به كثير الإصابة وبلوغ الغاية فيما يخرجه من الأسرار، ولقد اجتمع يوماً بين يدي جماعة كانوا عندي، وكنّا قد اعتزمنا جهة نقصدها لبعض الأغراض، فسأله أحدنا عمّا نحن بصدده، فابتدأه من غير أخذ طالع ولا نظر في تقويم، فأخبرنا بالجهة الّتي أردنا قصدها، ثمّ عدل إلى كلّ واحد من الجماعة فأخبره عن كثير من تفصيل أمره وأغراضه، حتّى قال لأحدهم: وأنت من بين الجماعة قد وعدك واعد بشيء يوصله إليك، وقلبك به متعلّق، وفي كمّك شيء ممّا يدلّ على هذا، وقد انقضت حاجتك وانتجزت. وجذب يده إلى كمّه فاستخرج ما فيه! فاستحيى ذلك الرجل ووجم ومنع من الوقوف على ما في كمّه بجهده، فلم ينفعه ذلك وأعان الحاضرون على إخراج ما في كمّه لمّا أحسّوا بالإصابة من الزرق، فأخرج من كمّه رقاع كثيرة في جملتها صكّ على دار الضرب بصلة من خليفة الوزارة في ذلك الوقت، فعجبنا ممّا اتّفق من إصابته مع بُعده من صناعة النجوم. وكان لنا صديق يقول أبداً: من أدلّ دليل على بطلان أحكام النجوم إصابة العشرانيّ.

وجرى يوماً مع من يتعاطى علم النجوم هذا الحديث، فقال: عند المنجّمين أنّ السبب في إصابة من لا يعلم شيئاً من علم النجوم أنّ مولده وما يتولّاه ويقتضيه كواكبه اقتضى له ذلك. فقلت له: لعلّ بطلميوس وكلّ عالم من عامّة المنجّمين ومصيب في أحكامه عليها إنّما سبب

إصابته مولده وما يقتضيه كواكبه من غير علم ولا فهم، فلا يجب أن يستدلّ بالإصابة على العلم إذا كانت تقع من جاهل ويكون سببها المولد، وإذا كانت الإصابة بالمواليد فالنظر في علم النجوم عبث ولعب لا يحتاج إليه، لأنّ المولد إن اقتضى الإصابة أو الخطأ فالتعلّم لا ينفع وتركه لا يضرّ، وهذه علّة تسري إلى كلّ صنعة، حتّى يلزم أن يكون كلّ شاعر مفلق وصانع حاذق، وناسج للديباج مونق لا علم له بتلك الصناعة، وإنّما اتّفقت الصنعة بغير علم لما تقتضيه كواكب مولده، وما يلزم على هذا من الجهالات لا يحصى.

واعلم أنّ التعب بعلم مراكز الكواكب وأبعادها وأشكالها وتسيّراتها متى لم يكن ثمرته العلم بالأحكام والاطّلاع على الحوادث قبل كونها لا معنى له ولا غرض فيه، لأنّه لا فائدة في أن يعلم ذلك كلّه ويختصّ نفس العلم به، وما يجري الاطّلاع على ذلك إذا لم تتعدّ المعرفة إلى العلم بالأحكام إلّا مجرى العلم بعدد الحصى وكيل النوى ومعرفة أطوال الجبال وأوزانها، وكما أنّ العناء في تعرّف ذلك عبث وسفه لا يجدي نفعاً فكذلك العلم بشكل الفلك وتسيّرات كواكبها وأبعادها والمعرفة بزمان قطع كلّ كوكب للفلك وتفاصيلها فيه، وما شقي القوم بهذا الشأن وأفنوا أعمارهم إلّا لتقديرهم أنّه يفضي إلى معرفة الأحكام، فلا تغترّ بقول من يقول منهم: إنّنا ننظر في ذلك لشرف نفوسنا بعلم الهيئة، ولطيف ما فيها من الأعاجيب، فإنّ ذلك تجمّل منهم وتقرّب إلى أهل الإسلام، ولولا أنّ غرضهم معرفة الأحكام لما تعنّوا بشيء من ذلك كلّه، ولا كانت فيه فائدة، ولا منه عائدة. ومن أدلّ الدليل على بطلان أحكام النجوم أنّا قد علمنا أنّ من جملة معجزات الأنبياء عليهم السلام الإخبار عن الغيوب، وعدّ ذلك خارقاً للعادات كإحياء الميّت وإبراء الأكمه والأبرص ولو كان العلم بما يحدث طريقاً نجومياً لم يكن ما ذكرناه معجزاً ولا خارقاً للعادات فكيف يشتبه على مسلم بطلان أحكام النجوم وقد أجمع المسلمون قديماً وحديثاً على تكذيب المنجّمين والشهادة فساد مذاهبهم وبطلان أحكامهم، ومعلوم من دين الرسول صلى الله عليه وآله ضرورة التكذيب بما يدّعيه المنجّمون والإزراء عليهم والتعجيز لهم، وفي الروايات عنه صلى الله عليه وآله من ذلك ما لا يحصى كثرة وكذا عن علماء أهل بيته عليهم السلام وخيار أصحابه، فما زالوا يبرؤون من مذاهب المنجّمين ويعدّونها ضلالاً ومحالاً، وما اشتهر هذه الشهرة في دين الإسلام كيف يغترّ بخلافه منتسب إلى الملّة، ومصلّ إلى القبلة؟ فأمّا إصابتهم في الإخبار عن الكسوفات وما مضى في أثناء المسألة من طلب الفرق بين ذلك وبين سائر ما يخبرون به من تأثيرات الكواكب في أجسامنا، فالفرق بين الأمرين أنّ الكسوفات واقترانات الكواكب وانفصالها طريقة الحساب وتسيّر الكواكب، وله أصول صحيحة، وقواعد سديدة، وليس كذلك ما يدّعونه من تأثيرات الكواكب في الخير والشرّ، والنفع والضرّ، ولو لم يكن في الفرق بين الأمرين إلّا الإصابة الدائمة المتّصلة في الكسوفات وما يجري مجراها، فلا يكاد يبين فيها خطأ البتّة، وإنّ الخطأ المعهود الدائم إنّما هو في الأحكام الباقية، حتّى أنّ الصواب هو العزيز فيها وما يتّفق لعلّه

فيها من الإصابة قد يتّفق من المخمّن أكثر منه، فحمل أحد الأمرين على الآخر بهت وقلّة دين[١] (انتهى كلامه ضاعف الله إنعامه).

ونقل عنه السيّد ابن طاووس رحمه الله أنّه كتب في أجوبة بعض ما سئل عنه: قلنا أنّ الّذي جاء بعلم النجوم من الأنبياء هو إدريس عليه السلام وإنّما علم من جهته على الحدّ الّذي ذكرناه ونعلم أنّه لا يجوز كونها دلالة إلّا على هذا الوجه فقط لأنّ الشيء إنّما يدلّ على هذا الحدّ أو على الوجه الّذي يدلّ الدليل العقليّ عليه، وقد بيّنّا تعذّر ذلك في النجوم، فلم يبق إلّا ما ذكرناه، والقطع على أنّ كيفيّة دلالتها معلوم الآن غير ممكن، لأنّ شريعة إدريس عليه السلام وما علم من قبله كالمندرس فلا نعلم الحال فيه، فإن كان بعض تلك العلوم قد بقي محفوظاً عند قوم تناقلوه وتداولوه لم نمنع أن يكون معلوماً لهم إذا اتّصل التواتر، وإن لم يكن كذلك لم نمنع أن يكون العلم به وإن بطل وزال أن يكون أمارة يقتضي غالب الظنّ عند كثير منهم، وهذا هو الأقرب فيما يتمسّك به أهل النجوم، لأنّهم إذا تدبّرت أحوالهم وجدتهم غير واثقين بما يحكمون، وإنّما يتقدّم أحدهم في ذلك العلم كتقدّم الطبيب في الطبّ، فكما أنّ علوم الطبّ مبنيّة على الأمارات الّتي تقتضيها التجارب وغالب الظنّ فكذلك القول في علم النجوم، إلّا في أمور مخصوصة يمكن أن يعلم بضروب من الأخبار (انتهى)[٢].

وقال العلّامة رحمه الله في كتاب «منتهى المطلب»: التنجيم حرام، وكذا تعلّم النجوم مع اعتقاد أنّها مؤثّرة، أو أنّ لها مدخلاً في التأثير بالنفع والضرر، وبالجملة كلّ من يعتقد ربط الحركات النفسانيّة والطبيعيّة بالحركات الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة كافر، وأخذ الأجرة على ذلك حرام، وأمّا من يتعلّم النجوم فيعرف قدر سير الكواكب وبُعده وأحواله من التربيع والكسف وغيرهما فإنّه لا بأس به. ونحوه قال في التحرير والقواعد.

وقال الشيخ الشهيد رحمه الله في قواعده: كلّ من اعتقد في الكواكب أنّها مدبّرة لهذا العالم وموجدة ما فيه فلا ريب أنّه كافر، وإن اعتقد أنّها تفعل الآثار المنسوبة إليها والله سبحانه هو المؤثّر الأعظم كما يقوله أهل العدل فهو مخطئ، إذ لا حياة لهذه الكواكب ثابتة بدليل عقليّ ولا نقليّ، وبعض الأشعريّة يكفّرون هذا كما يكفّرون الأوّل، وأوردوا على أنفسهم عدم تكفير المعتزلة وكلّ من قال بفعل العبد، وفرّقوا بأنّ الإنسان وغيره من الحيوان يوجد فعله من أنّ التذلّل ظاهر عليه فلا يحصل منه اهتضام لجانب الربوبيّة، بخلاف الكواكب فإنّها غائبة عنه، فربما أدّى ذلك إلى اعتقاد استقلالها وفتح باب الكفر. وأمّا ما يقال من أنّ استناد الأفعال إليها كاستناد الإحراق إلى النار وغيرها من العاديّات بمعنى أنّ الله تعالى أجرى عادته أنّها إذا كانت على شكل مخصوص أو وضع مخصوص يفعل ما ينسب إليها، ويكون ربط المسبّبات بها كربط مسبّبات الأدوية والأغذية بها مجازاً باعتبار الربط العادي لا الفعل

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج ٢ ص ٣٠١.
(٢) فرج المهموم، ص ٥٤.

الحقيقيّ، فهذا لا يكفر معتقده ولكنّه مخطئ أيضاً، وإن كان أقلّ خطأ من الأوّل، لأنّ وقوع هذه الآثار عندها ليس بدائم ولا أكثريّ.

وقال رحمه الله في الدروس: ويحرم اعتقاد تأثير النجوم مستقلّة أو بالشركة والإخبار عن الكائنات بسببها، أمّا لو أخبر بجريان العادة أنّ الله تعالى يفعل كذا عند كذا لم يحرم وإن كره، على أنّ العادة فيها لا تطّرد إلّا فيما قل، وأمّا علم النجوم فقد حرّمه بعض الأصحاب، ولعلّه لما فيه من التعرّض للمحظور من اعتقاد التأثير، أو لأنّ أحكامه تخمينيّة، وأمّا علم هيئة الأفلاك فليس حراماً بل ربما كان مستحبّاً لما فيه من الاطّلاع على حكم الله وعظم قدرته.

وقال المحقّق الشيخ عليّ - أجزل الله تشريفه -: التنجيم الإخبار عن أحكام النجوم باعتبار الحركات الفلكيّة والاتّصالات الكوكبيّة الّتي مرجعها إلى القياس والتخمين - إلى أن قال - وقد ورد عن صاحب الشرع النهي عن تعلّم النجوم بأبلغ وجوهه، إذا تقرّر ذلك فاعلم أنّ التنجيم مع اعتقاد أنّ للنجوم تأثيراً في الموجودات السفليّة ولو على جهة المدخليّة حرام، وكذا تعلّم النجوم على هذا الوجه، بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه - نعوذ بالله - أمّا التنجيم لا على هذا الوجه مع التحرّز عن الكذب فإنّه جائز، فقد ثبت كراهية التزويج وسفر الحجّ في العقرب، وذلك من هذا القبيل، نعم هو مكروه ولا ينجرّ إلى الاعتقاد الفاسد، وقد ورد النهي عنه مطلقاً حسماً للمادّة.

وقال الشيخ البهائيّ رحمه الله ما يدّعيه المنجّمون من ارتباط بعض الحوادث السفليّة بالأجرام العلويّة إن زعموا أنّ تلك الأجرام هي العلّة المؤثّرة في تلك الحوادث بالاستقلال أو أنّها شريكة في التأثير فهذا لا يحلّ للمسلم اعتقاده، وعلم النجوم المبتني على هذا كفر والعياذ بالله، وعلى هذا حمل ما ورد في الحديث من التحذير عن علم النجوم والنهي عن اعتقاد صحّته، وإن قالوا إنّ اتّصالات تلك الأجرام وما يعرض لها من الأوضاع علامات على بعض حوادث هذا العالم ممّا يوجده الله سبحانه بقدرته وإرادته، كما أنّ حركات النبض واختلافات أوضاعه علامات يستدلّ بها الطبيب على ما يعرض للبدن من قرب الصحّة أو اشتداد المرض ونحو ذلك، وكما يستدلّ باختلاج بعض الأعضاء على بعض الأحوال المستقبلة، فهذا لا مانع منه ولا حرج في اعتقاده، وما روي من صحّة علم النجوم وجواز نقله محمول على هذا المعنى(١).

ثمّ قال رحمه الله الأمور الّتي يحكم بها المنجّمون من الحوادث الاستقباليّة أصول بعضها مأخوذة من أصحاب الوحي سلام الله عليهم، وبعض الأصول يدّعون فيها التجربة، وبعضها مبتنٍ على أمور متشعبّة لا تفي القوّة البشريّة في الأغلب بضبطها والإحاطة بها، كما يومئ إليه

(١) الحديقة الهلالية، ص ١٤٠.

قول الصادق عليه السلام «كثيره لا يدرك وقليله لا ينتج» فلذلك وجد الاختلاف في كلامهم، وتطرّق الخطأ إلى بعض أحكامهم ومن اتّفق له الجري على الأصول الصحيحة صحّ كلامه وصدقت أحكامه لا محالة كما نطق به كلام الصادق عليه السلام في الرواية المذكورة قبيل هذا الفصل - يعني رواية ابن سيابة - ولكن هذا أمر عزيز المنال، لا يظفر به إلّا القليل، والله الهادي إلى سواء السبيل.

ولابن سينا كلام في هذا الباب، قال في فصل المبدأ والمعاد من إلهيّات الشفاء: لو أمكن إنساناً من الناس أن يعرف الحوادث الّتي في الأرض والسماء جميعاً وطبائعها لفهم كيفيّة ما يحدث في المستقبل، وهذا المنجّم القائل بالأحكام مع أنّ أوضاعه الأولى ومقدّماته ليست مستندة إلى برهان بل عسى أن يدّعي فيها التجربة أو الوحي وربما حاول قياسات شعريّة أو خطابيّة في إثباتها فإنّه إنّما يعوّل على دلائل جنس واحد من أسباب الكائنات، وهي الّتي في السماء، على أنّه لا يضمن الإحاطة بجميع الأحوال الّتي في السماء، ولو ضمن لنا في ذلك ووفى به لم يمكنه أن يجعلنا بحيث نقف على وجود جميعها في كلّ وقت، وإن كان جميعها من حيث فعله وطبعه معلوماً عنده. ثمّ قال في آخر كلامه: فليس لنا إذن اعتماد على أقوالهم، وإن سلّمنا متبرّعين أنّ جميع ما يعطونا من مقدّماتهم الحكميّة صادقة (انتهى).

وقال الشيخ أبو الفتح محمّد بن عليّ الكراجكي رحمه الله في كتاب كنز الفوائد في الردّ على من قال إنّ الشمس والقمر والنجوم علل موجبات كلاماً طويل الذّيل يرجع حاصله إلى أنّ هذه الكواكب والأوضاع إن كانت عللاً للحوادث فما الحاجة إلى الاطّلاع على الأحكام، وأخذ الطوالع عند المواليد، وعمل الزوايج وتحاويل السنين، مع أنّ الإنسان لا يقدر على أن يزيد فيه في سعده ولا أن ينقص به من نحسه، وما أوجبه مولده فهو كائن لا مغيّر له، مع أنّه إذا علم حصول سعادة قبل وقوعها يكون قلق النفس، منقسم الخاطر، يستبعد قرب الساعات، ويستطيل قصر الأوقات، تشوّقاً إلى ما يرد، وتطلّعاً إلى ما وعد، وفي ذلك ما يقطعه عن منافعه، ويقصر به عن حركاته في مصالحه اتّكالاً على ما يأتيه، وربما أخلف الوعد وتأخّر السعد، فليس جميع أحكامكم تصيب، ولا الغلط منكم بعجيب فتصير المنفعة مضرّة، وأمّا متوقّع المنحسة فلا شكّ أنّه قد تعجّل الشدّة رهبة من قدومها، وعظم هلعه بهجومها، وإن قلتم إنّ الإنسان يمكنه أن يحترز من المنحسة فيدفعها أو ينقص منها فقد أبطلتم دعواكم أنّها مدبّرة.

ثمّ قال: وأنا أخبرك بعد هذا بطرق من بطلان أفعالهم، ونكت من فساد استدلالهم. اعلم أنّ تسمية البروج الاثني عشر بالحمل والثور والجوزاء وغيرها لا أصل لها ولا حقيقة، وإنّما وضعها الراصدون لهم فحصل متعارفاً بينهم، وكذلك جميع الصور الّتي عن جنبي منطقة البروج والجميع ثمان وأربعون صورة عندهم مشهورة، وعلماؤهم معترفون بأنّ ترتيب هذه الصور وتشبيهها وقسمة الكواكب عليها وتسميتها صنعها حذّاقهم الراصدون لها، وقد ذكر

هذا أبو الحسين عبد الرحمن ابن عمر الصوفيّ، وهو من جملتهم، وله مصنّفات لم يعمل مثلها في عملهم، وبيّنه في الجزء الأوّل من كتابه الّذي عمله في الصور، وقد ذكر رصد الأوائل منهم الكواكب، وأنّهم رتّبوها في المقادير والعظم ستّ مراتب، وبيّن أنّهم الفاعلون لذلك، وقال: إنّهم وجدوا من هذه الكواكب تسعمائة وسبعة عشر كوكباً ينتظم منها ثمانية وأربعون صورة، كلّ صورة منها تشتمل على كواكبها، وهي الصور الّتي أثبتها بطلميوس في المجسطيّ، بعضها في النصف الشمالي من الكرة، وبعضها على منطقة البروج الّتي هي طريقة الشمس والقمر والكواكب السريعة السير، وبعضها في النصف الجنوبيّ منها، فسمّوا كلّ صورة منها باسم الشيء المشبّه بها، فبعضها على صورة الإنسان مثل كوكبة الجوزاء، وكوكبة الجاثي على ركبتيه وكوكبة العوّاء وبعضها على صورة الحيوانات البرّيّة والبحريّة، مثل الحمل والثور والسرطان والأسد والعقرب والحوت والدبّ الأكبر والدبّ الأصغر، وبعضها خارج عن شبه الإنسان وسائر الحيوانات، مثل الإكليل والميزان، وإنّما فعلوا ذلك ليكون لكلّ كوكب اسم يعرف به متى أشاروا إليه، لمعرفة أوقات الليل والطالع في كلّ وقت وأشياء عظيمة المنفعة (انتهى).

ثمّ قال الكراجكيّ: وهو دليل واضح على أنّ الصور والأشكال والأسماء والألقاب ليست على سبيل الواجب والاستحقاق، وإنّما هي اصطلاح واختيار، ولو غيّرت عن ذلك إلى تشبيه آخر لأمكن وجاز. ثمّ إنّهم بعد هذه الحال جعلوا كثيراً من الأحكام مستخرجاً من هذه الصور والأشكال، ومنتسباً إلى الأسماء الموضوعة والألقاب، حتّى كأنّها على ما ذكروه بنحو واجب ودليل عقل ثبت! فقالوا إنّ الحكم على الكسوف على ما حكاه ابن هنبثي عن بطلميوس أنّه إذا كان البرج الّذي يقع فيه الكسوف من ذوات الأجنحة مثل العذراء والرامي والدجاجة والنسر وما أشبهها كان الحادث في الطير الّذي يأكله الناس، وإن كان في صورة الحيوان مثل السرطان والدلفين كان الحادث في الحيوانات البحريّة أو النهريّة. وفي هذه فضيحة عظيمة. أما يعلم هؤلاء القوم أنّهم الّذين جعلوا ذوات الأجنحة بأجنحة والصور البحريّة بحريّة؟! وأنّه لولا ما فعلوه لم يكن شيء ممّا ذكروه، فكيف صارت أفعالهم الّتي ابتدعوها وتشبيهاتهم الّتي وضعوها موجبة لأن يكون حكم الكسوف مستخرجاً منها وصادراً عنها؟! وهذا يؤدّي إلى أنّهم المدبّرون للعالم إذ كانت أفعالهم سبباً لما توجبه الكواكب.

ثمّ أورد رحمه الله كثيراً من هذه الإلزامات المسكتة عليهم، ثمّ قال: والصور عندهم لا تثبت في مواضعها ولا تستقرّ على أقسامها، وصورة الحمل الّتي يقولون إنّها أوّل البروج قد سفل إلى مكان البرج الثاني، والحمل في الحوت، إذ الثوابت متحرّكة عندهم بحركة بطيئة خفيّة، ولخفاء حركتها سمّوها الثابتة، وإن وجدوها في الأرصاد مختلفة. وقال الصوفيّ في كتاب الصور: إنّ مواضع هذه الصور الّتي على منطقة فلك البروج كانت منذ ثلاثة آلاف سنة في غير

هذه الأقسام، وإنّ صورة الحمل كانت في القسم الأوّل وكان يسمّى الأوّل من البروج الثور، والثاني الجوزاء، والثالث السرطان، ولمّا جدّدوا الأرصاد في أيّام «طيموخارس» وجدوا صورة الحمل قد انتقلت إلى القسم الأوّل من الأقسام الاثني عشر الّذي هو بعد نقطة التقاطع غيّروا أساميها، فسمّوا القسم الأوّل الحمل، والثاني الثور، والثالث الجوزاء. قال: ولا يخالفنا أحد في أنّ هذه الصور تنتقل حركاتها على مرّ الدهور على أماكنها، حتّى تصير صورة الحمل في القسم التاسع الّذي للميزان، وصورة الميزان في القسم الأوّل الّذي للحمل، فيسمّى أوّل البروج الميزان، والثاني العقرب ثمّ مرّ في كلامه موضحاً عمّا ذكرناه من تنقّلها الموجب لتغيّر أسماء بروجها: وهم مجمعون على أنّ الكوكبين المتقاربين المعروفين بالشرطين على قرني الحمل، وهما أوّل منازل القمر، فيجب أن يكونا أوّل البروج الاثني عشر ومن امتحنهما في وقتنا هذا - وهو من سنة ثمان وعشرين وأربعمائة للهجرة الموافقة لسنة ألف وثلاثمائة وثمان وأربعين لذي القرنين - وجد أحدهما في عشرين درجة من الحمل والأخرى في إحدى وعشرين منه، أعني من البرج الأوّل، فأيّ برج من البروج الاثني عشر يبقى على صورة واحدة؟ وكيف يثبت الحكم لأوّل البروج بأنّه دالّ على الوحوش وعلى كلّ ذي ظلف؟ وقد انتقلت إليه أكثر صورة الحوت وكذلك حال جميع البروج.

ثمّ ذكر رحمه الله كثيراً من أغلاطهم واشتباهاتهم إلى أن قال: وأنا أذكر لك بعد هذا مقالتنا في النجوم وما نعتقده فيها لتعرف الطريقة في ذلك فتعتمد عليها: اعلم أيّدك الله أنّ الشمس والقمر والنجوم أجسام محدثة من جنس أجسام العالم، مؤتلفة من أجزاء تحلّها الأعراض، وليست بفاعلة في الحقيقة ولا ناطقة، ولا حيّة قادرة، وقد قال شيخنا المفيد رحمه الله إنّها أجسام ناريّة، فأمّا حركتها فهي فعل الله تعالى فيها، وهو المحرّك لها، وهي من آياته الباهرة في خلقه، وزينة لسمائه، وفيها منافع لعباده لا تحصى، وبها يهتدي السائرون برّاً وبحراً، قال الله تعالى: ﴿وَعَلَٰمَٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾[1] وفيها للخلق مصالح لا يعلمها إلّا الله، فأمّا التأثير المنسوب إليها فإنّا لا ندفع كون الشمس والقمر مؤثّرين في العالم، ونحن نعلم أنّ الأجسام وإن كان لا يؤثّر أحدها في الآخر إلّا مع مماسّة بينهما بأنفسهما أو بواسطة فإنّ للشمس والقمر شعاعاً متّصلاً بالأرض وما عليها، يقوم مقام المماسّة، وتصحّ به التأثيرات الحادثة، ومن ذا الّذي ينكر تأثير الشمس والقمر وهو موجود مشاهد؟ وإن كان تأثير الشمس أظهر للحسّ وأبين من تأثير القمر في الأزمان والبلدان والنبات والحيوان، فأمّا غيرهما من الكواكب فلسنا نجد لها تأثيراً نُحسّ، ولا نقطع على وجوبه بالعقل، ولا هو أيضاً من الممتنع المستحيل، بل من الجائز في العقول، لأنّ لها شعاعاً متّصلاً بالأرض، وإن كان دون شعاع الشمس والقمر فغير منكر أن يكون لها تأثير يخفى عن الحسّ خارج عن أفعال الخلق، فإن

(١) سورة النحل، الآية: ١٦.

كان لها تأثير كما يقال كان تأثيرها مع تأثير الشمس والقمر في الحقيقة من أفعال الله عزّوجلّ ، وليس يصحّ إضافته إليها إلّا على وجه التوسّع والتجوّز، كما تقول: أحرقت النار، وبرّد الثلج، وقطع السيف، وشجّ الحجر، وفي الحقيقة إنّ النار أحرق بها، والثلج برّد به، وقطع أيضاً بالسيف، وشجّ بالحجر، وكذلك قولنا: أحمت الشمس الأرض ونفعت الزرع، وفي الحقيقة إنّ الله تعالى أحمى بها ونفع، وممّا يدلّ على أنّ الله تعالى يستعمل شيئاً بشيء قوله عزّوجلّ : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾[1] وقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[2] وليس فيما ذكرناه رجوع إلى قول أصحاب الأحكام، والإقرار بما أنكرناه عليهم في متقدّم الكلام، لأنّا أنكرنا عليهم إضافتهم تأثيرات الشمس والقمر إليهما من دون الله سبحانه، وقطعهم على ما جوّزناه من تأثيرات الكواكب بغير حجّة عقليّة ولا سمعيّة، وإضافتهم إلى جميع الأفعال في الحقيقة، مع دعواهم لها بالحياة والقدرة، فأنكرنا عليهم أن يكون الشمس والقمر أو شيء من الكواكب فاعلاً لأفعالنا، أو تكون حركته شيئاً موجباً لوقوع الأفعال عنّا، لشهادة العقل الصحيح بأنّ أفعالنا لو كانت مخترعة فينا أو كائنة عن سبب أوجبها من غيرنا لم تقع بحسب قصودنا وإراداتنا، وكانت لا فرق بينها وبين جميع ما يفعل فينا من صحّتنا وسقمنا وتأليف أجسامنا، وفي حصول الفرق دلالة على اختصاصها بنا، وبرهان واضح على أنّها حدثت عن قدرتنا، وأنّه لا سبب لها غير اختيارنا، وأنكرنا عليهم قولهم أنّ الله لا يفعل في العالم فعلاً إلّا والكواكب دالّة عليه، فإنّ كلّ شيء تدلّ عليه فلا بدّ من كونه، وهذا باطل لأنّه لو ثبت لها تأثير أو دلالة فإنّ الله تعالى أجرى بذلك العادة، وليس بمستحيل منه تغيير تلك العادة لما يراه من المصلحة، وقد يصرف الله تعالى السوء عن عبده بدعوة ويزيد في أجله بصلة رحم أو صدقة. هذا الّذي ثبتت لنا عليه الأدلّة، وهو الموافق للشريعة، وليس هو بملائم لما يدّعيه المنجّمون - والحمد لله - وأنكرنا عليهم اعتمادهم في الأحكام على أصول متناقضة، ومقدّمات مفتعلة، ودعاوٍ مظنونة، وليس لهم على شيء منها بيّنة، فإن كان لهذا العلم أصل صحيح على وجه يسوغ في العقل ويجوز، فليس هو ممّا في أيديهم، ولا من جملة دعاويهم، وقد قال شيخنا المفيد رحمه الله: إنّ الاستدلال بحركات النجوم على كثير ممّا سيكون لا يمنع العقل منه ولسنا نمنع أن يكون الله جلّ اسمه أعلمه بعض أنبيائه، وجعله علماً على صدقه (انتهى كلام الكراجكي رحمه الله)[3].

وقال شيخ المتكلّمين محمود بن عليّ الحمّصيّ رحمه الله في ذكر علم النجوم: إنّا لا نردّ عليهم

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢١.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٧.

(٣) فرج المهموم، ص ٦٠.

فيما يتعلق بالحساب في تسيير النجوم واتّصالاتها الّتي يذكرونها فإنّ ذلك ممّا لا يهمّنا ولا هو ممّا يقابل بإنكار وردّ. ثمّ قال رحمه الله في إنكار كون النجوم عللاً موجبة: يبطل ذلك بكلّ ما يبطل به دعوة المجبّرة بأنّنا غير مختارين.

ثمّ قال: فإن قيل: كيف تنكرون الأحكام وقد علمنا أنّهم يحكمون بالكسوف والخسوف ورؤية الأهلّة ويكون الأمر على ما يحكمون في ذلك؟ وكذلك يخبرون عن أمور مستقبلة تجري على الإنسان وتجري تلك الأمور على ما أخبروا عنها فمع وضوح الأمر فيما ذكرناه كيف تدفع الأحكام؟

قلنا: إنّ إخبارهم عن الكسوف والخسوف ورؤية الأهلّة فليس من الأحكام وإنّما هو من باب الحساب، إنّما الحكم أن يقولوا إذا كان كسوف أو خسوف كان من الحوادث كذا وكذا. ثمّ قال: فأمّا الأمور المستقبلة الّتي يخبرون عنها فأكثرها لا تقع على ما يخبرون عنه، وإنّما يقع قليل منه بالاتّفاق، ومثل ذلك يتّفق لأصحاب الفأل والزجر الّذين لا يعرفون النجوم، بل للعواجز اللّواتي يتفألن بالأحجار، والّذي قد يخبر المصروع وكثير من ناقصي العقول عن أشياء فيتّفق وقوع ما يخبرون عنه (انتهى)[1].

والسيّد الجليل النبيل عليّ بن طاووس رحمه الله لأنس قليل له بهذا العلم عمل في ذلك رسالة، وبالغ في الإنكار على من اعتقد أنّ النجوم ذوات إرادة أو فاعلة أو مؤثّرة، واستدلّ على ذلك بدلائل كثيرة، وأيّده بكلام جمّ غفير من الأفاضل إلّا أنّه أنكر على السيّد الأجلّ المرتضى رحمه الله في تحريمه، وذهب إلى أنّه من العلوم المباحات، وأنّ النجوم علامات ودلالات على الحادثات، لكن يجوز للقادر الحكيم أن يغيّرها بالبرّ والصدقة والدعاء وغير ذلك من الأسباب والدواعي على وفق إرادته وحكمته، وجوّز تعليم علم النجوم وتعلّمه والنظر فيه والعمل به إذا لم يعتقد أنّها مؤثّرة، وحمل أخبار النهي والذمّ على ما إذا اعتقدت ذلك، ثمّ ذكر رحمه الله تأييداً لصحّة هذا العلم أسماء جماعة من الشيعة كانوا عارفين به فقال: إنّ جماعةً من بني نوبخت كانوا علماء بالنجوم، وقدوة في هذا الباب، ووقفت على عدّة مصنّفات لهم في النجوم، وأنّها دلالات على الحادثات، منهم الحسن بن موسى النوبختيّ، ومن علماء المنجّمين من الشيعة أحمد بن محمّد بن خالد البرقيّ، وذكر النجاشيّ في كتبه كتاب النجوم، ومنهم أحمد بن محمّد بن أحمد بن طلحة، فقد عدّ الشيخ والنجاشيّ من كتبة كتاب النجوم، والشيخ النجاشيّ كان له تصنيف في النجوم ومن المذكورين بعلم النجوم الجلوديّ البصريّ، ومنهم عليّ بن محمّد بن العدويّ الشمشاطيّ، فإنّه ذكر النجاشيّ أنّ له رسالةً في إبطال أحكام النجوم، ومنهم عليّ بن محمّد بن العبّاس، فإنّ النجاشيّ ذكر في كتبه

(١) فرج المهموم، ص ٧٤.

كتاب الردّ على المنجّمين وكتاب الردّ على الفلاسفة، ومنهم محمّد بن أبي عمير واستند إلى الخبر السابق وقد عرفت ما فيه قال: ومنهم محمّد بن مسعود العيّاشيّ، فإنّه ذكر في تصانيفه كتاب النجوم، ومنهم موسى بن الحسن بن عبّاس بن إسماعيل بن أبي سهل بن نوبخت قال النجاشيّ: كان حسن المعرفة بالنجوم، وله مصنّفات فيه، وكان مع ذلك حسن العبادة والدّين، ومنهم الفضل بن أبي سهل بن نوبخت، وصل إلينا من تصانيفه ما يدلّ على قوّة معرفته بالنجوم[١]، وذكر عن العيون ما أوردته في أبو اب تاريخ الرضا عليه السلام من أنّه أخبر المأمون بخطأ المنجّمين في الساعة الّتي اختاروها لولاية العهد، فزجره المأمون ونهاه أن يخبر به أحداً، فعلم أنّه تعمّد ذلك[٢]. ومنهم السيّد الفاضل عليّ بن أبي الحسن العلويّ المعروف بابن الأعلم، وكان صاحب الزيج، ومنهم أبو الحسن النقيب الملقّب «أبا قيراط» ومنهم الشيخ الفاضل الشيعيّ عليّ بن الحسين بن عليّ المسعوديّ مصنّف كتاب «مروج الذهب» ومنهم أبو القاسم بن نافع من أصحابنا الشيعة، ومنهم إبراهيم الفزاريّ صاحب القصيدة في النجوم وكان منجّماً للمنصور، ومنهم الشيخ الفاضل أحمد بن يوسف بن إبراهيم المصريّ كاتب آل طولون، ومنهم الشيخ الفاضل محمّد بن عبد الله بن عمر البازيار القميّ تلميذ أبي معشر، ومنهم الشيخ الفاضل أبو الحسين بن أبي الخضيب القميّ، ومنهم أبو جعفر السقّاء المنجّم ذكره الشيخ في الرجال، ومنهم محمّد بن أحمد بن سليم الجعفيّ مصنّف كتاب الفاخر، ومنهم محمود بن الحسين بن السنديّ بن شاهك المعروف بكشاجم، ذكر ابن شهراشوب أنّه كان شاعراً منجّماً متكلّماً، ومنهم العفيف بن قيس أخو الأشعث، ذكره المبرّد وقد مرّ أنّه قيل: هو الّذي أشار إلى أمير المؤمنين عليه السلام بترك قتال الخوارج في الساعة الّتي أراد[٣].

ثمّ قال رحمه الله وممّن أدركته من علماء الشيعة العارفين بالنجوم وعرفت بعض إصاباته الفقيه العالم الزاهد الملقّب خطير الدين محمود بن محمّد، وممّن رأيته الشيخ الفاضل أبو نصر الحسن بن عليّ القميّ. ثمّ عدّ رحمه الله من اشتهر بعلم النجوم وقيل إنّه من الشيعة، فقال: منهم أحمد بن محمّد السجزي، والشيخ الفاضل عليّ بن أحمد العمرانيّ، والفاضل إسحاق بن يعقوب الكنديّ قال: وممّن اشتهر بالنجوم من بني العبّاس محمّد بن عبد العزيز الهاشميّ، وعليّ بن القاسم القصريّ وقال رحمه الله: وجدت فيما وقفت عليه أنّ عليّ بن الحسين بن بابويه القمّي كان ممّن أخذ طالعه في النجوم، وأنّ ميلاده بالسنبلة. ثمّ قال السيّد رحمه الله روى الشيخ في اختيار الكشيّ في بيان حال أبي خالد السجستانيّ: حمدويه وإبراهيم عن محمّد بن عثمان، قال: حدّثنا أبو خالد السجستانيّ أنّه لمّا مضى أبو الحسن عليه السلام وقف عليه ثمّ نظر في نجومه فزعم أنّه قد مات، فقطع على موته وخالف أصحابه.

---

(١) فرج المهموم، ص ١٢١-١٢٥. (٢) - (٣) فرج المهموم، ص ١٤٢ و١٤٤.

ثمّ قال رحمه الله ففي هذه عدّة فوائد: منها أنّ هذا أبو خالد كان واقفياً يعتقد أنّ أبا الحسن موسى عليه السلام ما مات، فدلّه الله تعالى بعلم النجوم على موته، وقد كان هذا العلم سبب هدايته، ومنها أنّه كان من أصحاب الكاظم عليه السلام ولم يبلغنا أنّه أنكر عليه علم النجوم، ومنها أنّه لو علم أبو خالد أنّ علم النجوم منكر عند إمامه لما اعتمد عليه في عقيدته، ومنها اختيار جدّي الطوسيّ لهذا الحديث وتصحيحه وقد تقدّم ثناؤه رحمه الله على جماعة من العلماء بالنجوم.
ثمّ قال: وممّن اشتهر بعلمه من بني نوبخت عبد الله بن أبي سهل، ومن العلماء بالنجوم محمّد ابن إسحاق النديم كان منجّماً للعلويّ المصريّ، ومن المذكورين بالتصنيف في علم النجوم حسن بن أحمد بن محمّد بن عاصم المعروف بالعاصميّ المحدّث الكوفيّ، ثقة سكن بغداد، فمن كتبه الكتب النجوميّة، ذكر ذلك ابن شهرآشوب في كتاب «معالم العلماء» وممّن اشتهر بعلم النجوم من المنسوبين إلى مذهب الإماميّة الفضل بن سهل وزير المأمون فروى محمّد بن عبد وس الجمشاريّ وغيره ما معناه أنّه لمّا وقع بين الأمين والمأمون ما وقع واضطربت خراسان وطلب جند المأمون أرزاقهم وتوجّه عليّ بن عيسى بن ماهان من العراق لحرب المأمون وصعد المأمون إلى منظره للخوف على نفسه من جنده ومعه الفضل وقد ضاق عليه مجال التدبير وعزم على مفارقة ما هو فيه أخذ الفضل طالعه ورفع أصطرلاباً وقال: ما تنزل من هذه المنزلة إلّا خليفة غالباً لأخيك الأمين، فلا تعجل! وما زال يسكنه ويثبّته حتّى ورد عليهم في تلك الساعة رأس عليّ بن عيسى وقد قتله طاهر، وثبت ملكه، وزال ما كان يخافه، وظفر بالأمان. وروي خبر آخر أيضاً مثل ذلك[1].

ثمّ قال: وممّن كان عالماً بالنجوم من المنسوبين إلى الشيعة الحسن بن سهل ثمّ ذكر ما أخرجنا من العيون في أبو اب تاريخ الرضا عليه السلام من حديث الحمّام وقتل الفضل فيه، ثمّ قال: رأيت في كتاب الوزراء جمع عبد الرحمن بن المبارك أنّه ذكر محمّد بن سعيد أنّه وجد على كتاب من كتب ذي الرياستين بخطّه: هذه السنة الفلانية الّتي تكون فيها النكبة، وإلى الله نرغب في دفعها، وإن صحّ من حساب الفلك شيء فالأمر واقع فيها لا محالة، ونسأل الله تعالى أن يختم لنا بخير بمنّه. وكان يعمل لذي الرياستين تقويم في كلّ سنة فيوقّع عليه: هذا يوم يصلح لكذا، ويجتنب في هذا اليوم كذا. فلمّا كان في السنة الّتي قتل فيها عرض عليه اليوم، فجعل يوقّع فيه ما يصلح، حتّى انتهى إلى اليوم الّذي قتل فيه، فقال: أفّ لهذا اليوم! ما أشرّه عليّ! ورمى بالتقويم. وروي عن أخت الفضل، قالت: دخل الفضل إلى أمّه في الليلة الّتي قتل في صبيحتها، فقعد إلى جانبها، وأقبل يعظها ويعزّيها عن نفسه، ويذكّرها حوادث الدهر وتقضّي أمور العباد، ثمّ قبّل صدرها وثديها وودّعها وداع المفارق، ثمّ قام فخرج وهو قلق منزعج لما دلّه عليه الحساب، فجعل ينتقل من موضع إلى موضع، ومن

(١) فرج المهموم، ص ١٣٢.

مجلس إلى مجلس، وامتنع عليه النوم فلمّا كان في السحر قام إلى الحمّام وقدّر أن يجعل غمّه وحرارته وكربه هو الّذي دلّت عليه النجوم، وقدّمت له بغلة فركبها وكان الحمّام في آخر البستان فكبت به البغلة، فسرّه ذلك وقدّر أنّها هي النكبة الّتي كان يتخوّفها، ثمّ مشى إلى الحمّام ولم يزل حتّى دخل الحمام فاغتسل فيه، فقتل(١).

قال: ومن المذكورين بعلم النجوم بوران بنت الحسن بن سهل، وجدت في مجموع عتيق أنّ بوران كانت في المنزلة العليا بأصناف العلم لا سيّما في النجوم فإنّها برعت فيه وبلغت أقصى نهايته، وكانت ترفع الأصطرلاب كلّ وقت وتنظر إلى مولد المعتصم، فعثرت يوماً يقطع عليه، سببه خشب، فقالت لوالدها الحسن: إنصرف إلى أمير المؤمنين، وعرّفه أنّ الجارية فلانة قد نظرت إلى المولد ورفعت الأصطرلاب فدلّ الحساب - والله أعلم - أنّ قطعاً يلحق أمير المؤمنين من خشب في الساعة الفلانيّة من يوم بعينه. قال الحسن: يا قرّة العين! يا سيّدة الحرائر! إنّ أمير المؤمنين قد تغيّر علينا وربما أصغى إلى شيخك بخلاف ما يقتضيه وجه المشورة والنصيحة. قالت: يا أبه! وما عليك من نصيحة إمامك، لأنّه خطر بروح لا عوض منها، فإن قبلها وإلّا كنت قد أدّيت المفروض عليك. قال: فانصرف الحسن إلى المعتصم، وعرّفه ما قالت بوران. قال المعتصم: أيّها الحسن! أحسن الله جزاءها وجزاءك، انصرف إليها وخصّها عنّي بالسلام واسألها ثانياً واحضر عندي اليوم الّذي عيّنت عليه ولازمني حتّى ينصرم اليوم ويذهب، فلست أشاركك في هذه المشورة والتدبير أحداً من البشر. قال: فلمّا كان صباح ذلك اليوم دخل عليه الحسن فأمر المعتصم حتّى خرج كلّ من في المجلس وخلا إليه وأشار عليه أن ينتقل عن المجلس السقفيّ إلى مجلس ابن ارخى لا يوجد فيه وزن درهم واحد من الخشب وما زال الحسن يحدّثه والمعتصم يمازحه وينشطه حتّى أظهر النهار وضربت نوبة الصلاة، فقام المعتصم ليتوضّأ، فقال الحسن: لا تخرج أمير المؤمنين عن هذا المجلس ويكون الوضوء والصلاة وكلّ ما تريد فيه، حتّى ينصرم اليوم. فجاء خادم ومعه المشط والسواك، فقال الحسن للخادم: امتشط بالمشط واستك بالسواك. فامتنع وقال: كيف أتناول آلة أميرالمؤمنين؟ قال المعتصم: ويلك، امتثل قول الحسن ولا تخالف. ففعل، فسقطت ثناياه وانتفخ دماغه وخرّ مغشيّاً عليه، ورفع ميّتاً وقام الحسن ليخرج، فاستدعاه المعتصم واحتضنه ولم يفارقه حتّى قبّل عينيه، وردّ على بوران أملاكاً وضياعاً، وكان ابن الزيّات حلّها عنها وذكر مثله برواية أخرى(٢).

وروي من كتاب الوزراء لمحمّد بن عبدوس، عن إسماعيل بن صبيح، قال: كنت أكتب يوماً بين يدي يحيى بن خالد البرمكيّ فدخل عليه جعفر بن يحيى فلما رآه صاح وأعرض بوجهه عنه وقطب وكره رؤيته، فلمّا انصرف قلت له: أطال الله بقاءك، تفعل هذا بابنك وحاله

---

(١) فرج المهموم، ص ١٣٥.

(٢) فرج المهموم، ص ١٣٧.

عند أمير المؤمنين حالة لا يقدّم عليه ولداً ولا وليّاً؟ فقال: إليك عنّي أيّها الرجل! فوالله لا يكون هلاك أهل هذا البيت إلّا بسببه. فلمّا كان بعد مدّة من ذلك دخل عليه أيضاً جعفر وأنا بحضرته ففعل مثل ما فعل الأوّل، وأكدت عليه القول، فقال: أدن منّي الدواة، فأدنيتها وكتب كلمات يسيرة في رقعة وختمها ودفعها إلي، وقال: بلى، ليكن عندك، فإذا دخلت سنة سبع وثمانين ومائة ومضى فانظر فيها. فلمّا كان في صفر أوقع الرشيد بهم فنظرت في الرقعة، فكان الوقت الّذي ذكره[1]. قال إسماعيل: وكان يحيى أعلم الناس بالنجوم.

وروي أيضاً عن محمّد بن عبدوس من كتاب الوزراء عن موسى بن نصر الوصيف، عن أبيه، قال: غدوت إلى يحيى بن خالد في آخر أمرهم أريد عيادته من علّة كان يجدها، فوجدت في دهليزه بغلاً مسرجاً، فدخلت إليه فكان يأنس بي ويفضي إليّ بسرّه، فوجدته مفكّراً مهموماً، ورأيته مستخلياً مشتغلاً بحساب النجوم وهو ينظر فيه، فقلت له: إنّي لمّا رأيت بغلاً مسرجاً سرّني، لأنّي قدّرت انصراف العلّة وأنّ عزمك الركوب، ثمّ قد غمّني ما أراه من همّك، قال: فقال لي: إنّ لهذا البغل قصّة، إنّي رأيت البارحة في النوم كأنّي راكبه حتّى وافيت رأس الجسر من الجانب الأيسر، فوقفت فإذا صائح يصيح من الجانب الآخر:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا   أنيس ولم يسمر بمكّة سامر

قال: فضربت يدي على قربوس السرج، وقلت:

بلى نحن كنّا أهلها فأبادنا   صروف الليالي والجدود العواثر

ثمّ انتبهت فلجأت إلى أخذ الطالع، فأخذته وضربت الأمر ظهراً لبطن فوقفت على أنّه لا بدّ من انقضاء مدّتنا وزوال أمرنا. قال فما كان يكاد يفرغ من كلامه حتّى دخل عليه مسرور الخادم بخوان مغطّاة وفيها رأس جعفر بن يحيى، وقال له: يقول لك أمير المؤمنين: كيف رأيت نقمة الله في الفاجر؟ فقال له يحيى: قل له: يا أمير المؤمنين! أرى أنّك أفسدت عليه دنياه. وأفسد عليك آخرتك[2].

ثمّ قال: وممّن رأيت ذكره في علماء النجوم وإن لم أعلم مذهبه إبراهيم بن السنديّ بن شاهك، وكان منجّماً طبيباً متكلّماً. ومن العلماء بالنجوم عضد الدولة ابن بويه، وكان منسوباً إلى التشيّع، ولعلّه كان يرى مذهب الزيديّة. ومنهم الشيخ المعظّم محمود بن عليّ الحمّصي رحمه الله كما حكينا عنه، ومنهم جابر بن حيّان صاحب الصادق عليه السلام وذكره ابن النديم في رجال الشيعة، وممّن ذكر بعلم النجوم من الوزراء أبو أيّوب سليمان بن مخلّد المورياني، وممّن ظهر منه العمل على النجوم البرامكة، ذكر عبد الرحمن بن المبارك أنّ جعفراً لمّا عزم على الانتقال إلى قصره الّذي بناه وجمع المنجّمين لاختيار وقت ينتقل فيه فاختاروا له وقتاً من

(١) فرج المهموم، ص ١٤٠.
(٢) فرج المهموم، ص ١٤١.

الليل، فلمّا حضر الوقت خرج على حمار من الموضع الّذي ينزله إلى قصره، والطرق خالية والناس ساكنون، فلمّا وصل إلى سوق يحيى رأى رجلاً يقول:

يـدبّـر بـالـنـجـوم ولـيـس يـدري ورّبّ الـنـجـم يـفـعـل مـا يـريـد

فاستوحش ووقف ودعا بالرجل فقال له: أعد عليّ ما قلت، فأعاده فقال: ما أردت بهذا؟ قال: والله ما أردت به معنى من المعاني، لكنّه عرض لي وجاء على لساني فأمر له بدنانير[١].

ثمّ ذكر رحمه الله إصابات كثيرة من المنجّمين نقلاً من كتبهم، ونقل من كتاب ربيع الأبرار أنّ رجلاً أدخل إصبعيه في حلقتي مقراض، وقال للمنجّم: أيش ترى في يدي؟ فقال: خاتمي حديد. وقال: فقدت في دار بعض الرؤساء مشربة فضّة فوجّه إلى ابن ماهان يسأله فقال: المشربة سرقت نفسها، فضحك منه واغتاظ، وقال: هل في الدار جارية اسمها فضّة أخذت الفضّة؟ فكان كما قال. وقال: سعي بمنجّم فأمر بصلبه، فقيل له: هل رأيت هذا في نجومك؟ فقال: رأيت ارتفاعاً، ولكن لم أعلم أنّه فوق خشبة[٢].

وقال: ومن الملوك المشهورين بعلم النجوم وتقريب أهله المأمون، وذكر محمّد بن إسحاق أنّه كان سبب نقل كتب النجوم وأمثالها من بلاد الروم ونشرها بين المسلمين. وذكر المسعوديّ في حديث وفاة المأمون، قال: فأمرنا بإحضار جماعة من أهل الموضع، فسألهم ما تفسير «النديون» فقالوا: تفسيره «مدّ رجليك» فلمّا سمع المأمون بذلك اضطرب وتطيّر بهذا الاسم، وقال: سلوهم ما اسم هذا الموضع بالعربيّة؟ قالوا: اسمه بالعربيّة «الرقة» وكان فيما عمل من مولد المأمون أنّه يموت بالرقة، فلمّا سمع اسم الرقة عرف أنّه الموضع الّذي ذكر في مولده، وأنّه لا يموت إلّا بالرقة، فمات به كما اقتضت دلالة النجوم في طالعه[٣].

وذكر محمّد بن بابويه في دلائل النبوّة أنّ «بخت نصّر» لمّا رأى رؤياه أحضر من جملة العلماء أصحاب النجوم، وذكر التنوخيّ في كتابه، قال: حدّثني الصوفيّ المنجّم، قال - وكان أبو الحسين حاضراً وعضد الدولة يحدّثني - قال: اعتللت علّة صعبة أيس منّي فيها الطبيب، وأيست من نفسي، وكان تحويل سنتي تلك في النجوم رديّاً جدّاً نحساً موحشاً، ثمّ زادت العلّة عليّ، فأمرت أن يحجب الناس كلّهم لا يدخل إليّ أحد بوجه ولا سبب إلّا حاجب البويه في أوقات، حتّى منعت الطبيب عن الوصول ضجراً بهم بل بنفسي ويأساً من العافية، فأقمت كذلك أياماً ثلاثة وأربعة وأنا أبكي في خلوتي على نفسي، إذ جاءني حاجب البويه فقال: في الدار أبو الحسين الصوفيّ من الغداة يطلب الوصول، وقد اجتهدنا به في الانصراف بكلّ رفق وجميل فما فعل، وقال: لا بدّ من أن أصل. ولم أحبّ أن أحدّثه في

(١) فرج المهموم، ص ١٤٦. (٢) فرج المهموم، ص ١٩٢.
(٣) فرج المهموم، ص ٢٠٧.

الانصراف على أيّ وجه كان إلّا بأمرك، وقد عرفته بأنّه قد رسم لي أن لا يصل إليه أحد من خلق الله أجمعين، فقال: الّذي حضرت له بشارة ولا يجوز أن يتأخّر وقوفه عليها، فعرّفه هذا عنّي واستأذنه لي في الوصول إليه. فقلت له بضعيف صوت وكلام خفيف: يريد أن يقول لي قد بلغ الكوكب الفلانيّ الموضع الفلانيّ، ويهدي إليّ من هذا الجنس ما يضيق به صدري. ويزيد به همّي، وما أقدر على سماع كلامك فانصرف. فخرج الحاجب ورجع إليّ مستعجلاً وقال: إمّا أن يكون أبو الحسين الصوفيّ قد جنّ أو معه أمر عظيم! فإنّي قد عرّفته بما قال مولانا، فقال: ارجع إليه وقل له: والله لو أمرت بضرب عنقي ما انصرفت أو أصل إليك، ووالله ما أكلّمك في معنى النجوم بكلمة واحدة. فعجبت من ذلك عجباً شديداً مع علمي بعقل أبي الحسين وأنّه ممّا لا يخرق معي في شيء، وتطلّعت نفسي إلى ما يقوله فقلت: أدخله فلمّا دخل إليّ قبّل الأرض وبكى وقال: أنت والله في عافية لا بأس عليك، واليوم تبرأ ومعي معجزة في ذلك! فقلت له: ما هي؟ فقال: رأيت البارحة في منامي أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام والناس يهرعون إليه يسألونه حوائجهم، وكان قد تقدّمت إليه وقلت: يا أمير المؤمنين! أنا رجل غريب في هذا البلد، تركت نعمتي بالريّ وتجارتي، وتعلّقت بحبّ هذا الأمير الّذي أنا معه، وقد بلغ إلى حدّ الأياس من العلّة، وقد أشفقت أن أهلك بهلاكه، فادع الله تعالى بالعافية له. فقال: تعني فناخسرو بن الحسن بن بويه؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين. فقال: امض إليه غداً وقل له: أنسيت ما أخبرتك به أمّك عنّي في المنام الّذي رأته وهي حامل بك؟ أليس قد أخبرتك بمدّة عمرك، وأنّك ستعتلّ إذا بلغت كذا وكذا سنة علّة يأيس منها أطبّاؤك وأهلك ثمّ تبرأ منها؟ وأنت تصلح من هذه العلّة غداً وتبرأ، وأرى صلاحك أن تركب وتعاود عاداتك كلّها في كذا وكذا يوماً، ولا قطع عليك قبل الأجل الّذي خبّرتك به أمّك عنّي. قال لي عضد الدولة: وقد كنت أنسيت أنّ أمّي قالت لي في المنام إذا بلغت هذه السنة اعتللت العلّة الّتي قد ذكرتها حتّى قال لي أبو الحسين الصوفيّ، فحين سمعت الكلام حدثت لي في نفسي في الحال قوّة لم يكن من قبل، فقلت: أقعدوني، فجاء الغلمان فأمسكوني حتّى جلست على الفراش، وقلت لأبي الحسين: اجلس وأعد الحديث، فقد قوّيت نفسي فأعاده فتولّدت لي شهوة الطعام فاستدعيت الأطبّاء، فأشاروا بتناول غذاء وصفوه عمل في الحال وأكلته، ولم تنقض الحال في اليوم حتّى بان لي في الصلاح أمر عظيم، وأقبلت العافية فركبت وعاودت عاداتي في اليوم الّذي قال أبو الحسين في المنام أن أركب فيه، وكان عضد الدولة يحدّثني وأبو الحسين يقول: كذا والله كان، وكذا قلت لمولانا، وأعيذ بالله ما أحسن حفظه وذكر ما جرى حرفاً بحرف. ثمّ قال: ما فاتني في نفسي من هذا المنام شيء، كنت أشتهي الأشياء، كنت أشتهي أن يكون فيه مثبتاً وشيئاً [كنت] أشتهي أن لا يكون فيه. فقلت: يبلّغ الله مولانا آماله ويحدث له كلّ ما يسرّ به، ويصرف عنه

كلّ ما لا يؤثر كونه. ولم أزد على الدعاء، فعلم غرضي وقال: أمّا الّذي كنت أشتهي أن لا يكون فيه فهو أنّه وقف على أنّي أملك حلباً، ولو كان عنده أنّي أملك شيئاً ممّا تجاوز حلباً لقاله، وكأنّي أخاف أن يكون هذا غاية حدّي من تلك الناحية، حتّى أنّه جاءني الخبر بأنّ سيف الدولة أظهر الدعوة لي بحلب وأعماله، ودخل تحت طاعتي، فذكرت المنام فتنغّص عليّ لأجل هذا الاعتقاد. وأمّا الّذي كنت أشتهي أن يكون فيه فهو أنّي أعلم من هذا الّذي يملك من ولدي، ويستقلّ الملك على يديه، فدعوت له وقطعت الحديث بعدها بنحو سنتين، وما تجاوزت دعوته أعمال حلب بوجه ولا سبب[1].

قال: وروى الحاكم النيسابوري في تاريخه بإسناده عن النبيّ ﷺ قال: بعث تبّع إلى مكّة لنقل البيت إليه، قال: فابتلي بجسده فقال لمنجّميه: انظروا فنظروا فقالوا: لعلّك أردت بيت الله بشيء، قال: نعم، أردت أن ينقل إليّ، قالوا إذاً لا يكون، ولكن اكسه وردّهم من ذلك، فردّهم عن ذلك وكساه فبرئ[2] (انتهى ما أردت إيراده من كلام السيّد رحمه الله).

وسأل السيّد مهنان بن سنان العلّامة رحمه الله ما يقول سيّدنا فيما يقال: إنّ كسوف الشمس بسبب حيلولة جرم القمر بينه وبين الشمس، وإنّ سبب خسوف القمر حيلولة الأرض، ويدلّ على ذلك ما يخبر به أهل التقويم فيطابق أخبارهم؟ وإذا كان الأمر على هذه الصورة فلمَ أمرنا بالخوف عند ذلك والفزع إلى الدعاء والصلاة في المساجد؟ فأجاب رحمه الله استناد الكسوف والخسوف إلى ما ذكره - أدام الله أيّامه - مستند إلى الرصد، وهو أمر ظنّيٌّ غير يقينيّ، ولو سلّم لم يضرّ في التكليف بالصلاة وسؤال الله في ردّ النور ويجوز أن يكون هذا الحادث سبباً لتجدّد حادث في الأرض من خير أو شرّ، فجاز أن يكون العبادة رافعة لما نيط بذلك الحادث من الشرّ والخوف بسبب ذلك.

ثمّ سأل عن أخبار المنجّمين وأصحاب الرمل بالأشياء المغيبة، فأجاب بأنّ هذا كلّه تخمين لا حقيقة له، وما يوافق قولهم من الحوادث فإنّه يقع على سبيل الاتّفاق، وعلم الرمل ينسب إلى إدريس عليه السلام وليس بمحقّق، ولكنّه جرى لنا وقائع غريبة عجيبة وامتحانات طابقت حكمه، لكن لا يثمر ذلك علماً محقّقاً (انتهى).

وأقول: إذا أحطت خبراً بما تلونا عليك من الأخبار والأقوال لا يخفى عليك أنّ القول باستقلال النجوم في تأثيرها بل القول بكونها علّةً فاعليّة بالإرادة والاختيار وإن توقّف تأثيرها على شرائط كفرٌ ومخالفة لضرورة الدين، والقول بالتأثير الناقص يحتمل وجهين: **الأوّل:** تأثيرها بالكيفية كحرارة الشمس وإضاءتها وسائر الكواكب وتبريد القمر، فلا سبيل إلى إنكار ذلك، لكنّ الكلام في أنّها مؤثّرات أو معدّات لتأثير الرب سبحانه، أو أنّه تعالى أجرى العادة

(١) فرج المهموم، ص ١٩٨.
(٢) فرج المهموم، ص ٢١٢.

بخلق الحرارة أو الضوء عقيب محاذاة الشمس مثلاً، والأكثر على الأخير. والثاني: كون حركاتها وأوضاعها ومقارناتها واتّصالاتها مؤثرةً ناقصة في خلق الحوادث على أحد الوجوه الثلاثة المتقدّمة، فلا ريب أنّ القول به فسق وقول بما لا يعلم، ولا دليل يدلّ عليه من عقل ولا نقل، بل ظواهر الآيات والأخبار خلافه، والقول به جرأة على الله.

وأمّا أنّه ينتهي إلى حدّ الكفر فيشكل الحكم به، وإن لم يكن مستبعداً. والكراجكيّ رحمه الله لم يفرّق فيما مرّ بين هذا الوجه والوجه الأوّل، وإنّما النزاع في الثاني دون الأوّل. وأمّا كونها أمارات وعلامات جعلها الله دلالة على حدوث الحوادث في عالم الكون والفساد، فغير بعيد عن السداد، وقد عرفت أنّ كثيراً من الأخبار تدلّ على ذلك، وهي إمّا مفيدة للعلم العاديّ لكنّه مخصوص ببعض الأنبياء والأئمّة عليهم السلام ومن أخذها منهم لأنّ الطريق إلى العلم بعدم ما يرفع دلالتها من وحي أو إلهام والإحاطة بجميع الشرائط والموانع والقوابل مختصّة بهم، أو مفيدة للظنّ ووقوع مدلولاتها مشروط بتحقّق شروط ورفع موانع، وما في أيدي الناس ليس ذلك العلم أصلاً أو بعضه منه لكنّه غير معلوم بخصوصه، ولا يفيد العلم قطعاً، وإفادته نوعاً من الظنّ مشكوك فيه.

وأمّا تعليمه وتعلّمه والعمل به فأقسام: منها استخراج التقاويم والإخبار بالأمور الخفيّة أو المستقبلة وأخذ الطوالع والحكم بها على الأعمار والأحوال، والظاهر حرمة ذلك لشمول النهي له، وما ورد أنّها دلالات وعلامات لا يدلّ على التجويز لغير من أحاط علمه بجميع ذلك من المعصومين عليهم السلام، وما دلّ على الجواز فأخبار أكثرها ضعيفة، ويمكن حمل بعضها على التقيّة بشيوع العمل بها في زمن خلفاء الجور والسلاطين في أكثر الأعصار، وتقرّب المنجّمين عندهم، وربما يومئ بعض الأخبار إليه، ويمكن حمل أخبار النهي على الكراهة الشديدة، والجواز على الإباحة، أو حمل أخبار النهي على ما إذا اعتقد التأثير، والجواز على عدمه كما فعله السيّد ابن طاووس رحمه الله وغيره، لكنّ الأوّل أظهر وأحوط.

ومنها الاعتناء بالساعات المسعودة والمنحوسة واختيار الأوّلة لارتكاب الأعمال والشروع فيها، والاحتراز عن الثانية، وهذا أيضاً يحتمل الكراهة والحرمة، وما ورد من رعاية العقرب والمحاق في التزويج والسفر فلا دلالة فيه على العموم مع أنّك قد عرفت أنّ اصطلاح البروج في الأخبار الظاهر أنّه غير اصطلاح المنجّمين وأمّا سعادة الكواكب والبروج ونحوستها فتحتمل الأخبار الواردة فيها أمرين: أحدهما أن يكون لها سعادة ونحوسة واقعيّة، لكن ترتفع النحوسة بالتوكّل والدعاء والصدقة والتوسّل بالله تعالى، ونحن إنّما أمرنا بتلك الأمور لا برعاية الساعات، وثانيهما أن يكون تأثيرها من جهة الطيرة لما اشتهر بين الناس من نحوسة تلك الساعات، وإنّما يتأثّر بها من يتأثّر من الطيرة ممّن ضعف توكّلهم واعتمادهم على ربّهم، ولهم عقول ضعيفة، ونفوس دنيّة يتأثّرون بأدنى شيء، ويومئ

إليه قول أمير المؤمنين عليه السلام عند خبر المنجّم «اللّهمّ لا طير إلّا طيرك» فعلى الوجهين الأولى لمن قويت نفسه وصدق في توكّله على ربّه أن لا يلتفت إلى أمثال ذلك، ويتوسّل بجنابه تعالى في جميع أموره، ويطلب منه الخيرة، وقد روي عن الصادق عليه السلام أنّ الطيرة على ما تجعلها، إن هوّنتها تهوّنت، وإن شدّدتها تشدّدت وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً. وعنه عن آبائه عليهم السلام قال قال النبيّ صلى الله عليه وآله: أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: كما لا تضيق الشمس على من جلس فيها كذلك لا تضيق رحمتي على من دخل فيها، وكما لا تضرّ الطيرة من لا يتطيّر منها كذلك لا ينجو من الفتنة المتطيّرون. وسيأتي القول فيها في الباب الآتي.

ومنها تعليم هذا العلم بوجهيه المتقدّمين وتعلّمه والنظر والتفكّر فيه، وهو أيضاً يحتمل الحرمة والكراهة، واحتمال الكراهة هنا أقوى ممّا سبق.

ومنها علم الهيئة والنظر في هيئات الأفلاك وحركاتها، وجوازه لا يخلو من قوّة إذا لم يعتقد فيه ما يخالف الآيات والأخبار كتطابق الأفلاك، ولم يجزم بما لا برهان عليه، وإنّما قال به على سبيل الاحتمال. وأمّا ما ذكره الشهيد رحمه الله من استحباب النظر في علم الهيئة فإنّما هو إذا ثبتت مطابقة قواعده لما هي عليها في نفس الأمر، وعدم اشتماله على قاعدة مخالفة لما ظهر من الشريعة، وإلّا فيكون بعضها داخلاً في القول بغير علم، أو فيما حرم اتّباعه لمخالفة الشريعة وأمّا الآيات الدالّة على التفكّر في خلق السماوات والأرض فالظاهر أنّ المراد بها التفكّر فيها من جهة دلالتها على وجود الصانع وعلمه وقدرته وحكمته، لا من جهة نضدها وترتيبها وكيفيّات حركاتها، وإن احتمل شمولها لها أيضاً.

ومنها الحكم بالكسوف والخسوف وأوائل الأهلّة والمحاق وأشباه ذلك فالظاهر جوازه وإن كان الأحوط اجتناب ذلك أيضاً، فإنّ الأحكام الشرعيّة فيها مبتنية على الرؤية لا على أحكام المنجّمين بذلك. وبالجملة ينبغي للمتديّن المتّبع لأهل بيت العصمة عليهم السلام المدّعي لكونه شيعة لهم مقتدياً لآثارهم أن لا يتعرّض لشيء من ذلك إلّا في قليل منه يتعلّق بمعرفة أوقات الصلوات وسائر العبادات، وتعيين جهة القبلة وأشباه ذلك، ولو كانت هذه العلوم والأعمال ممّا له مدخليّة في صلاح الدين لأمر أئمّتنا عليهم السلام شيعتهم بذلك، ورغّبوهم فيها، وحثّوهم عليها وعلّموهم قواعدها، ولم ينقل من عادة أهل البيت عليهم السلام وسيرتهم الرجوع إلى الساعات واستعلامها، أو بيانها لشيعتهم، واحترازهم عن ساعة بسبب أنّها نحس بحسب النجوم، بل كانوا يأمرونهم بالصدقة والدعاء والتضرّع والتوسل إلى الله سبحانه في الاحتراز عن البلايا والآفات، والمنحوسة من الساعات، وفي هذه الأزمان تركوا جميع ذلك واكتفوا بالرجوع إلى التقاويم وأصحاب النجوم، واتّكلوا عليها. وأيضاً لعلمهم بأخبار المنجّمين بأوقات الكسوفات والخسوفات لا يحصل لهم في وقوعها فزع، ولا يتضرّعون إلى الله في رفعها ودفع شرّها، مع أنّه يصير في أكثر الناس سبباً للقول بتأثير النجوم وحياتها وتدبيرها في

العالم، أعاذنا الله وسائر المؤمنين من ذلك، وإنّما أطنبنا الكلام قليلا في هذا المقام لكثرة ولوع الناس بهذا العلم والعمل به، وتقرّبهم إلى الملوك بذلك، فيوقعون الناس به في المهالك، والله العاصم من فتن المبتدعين، والهادي إلى الحقّ واليقين.

١٢ - باب آخر في النهي عن الاستمطار بالأنواء والطيرة والعدوى

الآيات: النمل: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ «٤٧».

يس: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ «١٨ - ١٩».

الواقعة: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ «٨٢».

تفسير: ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ﴾ أي تشأمنا بكم إذ تتابعت علينا الشدائد من القحط وغيره، ووقع بيننا الافتراق بما اخترعتم من دينكم ﴿قَالَ طَائِرُكُمْ﴾ أي سببكم الّذي جاء منه شرّكم ﴿عِندَ اللَّهِ﴾ وهو قضاؤه وقدره، أو أعمالكم السيّئة المكتوبة عنده ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ﴾ أي تختبرون بتعاقب السرّاء والضرّاء، وفيه دلالة على أنّه لا أصل للطيرة، وأنّ ما يقع من الخير والشرّ بقدر الله مترتّباً على الأعمال الحسنة والسيّئة، كما قال: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قال صاحب الكشّاف: كان الرجل يخرج مسافراً فيمرّ بطير فيزجره وإن مرّ سانحاً تيمّن، وإن مرّ بارحاً تشأّم، فلمّا نسبوا الخير والشرّ إلى الطائر استعير لما كان سبباً للخير والشرّ وهو قدر الله وقسمته[1].

﴿إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ قال البيضاويّ: تشأمنا بكم، وذلك لاستغرابهم ما ادّعوه واستقباحهم له وتنفّرهم عنه ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُوا﴾ عن مقالتكم هذه ﴿طَائِرُكُم مَّعَكُمْ﴾ سبب شؤمكم معكم، وهو سوء عقيدتكم وأعمالكم ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ وعظتم به، وجواب الشرط محذوف مثل «تطيّرتم» أو «توعّدتم بالرجم والتعذيب» ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ قوم عادتكم الإسراف في العصيان، فمن ثمّ جاءكم الشؤم، أو في الضلال ولذلك توعّدتم وتشأمتم بمن يجب أن يكرم ويتبرّك به[2].

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله أي وتجعلون حظّكم من الخير الّذي هو كالرزق لكم أنّكم تكذّبون به، وقيل: وتجعلون شكر رزقكم التكذيب عن ابن عبّاس قال: أصاب الناس عطش في بعض أسفاره فدعا صلى الله عليه وآله فسُقوا، فسمع رجلاً يقول: مطرنا بنوءِ كذا، فنزلت الآية. وقيل: معناه وتجعلون حظّكم من القرآن الّذي رزقكم الله التكذيب به، عن الحسن. وقرأه عليّ عليه السلام وابن عبّاس ورويت عن النبيّ صلى الله عليه وآله «وتجعلون شكركم» فالمعنى: تجعلون مكان الشكر الّذي يجب عليكم التكذيب، وقد يكون المعنى: وتجعلون شكر رزقكم

(١) تفسير الكشاف، ج ٣ ص ٣٧١.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٣٤.

التكذيب، قال ابن جنيّ: هو على «وتجعلون بدل شكركم»(١).

١ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن محمّد بن أحمد بن ثابت، عن الحسن بن محمّد بن سماعة وأحمد بن الحسن القزّاز، جميعاً عن صالح بن خالد، عن ثابت بن شريح، عن أبان ابن تغلب، عن عبد الأعلى الثعلبيّ، ولا أراني إلّا وقد سمعته من عبد الأعلى عن أبي عبد الرحمن السلميّ أنّ عليّاً عليه السلام قرأ بهم الواقعة «وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون» فلمّا انصرف قال: إنّي قد عرفت أنّه سيقول قائل: لم قرأ هكذا قراءتها، إنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرؤها كذلك، وكانوا إذا مطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله «وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون»(٢).

٢ - وعن عليّ بن الحسين، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: بل هي «وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون»(٣).

توضيح: قوله «ولا أراني» كلام ثابت، أي أظنّ أنّي سمعت الحديث من عبد الأعلى بغير توسّط أبان. وقال الجزريّ في النهاية: فيه ثلاث من أمر الجاهلية: الطعن في الأنساب، والنياحة، والأنواء. وقد تكرّر ذكر النوء والأنواء في الحديث ومنه الحديث «مطرنا بنوء كذا» والأنواء هي ثمان وعشرون منزلة ينزل القمر في كلّ ليلة في منزلة منها، ومنه قوله تعالى ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ يسقط في المغرب كلّ ثلاث عشرة ليلة منزلة مع طلوع الفجر، وتطلع أخرى مقابلتها ذلك الوقت في المشرق، فتنقضي جميعها مع انقضاء السنة، وكانت العرب تزعم أنّ مع سقوط المنزلة وطلوع رقيبها يكون مطر، وينسبونه إليها، فيقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنّما سمّي نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق. يقال: ناء ينوء نوءاً، أي نهض وطلع، وقيل: أراد بالنواء الغروب وهو من الأضداد، قال أبو عبيد: لم نسمع في النوء أنّه السقوط إلّا في هذا الموضع. وإنّما غلّظ النبيّ صلى الله عليه وآله في أمر الأنواء لأنّ العرب كانت تنسب المطر إليها، فأمّا من جعل المطر من فعل الله تعالى وأراد بقوله مطرنا بنوء كذا أي في وقت كذا وهو هذا النواء الفلانيّ فإنّ ذلك جائز، أي أنّ الله قد أجرى العادة أن يأتي المطر في هذه الأوقات (انتهى).

وقال ابن العربيّ: من انتظر المطر منها على أنّها فاعلة من دون الله أو يجعل لله شريكاً فيها فهو كافر، ومن انتظره منها على إجراء العادة فلا شيء عليه وقال النووي: لكنّه يكره لأنّه شعار الكفر وموهم له.

---

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٧.

(٢) - (٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣٢٧ في تفسيره لسورة الواقعة، الآية: ٨٢.

٣ - **معاني الأخبار:** عن ابن عقدة، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن محمّد بن حمران، عن أبيه، عن أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام قال: ثلاثة من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن في الأحساب، والاستسقاء بالانواء.

قال الصدوق رحمه الله أخبرني محمّد بن هارون الزنجانيّ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عبيد أنّه قال: سمعت عدّة من أهل العلم يقولون: إنّ الأنواء ثمانية وعشرون نجماً معروفة المطالع في أزمنة السنة كلّها، من الصيف والشتاء والربيع والخريف، يسقط منها في كلّ ثلاث عشرة ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله في المشرق من ساعته، وكلاهما معلوم مسمّى، وانقضاء هذه الثمانية والعشرين كلّها مع انقضاء السنة، ثمّ يرجع الأمر إلى النجم الأوّل مع استئناف السنة المقبلة، وكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم وطلع آخر قالوا: لا بدّ أن يكون عند ذلك رياح ومطر، فينسبون كلّ غيث يكون عند ذلك إلى ذلك النجم الّذي يسقط حينئذ، فيقولون: مطرنا بنوء الثُريّا، والدبران، والسماك، وما كان من هذه النجوم فعلى هذا، فهذه هي الأنواء واحدها «نوء» وإنّما سمّي نوءاً لأنّه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق بالطلوع، وهو ينوء نوءاً وذلك النهوض هو النوء، فسمّي النجم به، وكذلك كلّ ناهض ينتقل بإبطاء فإنّه ينوء عند نهوضه، قال الله تبارك وتعالى ﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلۡعُصۡبَةِ أُوْلِي ٱلۡقُوَّةِ﴾[1].

٤ - **ومنه:** عن محمّد بن هارون الزنجانيّ، عن عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عبيد القاسم بن سلام بأسانيد متّصلة إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: نهى صلى الله عليه وآله عن ذبائح الجنّ، وذبائح الجنّ أن يشتري الدار أو يستخرج العين أو ما أشبه ذلك فيذبح له ذبيحة للطيرة.

قال أبو عبيد: معناه أنّهم كانوا يتطيّرون إلى هذا الفعل مخافة إن لم يذبحوا أو يطعموا أن يصيبهم فيها شيء من الجنّ، فأبطل النبيّ صلى الله عليه وآله هذا ونهى عنه[2].

٥ - وقال صلى الله عليه وآله لا توردنّ ذو عاهة على مصحّ. يعني الرجل يصيب إبله الجرب أو الداء، فقال لا توردنّها على مصحّ، وهو الّذي إبله وماشيته صحاح بريئة من العاهة. قال أبو عبيد: وجهه عندي - والله أعلم - أنّه خاف أن ينزل بهذه الصحاح من الله عزّ وجلّ ما نزل بتلك، فيظنّ المصحّ أنّ تلك أعدتها، فيأثم في ذلك[3].

٦ - **الخصال:** عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن أبي الحسين الفارسيّ، عن سليمان بن جعفر البصريّ، عن عبد الله بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد، عن آبائه، عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول

(١) معاني الأخبار، ص ٣٢٦.
(٢) معاني الأخبار، ص ٢٨٢.
(٣) معاني الأخبار، ص ٢٨٢.

الله ﷺ: أربعة لا تزال في أمّتي إلى يوم القيامة: الفخر بالأحساب، والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة (الخبر)[1].

٧ - **الخرائج:** روي أنّه في وقعة تبوك أصاب الناس عطش، فقالوا: يا رسول الله لو دعوت الله لسقانا، فقال ﷺ: لو دعوت الله لسقيت، قالوا: يا رسول الله ادع لنا ليسقينا، فدعا، فسالت الأودية، فإذا قوم على شفير الوادي يقولون: مطرنا بنوء الذراع، وبنوء كذا. فقال رسول الله ﷺ: ألا ترون؟ فقال خالد: ألا أضرب أعناقهم؟ فقال رسول الله ﷺ: يقولون هكذا وهم يعلمون أنّ الله أنزله[2].

بيان: يدلّ على حرمة هذا القول أو الكراهة الشديدة، وأنّه لا يصير سبباً للكفر مع عدم الاعتقاد بكونها مؤثّرة، وأنّ هذا الاعتقاد كفر يوجب الارتداد واستحقاق القتل.

٨ - **العياشي:** عن يعقوب بن شعيب، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾ قال: كانوا يقولون: نمطر بنوء كذا وبنوء كذا، ومنها أنّهم كانوا يأتون الكهّان فيصدّقونهم بما يقولون[3].

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾: اختلف في معناه على أقوال: **أحدها**: أنّهم مشركو قريش، كانوا يقرّون بالله خالقاً ومحيياً ومميتاً، ويعبدون الأصنام ويدعونها آلهة، عن ابن عبّاس **وثانيها**: أنّها نزلت في مشركي العرب، إذا سئلوا: من خلق السماوات والأرض وينزل القطر؟ قالوا: الله، ثمّ هم يشركون، كانوا يقولون في تلبيتهم: لبيّك لا شريك لك، إلّا شريك هو لك، تملكه وما ملك. **وثالثها**: أنّهم أهل الكتاب، آمنوا بالله واليوم الآخر والتوراة والإنجيل ثمّ أشركوا بإنكار القرآن وإنكار نبوّة نبيّنا ﷺ وهذا القول مع ما تقدّم رواه دارم بن قبيصة، عن الرضا عن جدّه أبي عبد الله عليه السلام **ورابعها**: أنّهم المنافقون، يظهرون الإيمان ويشركون في السرّ **وخامسها**: أنّهم المشبّهة، آمنوا في الجملة وأشركوا بالتفصيل، عن ابن عبّاس أيضاً. **وسادسها**: أنّ المراد بالإشراك شرك الطاعة لا شرك العبادة، أطاعوا الشيطان في المعاصي الّتي يرتكبونها ممّا أوجب عليها النار، فأشركوا بالله في طاعته، ولم يشركوا في عبادته، فيعبدون معه غيره، عن أبي جعفر عليه السلام. وروي عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه قال: قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا فلان لضاع عيالي جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه. فقيل له: لو قال: لولا أن منّ الله عليّ بفلان لهلكت، قال لا بأس بهذا. وفي رواية زرارة ومحمّد بن مسلم وحمران

---

(١) الخصال، ص ٢٢٦ باب ٤ ح ٦٠.

(٢) الخرائج والجرائح، ج ١ ص ٩٨ ح ١٦٠.

(٣) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢١١ ح ٩١ من سورة يوسف.

عنهما عليهما السلام أنّه شرك النعم، وروى محمّد بن الفضيل عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: إنّه شرك لا يبلغ به الكفر (انتهى)[١] وأقول: ما ورد في الخبر قريب من الوجه الأخير، ويدلّ على حرمة الاعتقاد بالنجوم والكهانة.

٩ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن النضر بن قرواش الجمّال، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الجمال يكون بها الجرب أعزلها من إبلي مخافة أن يعديها جربها، والدابّة ربما صفرت لها حتّى تشرب الماء؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ أعرابياً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله، إنّي أصيب الشاة والبقرة والناقة بالثمن اليسير وبها جرب، فأكره شراءها مخافة أن يعدي ذلك الجرب إبلي وغنمي. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا أعرابيّ فمن أعدى الأوّل؟ ثمّ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا عدوى، ولا طيرة، ولا هامة، ولا شؤم، ولا صفر، ولا رضاع بعد فصال، ولا تعرّب بعد هجرة، ولا صمت يوماً إلى الليل، ولا طلاق قبل نكاح، ولا عتق قبل ملك، ولا يتم بعد إدراك[٢].

إيضاح: قوله صلى الله عليه وآله «لا عدوى» قال في النهاية: فيه: «لا عدوى ولا صفر» العدوى اسم من الإعداء كالدعوى والتقوى من الادّعاء والاتّقاء، يقال: أعداه الداء يعديه إعداء، وهو أن يصيبه مثل ما بصاحب الداء، وذلك أن يكون ببعير جرب مثلاً فتتّقى مخالطته بإبل أُخرى حذراً أن يتعدّى إليها ما به من الجرب فيصيبها ما أصابه، وقد أبطله الإسلام، لأنّهم كانوا يظنّون أنّ المرض بنفسه يتعدّى فأعلمهم النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه ليس الأمر كذلك، وإنّما الله تعالى هو الّذي يمرض وينزل الداء، ولهذا قال في بعض الأحاديث: فمن أعدى البعير الأوّل؟ أي من أين صار فيه الجرب (انتهى).

وأقول: يمكن أن يكون المراد نفي استقلال العدوى بدون مدخليّة مشيّته تعالى، بل مع الاستعاذة بالله يصرفه عنه، فلا ينافي الأمر بالفرار من المجذوم وأمثاله لعامّة الناس الّذين لضعف يقينهم لا يستعيذون به تعالى، وتتأثّر نفوسهم بأمثاله. وقد روي أنّ عليّ بن الحسين عليه السلام أكل مع المجذومين ودعاهم إلى طعامه وشاركهم في الأكل، مع أنّه يمكن أن يكون من خصائصهم عليهم السلام لأنّ الله يعصمهم عن الأمراض المشينة الّتي توجب نفرة الناس عنهم، وقيل: الجذام مستثنى من هذه الكلّيّة، أي عدم العدوى. وقال الطيبيّ في شرح المشكاة: العدوى مجاوزة العلّة أو الخلق إلى الغير، وهو بزعم الطب في سبع: الجذام والجرب والجدري والحصبة والبخر والرمد والأمراض الوبائيّة، فأبطله الشرع أي لا تسري علّته إلى شخص وقيل: بل نفى استقلال تأثيره بل هو متعلّق بمشيّة الله تعالى، ولذا منع من مقاربته كمقاربة الجدار المائل والسفينة المعيبة، وأجاب الأوّلون بأنّ النهي عنها للشفقة خشية أن يعتقد حقّيّته إن اتّفق أصابته عاهة، وأرى هذا القول أولى لما فيه من التوفيق بين الأحاديث

---

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٦٢.

(٢) روضة الكافي، ح ٢٣٤.

والأصول الطبّية الّتي ورد الشرع باعتبارها على وجه لا يناقض أصول التوحيد (انتهى).

«ولا طيرة» هذه أيضاً مثل السابقة، والمراد به النهي عن التطيّر والتشؤّم بالأمور الّتي يحترز منها العوامُّ، أو لا تأثير للطيرة مطلقاً، أو على وجه الاستقلال، بل مع قوّة النفس وعدم التأثّر بها والتوكّل على الله تعالى يرتفع تأثيرها، ويؤيّد الأخير ما سيأتي وما ورد في بعض الأخبار الدالّة على تأثيرها في الجملة، وما ورد في بعض الأدعية من الاستعاذة منها. قال الجزريّ في النهاية: الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وقد تسكن هي التشؤّم بالشيء، وهو مصدر تطيّر، يقال: تطير طيرة كتخيّر خيرة، ولم يجئ من المصادر هكذا غيرهما، وأصله فيما يقال: التطيّر بالسوانح والبوارح من الطير والظباء وغيرهما، فكان ذلك يصدّهم عن مقاصدهم فنفاه الشرع وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنّه ليس له تأثير في جلب نفع ودفع ضرّ، ومنه الحديث «ثلاث لا يسلم منها أحد: الطيرة، والحسد، والظنّ، قيل: فما نصنع؟ قال: إذا تطيّرت فامض، وإذا حسدت فلا تبغ، وإذا ظننت فلا تحقّق».

وقال في قوله «ولا هامة» الهامة الرأس واسم طائر وهو المراد في الحديث، وذلك أنّهم كانوا يتشأمون بها، وهي من طير الليل وقيل هي البومة، وقيل: إنّ العرب كانت تزعم أنّ روح القتيل الّذي لا يدرك بثأره تصير هامةً فتقول: اسقوني، اسقوني فإذا أدرك بثأره طارت، وقيل: كانوا يزعمون أنّ عظام الميّت وقيل روحه تصير هامة ويسمّونه «الصدى» فنفاه الإسلام ونهاهم عنه (انتهى) وقيل: هي البومة إذا سقطت على دار أحدهم رآها ناعية له أو لبعض أهله، وهو بتخفيف الميم على المشهور وقيل بتشديدها.

وقوله «ولا شؤم» هو كالتأكيد لما سبق، قال الجزريّ فيه أيضاً: قال إن كان الشؤم في شيء ففي ثلاث: المرأة، والدار، والفرس. أي إن كان ما يكره ويخاف عاقبته ففي هذه الثلاث، وتخصيصه لها لأنّه لمّا أبطل مذهب العرب في التطيّر بالسوانح والبوارح من الطير والظباء، ونحوهما قال: فإن كانت لأحدكم دار يكره سكناها أو امرأة يكره صحبتها أو فرس يكره ارتباطها فليفارقها، بأن ينتقل عن الدار ويطلّق المرأة، ويبيع الفرس. وقيل: إنّ شوم الدار ضيقها وسوء جارها، وشؤم المرأة أن لا تلد، وشؤم الفرس أن لا يغزى عليها والواو في الشؤم همزة ولكنّها خفّفت فصارت واواً وغلب عليها التخفيف، حتّى لم ينطق بها مهموزة. والشؤم ضدّ اليمن، يقال: تشأمت بالشيء وتيمّنت به (انتهى) وقيل: شؤم المرأة غلاء مهرها وسوء خلقها، وقال الخطّابي من العامّة: هو مستثنى من الطيرة، أي هي منهية إلّا في الثلاثة فليفارقها. وقال الطيبي: ليس هو من باب التطيّر، بل إرشاد بأنّ من يكره واحداً من الثلاثة يفارقها، ولذا جعل منه فرضاً يقول إن يكن الطيرة (انتهى).

وأقول: هذا الأخير أظهر، وورد الخبر في أخبارنا أيضاً كما سيأتي في كتاب النكاح إن شاء الله.

«ولا صفر» قال في النهاية: كانت العرب تزعم أنّ في البطن حيّة يقال له «الصفر» تصيب الإنسان إذا جاع وتؤذيه، وأنّها تعدي، فأبطل الإسلام ذلك وقيل: أراد به النسيء الّذي كانوا يفعلونه في الجاهلية، وهو تأخير المحرّم إلى صفر، ويجعلون صفر هو الشهر الحرام فأبطله (انتهى) وقيل: هو الشهر المعروف، زعموا أنّه تكثر فيه الدواهي والفتن، فنفاه الشارع، ويحتمل أن يكون المراد هنا النهي عن الصفير، بقرينة أنّه عليه‌السلام لم يذكر الجواب عنه وهو بعيد، والظاهر أنّ الراوي ترك جواب الصفير، ويظهر من بعض الأخبار كراهته.

«ولا رضاع بعد [فصال» وفي سائر الروايات «بعد] فطام» أي لا حكم للرضاع بعد الزمان الّذي يجب فيه قطع اللبن عن الولد، أي بعد الحولين فلا ينشر الحرمة. «ولا تعرّب بعد هجرة» أي لا يجوز اللحوق بالأعراب وترك الهجرة بعدها، وعُدّ في كثير من الأخبار من الكبائر. «ولا صمت يوماً إلى الليل» أي لا يجوز التعبّد بصوم الصمت الّذي كان في الأمم السابقة، فإنّه منسوخ في هذا الشرع بدعة. «ولا طلاق قبل نكاح» كأن يقول: إذا تزوّجت فلانة فهي طالق. فلا يتحقّق هذا الطلاق وكذا قوله «لا عتق قبل ملك».

«ولا يُتم بعد إدراك» أي ترتفع أحكام اليُتم من حجره وولاية الوليّ عليه وحرمة أكل ماله بغير إذن وليّه وغيرها بعد بلوغه، وستأتي تفاصيل تلك الأحكام في محالّها إن شاء الله تعالى.

١٠ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه‌السلام قال: قال رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله: كفّارة الطيرة التوكّل(١).

بيان: أي التوكّل على الله يرفع ذنب ما خطر بالبال من التشؤّم بالأشياء الّتي نهي عن التشؤّم بها، أو أنّه يرفع تأثير ذلك كما ترفع الكفّارة تأثير الذنب قال الجزريّ: ومنه الحديث «الطيرة شرك وما منّا [إلّا] ولكنّ الله يذهبه بالتوكّل» هكذا جاء الحديث مقطوعاً ولم يذكر المستثنى، أي إلّا وقد يعتريه التطيّر وتسبق إلى قلبه الكراهة فحذف اختصاراً واعتماداً على فهم السامع، وإنّما جعل الطيرة من الشرك لأنّهم كانوا يعتقدون أنّ التطيّر يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضرّاً إذا عملوا بموجبه، فكأنّهم أشركوه مع الله تعالى في ذلك، وقوله «ولكن الله يذهبه بالتوكّل» معناه [أنّه] إذا خطر له عارض التطيّر فتوكّل على الله تعالى وسلّم إليه ولم يعمل بذلك الخاطر غفره الله تعالى [له] ولم يؤاخذه به.

١١ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن عبد الله بن المغيرة، عن عمرو بن حريث، قال: قال أبو عبد الله عليه‌السلام: الطيرة على ما تجعلها، إن هوّنتها تهوّنت، وإن شدّدتها تشدّدت، وإن لم تجعلها شيئاً لم تكن شيئاً(٢).

١٢ - **ومنه:** عن عليّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبي مالك الحضرميّ، عن حمزة

(١) روضة الكافي، ح ٢٣٦.
(٢) روضة الكافي، ح ٢٣٥.

ابن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاثة لم ينج منها نبيّ فمن دونه: التفكّر في الوسوسة في الخلق، والطيرة، والحسد، إلّا أنّ المؤمن لا يستعمل حسده[1].

١٣ - **الخصال:** عن أبيه، عن أحمد بن إدريس ومحمّد بن يحيى العطّار، جميعاً عن محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعريّ، بإسناده يرفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: ثلاث لم يعرَ منها نبيّ فمن دونه: الطيرة، والحسد، والتفكّر في الوسوسة في الخلق.

قال الصدوق رحمه الله معنى الطيرة في هذا الموضع هو أن يتطيّر منهم قومهم فأمّا هم عليهم السلام فلا يتطيّرون، وذلك كما قال الله عزّ وجلّ عن قوم صالح ﴿قَالُوا اطَّيَّرْنَا بِكَ وَبِمَن مَّعَكَ قَالَ طَائِرُكُمْ عِندَ اللَّهِ﴾ وكما قال آخرون لأنبيائهم ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾ الآية وأمّا الحسد في هذا الموضع هو أن يُحسدوا لا أنّهم يحسدون غيرهم، وذلك كما قال الله عزّ وجلّ ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا﴾، وأمّا التفكّر في الوسوسة في الخلق فهو بلواهم عليهم السلام بأهل الوسوسة لا غير ذلك، وذلك كما حكى الله عن وليد بن المغيرة المخزوميّ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾ يعني قال للقرآن ﴿إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[2].

بيان: ما ذكره الصدوق رحمه الله وجه متين في الخبر الّذي رواه في الخصال، وأمّا سائر الأخبار المرويّة من طرق الخاصّة والعامّة المشتملة على التتمّات فهذا الوجه لا يجري فيها إلّا بتكلّف كثير، والظاهر أنّ المراد بالطيرة فيها انفعال النفس عمّا يتشأّم به، أو تأثيرها واقعاً وحصول مقتضاها، والأوّل في المعصومين عليهم السلام أظهر، بأن يخطر ببالهم الشريفة ثمّ يدفعوا أثرها بالتوكّل، وهذا لا ينافي العصمة، وأمّا الحسد فظاهرها أنّ الحسد المركوز في الخاطر إذا لم يظهره الإنسان لم يكن معصية ولا استبعاد فيه، فإنّه في أكثر الخلق ليس باختياريّ، ويمكن أن يراد به ما يعمّ الغبطة ويكون هذه هي الحاصلة فيهم، وأمّا التفكّر في الوسوسة في الخلق فيحتمل وجهين: **الأوّل**: أن يراد به التفكّر فيما يحصل في نفس الإنسان في خالق الأشياء وكيفيّة خلقها، ومنها ربط الحادث بالقديم، وخلق أعمال العباد، ومسألة القضاء والقدر، والتفكّر في الحكمة في خلق بعض الشرور في العالم، كلّ ذلك من غير استقرار في النفس وحصول شكّ بسببها، كما روى الكلينيّ بإسناده عن محمّد بن حمران قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الوسوسة فقال: لا شيء فيها تقول: لا إله إلّا الله. وبإسناده عن جميل بن درّاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّه يقع في قلبي أمرٌ عظيم! فقال: قل: لا إله إلّا الله، فقال جميل: فكلّما وقع في قلبي شيء قلت لا إله إلّا الله فذهب عنّي وبإسناده عن محمّد ابن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله

---

(١) روضة الكافي، ح ٨٦. (٢) الخصال، ص ٨٩ باب ٣ ح ٢٧.

هلكت! فقال له: أتاك الخبيث فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله، فقال لك: الله من خلقه؟ فقال: إي والّذي بعثك بالحق لكان كذا، فقال رسول الله ﷺ: ذاك والله محض الإيمان. قال ابن أبي عمير: فحدّثت بذلك عبد الرحمن بن الحجّاج فقال: حدّثني أبو عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله ﷺ إنّما عنى بقوله «هذا والله محض الإيمان» خوفه أن يكون قد هلك حيث عرض له ذلك في قلبه[1] وقد روت العامّة في صحاحهم أنّه سئل النبيّ ﷺ عن الوسوسة، فقال: تلك محض الإيمان، وفي رواية أُخرى: يأتي الشيطان أحدكم فيقول: من خلق كذا وكذا؟ حتّى يقول: من خلق ربّك؟ فإذا بلغ ذلك فليستعذ بالله ولينتهِ.

الثاني: أنّ المراد بالخلق المخلوقات، وبالتفكّر فيهم بالوسوسة التفكّر وحديث النفس بعيوبهم وتفتيش أحوالهم، ويؤيّد هذا الوجه ما رواه الجزريّ في النهاية ونقلناه آنفاً.

١٤ - **الخصال:** عن أحمد بن محمّد بن يحيى العطّار، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب ابن يزيد، عن حمّاد بن عيسى، عن حريز بن عبد الله، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: رفع عن أمّتي تسعة: الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، ولا يطيقون، وما اضطرّوا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكّر في الوسوسة في الخلق ما لم ينطق بشفة[2].

الفقيه: عن النبيّ ﷺ مرسلاً مثله. «ج١ ح ١٣١».

بيان: لعلّ قوله ﷺ «ما لم ينطق بشفة» قيد للثلاثة الأخيرة، وقد مرّ شرح الخبر بتمامه في كتاب العدل.

١٥ - **الكافي:** عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد بن خالد، عن بكر بن صالح، عن سليمان الجعفريّ، عن أبي الحسن موسى عليه السلام قال: الشؤم للمسافر في طريقه خمسة أشياء: الغراب الناعق عن يمينه، والناشر لذنبه، والذئب العاوي الّذي يعوي في وجه الرجل، وهو مقع على ذنبه ثمّ يرتفع ثمّ ينخفض ثلاثاً، والظبي السانح عن يمين إلى شمال، والبومة الصارخة، والمرأة الشمطاء تلقي فرجها، والأتان العضباء - يعني الجدعاء - فمن أوجس في نفسه منهنّ شيئاً فليقل: اعتصمت بك يا ربّ من شرّ ما أجد في نفسي فيعصم من ذلك[3].

الخصال: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد مثله إلى قوله «من شرّ ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك»[4].

بيان: «الشؤم للمسافر» أي ما يتشأم به الناس، وربما تؤثّر بتأثير النفس بها، ويدفع ضررها بالتوكّل والدعاء المذكور في الخبر وغيره كما مرّ في الطيرة قوله عليه السلام «خمسة» كذا

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٤٥ باب الوسوسة ح ١-٣. (٢) الخصال، ص ٤١٧ باب ٩ ح ٩.
(٣) روضة الكافي، ح ٤٩٣. (٤) الخصال، ص ٢٧٢ باب ٥ ح ١٤.

في الخصال والمحاسن وأكثر نسخ الفقيه، وفي بعضها «سبعة» وفي بعضها «ستّة» وفي الفقيه «والكلب الناشر» وفي الخصال كالكافي «والناشر» فيكون نوعاً آخر لشؤم الغراب، وفي المحاسن بدون الواو أيضاً فيكون صفة أُخرى للغراب، فقد ظهر أنّ الظاهر على بعض النسخ ستّة، وعلى بعضها سبعة، فالخمسة إمّا من تصحيف النسّاخ، أو مبنيّ على عدّ الثلاثة المصوّتة واحدة، أو عدّ الكلب والذئب واحداً لأنّهما من السباع، والغراب والبوم واحداً لأنّهما من الطير، ويمكن عطف المرأة على بعض النسخ والأتان على بعضها على الخمسة، فيكون إفراد الخمسة لشهرتها بينهم أو لزيادة شؤمها.

قوله عليه السلام «وهو مقع» يقال أقعى الكلب إذا جلس على إسته مفترشاً رجليه وناصباً يديه، والظاهر رجوع ضميري «يرتفع» و«ينخفض» إلى الذئب، ويقال: إنّ هذا دأبه غالباً إذا لقي إنساناً يفعل ذلك لإثارة الغبار في وجهه، وقيل: هما يرجعان إلى صوته أو إلى ذنبه، ولا يخفى بعدهما. قوله عليه السلام «والظبي السانح» قال في النهاية: البارح ضدّ السانح، فالسانح ما مرّ من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك إلى يمينك، والعرب تتيمّن بذلك، لأنّه أمكن للرمي والصيد، والبارح ما مرّ من يمينك إلى يسارك، والعرب تتطيّر به، لأنّه لا يمكنك أن ترميه حتّى تنحرف ونحوه قال الجوهريّ وغيره، فالمراد بالسانح هنا المعنى اللغويّ من قولهم «سنح له» أي عرض له وظهر، وقال الكفعميّ رحمه الله منهم من يتيمّن بالبارح ويتشأّم بالسانح كأهل الحجاز، وأمّا النجديّون فهم على العكس من ذلك.

«والمرأة الشمطاء» قال الجوهريّ: الشمط بياض شعر الرأس يخالط سواده، والرجل أشمط، والمرأة شمطاء. وقوله «تلقي فرجها» الظاهر عندي أنّه كناية عن استقبالها إيّاك ومجيئها من قبل وجهك، فإنّ فرجها من قدّامها. وقال الفاضل أمين الدين الاسترآباديّ رحمه الله الظاهر أنّ المراد من قوله تلقاء فرجها أن تستقبلك بفرج خمارها فتعرف أنّها شمطاء، وقال غيره ممّن لقيته: يحتمل أن يكون المراد افتراشها على الأرض من الإلقاء، أو كناية عن كونها زانية، ويحتمل أن يكون «تتلقّى» فحذفت إحدى التائين، فالمراد مواجهتها لفرجها بأن تكون جالسة بحيث يواجه الشخص فرجها، ولا يخفى بعد تلك الوجوه وركاكتها. والأتان العضباء: المقطوعة الأذن، ولذا فسّرها بالجدعاء لئلّا يتوهّم أنّ المراد المشقوقة الأذن.

قال الجوهريّ: ناقة عضباء أي مشقوقة الأذن. وقال الفيروزآباديّ: العضباء الناقة المشقوقة الأذن، ومن آذان الخيل الّذي جاوز القطع ربعها وقال: الجدع كالمنع قطع الأنف أو الأذن أو اليد أو الشفة.

١٦ - **الدرّ المنثور:** عن ابن عبّاس: قال مطر الناس على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة وضعها الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا، فنزلت هذه الآية: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتّى يبلغ

﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(١)].

١٧ - وعن ابن عبّاس أنّه كان يقرأ «وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون» قال: يعني الأنواء، وما مطر قوم إلّا أصبح بعضهم كافراً، وكانوا يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(٢)].

١٨ - وعن أبي خدرة قال: نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار في غزوة تبوك، ونزلوا الحجر فأمرهم رسول الله ﷺ أن لا يحملوا من مائها شيئاً، ثمّ ارتحل ثمّ نزل منزلاً آخر وليس معهم ماء، فشكوا ذلك إلى النبيّ ﷺ فقام فصلّى ركعتين ثمّ دعا، فأرسل الله سحابة فأمطرت عليهم حتّى استقوا منها، فقال رجل من الأنصار لآخر من قومه يتّهم بالنفاق: ويحك! قد ترى ما دعا النبيّ ﷺ فأمطر الله علينا السماء، فقال: إنّما مطرنا بنوء كذا وكذا فأنزل الله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(٣)].

١٩ - وعن عليّ عليه السلام عن النبيّ ﷺ في قوله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: شكركم، تقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا، وبنجم كذا وكذا[(٤)].

٢٠- وعن أبي عبد الرحمن السلميّ قال: قرأ عليٌّ الواقعة في الفجر فقال: «وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون» فلمّا انصرف قال: إنّي قد عرفت أنّه سيقول قائل: لم قرأها هكذا؟ إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقرؤها كذلك، كانوا إذا أُمطروا قالوا: مطرنا بنوء كذا وكذا، فأنزل الله: وتجعلون شكركم أنّكم إذا مطرتم به تكذّبون[(٥)].

٢١ - وعن قتادة ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ قال: أمّا الحسن فقال: بئس ما أخذ القوم لأنفسهم! لم يرزقوا من كتاب الله إلّا التكذيب. قال: وذكر لنا أنّ الناس أمحلوا على عهد نبيّ الله ﷺ فقالوا: يا نبيّ الله لو استقيت لنا! فقال: عسى قوم إن سقوا أن يقولوا سقينا بنوء كذا وكذا، فاستسقى نبيّ الله ﷺ لهم فمطروا، فقال رجل: إنّه قد كان بقي من الأنواء كذا كذا، فأنزل الله ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾[(٦)].

٢٢ - وعن أبي سعيد الخدريّ قال: قال النبيّ ﷺ: لو أمسك الله المطر عن الناس سبع سنين ثمّ أرسله لأصبحت طائفة كافرين! قالوا: هذه بنوء الدبران[(٧)].

٢٣ - وعن زيد بن خالد الجهنيّ، قال: صلّى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح من الحديبية في أثر سماء فلمّا سلّم أقبل علينا فقال: ألم تسمعوا ما قال ربّكم في هذه الآية؟ ما أنعمت على عبادي نعمة إلّا أصبح فريق منهم بها كافرين، فأمّا من آمن بي وحمدني على سقياي فذلك الّذي آمن بي وكفر بالكوكب، ومن قال: مطرنا بنوء كذا وكذا فذلك الّذي آمن بالكوكب وكفر بي[(٨)].

---

(١) - (٨) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٦٢-١٦٤.

٢٤ - وعن ابن عبّاس أنّ النبيّ ﷺ قال يوماً لأصحابه: هل تدرون ماذا قال ربّكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: إنّه يقول: إنّ الّذين يقولون نستقي بنجم كذا وكذا فقد كفر بالله وآمن بذلك النجم، والّذين يقولون سقانا الله فقد آمن بالله وكفر بذلك النجم(١).

٢٥ - وعن عبد الله بن سخير أنّ سليمان بن عبد الملك دعاه فقال: لو تعلّمت علم النجوم فازددت إلى علمك. فقال: قال رسول الله ﷺ: إنّ أخوف ما أخاف على أمّتي التصديق بالنجوم، والتكذيب بالقدر، وظلم الأمّة(٢).

٢٦ - وعن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: أخاف على أمّتي ثلاثاً: استسقاء بالأنواء، وحيف السلطان، وتكذيباً بالقدر(٣).

٢٧ - وعن معاوية الليثيّ قال: قال رسول الله ﷺ: يكون الناس مجدبين فينزل الله عليهم رزقاً من رزقه فيصبحون مشركين! قيل له: كيف ذاك يا رسول الله قال: يقولون مطرنا بنوء كذا وكذا(٤).

٢٨ - وعن أبي هريرة أنّ رسول الله ﷺ قال: إنّ الله ليصبح القوم بالنعمة أو يمسيهم بها فيصبح بها قوم كافرين، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا(٥).

٢٩ - وعن ابن عبّاس قال: ما مطر قوم إلّا أصبح بعضهم كافراً يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وقرأ ابن عبّاس «وتجعلون شكركم أنّكم تكذّبون»(٦).

---

(١) - (٥) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٦٣-١٦٤.

(٦) الدر المنثور، ج ٦ ص ١٦٤. أقول: روي أنّ النبيّ ﷺ كان يحبّ الفال الصالح والاسم الحسن، ويكره الطيرة بكسر الطاء وفتح الياء وهي التشأم واشتقاق التطيّر من الطير لأنّ أصل الزجر في العرب كان من الطير كصوت الغراب فالحق به غيره. قال الدميري: إنّما أحبّ النبيّ ﷺ الفال لأنّ الانسان إذا أمل فضل الله كان على خير، وإن قطع رجائه من الله كان على شرّ، والطيرة فيها سوء ظنّ وتوقّع للبلاء. وقالوا: يا رسول الله لا يسلم أحد منّا من الطيرة والحسد والظنّ فما نصنع؟ قال: إذا تطيّرت فامض وإذا حسدت فلا تبغ وإذا ظننت فلا تتحقّق. وقال ﷺ أيضاً: كفّارة الطير التوكّل. واعلم! أنّ التطيّر إنّما يضرّ من أشفق منه خاف، وأمّا من لم يبال به ولا يعبأ به فلا يضرّه البتّة، لا سيّما ان قال عند رؤية ما يتطيّر منه أو سماعه ما روي عن النبيّ ﷺ: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك اللهمّ لا يأتي بالحسنات إلا أنت ولا يذهب بالسيّئات إلا أنت ولا حول ولا قوّة إلا بالله العليّ العظيم. وأمّا من كان معتنياً بها فهي أسرع إليه من السيّل إلى منحدره تفتح له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه، ويفتح له الشيطان من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى كالسفر والجلاء من السفرجل واليأس والمين من الياسمين وسوء سنة من السوسنة وأمثال ذلك ما يفسد عليه دينه وينكد عليه معيشته، فليتوكّل الانسان على الله في جميع أموره ولا يتّكل على سواه وليقل ما روي عن أبي الحسن عليه السلام لمن أوجس في نفسه شيئاً: اعتصمت بك يا ربّ من شرّ ما أجد في نفسي فاعصمني من ذلك. [مستدرك السفينة ج ٦ لغة «طير»].

١٣ - باب ما يتعلّق بالنجوم
ويناسب أحكامها من كتاب دانيال عليه السلام وغيره

١ - قصص الراوندي: بإسناده عن الصدوق، عن الحسين بن عليّ الصوفيّ، عن حمزة ابن القاسم العبّاسيّ، عن جعفر بن محمّد بن مالك الفزاريّ، عن محمّد بن الحسين بن زيد الزيّات، عن عمرو بن عثمان الخزّاز، عن عبد الله بن الفضل الهاشميّ، عن الصادق عليه السلام قال: كان في كتاب دانيال عليه السلام أنّه إذا كان أوّل يوم من المحرّم يوم السبت فإنّه يكون الشتاء شديد البرد كثير الريح، يكثر فيه الجليد، وتغلو فيه الحنطة، وتقع فيه الوباء وموت الصبيان، ويكثر الحمّى في تلك السنة، ويقلّ العسل، وتكسر الكمأة، ويسلم الزرع من الآفات، ويصيب بعض الأشجار آفة وبعض الكروم، وتخصب السنة، ويقع بالروم الموتان، ويغزوهم العرب، ويكثر فيهم السبي والغنائم في أيدي العرب، ويكون الغلبة في جميع المواضع للسلطان بمشيّة الله. وإذا كان يوم الأحد أوّل المحرّم فإنّه يكون الشتاء صالحاً، ويكثر المطر، ويصيب بعض الأشجار والزرع آفة، ويكون أوجاع مختلفة وموت شديد، ويقلّ العسل، ويكثر في الهواء الوباء والموتان، ويكون في آخر السنة بعض الغلاء في الطعام، ويكون الغلبة للسلطان في آخره. وإذا كان يوم الإثنين أوّل المحرّم فإنّه يكون الشتاء صالحاً، ويكون في الصيف حرّ شديد، ويكثر المطر في أيّامه، ويكثر البقر والغنم، ويكثر العسل ويرخص الطعام والأسعار في بلدان الجبال ويكثر الفواكه فيها، ويكون موت النساء، وفي آخر السنة يخرج خارجيّ على السلطان بنواحي المشرق، ويصيب بعض فارس غمّ، ويكثر الزكام في أرض الجبل، وإذا كان يوم الثلاثاء أوّل المحرّم فإنّه يكون الشتاء شديد البرد، ويكثر الثلج والجمد بأرض الجبل وناحية المشرق، ويكثر الغنم والعسل، ويصيب بعض الأشجار والكروم آفة، ويكون بناحية المغرب والشام آفة من حدث يحدث في السماء يموت فيه خلق، ويخرج على السلطان خارجيّ قويّ، وتكون الغلبة للسلطان، ويكون في أرض فارس في بعض الغلّات آفة، وتغلو الأسعار بها في آخر السنة. وإذا كان يوم الأربعاء أوّل المحرّم فإنّ الشتاء يكون وسطاً، ويكون المطر في القيظ صالحاً نافعاً مباركاً، وتكثر الثمار والغلّات بالجبال كلّها وناحية جميع المشرق، إلّا أنّه يقع الموت في الرجال في آخر السنة، ويصيب الناس بأرض بابل وبالجبل آفة، ويرخص الأسعار، وتسكن مملكة العرب في تلك السنة، ويكون الغلبة للسلطان.

وإذا كان يوم الخميس أوّل المحرّم فإنّه يكون الشتاء ليّناً، ويكثر القمح والفواكه والعسل بجميع نواحي المشرق، وتكثر الحمّى في أوّل السنة وفي آخرها وبجميع أرض بابل في آخر السنة، ويكون للروم على المسلمين غلبة، ثمّ تظهر العرب عليهم بناحية المغرب. ويقع بأرض السند حروب والظفر لملوك العرب. وإذا كان يوم الجمعة أوّل المحرّم فإنّه يكون

الشتاء بلا برد، ويقلّ المطر والأودية والمياه، وتقلّ الغلّات بناحية الجبال مائة فرسخ في مائة فرسخ، ويكثر الموت في جميع الناس، ويغلو الأسعار بناحية المغرب، ويصيب بعض الأشجار آفة، ويكون للروم على الفرس كرّة شديدة[١].

في علامات كسوف الشمس في الاثني عشر شهراً

إذا انكسفت الشمس في المحرّم فإنّ السنة تكون خصيبة، إلّا أنّه يصيب الناس أوجاع في آخرها وأمراض، ويكون من السلطان ظفر، ويكون زلزلة بعدها سلامة. وإذا انكسفت في صفر فإنّه يكون فزع وجوع في ناحية المغرب، ويكون قتال في المغرب كثير، ثمّ يقع الصلح في الربيع والظفر للسلطان. وإذا انكسفت في ربيع الأوّل فإنّه يكون بين الناس صلح، ويقلّ الاختلاف والظفر للسلطان بالمغرب، ويعزّ البقر والغنم، ويتّسع في آخر السنة، ويقع الوباء في الإبل بالبدو. وإذا انكسفت في شهر ربيع الآخر فإنّه يكون بين الناس اختلاف كثير، ويقتل منهم خلق عظيم، ويخرج خارجيّ على الملك، ويكون فزع وقتال، ويكثر الموت في الناس. وإذا انكسفت في جمادى الأولى فإنّه تكون السعة في جميع الناس بناحية المشرق والمغرب، ويكون للسلطان إلى الرعيّة نظر، ويُحسن السلطان إلى أهل مملكته، ويراعي جانبهم. وإذا انكسفت في جمادى الآخرة فإنّه يموت رجل عظيم بالمغرب، ويقع ببلاد مصر قتال وحروب شديدة، ويكون ببلاد المغرب غلاء في آخر السنة، وإذا انكسفت في رجب فإنّه تعمر الأرض، ويكون أمطار كثيرة بالجبال وبناحية المشرق، ويكون جراد بناحية فارس ولا يضرّهم ذلك. وإذا انكسفت في شعبان يكون سلامة في جميع الناس من السلطان، ويكون للسلطان ظفر على أعدائه بالمغرب، ويقع وباء في الجبال في آخر السنة ويكون عاقبته إلى سلامة. وإذا انكسفت في شهر رمضان كان جملة الناس يطيعون عظيم فارس، ويكون للروم على العرب كرّة شديدة، ثمّ يكون على الروم ويُسبى منهم ويُغنم. وإذا انكسفت في الشوّال فإنّه يكون في أرض الهند والزنج قتال شديد، ويكثر نبات الأرض بالمشرق. وإذا انكسفت في ذي القعدة فإنّه يكون مطر كثير متواتر، ويقع خراب بناحية فارس. وإذا انكسفت في ذي الحجّة فإنّه يكون فيه رياح كثيرة، وينقص الأشجار، ويقع بالأرض من المغرب سبع وخراب في كلّ أرض من ناحية المغرب، وينقص الطعام ويغلو عليهم، ويخرج خارجيّ على الملك ويصيبه منه شدّة، ويقلّ طعام أهل فارس ثمّ يرخص في العام الثاني[٢].

في علامات خسوف القمر طول السنة

إذا انكسف القمر في المحرّم فإنّه يموت في المغرب رجل عظيم، وينتقص الفاكهة بالجبال، ويقع في الناس حكّة، ويكثر الرمد بأرض بابل، ويقع الموت ويغلو أسعارها،

---

(١) - (٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٣٢-٢٣٤.

ويخرج خارجيّ على السلطان والظفر للسلطان، ويقتلهم وإذا انكسف في صفر فإنّه يكون جوع ومرض ببابل وبلادها حتّى يتخوّف على الناس، ثمّ تكون أمطار كثيرة فيحسن نبات الأرض وحال الناس، ويكون بالجبال فاكهة كثيرة. وإذا انكسف في شهر ربيع الأوّل فإنّه يقع بالمغرب قتال، ويصيب الناس يرقان، ويكثر فاكهة البلاد بناحية «ماه» ويقع الدود في البقول بالجبال، ويقع خراب كثير بماه. وإذا انكسف في شهر ربيع الآخر فإنّه يكثر الأنداء بالجبال، ويكثر الخصب والمياه، وتكون السنة مباركة، ويكون للسلطان الظفر بالمغرب، وإذا انكسف في جمادى الأولى فإنّه تهراق دماء كثيرة بالبدو، ويصيب عظيم الشام بليّة شديدة، ويخرج خارجيّ على السلطان والظفر للسلطان. وإذا انكسف في جمادى الآخرة فإنّه تقلّ الأمطار والمياه بنينوى، ويقع فيها جزع شديد وغلاء، ويصيب ملك بابل إلى المغرب بلاء عظيم. وإذا انكسف في رجب فإنّه يكون بالمغرب موت وجوع، ويكون بأرض بابل أمطار، ويكثر وجع الأنف والعين في الأمصار. وإذا انكسف في شعبان فإنّ الملك يقتل أو يموت ويملك ابنه، ويغلو الأسعار، ويكثر جوع الناس. وإذا انكسف في شهر رمضان يكون بالجبل برد شديد وثلج ومطر، وكثرت المياه، ويقع بأرض فارس سباع كثيرة، ويقع بأرض «ماه» موت كثير بالصبيان والنساء. وإذا انكسف في شوّال فإنّ الملك يغلب على أعدائه، ويكون في الناس شرّ وبليّة. وإذا انكسف في ذي القعدة فإنّه تفتح المدائن الشداد، وتظهر الكنوز في بعض الأرضين والجبال. وإذا انكسف في ذي الحجّة فإنّه يموت رجل عظيم بالمغرب، ويدّعي فاجر الملك.

قال الراونديّ رحمه الله وجميع ذلك إن صحّت الروايات عن دانيال النبيّ عليه السلام يجري مجرى الملاحم والحوادث في الدنيا وعلاماتها، وقد قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إذا أراد الله بقوم خيراً أمطرهم بالليل وشمّسهم بالنهار. وقال صلى الله عليه وآله: إذا غضب الله على أمّة ولم ينزل بها العذاب غلت أسعارها، وقصرت أعمارها، ولم تربح تجارتها، ولم تزك ثمارها، ولم تغزر أنهارها، وحبس عنها أمطارها، وسلّط عليها أشرارها. وقال صلى الله عليه وآله: إذا منعت الزكاة هلكت الماشية، وإذا جار الحكّام أمسك القطر من السماء، وإذا خفرت الذمّة نُصر المشركون على المسلمين. وأمثلة ذلك كثيرة والله أعلم بحقيقة ذلك(١).

بيان: قال في القاموس: الجليد ما يسقط على الأرض من الندى فيجمد. وقال: الكمء نبات معروف، والجمع: أكمؤ وكمأة، أو هي اسم للجمع، أو هي للواحد والكمء للجمع، أو هي تكون واحدة وجمعاً. وقال: بلاد الجبل مدن بين آذربيجان وعراق العرب وخوزستان وفارس. وقال: الماه قصبة البلد، والماهان الدينور ونهاوند أحدهما ماهة الكوفة والآخر ماهة البصرة.

أقول: وجدت في بعض الكتب القديمة أخباراً طويلة في الملاحم والأحكام تركتها لعدم

---

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٢٣٥.

الاعتماد على أسانيدها وإن كان مرويّاً بعضها عن الصادق عليه السلام وبعضها عن دانيال عليه السلام.

٢ - **الاختصاص:** اعلم إذا قرنت الزّهرة مع المرّيخ في برج واحد هلك ملك الروم أو يكون بالروم مصيبات عظيمة أو بلايا، وإذا قرنت مع زحل كان في العامّة شدّة وضيق، وإذا قرنت الزهرة المشتري أصاب الناس رخاء من العيش، وإذا قرنت الزهرة عطارد يكون إهراق الدماء وفتح عظيم، وإذا قرن بهرام زحل في برج واحد ملك ملك حديث في أرض ذلك البرج، وإذا اجتمع بهرام والمشتري مات ملك عظيم الشأن، وإذا اجتمع زحل وعطارد وقع في التجّار الخوف والحزن، وكذلك في أهل الأدب. وإذا اجتمع زحل والمشتري في برج واحد تغيّرت الدنيا في سائر الأحوال، ويتغيّر أمور الناس، وتخرج الخوارج من النواحي كلّها، وخاصّة من الجيلان والديلم والأكراد، ويقتلون الناس قتالاً شديداً، ويشتدّ الأمر عليهم من الخوف والحزن، وترتفع السفلة شأنهم، وتغيّر طبائع الناس كلّهم، ويذهب عنهم الحياء والإنسانيّة، ويزيد فيهم كثرة الفساد خاصّة في النساء، وإسقاط الوالدات أولاد الحرام، وإهراق الدماء والقتل والجوع. وإذا اجتمع المشتري والعطارد أصاب الأرض طاعون، ويقع فيما بين الناس العداوة والبغض، وإذا ركب القمر فوق زحل ذهب مُلك ملك، وإذا اجتمع بهرام وعطارد في العقرب فذلك آية قتل ملك بابل، وإذا اجتمع المشتري والزهرة في العقرب فذلك آية فزع ومرض بأرض بابل، وإذا اجتمع الشمس وزحل في العقرب في شولة العقرب فذلك آية اختلاف الروم وقتل ملكهم، وإذا اجتمع المرّيخ وعطارد في شولة العقرب فذلك خراب بيت ملك بابل، وإذا اجتمعت الشمس والقمر في شولة العقرب وبهرام في سرطان فإن استطعت أن تتّخذ سرباً لتدخل فيه فافعل، وإذا اجتمعت الزهرة والمشتري فإنّ النساء يخشين أزواجهنّ عداوة، وإذا نزل كيوان الطرفة أو الدبران وقع الطاعون بالعراق ومات كثير من الناس، وإذا نزل الطرفة على آخره يكون في أرض العراق قتال وفتنة، وإذا نزل النثرة بدّلت أعمال العراق ولقوا بلاء وشدّة، وإذا نزل كيوان الغفر يكون بأرض العراق قتال وفتنة، وإذا نزل كيوان جبهة وقع الموت في البقر والسباع والوحش، وإذا نزل كيوان والمشتري الإكليل والقلب والشولة يقع في المشرق والمغرب طاعون شديد، ويموت من الناس أناس كثير، ويقع الفساد والبلايا في الأرض كلّها، ويكون بلايا عليهم كلّها في الناس، ويقتل الملوك والعلماء وترتفع سفلة من الناس.

واعلم أنّ مع الشمس كواكب لها أذناب بعضها فوق بعض نفر فإذا بدا كوكب منها في برج من البروج وقع في أرض ذلك البرج شرّ وبلاء وفتنة وخلع الملوك، وإذا رأيت كوكباً أحمر لا تعرفه وليس على مجاري النجوم ينتقل في السماء من مكان إلى مكان يشبه العمود وليس به فإنّ ذلك آية الحرب والبلايا وقتل العظماء وكثرة الشرور والهموم والآشوب في الناس[١].

(١) الإختصاص، ص ١٦٠.

أقول: وكان في أصل الكتاب هكذا: قوبل ونسخ من خطّ ابن الحسن بن شاذان رحمه الله.

بيان: لمّا ذكر الشيخ المفيد رحمه الله هذه الأحكام في الاختصاص أوردته ولم يستنده إلى رواية، وأخذه من كتب أصحاب علم النجوم بعيد.

أبواب الأزمنة وأنواعها وسعادتها ونحوستها وسائر أحوالها

١٤ - باب السنين والشهور وأنواعهما والفصول وأحوالها

الآيات: التوبة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّمَا ٱلنَّسِىٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَٰلِهِمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾﴾.

تفسير: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ﴾ قال الرازيّ: اعلم أنّ السنة عند العرب عبارة عن اثني عشر شهراً من الشهور القمريّة، والدليل عليه هذه الآية، وأيضاً قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ﴾ فجعل تقدير القمر بالمنازل علّة للسنين، وذلك إنّما يصحّ إذا كانت السنة معلّقة بسير القمر، وأيضاً قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ وعند سائر الطوائف عن المدّة الّتي تدور الشمس فيها دورة تامّة. والسنة القمريّة أقلّ من الشمسيّة بمقدار معلوم، وبسبب ذلك النقصان تنتقل الشهور القمريّة من فصل إلى فصل، فيكون الحجّ واقعاً في الشتاء مرّة وفي الصيف أخرى، وكان يشقّ عليهم الأمر بهذا السبب، وأيضاً إذا حضروا الحجّ حضروا للتجارة، وربّما كان ذلك الوقت غير موافق لحضور التجّار من الأطراف، وكان يخلّ بأسباب تجاراتهم بهذا السبب، فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة على ما هو معلوم في علم الزيجات، واعتبروا السنة الشمسيّة وعند ذلك بقي زمان الحجّ مختصّاً بوقت معين، فهو أخفّ لمصلحتهم، وانتفعوا بتجاراتهم ومصالحهم، فهذا النسيء وإن صار سبباً لحصول المصالح الدنيويّة إلّا أنّه لزم منه تغيّر حكم الله تعالى، لأنّه لمّا خصّ الحجّ بأشهر معلومة على التعيين وكان بسبب النسيء يقع في سائر الشهور فتغيّر حكم الله لتكليفه. والحاصل أنّهم لرعاية مصالحهم في الدنيا سعوا في تغيير أحكام الله وإبطال تكليفه، فلهذا استوجبوا الذمّ العظيم في هذه الآية(١).

قال النيسابوريّ: قال المفسّرون: إنّهم كانوا أصحاب حروب وغارات وكان يشقّ عليهم

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٦ ص ٥٠.

مكث ثلاثة أشهر متوالية من غير قتل وغارة، فإذا اتّفق لهم في شهر منها أو في المحرّم حرب أو غارة أخّروا تحريم ذلك الشهر إلى شهر آخر. قال الواحديّ: وأكثر العلماء على أنّ هذا التأخير كان من المحرّم إلى صفر، ويروى أنّه حدث ذلك في كنانة، لأنّهم كانوا فقراء محاويج إلى الغارة، وكان جنادة بن عوف الكنانيّ مطاعاً في قومه، وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول بأعلى صوته: إنّ آلهتكم قد أحلّت لكم المحرّم فأحلّوا! ثمّ يقوم في القابل فيقول: إنّ آلهتكم قد حرّمت عليكم المحرّم فحرّموه! والأكثرون على أنّهم كانوا يحرّمون من جملة شهور العام أربعة أشهر، وذلك قوله ﴿لِيُوَاطِـُٔوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾[1] أي ليوافقوا العدّة الّتي هي الأربعة ولا يخالفوا، ولم يعلموا أنّهم خالفوا ترك القتال ووجوب التخصيص، وذلك قوله تعالى: ﴿فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي من القتال وترك الاختصاص.

قال ابن عبّاس: إنّهم ما أحلّوا شهراً من الأشهر الحرم إلّا حرّموا مكانه شهراً آخر من الحلال ولم يحرّموا شهراً من الحلال إلّا أحلّوا مكانه شهراً آخر من الحرام، لأجل أن تكون عدّة الحرام أربعةً مطابقة لما ذكره الله تعالى. وللآية تفسير آخر وهو أن يكون المراد بالنسيء كبس بعض السنين القمريّة بشهر، حتّى يلتحق بالسنة الشمسيّة، وذلك أنّ السنة القمريّة أعني اثني عشر شهراً قمريّاً هي ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم على ما عرف من علم النجوم وعمل الزيجات، والسنة الشمسيّة وهي عبارة عن عود الشمس من أيّة نقطة تفرض من الفلك إليها بحركتها الخاصّة ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وربع يوم إلّا كسراً قليلاً، فالسنة القمريّة أقلّ من السنة الشمسيّة بعشرة أيّام وإحدى وعشرين ساعة وخمس ساعة تقريباً، وبسبب هذا النقصان تنتقل الشهور القمريّة من فصل إلى فصل، فيكون الحجّ واقعاً في الشتاء مرّة وفي الصيف أُخرى، وكذا في الربيع والخريف، وكان يشقّ الأمر عليهم، إذ ربّما كان وقت الحج غير موافق لحضور التجّار من الأطراف، فكانت تختلّ أسباب تجاراتهم ومعايشهم، فلهذا السبب أقدموا على عمل الكبيسة بحيث يقع الحجّ دائماً عند اعتدال الهواء وإدراك الثمرات والغلّات، وذلك بقرب حلول الشمس نقطة الاعتدال الخريفيّ، فكبسوا تسع عشرة سنة قمريّة بسبعة أشهر قمريّة حتّى صارت تسع عشرة سنة شمسيّة فزادوا في السنة الثانية شهراً ثمّ في الخامسة، ثمّ في السابعة، ثمّ في العاشرة، ثمّ في الثالثة عشر، ثمّ في السادسة عشر، ثمّ في الثامنة عشر، وقد تعلّموا هذه الصنعة من اليهود والنصارى، فإنّهم يفعلون هكذا لأجل أعيادهم، فالشهر الزائد هو الكبيس، وسمّي بالنسيء، لأنّه المؤخّر، والزائد مؤخّر عن مكانه، وهذا التفسير يطابق ما روي أنّه ﷺ خطب في حجّة الوداع، وكان في جملة ما خطب به: ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض، السنة اثنى عشر شهراً منها أربعة حرم، ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجّة،

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٧.

والمحرّم، ورجب مُضَر بين جمادى وشعبان. والمعنى: رجعت الأشهر إلى ما كانت عليه، وعاد الحجّ في ذي الحجّة، وبطل النسيء الّذي كان في الجاهلية، وقد وافقت حجّة الوداع ذا الحجّة في نفس الأمر، وكانت حجّة أبي بكر قبلها في ذي القعدة الّتي سمّوها ذا الحجّة. وإنّما لزم العتب عليهم في هذا التفسير لأنّهم إذا حكموا على بعض السنين بأنّها ثلاثة عشر شهراً كان مخالفاً لحكم الله بأنّ عدّة الشهور اثنا عشر شهراً، أي لا أزيد ولا أنقص، وإليه الإشارة بقوله ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ على هذا التفسير، ويلزمهم أيضاً ما لزمهم في التفسير الأوّل من تغيير أشهر الحرم عن أماكنها، فتكون الإشارة إلى المجموع (انتهى).

وقال الطبرسيّ رحمه الله ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ﴾ أي عدد شهور السنة في حكم الله وتقديره ﴿ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وإنّما تعبّد الله المسلمين أن يجعلوا سنتهم على اثني عشر شهراً ليوافق ذلك عدد الأهلّة ومنازل القمر، دون ما دان به أهل الكتاب. والشهر مأخوذ من شهرة الأمر لحاجة الناس إليه في معاملاتهم ومحلّ ديونهم وحجّهم وصومهم وغير ذلك من مصالحهم المتعلّقة بالشهور، وقوله ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ معناه ما كتب الله في اللوح المحفوظ، وفي الكتب المنزلة على أنبيائه. وقيل: في القرآن، وقيل: في حكمه وقضائه، عن أبي مسلم. وقوله ﴿يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ متّصل بقوله ﴿عِندَ ٱللَّهِ﴾ والعامل فيها الاستقرار، وإنّما قال ذلك لأنّه يوم خلق السماوات والأرض أجرى فيها الشمس والقمر، وبمسيرهما تكون الشهور والأيّام، وبهما تعرف الشهور ﴿مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ ثلاثة منها سرد: ذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم، وواحد فرد وهو رجب، ومعنى «حرم» أنّه يحرم انتهاك المحارم فيها أكثر ممّا يحرم في غيرها، وكانت العرب تعظّمها حتّى لو أنّ رجلاً لقي قاتل أبيه فيها لم يهجه لحرمتها، وإنّما جعل الله بعض هذه الشهور أعظم حرمة من بعض لما علم من المصلحة في الكفّ عن الظلم فيها، لعظم منزلتها، ولأنّه ربّما أدّى ذلك إلى ترك الظلم أصلاً لانطفاء النائرة وانكسار الحميّة في تلك المدّة فإنّ الأشياء تجرّ إلى أشكالها.

وشهور السنة: المحرّم، سمّي بذلك لتحريم القتال فيه، وصفر، سمّي بذلك لأنّ مكّة تصفر من الناس فيه أي تخلو، وقيل لأنّه وقع وباء فيه فاصفرّت وجوههم، وقال أبو عبيد: سمّي بذلك لأنّه صفرت فيه أوطابهم عن اللبن، وشهرا ربيع سمّيا بذلك لإنبات الأرض وإمراعها فيهما، وقيل: لارتباع القوم أي إقامتهم والجماديان، سمّيتا بذلك لجمود الماء فيهما، ورجب سمّي بذلك لأنّهم كانوا يرجبونه ويعظّمونه، يقال: رجبته ورجّبته - بالتخفيف والتشديد - وقيل: سمّي بذلك لترك القتال فيه، من قولهم «رجل أرجب» إذا كان أقطع لا يمكنه العمل وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ في الجنّة نهراً يقال له «رجب» ماؤه أشدّ بياضاً من الثلج وأحلى من العسل، من صام يوماً من رجب شرب منه، وشعبان سمّي بذلك لتشعّب القبائل فيه، عن أبي عمرو، وروى زياد بن ميمون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّما سمّي شعبان لأنّه يشعب فيه خير كثير لرمضان، وشهر رمضان سمّي بذلك لأنّه يرمض الذنوب،

وقيل: سمّي بذلك لشدّة الحرّ، وقيل: إنّ رمضان من أسماء الله تعالى، وشوّال، سمّي بذلك لأنّ القبائل كانت تشول فيه أي تبرح عن أمكنتها، وقيل: لشولان الناقة أذنابها فيه، وذو القعدة سمّي بذلك لقعودهم فيه عن القتال، وذو الحجّة، لقضاء الحجّ فيه.

﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ أي ذلك الحساب المستقيم الصحيح، لا ما كانت العرب تفعله من النسيء، وقيل: معناه ذلك الحساب المستقيم الحقّ، وقيل: معناه ذلك الدين تعبد به، فهو اللازم ﴿فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ﴾ أي في هذه الأشهر كلّها عن ابن عبّاس. وقيل: في هذه الأشهر الحرم ﴿أَنفُسَكُمْ﴾ بترك أوامر الله وارتكاب نواهيه، وإذا عاد الضمير إلى جميع الشهور فإنّه يكون نهياً عن الظلم في جميع العمر وإذا عاد إلى الأشهر الحرم ففائدة التخصيص أنّ الطاعة فيها أعظم ثواباً، والمعصية أعظم عقاباً، وذلك حكم الله في جميع الأوقات الشريفة، والبقاع المقدّسة (انتهى)[١].

أقول: ويحتمل أن يكون المراد: فلا تظلموا أنفسكم في أمرهنّ بهتك حرمتهنّ. وقال الطبرسيّ رحمه الله قال مجاهد: كان المشركون يحجّون في كلّ شهر عامين، فحجّوا في ذي الحجّة عامين، ثمّ حجّوا في المحرّم عامين، ثمّ حجّوا في صفر عامين، وكذلك في الشهور، حتّى وافقت الحجّة الّتي قبل حجّة الوداع في ذي القعدة، ثمّ حج النبيّ ﷺ في العام القابل حجّة الوداع، فوافقت ذا الحجّة فلذلك قال النبيّ ﷺ في خطبته: ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض (الخبر) أراد ﷺ بذلك أنّ الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها، وعاد الحجّ إلى ذي الحجّة، وبطل النسيء[٢].

﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال البيضاويّ: أي ضلالاً زائداً، وقرأ حمزة والكسائيّ وحفص ﴿يُضَلُّ﴾ على البناء للمفعول ﴿يُحِلُّونَهُۥ عَامًا﴾ أي يحلّون النسيء من الأشهر الحرم سنة، ويحرّمون مكانه شهراً آخر ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا﴾ فيتركونه على حرمته ﴿لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ أي ليوافقوا عدّة الأربعة المحرّمة، واللّام متعلّقة بيحرّمونه أو بما دلّ عليه مجموع الفعلين ﴿فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ﴾ بمواطأة العدّة وحدها من غير مراعاة الوقت (انتهى)[٣].

وأقول: لمّا كانت معرفة الأخبار المذكورة في هذا الباب وغيره متوقّفة على معرفة الشهور والسنين ومصطلحاتهما قدّمنا شيئاً من ذلك فنقول: لمّا احتاجوا في تقدير الحوادث إلى تركيب الأيّام، وكان أشهر الأجرام السماويّة الشمس ثمّ القمر، وكان دورة كلّ منهما إنّما تحصل في أيّام متعدّدة، كانا متعيّنين بالطبع لاعتبار التركيب، فصار القمر أصلاً في الشهر والشمس أصلاً في السنة. ثمّ إنّ الظاهر من حال القمر ليس دورة في نفسه، بل باعتبار

(١) مجمع البيان، ج ٥ ص ٤٩.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ٥١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٨٢.

تشكّلاته النوريّة، فلذلك كان الشهر مأخوذاً منها، وهي إنّما تكون بحسب أوضاعه مع الشمس، ويتمّ دوره إذا صار فضل حركة القمر على حركة الشمس الحقيقيّين دوراً، والعلم به متعذّر، لأنّهما إذا اجتمعا مثلاً بمقوّميهما وعاد القمر بمقوّمه إلى موضع الاجتماع فقد سارت الشمس قوساً، فإذا قطع القمر تلك القوس فقد سارت قوساً أُخرى، ومع تعذّره مختلف لاختلاف حركتيهما بمقوّميهما، فلا يكون ذلك الفضل أمراً منضبطاً فمستعملو الشهر القمريّ من أهل الظاهر منهم من يأخذونه من يوم الاجتماع إلى يومه وهم اليهود والترك، ومنهم من ليلة رؤية الهلال إلى ليلتها وهم المسلمون أو من تشكّل آخر إلى مثله بحسب ما يصطلحون عليه، واعتبار الاستهلال أولى، لأنّه أبين أوضاعه من الشمس وأقربها إلى الإدراك، مع أنّ القمر في هذا الموضع كالموجود بعد العدم، والمولود الخارج من الظلم. لكن لمّا لم يكن لرؤية الأهلّة حدّ لا يتعدّاه لاختلافها باختلاف المساكن وحدّة الأبصار إلى غير ذلك لم يلتفت إليها إلّا في الأحكام الشرعيّة المبتنية على الأمور الظاهرة، ومستعملوه من أهل الحساب يأخذون الدور من الفضل بين الحركتين الوسطيّتين، فيجدونه في تسعة وعشرين يوماً ونصف يوم ودقيقة واحدة وخمسين ثانية إذا جزئ يوماً بليلته بستّين دقيقة، وكلّ دقيقة بستّين ثانية، وهذا هو الشهر القمريّ الاصطلاحي المبنيّ على اعتبار سير الوسط في السيرين، وإذا ضرب عدد أيّامه في «اثني عشر» عدد أشهر السنة خرج أيّام السنة القمريّة الاصطلاحيّة، وهو ثلاثمائة وأربع وخمسون يوماً وخمس وسدس يوم، وهي ناقصة عن أيّام السنة الشمسيّة بعشرة أيّام وعشرين ساعة ونصف ساعة مستوية بالتقريب، فيأخذون لشهر ثلاثين يوماً ولشهر آخر تسعة وعشرين يوماً، وذلك لأنّهم اصطلحوا على أخذ الكسر الزائد على النصف صحيحاً، فأخذوا المحرّم الّذي هو أوّل شهور السنة القمريّة ثلاثين يوماً لكون الكسر أزيد من النصف فصار صفر تسعة وعشرين لذهاب النصف عنه بما احتسب في المحرّم، فلم يبق إلّا ضعف فضل الكسر الزائد على النصف أعني ثلاث دقائق وأربعين ثانية وهو غير ملتفت إليه لقصوره عن النصف، وصار أوّل الربيعين ثلاثين يوماً وثانيهما تسعة وعشرين، وعلى هذا الترتيب إلى آخر السنة، فصار ذو الحجّة تسعة وعشرين [يوماً] وخمس وسدس يوم وهما اثنتان وعشرون دقيقة، لأنّها الحاصلة من ضرب ما زاد في الكسر على النصف وهو دقيقة واحدة وخمسون ثانية في «اثني عشر» عدد الشهور، وإذا فعل بشهور السنة مثل ما فعل بشهور الأولى اجتمع لذي الحجّة في الثانية مثل ما مرّ، فيصير الجميع أربعاً وأربعين دقيقة، وهو زائد على النصف فيؤخذ ذو الحجّة في السنة الثانية ثلاثين يوماً، ويذهب في السنة الثالثة من الكسر اللازم بعد كلّ سنة ستّ عشرة دقيقة بما اعتبر في السنة السابقة وتبقى ستّ دقائق، فتنضمّ إلى الكسر اللازم من السنة الرابعة فيصير المجموع ثماني وعشرين دقيقة، وهو أقلّ من النصف، فإذا انضمّ إلى كسر السنة الخامسة صار مجموعهما خمسين

دقيقة، وهو أكثر من النصف فيجعل ذو الحجّة في هذه السنة ثلاثين يوماً ويذهب من الكسر اللازم في السنة السادسة، عشر دقائق، وتبقى اثنتا عشرة دقيقة، فينضمّ إلى كسر السنة السابعة ويصير المجموع أربعاً وثلاثين دقيقة، فيؤخذ ذو الحجّة فيها ثلاثين يوماً، وعلى هذا القياس يؤخذ ذو الحجّة ثلاثين يوماً في السنة العاشرة، والثالثة عشرة، والسادسة عشرة، والثامنة عشرة، والحادية والعشرين، والرابعة والعشرين، والسادسة والعشرين، والتاسعة والعشرين، ومن لم يعتبر في اعتبار الكسر مجاوزة النصف بل يكتفي بالوصول إليه يجعل ذا الحجّة في السنة الخامسة عشرة ثلاثين يوماً بدل السادسة عشرة، وعلى التقديرين إذا أخذ ذو الحجّة في السنة التاسع والعشرين ثلاثين يوماً بقي عليهم لتمام يوم اثنتان وعشرون دقيقة، فينجبر بالكسر اللازم في السنة الثلاثين، ويتمّ عدد أيّام الشهور بلا كسر في كلّ ثلاثين سنة، ثمّ يستأنف والسبب في ذلك أنّ الكسر اللازم في سنة واحدة اثنتان وعشرون دقيقة كما مرّ ونسبته إلى «ستّين» بالخمس والسدس، وهما إنّما يصحان من «ثلاثين» فثلاثون خمس يوم ستّة أيّام، وثلاثون سدس يوم خمسة أيّام، والمجموع أحد عشر يوماً وتسمّى هذه الأيّام «كبائس» فسنّوا الكبس على ترتيب «بهزيجهح كادوط» أو «بهزيجوح كادوط» على القولين المتقدّمين. هذا هو المشهور في الكبس. وذكر شرّاح التذكرة نوعين آخرين من الكبس: الأوّل: ما يفعله اليهود والترك فإنّهم كانوا يردّون السنين القمريّة إلى السنين الشمسيّة بكبس القمريّة في كلّ سنة أو ثلاث بشهر. والثاني: ما تفعله العرب في الجاهليّة من النسيء وهو أنّهم كانوا يستعملون شهور الأهلّة، وكانوا حجّهم الواقع في عاشر ذي الحجّة كما رسمه إبراهيم عليه السلام دائراً في الفصول كما في زماننا هذا، فأرادوا وقوعه دائماً في زمان إدراك الغلّات والفواكه واعتدال الهواء، أعني أوائل الخريف، ليسهل عليهم السفر وقضاء المناسك، فكان يقوم في الموسم عند اجتماع العرب خطيب يحمد الله ويثني عليه ويقول: إنّي أزيد لكم في هذه السنة شهراً، وهكذا أفعل في كلّ ثلاث سنين حتّى يأتي حجّكم في وقت يسهل فيه مسافرتكم. فيوافقونه على ذلك، فكان يجعل المحرّم كبساً ويؤخّر اسمه إلى صفر، واسم صفر إلى ربيع الأوّل، وهكذا إلى آخر السنة، فكان يقع الحجّ في السنة القابلة في عاشر محرّم، وهو ذو الحجّة عندهم، لأنّهم لمّا سمّوا صفر بالمحرّم وجعلوه أوّل السنة صار المحرّم الآتي ذا الحجّة وآخر السنة، ويقع في السنة محرّمان: أحدهما رأس السنة، والآخر النسيء، ويصير شهورها ثلاثة عشر، وعلى هذا يبقى الحجّ في المحرّم ثلاث سنين متوالية، ثمّ ينتقل إلى صفر، ويبقى فيه كذلك إلى آخر الأشهر، ففي كلّ ستّ وثلاثين سنة قمريّة تكون كبيستهم اثنا عشر شهراً قمريّاً. وقيل: كانوا يكبسون أربعاً وعشرين سنة باثني عشر شهراً، وهذا هو الكبس المشهور في الجاهليّة، وإن كان الأوّل أقرب إلى مرادهم. وبالجملة إذا انقضى سنتان أو ثلاث وانتهت النوبة إلى الكبيس قام فيهم خطيب وقال: إنّما جعلنا اسم

الشهر الفلانيّ من السنة الداخلة للذي بعده. وحيث كانوا يزيدون النسيء على جميع الشهور بالنوبة حتّى يكون لهم في سنة محرّمان وفي أخرى صفران، فإذا اتّفق أن يتكرّر في السنة شهر من الأربعة الحرم تبأهم الخطيب بتكريره، وحرّم عليهم واحداً منهما بحسب ما تقتضيه مصلحتهم. ولمّا انتهى النوبة في أيّام النبيّ ﷺ إلى ذي الحجّة وتمّ دور النسيء على الشهور كلّها حجّ في السنة العاشرة من الهجرة بوقوع الحجّ فيها في عاشر ذي الحجّة، وقال: ألا إنّ الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرض. يعني به رجوع الحجّ وأسماء الشهور إلى الوضع الأوّل، ثمّ تلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ إلى آخر الآية (انتهى).

وأمّا السنة الشمسيّة فمأخوذة من عود الشمس إلى موضعها من فلك البروج، المقتضي لعود حال السنة بحسب الفصول، ويحصل ذلك في ثلاث مائة وخمسة وستّين يوماً وربع يوم إلّا كسراً، كما ذكره في التذكرة، والكسر عند بطلميوس جزء واحد من ثلاث مائة جزء من يوم، ويتمّ في أيّام السنة المذكورة من الشهور القمريّة الوسطيّة اثني عشر شهراً وأحد عشر يوماً إلّا سبع دقائق واثنتي عشرة ثانية، وهذه المدّة أعني اثني عشر شهراً قمريّاً وسطيّاً تسمّى سنة قمريّة اصطلاحيّة. ومستعملو السنة الشمسيّة لهم طرق: **الأولى**: طريقة قدماء المنجّمين فإنّهم يأخذون السنة من يوم تحلّ الشمس فيه نقطة بعينها كالاعتدال الربيعيّ إلى مثل ذلك اليوم ويأخذون شهورها من الأيّام الّتي تحلّ فيها أمثال تلك النقطة من البروج فإن كانت النقطة الّتي هي مبدأ السنة الموافق لمبدأ الشهر الأوّل أوّل برج كأوّل الحمل كانت أمثالها أوائل البروج الباقية، وإن كانت عاشرة برج مثلاً كانت أمثالها عواشر البروج. **الثانية**: [طريقة] الفرس القديم وليس فيها كسور وكبائس، وسنتهم ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً، وشهورهم ثلاثون ثلاثون، ويزيدون الخمسة في آخرها ويسمّونها «الخمسة المسترقة» وهذه أسماء شهورهم: فروردينماه، أردي بهشت ماه، خرداد ماه، تيرماه، مرداد ماه، شهريور ماه، مهر ماه، أبان ماه، آذر ماه، دي ماه، بهمن ماه، اسفندارمذ ماه، وكان في العهد القديم لهذا التاريخ كبيسة، وأنّهم كانوا يجمعون الأرباع الزائدة، ويؤخّرونها إلى عشرين ومائة سنة، وكانوا يزيدون لذلك شهراً في سنة الإحدى والعشرين والمائة، فتصير هذه السنة ثلاثة عشر شهراً، ولهم في ذلك تفصيل من دور الكبس وغير ذلك أعرضنا عن ذكرها وكان مبدأ هذا التاريخ من زمان جمشيد أو كيومرث، واستمرّ إلى زمان يزدجرد فلمّا انتهى ملكهم تركوا الكبس. وكان بعض المنجّمين يزيدون الخمسة المسترقة بعد أبان ماه، وبعضهم بعد إسفندارمذ ماه، ففي كلّ أربع سنين أو خمس سنين تتقدّم هذه السنة على السنة الشمسيّة بيوم **الثالثة**: التاريخ الملكيّ وهو منسوب إلى السلطان جلال الدين ملك شاه، والسبب في وضعه أنّه اجتمع في حضرته ثمانية من الحكماء منهم الخيّام، فوضعوا تاريخ مبدؤه نزول الشمس أوّل الحمل، وأوّل السنة يوم تكون الشمس في نصف نهاره في الحمل سمّوه بالنيروز

السلطانيّ، فسنوه شمسيّة حقيقيّة، وكذا شهوره إذا اعتبرت بحلول الشمس في أوائل البروج كما فعله بعض المنجّمين، وإذا أخذت ثلاثين ثلاثين وألحقت الكسر بآخر السنة وكبس الكسر في كلّ أربع سنين أو خمس بيوم ليوافق أوّل السنة دائماً نزول الشمس الحمل كما فعله أكثر المنجّمين كانت اصطلاحيّة، وأسماء شهورها أسماء شهور الفرس القديم المتقدّم، وعليه بناء التقاويم الآن الرابعة: التاريخ الرومي، مبدؤه بعد اثنتي عشرة سنة شمسيّة من وفاة الإسكندر بن فيلقوس الروميّ، وسنوه شمسيّة اصطلاحيّة، هي ثلاثمائة وخمسة وستّون يوماً وربع تامّ، وكذا شهورهم اصطلاحيّة شمسيّة، وأسماء شهورهم وعددها هكذا: تشرين الأوّل «لا» تشرين الآخر «ل» كانون الأوّل «لا» كانون الآخر «لا» شباط «كح» آذار «لا» نيسان «ل» أيّار «لا» حزيران «ل» تموز «لا» آب «لا» أيلول «ل» ومستعملو هذا التاريخ يعدّون أربعة منها ثلاثين، وهي: تشرين الآخر، ونيسان، وحزيران، وأيلول، والسبعة البقيّة غير شباط أحداً وثلاثين، وشباط في ثلاث سنين متوالية ثمانية وعشرين، وفي الرابعة وهي سنة الكبيسة تسعة وعشرين فالسنة عندهم ثلاثمائة وخمسة وستّون وربع كامل، مع أنّ السنة الشمسيّة أقلّ من ذلك عندهم لكسر في الربع كما عرفت، ووجدوا الكسر مختلفاً في أرصادهم، ففي رصد التباني ثلاثة عشرة دقيقة وثلاثة أخماس دقيقة، وفي رصد المغربيّ اثنتا عشرة دقيقة، وعلى رصد مراغة إحدى عشرة دقيقة، وعلى رصد بعض المتأخّرين تسع دقائق وثلاثة أخماس دقيقة، وعلى رصد بطلميوس أربع دقائق وأربعة أخماس دقيقة. والفرس من زمان جمشيد أو قبله والروم من عهد إسكندر أو بعده كانوا يعتبرون الكسر ربعاً تامّاً موافقاً لرصد «أبرخس» فالشهور الروميّة مبنيّة على هذا الاعتبار وهذا الرصد، وعلى ما وجده سائر أصحاب الأرصاد فلا يوافق هذه السنة الشمسيّة. وبمرور الأزمان تدور شهورها في الفصول. وقال بعضهم: في كلّ ثلاثين سنة تقريباً تتأخّر سنتهم عن مبدأ السنة الشمسيّة بيوم، وأوّل سنتهم وهو تشرين الأوّل في هذه الأزمان يوافق تاسع عشر الميزان، وأوّل نيسان في الدرجة الثالثة والعشرين من الحمل.

واعلم أنّ كثيراً من الأمور الشرعيّة منوطة بهذه الشهور، من الأحوال والأعمال والآداب، كالمطر في نيسان وآدابه، ولا يعلم أنّ الشارع بناه على الفصول أو على الشهور، ولعلّ الأوّل أظهر فيشكل اعتبار الشهور في تلك الأزمان، إذ لعلّهم أرادوا تعيين أوقات الفصول فعيّنوها بهذه الشهور لموافقتها لتلك الأوقات في تلك الأزمان لكن في بعض الأعمال الّتي في وقتها اتّساع يمكن رعاية الاحتياط بحسب التفاوت بين الزّمانين وإيقاعها في الوقت المشترك، وما لم يكن فيه اتّساع بعملها في اليومين معاً.

ثمّ إنّ انقسام السنة الشمسيّة عند الروم إلى هذه الشهور الاثني عشر الّتي بعضها ثمانية وعشرون وبعضها ثلاثون وبعضها أحد وثلاثون إنّما هو محض اصطلاح منهم، لم يذكر أحد من المحصّلين له وجهاً أو نكتة، وما توهّم بعض المشاهير من أنّه مبنيّ على اختلاف مدّة قطع

الشمس كلّاً من البروج الاثني عشر ظاهر البطلان، فإنّ الحمل والثور عندهم أحد وثلاثون، والجوزاء اثنان وثلاثون، والسرطان والأسد والسنبلة أحد وثلاثون، والميزان والعقرب ثلاثون، والقوس والجدي تسعة وعشرون، والدلو والحوت ثلاثون، وظاهر أنّ الأمر في الشهور الروميّة ليس على طبقها، كيف وكانون الأوّل الّذي اعتبروه أحداً وثلاثين هو بين القوس والجدي، وكلّ منهما تسعة وعشرون.

ثمّ اعلم أنّ التاريخ تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع كملّة أو دولة، أو حدث فيه أمر هائل كطوفان أو زلزلة أو حرب عظيم، لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث ولضبط ما يجب تعيين وقته في مستقبل الزمان، وقد مرّت الإشارة إلى تاريخ الروم والفرس، والشائع المستعمل في زماننا تاريخ الهجرة، وسبب وضعه على ما نقل أنّه دفع إلى عمر صكّ محلّه شعبان، فقال: أيّ شعبان هو؟ هذا الّذي نحن فيه أو الّذي يأتينا؟ أو أنّ أبا موسى كتب إليه أنّه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف كيف نعمل فيها، قد قرأنا صكّاً محلّه شعبان فما ندري أيّ الشعبانين هو؟ الماضي أو الآتي؟ فجمع الصحابة واستشارهم فيما يضبط به الأوقات، فقال له الهرمزان ملك الأهواز - وقد أسلم على يديه حين أسر وحمل إليه -: إنّ للعجم حساباً يسمّونه «ماه روز»، وأسنده إلى من غلب عليهم من الأكاسرة، وبيّن كيفيّة استعماله، فعرّبوا «ماه روز» بمؤرّخ، وجعلوا مصدره التأريخ، فقال ابن الخطّاب: ضعوا للناس تأريخاً نضبط به أوقاتهم. فقال بعض الحاضرين من مسلمي اليهود: لنا حساب مثله نسنده إلى إسكندر، فما ارتضاه الصحابة، واتفقوا على أن يجعل مبدؤه هجرة النبيّ ﷺ، إذ بها ظهرت دولة الإسلام، وكانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل، وأوّل هذه السنة أعني المحرّم كان يوم الخميس بحسب الأمر الأوسط، وعلى قول أهل الحديث، ويوم الجمعة بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات، فعمل عليه في أكثر الأزياج إلّا زيج المعتبر فإنّه عمل على يوم الخميس، وكان اتّفاقهم على ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة ومبادئ شهور تلك السنة على الرؤية وقد تكون تامّة وأكثر المتوالية منها أربعة، وقد تكون ناقصة وأكثر المتوالية منها ثلاثة.

واعلم أنّ القوم تمسّكوا في اختيار واقعة الهجرة بمبدأ التواريخ الإسلاميّة على سائر الوقائع المعروفة كالمبعث والمولد بوجوه ضعيفة، كقولهم إنّ المبعث غير معلوم، والمولد مختلف فيه، ولا يخفى وهنه، فإنّه لو أريد بذلك عدم اتّفاقهم في شيء منهما على يوم معيّن من شهر معيّن فظاهر أنّ أمر الهجرة أيضاً كذلك كما بيّنّاه في محلّه، مع أنّ العلم باليوم والشهر لا مدخل له في المطلوب وهو ظاهر، وإن أريد به اختلافهم في خصوص سنتيهما فكلّا، فإنّه لا خلاف فيه في زماننا فضلاً عن أوائل الإسلام، وكذا الوجوه الأُخرى الّتي ذكروها في هذا الباب، ولقد عثرت على خبر يصلح مرجّحاً ومخصّصاً لذلك قلّ من تفطّن

به، وهو ما ورد في خبر الصحيفة الشريفة السجّاديّة صلوات الله على من ألهمها حيث قال الصادق عليه السلام: إنّ أبي حدّثني عن أبيه، عن جدّه، عن عليّ عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أخذته نعسة وهو على منبره، فرأى في منامه رجالاً ينزون على منبره نزو القردة، يردّون الناس على أعقابهم القهقرى! فاستوى رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً والحزن يعرف في وجهه، فأتاه جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾[1] الآية، يعني بني أميّة. قال: يا جبرئيل! أعلى عهدي يكونون وفي زمني؟ قال: لا، ولكن تدور رحى الإسلام من مهاجرك فتلبث بذلك عشراً، ثمّ تدور رحى الإسلام على رأس خمس وثلاثين من مهاجرك فتلبث بذلك خمساً «إلى آخر الخبر» فيدلّ على أنّ جعل مبدأ التاريخ من الهجرة مأخوذ من جبرئيل عليه السلام ومستند إلى الوحي السماويّ، ومنسوب إلى الخبر النبويّ، وهذا يؤيّد ما روي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام أشار عليهم بذلك في زمن عمر عند تحيّرهم، والعلّة الواقعيّة في ذلك يمكن أن تكون ما ذكر من أنّها مبدأ ظهور غلبة الإسلام والمسلمين، ومفتتح ظهور شرائع الدين، وتخلّص المؤمنين من أسر المشركين، وسائر ما جرى بعد الهجرة من تأسيس قواعد الدين المبين.

ولنشر ههنا إلى فوائد:

الفائدة الأولى: أنّه قد وردت أخبار كثيرة تدلّ على أنّ عدد أيّام السنة ثلاثمائة وستّون، كالأخبار الواردة في عدد الطواف المستحبّة وكخبر الاختزال وغيرها، وهي لا توافق شيئاً من المصطلحات المتقدّمة، ولا السنين الشمسيّة ولا القمريّة، ويمكن توجيهه بوجوه: **الأوّل**: أن يكون المراد بها السنة الإلهيّة كما مرّت الإشارة إليه في الباب الأوّل. **الثاني**: أن يكون المراد به السنة الأولى من خلق الدنيا بضمّ الستّة المصروفة في خلق الدنيا إلى السنة القمريّة. **الثالث**: أن يكون مبنيّاً على بعض مصطلحات القدماء، قال أبو ريحان البيرونيّ في تاريخه: سمعت أنّ الملوك البيشداديّة من الفرس وهم الّذين ملكوا الدنيا بحذافيرها كانوا يعملون السنة ثلاثمائة وستّين يوماً، كلّ شهر منها ثلاثون يوماً بلا زيادة ونقصان، وأنّهم كانوا يكبسون في كلّ ستّ سنين بشهر ويسمونها «كبيسة» وفي كلّ مائة وعشرين سنة شهرين أحدهما بسبب الخمسة أيّام، والثاني بسبب ربع اليوم، وأنّهم كانوا يعظّمون تلك السنة ويسمّونها «المباركة» ويشتغلون فيها بالعبادات والمصالح. ثمّ قال بعد ذكر نسيء العرب وكبس أهل الكتاب وغيرهم: وقد حكى أبو محمّد التائب الآملي في كتاب الغرّة عن يعقوب بن طارق أنّ الهند تستعمل أربعة أنواع من المدد: **أحدها**: من عودة الشمس من نقطة من فلك البروج إليها بعينها وهي سنة الشمس **والثانية**: طلوعها ثلاثمائة وستّين مرّة، وتسمّى السنة

(١) سورة الإسراء، الآية: ٦٠.

الشمس كلّاً من البروج الاثني عشر ظاهر البطلان، فإنّ الحمل والثور عندهم أحد وثلاثون، والجوزاء اثنان وثلاثون، والسرطان والأسد والسنبلة أحد وثلاثون، والميزان والعقرب ثلاثون، والقوس والجدي تسعة وعشرون، والدلو والحوت ثلاثون، وظاهر أنّ الأمر في الشهور الروميّة ليس على طبقها، كيف وكانون الأوّل الّذي اعتبروه أحداً وثلاثين هو بين القوس والجدي، وكلّ منهما تسعة وعشرون.

ثمّ اعلم أنّ التاريخ تعيين يوم ظهر فيه أمر شائع كملّة أو دولة، أو حدث فيه أمر هائل كطوفان أو زلزلة أو حرب عظيم، لمعرفة ما بينه وبين أوقات الحوادث ولضبط ما يجب تعيين وقته في مستقبل الزمان، وقد مرّت الإشارة إلى تاريخ الروم والفرس، والشائع المستعمل في زماننا تاريخ الهجرة، وسبب وضعه على ما نقل أنّه دفع إلى عمر صكّ محلّه شعبان، فقال: أيّ شعبان هو؟ هذا الّذي نحن فيه أو الّذي يأتينا؟ أو أنّ أبا موسى كتب إليه أنّه يأتينا من قبلك كتب لا نعرف كيف نعمل فيها، قد قرأنا صكّاً محلّه شعبان فما ندري أيّ الشعبانين هو؟ الماضي أو الآتي؟ فجمع الصحابة واستشارهم فيما يضبط به الأوقات، فقال له الهرمزان ملك الأهواز - وقد أسلم على يديه حين أُسر وحمل إليه -: إنّ للعجم حساباً يسمّونه «ماه روز»، وأسنده إلى من غلب عليهم من الأكاسرة، وبيّن كيفيّة استعماله، فعرّبوا «ماه روز» بمؤرّخ، وجعلوا مصدره التأريخ، فقال ابن الخطّاب: ضعوا للناس تأريخاً نضبط به أوقاتهم. فقال بعض الحاضرين من مسلمي اليهود: لنا حساب مثله نسنده إلى إسكندر، فما ارتضاه الصحابة، واتفقوا على أن يجعل مبدؤه هجرة النبيّ صلّى الله عليه وآله، إذ بها ظهرت دولة الإسلام، وكانت الهجرة يوم الثلاثاء لثمان خلون من شهر ربيع الأوّل، وأوّل هذه السنة أعني المحرّم كان يوم الخميس بحسب الأمر الأوسط، وعلى قول أهل الحديث، ويوم الجمعة بحسب الرؤية وحساب الاجتماعات، فعمل عليه في أكثر الأزياج إلّا زيج المعتبر فإنّه عمل على يوم الخميس، وكان اتّفاقهم على ذلك في سنة سبع عشرة من الهجرة ومبادئ شهور تلك السنة على الرؤية وقد تكون تامّة وأكثر المتوالية منها أربعة، وقد تكون ناقصة وأكثر المتوالية منها ثلاثة.

واعلم أنّ القوم تمسّكوا في اختيار واقعة الهجرة بمبدأ التواريخ الإسلاميّة على سائر الوقائع المعروفة كالمبعث والمولد بوجوه ضعيفة، كقولهم إنّ المبعث غير معلوم، والمولد مختلف فيه، ولا يخفى وهنه، فإنّه لو أريد بذلك عدم اتّفاقهم في شيء منهما على يوم معيّن من شهر معيّن فظاهر أنّ أمر الهجرة أيضاً كذلك كما بيّنّاه في محلّه، مع أنّ العلم باليوم والشهر لا مدخل له في المطلوب وهو ظاهر، وإن أريد به اختلافهم في خصوص سنتيهما فكلّا، فإنّه لا خلاف فيه في زماننا فضلاً عن أوائل الإسلام، وكذا الوجوه الأُخرى الّتي ذكروها في هذا الباب، ولقد عثرت على خبر يصلح مرجّحاً ومخصّصاً لذلك قلّ من تفطّن

الوسطى لأنّها أكثر من سنة القمر وأقلّ من سنة الشمس. **والثالثة**: عودة القمر من الشرطين وهما رأس الحمل إليهما اثنتي عشرة مرّة، وهي سنة القمر المستعملة.

الفائدة الثانية: قال الرازيّ في قوله تعالى -: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ فإن قالوا: لم لم يقل ثلاثمائة وتسع سنين؟ وما الفائدة في قوله ﴿وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾؟ قلنا: قال بعضهم كانت المدّة ثلاثمائة سنة من السنين الشمسيّة، وثلاثمائة وتسع سنين من القمريّة، وهذا مشكل، لأنّه لا يصحّ بالحساب هذا القول(١). وروى الطبرسيّ رحمه الله وغيره أنّ يهوديّاً سأل عليّاً عليه السلام عن مدّة لبثهم، فأخبر عليه السلام بما في القرآن، فقال: إنّا نجد في كتابنا ثلاثمائة. فقال عليه السلام: ذلك بسني الشمس، وهذا بسني القمر(٢).

وتفصيل القول في ذلك أنّه يمكن تقرير الإشكال الوارد على هذا التفسير الّذي أومأ إليه الرازيّ بوجهين: **أحدهما**: أنّ أيّام السنة القمريّة في مدّة ثلاثمائة وتسع سنين إذا قسمت على ثلاثمائة تخرج حصّة كلّ سنة شمسيّة ثلاثمائة وأربعة وستّين يوماً وثلاثاً وعشرين ساعة مستوية وستّاً وخمسين دقيقة وثماني وثلاثين ثانية وأربعة وعشرين ثالثة، ولا يوافق ذلك شيئاً من الأرصاد المتداولة بل ناقص عن الجميع. **وثانيهما**: أنّ التفاوت المضبوط بين السنتين في مدّة ثلاثمائة سنة يزيد على تسع سنين على جميع الأرصاد، فإنّه على رصد التباني، مع أنّ مقتضاه أقلّ من سائر الأرصاد يبلغ إلى عشرة أيّام وعشرين ساعة وست وأربعين دقيقة وأربع وعشرين ثانية، وإذا ضرب هذا المقدار من الزمان في ثلاثمائة وقسّم الحاصل على مقدار السنة القمريّة يزيد الخارج على تسع سنين قمريّة بأربعة وسبعين يوماً وأربع ساعات وثمان وأربعين دقيقة، فكيف على سائر الأرصاد؟ حتّى أنّه على رصد أبرخس المبنيّ عليه حساب الروم والفرس من قديم الأيّام بل المعروف بين جميع الطوائف في صدر الإسلام يزيد على تسع سنين بسبعة وسبعين يوماً وثماني وأربعين دقيقة، فلا تستقيم الموافقة المستفادة من التفسير المذكور والرواية المنقولة وقد يجاب بأنّ عدم الاعتناء بالكسور القليلة في جنب آحاد الصحاح تارة بإسقاطها سيّما إذا لم تبلغ النصف، وتارة بإكمالها أي عدّها تامّة سيّما إذا جاوزت النصف وكذا بالآحاد القليلة في جنب العشرات والعشرات القليلة في جنب المئات وهذا أمر شائع وعرف عامّ في المحاورات الحسابيّة، يبتني عليه كثير من القرآن والحديث كما سنشير إليه في حديث الصباح بن سيابة، فلا بأس أن يخبر تعالى بأنّ مدّة لبث أصحاب الكهف ثلاثمائة سنة بالشمسيّة أو ثلاثمائة وتسع سنين بالقمريّة، وكانت ناقصة عن الأولى حقيقة بمثل تلك الأيّام القلائل، أو كانت مطابقة لها وكانت زائدة على الثانية حقيقة بمثلها، أو كان في الأوّل نقصان وفي الثانية زيادة يصير المجموع مساوياً لمثل تلك الأيّام، فإنّ في رعاية مطابقة العرف في تلك المحاورات لمندوحة عن كذبها حتّى أنّه يمكن أن يقيّد عرفاً

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢١ ص ١٢. (٢) مجمع البيان، ج ٦ ص ٣٣٤.

أمثال ذلك بأنّه كذلك بلا زيادة ولا نقصان، اعتماداً على أنّ تحقّق الزيادة والنقصان في عرف الحسابيّين إنّما هو بالصحاح أو ما في حكمها، دون أمثال تلك الكسور.

وأقول: قد مرّ في المجلّد التاسع في باب علم أمير المؤمنين عليه السلام بعض القول في ذلك[1].

الفائدة الثالثة: قد ورد في الأخبار بناء كثير من الأمور الشرعيّة من الصوم وغيره على عدّ شهر من الشهور القمريّة تامّاً وشهراً ناقصاً، كعدّ الخمسة من شهر آخر مثله، أو الستّة في سنة الكبيسة وسيأتي بيانها وبسط القول فيها في كتاب الصيام إن شاء الله تعالى، وعليه يبنى ما روي أنّ يوم الأضحى يوم الصوم ويوم عاشوراء يوم الفطر، لكنّه إنّما يستقيم في سنة الكبيسة، فإنّه إذا كان أوّل شهر رمضان يوم السبت مثلاً كان أوّل شوّال يوم الإثنين لأنّه من الشهور التامّة، وأوّل ذي القعدة يوم الثلاثاء وأوّل ذي الحجّة يوم الخميس، فالأضحى يوم السبت موافقاً ليوم الصوم، وذو الحجّة لمّا كان من الشهور الناقصة في غير سنة الكبيسة فالجمعة أوّل المحرّم فعاشوراء يوم الأحد وهو لا يوافق يوم الفطر، وفي الكبيسة يوافقه لإتمام ذي الحجّة فيها. ويمكن أن يكون مبنيّاً على الغالب، أو على ما إذا غمّت الأهلّة كما عمل بها جماعة من الأصحاب على هذا الوجه، أو على استحباب صوم يوم الشكّ فإنّ هذا الحساب متقدّم على الرؤية غالباً، وما قيل في الخبر الأخير من أنّ المعنى أنّ العارفين يوم صومهم يوم عيدهم ويوم فطرهم يوم تعزيتهم فهو ممّا تضحك منه الثكلى، وسيأتي مزيد تحقيقه في محلّه الأنسب.

وقال أبو ريحان في تاريخه يبتدئون بالشهر من عند رؤية الهلال، وكذلك شرع في الإسلام كما قال الله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[2] ثمّ نبتت نابتة ونجمت ناجمة وبغت فرقة جاهلية فنظروا إلى أخذهم بالتأويل وميلهم إلى اليهود والنصارى، فإنّ لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرّون إلى رؤية الهلال، ووجدوهم شاكّين فيه مختلفين مقلّدين بعضهم بعضاً بعد استفراغهم أقصى الوسع في تأمّل مواضعه وتفحّص مواقعه، ثمّ رجعوا إلى أصحاب الهيئة فألفوا زيجاتهم وكتبهم مفتتحة بمعرفة أوائل ما يراد من شهور العرب بصنوف الحسابات وأنواع الجداول، فظنّوا أنّها معمولة لرؤية الأهلّة، وأخذوا ببعضها ونسبوه إلى جعفر الصادق عليه السلام وأنّه سرّ من أسرار النبوّة، وتلك الحسابات مبنيّة على حركات النيّرين الوسطى دون المعدّلة، ومعمولة على عدّ سنة القمر ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً وخمس وسدس وأنّ ستّة أشهر من السنة تامّة وستّة ناقصة، وأنّ كلّ ناقص منها فهو تال لتامّ على ما عمل عليه في الزيجات فلمّا قصدوا استخراج أوّل الصوم وأوّل الفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم في أغلب الأحوال، فأوّلوا

---

(١) مرّ في ج ٤٠ من هذه الطبعة.

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

قول النبيّ ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته» بأنّ معناه صوموا الّذي يرى الهلال في عشيّته، كما يقال: تهيّؤوا لاستقباله، فيقدّم التهيّؤ على الاستقبال! قالوا، وإنّ شهر رمضان لا ينقص من ثلاثين، فأمّا أصحاب الهيئة ومن تأمّل الحال بعناية شديدة فإنّهم يعلمون أنّ رؤية الهلال غير مطّرد على سنن واحد، لاختلاف حركة القمر المرئيّة بطيئة وسريعة، وقربه من الأرض وبعده وصعوده في الشمال والجنوب وهبوطه فيهما وحدوث كلّ واحد من هذه الأحوال له في كلّ نقطة من فلك البروج، ثمّ بعد ذلك لما يعرض من سرعة غروب بعض القطع من فلك البروج وبطء بعض، وتغيّر ذلك على اختلاف عروض البلدان واختلاف الأهوية إمّا بالإضافة إلى البلاد الصافية الهواء بالطبع والكدرة المختلطة بالبخارات دائماً والمغبرة في الأغلب، وإمّا بالإضافة إلى الأزمنة إذا غلظ في بعضها ورقّ في بعض وتفاوت قوى بصر الناظرين إليه في الحدّة والكلال. وإنّ ذلك كلّه على اختلاف بصنوف الاقترانات كائنة في كلّ أوّل شهرين رمضان وشوّال على أشكال غير معدودة، وأحوال غير محدودة فيكون لذلك رمضان ناقصاً مرة وتامّاً أخرى، وإنّ ذلك كلّه يتفنن بتزايد عروض البلدان وتناقصها، فيكون الشهر تامّاً في البلدان الشمالية مثلاً، وناقصاً هو بعينه في الجنوبيّة منها وبالعكس. ثمّ لا يجري ذلك فيها على نظم واحد، بل لا يتّفق فيها أيضاً حالة واحدة بعينها لشهر واحد مراراً متوالية وغير متوالية، فلو صحّ عملهم مثلاً بتلك الجداول واتّفق مع رؤية الهلال أو تقدّمه يوماً واحداً كما أصّلوا لاحتاجوا إلى إفرادها لكلّ عرض، على أنّ اختلاف الرؤية ليس متولّداً من جهة العرض فقط، بل لاختلاف أطوال البلدان فيها أوفر نصيب، فإذن لا يمكن ما ذكروه من تمام شهر رمضان أبداً، ووقع أوّله وآخره في جميع المعمورة من الأرض متّفقاً، كما يخرجه الجدول الّذي يستعملونه. فأمّا قولهم إنّ مقتضى الخبر المأثور تقديم الصوم والفطر على الرؤية فباطل، وذلك أنّ حرف اللّام يقع على المستأنف كما ذكروه، ويقع على الماضي، كما يقال: كتب لكذا مضى من الشهر أي من عند مضيّ كذا، فلا تتقدّم الكتبة الماضي من الشهر، وهذا هو مقتضى الخبر دون الأوّل. ألا ترى إلى ما روي عنه ﷺ أنّه قال: نحن قوم أمّيّون لا نكتب ولا نحسب، الشهر هكذا وهكذا وهكذا. وكان يشير في كلّ واحدة منها بأصابعه العشر يعني تامّاً ثلاثين يوماً، ثمّ أعاد فقال: هكذا وهكذا وهكذا، وخنس إبهامه في الثالثة يعني ناقصة تسعة وعشرين يوماً، فنصّ ﷺ نصّاً لا يخفى على أحد أنّ الشهر يكون تامّاً مرّة ويكون ناقصاً أُخرى، وأنّ الحكم جار عليه بالرؤية عليه دون الحساب بقوله لا نكتب ولا نحسب. فإن قالوا: عنى أنّ كلّ شهر تامّ فإنّ تاليه ناقص كما يحسبه مستخرجو التواريخ، كذّبهم العيان إن لم ينكروه، وعرف تمويههم الصغير والكبير فيما ارتكبوه، على أنّ تتمة الخبر الأوّل يفصح باستحالة ما ادّعوه، وهو قوله ﷺ «صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته فإن غمّ عليكم فعدّوا شعبان ثلاثين يوماً» وفي رواية أُخرى «فإن حال

بينكم وبين رؤيته سحاب أو قتام فأكملوا العدّة ثلاثين» وذلك أنّه إذا عرف أنّ الهلال يرى إمّا بجدولهم وحسابهم أو بما يستخرجه أصحاب الزيجات وقدم الصوم أو الفطر على رؤيته لم يحتج إلى إتمام شعبان ثلاثين أو إكمال شهر رمضان ثلاثين إذا انطبقت الآفاق بسحاب أو غبار، ولو كان أيضاً شهر رمضان تامّاً أبداً ثمّ عرف أوّله لاستغنى به عن الرؤية لشوّال، مع ما روي في كتب الشيعة الزيديّة أنّ الناس صاموا شهر رمضان على عهد أمير المؤمنين عليه السلام ثمانية وعشرين يوماً، فأمرهم بقضاء يوم واحد فقضوه، وإنّما اتّفق ذلك لتوالي شهر شعبان وشهر رمضان عليهم ناقصين معاً، وكان حال بينهم وبين الرؤية لرأس شهر رمضان حائل، فأكملوا العدّة وتبيّن الأمر في آخره. وروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال: يصيب شهر رمضان ما يصيب سائر الشهور من الزيادة والنقصان، وروي عنه أيضاً أنّه قال: إذا حفظتم شعبان وغمّ عليكم فعدّوا ثلاثين وصوموا. وروي عنه عليه السلام أيضاً أنّه سئل عن الأهلّة فقال: هي الشهور، فإذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيته فأفطر. فأمّا ما روي عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا رأيت هلال رجب فعدّ تسعة وخمسين يوماً ثمّ صم وما رووا عنه أنّه قال: إذا رأيت هلال شهر رمضان لرؤيته فعدّ ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً ثمّ صم في القابل، فإنّ الله خلق السنة ثلاثمائة وستّين يوماً، فاستثنى منها ستّة أيّام فيها خلق السماوات والأرض فليست في العدد. فلو صحّت الرواية عنه لكان إخباره عن ذلك على أنّه أكثريّ الوجود في بقعة واحدة، لا أنّه مطّرد في جميع البقاع كما ذكرنا. وأمّا تعليل الأيّام الستّة بهذه العلّة فتعليل ركيك يكذّب الرواية وتبطل له صحتها، وقد قرأت فيما قرأت من الأخبار أنّ أبا جعفر محمّد بن سليمان عامل الكوفة من جهة المنصور حبس عبد الكريم بن أبي العوجاء وهو خال معن بن زائدة وكان من المانويّة، فكثر شفعاؤه بمدينة السلام وألحّوا على المنصور حتّى كتب إلى محمّد بالكفّ عنه، وكان عبد الكريم يتوقّع ورود الكتاب في معناه، فقال لأبي الجبّار وكان منقطعاً إليه: إن أخّرني الأمير ثلاثة أيّام فله مائة ألف درهم. فأعلم أبو الجبّار محمّداً فقال: ذكّرتنيه وكنت نسيته، فإذا انصرفت من الجمعة فأذكرنيه. فلمّا انصرف ذكّره إيّاه فدعا به فأمر بضرب عنقه، فلمّا أيقن أنّه مقتول قال: أما والله لئن قتلتموني لقد وضعت أربعة آلاف حديث أحرّم فيها الحلال وأحلّ به الحرام، ولقد فطرتكم في يوم صومكم، وصوّمتكم في يوم فطركم. ثمّ ضربت عنقه وورد الكتاب في معناه بعده، وما أحقّ هذا الرجل الملحد بأن يكون متولّي هذا التأويل الّذي ذهبوا إليه وأصله (انتهى) وتمام القول فيه في كتاب الصوم.

الفائدة الرابعة: اعلم أنّ ما ذكروه من أنّ مدّة الشهر القمريّ تسعة وعشرون يوماً واثنتا عشرة ساعة وأربع وأربعون دقيقة إنّما هو باعتبار وضع القمر بالنسبة إلى الشمس إلى حصول مثل ذلك الوضع له، فكان قدر مسير الشمس في هذا الزمان منضمّاً إلى قدر دورته من نقطة معيّنة إليها، وأمّا باعتباره في نفسه فإنّه يتمّ دوره في مدّة سبعة وعشرين يوماً وثلث يوم،

فالتفاوت بين الاعتبارين بيومين وأربع ساعات وأربع وأربعين دقيقة، فلمداره بالاعتبار الأخير حدود ينزل في كلّ ليلة في أحدها إلى أن يرجع إلى الأوّل منها، فهي حقيقة اثنان وثمانون منزلاً في ثلاث دورات له لمكان الكسر المذكور، ولكنّ الناس تسامحوا فيه واصطلحوا على تقسيم كلّ دورة له إمّا إلى سبعة وعشرين منزلاً كما اصطلح عليه أهل الهند إسقاطاً للكسر، وإمّا إلى ثمانية وعشرين كما اصطلح عليه العرب إتماماً له، وعلموها بالكواكب القريبة منها وقد مرّ ذكرها، ونظموها بالفارسيّة على الترتيب هكذا:

اسماء منازل قمر نزل عرب — شرطين وبطين است وثريّا دبران
هقعه هنعه ذراع ونثره پس طرف — جبهة زبره صرفه وعوّا پس ازان
پس سماك وغفر وزبانا إكليل — قلب وشوله نعائم وبلده بدان
سعد ذابح سعد بلع سعد سعود — باشد پس سعد أخبيه چارمشان
از فرع مقدّم بمؤخّر چه رسيد — آنگه برشاء شد كه باشد بايان[1]

فلأجل التفاوت المذكور بين الاعتبارين إذا فرضنا القمر بدراً في منزل معيّن في شهر معيّن فبعد إتمام دورة منه إليه يكون فيه بعينه في الشهر التالي ناقصاً عن البدريّة بحسب ذلك التفاوت، وهكذا يزيد النقصان المذكور بعد كلّ دورة حتّى يبلغ بعد ست دورات في المنزل المذكور بعد تمام الشهر السادس إلى مرتبة الهلاليّة وقس عليه عكسه فيبلغ بعد إتمام ستّ دورات أخر فيه إلى البدريّة، فعلى أيّ حالة يرى في منزل معيّن يرى فيه بعد ستّ دورات على الحالة المقابلة لها، وبعد اثنتي عشرة دورة على الحالة الموافقة لها، وهكذا دائماً.

فإذا تمهّد هذا فنقول: قد عرفت ما ذكره بعض المفسّرين في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾[2] ويرجع حاصله إلى أنّ القمر من أوّل ظهوره بالعشيّات مستهلاً إلى آخر رؤيته بالغدوات مستنيراً يسير جميع المنازل، وفي آخرها يشبه بالعرجون القديم فيما يعرضه بسبب مرور الزّمان كالدقّة والانحناء. قال الطبرسيّ ﷺ في جامع الجوامع: والمعنى قدّرنا مسيره منازل، وهي ثمانية وعشرون منزلاً ينزل كلّ ليلة في واحد منها لا يتخطّاه ولا يتقاصر منها على تقدير مستو ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ وهو عود العذق الّذي تقادم عهده حتّى يبس وتقوّس، وقيل: إنّه يصير كذلك في ستّة أشهر، قال الزجّاج: هو «فُعلون» من الانعراج وهو الانعطاف، والقديم يدقّ وينحني ويصغر، فشبّه القمر به من ثلاثة أوجه (انتهى) وقال الزمخشريّ بعد تفسير الآية بنحو ما مرّ: وقيل أقلّ مدّة الموصوف بالقدم الحول، فلو أنّ رجلاً قال «كلّ مملوك لي قديم فهو حرّ» أو كتب ذلك في وصيّته، عتق له من مضى له حول أو أكثر (انتهى) وروى عليّ بن إبراهيم والطبرسيّ رحمهما الله وغيرهما أنّه دخل أبو سعيد المكاري على أبي الحسن الرضا ﷺ فقال: ما تقول في رجل قال عند موته

---

(١) مرّ في هذا الجزء ص ٨٨ شرحها. (٢) سورة يس، الآية: ٣٩.

«كلّ مملوك لي قديم فهو حرّ لوجه الله؟» فقال أبو الحسن عليه السلام: ما ملكه لستّة أشهر فهو قديم وهو حرّ. قال: وكيف صار ذلك؟ قال: لأنّ الله يقول ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ سمّاه الله قديماً ويعود كذلك لستّة أشهر[1] (الخبر) وفي الكافي هكذا: قال نعم، إنّ الله يقول في كتابه ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ فما كان من مماليكه أتى له ستّة أشهر فهو حرّ.

فظهر من سياق ما نقلناه من التفسير والحديث أنّ بين العامّة والخاصّة في المسألة المذكورة من العتق موضع وفاق، هو أنّ حكمها مستنبط من الآية المذكورة، وموضع خلاف هو أنّ العامة لم يجاوز نظرهم عمّا فيها من توصيف العرجون بالقديم فظنّوا بمحض زعمهم أنّ ثبوت هذا الوصف له بعد أن يحول الحول، فحكموا في المسألة على طبقه، وأنّ الخاصّة عرفوا بتفريع إمامهم الحكم فيها بستّة أشهر على الآية أنّه الحقّ الموافق لما تضمّنه الكتاب، فاكتفوا به لعدم احتياجهم معه إلى تعرّف وجه استنباطه منها، إذ لهم عليهم السلام طرق في استخراج الأحكام، والوقائع من الكلام المجيد لا سبيل لنا إلى معرفتها. لكن ذكر بعض المحقّقين هنا وجهاً دقيقاً نورده ههنا وهو أنّ عبارة ﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ﴾ المذكورة من الآية في الحديث للاحتجاج عليه مشتملة على عدّة ألفاظ فابتداؤها المتكفّل للدلالة على اعتبار انتهاء لما صوّره تعالى فيها من سير القمر بالمطابقة متضمّن للدلالة على اعتبار ابتداء له أيضاً بالالتزام، وذكر العود يدلّ على اتّحادهما، بمعنى أنّ ما اعتبره من منازله في هذا السير للابتداء اعتبر هو بعينه للانتهاء، وتقييده في ضمن التشبيه بكونه هلالاً في خصوص حال العود يدلّ على اعتبار كونه بدراً مقابلاً لها في حال البدء المقابل له، كما يتبادر من لفظ القمر أيضاً سيّما مع مقابلة الشمس من الطرفين والنكتة حينئذ في اعتبار هذا الترتيب في البدء والعود دون العكس أظهر من الشمس ثمّ توصيف المشبّه به بالقدم يدلّ على اعتبار هذا الوصف أيضاً في جملة وجوه الشبه بل هو أحقّ بالاعتبار، لاختصاصه بالذكر، وكونه مناطاً لسائر الوجوه، كقولهم فلان كالبدر المنير أو كالأسد الغضبان، فمجمل ما أوجز في تلك الكلمات التامّات إنّما يرى من حال سير القمر في منازله المقدّرة له من أنّه في أيّ منزل كان بدراً فيه، في وقت يصير فيه بعينه هلالاً شبيهاً بالعرجون القديم بعد دورات معدودة في أزمنة محدودة على تدريج خاصّ ونظام معيّن لا يتغيّر ولا يتبدّل ولا يزيد ولا ينقص وهكذا حاله في جميع الأزمان من عجائب الآيات وغرائب التدبيرات، فبذلك التصوير والتشبيه مع ما عرفت ممّا مهّدناه من أنّ صيرورته هلالاً في منزل كان فيه بدراً يتمّ بتمام الشهر السادس وحينئذ بتعرّضه للصفات المعتبرة في المشبّه به ومن جملتها القدم تعرف أنّ الشيء إذا أتى له ستّة أشهر صار موصوفاً بالقدم وهذا هو المطلوب.

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٩.

فإن قيل: مدّة ستّة دورات ناقصة عن ستّة أشهر كما عرفت.

قلنا: قد مرّ أنّه شاع في عرف أهل الحساب عدّ ما زاد على النصف من الكسور كاملاً، والنقصان هنا أقلّ من نصف شهر كما لا يخفى.

وربّما يؤيّد هذا الوجه بأنّ الخبر على ما رواه عليّ بن إبراهيم ظاهره وصف القمر بالقديم، إذا الظاهر رجوع الضمير في «سمّاه» إلى القمر، بقرينة قوله «ويعود كذلك».

وأقول: هذا وجه لطيف مشتمل على دقائق جليلة، لكنّه في غاية البعد والتكلّف، والله يعلم حقائق كلامه، ومن خصّه بمزيد الفضل من إنعامه.

الفائدة الخامسة: اعلم أنّ أصحابنا اتّفقوا على أنّ ولادة نبيّنا ﷺ كانت في شهر ربيع الأوّل، إمّا في السابع عشر منه كما هو المشهور، أو في الثاني عشر كما اختاره الكلينيّ رحمه الله وهو المشهور بين المخالفين. وذكر الكلينيّ وغيره أنّ الحمل به ﷺ كان في أيّام التشريق، فيلزم أن يكون مدّة حمله ﷺ إمّا ثلاثة أشهر أو سنة وثلاثة أشهر، مع أنّ الأصحاب اتّفقوا على أنّه لا يكون الحمل أقلّ من ستّة أشهر ولا أكثر من سنة، ولم يذكر أحد من العلماء أنّ ذلك من خصائصه ﷺ **والجواب:** أنّ ذلك مبنيّ على النسيء الّذي حقّقناه في صدر الباب، وذكروا للنسيء ثلاثة معان أومأنا إلى بعضها: **الأوّل:** أنّهم كبسوا تسع عشرة سنة تامّة قمريّة، حتّى صارت تسع عشرة سنة تامّة شمسيّة على ترتيب «بهزيجوح» فدور النسيء على هذا الوجه تسع عشرة سنة تامّة قمريّة مكبوسة بسبعة أشهر تامّة قمريّة، لأنّ تسع عشر منه وسبعة أشهر تامّتين قمريّتين تسع عشرة سنة تامّة شمسيّة، والشهر الزائد وهو الكبس يسمّى النسيء، لأنّه المؤخّر عن مكانه لأنّ المحرّم لو سمّي بذي الحجّة صار صفر محرّماً، فتأخّر المحرّم إلى مكان صفر والسنة الّتي يزيدون الشهر فيها هي السنة الكبيسة أي المدخولة المزيدة فيها، من الكبس بمعنى الطمّ. **الثاني:** أنّهم كانوا يكبسون في كلّ ثلاث سنين شهراً، فدور النسيء ستّ وثلاثون سنة تامّة قمريّة مكبوسة باثني عشر شهراً قمريّاً كذلك.

الثالث: أنّهم كانوا يكبسون في كلّ سنتين شهراً، فدور النسيء على هذا الوجه أربع وعشرون سنة تامّة قمريّة مكبوسة باثني عشر شهراً تامّاً قمريّاً، وهذا الوجه أشهر موافقاً لما ذكره الطبرسيّ وغيره. وبالجملة إنّهم كانوا يزيدون في بعض السنين شهراً ويتركون بعضها بحاله، فبعض سنيهم اثنا عشر شهراً، وبعضها ثلاثة عشر شهراً، والزيادة دائماً تكون في آخر السنة الّتي ينتقل الحجّ بعدها من شهر إلى آخر، لأنّ من شهر إلى مثله اثني عشر شهراً، ومنه إلى ما يليه ثلاثة عشر شهراً والنسيء المشهور مبنيّ على الأخير، وربّما يبنى على الأوّل والثاني أيضاً فنقول على الوجه الثالث المشهور لمّا تبيّن أنّ الولادة في الربيع الأوّل إمّا في السابع عشر أو في الثاني عشر والوفاة إمّا في الثاني عشر منه كما اختاره الكلينيّ رحمه الله وفقاً للمشهور بين العامّة، أو في الثامن والعشرين من الشهر قبله أعني صفر كما هو المشهور عند

الإماميّة والمشهور أنّ مدّة حياته الشريفة ﷺ ثلاث وستّون سنة تامّة قمريّة تحقيقاً على الأوّل وتقريباً على الثاني فمن جمادى الأخرى المؤخّر عن ولادته ﷺ بثلاثة أشهر إلى ذي الحجّة من حجّة الوداع المقدّم على وفاته ﷺ بمثله اثنان وستّون سنة تامّة قمريّة وستّة أشهر، وهو ستّون سنة تامّة نسيئيّة، لأنّ ستّين سنة نسيئيّة زائدة على ستّين سنة تامّة قمريّة بثلاثين شهراً، لأنّ كلّ سنتين تامّتين نسيئتين زائدة على سنتين تامّتين قمريّتين بشهر، باعتبار انتقال الحجّ من شهر إلى آخر كما عرفت، وثلاثون شهراً سنتان وستّة أشهر، فظهر أنّ من جمادى الثانية الّتي في خلال عام مولده إلى حجّة الوداع ستّون سنة تامّة نسيئيّة، وظهر أنّ الحجّ وقع في خلال عام مولده في جمادى الثانية إذ المفروض أنّ مبدأ كلّ سنة من السنين التامّة النسيئيّة الحجّ الواقع في شهر ومنتهاها الحجّ الآخر الواقع في هذا الشهر أو في الشهر الآخر بعده، فمبدأ الستّين السنة النسيئيّة جمادى الثانية، ومنتهاه ذو الحجّة حجّة الوداع، فالستّون السنة محصورة بين حجّتين: إحداهما المبدأ والأخرى المنتهى، فالحجج الواقعة في هذه المدّة إحدى وستّون حجّة لأنّ كلّ سنة تامّة نسيئيّة محصورة بين حجّتين، وكلّ حجّة بداية سنة تامّة نسيئيّة ونهاية سنة أخرى إلّا حجّة الوداع، لأنّ النسيء انقطع عنده، فهي نهاية سنة ستّين النسيئيّة فقط، والحجّة الواقعة في خلال عام مولده هي الحجّة الأولى الواقعة فيها، لأنّ حجّة الوداع كانت أولى حجّة وقعت في ذي الحجّة كما مرّ، والواقعة قبلها في الشهر السابقة كانت في ذي القعدة، فالشهر الزائد في آخر سنة الستّين والمزيد فيها شهر سنة الستّين لا الّتي قبلها، وكذا كلّ شفع من السنين النسيئيّة هي الّتي زيد في آخرها شهر، وقد مرّ أنّ الزيادة تكون باعتبار انتقال الحجّ من شهر إلى آخر، فلو كانت الحجّة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده ﷺ هي الحجّة الثانية لزم أن تكون الحجّة الواقعة بعدها الّتي هي مبدأ السنة الثانية من السنين النسيئيّة ومنتهى السنة الأولى قد وقعت في رجب، لأنّ المفروض على وقوع أزيد من حجّتين في شهر، وأن تكون الزيادة في السنة الأولى لا في الثانية، وفي الوتر من السنين التامّة النسيئيّة لا في الشفع، وأن تكون حجّة الوداع الحجّة الثانية الواقعة في ذي الحجّة، لا الأولى، وهو خلاف المنقول والمرويّ. فظهر أنّ الحجّة الواقعة في جمادى الثانية في خلال عام مولده ﷺ كانت الحجّة الأولى، فالحمل به ﷺ في أيّام التشريق في السنة السابقة في جمادى الأولى، فمدّة الحمل عشرة أشهر بلا زيادة ولا نقصان، أو بزيادة يوم أو بنقصانه على ما ذهب إليه الكلينيّ، وبزيادة أيّام على المشهور من أنّ يوم الولادة السابع عشر. وقد مرّ بعض القول منّا في ذلك في المجلّد السادس في باب ولادته ﷺ وقد ذكرنا هنا جملة من القول في الاختلاف الواقع في يوم مولده ﷺ ولنذكر هنا أيضاً بعض القول فيه لما انتهى الكلام إليه، فإنّ الحديث ذو شجون.

فاعلم أنّه لا خلاف في أنّ يوم الولادة الشريفة من أيّام ربيع الأوّل في عام الفيل قبل الهجرة بثلاث وخمسين سنة، وإنّما الخلاف في أنّه أيّ يوم من الشهر المذكور، ولكن علماء

الإماميّة - رضوان الله عليهم - متّفقون على كونه غير خارج من الثاني عشر والسابع عشر، فالمشهور السابع عشر، قال الشيخ المفيد رحمه الله في المقنعة: ولد صلى الله عليه وآله بمكّة يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل وصدع بالرسالة في يوم السابع والعشرين من رجب وله يومئذ أربعون سنة (انتهى) ونحو ذلك قال شيخ الطائفة وغيرهما من العلماء والمحدّثين إلّا ثقة الإسلام في الكافي حيث قال: ولد النبيّ صلى الله عليه وآله لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأوّل في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال، وروي أيضاً عند طلوع الفجر قبل أن يبعث بأربعين سنة وهو موافق لما هو المشهور بين العامّة في الحرمين زاد الله في شرفهما وغيرهما من بلاد المخالفين، وهذا القول مع ندرته بيننا قد أيّد بوجوه:

الأوّل: أنّ وفاته صلى الله عليه وآله كانت في يوم الاثنين بالاتّفاق، وكانت إمّا لليلتين بقيتا من شهر صفر كما هو المشهور بين الشيعة، أو في الثاني عشر من ربيع الأوّل كما في الكافي وهو أيضاً مشهور بين المخالفين، وعلى كلّ تقدير يكون لا محالة غرّة ربيع الأوّل في السنة الحادية عشر من هجرته الموافقة لوفاته صلى الله عليه وآله مطابقة ليوم الخميس ويلزم منه بالبرهان الحسابيّ أن يكون غرّة ربيع الأوّل في سنة المولد يوم الاثنين أو يوم الثلاثاء، إذ بين غرّتي هذين الربيعين ثلاث وستّون سنة قمريّة بلا زيادة ولا نقصان لعدم الخلاف في مدّة عمره صلى الله عليه وآله ثلاث وعشرون أو أربع وعشرون منها ذات كبيسة، والباقية خالية عنها، والترديد باعتبار عدم العلم بمبدأ الكبائس، وبعد طرح الأسبوعات التامّة من كلّ سنة يبقى من ذوات الكبائس خمسة أيّام، ومن غيرها أربعة أيّام، وهذا ظاهر، فيجتمع من بقايا اسبوعات تلك السنين مائتان وخمسة وسبعون أو ستّة وسبعون يوماً، والباقي منها بعد طرح سبعة سبعة اثنان أو ثلاثة، فيلزم من ذلك أن تكون غرّة ربيع المولد يوماً من الأسبوع مقدّماً على يوم غرّة ربيع الوفاة باثنين أو ثلاثة، وكان هذا يوم الخميس فكان ذلك يوم الاثنين أو الثلاثاء كما ذكرنا وكونه يوم الثلاثاء ساقط بالاتّفاق لعدم إمكان مطابقة الثاني عشر ولا السابع عشر على تقديره ليوم الجمعة، فتعيّن يوم الاثنين فيصادفه الثاني عشر دون السابع عشر، وهو المطلوب.

والثاني: أنّ وفاة العسكريّ وانتقال الأمر إلى صاحب الزمان عليه السلام باتّفاق الكلينيّ والمفيد رحمهما الله في الكافي والإرشاد كان في يوم الجمعة ثامن شهر ربيع الأوّل سنة ستّين ومأتين من الهجرة. فكانت غرّة الشهر المذكور أيضاً، وما بين غرّة هذا الربيع وربيع المولد ثلاثمائة واثنتا عشرة سنة كاملة، فيظهر بالحساب المتقدّم أنّ بقايا أسبوعات أيّام تلك السنين أربعة أو خمسة أيّام، فتكون غرّة ربيع المولد مقدّماً على الجمعة بمثلها، فيكون يوم الاثنين أو يوم الأحد، والثاني ساقط بالاتّفاق، والأوّل مستلزم للمطلوب.

والثالث: أنّ غرّة محرّم الحرام لسنة الهجرة مضبوطة عند أهل الهيئة والحساب، بأنّها كانت يوم الخميس بحسب الحساب، ويوم الجمعة باعتبار رؤية الهلال كما هو مذكور في

التحفة والزيج الجديد وكذا غرّة رجب المرجّب سنة المبعث مضبوط بأنّها كانت يوم الاثنين كما يظهر ممّا رواه الشيخ في المصباح من أنّ المبعث كان في يوم السبت، ولم أطّلع على خلاف فيه، فيستفاد من هذين الضبطين أيضاً دليلان آخران على هذا المطلوب.

والرابع: ذكر بعض الأفاضل رحمه الله أنّ غرّة ربيع الأوّل فيما نحن فيه من الزمان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة كانت يوم الثلاثاء بلا اشتباه، وقد مضى حينئذ من غرّة ربيع المولد ألف ومائة وأربعون سنة، ومن المقررات الحسابيّة المعلومة لأهل الخبرة أنّ في كلّ مأتين وعشرة سنين يعود وضع أيّام الأسابيع مع أيّام الشهور العربيّة إلى ما كان، ففي ألف وخمسين سنة يتمّ العود المذكور خمس مرّات، فيكفي لنا النظر في تتمّتها وهي تسعون سنة، ثلاث وثلاثون منها ذات كبيسة، وسبع وخمسون بلا كبيسة، وقد عرفت أنّ الباقي من الأسبوعات كلّ من الأولى خمسة، ومن الثانية أربعة، فمجموع البقايا ثلاثمائة وثلاث وتسعون يوماً، وإذا طرحناه سبعة سبعة يبقى واحد، فظهر أنّ غرّة ربيع المولد مقدّم على غرّة ربيعنا بيوم، وهذا كان يوم الثلاثاء فذلك كان يوم الإثنين وهو يستلزم المطلوب كما مرّ.

ثمّ قال رحمه الله فإن قيل: ذكر الشيخ في المصباح وغيره رواية مشتملة على تفسير المولد بالسابع عشر. قلنا: لكونها منافية لمقتضى هذه الدلائل الحسابيّة الغير المشكوك فيها، بل معارضة لما رواه أيضاً في المصباح من موافقة المبعث يوم السبت، لعدم إمكان اجتماعهما على ما مرّ ينبغي حملها على أن لا يكون التفسير المذكور من كلام الإمام، بل من كلام بعض الرواة، لإزالة الإبهام عنها على حسب اعتقاده ومثل ذلك ليس بعزيز في الروايات.

ثمّ إذا أتقنت هذا المسلك يتبيّن لك الحقّ بمعونته في كثير ممّا وقع الخلاف فيه، فمن ذلك أنّ الأمّة بعد اتّفاقهم على وقوع هجرة نبيّنا صلى الله عليه وآله من مكّة إلى المدينة في السنة الرابعة عشر من المبعث اختلفوا في شهرها ويومها بالنسبة إلى الشهر، وبالنسبة إلى الأسبوع، فقيل: يوم الاثنين السادس والعشرون من صفر، وقيل: ليلة الاثنين السابع والعشرون منه، وقيل: يوم الخميس أوّل ربيع الأوّل، وقيل: يوم الثلاثاء ثامنه، وقيل: يوم الاثنين بدون ذكر شهرها، وقيل: أوّل ربيع الأوّل بدون ذكر يومه، وقيل: الرابع منه، وقيل: العاشر منه كذلك، فهذه أقوال ثمانية، ولمّا عرفنا ما مرّ من مطابقة غرّة المحرّم سنة الهجرة ليوم الخميس أو الجمعة واطّلعنا على سائر التواريخ المعلومة ومن جملتها أنّ غرّة ربيع المولد يوم الاثنين، وأنّ بينها وبين غرّة ربيع الهجرة ثلاثاً وخمسين سنة، ووجدناها مشتملة على أسابيع تامّة بلا كسر، ومستلزمة لموافقة غرّتيهما يوماً، حصل لنا بتلك المعارف العلم بتهافت القولين الأوّلين، لعدم موافقة السادس والعشرين ولا السابع والعشرين من صفر ليوم الاثنين، وكذا بتهافت القول الثالث والرابع لعدم مطابقة أوّل ربيع الأوّل للخميس، ولا الثامن منه للثلاثاء، ثمّ نعلم بارتفاع احتمال الثلاثاء والخميس من البين، تعيّن يوم الاثنين موافقاً لليوم الخامس المرويّ

عن ابن عبّاس بل عن رسول الله صلى الله عليه وآله. ثمّ بتعيّنه بطلان القولين الأخيرين لتنافيهما، ثمّ ببطلانهما تعيّن أوّل ربيع الأوّل موافقاً للقول السادس المنقول عن الشيخ المفيد رحمه الله فتبيّن لنا أنّ هجرته صلى الله عليه وآله كانت في يوم الاثنين أوّل ربيع الأوّل والحمد لله.

ثمّ بعد هذا التحقيق إذا نظرنا في تاريخ وصوله صلى الله عليه وآله إلى المدينة واختلاف القوم فيه، فقيل: لهلال ربيع الأوّل، وقيل لليلتين خلتا منه، وقيل لاثنتا عشرة مضت منه عرفنا بطلان القولين الأوّلين من طريق العادة، فتعيّن القول الأخير الّذي ذهب إليه المفيد رحمه الله في حدائق الرياض، وقد نقل ابن الجوزيّ في تلقيحه عن ابن سعد أنّه هو المجمع عليه، ثمّ بتعيّنه عرفنا أنّ ما نقله ابن الجوزيّ عن ابن عبّاس وغيره وادّعى صاحب روضة الصفا اتّفاق أئمّة الأخبار عليه من مصادفة يوم وصوله صلى الله عليه وآله إلى المدينة ليوم الاثنين لا عبرة به، لعدم إمكان اتّفاق الأوّل والثاني عشر من شهر في يوم، فيكون وصوله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة، فظهر أيضاً فساد ما نقله عن عروة أنّه مكث بقبا ثلاث ليال، ثمّ ركب يوم الجمعة، فالمعتمد هو ما نقله عن الزهريّ أنّه صلى الله عليه وآله نزل في بيت عمرو بن عوف بقبا، فأقام به بضعة عشرة ليلة، فإنّه موافق لما رواه الكلينيّ في الروضة بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن عليّ بن الحسين عليه السلام في ذكر إسلام عليّ عليه السلام وموضع الحاجة منه قوله عليه السلام:

«حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى المدينة وخلّف عليّاً عليه السلام في أمور لم يكن يقوم بها أحد غيره، وكان خروج رسول الله صلى الله عليه وآله من مكّة في أوّل يوم من ربيع الأوّل وذلك يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأوّل مع زوال الشمس فنزل بقبا فصلّى الظهر ركعتين والعصر ركعتين، ثمّ لم يزل مقيماً ينتظر عليّاً عليه السلام يصلّي الخمس صلوات ركعتين ركعتين، وكان نازلاً على عمرو بن عوف، فأقام عندهم بضعة عشر يوماً يقولون له: أتقيم عندنا فنتّخذ لك منزلاً ومسجداً؟ فيقول: لا، إنّي أنتظر عليّ بن أبي طالب، وقد أمرته أن يلحقني، ولست مستوطناً منزلاً حتّى يقدم عليّ، وما أسرعه إن شاء الله تعالى، فقدم عليّ عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله في بيت عمرو بن عوف، فنزل معه. ثمّ إنّ رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا قدم عليّ عليه السلام تحوّل من قبا إلى بني سالم بن عوف، وعليّ عليه السلام معه يوم الجمعة مع طلوع الشمس، فخطّ لهم مسجداً ونصب قبلته، فصلّى بهم فيه الجمعة ركعتين، وخطب خطبتين، ثمّ راح من يومه إلى المدينة على ناقته الّتي كان قدم عليها، وعليّ معه لا يفارقه يمشي بمشيه»[1] (الحديث).

ولا يخفى أنّ فيه إشكالين: أحدهما في قوله «وذلك يوم الخميس» لما عرفت أنّ أوّل ربيع الأوّل في سنة الهجرة يوم الاثنين، والآخر في قوله «من سنة ثلاث عشرة من المبعث» لما

(١) روضة الكافي، ح ٥٣٦.

عرفت أيضاً من الاتّفاق على كونه في السنة الرابعة عشر منه، ويمكن توجيه الأوّل بأنّ ذلك ليس إشارة إلى أوّل يوم ولا إلى خروج رسول الله ﷺ كما يتبادر إلى الأذهان، بل إلى التخليف المذكور قبلهما، ولعلّ هذا أقرب إلى ذلك لفظاً لكونه أبعد، ومعنى لما نقل أنّه ﷺ توقّف بعد خروجه من مكّة في الغار المشهور ثلاثة أيّام، وكان عليّ عليه السلام يصل إليه فيه سرّاً، فالظاهر أنّ تخليفه فيما أوصى إليه من أموره كان عند ارتحاله عنه فتدبّر. وتوجيه الثاني بأنّ الاتّفاق على كونها في الرابعة عشر مبنيّ على أنّ المبعث كان في رجب، ومبدأ السنة عند العرب هو المحرّم، فما بعد المحرّم إلى رجب من جملة السنة الثالثة عشر من المبعث وإن كان معدوداً عندهم من الرابعة عشر باعتبار مبدأ السنة فهما متوافقان معنى، والمخالفة إنّما هي في اللفظ فقط.

ومن ذلك اختلاف القوم بعد اتّفاقهم على وقوع نصّ غدير خمّ في ثامن عشر ذي الحجّة من السنة العاشرة الهجريّة في خصوص يوم الأسبوعيّ، فنقل عن ابن مردويه وعن أخطب خوارزم مروياً عن أبي سعيد الخدريّ أنّه كان يوم الخميس، وقال بعض الشيعة إنّه كان يوم الجمعة، وما نقل في حبيب السير من اتّفاق المؤرّخين على أنّ يوم عرفة في حجّة الوداع كان مطابقاً ليوم الجمعة مقتض للقول منهم بكونه يوم الأحد، وكذا ما يتوهّم ممّا في كتاب الحجّة من الكافي في أثناء رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام حيث قال بعد بيان نزول الصلاة والزكاة والصوم والحجّ: ثمّ نزلت الولاية وإنّما أتاه ذلك يوم الجمعة بعرفة، أنزل الله عزّ وجلّ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ (الحديث) وكونه توهّماً لأنّه لا يصحّ أن يكون المراد بلفظ عرفة ههنا يوم عرفة لمكان الباء، ولا الموقف لا لأنّ اسمه عرفات وإطلاق عرفة عليه شبيه بمولد كما في الصحاح والقاموس فإنّها مستعملة فيه في كثير من روايات كتاب الحجّ من الكافي والفقيه، بل لظاهر الروايات عن أهل البيت عليهم السلام بأنّ نزولها ما بين مكّة والمدينة بعد الانصراف من حجّة الوداع موافقاً لما نقل في مجمع البيان عن الربيع بن أنس إمّا قبل وصوله إلى غدير خمّ كما روي في تفسير عليّ بن إبراهيم عن أبي جعفر عليه السلام، وأمّا بعده كما روي في مجمع البيان وغيره عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام موافقاً لما رواه المخالفون عن أبي سعيد الخدريّ، ووجه الجمع حمل النزول في الأوّل على تمهيد ما ينزل، أو في الثاني على إقامة ما نزل بالتبليغ، فلو كان هذا اللفظ ههنا من كلام الإمام عليه السلام لاحتمل أن يكون «عرفة» بالضمّ، إذ هي كما في القاموس اسم لثلاثة عشر موضعاً، فلا يبعد أن يكون أحدها قريباً من غدير خمّ هذا، ولكن التحقيق أن ليس شيء من هذه الأيّام الثلاثة موافقاً للتواريخ المضبوطة المعلومة مع اختلافها بالنسبة إليه قرباً وبعداً، فإنّ أقربها منه غرّة صفر في السنة الحادية عشرة من الهجرة سنة وفاة النبيّ ﷺ وهي كما ظهر ممّا مرّ كانت مطابقة للثلاثاء، فكانت غرّة المحرّم فيها موافقة للأحد أو الاثنين، فكانت غرّة ذي الحجّة من السنة السابقة العاشرة من الهجرة غير خارجة عن الجمعة والسبت والأحد، فكان الثامن عشر منه لا يخلو من الاثنين

والثلاثاء والأربعاء. وإنّ أبعدها عنه غرّة ذي الحجّة من سنة سبع وثمانين وألف قبيل ما نحن فيه من الزمان، وهي كانت يوم الخميس بحسب الحساب والرؤية جميعاً بلا اشتباه، وغرّة ذي الحجّة من السنة العاشرة مقدّمة عليها بألف وسبع وسبعين سنة تامّة، فبطريق الحساب الّذي مرّ بيانه يكون الباقي منها بعد طرح أسبوعاتها ستّة فتكون مطابقة للجمعة، فكان ثامن عشره مصادفاً ليوم الاثنين، فيدلّ كلّ من هذين التاريخين المعلومين على خلاف كلّ من الأقوال الثلاثة، ويدلّ على تعيّن رابع هو يوم الاثنين، ويطابقه أيضاً ما ضبط ابن الجوزيّ في التلقيح من أنّ قتل عثمان كان في يوم الجمعة لثمان عشرة خلت من ذي الحجّة سنة خمس وثلاثين، فإنّ ما بينهما خمس وعشرون سنة كاملة، والباقي بعد طرح أسبوعاتها أربعة، فإذا كان هذا يوم الجمعة فكان ذلك مقدّماً عليه بأربعة أيّام، فكان يوم الاثنين، ويوافقه أيضاً ما ذكره الطبريّ في تاريخه من أنّ أوّل جمعة صلّى عليّ عليه السلام بالناس وخطب بهم بعد قتل عثمان كان مطابقاً للخامس والعشرين من ذي الحجّة كما لا يخفى.

فإن قلت: الصدوق رحمه الله قال في الفقيه: وروي أنّه ما طلعت الشمس في يوم أفضل من يوم الجمعة، وكان اليوم الّذي نصب فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام بغدير خمّ يوم الجمعة (الحديث).

قلنا: أوّلاً إنّ دأبه رحمه الله في هذا الكتاب أن يذكر ما لم يعتمد عليه من الروايات بهذا السياق. وثانياً: أنّ قوله «وكان اليوم الّذي - إلى آخره» يجوز أن يكون من عبارة الراوي، أو من عبارته على طبق طريقته في هذا الكتاب من إدراج كلامه كثيراً بين الأحاديث بدون علامة فاصلة بينهما، ويؤيّدهما أنّ مثل صدر هذا الحديث مرويّ في التهذيب والكافي عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام بدون هذه التتمّة، وفي الكافي أيضاً عن إبراهيم بن أبي البلاد، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر أو أبي عبد الله عليه السلام مع تتمّة أُخرى.

وثالثاً: إنّه يمكن أن يوجّه فيحمل اليوم الّذي نصب فيه عليٌّ على اليوم الّذي نزل فيه الأمر بالنصب المذكور، أو على اليوم المقدّر فيه ذلك، وهو يوم الميثاق، أو يقال: أفاد عليه السلام أحد هذين المعنيين بلفظ آخر، فنقله بعض الرواة بهذا اللفظ على طبق وهمه، فيطابق على الأوّل ما مرّ من رواية أبي الجارود، وعلى الثاني ما روي في الباب المذكور من الكافي والتهذيب عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال له رجل: كيف سمّيت الجمعة؟ قال: إنّ الله عزّ وجلّ جمع فيها خلقه لولاية محمّد صلى الله عليه وآله ووصيّه في الميثاق، فسمّاه يوم الجمعة لجمعه فيه خلقه (الحديث) فتأمّل.

ومن ذلك أنّهم بعد اتّفاقهم على وقوع الواقعة العظمى بكربلاء في العاشر من المحرّم سنة إحدى وستّين من الهجرة اختلفوا في يومه الأسبوعيّ، فقيل: كان يوم الجمعة، وقيل: يوم السبت، وقيل: يوم الإثنين، والتواريخ المعلومة المضبوطة لا توافق شيئاً منها، فإنّ أقربها

إلى يوم الغدير في السنة العاشرة، وكونها مطابقةً للاثنين على ما مرّ مستلزم لعدم خروج غرّة المحرّم في الحادية عشر عن السبت والأحد، وما بين المحرّمين خمسون سنة تامّة، والباقي من أسبوعاتها واحد، ويحتمل اثنين أيضاً من جهة زيادة الكبائس لو فرضنا مثلاً [مبدأ] الخمسين المذكور مطابقاً لخامس الثلاثين المعتبر فيها الكبائس لإحدى عشرة كما لا يخفى على أهل الخبرة، فيلزم أن يكون غرّة المحرّم في سنة إحدى وستّين مؤخّرةً عن السبت أو الأحد بواحد أو اثنين، فيكون موافقاً للأحد أو الاثنين، أو الثلاثاء، فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء والأربعاء والخميس وأبعد التواريخ المذكورة عنها غرّة المحرّم فيما نحن فيه من السنة الثامنة والثمانين بعد الألف، وهي كما ثبت بالحساب والرؤية جميعاً بلا اشتباه كانت يوم الجمعة، وما بين ذينك المحرّمين ألف وسبع وعشرون سنة، فإذا أسقطنا عنها «ثمانمائة وأربعين» أربع دورات تامّة كلٌّ منها مائتان وعشرة سنين على ما مرّ وجهه يبقى مائة وسبع وثمانون سنة، والباقي من أسبوعاتها خمسة مع احتمال أربعة أيضاً من جهة نقصان الكبائس لو فرضنا مثلاً مبدأ المدّة المذكورة مطابقاً لثالث الثلاثين المذكور، فيلزم أن يكون غرّة ذلك المحرّم مقدّمةً على غرّة محرّم سنتنا بخمسة أو أربعة، فكانت يوم الأحد أو الاثنين، فعاشره لا يخرج عن الثلاثاء والأربعاء، وسائر التواريخ المعلومة أيضاً دالّة على مثل ما دلّ عليه هذان التاريخان من حال الأقوال المذكورة بالنسبة إلى القواعد الحسابيّة.

فإن قلت: القول الأخير مضبوط في الكافي، والثاني في إرشاد المفيد على التعيين، والثلاثة في مقنعته على الترديد، وبالجملة القدر المشترك بينها هو ممّا اتّفق عليه الشيخان الجليلان.

قلنا: اتّفاقهما بل نقل كلّ منهما مقبول ما لم يظهر في خلافه ما لا يعتريه الشكّ والشبهة، وأمّا مع ذلك فالعذر واضح، وباب التأويل مفتوح، والله أعلم بحقائق الأمور.

ومن ذلك أنّ ابن إدريس رحمه الله في سرائره بعد ذكر فضيلة أيّام ذي الحجّة وما وقع فيها قال: وفي اليوم السادس والعشرين منه سنة ثلاث وعشرين من الهجرة طعن عمر بن الخطّاب، فينبغي للإنسان أن يصوم هذه الأيّام، فإنّ فيها فضلاً كثيراً وثواباً جزيلاً، وقد تلبّس على بعض أصحابنا يوم قبض عمر بن الخطّاب فيظنّ أنّه اليوم التاسع من ربيع الأوّل، وهذا خطأ من قائله بإجماع أهل التواريخ والسير، وقد حقّق ذلك شيخنا المفيد في كتاب التواريخ وذهب إلى ما نقلناه (انتهى).

ثمّ إنّ صاحب كتاب أنيس العابدين على طبق الكفعميّ في ذكر أعمال أيّام ربيع الأوّل قال: وتاسعه روى فيه صاحب مسارّ الشيعة أنّ من أنفق شيئاً غفر له ويستحبّ فيه إطعام الإخوان وتطييبهم، والتوسعة في النفقة، ولبس الجديد، والشكر، والعبادة، وهو [يوم] نفي الهموم، وروي أنّه ليس فيه صوم. وجمهور الشيعة يزعمون أنّ فيه قتل عمر بن الخطّاب

وليس بصحيح، ثمّ ذكر مضمون السرائر وكتاب التواريخ، ثمّ قال: وإنّما قتل عمر يوم الاثنين لأربع ليال بقين من ذي الحجّة سنة ثلاث وعشرين من الهجرة نصّ على ذلك صاحب الغرّة، وصاحب المعجم، وصاحب الطبقات، وصاحب كتاب مسارّ الشيعة، وابن طاووس، بل الإجماع حاصل من الشيعة والسنّة على ذلك (انتهى).

وفيه: أنّ اليوم المذكور من ذي الحجّة من السنة المذكورة لا يمكن كونه موافقاً ليوم الاثنين، بل الضوابط الحسابيّة على نحو ما مرّ تدلّ على أنّه غير خارج عن الثلاثاء والأربعاء، فالقول بهما مشتمل على التهافت.

أقول: أكثر ذلك ذكره بعض أفاضل المدقّقين ممّن كان في عصرنا رحمه الله ولقد دقّق وأفاد، وأحسن وأجاد، لكن بعض المقدّمات المذكورة مبتنية على أقوال بعض العلماء، تبع فيها بعضهم بعضاً، أخذاً من بعض المؤرّخين، فعدّها من الإجماعيّات، وليس من الإجماع في شيء، فلا يمكن القدح بها في الأخبار المعتبرة، وبعضها متفرّعة على ما ظهر لهم من الأرصاد المختلفة في الكسور والكبائس، مع أنّ حسابهم مبنيّ على الأمر الأوسط في القمر، وقد تتقدّم الرؤية عليه بيومين وتتأخّر بيومين، لما مرّ أنّه قد تتوالى أربعة من الشهور تامّة، وقد تتوالى ثلاثة من الشهور ناقصة، مع أنّه قد يمكن تأخّر أوّل الشهور وتأخّره بأكثر من ذلك لمانع غيم أو غيره، فيمكن أن يكون ما ورد في الأخبار مبنيّاً على حكم ظاهر الشرع لا على قوانين الهيئة، ومع ذلك كلّه يصلح أن يكون مرجّحاً لبعض الأقوال والأخبار المختلفة، ولذا أطلنا الكلام بذكرها، وسنعيد القول في كلّ منها في بابه إن شاء الله تعالى، وقد مرّ الكلام في بعضها، والله الموفّق للحقّ والصواب.

١ - **مهج الدعوات:** روينا من كتاب عبد الله بن حمّاد الأنصاريّ، عن أبي عبد الله عليه السلام - وذكر عنده حزيران - فقال: هو الشهر الّذي دعا فيه موسى على بني إسرائيل، فمات في يوم وليلة من بني إسرائيل ثلاثمائة ألف من الناس[(١)].

٢ - وفي حديث آخر من الكتاب المذكور عنه عليه السلام قال: إنّ الله خلق الشهور وخلق حزيران، وجعل الآجال فيه متقاربة[(٢)].

بيان: تقارب الآجال كناية عن كثرة الموت، إمّا لأنّ أجل بعضهم يقرب من بعض، أو لأنّ أجل كلّ منهم يقرب من ابتدائه. وفي القاموس: «إذا تقارب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب» المراد آخر الزمان واقتراب الساعة، لأنّ الشيء إذا قلّ تقاصرت أطرافه.

٣ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن حمّاد بن عيسى، عن الصباح بن سيابة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله خلق الشهور

(١) - (٢) مهج الدعوات، ص ٤٢٢.

اثني عشر شهراً، وهي ثلاثمائة وستّون يوماً، فحجر منها ستّة أيّام خلق فيها السماوات والأرضين، فمن ثَمَّ تقاصرت الشهور[١].

العلل: عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن حمّاد مثله[٢].

العياشي: عن الصباح مثله[٣].

٤ - **الفقيه:** بإسناده عن محمّد بن إسماعيل بن بزيع، عن محمّد بن يعقوب، عن شعيب، عن أبيه، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له: إنّ الناس يروون أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ما صام من شهر رمضان تسعة وعشرين يوماً أكثر ممّا صام ثلاثين. قال: كذبوا، ما صام رسول الله صلى الله عليه وآله إلّا تامّاً، ولا تكون الفرائض ناقصة، إنّ الله تعالى خلق السنة ثلاثمائة وستّين يوماً، وخلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، فحجرها من ثلاثمائة وستّين يوماً، فالسنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون يوماً، وشهر رمضان ثلاثون يوماً لقول الله عزّ وجلّ ﴿وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ﴾ والكامل تامّ، وشوّال تسعة وعشرون يوماً، وذو القعدة ثلاثون يوماً، لقول الله تعالى ﴿وَوَاعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً﴾ فالشهر هكذا، ثمّ هكذا، أي شهر تامّ وشهر ناقص، وشهر رمضان لا ينقص أبداً، وشعبان لا يتمّ أبداً[٤].

توضيح: قد عرفت سابقاً أنّ السنة القمريّة تزيد على ثلاثمائة وأربعة وخمسين يوماً بثمان ساعات وثمان وأربعين دقيقة على ما هو المضبوط بالأرصاد، فما في الخبر مبنيّ على ما تعارف من إسقاط الكسر الناقص عن النصف في الحساب مساهلةً، فإن كان ثلاث مائة وستّون بلا كسر فالستّة المختزلة ناقصة منها أيضاً بالقدر المذكور، وإلّا فيحتمل تمامها.

٥ - **التهذيب:** في الصحيح عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل عن الأهلّة فقال: هي أهلّة الشهور، فإذا رأيت الهلال فصم، وإذا رأيته فأفطر[٥].

ومنه: بإسناده عن عبد الله بن سنان عنه عليه السلام مثله[٦].

المقنعة: عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن الصادق عليه السلام مثله. «ص ٢٩٦».

بيان: «عن الأهلّة» أي المذكورة في قوله تعالى ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ﴾ فاستدلّ عليه السلام بالآية على أنّ المدار في الأحكام الشرعيّة على الرؤية كما قال الشيخ رحمه الله في التهذيب: المعتبر في تعرّف أوائل الشهور بالأهلّة دون العدد على ما يذهب إليه قوم من شذّاذ المسلمين، والّذي يدلّ على ذلك قول الله عزّ وجلّ ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾[٧] فبيّن الله تعالى أنّه جعل هذه الأهلّة معتبرة في تعرّف هذه الأوقات، ولو كان الأمر

(١) الخصال، ص ٤٨٦ باب الإثني عشر ح ٦٢. (٢) علل الشرائع ج ١ باب ٣٤٧ ح ١.
(٣) تفسير العياشي ج ٢ ص ١٢٨ ح ٧. (٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٢٧٠ ح ٢٠٤٣.
(٥) - (٦) تهذيب الأحكام، ص ٦٩٤ ج ٤ ح ٣٧ و ٦٦ باب ٤١.
(٧) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

على ما يذهب إليه أصحاب العدد لما كانت الأهلّة مراعاة في تعرّف هذه الأوقات، إذ كانوا يرجعون إلى العدد دون غيره، وهذا خلاف التنزيل، والهلال إنّما سمّي هلالاً لارتفاع الأصوات عند مشاهدتها بالذكر لها والإشارة إليها بالتكبير أيضاً والتهليل عند رؤيتها، ومنه قيل «استهلّ الصبيّ» إذا ظهر صوته بالصياح عند الولادة، وسمّي الشهر شهراً لاشتهاره بالهلال، فمن زعم أنّ العدد للأيّام والحساب للشهور والسنين يغني في علامات الشهور عن الأهلّة أبطل معنى سمات الأهلّة والشهور الموضوعة في لسان العرب على ما ذكرناه (انتهى)[١].

وأقول: يمكن المناقشة في بعض ما ذكره رحمه الله وسنذكرها في محلّها إن شاء الله.

٦ - **التهذيب:** في الصحيح عن محمّد بن عيسى قال: كتب إليه أبو عمر: أخبرني يا مولاي أنّه ربما أشكل علينا هلال شهر رمضان فلا نراه، ونرى السماء ليست علّة فيفطر الناس ونفطر معهم؟ ويقول قوم من الحساب قبلنا: إنّه يرى تلك الليلة بعينها بمصر وإفريقية والأندلس، فهل يجوز يا مولاي ما قال الحساب في هذا الباب حتّى يختلف الفرض على أهل الأمصار فيكون صومهم خلاف صومنا، وفطرهم خلاف فطرنا؟ فوقّع عليه السلام: لا تصومنّ الشك، أفطر لرؤيته، وصم لرؤيته[٢].

بيان: يظهر من كلامه عليه السلام أنّ المدار على الرؤية، واختلاف الفرض إن وقع الاختلاف في الرؤية غير ضائر.

٧ - **الإقبال:** روينا بإسنادنا إلى عليّ بن فضّال، من كتاب الصيام بإسناده إلى ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: شهر رمضان رأس السنة[٣].

٨ - **الفقيه:** عن العبد الصالح عليه السلام قال: أدع بهذا الدعاء في شهر رمضان مستقبل دخول السنة. وذكر أنّ من دعا به محتسباً مخلصاً لم تصبه في تلك السنة فتنة، ولا آفة، وذكر الدعاء[٤].

٩ - **الكافي والتهذيب:** بسند فيه جهالة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ فغرّة الشهور شهر الله شهر رمضان، وقلب شهر رمضان ليلة القدر، ونزل القرآن في أوّل ليلة من شهر رمضان، فاستقبل الشهر بالقرآن[٥].

تبيين: «فغرّة الشهور» أي أوّلها، قال في النهاية: غرّة كلّ شيء أوّله.

وقد ورد في الأخبار أنّ أوّل السنة شهر رمضان، أو المراد بها أفضلها وأكملها كما قال

---

(١) تهذيب الأحكام، ص ٦٨٩ ج ٤ باب ٤١.
(٢) تهذيب الأحكام، ص ٦٩١ ج ٤ باب ٤١ ح ١٨.
(٣) إقبال الأعمال، ص ٣٠٦.
(٤) من لا يحضره الفقيه، ص ٢٤٥ ح ١٨٤٩.
(٥) الكافي، ج ٤ ص ٣٣١ باب ٤٥ ح ١.

في النهاية: كلّ شيء ترفع قيمته فهو غرّة. والغرّة أيضاً البياض، فيحتمل ذلك أيضاً، أي منوّر بالأنوار المعنويّة، والأوّل أظهر. والمشهور بين العرب أنّ أوّل سنتهم المحرّم، وهذه الأمور تختلف باختلاف الاعتبارات، فيمكن أن يكون أوّل السنة الشرعيّة شهر رمضان، ولهذا ابتدأ الشيخ به في المصباحين، وأوّل السنة العرفيّة المحرّم، وأوّل سنة التقديرات ليلة القدر، وأوّل سنة جواز الأكل والشرب شهر شوّال، كما روى الصدوق في العلل بإسناده إلى الفضل بن شاذان في علّة صلاة العيد: لأنّه أوّل يوم من السنة يحلّ فيه الأكل والشرب، لأنّ أوّل شهور السنة عند أهل الحقّ شهر رمضان وقال في علّة اختصاص شهر رمضان بالصوم: وفيه ليلة القدر الّتي هي خير من ألف شهر، وفيها يفرق كلّ أمر حكيم وهو رأس السنة، ويقدّر فيها ما يكون في السنة من خير أو شرّ، أو مضرّة أو منفعة أو رزق أو أجل، ولذلك سمّيت ليلة القدر[١].

وقال السيّد ابن طاووس رحمه الله في كتاب الإقبال: واعلم أنّي وجدت الروايات مختلفات في أنّه هل أوّل السنة المحرّم أو شهر رمضان، لكنّني رأيت من عمل من أدركته من علماء أصحابنا المعتبرين وكثيراً من تصانيف علمائهم الماضين أنّ أوّل السنة شهر رمضان على التعيين ولعلّ شهر الصيام أوّل العام في عبادات الإسلام، والمحرّم أوّل السنة في غير ذلك من التواريخ ومهامّ الأنام، لأنّ الله جلّ جلاله عظّم شهر رمضان فقال جلّ جلاله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾ فلسان حال هذا التعظيم كالشاهد لشهر رمضان بالتقديم، ولأنّه لم يجر لشهر من شهور السنة ذكر باسمه في القرآن وتعظيم أمره إلّا لهذا الشهر شهر الصيام، وهذا الاختصاص بذكره كأنّه ينبّه - والله أعلم - على تقديم أمره، ولأنّه إذا كان أوّل السنة شهر الصيام وفيه ما قد اختصّ به من العبادات الّتي ليست في غيره من الشهور والأيّام، فكأنّ الإنسان قد استقبل أوّل السنة بذلك الاستعداد والاجتهاد، فيرجى أن يكون باقي السنة جارياً على السداد والمراد، وظاهر دلائل المعقول وكثير من المنقول أنّ ابتداءات الدخول في الأعمال، هي أوقات التأهّب والاستظهار لأوساطها وأواخرها على كلّ حال ولأنّ فيه ليلة القدر الّتي يكتب فيها مقدار الآجال، وإطلاق الآمال، وذلك منبّه على أنّ شهر الصيام هو أوّل السنة، فكأنّه فتح للعباد في أوّل [دخولها] أن يطلبوا طول آجالهم، وبلوغ آمالهم، ليدركوا آخرها، ويحمدوا مواردها ومصادرها. وروى محمّد بن يعقوب وابن بابويه في كتابيهما واللفظ لابن يعقوب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ليلة القدر هي أوّل السنة، وهي آخرها. ولأنّ الأخبار بأنّ شهر رمضان أوّل السنة أبعد من التقيّة وأقرب إلى مراد العترة النبويّة وحسبك شاهداً وتنبيهاً وآكداً ما تضمّنته الأدعية المنقولة في أوّل شهر رمضان بأنّه أوّل السنة على التعيين والبيان[٢].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤٥ باب ١٨٢ ح ٩. (٢) إقبال الأعمال، ص ٣٠٦.

١٠- **الخصال:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ قال: المحرّم وصفر، وربيع الأوّل، وربيع الآخر، وجمادى الأولى، وجمادى الآخرة، ورجب، وشعبان، وشهر رمضان، وشوّال، وذو القعدة، وذو الحجّة. منها أربعة حرم: عشرون من ذي الحجّة، والمحرّم، وصفر، وشهر ربيع الأوّل، وعشر من شهر ربيع الآخر(١).

بيان: الشهور المذكورة في هذا الخبر هي أشهر السياحة الّتي قال الله عزّ وجلّ ﴿فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ والمشهور أنّ ابتداءها يوم النحر إلى العاشر من ربيع الآخر، وقيل: من أوّل الشوّال إلى آخر المحرّم، لأنّ الآية نزلت في شوّال، وقيل: لعشر من ذي القعدة إلى عشر من ربيع الأوّل، لأنّ الحجّ في تلك السنة كان في ذلك الشهر، وعلى التقادير هي غير الأشهر الحرم، وكانت مختصّة بتلك السنة، فهذا إمّا اصطلاح آخر للأشهر الحرم غير المشهور، أو سقط من الخبر شيء، ولعلّه أظهر.

١١ - **الخصال:** في خطبة النبيّ صلى الله عليه وآله في أيّام التشريق: أيّها الناس! إنّ الزمان قد استدار، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السماوات والأرضين، وإنّ عدّة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض، منها أربعة حرم: رجب مُضر الّذي بين جمادى وشعبان، وذو القعدة، وذو الحجّة، والمحرّم فلا تظلموا فيهنّ أنفسكم، فإنّ النسيء زيادة في الكفر يضلّ به الّذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرّمونه عاماً ليواطئوا عدّة ما حرّم الله، فكانوا يحرّمون المحرّم عاماً ويستحلّون صفر، ويحرّمون صفر عاماً ويستحلّون المحرّم(٢).

بيان: قال في النهاية: يقال رجّب فلان مولاه أي عظّمه، ومنه سمّي شهر رجب، لأنّه كان يعظّم، ومنه الحديث «رجب مضر الّذي بين جمادى وشعبان» أضاف رجب إلى مضر لأنّهم كانوا يعظّمونه خلاف غيرهم وكأنّهم اختصّوا به، وقوله «بين جمادى وشعبان» تأكيد للبيان وإيضاح، لأنّهم كانوا ينسئونه ويؤخّرونه من شهر إلى شهر، فيتحوّل عن موضعه المختصّ به، فبيّن لهم أنّه الشهر الّذي بين جمادى وشعبان، لا ما كانوا يسمّونه على حساب النسيء.

١٢ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن الحسين بن عليّ بن يقطين، عن بكر بن عليّ بن عبد العزيز، عن أبيه، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن السنة كم يوماً هي؟ قال: ثلاثمائة وستّون يوماً منها ستّة أيّام خلق الله عزّ وجلّ فيها الدنيا، فطرحت من أصل السنة، فصارت السنة ثلاثمائة وأربعة وخمسون

(١) الخصال، ص ٤٨٩ باب الإثني عشر ح ٦٤.
(٢) الخصال، ص ٤٨٧ باب الإثني عشر ح ٦٣.

يوماً، يستحبّ أن يطوّف الرجل في مقامه بمكّة عدد أيّام السنة ثلاثمائة وستّين أسبوعاً، فإن لم يقدر على ذلك طاف ثلاثمائة وستّين شوطاً[١].

١٣ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يستحب أن تطوّف ثلاثمائة وستّين أسبوعاً عدد أيّام السنة، فإن لم تستطع فما قدرت عليه من الطواف[٢].

١٤ - **العلل:** عن أبي الهيثم عبد الله بن محمّد، عن محمّد بن عليّ الصائغ، عن سعيد بن منصور، عن سفيان عن الزهريّ، عن سعيد بن المسيّب، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إذا اشتدّ الحرّ فأبردوا بالصلاة، فإنّ الحرّ من فيح جهنّم، واشتكت النار إلى ربّها فأذن لها في نفسين: نفس في الشتاء، ونفس في الصيف، فشدّة ما يجدون من الحرّ من فيحها، وما يجدون من البرد من زمهريرها[٣].

بيان: الخبر عاميٌّ ضعيف، وقال في النهاية: فيه «شدّة الحرّ من فيح جهنّم» الفيح سطوع الحرّ وفورانه، ويقال بالواو، وفاحت القدر تفوح وتفيح إذا غلت، وقد أخرجه مخرج التشبيه والتمثيل، أي كأنّه نار جهنّم في حرّها (انتهى) وقال الطيبيّ: «فأذن لها في نفسين» يبيّن أنّ المراد به الحقيقة لا المجاز، وقال الكرمانيّ في شرح البخاريّ: هو علّة لشرعية الإبراد، فإنّ شدّته يسلب الخشوع، أو لأنّه وقت غضب الله لا ينجع فيه الطلب بالمناجاة، إلّا من أذن له (انتهى) وأقول: سيأتي تمام القول فيه في كتاب الصلاة إن شاء الله.

١٥ - **العياشي:** عن أبي جعفر، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله خلق السماوات والأرض في ستّة أيّام، فالسنة تنقص ستّة أيّام[٤].

أقول: وسيأتي فضائل الشهور وخواصّها في الأبواب المناسبة لها في عرض الكتاب إن شاء الله تعالى.

فائدة: قال أبو ريحان: فأمّا العرب فإنّ شهورهم اثنا عشر، أوّلها المحرّم وقد قيل في علل أسامي هذه الشهور أقاويل: **منها**: أنّه قيل في تسمية المحرّم أنّه لكونه من جملة الحرم، وصفر لامتيازهم من فرقة تسمّى صفريّة، وشهري ربيع للزهر والأنوار، وتواتر الأندية والأمطار، وهو نسبة إلى طبع الفصل الّذي نسمّيه نحن الخريف، وكانوا يسمّونه ربيعاً، وشهري جمادى لجمود الماء، ورجب لاعتمادهم الحركة فيه لا من جهة القتال، والرجبة العماد، ومنه قيل: عذق مرجّب. وشعبان لتشعّب القبائل فيه، وشهر رمضان للحجارة

---

(١) الخصال، ص ٦٠٢ باب ما فوق المائة ح ٧.
(٢) الخصال، ص ٦٠٢ باب ما فوق المائة ح ٨.
(٣) علل الشرائع، ج ١ ص ٢٤٠ باب ١٨١ ح ١.
(٤) تفسير العياشي، ج ٢ ص ١٢٨ ح ٦ من سورة يونس.

ترمض فيه من شدّة الحرّ، وشوّال لارتفاع الحرّ وإدباره، وذو القعدة للزومهم منازلهم، وذوالحجّة لحجّهم فيه. وتوجد للشهور العربيّة أسامي أُخر قد كان أوائلهم يدعونها بها، وهي هذه: المؤتمر، ناجر، خوّان، صوّان، حنتم، زباء، الأصمّ، عادل، نافق، واغل، هواع، برك. وقد توجد هذه الأسماء مخالفة لما أوردناه ومختلفة الترتيب كما نظمها أحد الشعراء:

بمؤتمر وناجرة بدأنا وبالخوّان يتبعه الصوّان
وبالزباء بايدة تليه يعود أصمّ صمّ به الشنان
وواغله وناتله جميعا وعادله فهم غرر حسان
ورنّة بعدها برك فتمّت شهور الحول يعقدها البنان

ومعاني هذه الأسماء على ما ذكر في كتب اللغة: أمّا المؤتمر فمعناه أن يأتمر بكلّ شيء ممّا تأتي به السنة من أقضيتها، وأمّا ناجر فهو من النجر وهو شدّة الحرّ، وأمّا خوّان فهو على مثال فعّال من الخيانة. وكذلك صوّان على مثال فعال من الصيانة، وهذه المعاني كانت اتّفقت لهم عند أوّل التسمية، وأمّا الزباء فهي الداهية العظيمة المتكاثفة، سمّي لكثرة القتال فيه وتكاثفه، وأمّا البائد فهو أيضاً من القتال إذ كان يبيد فيه كثير من الناس، وجرى المثل بذلك «العجب كلّ العجب بين جمادى ورجب» وكانوا يستعجلون فيه ويتوخّون بلوغ ما كان لهم من الثأر والغارات قبل دخول رجب، وهو شهر حرام، وأمّا الأصمّ فلأنّهم كانوا يكفّون عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح، وأمّا الواغل فهو الداخل على شراب ولم يدعوه، وذلك لهجومه على شهر رمضان، وكان يكثر في شهر رمضان شربهم للخمر، لأنّ ما يتلوه هي شهور الحجّ، وأمّا ناتل فهو مكيال للخمر سمّي به لإفراطهم في الشرب، وكثرة استعمالهم لذلك المكيال. وأمّا العادل فهو من العدل لأنّه من أشهر الحجّ، وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل، وأمّا الرنّة فلأنّ الأنعام كانت ترنّ فيه لقرب النحر، وأمّا برك فهو لبروك الإبل إذا أُحضرت المنحر. وأحسن من النظم الّذي ذكرنا نظم الصاحب إسماعيل بن عبّاد لها وهي هذه:

أردت شهور العرب في جاهليّة فخذها على سرد المحرّم تشترك
فمؤتمر يأتي ومن بعد ناجر وخوّان مع صوّان يجمع في شرك
حنين وزبّا والأصمّ وعادل ونافق مع وغل ورنّة مع برك

(انتهى).

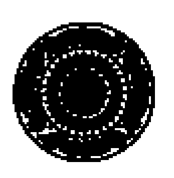
وأقول: في القاموس: ناجر رجب أو صفر، وكلّ شهر من شهور الصيف.

وقال: الخوّان - كشدّاد ويضمّ - شهر ربيع الأوّل. وقال: «زبّا» كربّى بلا لام جمادى الآخرة. وقال: حنين كأمير وسكّيت وبلام فيهما اسمان لجمادى الأولى والآخرة.

ثمّ قال أبو ريحان: ذكر محمّد بن دريد في كتاب الوشاح أنّ ثمود كانوا يسمّون الشهور بأسماء أُخر وهي هذه: موجب وهو المحرّم، ثمّ موجر، ثمّ مولد، ثمّ ملزم، ثمّ مصدر، ثمّ هوبر، ثمّ هوبل، ثمّ موها، ثمّ ديمر، ثمّ دابر، ثمّ حيفل، ثمّ مسبل. قال: وإنّهم كانوا يبتدئون من ديمر، وهو شهر رمضان، ولم تكن العرب تسمّي أيّامهم بأسامي مفردة كما سمّتها الفرس، غير أنّهم أفردوا لكلّ ثلاث ليال من كلّ شهر من شهورهم أسماء على حدة مستخرجاً من حال القمر وضوئه فيها، فإذا ابتدؤوا من أوّل الشهر فثلاث «غرر» جمع «غرّة» وغرّة كلّ شيء أوّله، وقيل: لأنّ الهلال فيها يرى كالغرّة. ثمّ ثلاث «نفل» من قولهم «تنفّل» إذا ابتدأ بالعطيّة من غير وجوب، وبعضهم سمّى هذه الثلاث الثانية «شهب». ثمّ ثلاث «تسع» لأنّ آخر ليلة منها هي التاسعة، وسمّى بعضهم هذه الثلاث الثالثة «البهر» لأنّه تبهر ظلمة الليل فيها. ثمّ ثلاث «عشر» لأنّ أوّلها العاشرة، ثمّ ثلاث «بيض» لأنّها تبيض بطلوع القمر من أوّلها إلى آخرها. ثمّ ثلاث «درع» لاسوداد أوائلها تشبيهاً بالشاة الدرعاء، والأصل هو التشبيه بالدرع الملبوس، لأنّ لون رأس لابسه يخالف لون سائر بدنه. ثمّ ثلاث «ظلم» لإظلامها في أكثر أوقاتها.

ثمّ ثلاث «حنادس» وقيل لها أيضاً «دهم» لسوادها. ثمّ ثلاث «آدئ» لأنّها بقايا، وقيل: إنّ ذلك من سير الإبل، وهو يقدّم إحدى يديه ثمّ يتبعها الأُخرى عجلاً، ثمّ ثلاث «محاق» لانمحاق القمر والشهر. وخصّوا من الشهر ليالي بأسماء مفردة كآخر ليلة منه، فإنّها تسمى «السرار» لاستسرار القمر وتسمّى «الفحمة» أيضاً لعدم الضوء فيها. ويقال لها «البراء» لتبرّؤ الشمس فيها.

وكآخر الشهر فإنّهم يسمّونه «النحيرة» لأنّه ينحر فيه، أي يكون في نحره وكاللّيلة الثالثة عشر فإنّها تسمّى «السواء» والرابعة عشر «ليلة البدر» لامتلاء القمر فيها وتمام ضوئه، وكلّ شيء قد تمّ فقد بدر، كما قيل للعشرة آلاف درهم بدرة لأنّها تمام العدد ومنتهاه بالوضع لا بالطبع.





الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام

تأليف

العلم العلامة الحجة فخر الأمة المولى

الشيخ محمد باقر المجلسي قدس سره

تحقيق وتصحيح

لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين

طبعة منقحة ومزدانة بتعاليق

العلامة الشيخ علي النمازي الشاهرودي قدس سره

الجزء السادس و الخمسون

منشورات

مؤسسة الأعلمي للمطبوعات

بيروت - لبنان

ص.ب: ٧١٢٠

١٥ - باب الأيام والساعات والليل والنهار

١ - **الخصال:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن الحسين السعدآباديّ عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ساعات الليل اثنتا عشرة ساعة، وساعات النهار اثنتا عشرة ساعة وأفضل ساعات الليل والنهار أوقات الصلوات، ثمّ قال عليه السلام: إنّه إذا زالت الشمس فتحت أبواب السماء، وهبّت الرياح، ونظر الله عزّ وجلّ إلى خلقه، وإنّي لأحبّ أن يصعد لي عند ذلك إلى السماء عمل صالح. ثمّ قال: عليكم بالدعاء في أدبار الصلوات فإنّه مستجاب[1].

٢ - **ومنه:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد بن يحيى عن إبراهيم بن إسحاق، عن محمّد بن الحسن بن شمون، عن أبي هاشم، قال: قلت لأبي الحسن الماضي عليه السلام: لم جعلت صلاة الفريضة والسنّة خمسين ركعة لا يزاد فيها ولا ينقص منها؟ قال: إنّ ساعة الليل اثنتا عشرة ساعة، وفيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ساعة، وساعات النهار اثنتا عشرة ساعة، فجعل لكلّ ساعة ركعتين، وما بين غروب الشمس إلى سقوط الشفق غسق[2].

٣ - **العلل:** عن أبيه - إلى قوله - عن أبي هاشم الخادم، وذكر الحديث وزاد في آخره: فجعل للغسق ركعة[3].

بيان: المراد بالركعة ركعتا الوتيرة، فإنّهما تعدّان بركعة، والمراد بالساعة في الخبرين الساعات المعوجّة الزمانيّة كما سيأتي بيانها، وعدم إدخال الساعتين في الليل والنهار مبنيّ على اصطلاح خاصّ كان عند القدماء وأهل الكتاب، ونقل أبو ريحان البيرونيّ في القانون المسعوديّ عن براهمة الهند أنّ ما بين طلوع الفجر وطلوع الشمس وكذلك ما بين غروب الشمس وغروب الشفق خارجان عن الليل والنهار، بل هما بمنزلة الفصل المشترك بينهما، وذكره البرجنديّ في بعض تعليقاته.

٤ - **العلل:** في خبر ابن سلام سأل النبيّ صلى الله عليه وآله لم سمّي الليل ليلاً؟ قال: لأنّه يلايل الرجال من النساء، جعله الله عزّ وجلّ ألفة ولباساً، وذلك قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾﴾[4].

بيان: الملايلة المعاملة ليلاً كالمياومة المعاملة يوماً، ويظهر منه أنّ الليل من الملايلة مع أنّ الظاهر العكس، ويمكن أن يكون تنبيهاً على أنّ أصل الليل الستر.

---

(١) - (٢) الخصال، ص ٤٨٨ باب ١٢ ح ٦٥-٦٦.

(٣) علل الشرائع، ج ٢ ص ٣١٥ باب ٢٣ ح ١.

(٤) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤٩ باب ٢٢٢ ح ٣٣.

٥ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن النوفلي، عن السكوني، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تسبّوا الرياح فإنّها مأمورة، ولا تسبّوا الجبال ولا الساعات ولا الأيّام ولا الليالي فتأثموا وترجع عليكم[1].

بيان: حاصله أنّ تلك الأمور إن كان فيها شرّ أو نحوسة أو ضرر فكلّ ذلك بتقدير خالقها وهي مجبولة عليها، فلعنها لعن من لا يستحقّه، ومن لعن من لا يستحقّه يرجع اللعن عليه.

٦ - **تحف العقول:** قال الحسن بن مسعود: دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمّد عليه السلام وقد نكبت إصبعي وتلقّاني راكب وصدم كتفي، ودخلت في زحمة فخرقوا عليّ بعض ثيابي، فقلت: كفاني الله شرّك من يوم فما أشأمك! فقال لي: يا حسن، هذا وأنت تغشانا! ترمي بذنبك من لا ذنب له؟! قال الحسن: فأثاب إليّ عقلي، وتبيّنت خطأي فقلت: مولاي أستغفر الله. فقال: يا حسن ما ذنب الأيّام حتى صرتم تتشأمون بها إذا جوزيتم بأعمالكم فيها؟ قال الحسن: أنا أستغفر الله أبداً، وهي توبتي يا ابن رسول الله. قال: والله ما ينفعكم، ولكنّ الله يعاقبكم بذمّها على ما لا ذمّ عليها فيه، أما علمت يا حسن أنّ الله هو المثيب والمعاقب والمجازي بالأعمال عاجلاً وآجلاً؟ قلت: بلى يا مولاي، قال: لا تعد ولا تجعل للأيّام صنعاً في حكم الله[2].

بيان: «هذا» أي تقول هذا «وأنت تغشانا» أي تدخل علينا «فأثاب» أي أرجع الإمام «إليّ عقلي» ويدلّ على أنّه ليس لحركات الأفلاك وحدوث الأزمنة مدخل في الحوادث، وهذا لا ينافي ما وقع من التحرّز عن بعض الساعات والأيّام للأعمال، لأنّها بأمره تعالى تحرّزاً عمّا قدّر الله حدوثه فيها، كما قال أمير المؤمنين عليه السلام: أفرّ من قضاء الله إلى قدره.

٧ - **النهج:** قال عليه السلام وقد سئل عن مسافة ما بين المشرق والمغرب: مسيرة يوم للشمس[3].

بيان: لعلّ عدوله عليه السلام عن الجواب الحقيقيّ إلى الإقناعيّ للإشعار بقلّة الفائدة في معرفة تلك المسافة نحو ما قيل في قوله تعالى: ﴿قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ﴾[4] أو لعسر إثباتها على وجه لا يبقى للمنافقين من الحاضرين سبيل إلى الإنكار، كما صرّح عليه السلام به في جواب من سأل عن عدد شعر لحيته، أو لعدم استعداد الحاضرين لفهمه بحجّة ودليل، وعدم المصلحة في ذكره بلا دليل.

٨ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: قال: علّة فضل الليل على النهار أنّ بالليل يكون البيات، ويرفع العذاب، وتقلّ المعاصي، وفيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر.

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٤٨ باب ٣٨٣ ح ١. (٢) تحف العقول، ص ٣٥٦.
(٣) نهج البلاغة، ص ٦٩٤ حكمة رقم ٢٩٦. (٤) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.

بيان: لعلّ المراد بالبيات البيتوتة والنوم والاستراحة، أو البيات إلى الطاعات، والظاهر أنّه كان «السبات» فصحّفه النّساخ، قال الجوهريّ: السبات النوم، وأصله الراحة، ومه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾(١) ويرفع العذاب عذاب المخلوقين على الغالب.

٩ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن الحسن بن محبوب(٢)، عن إسماعيل بن أبان، عن عمر بن عبد الله الثقفيّ، قال: لمّا أخرج هشام بن عبد الملك أبا جعفر عليه السلام إلى الشام سأله عالم من علماء النصارى عن مسائل، فكان فيما سأله: أخبرني عن ساعة ما هي من الليل ولا من النهار أيّ ساعة هي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس. فقال النصرانيّ: فإذا لم تكن من ساعات الليل ولا من ساعات النهار فمن أيّ الساعات هي؟ فقال أبو جعفر عليه السلام: من ساعات الجنّة، وفيها تفيق مرضانا (الخبر)(٣).

توضيح: قد عرفت أنّ هذا اصطلاح آخر في الليل والنهار وساعاتهما كان معروفاً بين أهل الكتاب، فأجابه عليه السلام على مصطلحهم، والحاصل أنّ هذه الساعة لا تشبه شيئاً من ساعات الليل والنهار بل هي شبيهة بساعات الجنّة، وإنّما جعلها الله في الدنيا ليعرفوا بها طيب هواء الجنّة ولطافته واعتداله.

١٠ - **إرشاد القلوب:** بإسناده رفعه إلى الكاظم عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ الله تعالى فرض على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله في الليل والنّهار خمس صلوات في خمسة أوقات، اثنتان بالليل وثلاث بالنهار، ثمّ جعل هذه الخمس صلوات تعدل خمسين صلاة، وجعلها كفّارة خطاياهم (الخبر)(٤).

١١ - **الخصال:** عن الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكريّ، عن عمّه، عن أبي إسحاق قال: أملى علينا «ثعلب» ساعات الليل: الغسق، والفحمة، والعشوة، والهدأة والسباع، والجنح، والهزيع، والعفر، والزلفة، والسحرة، والبهرة. وساعات النهار: الرأد، والشروق، والمتوع، والترجّل، والدلوك، والجنوح، والهجيرة والظهيرة، والأصيل، والطّفل(٥).

توضيح: قال الفيروزآباديّ: الغسق - محرّكة - ظلمة أوّل الليل، وقال: الفحمة من الليل أوّله، أو أشدّ سواده، أو ما بين غروب الشمس إلى نوم الناس خاصّ بالصيف. جمع: فحام وفحوم وقال: العشوة بالفتح الظلمة كالعشاء ما بين أوّل الليل إلى ربعه، والعشاء أوّل

(١) سورة النبأ، الآية: ٩.
(٢) وفي نسخة من روضة الكافي أسقط اسم الحسن بن المحبوب وهو الأظهر كما رواه علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن أبيه عن إسماعيل بن أبان. [النمازي].
(٣) روضة الكافي، ح ٩٤.
(٤) إرشاد القلوب، ص ٣٩٨.
(٥) الخصال، ص ٤٨٨ باب ١٢ ح ٦٧.

الظلام، أو من المغرب إلى العتمة، أو من زوال الشمس إلى طلوع الفجر، والعشيّة آخر النهار، والعشاءان المغرب والعتمة في المصباح المنير: العشيّ قيل ما بين الزوال إلى الصباح، وقيل العشيّ والعشاء من صلاة المغرب إلى العتمة، وعليه قول ابن فارس «العشاءان المغرب والعتمة» قال ابن الأنباريّ: العشيّة مؤنّثة، وربما ذكّرتها العرب، وقال بعضهم: العشيّة واحدة جمعها عشيّ، والعشاء بالكسر والمدّ أوّل ظلام الليل، والعشاء بالفتح والمدّ الطعام الذي يتعشّى به وقت العشاء. وقال: أتانا بعد هُدء من الليل وهَدء وهدأة وهديء ومهدأ وهُدوء أي حين هدأ الليل والرِّجل، أو الهدء أوّل الليل إلى ثلثه.

وأمّا السباع فلم أجده فيما عندنا من كتب اللغة، وكأنّه من السباع ككتاب بمعنى الجماع لأنّه وقته، أو من السبع لأنه مضى من الليل سبع ساعات، أو هو بالياء المثنّاة التحتانيّة، قال في القاموس: بعد سبعاء من الليل بالكسر وكسيراء بعد قطع منه وبعد سوع من الليل وسواع كغراب بعد هدء. وقال: جنوح الليل إقباله والجنح بالكسر الجانب، ومن الليل الطائفة ويضمّ. وقال الراغب في مفرداته: الجنح قطعة من الليل مظلمة. وفي القاموس: هزيع من الليل كأمير طائفة أو نحو ثلثه أو ربعه. والعفر في بعض النسخ بالعين المهملة والفاء، وفي بعضها بالمعجمة، وعلى التقادير آخره راء مهملة، وفي بعضها «الفغد» بالفاء ثمّ الغين المعجمة، وفي بعضها بالفاء ثمّ القاف، وفي بعضها بالنون ثمّ القاف، وعلى التقادير آخره دال مهملة، ولم أجد لشيء منها معنى مناسباً. وفي القاموس: اليعفور جزء من أجزاء الّليل، فالأوّل أنسب إن لم يكن تصحيفه. وفي القاموس: الزلفة بالضمّ الطائفة من الليل والجمع زُلف كغُرف وغُرْفات وغُرُفات وغُرَفات، أو الزلف ساعات الليل الآخذة من النهار، وساعات النهار الآخذة من الّليل. وقال الجوهريّ: الزلفة الطائفة من أوّل الّليل. وقال: السحر قبل الصبح، والسحرة بالضمّ السحر الأعلى. وقال الراغب في المفردات: السحر والسحرة اختلاط ظلام آخر الليل بضياء النهار، وجعل اسماً لذلك الوقت، يقال لقيته بأعلى سحرين. وفي القاموس: ابهارّ الليل انتصف، أو تراكبت ظلمته، أو ذهبت عامّته، أو بقي نحو ثلثه.

والبهرة بالضمّ من الليل وسطه. وقال: رائد الضحى ورأده ارتفاعه. وقال: الشرق الشمس ويحرّك إسفارها، وشرقت الشمس شرقاً وشروقاً طلعت كأشرقت. وقال: متع النهار كمنع متوعاً ارتفع قبل الزوال، والضحى بلغ آخر غايته، وهو عند الضحى الأكبر، أو ترجّل وبلغ الغاية. وقال: ترجّل النهار ارتفع. وقال: دلكت الشمس دلوكاً غربت أو اصفرت أو مالت أو زالت من كبد السماء (انتهى).

وأقول: قد ورد في الأخبار أنّ دلوك الشمس زوالها، والجنوح لعلّه هنا بمعنى الميل لميل الشمس إلى المغرب، ولم أره بهذا المعنى في كتب اللغة. وفي القاموس: الهجير والهجيرة والهجر والهاجرة نصف النهار عند زوال الشمس مع الظهر، أو من عند زوالها إلى العصر،

لأنّ الناس يستكنّون في بيوتهم كأنّهم قد تهاجروا شدّة الحرّ. وقال: الظهر ساعة الزوال، والظهيرة حدّ انتصاف النهار وإنّما ذلك في القيظ. وقال الراغب: الظهيرة وقت الظهر، وقال: يقال للعشيّة أصيل وأصيلة. وقال الجوهريّ: الأصيل الوقت بعد العصر إلى المغرب، وجمعه أُصُل وآصال. وقال: الطفل بالتحريك بعد العصر إذا طفلت الشمس للمغرب يقال: أتيته طفلاً.

أقول: ورأيت في بعض الكتب أنّ العرب قسّموا كلاً من الليل والنهار باثنتي عشرة ساعة وسمّوا كلاً منها باسم، فساعات النهار: البكور، والشروق، والغدوّ، والضحى، والهاجرة، والظهيرة، والرواح، والعصر، والقصر، والأصيل والعشيّ، والغروب، وساعات الليل: الشفق، والغسق، والعتمة، والسدفة والجهمة، والزلفة، والبهرة، والسحر، والسحرة، والفجر، والصبح، والصباح. وبعضهم ذكروا في ساعات النهار: الذرور، والبزوغ، والضحى، والغزالة، والهاجرة والزوال، والدلوك، والعصر، والأصيل، والصبوب، والحدود، والغروب. وبعضهم هكذا: البكور، والشروق، والإشراق، والرأد، والضحى، والمتوع، والهاجرة والأصيل، والعصر، والقصر، والطفل، والغروب. ففي القاموس: البكرة بالضم الغدوة كالبكر محرّكة، واسمها الإبكار، وبكر إليه وعليه وفيه وبكّر وابتكر: أتاه بكرة، وكلّ من بادر إلى شيء فقد أبكر إليه في أيّ وقت كان. وقال: الغدوة بالضمّ البكرة، أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشمس، كالغداة والغديّة والجمع غدوات وغديّات وغدايا وغدوّ ولا يقال غدايا إلاّ مع عشايا، وغدا عليه غدوّاً وغدوة بالضمّ واغتدى: بكّر وقال: الضحو والضحوة والضحيّة كعشيّة ارتفاع النهار، والضحى فويقه، والضحاء بالمدّ إذا قرب انتصاف النهار. وقال: الرواح العشيّ من الزوال إلى الليل. وقال: العصر العشيّ إلى احمرار الشمس. وقال الجوهريّ: قصر الظلام اختلاطه، وقد قصر العشيّ يقصر قصوراً إذا أمسيت، ويقال أتيته قصراً أي عشيّاً. وقال: الشفق بقيّة ضوء الشمس وحمرتها في أوّل الليل إلى قريب من العتمة. وقال الخليل: الشفق الحمرة من غروب الشمس إلى وقت العشاء الآخرة، فإذا ذهب قيل غاب الشفق. وقال: العتمة وقت صلاة العشاء، قال الخليل: العتمة هو الثلث الأوّل من الليل بعد غيبوبة الشفق، وقد عتم الليل يعتم، وعتمته ظلامه. وقال: قال الأصمعيّ: السَّدفة والسُّدفة في لغة نجد الظلمة، وفي لغة غيرهم الضوء، وهو من الأضداد، وكذلك السدف بالتحريك. وقال أبو عبيد: بعضهم يجعل السدفة اختلاط الضوء والظلمة معاً كوقت ما بين طلوع الفجر إلى الإسفار، وقد أسدف الليل أي أظلم وقال الفيروز آباديّ: الجهمة أوّل مآخير الليل أو بقيّة سواده من آخره ويضمّ.

وقال: الفجر ضوء الصباح، وهو حمرة الشمس في سواد الليل، وقد انفجر الصبح

وتفجّر وانفجر عنه الليل، وأفجروا دخلوا فيه، وأنت مفجر إلى طلوع الشمس. وقال: الصبح الفجر، أو أوّل النهار، والجمع أصباح، وهو الصبيحة والصباح والإصباح (انتهى).

وأقول: الظاهر أنّ مرادهم بالفجر الأوّل، وبالصبح الثاني، وبالصباح الإسفار، وللصبح عند العرب أسماء كثيرة: الفلق بالتحريك، والسطيع، والصديع والمغرب، والصرام، والصريم، والشميط، والسدف، والشقّ، والفتق، والذرور من ذرّت الشمس تذرّ ذروراً إذا طلعت - وبزوغ الشمس أيضاً طلوعها.

وفي القاموس: الغزالة كسحابة الشمس، لأنّها تمدّ حبالاً كأنّها تغزل أو الشمس عند طلوعها أو عند ارتفاعها، وغزالة الضحى وغزالاته أوّلها، أو بعدما تنبسط الشمس وتضحى، أو أوّلها إلى مضيّ خمس النهار (انتهى).

والصبوب والحدود لم أر لهما معنى مناسباً، ويقال للغداة والعشيّ: البردان والأبردان، والعصران، والصرعان، والقرتان، والكرّتان، ويقال وسق الليل لساعة منه، وسهواء الليل وروبته بالفتح والضمّ بغير همزٍ اسمان لبعض ساعات الليل والهبّة بكسر الهاء وتشديد الباء الساعة تبقى من السحر، ويقال رأيت بلجة الصبح بالفتح والضمّ إذا رأيت ضوءه. فهذا ما وجدنا من أسماء ساعات الليل والنهار عند العرب، ولليل والنهار أيضاً عندهم أسماء: الدائبان، والصرفان، والجديدان والأجدّان، والحاديان، والأصرمان، والملوان، والعصران، والردفان والصرعان، والأثرمان، والمتباديان، والفتيان، والطريدان، وابنا سبات، وابنا جمير، وابنا سمير. فالدائبان لدؤوبهما وجدّهما في السير، والصرفان لصروف الدهر فيهما، والجديدان لحدوثهما وتجدّدهما، ولذلك سمّيا الأجدّان، والحاديان لسوقهما الناس إلى الموت، والأصرمان لقطعهما الأعمار، والملوان من قولهم عشت معه ملاوة من الدهر أي حيناً وبرهة، ويقال سكت مليّاً أي طويلاً والعصران من العصر بمعنى الدهر، والردفان لترادفهما وتواليهما، والصرعان إيلان ترد إحداهما حين تصدر الأخرى، والصرعان أيضاً المثلان، والأثرمان أي القديمان الشائبان، فإنّ الثرم سقوط الثنايا من الأسنان، والمتباديان من البدو بمعنى الظهور، والفتيان لأنّهما يتجدّدان شابّين، والطريدان لأنّهما يطردان ويدفعان سريعاً، والسبات بالضمّ الدهر، والجمير من قولهم أجمر القوم على الشيء إذا اجتمعوا عليه، وهذا جمير القوم أي مجتمعهم، والسمير من المسامرة، وهو الحديث بالليل، والسمير أيضاً الدهر، وابناه الليل والنّهار.

فوائد جليلة

الأولى: اعلم أنّ اليوم نوعان: حقيقيّ، ووسطيّ. فالحقيقيّ عند بعض المنجّمين من زوال الشمس من دائرة نصف النهار فوق الأرض إلى وصولها إليها، وعند بعضهم من زوال مركز الشمس من دائرة نصف النّهار تحت الأرض إلى وصولها إليها، وعلى التقديرين يكون

اليوم بليلته بمقدار دورة من المعدّل مع المطالع الاستوائيّة لقوس يقطعه الشمس من فلك البروج بحركتها الخاصّة من نصف اليوم إلى نصف اليوم، أومن نصف الليل إلى نصف الليل، والوسطيّ هو مقدار دورة من المعدّل مع مطالع قوس تقطعه الشمس بالسير الوسطيّ، وبسبب الاختلاف بين الحركة الوسطيّة والحركة التقويميّة يختلف اليوم بالمعنى الأوّل والثاني اختلافاً يسيراً يظهر في أيّام كثيرة، لكن اليوم بالاصطلاحين لا يختلف باختلاف الآفاق، وبعضهم يأخذون اليوم من طلوع الشمس إلى طلوعها، وبعضهم من غروبها إلى غروبها، وذلك يختلف باختلاف الآفاق كما تقرّر في محلّه.

قال أبو ريحان البيرونيّ: إنّ اليوم بليلته هو عودة الشمس بدوران الكلّ إلى دائرة فرضت ابتداء لذلك اليوم بليلته أيّ دائرة كانت إذا وقع عليها الاصطلاح وكانت عظيمة، لأنّ كلّ واحدة من العظام أفق بالقوّة أعني بالقوّة أنّه يمكن فيها أن يكون أفقاً لمسكن ما، وبدوران الكلّ حركة الفلك بما فيه المرئيّة من المشرق إلى المغرب على قطبيه.

ثمّ إنّ العرب فرضت أوّل مجموع اليوم والليلة نقط المغارب على دائرة الأفق، فصار اليوم عندهم بليلته من لدن غروب الشمس عن الأفق إلى غروبها من الغد، والذي دعاهم إلى ذلك هو أنّ شهورهم مبتنية على مسير القمر، مستخرجة من حركاته المختلفة، مقيّدة برؤية الأهلّة لا الحساب، وهي ترى لدى غروب الشمس ورؤيتها عندهم أوّل الشهر فصارت الليلة عندهم قبل النهار، وعلى ذلك جرت عادتهم في تقديم الليالي على الأيّام إذا نسبوها إلى أسماء الأسابيع، واحتجّ لهم من وافقهم على ذلك بأنّ الظلمة أقدم في المرتبة من النور، وأن النور طارئ على الظلمة، فالأقدم أولى أن يبتدأ به، وغلّبوا السكون لذلك على الحركة بإضافة الراحة والدعة، وأنّ الحركة لحاجة وضرورة، والتعب عقيب الضرورة فالتعب نتيجة الحركة، وبأنّ السكون إذا دام في الأسطقسّات مدّة لم يولد فساداً فإذا دامت الحركة فيها واستحكمت أفسدت وحدثت الزلازل والعواصف والأمواج وأشباهها. فأمّا عند غيرهم من الروم والفرس ومن وافقهم فإنّ الاصطلاح واقع بينهم على أنّ اليوم بليلته هو من لدن طلوعها من أفق المشرق إلى طلوعها منه بالغد، إذ كانت شهورهم مستخرجة بالحساب غير متعلّقة بأحوال القمر ولا غيره من الكواكب، وابتداؤها من أوّل النّهار، فصار النّهار عندهم قبل الليل. واحتجّوا بأنّ النّور وجود والظلمة عدم، ومقدّمو النّور على الظلمة يقولون بتغليب الحركة على السكون، لأنّها وجود لا عدم وحياة لا موت، ، ويعارضونهم بنظائر ما قاله أولئك، كقولهم إنّ السماء أفضل من الأرض، وإنّ العامل والشابّ أصحّ، والماء الجاري لا يقبل عفونة كالراكد، وأمّا أصحاب التنجيم فإنّ اليوم بليلته عند جلّهم والجمهور من علمائهم هو من لدن موافاة الشمس فلك نصف النهار إلى موافاتها إيّاه في نهار الغد، وهو قول بين القولين، فصار ابتداء الأيّام بلياليها عندهم من النصف الظاهر من فلك نصف

النهار، وبنوا على ذلك حسابهم واستخرجوا عليها مواضع الكواكب بحركاتها المستوية ومواضعها المقوّمة في دفاتر السنة، وبعضهم آثر النصف الخفيّ من فلك نصف النّهار، فابتدأوا به من نصف الليل كصاحب زيج شهرياران، ولا بأس بذلك، فإنّ المرجع إلى أصل واحد.

والذي دعاهم إلى اختيار دائرة نصف النّهار دون دائرة الأفق هو أمور كثيرة.

منها: أنّهم وجدوا الأيّام بلياليها مختلفة المقادير غير متّفقة كما يظهر ذلك من اختلافها عند الكسوفات ظهوراً بيّناً للحسّ، وكان ذلك من أجل اختلاف مسير الشمس في فلك البروج وسرعته فيه مرّةً وبطئه أخرى، واختلاف مرور القطع من فلك البروج على الدوائر، فاحتاجوا إلى تعديلها لإزالة ما عرض لها من الاختلاف وكان تعديلها بمطالع فلك البروج على دائرة نصف النّهار مطّرداً في جميع المواضع إذ كانت هذه الدائرة بعض آفاق الكرة المنتصبة وغير متغيّرة اللّوازم في جميع البقاع من الأرض، ولم يجدوا ذلك في دوائر الآفاق، لاختلافها في كلّ موضع وحدوثها لكلّ واحد من العروض على شكل مخالف لما سواه، وتفاوت مرور قطع فلك البروج عليها، والعمل بها غير تامّ ولا جارٍ على نظام.

ومنها: أنّه ليس بين دوائر أنصاف نهار البلاد إلاّ ما بينهما من دائرة معدّل النّهار والمدارات المشبهة بها، فأمّا الآفاق فإنّ ما بينها مركّب من ذلك ومن انحرافها إلى الشمال والجنوب، وتصحيح أحوال الكواكب ومواضعها إنّما هو بالجهة التي يلزم من فلك نصف النّهار وتسمّى الطول ليس له خطّ في الجهة الأُخرى اللازمة عن الأفق وتسمّى العرض، فلأجل هذا اختاروا الدائرة التي تطّرد عليها حسباناتهم وأعرضوا عن غيرها. على أنّهم لو راموا العمل بالآفاق لتهيّأ لهم ولأدّتهم إلى ما أدّتهم إليه دائرة نصف النّهار لكن بعد سلوك المسلك البعيد وأعظم الخطأ هو تنكّب الطريق المستقيم إلى البعد الأطول على عمد.

الفائدة الثانية: اعلم أنّ اليوم قد يطلق على مجموع اليوم والليلة، وقد يطلق على ما يقابل الليل، وهو يرادف النّهار، ولا ريب في أنّ اليوم والنّهار الشرعيّين مبدؤهما من طلوع الفجر الثاني إلى غيبوبة قرص الشمس عند بعض، وإلى ذهاب الحمرة المشرقيّة عند أكثر الشيعة، وعند المنجّمين وأهل فارس والروم من طلوع الشمس إلى غروبها. وخلط بعضهم بين الاصطلاحين فتوهّم أنّ اليوم الشرعي أيضاً في غير الصوم من الطلوع إلى الغروب، وهذا خطأ، وقد أوردنا الآيات والأخبار الكثيرة الدالّة على ما اخترناه في كتاب الصلاة وأجبنا عن شبه المخالفين في ذلك.

قال أبو ريحان بعد إيراد ما تقدّم منه: هذا الحدّ هو الذي نحدّ به اليوم على الإطلاق إذا اشترط الليلة في التركيب، فأما على التقسيم والتفصيل فإنّ اليوم بانفراده والنّهار بمعنى واحد، وهو من طلوع جرم الشمس إلى غروبه والليل بخلاف ذلك وعكسه بتعارف من الناس قاطبةً فيما بينهم واتّفاق من جمهورهم لا يتنازعون فيه، إلاّ أنّ بعض علماء الفقه في الإسلام

حدّ أوّل النّهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس، تسوية منه بينه وبين مدّة الصوم. واحتجّ بقوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾[1] فادّعى أنّ هذين الحدّين هما طرفا النّهار. ولا تعلّق لمن رأى هذا الرأي بهذه الآية بوجه من الوجوه، لأنّه لو كان أوّل الصوم أوّل النّهار لكان تحديده ما هو ظاهر بيّن للنّاس بمثل ما حدّه به جارياً مجرى التكلّف لما لا معنى له، كما لم يحدّ آخر النّهار وأوّل الليل بمثل ذلك، إذ هو معلوم متعارف لا يجهله أحد، ولكنّه تعالى لمّا حدّ أوّل الصوم بطلوع الفجر ولم يحدّ آخره بمثله بل أطلقه بذكر الليل فقط لعلم النّاس بأسرهم أنّه غروب قرص الشمس علم أنّ المراد بما ذكر في الأوّل لم يكن مبدأ النّهار، وممّا يدلّ على صحّة قولنا قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ فأطلق المباشرة والأكل والشرب إلى وقت محدود لا الليل كلّه، كما كان محظوراً على المسلمين قبل نزول هذه الآية الأكل والشرب بعد عشاء الآخرة، وما كانوا يعدّون صومهم بيوم وبعض ليلته، بل كانوا يذكرونها أيّاماً بإطلاق.

فإن قيل: إنّه أراد بذلك تعريفهم أوّل النهار، للزم أن يكون الناس قبل ذلك جاهلين بأوّل الأيّام والليالي، وذلك ظاهر المحال. فإن قيل: إنّ النهار الشرعيّ خلاف النهار الوضعيّ. فما ذلك إلاّ خلاف في العبارة وتسمية شيء باسم وقع في التعارف على غيره مع تعرّي الآية عن ذكر النّهار وأوّله، والمشاحّة في مثل ذلك مما نعتزلها ونوافق الخصوم في العبارات إذا وافقونا في المعاني، وكيف يعتقد أمر ظهر للعيان خلافه؟ فإنّ الشفق من جهة المغرب هو نظير الفجر من جهة المشرق، وهما متساويان في العلّة متوازيان في الحالة، فلو كان طلوع الفجر أوّل النهار لكان غروب الشفق آخره، وقد اضطرّ إلى قبول ذلك بعض الشيعة وعلى أنّ من خالفنا فيما قدّمناه يوافقنا في مساواة الليل والنهار مرّتين في السنة: إحداهما في الربيع، والأخرى في الخريف، ويطابق قوله قولنا في أنّ النهار ينتهي في طوله عند تناهي قرب الشمس من القطب الشماليّ، وأنّه ينتهي في قصره عند تناهي بعدها منه، وأنّ ليل الصيف الأقصر يساوي نهار الشتاء الأقصر، وأنّ معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾[3] راجع إلى ذلك، فإن جهلوا ذلك كلّه أو تجاهلوا لم يجدوا بدّاً من كون نصف النهار الأوّل ستّ ساعات، والنصف الأخير ستّ ساعات، ولا يمكنهم التعامي عن ذلك لشروع الخبر المأثور في ذكر فضائل السابقين إلى الجامع يوم الجمعة وتفاضل أجورهم بتفاضل قصورهم في الساعات الستّ التي هي أوّل النهار إلى وقت الزوال، وذلك مقول على الساعات الزمانيّة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة الحج، الآية: ٦١.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٥.

المعوجّة دون المستوية التي تسمّى المعتدلة، فلو سامحناهم بالتسليم لهم في دعواهم لوجب أن يكون استواء الليل والنهار حين تكون الشمس بجنبتي الانقلاب الشتويّ ويكون ذلك في بعض المواضع دون بعض، وأن لا يكون الليل الشتويّ مساوياً للنهار الصيفيّ، وأن لا يكون نصف النهار موافاة الشمس منتصف ما بين الطلوع والغروب، وخلافات هذه اللوازم هي القضايا المقبولة عند من له أدنى بصر، وليس يتحقّق لزوم هذه الشناعات إيّاهم إلاّ من له دربة يسيرة بحركات الأكر.

فإن تعلّق متعلّق بقول الناس عند طلوع الفجر «قد أصبحنا وذهب الليل» فأين هو عن قولهم عند تقارب غروب الشمس واصفرارها «قد أمسينا وذهب النهار وجاء الليل» وإنما ذلك إنباء عن دنوّه وإقباله وإدبار ما هم فيه، وذلك جار على طريق المجاز والاستعارة، وجائز في اللغة كقول الله تبارك وتعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾[1] ويشهد لصحّة قولنا ما روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال «صلاة النهار عجماء» وتسمية الناس صلاة الظهر بالأولى لأنّها الأولى من صلاتي النهار، وتسمية العصر بالوسطى لتوسّطها بين الصلاة الأولى من صلاتي النهار وبين الصلاة الأولى من صلوات الليل، وليس قصدي فيما أوردته في هذا الموضع إلاّ نفي ظنّ من يظنّ أنّ الضروريّات تشهد بخلاف ما يدلّ عليه القرآن، ويحتجّ لإثبات ظنّه بقول أحد الفقهاء والمفسّرين والله الموفّق للصواب (انتهى كلامه).

وأقول: سيأتي جواب ذلك كلّه، والدلائل الكثيرة الدالّة على خلافه، وما ذكره على تقدير تمامه لا ينافي ما ادّعيناه مع أنّ عرف الشرع بل العرف العامّ قد استقرّ على أنّ ابتداء اليوم والنهار طلوع الفجر الثاني وأكثر ما ذكره يدلّ على أنّه بحسب الحساب والقواعد النجوميّة أوّلهما طلوع الشمس، ولا مشاحّة في ذلك. وقوله لو كان أوّل الصوم أوّل النهار إلخ فالجواب أنّه لما كان أوّل النهار عند أهل الحساب طلوع الشمس بيّن سبحانه أنّ المراد هنا اليوم الشرعيّ، كما أنّه لمّا كانت اليد تطلق على معان قال في آية الوضوء ﴿إِلَى ٱلْمَرَافِقِ﴾ لتعيين أحد المعاني، ولمّا لم يكن في آخر النهار اختلاف في الاصطلاح لم يتعرّض لتعيينه، وإنّما استقرّ العرف العامّ والخاصّ على جعل أوّل النهار الفجر وأوّل الليل الغروب لما سيأتي أنّ الناس لمّا كانوا في الليل فارغين من أعمالهم الضروريّة للظلمة المانعة فاغتنموا شيئاً من الضياء لحركتهم وتوجّههم إلى أعمالهم الدينيّة والدنيويّة وفي الليل بالعكس لأنّهم لمّا كلّوا وملّوا من حركات النهار وأعماله اغتنموا شيئاً من الظلمة لتركهم ذلك، فلذا اختلف الأمر في أوّل النهار وآخره، وما وقع في الشرع من أنّ الزوال نصف النهار فهو على التقريب والتخمين، وما ذكره من استواء الليل والنهار في الاعتدالين فمعلوم أنّه مبنيّ على اصطلاح المنجّمين، وسيأتي الكلام في جميع ذلك في كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى.

---

(١) سورة النحل، الآية: ١.

الفائدة الثالثة: لا ريب في أنّ الليل بحسب الشرع مقدّم على اليوم، فما ورد في ليلة الجمعة مثلاً إنّما هي الليلة المتقدّمة لا المتأخرة، وما يعتبره المنجّمون وبعض العرب من تأخير الليلة فهو محض اصطلاح منهم، ولا يبتني عليه شيء من أحكام الشريعة. وممّا يدلّ عليه ما رواه الكلينيّ في الروضة بسند موثّق عن عمر بن يزيد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: إنّ المغيريّة يزعمون أنّ هذا اليوم لهذه الليلة المستقبلة، فقال: كذبوا، هذا اليوم للّيلة الماضية، إنّ أهل بطن نخلة حيث رأوا الهلال قالوا: قد دخل الشهر الحرام.

وتوضيحه: أنّ المغيريّة هم أتباع المغيرة بن سعد البجليّ، وهو من المذمومين المطعونين، وقد روى الكشيّ أخباراً كثيرة في أنّه كان من الكذّابين على أبي جعفر عليه السلام ورُوي أنّه كان يدعو النّاس إلى محمّد بن عبد الله بن الحسن، وكان من الزيديّة التبريّة. وفي بعض النسخ «المغيّرة» أي الذين غيّروا دين الله من المخالفين. وقصّة بطن نخلة هي ما ذكره المفسّرون والمؤرّخون أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله بعث عبد الله بن جحش ومعه ثمانية رهط من المهاجرين، وقيل اثنا عشر، وأمره أن ينزل «نخلة» بين مكّة والطائف، فيرصد قريشاً ويعلم أخبارهم فانطلقوا حتى هبطوا نخلة، فوجدوا بها عمرو بن الحضرميّ في عير تجارة قريش في آخر يوم من جمادى الآخرة، وكانوا يرون أنّه من جمادى وهو رجب، فاختصم المسلون، فقال قائل منهم: هذه غِرّة من عدوّ، وغنم رزقتموه، فلا ندري أمن الشهر الحرام هذا اليوم أم لا، فقال قائل منهم، لا نعلم هذا اليوم إلاّ من الشهر الحرام، ولا نرى أن تستحلّوه لطمع أشفيتم عليه، فشدّوا على ابن الحضرميّ فقتلوه وغنموا عيره، فبلغ ذلك كفّار قريش فركب وفدهم حتى قدموا على النبيّ صلى الله عليه وآله فقالوا: أيحلّ القتال في الشهر الحرام؟ فأنزل الله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ﴾ ويظهر من هذا الخبر كما ورد في بعض السير أيضاً أنّهم فعلوا ذلك بعد رؤية هلال رجب وعلمهم بكونه منه، واستشهاده عليه السلام بأنّ الصحابة حكموا بعد رؤية الهلال بدخول رجب، فالليل سابق على النّهار ومحسوب مع اليوم الذي بعده يوماً، وما سبق من تقدّم خلق النّهار على الليل لا ينافي ذلك كما لا يخفى.

الفائدة الرابعة: اعلم أنّهم يقسّمون كلاً من اليوم الحقيقيّ واليوم الوسطي إلى أربعة وعشرين قسماً متساوية يسمّونها بالساعات المستوية والمعتدلة، وأقسام اليوم الحقيقيّ تسمّى بالحقيقيّة، والوسطيّ بالوسطيّة وقد يقسّمون كلاً من الليل والنّهار في أيّ وقت كان باثنتي عشرة ساعة متساوية، ويسمّونها بالساعات المعوجّة لاختلاف مقاديرها باختلاف الأيّام طولاً وقصراً بخلاف المستوية فإنّها تختلف أعدادها ولا تختلف مقاديرها، والمعوجّة بعكسها، وتسمّى المعوجّة بالساعات الزمانيّة أيضاً لأنّها نصف سدس زمان النّهار أو زمان الليل، وكثير من الأخبار مبنيّة على هذا الاصطلاح كما أومأنا إليه، والساعتان تستويان في خطّ الاستواء أبداً، وعند حلول الشمس أحد الاعتدالين في سائر الآفاق. وقد تطلق الساعة في الأخبار على مقدار من أجزاء الليل والنّهار مختصّ بحكم معيّن أو صفة مخصوصة،

كساعة ما بين طلوع الفجر والشمس، وساعة الزوال، والساعة بعد العصر وساعة آخر الليل، وأشباه ذلك، بل على مقدار من الزمان وإن لم يكن من أجزاء الليل والنّهار كالساعة التي تطلق على يوم القيامة، كما أنّ اليوم قد يطلق على مقدار من الزمان مخصوص بواقعة أو حكم كيوم القيامة ويوم حنين، وقال تعالى: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾.

١٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد عن محمّد بن خالد والحسين بن سعيد جميعاً، عن النضر، عن يحيى الحلبيّ، عن المثنّى، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عزّ وجلّ: ﴿كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا﴾[1]. قال: أما ترى البيت إذا كان الليل أشدّ سواداً من خارج؟ فكذلك هم يزدادون سواداً[2].

١٣ - **التهذيب:** بإسناده عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم عن سيف عن أبي بكر الحضرميّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام فقلت: متى أصلّي ركعتي الفجر؟ قال: حين يعترض الفجر، وهو الذي تسمّيه العرب «الصديع»[3].

بيان: في القاموس: الصديع كأمير الصبح. وفي الأساس: ومن المجاز انصدع الفجر وطلع الصديع، وهو الفجر.

١٦ - باب ما روي في سعادة أيام الأسبوع ونحوستها

١ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن عليّ بن عبيد الأشعريّ، عن ابن محبوب، عن حبيب السجستانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة يوم عبادة فتعبّدوا لله عزّ وجلّ فيه، ويوم السبت لآل محمّد عليهم السلام، ويوم الأحد لشيعتهم، ويوم الاثنين يوم بني أميّة، ويوم الثلاثاء يوم لين، ويوم الأربعاء لبني العبّاس وفتحهم ويوم الخميس يوم مبارك بورك لأمّتي في بكورها فيه[4].

بيان: ضمير «بكورها» راجع إلى الأمّة، أي مباركتهم في طلب الحوائج وتوجّههم إليها بكرةً.

٢ - **الخصال:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن سهل بن زياد، عن عمر بن سفيان، رفع الحديث إلى أبي عبد الله عليه السلام أنه قال لرجل من مواليه: يا فلان، ما لك لم تخرج؟ قال: جعلت فداك، اليوم الأحد. قال: وما للأحد؟ قال الرجل: للحديث الذي جاء عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: احذروا حدّ الأحد فإنّ له حدّاً مثل حدّ السيف. قال: كذبوا، كذبوا، ما قال ذاك رسول الله صلى الله عليه وآله فإنّ الأحد اسم من أسماء الله عزّ وجلّ. قال: قلت: جعلت فداك، فالاثنين؟ قال: سمّي باسمهما، قال الرجل: سمّي باسمهما ولم يكونا؟ فقال

---

(١) سورة يونس، الآية: ٢٧.
(٢) روضة الكافي، ح ٣٥٥.
(٣) تهذيب الأحكام، ج ٢ ص ٣٠٦ باب ٨ ح ١٨٨.
(٤) الخصال، ص ٣٨٢ باب ٧ ح ٥٩.

له أبو عبد الله عليه السلام : إذا حدّثت فافهم، إنّ الله تبارك وتعالى قد علم اليوم الذي يقبض فيه نبيّه صلى الله عليه وآله واليوم الذي يظلم فيه وصيّه، فسمّاه باسمهما. قال: قلت: فالثلاثاء؟ قال: خلقت يوم الثلاثاء النار، وذلك قوله عزّ وجلّ : ﴿ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ ٱنطَلِقُوٓا۟ إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَـٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾﴾[1] قال: قلت: فالأربعاء؟ قال: بنيت أربعة أركان للنار. قال: قلت: فالخميس؟ قال: خلق الله الخمسة يوم الخميس قال: قلت: فالجمعة؟ قال: جمع الله عزّ وجلّ الخلق لولايتنا يوم الجمعة. قال: قلت: فالسبت؟ قال: سبتت الملائكة لربّها يوم السبت، فوجدته لم يزل واحداً[2].

بيان: «باسمهما» أي باسم أبي بكر وعمر. والخمسة أصحاب العباء عليهم السلام (سبتت الملائكة) أي قطعت أعمالها للتفكّر في ذاته تعالى. قال الراغب في مفرداته: أصل السبت قطع العمل، ومنه سبت السير أي قطعه، وسبت شعره حلقه وأنفه اصطلمه، وقيل سمّي يوم السبت لأنّ الله تعالى ابتدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستّة أيّام كما ذكره فقطع عمله يوم السبت فسمّي بذلك.

٣ - **الخصال:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن عبد الله بن أحمد الموصليّ، عن الصقر بن أبي دلف الكرخيّ، قال: لمّا حمل المتوكّل سيّدنا أبا الحسن العسكري عليه السلام جئت أسأل عن خبره، قال: فنظر إليّ الزرّاقيّ وكان حاجباً للمتوكّل فأمر أن أدخل إليه، فأدخلت إليه فقال: يا صقر ما شأنك؟ فقلت: خير أيّها الأستاذ، فقال: اقعد، فأخذني ما تقدّم وما تأخّر وقلت أخطأت في المجيء، قال: فوحى الناس عنه ثمّ قال لي: ما شأنك وفيم جئت؟ قلت: لخبر ما فقال لعلّك تسأل عن خبر مولاك! فقلت له: ومن مولاي؟ مولاي أمير المؤمنين. فقال: اسكت! مولاك مولاك هو الحقّ، فلا تحتشمني فإنّي على مذهبك. فقلت: الحمد لله، قال: أتحبّ أن تراه؟ قلت: نعم، قال: اجلس حتى يخرج صاحب البريد من عنده، قال: فجلست فلمّا خرج قال لغلام له: خذ بيد الصقر وأدخله إلى الحجرة التي فيها العلويّ المحبوس وخلّ بينه وبينه. قال: فأدخلني إلى الحجرة، وأومأ إلى بيت فدخلت فإذا هو عليه السلام جالس على صدر حصير وبحذائه قبر محفور، قال: فسلّمت عليه فردّ عليّ ثمّ أمرني بالجلوس ثمّ قال لي: يا صقر ما أتى بك؟ قلت: سيّدي جئت أتعرّف خبرك. قال: ثمّ نظرت إلى القبر فبكيت، فنظر إليّ فقال: يا صقر لا عليك، لن يصلوا إلينا بسوء الآن. فقلت: الحمد لله، ثمّ قلت: يا سيّدي حديث يروى عن النبيّ صلى الله عليه وآله لا أعرف معناه، قال: وما هو؟ فقلت: قوله «لا تعادوا الأيّام فتعاديكم» ما معناه؟ فقال: نعم، الأيّام نحن ما قامت السماوات والأرض، فالسبت اسم رسول الله صلى الله عليه وآله والأحد كناية عن أمير المؤمنين عليه السلام والاثنين الحسن والحسين والثلاثاء عليّ بن الحسين ومحمّد بن عليّ وجعفر

---

(١) سورة المرسلات، الآيات: ٢٩-٣١. (٢) الخصال، ص ٣٨٣ باب ٧ ح ٦١.

ابن محمّد، والأربعاء موسى بن جعفر وعليّ بن موسى ومحمّد بن عليّ وأنا، والخميس ابني الحسن بن عليّ، والجمعة ابن ابن ابني، وإليه تجتمع عصابة الحقّ، وهو الذي يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً. فهذا معنى الأيّام، فلا تعادوهم في الدنيا فيعادوكم في الآخرة ثمّ قال عليه السلام: ودّع واخرج فلا آمن عليك.

قال الصدوق رحمه الله: الأيّام ليست بأئمّة ولكن كنّي بها عن الأئمّة لئلاّ يدرك معناه غير أهل الحقّ، كما كنّى الله عزّ وجلّ بالتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين عن النبيّ وعليّ والحسن والحسين، وكما كنّى عزّ وجلّ بالنعاج عن النساء على قول من روى ذلك في قصّة داود والخصمين، وكما كنّى بالسير في الأرض عن النظر في القرآن، سئل الصادق عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ﴾[1] قال: معناه أولم ينظروا في القرآن، وكما كنّى عزّ وجلّ بالسرّ عن النكاح في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾[2] وكما كنّى عزّ وجلّ بأكل الطعام عن التغوّط فقال في عيسى وأمّه ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾[3] ومعناه أنّهما كانا يتغوّطان، وكما كنّى بالنحل عن رسول الله صلى الله عليه وآله في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ﴾[4] ومثل هذا كثير[5].

بيان: «فأخذني ما تقدّم» أي بالسؤال عمّا تقدم وعمّا تأخر، أي عن الأمور المختلفة لاستعلام حالي وسبب مجيئي، لذا ندم على الذهاب إليه لئلاّ يطّلع على حاله ومذهبه، أو الموصول فاعل «أخذني» بتقدير، أي أخذني التفكّر فيما تقدّم من الأمور من ظنّه التشيّع بي وفيما تأخر ممّا يترتّب على مجيئي من المفاسد. «فوحى الناس» أي أشار إليهم أن يبعدوا عنه، أو على بناء التفعيل أي عجّلهم في الذهاب عنهم، أو هو على بناء المجرّد والناس فاعل أي أسرعوا في الذهاب قال في المصباح: الوحي الإشارة، والوحي السرعة يمدّ ويقصر، وموت وحيّ مثل سريع وزناً ومعنى، يقال وحيت الذبيحة أحيها من باب وعد: ذبحتها ذبحاً وحيّاً، ووحّى الداء الموت توحية: عجّله، وأوحاه بالألف مثله (انتهى) وصاحب البريد: الرسول المستعجل، إذ البريد يطلق على الرسول وعلى دابّته، ويحتمل أن يراد به هنا رئيس هذه الطائفة، وفي القاموس: البريد المرتّب والرسل على دوابّ البريد. وفي الصحاح: البريد: المرتّب، يقال: حمل فلان على البريد. وصاحب البريد قد أبرد إلى الأمير فهو مبرد، والرسول بريد. وفي النهاية: البريد كلمة فارسيّة يراد بها في الأصل البغل، وأصلها «بُريده دُم» أي محذوف الذنب، لأنّ بغال البريد كانت محذوفة الأذناب كالعلامة لها فأعربت وخفّفت، ثمّ سمّي الرسول الذي يركبه بريداً، والمسافة التي بين السكّتين بريداً (انتهى).

---

(١) سورة الروم، الآية: ٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٣٥.
(٣) سورة المائدة، الآية: ٧٥.
(٤) سورة النحل، الآية: ٦٨.
(٥) الخصال، ص ٣٩٤ باب ٧ ح ١٠٢.

«لا عليك» أي لا حزن عليك، والكناية عن العسكريّ عليه السلام بالخميس إمّا لكون إمامته أو ولادته في يوم الخميس وإن كان ضبط بعضهم مخالفاً لذلك، إذ الأكثر لم يعيّنوا خصوص اليوم، أو لأنّ سني إمامته خمس سنين إذ السنة السادسة لم تكمل أو لأنّه عليه السلام خامس من سمّي أو كنّي بالحسن، أو لأنّه متّصل بالقائم عليه السلام المكنّى عنه بالجمعة، أو لعلّة أخرى لا نعرفها. ولعلّ هذه من بطون الخبر فإنّ لأخبارهم عليهم السلام ظهراً وبطناً كالقرآن، ويكون ظاهره أيضاً مراداً بأن يكون المعنى أنّ التشؤم والتطيّر بها يوجب تأثيرها وهذا معنى معاداتها لهم، فأمّا المتوكّلون على الله المتوسّلون بولاء أهل البيت عليهم السلام فلا تضرُّهم نحوسة الأيّام والساعات كما سيأتي في رواية الشيخ في مجالسه.

٤ - **العلل والعيون والخصال:** عن محمّد بن عمرو البصريّ، عن محمّد بن عبد الله الواعظ، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ، عن أبيه عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: سأل الشاميّ أمير المؤمنين عليه السلام عن الأيّام وما يجوز فيها من العمل، فقال عليه السلام يوم السبت يوم مكر وخديعة، ويوم الأحد يوم عرس وبناء ويوم الاثنين يوم سفر وطلب، ويوم الثلاثاء يوم حرب ودم، ويوم الأربعاء يوم شؤم فيه يتطيّر الناس، ويوم الخميس يوم الدخول على الأمراء وقضاء الحوائج، ويوم الجمعة يوم خطبة ونكاح[١].

قال الصدوق رحمه الله: يوم الاثنين يوم سفر إلى موضع الاستسقاء والطلب للمطر[٢].

بيان: يمكن حمل ما ورد في الاثنين على التقيّة.

٥ - **العيون:** عن أبيه ومحمّد بن الحسن، عن محمّد بن يحيى العطّار وأحمد بن إدريس معاً، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن أحمد بن عبد الله البرقيّ، عن أبيه عن بكر بن صالح الجعفريّ، قال: سمعت أبا الحسن عليه السلام يقول: قلّموا أظفاركم يوم الثلاثاء، واستحمّوا يوم الأربعاء، وأصيبوا من الحجامة حاجتكم يوم الخميس وتطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة[٣].

الخصال: عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ عن البرقيّ مثله.

٦ - **العلل:** في خبر ابن سلام أنّه سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن أوّل يوم خلق الله عزّ وجلّ، قال: يوم الأحد، قال: ولم سمّي يوم الأحد؟ قال: لأنّه واحد محدود، قال: فالاثنين؟ قال: هو اليوم الثاني من الدنيا، قال: والثلاثاء؟ قال: الثالث من الدنيا، قال: فالأربعاء؟ قال: اليوم الرابع من الدنيا، قال: فالخميس؟ قال: هو يوم خامس من الدنيا، وهو يوم أنيس لعن فيه إبليس ورفع فيه إدريس، قال: فالجمعة؟ قال: هو يوم مجموع له الناس، وذلك يوم مشهود،

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٦ باب ٣٨٥ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.
(٢) الخصال، ص ٣٨٤ باب ٧ ح ٦٢.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٥٢ باب ٢٨ ح ٢٠.

ويوم شاهد ومشهود. قال: فالسبت؟ قال: يوم مسبوت، وذلك قوله عزّوجلّ في القرآن: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾[1] فمن الأحد إلى الجمعة ستّة أيّام، والسبت معطّل[2].

بيان: «لأنّه واحد محدود» لعلّ المعنى أنّه أوّل زمان حدّ أوّله وآخره فصار يوماً، لأنّه أوّل يوم خلق فيه العالم، وقبله لم يكن زمان محدود كذلك، فينطبق على ما بعده وعلى سائر الأخبار «ومشهود» أي مشهود فيه أوّله، وهو شاهد لمن أتى الجمعة «يوم مسبوت» أي مقطوع فيه خلق العالم.

٧ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن أبي محمّد الفحّام، عن محمّد بن أحمد المنصوريّ، عن سهل بن يعقوب الملقّب بأبي نواس، قال: قلت للعسكريّ عليه السلام ذات يوم: يا سيّدي! قد وقع إليّ اختيارات الأيّام عن سيّدنا الصادق عليه السلام ممّا حدّثني به الحسن ابن عبد الله بن مطهّر، عن محمّد بن سليمان الديلميّ، عن أبيه، عن سيّدنا الصّادق عليه السلام في كلّ شهر فأعرضه عليك؟ فقال لي: افعل، فلمّا عرضته عليه وصحّحته قلت له: يا سيّدي في الأكثر هذه الأيّام قواطع عن المقاصد لما ذكر فيها من النحس والمخاوف، فتدلّني على الاحتراز من المخاوف فيها؟ فإنّما تدعوني الضرورة إلى التوجّه في الحوائج فيها، فقال لي: يا سهل! إنّ لشيعتنا بولايتنا لعصمة لو سلكوا بها في لجّة البحار الغامرة، وسباسب البيد الغائرة بين سباع وذئاب وأعادي الجنّ والإنس لأمنوا من مخاوفهم بولايتهم لنا، فثق بالله عزّوجلّ وأخلص الولاء لأئمّتك الطّاهرين وتوجّه حيث شئت، واقصد ما شئت إذا أصبحت وقلت ثلاثاً: أصبحت اللهمّ معتصماً بذمامك المنيع الذي لا يطاول ولا يحاول، من كلّ طارق وغاشم من سائر ما خلقت ومن خلقت من خلقك الصامت والناطق في جنّة من كلّ مخوف بلباس سابغة ولاء أهل بيت نبيّك، محتجزاً من كلّ قاصد إلى أذيّة بجدار حصين الإخلاص في الاعتراف بحقّهم والتمسّك بحبلهم جميعاً. موقناً أنّ الحق لهم ومعهم وفيه وبهم، أوالي من والوا وأجانب من جانبوا، فأعذني اللهمّ بهم من شرّ كلّ ما أتّقيه يا عظيم، حجزت الأعادي عنّي ببديع السماوات والأرض إنّا جعلنا من بين أيديهم سدّاً ومن خلفهم سدّاً فأغشيناهم فهم لا يبصرون.

وقلتها عشيّاً ثلاثاً حصلت في حصن من مخاوفك وأمنٍ من محذورك، فإذا أردت التوجّه في يوم قد حذّرت فيه فقدّم أمام توجّهك: الحمد لله ربّ العالمين والمعوّذتين، وآية الكرسي، وسورة القدر، وآخر آية في سورة آل عمران، وقل: اللهمّ بك يصول الصائل، وبقدرتك يطول الطائل، ولا حول لكلّ ذي حول إلاّ بك، ولا قوّة يمتارها ذو قوّة إلاّ منك، بصفوتك من خلقك وخيرتك من بريّتك محمّد نبيّك وعترته وسلالته عليهم السلام صلّ عليهم

---

(١) سورق ق، الآية: ٣٨.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٥٠ باب ٢٢٢ ح ٣٣.

واكفني شرّ هذا اليوم وضرره وارزقني خيره ويمنه، واقض لي في متصرّفاتي بحسن العاقبة وبلوغ المحبّة، والظفر بالأمنيّة وكفاية الطاغية الغويّة، وكلّ ذي قدرة لي على أذيّة، حتى أكون في جنّة وعصمة، من كلّ بلاء ونقمة، وأبدلني من المخاوف أمناً، ومن العوائق فيه يسراً، حتى لا يصدّني صادّ عن المراد، ولا يحلّ بي طارق من أذى العباد، إنّك على كلّ شيء قدير، والأمور إليك تصير، يا من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير[1].

بيان: اللّجة - بالضم -: معظم الماء، ويقال غمر الماء أي كثر، وغمره الماء أي غطّاه، والسبب: المفازة أو الأرض المستوية البعيدة، بلد سبسب وسباسب. والبيد - بالكسر -: جمع البيداء، وهي الفلاة أي الأرض الخالية لا ماء فيها والغائرة من الغور أي المنخفضة، فإنّها أهول، وفي بعض النسخ بالباء الموحّدة من الغبار فإنّه لا يهتدى إلى الخروج منها. والذمام - بالكسر -: العهد والكفالة والأمان والمطاولة المغالبة في الطُول والطَّوْل، وحاوله: رامه، والغشم: الظلم. «بلباس سابغة» بغير تنوين فيهما، بالإضافة، فالأولى من إضافة الموصوف إلى الصفة، والثانية البيانيّة، أو بالتنوين فيهما، أو في الثاني منهما، فقوله «ولاء» بدل أو عطف بيان، وكذا قوله «بجدار حصين» يحتمل الإضافة والتوصيف، وفي بعض النسخ «حصن» بغير ياء، فالإضافة لا غير. والحجز: المنع والكفّ «ببديع السماوات والأرض» أي مبدعهما، أو بمن سماواته وأرضه بديعتان، وصال على قرنه: سطا واستطال. والامتيار: جلب الميرة - بالكسر - وهي الطعام، والسلالة بالضمّ: ما انسلّ من الشيء، والولد.

٨ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن غير واحد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: السبت لنا، والأحد لشيعتنا والاثنين لأعدائنا، والثلاثاء لبني أميّة، والأربعاء يوم شرب الدواء، والخميس تقضى فيه الحوائج، والجمعة للتنظيف والتطيّب، وهو عيد المسلمين، وهو أفضل من الفطر والأضحى، ويوم غدير أفضل الأعياد، وهو الثامن عشر من ذي الحجّة، وكان يوم الجمعة، ويخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة، وتقوم القيامة يوم الجمعة، وما من عمل أفضل يوم الجمعة من الصلاة على محمّد وآله[2].

بيان: «لأعدائنا» أي لجميع المخالفين، وإن كان بنو أميّة منهم، والثلاثاء لخصومهم وشيعتهم.

٩ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم، قال: العلّة في صوم الخميس والأربعاء أنّ الأعمال ترفع يوم الخميس والنار خلقت يوم الأربعاء.

١٠ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس قال: إنّ الله تعالى خلق يوماً فسمّاه الأحد، ثمّ خلق

(١) أمالي الطوسي، ص ٢٧٦ مجلس ١٠ ح ٥٢٩. (٢) الخصال، ص ٢٩٤ باب ٧ ح ١٠١.

ثانياً فسمّاه الاثنين، ثمّ خلق ثالثاً فسمّاه الثلاثاء، ثمّ خلق رابعاً فسمّاه الأربعاء، وخلق خامساً فسمّاه الخميس، فخلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، ولذلك يقول الناس إنّه يوم ثقيل، وخلق مواضع الأنهار والشجر والقرى يوم الأربعاء، وخلق الطير والوحش والسباع والهوامّ والآفة يوم الخميس، وخلق الإنسان يوم الجمعة، وفرغ من الخلق يوم السبت[1].

١١ - **العيون:** عن محمّد بن عليّ بن الشاه، عن أبي بكر عبد الله النيسابوريّ عن عبد الله ابن أحمد بن عامر الطائيّ، عن أبيه وعن أحمد بن إبراهيم الخوزيّ وإبراهيم بن مروان الخوزيّ، عن جعفر بن محمّد بن زياد، عن أحمد بن عبد الله الشيبانيّ، وعن الحسين بن محمّد الأشنانيّ عن عليّ بن محمّد بن مهرويه، عن داود بن سليمان جميعاً عن الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمّد عليه السلام قال: السبت لنا والأحد لشيعتنا، والاثنين لبني أميّة، والثلاثاء لشيعتهم، والأربعاء لبني العبّاس والخميس لشيعتهم، والجمعة لسائر الناس جميعاً وليس فيه سفر، قال الله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[2] يعني يوم السبت[3].

صحيفة الرضا: بالإسناد عنه عليه السلام مثله.

بيان: فيه مخالفة لسائر الأخبار في ذمّ الثلاثاء والخميس، إلاّ أن يقال: تبرّك المخالفين بهما لا يدلّ على ذمّهما إلاّ إذا اقترن بهما شيء آخر كالاثنين، ثمّ على تأويله عليه السلام لعلّ المراد بقضاء الصلاة العمل بتوابعها ومكمّلاتها من سائر أعمال يوم الجمعة.

١٢ - **المكارم:** عن الحلبيّ عن أبي عبد الله عليه السلام: أيكره السفر في شيء من الأيّام المكروهة الأربعاء وغيره؟ قال: افتتح سفرك بالصدقة واقرأ آية الكرسيّ إذا بدا لك.

وعن حمّاد بن عثمان عنه عليه السلام مثله إلاّ أنّه قال: افتتح سفرك بالصدقة واخرج إذا بدا لك، واقرأ آية الكرسيّ واحتجم إذا بدا لك[4].

١٣ - في الديوان المنسوب إلى أمير المؤمنين عليه السلام:

لنعم اليوم يوم السبت حقاً ... لصيد إن أردت بلا امتراء
وفي الأحد البناء لأنّ فيه ... تبدّى الله في خلق السماء
وفي الاثنين إن سافرت فيه ... ستظفر بالنجاح وبالثراء
ومن يرد الحجامة فالثلاثاء ... ففي ساعاته هرق الدماء
وإن شرب امرؤ يوماً دواءً ... فنعم اليوم يوم الأربعاء
وفي يوم الخميس قضاء حاج ... ففيه الله يأذن بالدعاء

(١) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٦١.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤٦ باب ٣١ ح ١٤٦.
(٤) مكارم الأخلاق، ص ٢٥٥.

وفي الجامعات تزويج وعرس ولذّات الرجال مع النساء
وهذا العلم لا يعلمه إلاّ نبيّ أو وصيّ الأنبياء

بيان: «لنعم» اللام لام الابتداء للتأكيد، ولا تدخل على الماضي إلاّ مع قد في غير نعم وبئس، والحقّ: ضدّ الباطل، واليقين: الثابت، وهو مفعول مطلق لفعل لازم الحذف أي أقول قولاً حقّاً، أو علمت ذلك حقّاً يقيناً، أو حقّ ذلك حقّاً، والظرف في قوله «بلا امتراء» متعلّق بنعم، أو بقوله «حقّاً» «تبدّى» أي ابتدأ، قلبت الهمزة ألفاً، ويؤيّده قول الجوهريّ: إنّ أهل المدينة يقولون بدينا بمعنى بدأنا. كذا قال الشارح، وقال بعض الأفاضل: ما ذكره لا يوافقه اللغة، والظاهر أن يكون الأصل في كلامه عليه السلام «لأنّ فيه ابتداء الله» على الماضي من الافتعال، فأسقط الكتّاب الهمزة من أوّله حفظاً لرعاية الوزن عند القطع عن المصراع الأوّل، ولم يتفطّنوا لجواز الوصل لتلك الرعاية، ثمّ كتبوا الهمزة الأخيرة بالياء على ما اشتهر من الخطأ في أمثاله بينهم (انتهى) و«فيه» متعلّق بقوله «ستظفر» والضمير راجع إلى السفر، كذا ذكره الشارح، ويمكن أن يكون الضمير راجعاً إلى الاثنين ويكون تأكيداً، أو يكون تقدير الكلام: وأقول في الاثنين والثراء: كثرة المال، وهرق الدماء بالفتح على المصدر سفكها، في المصباح: تقول هرقته هرقاً من باب نفع (انتهى) والمشهور فيه الإهراق، ويمكن أن يكون هنا لازماً أي انصباب الدماء. والحاج: جمع الحاجة، ذكره الفيروزآبادي. وقال: أذن بالشيء كسمع علم به، وأذن له في الشيء كسمع إذناً بالكسر أباحه، وأذن إليه وله كفرح استمع معجباً أو عامّ (انتهى) وعلى التقادير كناية عن استجابة الدعاء، والتزويج: النكاح، والعرس: الزفاف أو إطعامه، في القاموس العرس - بالضمّ وبضمّتين - : طعام الوليمة والنكاح. وقال الشارح: قد تقرّر في علم النجوم أنّ السبت متعلّق بزحل، والأحد بالشمس، والاثنين بالقمر، والثلاثاء بالمرّيخ، والأربعاء بالعطارد، والخميس بالمشتري، والجمعة بالزهرة، ومناسبة القمر بالسفر والمرّيخ بالحجامة وسفك الدم والعطارد لشرب الدواء والمشتري بقضاء الحاجات والدعاء والزهرة للتزويج والعرس واجتماع الرجال والنساء مسلّمة في هذا الفنّ لكن مناسبة الزحل بالصيد والشمس بالبناء لا تظهران من هذا الفنّ، ولعلّ تخصيص السبت بالصيد مبنيّ على ما روي عن ابن عبّاس ومجاهد أنّ اليهود أُمروا باليوم الذي أُمرتم به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا السبت فابتلاهم الله به وحرّم عليهم الصيد فيه، فإذا كان يوم السبت شرّعت لهم الحيتان ينظرون إليها في البحر فإذا انقضت السبت ذهبت وما عادت إلاّ في السبت المقبل وذلك بلاء ابتلاهم الله به، ووجه التخصيص للأحد بالبناء مذكور في البيت (انتهى).

وأقول: لعلّ تخصيص السبت بالصيد لأنّ الله رخّص لنا فيه، ويجب المبادرة إلى رُخصه كما يجب المبادرة إلى عزائمه، ولذا يستحبّ الجماع في أوّل ليلة من شهر رمضان. أو

مخالفة لليهود في تحريمهم الصيد فيه. ثمّ إنّ البيت الأخير يدلّ على أنّ هذا العلم الذي هو شعبة من علم النجوم مختصّ بهم عليهم السلام لا يعلمه غيرهم كما مرّ في الأخبار، قال الغزاليّ في الإحياء: المنهيّ عنه من النجوم أمران: أحدهما أن يصدّق بأنّها فاعلة لآثارها مستقلّة بها، والثاني تصديق المنجّمين في أحكامهم لأنّهم يقولونها من جهل، وهذا العلم كان معجزة لبعض الأنبياء عليهم السلام ثمّ اندرس فلم يبق إلاّ ما هو مختلط لا يتميّز فيه الصواب عن الخطأ، فاعتقاده كون الكواكب أسباباً لآثار تحصل بخلق الله ليس قادحاً في الدين بل هو الحقّ (انتهى). وقال علاء الدولة من الصوفيّة: إذا أردت أن تعرف أنّ المطر يحدث بسبب الاتّصالات العلويّة التي يسمّيها المنجّمون فتح الباب فاقرأ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾ وإذا أردت أن تعرف أنّ علم النجوم علم الأنبياء فاقرأ قوله تعالى: ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾ ومراد النبيّ صلى الله عليه وآله من قوله «من آمن بالنجوم فقد كفر» أنّ من آمن بأنّها مستقلاّت بأنفسها في تدبير العالم غير مسخّرات بأمر الله تعالى فقد كفر بالله الذي خلقها وسخّرها، وجعلها مدبّرات بأمره، وأودع في كلّ واحد منها خاصيّةً خاصّة دون غيره، وفي اجتماعها خاصّة دون ما اختصّ به كلّ واحد قبل الاجتماع (انتهى). وقد مرّ الكلام منّا في ذلك في بابه.

١٤ - **المكارم:** من كتاب المحاسن عن عبد الله بن سليمان عن أحدهما عليه السلام قال: كان أبي إذا خرج يوم الأربعاء أو في يوم يكرهه الناس من محاق أو غيره تصدّق بصدقه ثمّ خرج[١].

وعن أبي عبد الله عليه السلام من تصدّق بصدقة إذا أصبح دفع الله عنه نحس ذلك اليوم.

ومن كتاب طبّ الأئمّة عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلّموا أظفاركم يوم الثلاثاء، واحتجموا يوم الأربعاء، وأصيبوا من الحمّام يوم الخميس، وتطيّبوا بأطيب طيبكم يوم الجمعة[٢].

١٧ - باب ما ورد في خصوص يوم الجمعة

١ - **قرب الإسناد:** عن أحمد بن محمّد، عن عبد الرحمن بن عمر بن أسلم قال: رأيت أبا الحسن موسى عليه السلام احتجم يوم الأربعاء وهو محموم فلم تتركه الحمّى فاحتجم يوم الجمعة فتركته الحمّى[٣].

٢ - **العيون:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه عن إسحاق ابن إبراهيم، عن مقاتل بن مقاتل قال: رأيت أبا الحسن الرضا عليه السلام في يوم الجمعة في وقت الزوال على ظهر الطريق يحتجم وهو محرم.

قال الصدوق رحمه الله: في هذا الحديث فوائد: إحداها إطلاق الحجامة في يوم الجمعة عند الضرورة، وليعلم أنّ ما ورد من كراهة ذلك إنّما هو في حالة الاختيار، والفائدة الثانية

(١) - (٢) مكارم الأخلاق، ص ٢٥٥. (٣) قرب الإسناد، ص ٣٠٢. ح ١١٨٧.

الإطلاق في الحجامة في وقت الزوال، والفائدة الثالثة أنّه يجوز للمحرم أن يحتجم إذا اضطرّ ولا يحلق مكان الحجامة ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم(١).

٣ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى اليقطينيّ عن زكريّا المؤمن، عن محمّد بن رباح القلاّء، قال: رأيت أبا إبراهيم عليه السلام يحتجم يوم الجمعة، فقلت: جعلت فداك تحتجم يوم الجمعة؟ قال: اقرأ آية الكرسيّ، فإذا هاج بك الدم ليلاً كان أو نهاراً فاقرأ آية الكرسي واحتجم(٢).

٤ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن إبراهيم بن هاشم، عن النوفلي عن السكونيّ، عن جعفر بن محمّد عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أطرفوا أهاليكم في كلّ جمعة بشيءٍ من الفاكهة واللحم حتى يفرحوا بالجمعة. وكان النبيّ صلى الله عليه وآله إذا خرج في الصيف من بيت خرج يوم الخميس وإذا أراد أن يدخل البيت في الشتاء من البرد دخل يوم الجمعة. وقد روي أنّه كان دخوله وخروجه يوم الجمعة(٣).

٥ - **ومنه:** عن أحمد بن زياد الهمدانيّ، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه عن ابن أبي عمير وعليّ بن الحكم معاً عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله عليه السلام في الرجل يريد أن يعمل شيئاً من الخير مثل الصدقة والصوم ونحو هذا، قال: يستحبُّ أن يكون ذلك يوم الجمعة، فإنّ العمل يوم الجمعة يضاعف(٤).

٦ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أيّوب بن نوح، عن ابن أبي عمير، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يكره السفر والسعي في الحوائج يوم الجمعة بكرةً من أجل الصلاة، فأمّا بعد الصلاة فجائز يتبرّك به(٥).

٧ - **ومنه:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ عن محمّد بن حسان الرازيّ، عن أبي محمّد الرازيّ، عن النوفليّ، عن السكونيّ عن أبي عبد الله، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قلّم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله من أنامله الداء وأدخل فيه الدواء. وروي أنّه لا يصيبه جنون ولا جذام ولا برص(٦).

٨ - **ومنه:** عن أبيه، عن محمّد العطّار، عن الأشعريّ، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن محمّد بن موسى بن الفرات، عن عليّ بن المطر، عن السكن الخزّاز، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: لله حقّ على كلّ محتلم في كلّ جمعة أخذ شاربه وأظفاره ومسّ شيء من الطيب(٧).

---

(١) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ١٩ باب ٣٠ ح ٣٨.
(٢) - (٣) الخصال، ص ٣٩٠-٣٩١ باب ٧ ح ٨٣ و٨٥.
(٤) الخصال، ص ٣٩٢ باب ٧ ح ٩٣.
(٥) - (٧) الخصال، ص ٣٩٣ باب ٧ ح ٩٥ و٨٨ و٩١.

٩ - **المحاسن:** عن محمّد بن عليّ، عن عبد الرحمن بن أبي هاشم، عن إبراهيم بن يحيى المدينيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا بأس بالخروج بالسفر ليلة الجمعة[(١)].

١٠ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبدالله، عن محمّد بن عيسى اليقطينيّ، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: في الجمعة ساعة لا يحتجم فيها أحد إلاّ مات[(٢)].

بيان: قد جرّب مراراً في الحجامة يوم الجمعة أنّه لم يرقأ الدم حتى مات وما ورد من فعلهم عليهم السلام لا ينافيه، لأنّهم يعلمون تلك الساعة فيجتنبونها، أو هذا فيما إذا لم يقرأ آية الكرسيّ. ولما ذكره الصدوق رحمه الله من الفرق بين الضرورة وعدمها أيضاً وجه.

١١ - **روضة الواعظين:** قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: خمس خصال تورث البرص: النورة يوم الجمعة ويوم الأربعاء، والتوضّي والاغتسال بالماء الذي تسخنه الشمس، والأكل على الجنابة، وغشيان المرأة في حيضها، والأكل على الشبع[(٣)].

بيان: سيأتي عدم كراهة النورة في يوم الجمعة، وأنّ أخبار النهي محمولة على التقيّة.

١٢ - **المكارم:** عن أنس، قال: كان أحبّ الأيّام إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أن يسافر فيه يوم الجمعة[(٤)].

١٣ - **ومنه:** عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تخرج في يوم الجمعة في حاجة فإذا كان يوم السبت وطلعت الشمس فاخرج في حاجتك[(٥)].

١٤ - **ومنه:** عن المفضّل بن عمر، قال: دخلت على الصادق عليه السلام وهو يحتجم يوم الجمعة فقال: أوليس تقرأ آية الكرسيّ. ونهى عن الحجامة مع الزوال في يوم الجمعة[(٦)].

١٨ - باب يوم السبت ويوم الأحد

١ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن الحسين بن سعيد عن الحسين بن أسد البصريّ، عن الحسين بن سعيد، عمّن رواه، عن خلف بن حمّاد عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه مرّ بقوم يحتجمون، فقال: ما كان عليكم لو أخّرتموه لعشيّة الأحد، فكان يكون أنزل للداء[(٧)].

٢ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن سعد بن عبد الله، عن القاسم بن محمّد

(١) المحاسن، ج ٢ ص ٨٣.
(٢) الخصال، ص ٦٣٧ باب الأربعمائة، ح ١٠.
(٣) روضة الواعظين، ص ٣٠٨.
(٤) - (٦) مكارم الأخلاق، ص ٢٥٥.
(٧) الخصال، ص ٣٨٣ باب ٧ ح ٦٠.

الأصبهانيّ، عن سليمان بن داود المنقريّ، عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كان مسافراً فليسافر يوم السبت، فلو أنّ حجراً زال عن حجر يوم السبت لردّه الله تعالى إلى مكانه، ومن تعذّرت عليه الحوائج فليلتمس طلبها يوم الثلاثاء، فإنّه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام [(١)].

ومنه: عن أبيه، عن سعد، إلى قوله «إلى مكانه»[(٢)].

٣ - **العيون**: بالأسانيد الثلاثة المتقدّمة في الباب الأوّل عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ بارك لأمّتي في بكورها يوم سبتها وخميسها[(٣)].

ومنه: عن محمّد بن أحمد بن الحسين الورّاق، عن عليّ بن محمّد بن عنبسة مولى الرشيد، عن دارم بن قبيصة، عن الرضا عليه السلام مثله.

صحيفة الرضا: بالإسناد عنه عليه السلام مثله.

٤ - **الخصال**: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار عن يعقوب ابن يزيد، عن ابن أبي عمير، عن أبي أيّوب الخزّاز، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[(٤)] قال: الصلاة يوم الجمعة، والانتشار يوم السبت، وقال أبو عبد الله عليه السلام: أفٍ للرّجل المسلم أن لا يفرغ نفسه في الأسبوع يوم الجمعة لأمر دينه فيسأل عنه[(٥)].

٥ - **ومنه**: عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد بن يحيى الأشعري، عن محمّد بن حسّان. عن أبي محمّد الرازيّ، عن النوفليّ عن السكونيّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قلّم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس وأخذ من شاربه عوفي من وجع الأضراس ووجع العين[(٦)].

٦ - **المحاسن**: عن عثمان بن عيسى، عن عبد الله بن سنان وأبي أيّوب الخزّاز، قالا: سألنا أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ قال: الصلاة يوم الجمعة، والانتشار يوم السبت. وقال: السبت لنا، والأحد لبني أميّة[(٧)].

٧ - **جمال الأسبوع**: الحديث مشهور عن النبيّ صلى الله عليه وآله بورك لأمّتي في سبتها وخميسها[(٨)].

---

(١) - (٢) الخصال، ص ٣٨٣ باب ٧ ح ٦٩ و ٩٧.
(٣) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٣٨ باب ٣١ ح ٧٣.
(٤) سورة الجمعة، الآية: ١٠.
(٥) - (٦) الخصال، ص ٣٩٣-٣٩٤ باب ٧ ح ٩٦ و ١٠٠.
(٧) المحاسن، ج ٢ ص ٨١. (٨) جمال الأسبوع، ص ١١٥.

٨ - **المكارم:** عن الكاظم عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كان منكم محتجماً فليحتجم يوم السبت[١].

٩ - وقال الصادق عليه السلام الحجامة يوم الأحد، فيها شفاء من كلّ داء[٢].

١٩ - باب يوم الاثنين ويوم الثلاثاء

١ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن موسى ابن القاسم البجليّ، عن عليّ بن جعفر، قال: جاء رجل إلى أخي موسى بن جعفر عليه السلام فقال له: جعلت فداك، إنّي أريد الخروج فادع لي. فقال: ومتى تخرج؟ قال: يوم الاثنين، فقال له: ولم تخرج يوم الاثنين؟ قال: أطلب فيه البركة، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولد يوم الاثنين، فقال: كذبوا، ولد رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الجمعة، وما من يوم أعظم شؤماً من يوم مات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وانقطع فيه وحي السماء وظلمنا فيه حقّنا، ألا أدلّك على يوم سهل ألان الله لداود فيه الحديد؟ فقال الرجل: بلى جعلت فداك، فقال: اخرج يوم الثلاثاء[٣].

قرب الإسناد: بإسناده عن عليّ بن جعفر عن أخيه عليه السلام مثله.

٢ - **ومنه:** عن الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسافر يوم الاثنين والخميس ويعقد فيهما الألوية[٤].

٣ - **الخصال:** عن أبيه، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ عن عليّ بن السنديّ، عن محمّد بن عمرو بن سعيد، عن يونس بن يعقوب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: احتجم رسول الله صلى الله عليه وآله يوم الاثنين، وأعطى الحجّام برّاً[٥].

٤ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن الحسن بن الحسين اللؤلؤيّ، عن محمّد بن إسماعيل وأحمد بن الحسن الميثميّ أو أحدهما، عن إبراهيم بن مهزم، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحتجم يوم الاثنين بعد العصر[٦].

٥ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد ومحمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن حمّاد بن عيسى، عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: الحجامة يوم الاثنين من آخر النهار تسلّ الداء[٧] سلاً من البدن[٨].

٦ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد

---

(١) - (٢) مكارم الأخلاق، ص ٦٩.
(٣) الخصال، ص ٣٨٥ باب ٧ ح ٦٧.
(٤) قرب الإسناد، ص ١٢١ ح ٤٢٦.
(٥) - (٦) الخصال، ص ٣٨٤ باب ٧ ح ٦٣-٦٤.
(٧) تسلّ الداء: تخرجه من البدن برفق. [النمازي].
(٨) الخصال، ص ٣٨٥ باب ٧ ح ٦٥.

الله البرقيّ، عن أبي الخزرج، عن سليمان، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة أو أربع عشرة أو لإحدى وعشرين من الشهر كانت له شفاء من أدواء السنة كلّها، وكانت لما سوى ذلك شفاء من وجع الرأس والأضراس والجنون والجذام والبرص(١).

بيان: «وكانت لما سوى ذلك» أي كانت الحجامة يوم الثلاثاء في غير تلك الأيّام من الشهر.

٧ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد ابن أحمد الأشعريّ، عن العبّاس بن معروف، عن ابن أبي عمير، عن أبي حمزة عن عقبة بن بشير الأزديّ، قال: جئت إلى أبي جعفر عليه السلام يوم الاثنين فقال: كل فقلت: إنّي صائم، فقال: كيف صمت؟ قال: قلت: لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله ولد فيه فقال: أما ما فيه ولد فلا تعلمون، وأمّا ما قبض فيه فنعم، ثمّ قال: فلا تصم ولا تسافر فيه(٢).

٨ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن المفيد، عن جعفر بن محمّد بن قولويه عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن عليّ بن عمر العطّار، قال: دخلت إلى أبي الحسن العسكريّ عليه السلام يوم الثلاثاء فقال: لم أرك أمس، قال: كرهت الحركة في يوم الاثنين، قال: يا عليّ من أحبّ أن يقيه الله شرّ يوم الاثنين فليقرأ في أوّل ركعة من صلاة الغداة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ ثمّ قرأ أبو الحسن عليه السلام ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾(٣).

٩ - **المحاسن:** عن بعض أصحابه يرفعه قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من كانت له حاجة فليطلبها يوم الثلاثاء، فإنّ الله تبارك وتعالى ألان فيه الحديد لداود عليه السلام (٤).

١٠ - **ومنه:** عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن عبد الرحمن بن عمران، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لا تسافر يوم الاثنين، ولا تطلب فيه الحاجة(٥).

١١ - **ومنه:** عن القاسم بن محمّد، عن جميل بن صالح، عن محمّد بن أبي الكرام قال: تهيّأت الخروج إلى العراق فأتيت أبا عبد الله عليه السلام لأسلّم عليه وأودعه، فقال: أين تريد؟ قلت: أريد الخروج إلى العراق، فقال لي: في هذا اليوم [لك] وكان يوم الاثنين، فقلت: إنّ هذا اليوم يقول الناس إنّه يوم مبارك، فيه ولد النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: والله ما يعلمون أيّ يوم ولد فيه النبيّ صلى الله عليه وآله وإنّه ليوم مشوم فيه قبض النبيّ صلى الله عليه وآله وانقطع الوحي، ولكن أُحبّ؟ أن تخرج يوم الخميس، وهو اليوم الذي كان يخرج فيه إذا غزا(٦).

١٢ - **ومنه:** عن عثمان بن عيسى، عن أبي أيّوب الخزّاز، قال: أردنا أن نخرج فجئنا

---

(١) - (٢) الخصال، ص ٣٨٥ باب ٧ ح ٦٦-٦٧.

(٣) أمالي الطوسي، ص ٢٢٤ مجلس ٨ ح ٣٨٩. (٤) - (٦) المحاسن، ج ٢ ص ٨٠-٨٢.

نسلّم على أبي عبد الله عليه السلام فقال: كأنكم طلبتم بركة الاثنين؟! فقلنا: نعم، قال: وأيّ يوم أعظم شؤماً من يوم الاثنين، يوم فقدنا فيه نبيّنا، وارتفع فيه الوحي؟ لا تخرجوا يوم الاثنين، واخرجوا يوم الثلاثاء[1].

الفقيه: بإسناده عن الخزّاز مثله. «ج ٢ ص ٣٠٨ ح ٢٤٠١».

الكافي: عن العدّة، عن البرقي، عن عثمان مثله. «الروضة ح ٣٩٢».

١٣ - **مجمع البيان:** في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ روى أصحابنا أنّ أعمال الأمّة تعرض على النبيّ صلى الله عليه وآله في كلّ يوم اثنين وخميس فيعرفها، وكذلك تعرض على الأئمّة القائمين مقامه وهم المعنيّون بقوله ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

١٤ - **جمال الأسبوع:** روي من طريق الخاصّة أنّ وقت عرض الأعمال في هذين اليومين عند انقضاء نهارهما[3].

١٥ - وروى مسلم في صحيحه قال رسول الله صلى الله عليه وآله: تعرض أعمال الناس في كلّ جمعة مرّتين: يوم الاثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبد مؤمن إلاّ عبد بينه وبين أخيه شحناء، فيقول: اتركوا أو أرجئوا هذين حتى يفيئا[4].

١٦ - وروى أيضاً عنه صلى الله عليه وآله أنّه تفتح أبواب الجنّة يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلّ عبد مؤمن لا يشرك بالله شيئاً[5].

١٧ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** قال: قال الصادق عليه السلام: اطلبوا الحوائج يوم الثلاثاء، فإنّه اليوم الذي ألان الله فيه الحديد لداود عليه السلام[6].

١٨ - **رجال الكشي:** قال: كتب الهادي عليه السلام إلى عليّ بن مهزيار: أسأل الله أن يحفظك من بين يديك ومن خلفك وفي كلّ حالاتك، فأبشر فإنّي أرجو أن يدفع الله عنك، والله أسأل أن يجعل لك الخيرة فيما عزم لك من الشخوص في يوم الأحد، وأخّر ذلك إلى يوم الاثنين إن شاء الله، صحبك الله في سفرك، وخلفك في أهلك، وأدّى عنك، وسلمت بقدرته[7].

٢٠ - باب يوم الأربعاء

١ - **العلل والعيون والخصال:** عن محمّد بن عمر البصريّ، عن محمّد بن عبد الله الواعظ، عن عبد الله بن أحمد بن عامر الطائيّ، عن أبيه، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام في سؤالات الشامي عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أخبرني عن يوم الأربعاء والتطيّر منه وثقله

(١) المحاسن، ج ٢ ص ٨٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٥ ص ١١٩.
(٣) - (٥) جمال الأسبوع، ص ١١٧.
(٦) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٥.
(٧) رجال الكشي، ص ٥٥١ ح ١٠٤٠.

وأيّ أربعاء هو، فقال عليه السلام: آخر أربعاء في الشهر وهو المحاق، وفيه قتل قابيل هابيل أخاه، ويوم الأربعاء ألقي إبراهيم عليه السلام في النار ويوم الأربعاء وضعوا المنجنيق، ويوم الأربعاء غرّق الله فرعون، ويوم الأربعاء جعل الله عزّ وجلّ أرض قوم لوط عاليها سافلها، ويوم الأربعاء أرسل الله عزّ وجلّ الريح على قوم عاد، ويوم الأربعاء أصبحت كالصريم، ويوم الأربعاء سلط الله على نمرود البقّة، ويوم الأربعاء طلب فرعون موسى ليقتله، ويوم الأربعاء خرّ عليهم السقف من فوقهم، ويوم الأربعاء أمر فرعون بذبح الغلمان، ويوم الأربعاء خرب بيت المقدس، ويوم الأربعاء أحرق مسجد سليمان بن داود بإصطخر من كورة فارس، ويوم الأربعاء قتل يحيى بن زكريّا، ويوم الأربعاء أظلّ قوم فرعون أوّل العذاب، ويوم الأربعاء خسف الله عزّ وجلّ بقارون، ويوم الأربعاء ابتلى الله أيّوب عليه السلام بذهاب ماله وولده ويوم الأربعاء أُدخل يوسف عليه السلام السجن، ويوم الأربعاء قال الله عزّ وجلّ: ﴿أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ويوم الأربعاء أخذتهم الصيحة، ويوم الأربعاء عقروا الناقة، ويوم الأربعاء أمطر عليهم حجارة من سجّيل، ويوم الأربعاء شجّ النبيّ صلى الله عليه وآله وكسرت رباعيّته، ويوم الأربعاء أخذت العماليق التابوت[١].

قال الصدوق رحمه الله: من اضطر إلى الخروج في سفر يوم الأربعاء أو تبيّغ به الدم في يوم الأربعاء فجائز له أن يسافر أو يحتجم فيه ولا يكون ذلك شؤماً عليه لا سيّما إذا فعل ذلك خلافاً على أهل الطيرة، ومن استغنى عن الخروج فيه أو عن إخراج الدم فالأولى أن يتوقّى ولا يسافر ولا يحتجم[٢].

بيان: يحتمل أن يكون وضع المنجنيق في غير يوم الإلقاء في النار، ويحتمل اتّحادهما «ويوم الأربعاء قال الله» أي في شأنه، وهذا في قصّة صالح وقومه، وكذا الصيحة لهم، وهو ينافي كون عقر الناقة يوم الأربعاء، لأنّه لم يكن بينهما إلاّ ثلاثة أيّام، إلاّ أن يكون المراد ابتداء إرادتهم وتمهيدهم للعقر، وأيضاً شجّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان في غزوة أحد، والمشهور بين المفسّرين والمؤرّخين أنّها كانت يوم السبت، وكلّ ذلك ممّا يضعّف الرواية. وفي القاموس: المحاق مثلّثةً آخر الشهر، أو ثلاث ليال من آخره، أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا عشيّة، سمّي [به ظ] لأنّه طلع مع الشمس فمحقته وفي القاموس: البيغ: ثوران الدم، وتبيّغ الدم: هاج وغلب.

٢ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن بعض أصحابنا، قال: دخلت على أبي الحسن عليّ بن محمّد العسكريّ عليه السلام يوم الأربعاء وهو يحتجم، فقلت: إنّ أهل الحرمين يروون عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: من احتجم يوم الأربعاء فأصابه

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٥٦٧ باب ٣٨٥ ح ٤٤، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٣ باب ٢٤ ح ١.
(٢) الخصال، ص ٣٨٨ باب ٧ ح ٧٨.

بياض فلا يلومنّ إلاّ نفسه. فقال: كذبوا، إنّما يصيب ذلك من حملته أمّه في طمث[١].

٣ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن الحسن الصفّار، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عبد الرحمن بن عمرو بن أسلم، قال: رأيت أبا الحسن موسى بن جعفر عليه السلام احتجم يوم الأربعاء وهو محموم، فلم تتركه الحمّى، فاحتجم يوم الجمعة فتركته الحمّى[٢].

٤ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن السيّاريّ، عن محمّد بن أحمد الدقّاق البغدادي، قال: كتبت إلى أبي الحسن الثاني عليه السلام أسأله عن الخروج يوم الأربعاء لا يدور، فكتب عليه السلام: من خرج يوم الأربعاء لا يدور خلافاً على أهل الطيرة، وقي من كلّ آفة، وعوفي من كلّ عاهة وقضى الله له حاجته.

وكتب إليه مرّة أخرى يسأله عن الحجامة يوم الأربعاء لا يدور، فكتب عليه السلام: من احتجم في يوم الأربعاء لا يدور خلافاً على أهل الطيرة عوفي من كلّ آفة، ووقي من كلّ عاهة، ولم تخضرّ محاجمه[٣].

بيان: «الأربعاء لا يدور» آخر أربعاء من الشهر، والجملة صفة ليوم الأربعاء، واللام فيه كاللاّم في قوله «ولقد أمرّ على اللئيم يسبّني».

٥ - **العيون:** عن محمّد بن موسى بن المتوكّل، عن عبد الله بن جعفر الحميري، عن إبراهيم ابن هاشم، عن أحمد بن عامر الطائيّ، قال: سمعت الرضا عليه السلام يقول: يوم الأربعاء يوم نحس مستمرّ، من احتجم فيه خيف أن تخضرّ محاجمه، ومن انتار فيه خيف عليه البرص[٤].

بيان: اخضرار المحاجم فساد محلّ الحجامة وسواده، و «انتار» أي استعمل النورة، والأشهر فيه التنوّر، وإن كان أصل هذا البناء من اللغات المولّدة كما يستفاد من كتب اللغة، وفي أكثر النسخ «اتّنر» بتشديد التاء، واتّخاذه من النورة لا يوافق القاعدة، وليس له معنى آخر ولعلّه تصحيف، وفي بعض النسخ «من تنوّر» وهو أصوب.

٦ - **الخصال:** عن محمّد بن أحمد البغداديّ، عن عليّ بن محمّد بن عنبسة، عن دارم بن قبيصة، عن الرضا، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمرّ[٥].

٧ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن أبان، عن الأحول، عن بشار بن بشار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: لأيّ

---

(١) - (٣) الخصال، ص ٣٨٦ باب ٧ ح ٧٠-٧٢.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٢٤ باب ٢٤ ح ٢.
(٥) الخصال، ص ٣٨٧ باب ٧ ح ٧٣.

شيء يصام يوم الأربعاء؟ قال: لأنّ النار خلقت يوم الأربعاء[(١)].

٨ - **ومنه:** عن أبيه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن حذيفة بن منصور، قال: رأيت أبا عبد الله عليه السلام احتجم يوم الأربعاء بعد العصر[(٢)].

٩ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن إبراهيم بن إسحاق، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن عن أبي بصير، عن أبي عبد الله، عن آبائه، عن أمير المؤمنين عليهم السلام قال: توقّوا الحجامة والنورة يوم الأربعاء، فإنّ يوم الأربعاء يوم نحس مستمرّ[(٣)]، وفيه خلقت جهنّم[(٤)].

١٠ - **ومنه:** بالإسناد المتقدّم عن الأشعريّ، عن محمّد بن عيسى اليقطيني عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ينبغي لرجل أن يتوقّى النورة يوم الأربعاء فإنّه يوم نحس مستمرّ[(٥)].

١١ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن الحسين بن الحسن بن أبان عن الحسين ابن سعيد، عن النضر عن هشام بن سالم، عن الأحول، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سئل عن صوم خميسين بينهما أربعاء، فقال: أمّا الخميس فيوم تعرض فيه الأعمال، وأمّا الأربعاء فيوم خلقت فيه النار، وأمّا الصوم فجنّة[(٦)].

١٢ - **مشارق الأنوار:** عن محمّد بن مسلم، عن أبي جعفر عليه السلام قال: عادانا من كلّ شيء حتى من الطيور الفاختة ومن الأيّام الأربعاء[(٧)].

١٣ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: العلّة في صوم الخميس والأربعاء أنّ الأعمال ترفع يوم الخميس، والنار خلقت يوم الأربعاء.

١٤ - **الدروع الواقية:** عن الصادق عليه السلام: أُمرنا بصوم الأربعاء من وسط الشهور لأنّه لم يعذّب قوم قطّ إلاّ فيه فيردّ عنّا بصومه نحسه[(٨)].

١٥ - وعن الرضا عليه السلام: يوم الأربعاء يوم نحس مستمرّ، لأنّه أوّل الأيّام وآخر الأيّام التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾[(٩)].

---

(١) - (٢) الخصال، ص ٣٨٧ باب ٧ ح ٧٤-٧٥.

(٣) نحس مستمر يعني تستمر نحوسته من أول النهار إلى آخره، أو أنه لا يذهب نحسه إلى ان يذهب من يوم الخميس ساعة. [النمازي].

(٤) - (٦) الخصال، ص ٣٨٧ باب ٧ ح ٧٦-٧٧ و٨١.

(٧) مشارق أنوار اليقين، ص ٩٥. وتمام الخبر، في ج ٦١ ص ٢٠٠ ح ٦.

(٨) - (٩) الدروع الواقية، ص ٤٠.

١٦ - **المكارم:** عن زيد بن عليّ، عن آبائه، عن عليّ عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من احتجم يوم الأربعاء فأصابه وضح فلا يلومنّ إلاّ نفسه(١).

١٧ - وعن شعيب العقرقوفيّ، قال: دخلت على أبي الحسن عليه السلام وهو يحتجم يوم الأربعاء في الحبس، فقلت: إن هذا يوم يقول الناس من احتجم فيه أصابه البرص. فقال: إنّما يخاف ذلك على من حملته أمّه في حيضها(٢).

١٨ - **كتاب المسلسلات:** حدّثنا محمّد بن جعفر الوكيل من بني هاشم، قال حدّثني أبو بكر محمّد بن أحمد بن الحسين بن زريق البغداديّ، قال: حدّثنا محمّد بن حمدون السمسار، قال: حدّثني محمّد بن حمّاد بن عيسى، قال: سمعت الفضل بن الربيع يقول: كنت يوماً مع مولاي المأمون فأردنا الخروج يوم الأربعاء، فقال المأمون: يوم مكروه، سمعت أبي الرشيد يقول: سمعت المهديّ يقول: سمعت المنصور يقول: سمعت أبي محمّد ابن عليّ يقول: سمعت أبي عليّاً يقول: سمعت أبي عبد الله بن عبّاس يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ آخر الأربعاء في الشهر يوم نحس مستمرّ.

قال المصنّف: وروي أنّ معنى «مستمرّ» أن يكون النّهار نحساً من أوّله إلى الليل، وقال عليه السلام: إنّ معنى المستمرّ هو أن لا يذهب نحسه إلى أن يذهب من يوم الخميس ساعة(٣).

٢١ - باب يوم الخميس

١ - **قرب الإسناد:** عن الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن جعفر عن أبيه عليه السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسافر يوم الاثنين والخميس ويعقد فيهما الألوية(٤).

٢ - **ومنه:** بالإسناد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: يوم الخميس يوم يحبّه الله ورسوله، وفيه ألان الله الحديد(٥).

٣ - **وقال:** قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ بارك لأمّتي في بكورها، واجعله يوم الخميس(٦).

بيان: هذا يخالف ظاهراً ما مرّ من أنّ إلانة الحديد كانت في يوم الثلاثاء ويمكن حمل هذا على التقيّة لأنّ راويه من العامّة، أو يقال: وقعت فيهما معاً.

٤ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن يعقوب بن يزيد، عن مروك بن عبيد، عن محمّد بن سنان، عن معتب بن المبارك، قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في يوم خميس وهو يحتجم فقلت له: يا ابن رسول الله تحتجم في يوم الخميس؟ قال: نعم، من كان

---

(١) - (٢) مكارم الأخلاق، ص ٦٧. (٣) الإمامة والتبصرة، ص ٢٥٧.
(٤) - (٦) قرب الإسناد، ص ١٢١ ح ٤٢٦-٤٢٨.

منكم محتجماً فليحتجم في يوم الخميس، فإنّ كلّ عشيّة جمعة يبتدر الدم فرقاً من القيامة ولا يرجع إلى وكره إلى غداة الخميس. وقال أبو عبد الله عليه السلام: من احتجم في آخر خميس من الشهر في أوّل النّهار سلّ عنه الداء سلاً[1].

٥ - **العيون:** بالأسانيد الثلاثة المتقدّمة عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: اللهمّ بارك لأمّتي في بكورها يوم سبتها وخميسها[2].

صحيفة الرضا: بالإسناد عنه عليه السلام مثله.

٦ - **الخصال:** عن أبيه، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ عن أبي عبد الله الرازيّ، عن محمّد بن عبد الله، عن محمّد بن عقبة، عن زكريّا، عن أبيه، عن يحيى، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من قصّ أظافيره يوم الخميس وترك واحدة ليوم الجمعة نفى الله عنه الفقر[3].

٧ - **العيون:** بالأسانيد الثلاثة عن الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسافر يوم الخميس، ويقول: فيه ترفع الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، وتعقد فيه الألوية[4].

٨ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد الأشعريّ، عن محمّد بن حسّان، عن أبي محمّد الرازيّ، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن جعفر بن محمّد، عن أبيه عليهما السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: من قلّم أظفاره يوم السبت ويوم الخميس وأخذ من شاربه عوفي من وجع الأضراس ووجع العين[5].

بيان: الظاهر أنّ الواو بمعنى أو.

٩ - **صحيفة الرضا:** بالإسناد عنه عن آبائه عليهم السلام قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يسافر يوم الاثنين والخميس ويقول: فيهما ترفع الأعمال إلى الله عزّ وجلّ، وتعقد فيهما الألوية[6].

١٠ - **محاسبة النفس:** للسيّد عليّ بن طاووس رحمه الله نقلاً من كتاب الأزمنة لمحمّد بن عمران المرزبانيّ، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يصوم الاثنين والخميس فقيل له: لم ذلك؟ فقال صلى الله عليه وآله: إنّ الأعمال ترفع في كلّ اثنين وخميس، فأُحبّ أن يرفع عملي وأنا صائم[7].

١١ - وبإسناده أيضاً عن أبي أيّوب، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من اثنين ولا خميس إلاّ ترفع فيه الأعمال إلاّ عمل المقادير[8].

---

(١) الخصال، ص ٣٨٩ باب ٧ ح ٧٩.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٣٨ باب ٣١ ح ٧٣.
(٣) الخصال، ص ٣٩٠ باب ٧ ح ٨٢.
(٤) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٤١ باب ٣١ ح ١٠٠.
(٥) الخصال، ص ٣٩٤ باب ٧ ح ١٠٠.
(٦) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام، ص ٩٩ ح ١٨٤.
(٧) - (٨) محاسبة النفس، ص ٣٠-٣٥.

١٢ - **ومنه:** بإسناده إلى شيخ الطائفة، بإسناده إلى عنبسة بن بجاد العابد قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: آخر خميس في الشهر ترفع فيه أعمال الشهر[(١)].

بيان: كأنّ المراد بعمل المقادير الأعمال التي لا اختيار للعبد فيها، فإنّها ليست محلاً للتكليف.

١٣ - **المكارم:** عن الصادق عليه السلام: إنّ الدم يجتمع في موضع الحجامة يوم الخميس، فإذا زالت الشمس تفرّق، فخذ حظّك من الحجامة قبل الزوال[(٢)].

فذلكة: اعلم أنّ يوم الجمعة بضمّ الجيم وسكون الميم وضمّها اسم يوم من الأسبوع وكان يسمّى في القديم «عروبة» بفتح العين وضمّ الراء المهملتين، قال الجوهريّ: يوم العروبة يوم الجمعة، وهو من أسمائهم القديمة، وقال: يوم الجمعة يوم العروبة، وكذلك الجمعة بضمّ الميم، ويجمع على جمعات وجمع. (انتهى).

وقال في المصباح المنير: يوم الجمعة سمّي بذلك لاجتماع الناس به، و ضمّ الميم لغة الحجاز، وفتحها لغة بني تميم، وإسكانها لغة عقيل، وقرأ بها الأعمش. ثمّ قال: وأمّا الجمعة بسكون الميم فاسم لأيّام الأسبوع، وأوّلها السبت، قال أبو عمرو الزاهد في كتاب المداخل: أخبرنا ثعلب عن ابن الأعرابيّ، قال: قال: أوّل الجمعة يوم السبت، وأوّل الأيّام الأحد، هكذا عند العرب، وقال في مجمع البيان: إنّما سمّيت جمعة لأنّ الله تعالى فرغ فيه من خلق الأشياء فاجتمعت فيه المخلوقات، وقيل: لأنّه تجتمع فيه الجماعات، وقيل: إنّ أوّل من سمّاها جمعةً كعب بن لؤيّ، وهو أوّل من قال «أمّا بعد» وقيل: إنّ أوّل من سمّاها جمعة الأنصار (انتهى) وهو أسعد الأيّام وأشرفها كما مرّ، وسيأتي في كتاب الصلاة إن شاء الله، لكن لمّا كان يوم عبادة وقربة لا ينبغي أن يرتكب فيه ما ينافيها كالسفر والاشتغال بالأمور الدنيويّة، وليلته مثل يومه مباركة زاهرة منوّرة، ويستحبّ فيهما التزويج، والزفاف، وحلق الرأس، وأخذ الأظفار والشارب، والاستحمام، وغسل الرأس بالسدر والخطميّ، وسائر ما سيأتي في محلّه فأما التنوّر فالظاهر أنّ المنع فيه محمول على التقيّة، واختلف الأخبار أيضاً في الحجامة، ولعلّ الأولى تركها إلاّ مع الضرورة، ولم أر في الفصد نهياً.

وقال المنجّمون: يومه متعلّق بالزهرة، وليلته بالقمر. وأمّا يوم السبت فقال الجوهريّ: السبت: الرّاحة، والدهر، وحلق الرأس، وسبت علاوته سبتاً إذا ضرب عنقه، ومنه سمّي يوم السبت، لانقطاع الأيّام عنده. وقال الراغب: قيل سمّي يوم السبت لأنّ الله تعالى ابتدأ خلق السماوات يوم الأحد، فخلقها في ستّة أيّام كما ذكره، فقطع عمله يوم السبت فسمّي بذلك (انتهى) وقيل: لقطع اليهود أعمالهم فيه، وقيل: لاستراحتهم فيه. قال السيّد الأجلّ المرتضى رحمه الله في الغرر والدرر في جواب سائل سأل عن قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾

(١) محاسبة النفس، ص٣٥.

(٢) مكارم الأخلاق، ص ٦٤.

فقال: إذا كان السبات هو النوم فكأنّه قال: وجعلنا نومكم نوماً، وهذا ممّا لا فائدة فيه فأجاب رحمه الله في هذه الآية بوجوه:

منها: أن يكون المراد بالسبات الراحة والدعة، وقد قال قوم: إنّ اجتماع الخلق كان في يوم الجمعة والفراغ منه في يوم السبت، فسمّي اليوم بالسبت للفراغ الذي كان فيه، ولأنّ الله تعالى أمر بني إسرائيل فيه بالاستراحة من الأعمال، قيل: وأصل السبات التمدّد، يقال سبتت المرأة شعرها إذا حلّته من العقص وأرسلته.

ومنها: أن يكون المراد بذلك القطع، لأنّ السبت القطع، والسبت أيضاً الحلق، يقال سبت شعره إذا حلقه وهو يرجع إلى معنى القطع، والنعال السبتيّة التي لا شعر عليها، فالمعنى: جعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وتصرّفكم. ومن أجاب بهذا الجواب يقول: إنّما سمّي يوم السبت بذلك لأنّ بدء الخلق كان يوم الأحد وجمع يوم الجمعة، وقطع يوم السبت، فترجع التسمية إلى معنى القطع. وقد اختلف الناس في ابتداء الخلق، فقال أهل التوراة: إنّ الله تعالى ابتدأه في يوم الأحد، فكان الخلق يوم الأحد والاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة ثمّ فرغ في يوم السبت، وهذا قول أهل التوراة. وقال آخرون: إنّ الابتداء كان في يوم الاثنين إلى السبت، وفرغ في يوم الأحد، وهذا قول أهل الإنجيل، فأمّا قول أهل الإسلام فهو أنّ ابتداء الخلق كان في يوم السبت واتّصل إلى الخميس وجعلت الجمعة عيداً، فعلى هذا القول يمكن أن يسمّى اليوم بالسبت من حيث قطع فيه بعض خلق الأرض. فقد روى أبو هريرة عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ الله خلق التربة في يوم السبت، وخلق الجبال فيها يوم الأحد[1]. إلى آخر ما أفاده رحمه الله وما ذكره من كون ابتداء الخلق يوم السبت خلاف المشهور بين الفريقين.

وبالجملة يوم السبت يوم مبارك صالح لجميع الأعمال، والبكور فيه أسعد وأيمن كما عرفت، لا سيّما للسفر وطلب الحوائج، ويومه عند الأحكاميّين متعلّق بزحل، وليلته بالمريخ، واسمه بالعربيّة القديمة «شيار» ككتاب.

ويوم الأحد: وكان يسمّى في القديم بالأوّل، وسمّي أحداً لأنّه أوّل الأيّام، أو اليوم الأوّل من خلق العالم، وهو يوم متوسّط لأكثر الأعمال، وذمّه ومدحه متعارضان، بل مدحه أقوى، وعند الأحكاميّين يومه متعلّق بالشمس، وليلته بعطارد.

ويوم الاثنين يسمّى في اللغة القديمة بأهون، قال الجوهريّ: كانت العرب تسمّي يوم الاثنين «أهون» في أسمائهم القديمة، أنشدني أبو سعيد، قال: أنشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهليّة:

أؤمّل أن أعيش وأنّ يومي ... بأوّل أو بأهون أو جُبار

(١) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ١٥.

أم التـالـي دُبـار أم فـيـومـي بـمـؤنـس أو عـروبـة أو شـيـار.

وفي كتاب أبي ريحان: أو التالي دبار فإن أفته فمؤنس الخ. ووجه التسمية ظاهر ممّا مرّ، وهو أنحس أيّام الأسبوع ولا يصلح لشيء من الأعمال، وما ورد في مدحه فمحمول على التقيّة، لتبرّك المخالفين به اقتفاء ببني أمية - لعنهم الله - وأكثر مصائب أهل البيت عليهم السلام وقع فيه، ولذا وضعوا الأخبار للتبرّك به كما وضعوها للتبرّك بيوم عاشوراء.

ويمكن حمل بعض الأخبار على الضرورة، ويمكن حمل بعضها على النسخ أيضاً بأن يكون في الأوّل مباركاً حيث لم يقع بعد فيه ما يصير سبباً لنحوسته فلمّا فات فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وجرت المصائب فيه على أهل البيت عليهم السلام وتبرّك المخالفون به صار أنحس الأيّام، ويكون ذلك أيضاً بإخباره صلى الله عليه وآله لئلاّ يلزم النسخ بعده صلى الله عليه وآله ويمكن القول بمثله في يوم عاشوراء، وهذا وجه قريب للجمع بين الأخبار، وإن كان الأوّل أقرب. وعند المنجّمين يومه متعلّق بالقمر، وليلته بالمشتري.

ويوم الثلاثاء بفتح الثاء وقد يضمّ ثمّ لام ثمّ ألف، وهو ممدود، وفي اللغة القديمة يسمّى الجبار كغراب، وهو يوم متوسّط لأكثر الأعمال لا سيّما صعاب الأمور، لأنّ الله تعالى ألان فيه الحديد لداود عليه السلام وفي مجمع البيان: إنّ الله خلق فيه الجبال، وروي أنّه سبحانه خلق فيه الأشجار والأنهار والهوام، وورد فيه النهي عن الحجامة وتجويزها والتجويز أقوى، والسفر أيضاً فيه محمود. وعند الأحكاميّين يومه متعلّق بالمريخ، وليلته بالزهرة.

ويوم الأربعاء مثلّثة الباء ممدودة، وفي المصباح: هو بكسر الباء، ولا نظير له في المفردات، وإنّما يأتي وزنه في الجمع، وبعض بني أسد يفتح الباء، والضمّ لغة قليلة فيه (انتهى) وفي اللغة القديمة اسمه دبار، وفي القاموس: دبار كغراب وكتاب يوم الأربعاء، وفي كتاب العين ليلته (انتهى) وفي المجمع: خلق الله فيه الشجر والعمران والخراب، وقيل: خلق فيه الطير، وهو يوم نحس لا سيّما آخر أربعاء من الشهر، وليست نحوسته كالاثنين، وقد مرّ أن الله خلق فيه النار وقد ورد تجويز بعض الأعمال فيه كالاستحمام وشرب الدواء، ومنع فيه من الحجامة والنورة والسفر، وعند أرباب النجوم يومه متعلّق بالعطارد وليلته بزحل.

ويوم الخميس كانت العرب تسمّيه مؤنساً ذكره الجوهريّ، وهو مناسب لما ورد في الخبر أنّه يوم أنيس، وهو يوم مبارك صالح لجميع الأعمال، لا سيّما السفر وطلب الحوائج، والبكور فيه أشدّ بركةً، وسيأتي فضله والأعمال المطلوبة فيه في كتاب الصلاة إن شاء الله. وقد روي فيه منع عن الحجامة، والتجويز أصحّ وأقوى، وأيّد المنع بأنّ الرشيد احتجم فيه ومات، وهذا مؤيّد لسعادة هذا اليوم. وعند الأحكاميّين يومه منسوب إلى المشتري وليلته إلى الشمس. والمراد بالليلة في جميع ما نقلنا عنهم الليلة المستقبلة على خلاف أهل الشرع، فإنّهم يعدّون الليلة الماضية من اليوم.

٢٢ - باب سعادة أيام الشهور العربية ونحوستها وما يصلح في كل يوم منها من الأعمال

١ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى اليقطينيّ، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن آبائه عليهم السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إذا أراد أحدكم أن يأتي أهله فليتوقّ أوّل الأهلّة وأنصاف الشهور، فإنّ الشيطان يطلب الولد في هذين الوقتين، والشياطين يطلبون الشرك فيهما فيجيئون ويحبلون[1].

٢ - **المكارم:** عن الصادق عليه السلام: اتّق الخروج إلى السفر يوم الثالث من الشهر، والرابع منه، والحادي والعشرين منه، والخامس والعشرين منه فإنّها أيّام منحوسة.

وكان أمير المؤمنين عليه السلام يكره أن يسافر الرجل أو يتزوّج والقمر في المحاق[2].

وروي في بعض الكتب عن الحسن بن عليّ العسكري عليه السلام أنّ في كلّ شهر من الشهور العربيّة يوم نحس لا يصلح ارتكاب شيء من الأعمال فيه سوى الخلوة والعبادة والصوم، وهي الثاني والعشرون من المحرّم، والعاشر من صفر، والرابع من الربيع الأوّل، والثامن والعشرون من الربيع الثاني والثامن والعشرون من جمادى الأولى، والثاني عشر من جمادى الثانية، والثاني عشر من رجب والسادس والعشرون من شعبان، والرابع والعشرون من شهر رمضان، والثاني من شوّال، والثامن والعشرون من ذي القعدة، والثامن من ذي الحجّة.

ويظهر من بعض الروايات نحوسة الثالث، والرابع والخامس، والثالث عشر، والسادس عشر، والحادي والعشرين والرابع والعشرين، والخامس والعشرين، والسادس والعشرين.

وروي المنع من السفر في الثامن من الشهر والثالث والعشرين منه، وروي أنّه يصلح السفر في الرابع، وفي الحادي والعشرين.

وعن بعض الأفاضل «النظم»:

تـوقّ مـن الأيّـام سـبـع كـوامـلاً ... فلا تتّخذ فيهنّ عرساً ولا سفر

ثلاثاً وخمساً ثمّ ثالث عشرها ... وسادس عشر هكذا جاء في الخبر

وواحد والعشرين قد شاع ذكره ... ورابع والعشرين والخمس في الأثر

فتوقّها مهما استطعت فإنّها ... كأيّام عادٍ لا تبقي ولا تذر

رويناه عن بحر العلوم بهمّة ... عليّ ابن عمّ المصطفى سيّد البشر

ولغيره:

تخف رابع العشرين من رمضان ... وأسقط شوّال منه الثاني

---

(١) الخصال، ص ٣٣٧ ح ١٠.

(٢) مكارم الأخلاق، ص ٢٣١.

والثامن العشرين من ذي قعدة وتوقّ ما بعده لثمان
وثاني العشرين شهر محرّم وعاشر من صفر بلا نكران
وربيع رابعه فحاذر يومه وثامن عشري ربيع الثاني
وثامن عشري جمادى الأولى ثمّ ما يتلوه ثاني عشر يا من حثاني
وإذا أتى رجب فثاني عشرها والسادس والعشرون من شعبان
فتوقّها مهما استطعت فإنّها خباث من الأيّام كلّ زمان

٣ - **المكارم:** عن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ: من احتجم يوم الثلاثاء لسبع عشرة أو لتسع عشرة أو لإحدى وعشرين كانت له شفاء من داء السنة[١].

٤ - وقال أيضاً: احتجموا يوم الخميس لخمس عشرة، وسبع عشرة، وإحدى وعشرين، لا يتبيّغ بكم الدّم فيقتلكم[٢].

٥ - وعن الصادق عليه السلام: من احتجم في آخر خميس في الشهر آخر النهار سلّ الداء سلاً[٣].

٦ - وعن النبيّ ﷺ: قال: الحجامة يوم الثلاثاء لسبع عشرة تمضي من الشهر دواء لداء سنة[٤].

٧ - وقال ﷺ: الحجامة في سبع وعشر من الشهر شفاء، ويوم الثلاثاء صحّة للبدن.

وأقول: روي عن الصادق عليه السلام أخبار في سعادة أيّام الشهر ونحوستها جمعت بينها مشيراً إلى مواضعها ومآخذها[٥].

اليوم الأول

الدروع الواقية: قال السيّد رحمه الله: فيما نذكره من الرواية بأدعية ثلاثين فصلاً، لكلّ يوم من الشهر فصل منها مرويّة عن الصادق عليه السلام بروايات متكثّرة: وهي اختيارات الأيّام ودعاؤها لكلّ يوم دعاء جديد - إلى أن قال: اليوم الأوّل من الشهر[٦].

٨ - عن الصادق عليه السلام أنّه خلق فيه آدم، وهو يوم مبارك لطلب الحوائج، وللدخول على السلطان، وطلب العلم، والتزويج، والسفر، والبيع، والشراء واتّخاذ الماشية، ومن هرب فيه أو ضلّ قدر عليه إلى ثماني ليال، والمريض فيه يبرأ، والمولود يكون سمحاً مرزوقاً مباركاً عليه[٧] وقال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه هو روز «هرمزد» اسم من أسمائه تعالى، يوم مختار مبارك يصلح لطلب الحوائج والدخول على السلطان[٨].

٩ - قال السيّد: وفي رواية أخرى بحذف الإسناد عن الصادق عليه السلام وقد سأله سائل عن

---

(١) - (٥) مكارم الأخلاق، ص ٦٩. (٦) - (٨) الدروع الواقية، ص ٥٤.

اختيارات الأيّام فقال عليه السلام : اليوم الأوّل خلق فيه آدم عليه السلام يوم صالح مسعود، خاطب فيه السلطان وتزوّج، واعمل فيه كلّ شيء تريده من حاجة[١].

١٠ - **المكارم:** عن الصادق عليه السلام : سعد يصلح للقاء الأمراء، وطلب الحوائج والشراء، والبيع، والزراعة، والسفر[٢].

١١ - **زوائد الفوائد :** عن الصادق عليه السلام قال: هو يوم مبارك محمود، فيه خلق الله تعالى آدم، وهو يوم سعيد لطلب الحوائج، وللدخول على السلطان، وابتداء الأعمال، والبيع والشراء، والأخذ والعطاء، ومن ولد فيه كان محبوباً مقبولاً مرزوقاً مباركاً، ومن مرض فيه يبرأ بإذن الله تعالى.

١٢ - وفي رواية أُخرى: من خرج فيه هارباً أو ضالاً قدر عليه إلى ثمان ليال.

بيان: ما روي في سياق ما مرّ وسيأتي عن سلمان رضي الله عنه موافق لما رواه علماء النجوم وأصحاب التقاويم عن الفرس لكن في تصحيحها اختلافات نشير إليها قالوا: اليوم الأوّل اسمه «أور مزد» وبعضهم يسمّيه «فرّخ» وبعضهم «به روز».

اليوم الثاني

١٣ - **الدروع:** قال الصادق عليه السلام : فيه خلقت حوّاء من آدم، يصلح للتزويج وبناء المنازل، وكتب العهود، والسفر، وطلب الحوائج، والاختيار، ومن مرض فيه أوّل النهار خفّ أمره بخلاف آخره، والمولود فيه يكون صالح التربية. وقال سلمان: هو روز بهمن اسم ملك تحت العرش، ويوم مبارك للتزويج، وقضاء الحوائج، سعيد[٣].

١٤ - وفي الرواية الأُخرى: تزوّج، وائت فيه أهلك من السفر، واشتر وبع، واطلب فيه الحوائج، واتّق فيه السلطان[٤].

١٥ - **المكارم:** عنه عليه السلام : يصلح للسفر وطلب الحوائج[٥].

١٦ - **الزوائد:** عن الصادق عليه السلام : يوم محمود خلق الله تعالى فيه حوّاء، وهو يوم يصلح للتزويج، والتحويل، والشراء، والبيع، والبناء، والزرع، والغرس والسلف، والقرض، والمعاملة، والدخول بالأهل، وطلب الحوائج، ولقاء السلطان، ومن مرض فيه يبرأ، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً.

١٧ - وفي رواية أُخرى: أنّه يصلح لكتبة العهد، ومن مرض في أوّله كان مرضه خفيفاً، وفي آخره كان ثقيلاً.

---

(١) الدروع الواقية، ص ٥٤.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٣) الدروع الواقية، ص ٥٧.
(٤) الدروع الواقية، ص ٢٤٠.
(٥) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

اليوم الثالث

١٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام : أنّه يوم نحس مستمرّ، نزع آدم وحوّاء لباسهما، وأخرجا من الجنّة فاجعل شغلك فيه صلاح منزلك، ولا تخرج من دارك إن أمكنك، واتّق فيه السلطان، والبيع، والشراء، وطلب الحوائج، والمعاملة والمشاركة والهارب فيه يؤخذ، والمريض يجهد، والمولود فيه يكون مرزوقاً طويل العمر.

وقال سلمان: هو روز أردي بهشت اسم الملك الموكّل بالشقاء والسقم، يوم ثقيل نحس لا يصلح لأمر من الأمور[١].

١٩ - وفي رواية أُخرى عنه عليه السلام : يوم نحس فيه سلب آدم وحوّاء لباسهما، ولا تشتر فيه، ولا تبع، ولا تأت فيه السلطان، ولا تطلب فيه حاجة[٢].

٢٠ - **المكارم:** رديء لا يصلح لشيء جملة[٣].

٢١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم نحسن فيه قُتل هابيل، قتله أخوه قابيل عليه اللعنة والعذاب السرمد، وهو يوم مذموم، لا تسافر فيه، ولا تعمل عملاً ولا تلق فيه أحداً، واستعذ بالله من شرّه بعوذة أمير المؤمنين عليه السلام ومن ولد فيه كان منحوساً، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه إلاّ إن شاء الله غير ذلك.

٢٢ - وفي رواية أُخرى: أنّ من ولد فيه كان مرزوقاً طويل العمر، وفيه سلب آدم وحوّاء لباسهما، وأُخرجا من الجنّة، والهارب فيه يؤخذ والمريض فيه يجهد.

أقول: المضبوط عند الفرس «أردي بهشت» بضمّ الهمزة وسكون الراء المهملة وكسر الدّال المهملة، أي الشهر الذي العالم فيه مثل الجنّة، لا خضرار الأشجار والأراضي وظهور الأزهار.

اليوم الرابع

٢٣ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام : أنّه يوم صالح للزرع، والصيد، والبناء واتّخاذ الماشية، ويكره فيه السفر، فمن سافر فيه خيف عليه القتل والسلب أو بلاء يصيبه، وفيه ولد هابيل، والمولود فيه يكون صالحاً مباركاً ما عاش، ومن هرب فيه عسر طلبه، ولجأ إلى من يمنعه. وقال سلمان: روز شهر يور اسم الملك الذي خلقت فيه الجواهر منه ووكّل بها، وهو موكّل ببحر الروم[٤].

٢٤ - وفي الرواية الأُخرى: يوم صالح للتزويج والصيد، ويذمّ فيه السفر فمن سافر فيه

---

(١) الدروع الواقية، ص ٦٠.
(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤٠.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) الدروع الواقية، ص ٦٢.

سلب، وفيه ولد هابيل بن آدم عليه السلام [(١)].

٢٥ - **المكارم:** عنه عليه السلام: صالح للتزويج ويكره السفر فيه[(٢)].

٢٦ - **الزوائد:** عنه عليه السلام: هو يوم متوسّط صالح لقضاء الحوائج، فيه ولد هبة الله شيث ابن آدم، ولا تسافر فيه فإنّه مكروه، ومن ولد فيه كان مباركاً، ومن مرض فيه شفي ليلته وبرئ بإذن الله تعالى.

٢٧ - وفي رواية أُخرى: أنّ هابيل عليه السلام ولد فيه أيضاً، ويخاف فيه على المسافر السلب والقتل وبلاء يصيبه، ومن هرب فيه لجأ إلى من يمنع منه.

أقول: اسمه عند الفرس بفتح الشين المعجمة وسكون الهاء وكسر الراء المهملة وسكون الياء وفتح الواو.

اليوم الخامس

٢٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام: أنّه يوم نحس مستمرّ، فيه ولد قابيل الشقيّ الملعون، وفيه قتل أخاه. وفيه دعا بالويل على نفسه، وهو أوّل من بكى في الأرض فلا تعمل فيه عملاً، ولا تخرج من منزلك، ومن حلف فيه كاذباً عجّل له الجزاء ومن ولد فيه صلحت حاله. وقال سلمان: روز إسفندار اسم الملك الموكّل بالأرضين، يوم نحس فلا تطلب فيه حاجةً، ولا تلق فيه سلطاناً[(٣)].

٢٩ - وفي الرواية الأُخرى: عنه عليه السلام: ولد فيه قابيل، وفيه قتل أخاه ولا تطلب فيه حاجةً[(٤)].

٣٠ - **المكارم:** عنه عليه السلام: رديء نحس[(٥)].

٣١ - **الزوائد:** هو يوم نحس فيه لعن إبليس وهاروت وماروت وكلّ فرعون وجبّار، وفيه لعن وعذّب، وهو يوم نكد عسير لا خير فيه، فاستعذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه كان مشوماً ثقيلاً نكد الحياة عسير الرزق، ومن مرض فيه أو في ليلته ثقل مرضه وخيف عليه.

٣٢ - وفي رواية أُخرى: أنّ فيه قتل قابيل هابيل، وينظر في إصلاح الماشية ومن كذب فيه عجّل الله له الجزاء.

أقول: المشهور عند الفرس «إسفندار مذ» وقد يقال: «إسپندار» و«سفندار» و«سپندار» بإلحاق «مذ» في الجميع.

---

(١) الدروع الواقية، ص ٢٤٠.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٣) الدروع الواقية، ص ٦٤.
(٤) الدروع الواقية، ص ٢٤٠.
(٥) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

اليوم السادس

٣٣ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام : أنّه يوم صالح للتزويج، ومن سافر فيه في برّ أو بحر رجع إلى أهله بما يحبّه، جيّد لشراء الماشية، ومن ضلّ فيه أو أبق وجد، ومن مرض فيه برئ، ومن ولد فيه صلحت تربيته وسلم من الآفات.

وقال سلمان رضي الله عنه : روز خرداد اسم ملك موكّل بالجنّ، يصلح للتزويج والمعاش وكلّ حاجة، والأحلام يظهر تأويلها بعد يوم أو يومين(١).

٣٤ - وفي الرواية الأخرى: يوم صالح للتزويج والصيد وطلب المعاش وكلّ حاجة(٢).

٣٥ - **المكارم:** عنه عليه السلام : مبارك يصلح للتزويج وطلب الحوائج(٣).

٣٦ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم صالح ولد فيه نوح عليه السلام يصلح للحوائج، والسلطان، والسفر، والبيع، والشراء، والديون، والقضاء، والأخذ، والعطاء والنزهة، والصيد. ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً موسّعاً عليه في حياته، ومن مرض فيه أو في ليلته لم يجاوز مرضه أسبوعاً ثمّ يبرأ بإذن الله.

٣٧ - **وفي رواية أخرى:** يصلح للتزويج، وشراء الماشية.

أقول: «خرداد» عندهم بضمّ الخاء المعجمة.

اليوم السابع

٣٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم صالح لجميع الأمور، ومن بدأ بالكتابة أكملها حذقاً، ومن بدأ فيه بعمارة أو غرس حمدت عاقبته، ومن ولد فيه صلحت تربيته، ووسّع عليه رزقه.

وقال سلمان رضي الله عنه : روز مرداد اسم ملك موكّل بالناس وأرزاقهم وهو يوم مبارك سعيد، فاعمل فيه ما تشاء من الخير(٤).

٣٩ - وفي رواية أخرى: يوم صالح مثل السادس(٥).

٤٠ - **المكارم:** عنه عليه السلام مبارك مختار يصلح لكلّ ما يراد ويسعى فيه(٦).

٤١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم سعيد مبارك، فيه ركب نوح عليه السلام السفينة فاركب البحر، وسافر في البرّ، والق العدوّ، واعمل ما شئت، فإنّه يوم عظيم البركة، محمود لطلب الحوائج والسعي فيها. ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً على نفسه وأبويه، خفيف النجم، موسّعاً عيشه، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

---

(١) الدروع الواقية، ص ٦٥.
(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤٠.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) الدروع الواقية، ص ٧٠.
(٥) الدروع الواقية، ص ٢٤٠.
(٦) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

٤٢ - وفي رواية أُخرى: يصلح لابتداء الكتابة، والعمارة، وغرس الأشجار.

أقول: «مرداد» أيضاً بالضم. وقال أبو ريحان: معناه دوام الخلق أبداً من غير موت ولا فناء.

اليوم الثامن

٤٣ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم صالح لكلّ حاجة من بيع أو شراء، ومن دخل فيه على سلطان قضيت حاجته، ويكره فيه ركوب البحر، والسفر في البرّ، والخروج إلى الحرب، ومن ولد فيه صلحت ولادته، ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلاّ بتعب، ومن ضلّ فيه لم يرشد إلاّ بجهد، والمريض فيه يجهد.

وقال سلمان: روز نمادر اسم من أسمائه تعالى، وهو يوم مبارك سعيد صالح لكلّ أمر تريد من الخير[1].

٤٤ - وفي الرواية الأُخرى: يوم صالح مبارك، صالح لكلّ حاجة إلاّ السفر[2].

٤٥ - **المكارم:** يصلح لكلّ حاجة سوى السفر، فإنّه يكره فيه[3].

٤٦ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم صالح للشراء والبيع فاشتر فيه وبع، وخذ وأعط، ولا تعرّض للسفر، فإنّه يكره فيه سفر البرّ والبحر، ومن ولد فيه كان متوسّط الحال طويل العمر، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

٤٧ - وفي رواية أُخرى: تصلح للقاء السلطان وقضاء الحوائج منه ومن هرب فيه لم يقدر عليه إلاّ بتعب، ومن ضلّ فيه لم يرشد إلاّ بجهد، وقيل: من مرض فيه هلك.

أقول: المعروف عندهم «ديبازر».

اليوم التاسع

٤٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم خفيف صالح لكلّ أمر تريده فابدأ فيه بالعمل، واقترض فيه، وازرع، واغرس، ومن حارب فيه غلب، ومن سافر فيه رزق مالاً ورأى خيراً، ومن هرب فيه نجا، ومن مرض فيه ثقل، ومن ضلّ قدر عليه، ومن ولد فيه صلحت ولادته ووفّق فيه في كلّ حالاته.

وقال سلمان: روز آذر اسم ملك، موكّل بالميزان يوم القيامة محمود والأحلام تصحّ فيه من يومها[4].

٤٩ - وفي الرواية الأُخرى: يوم خفيف صالح لكلّ أمر يريده، والمولود فيه يكون مرزوقاً

---

(١) الدروع الواقية، ص ٧٢.
(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤١.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) الدروع الواقية، ص ٧٥.

في معيشته، ولا يصيبه ضيق[١].

٥٠ - **المكارم:** عنه عليه السلام مبارك يصلح لكلّ ما يريده الإنسان، ومن سافر فيه رزق مالاً ويرى في سفره كلّ خير[٢].

٥١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم صالح محمود، فيه ولد سام بن نوح، وهو يوم مبارك يصلح للحوائج، والدخول على السلطان، وجميع الأعمال، والدّين والقرض والأخذ والعطاء، ومن ولد فيه كان محبوباً مقبولاً عند الناس، يطلب العلم ويعمل بأعمال الصالحين، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

٥٢ - وفي رواية أخرى: من سافر فيه رزق ولقي خيراً، ويصلح للغرس والزرع، ومن حارب فيه غلب، ومن هرب فيه لجأ إلى سلطان يمنع عليه، ومن مرض فيه ثقل.

أقول: عندهم آذر بالألف الممدودة ثمّ الذال المعجمة المفتوحة اسم للنّار والملك الموكّل بها، وصحّح بعضهم بضمّ الذال والأوّل أشهر.

اليوم العاشر

٥٣ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه ولد فيه نوح عليه السلام ومن ولد فيه يكبر ويهرم ويرزق، ويصلح للبيع والشراء والسفر، والضالّة فيه توجد، والهارب فيه يظفر به ويحبس، وينبغي للمريض فيه أن يوصي.

وقال سلمان رضي الله عنه: روز أبان اسم ملك موكّل بالبحار والأودية يوم خفيف مبارك، ومن هرب فيه من سلطان أخذ، ومن ولد فيه لم يصبه ضيق وكان مرزوقاً، والأحلام فيه تظهر في مدّة عشرين يوماً[٣].

٥٤ - وفي الرواية الأخرى: فيه ولد نوح عليه السلام يوم صالح للحرث والزرع والسلف وكلّ خير[٤].

٥٥ - **المكارم:** صالح لكلّ حاجة سوى الدخول على السلطان، ومن فرّ فيه من السلطان أخذ، ومن ضلّت له ضالّة وجدها، وهو جيّد للشراء والبيع ومن مرض فيه برئ[٥].

٥٦ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم محمود رفع الله فيه إدريس مكاناً عليّاً، وفيه أخذ موسى التوراة، تصلح لكتب الكتب والشروط والعهود وأعمال الدواوين والحساب، ومن ولد فيه كان مباركاً حليماً صالحاً عفيفاً، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.

---

(١) الدروع الواقية، ص ٢٤١.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٣) الدروع الواقية، ص ٨٠.
(٤) الدروع الواقية، ص ٢٤١.
(٥) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

٥٧ - وفي رواية أُخرى: يصلح للبيع والشراء، ومن ضلّت له ضالّة وجدها، ويستحبّ للمريض فيه أن يوصي، ومن هرب فيه ظفر به وسجن.

اليوم الحادي عشر

٥٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه ولد فيه شيث عليه السلام، صالح لابتداء العمل والبيع والشراء والسفر، ويجتنب فيه الدخول على السلطان، ومن هرب فيه رجع طائعاً، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ فيه، ومن ضلّ فيه سلم، ومن ولد فيه طابت عيشته غير أنّه لا يموت حتى يفتقر ويهرب من سلطان.

وقال سلمان رضي الله عنه: روز خور اسم ملك موكّل بالشمس، يوم خفيف مثل الذي تقدّمه[1].

٥٩ - وفي الرواية الأُخرى: من هرب فيه أخذ، ومن ولد فيه يكون مرزوقاً في معيشته ويعمّر حتى يهرم ولا يفتقر أبداً[2].

٦٠ - **المكارم:** عنه عليه السلام يصلح للشراء والبيع، ولجميع الحوائج، وللسفر ما خلا الدخول على السلطان، وإنّ التواري فيه يصلح[3].

٦١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم صالح للشراء والبيع والمعاملة والقرض، ويكره فيه الدخول على السلطان ومعاملته والتصرّف فيه، ومن ولد فيه كان مباركاً صالح التربية، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بإذن الله تعالى.

أقول: عندهم «خور» بضمّ الخاء، ومنهم من صحّحه بالفتح، والأوّل أظهر، ويؤيّده دخول الواو في الكتابة.

٦٢ - وفي رواية أُخرى: أنّه ولد فيه شيث عليه السلام، ومن هرب فيه رجع طائعاً ومن ضلّ فيه سلم. وذكر أيضاً أنّه يموت فقيراً أو يهرب من السلطان.

اليوم الثاني عشر

٦٣ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم صالح للتزويج وفتح الحوانيت والشركة وركوب البحار، ويجتنب فيه الوساطة بين الناس، والمريض يوشك أن يبرأ، والمولود فيه يكون هيّن التربية.

وقال سلمان رضي الله عنه: روزماه يوم مختار وهو اسم ملك موكّل بالقمر[4]. وفي الرواية الأُخرى مثل الحادي عشر[5].

---

(١) الدروع الواقية، ص ٨٤.

(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤١.

(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

(٤) الدروع الواقية، ص ٨٦.

(٥) الدروع الواقية، ص ٢٤١.

٦٤ - **المكارم:** عنه عليه السلام يوم صالح مبارك، فاطلبوا فيه حوائجكم، واسعوا لها فإنّها تقضى[١].

٦٥ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم مبارك، فيه قضى موسى الأجل، وهو يوم التزويج والمشاركة وفتح الحوانيت وعمارة المنازل والبيع والشراء والأخذ والعطاء، ومن ولد فيه كان عفيفاً ناسكاً صالحاً، ومن مرض فيه أو في ليلته من حمى خيف عليه إلاّ أن يشاء الله عزّوجلّ .

٦٦ - وفي رواية أخرى: يستحبّ فيه ركوب الماء، ولا يرتكب فيه الوسائط - يعني الوساطة بين الناس.

اليوم الثالث عشر

٦٧ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم نحس، فاتّق فيه المنازعة والحكومة ولقاء السلطان وكلّ أمر، ولا تدهن فيه رأساً، ولا تحلق فيه شعراً، ومن ضلّ فيه أو هرب سلم، ومن مرض فيه أجهد، والمولود فيه ذكر أنّه لا يعيش.

وقال سلمان رضي الله عنه : روز تيراسم ملك موكّل بالنجوم، يوم نحس رديء، فاتّق فيه السلطان وجميع الأعمال، والأحلام تصحّ فيه بعد تسعة أيّام[٢].

وفي الرواية الأُخرى: يوم نحس لا تطلب فيه حاجة[٣].

٦٨ - **المكارم:** عنه عليه السلام يوم نحس فاتّقوا فيه جميع الأعمال[٤].

٦٩ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم نحس فيه هلك ابن نوح وامرأة لوط، وهو يوم مذموم في كلّ حال، فاستعذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه كان مشوماً عسير الرزق كثير الحقد نكد الخلق، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه - والله أعلم.

٧٠ - وفي رواية أخرى: تتّقى فيه المنازعات، ولقاء السلاطين والحكومات وحلق الرأس، ودهن الشعر، ومن هرب فيه سلم، وإن ولد فيه ذكر لم يعش.

اليوم الرابع عشر

٧١ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه صالح لكلّ شيء، ومن ولد فيه يكون غشوماً، وهو جيّد لطلب العلم والبيع والشراء والسفر والاستقراض وركوب البحر، ومن هرب فيه أخذ، ومن مرض فيه برئ إن شاء الله تعالى.

وقال سلمان رضي الله عنه : روز جوش اسم ملك موكّل بالإنس والجنّ والريح، يوم سعيد مبارك، يصلح لكلّ شيء وللقاء السلطان وأشراف الناس وعلمائهم، ومن ولد فيه يكون كاتباً

(١) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٢) الدروع الواقية، ص ٨٩.
(٣) الدروع الواقية، ص ٢٤١.
(٤) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

أديباً ويكثر ماله آخر عمره، والأحلام تصحّ بعد ستّة وعشرين يوماً[١].

٧٢ - وفي الرواية الأُخرى: يوم سعيد صالح لكلّ حاجة، ومن ولد فيه عمّر طويلاً، ويكون مشعوفاً بطلب العلم، ويكثر ماله في آخر عمره[٢].

٧٣ - **المكارم:** عنه عليه السلام جيّد للحوائج ولكلّ عمل[٣].

٧٤ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم صالح لما تريد من قضاء الحوائج ولقاء الملوك وطلب العلم وأعمال الديوان، ومن ولد فيه عاش سليماً سعيداً، وكان في أموره مسدَّداً محموداً مرزوقاً، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ من مرضه ولم يطل - والله أعلم.

٧٥ - وفي رواية أُخرى: أنّه من ولد فيه يكون في آخر عمره كثير المال، ويكون غشوماً ظلوماً، ويصلح للبيع والشراء والاستقراض والقرض والركوب في البحر، ومن هرب فيه يؤخذ.

أقول: جوش بضمّ الجيم وسكون الواو.

اليوم الخامس عشر

٧٦ - **العدد القوية:** لدفع المخاوف اليومية للشيخ رضيّ الدين عليّ بن يوسف بن مطهّر الحلّيّ: قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم مبارك يصلح لكلّ حاجة والسفر وغيره، فاطلبوا فيه الحوائج فإنّها مقضيّة[٤].

٧٧ - وفي رواية أُخرى: محذور نحس في كلّ الأمور إلاّ من أراد أن يستقرض أو يقرض أو يشاهد ما يشترى، ولد فيه قابيل وكان ملعوناً، وهو الذي قتل أخاه، فاحذروا فيه كلّ الحذر، ففيه خلق الغضب، ومن مرض فيه مات[٥].

٧٨ - وفي رواية أُخرى: من مرض فيه برئ عاجلاً، ومن هرب فيه ظفر به في مكان قريب، ومن ولد فيه يكون سيّئ الخلق[٦].

٧٩ - وفي رواية أُخرى: من ولد فيه يكون ألثغ أو أخرس أو ثقيل اللسان[٧].

٨٠ - قال أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون أخرس أو ألثغ[٨].

وقالت الفرس: إنّه يوم خفيف[٩].

وفي رواية أُخرى: يوم مبارك يصلح لكلّ عمل وحاجة، والأحلام فيه تصحّ بعد ثلاثة أيّام، يحمد فيه لقاء القضاة والعلماء والتعليم وطلب ما عند الرؤساء والكتّاب[١٠].

وقال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: ديمهر روز اسم من أسماء الله تعالى[١١].

(١) الدروع الواقية، ص ٩٢.
(٢) الدورع الواقية، ص ٢٤١.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) - (١١) العدد القوية، ص ١٩-٢٠.

٨١ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم صالح لكلّ الأمور إلاّ من أراد أن يستقرض أو يقرض، ومن مرض فيه برىء عاجلاً ومن هرب فيه ظفر به، والمولود فيه يكون ألثغ أو أخرس.

وقال سلمان رضي الله عنه: روز «ديبهر» اسم من أسمائه تعالى، يصلح لكلّ حاجة، والأحلام فيه تصحّ بعد ثلاثة أيّام[1].

وفي الرواية الأخرى: يوم صالح لكلّ أمر، والمولود يكون أخرس أو ألثغ[2].

٨٢ - **المكارم:** صالح لكلّ حاجة تريدها، فاطلبوا فيه حوائجكم فإنّها تقضى[3].

٨٣ - **الزوائد:** يوم صالح لكلّ عمل وحاجة ولقاء الأشراف والعظماء، والرؤساء فاطلب فيه حوائجك، والق سلطانك، واعمل ما بدا لك فإنّه يوم سعيد، ومن ولد فيه يكون ألثغ اللسان أو أخرس، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه إلاّ أن يشاء الله عزّ وجلّ.

٨٤ - وفي رواية أُخرى: يوم محذور ويصلح للاستقراض والقرض ومشاهدة ما يشترى، ومن مرض فيه برئ بإذن الله تعالى، ومن هرب فيه ظفر به في مكان غريب.

بيان: اللثغ محرّكة واللثغة بالضمّ تحوّل اللسان من السين إلى الثاء أو من الراء إلى الغين أو اللاّم أو الياء أو من حرف إلى حرف أو أن لا يتمّ رفع لسانه وفيه ثقل لثغ كفرح فهو ألثغ. وتصحيح الاسم عندهم بالدال المفتوحة والياء الساكنة والباء المكسورة، وفي نسخ الدروع بسقوط الميم وفتح الباء. وإنّما ابتدأنا النقل من «العدد» من هذا اليوم لأنّه لم يصل إلينا من هذا الكتاب إلاّ من اليوم الخامس عشر إلى آخر الشهر، ومن أوّل الشهر إلى هذا اليوم كان ساقطاً.

اليوم السادس عشر

٨٥ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام إنّه يوم نحس مستمرّ رديء فلا تسافر فيه ومن سافر فيه هلك ويناله مكروه، فاجتنبوا فيه الحركات واتّقوا فيه الحوائج ما استطعتم، فلا تطلبوا فيه حاجة، ويكره فيه لقاء السلطان[4].

٨٦ - وفي رواية: يصلح للتجارة والبيع والمشاركة والخروج إلى البحر ويصلح للأبنية ووضع الأساسات، ويصلح لعمل الخير[5].

٨٧ - وفي رواية: خلقت فيه المحبّة والشهوة، وهو يومُ السفر فيه جيّد في البرّ والبحر، استأجر فيه من شئت، وادفع فيه إلى من شئت، ومن ولد فيه يكون مجنوناً لا محالة ويكون بخيلاً[6].

٨٨ - وفي رواية: من ولد في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً وإن ولد بعد الزوال إلى آخره صلحت حاله، ومن هرب فيه يرجع، ومن ضلّ فيه سلم ومن ضلّت له ضالّة وجدها،

---

(١) الدروع الواقية، ص ٩٥.
(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤١.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) - (٦) العدد القوية، ص ٩٢-٩٣.

ومن مرض فيه برئ عاجلاً[١].

٨٩ - قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من مرض فيه خيف عليه الهلاك[٢].

وقالت الفرس: إنّه يوم خفيف[٣].

٩٠ - وفي رواية: أنّه يوم جيّد لكلّ ما يراد من الأعمال والنيّات والتصرُّفات والمولود فيه يكون عاملاً، وهو يوم لجميع ما يطلب فيه من الأمور الجيّدة[٤].

وفي رواية: أنّه يوم نحس، من ولد فيه يكون مجنوناً لا بدّ من ذلك، ومن سافر فيه يهلك، ويصلح لعمل الخير، ويتّقى فيه الحركة، والأحلام تصحّ فيه بعد يومين[٥].

قال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: مهرروز اسم الملك الموكّل بالرحمة[٦].

٩١ - **الدروع**: عن الصادق عليه السلام أنّه يوم نحس لا يصلح لشيء سوى الأبنية والأساسات، من سافر فيه هلك، ومن هرب فيه رجع، ومن ضلّ سلم، ومن مرض فيه برئ سريعاً، والمولود فيه يكون مجنوناً إن ولد قبل الزوال، وإن ولد بعد الزوال صلحت حاله.

وقال سلمان رضي الله عنه: روزمهر اسم ملك موكّل بالرحمة، وهو يوم نحس، فاتّق فيه الحركة، والأحلام تصحّ فيه بعد يومين[٧].

٩٢ - وفي الرواية الأُخرى: يوم نحس، ومن ولد فيه يكون مجنوناً، ومن سافر فيه هلك[٨].

٩٣ - **المكارم**: رديء مذموم لكلّ شيء[٩].

٩٤ - **الزوائد**: عنه عليه السلام: يوم نحس رديء مذموم لا خير فيه، فلا تسافر فيه، ولا تطلب حاجة، وتوقّ ما استطعت، وتعوّذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه يكون مشوماً عسر التربية منحوساً في عيشه، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه ويطول مرضه والله أعلم.

٩٥ - وفي رواية أُخرى: من سافر فيه هلك، ويكره فيه لقاء السلطان ويصلح للتجارة والبيع والمشاركة والخروج إلى البحر والأبنية والأساسات والذي يهرب فيه يرجع، ومن ضلّ فيه سلم، ومن ولد في صبيحته إلى الزوال كان مجنوناً، ومن بعد الزوال تكون أعماله صالحة.

أقول: «مهر» عندهم بكسر الميم وسكون الهاء.

اليوم السابع عشر

٩٦ - **العدد**: قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم صاف مختار لجميع الحوائج، ويصلح للشراء والبيع والتزويج والدخول على السلطان وغير ذلك، صالح لكلّ

---

(١) - (٦) العدد القوية، ص ٩٢-٩٣.
(٧) الدروع الواقية، ص ٩٧.
(٨) الدروع الواقية، ص ٢٤١.
(٩) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

حاجة، فاطلب فيه ما تريد فإنّه جيّد، خلقت فيه القوّة، وخلق فيه ملك الموت، وهو الذي بارك فيه الحقّ على يعقوب عليه السلام، جيّد صالح للعمارة، وفتق الأنهار، وغرس الأشجار، والسفر فيه لا يتمّ(١).

٩٧ - وفي رواية أخرى: هذا اليوم متوسّط يحذر فيه المنازعة، ومن أقرض فيه شيئاً لم يردّ إليه، فإن ردّ فيجهد، ومن استقرض فيه شيئاً لم يردّه(٢).

٩٨ - قال ابن معمّر: وفي رواية أخرى أنّه يوم ثقيل لا يصلح لطلب الحوائج فاحذر فيه، وأحسن إلى ولدك وعبدك، ومن مرض فيه يبرأ، والرؤيا فيه كاذبة، والآبق فيه يوجد، ومن ولد فيه عاش طويلاً وصلحت حاله وتربيته ويكون عيشه طيّباً لا يرى فيه فقراً(٣).

وقالت الفرس: إنّه يوم خفيف(٤).

٩٩ - وفي رواية أخرى: أنّه يوم ثقيل غير صالح لعمل الخير، فلا تلتمس فيه حاجة(٥).

١٠٠ - وفي رواية أخرى: يوم جيّد مختار، يحمد فيه التزويج والختانة والشركة والتجارة ولقاء الإخوان والمضاربة للأموال(٦).

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: سروش روزاسم الملك الموكّل بحراسة العالم وهو جبرئيل عليه السلام(٧).

١٠١ - **الدروع**: عن الصادق عليه السلام أنه يوم متوسّط، واحذر فيه المنازعة والقرض والاستقراض، فمن أقرض فيه شيئاً لم يردّ إليه، ومن استقرض لم يردّه ومن ولد فيه صلحت حاله. وقال سلمان رضي الله عنه: روز سروش، اسم ملك موكّل بحراسة العالم وهو يوم ثقيل فلا تلتمس فيه حاجة(٨).

وفي الرواية الأخرى: يوم صالح(٩).

١٠٢ - **قال**: وفي رواية أخرى أنّه يوم ثقيل لا يصلح لطلب حاجة(١٠).

١٠٣ - **المكارم**: عنه عليه السلام صاف مختار، فاطلبوا فيه ما شئتم وتزوّجوا وبيعوا واشتروا وازرعوا وابنوا وادخلوا على السلطان في حوائجكم فإنّها تقضى(١١).

١٠٤ - **الزوائد**: عنه عليه السلام: يوم صالح مختار محمود لكلّ عمل وحاجة فاطلب فيه الحوائج؛ واشتر وبع والق الكتّاب والعمّال ومن شئت، ومن ولد فيه كان مباركاً سعيداً في كلّ أمره، ومن مرض فيه أو في ليلته خلص وبرئ بإذن الله تعالى.

١٠٥ - وفي رواية أخرى: متوسّط تحذر فيه المنازعة والقرض والاستقراض.

أقول: «سروش» عندهم بالسين والراء المهملتين المضمومتين.

---

(١) - (٧) العدد القوية، ص ١٠٢-١٠٣. (٨) الدروع الواقية، ص ١٠٠.

(٩) - (١٠) الدروع الواقية، ص ٢٤٢. (١١) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

اليوم الثامن عشر

١٠٦ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّه يوم مختار جيّد مبارك سعيد يصلح للتزويج والسفر، ومن سافر فيه قضيت حاجته، مبارك لكلّ ما تريد عمله، ولطلب الحوائج، صالح لكلّ حاجة من بيع وشراء وزرع فإنّك تربح، واسع في جميع حوائجك فإنّها تقضى، واطلب فيه ما شئت فإنّك تظفر ويصلح للدخول على السلطان والقضاة والعمّال، ومن خاصم فيه عدوّه ظفر به بإذن الله وغلبه، ومن تزوّج فيه يرى خيراً، ومن اقترض قرضاً ردّه إلى من اقترض منه، ومن مرض فيه يوشك أن يبرأ، والمولود يصلح حاله، ويكون عيشه طيّباً، ولا يرى فقراً، ولا يموت إلاّ عن توبة[١].

وقال الفرس: إنّه يوم خفيف[٢].

١٠٧ - وفي رواية أُخرى: تحمد فيه العمارات والأبنية، ويشترى فيه البيوت والمنازل، وتقضى فيه الحوائج والمهمّات، ويصلح للسفر[٣].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : رش روزاسم الملك الموكل بالنيران[٤].

١٠٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم سعيد صالح لكلّ شيء من بيع أو شراء أو زرع أو سفر، ومن خاصم فيه عدوّه ظفر به، والقرض فيه يردّ، والمريض يبرأ، ومن ولد فيه صلحت حاله. وقال سلمان رضي الله عنه : روزرش اسم ملك موكّل بالنيران، يصلح للسفر وطلب الحوائج[٥].

١٠٩ - وفي الرواية الأُخرى: يوم صالح للسفر وكلّ ما تريده من حاجة[٦].

١١٠ - **المكارم:** عنه عليه السلام : مختار صالح للسفر وطلب الحوائج، ومن خاصم فيه عدوّه خصمه وغلبه وظفر به بقدرة الله[٧].

١١١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم مختار للسفر والتزويج ولطلب الحوائج ومن خاصم فيه عدوّه خصمه وغلبه وقهره، ومن ولد فيه كان حسن التربية محمود العيش، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ ونجا بإذن الله تعالى.

١١٢ - وفي رواية أُخرى: يصلح للبيع والشراء والزرع.

أقول: أكثرهم صحّحوا الاسم بفتح الراء المهملة وسكون الشين المعجمة والنون وصحّح بعضهم رش بغير نون كما في الدروع.

اليوم التاسع عشر

١١٣ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام إنّه يوم خفيف يصلح لكلّ شيء

---

(١) - (٤) العدد القوية، ص ١٦١.

(٥) الدروع الواقية، ص ١٠٣.

(٦) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.

(٧) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

والسفر فمن سافر فيه قضي حاجته وقضيت أموره، وكلّ ما يريد يصل إليه، صالح للتزويج والمعاش والحوائج وتعلّم العلم وشراء الرقيق والماشية، سعيد مبارك، ولد فيه إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ومن ضلّ فيه أو هرب قدر عليه بعد خمسة عشر ليلة، ومن ولد فيه كان صالح الحال متوقّعاً لكلّ خير(١).

١١٤ - وفي رواية أخرى: أنّه يوم شديد كثر شرّه، لا تعمل فيه عملاً من أعمال الدنيا، والزم فيه بيتك، وأكثر فيه ذكر الله عزّ وجلّ وذكر النبيّ صلى الله عليه وآله من مرض فيه ينجو، ولا تسافر فيه، ولا تدفع فيه إلى أحد شيئاً، ولا تدخل على سلطان، ومن رزق فيه يكون سيّئ الخلق(٢).

١١٥ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون مرزوقاً مباركاً(٣).

وقالت الفرس: يوم ثقيل(٤).

١١٦ - وفي رواية أخرى: أنّه يحمد فيه لقاء الملوك والسلاطين لطلب الحوائج وطلب ما عندهم وفي أيديهم، وهو يوم مبارك(٥).

وقال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: فروردين روز اسم الملك الموكّل بالأرواح وقبضها. وفي ليلة تسع عشرة من شهر رمضان يكتب وفد الحاجّ، ويستحبّ فيه الغسل وفي ليلة الأربعاء تاسع عشر شهر رمضان سنة أربعين من الهجرة ضرب مولانا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام (٦).

١١٧ - **الدروع**: عن الصادق عليه السلام أنّه يوم سعيد ولد فيه إسحاق، وهو صالح للسفر والمعاش والحوائج وتعلّم العلم وشراء الرقيق والماشية، ومن ضلّ فيه أو هرب قدر عليه بعد خمس عشرة ليلة، ومن ولد فيه يكون صالحاً موفّقاً للخيرات إن شاء الله. وقال سلمان رضي الله عنه: روز فروردين اسم ملك موكّل بالأرواح وقبضها، وهو يوم مبارك(٧).

وفي الرواية الأخرى مثل الثامن عشر(٨).

١١٨ - **المكارم**: عنه عليه السلام: مختار صالح لكلّ عمل، ومن ولد فيه يكون مباركاً(٩).

١١٩ - **الزوائد**: عنه عليه السلام يوم مختار مبارك صالح لكلّ عمل تريد، وفيه ولد إسحاق بن إبراهيم عليه السلام فاطلب فيه الحوائج، والق السلطان، واكتب الكتب واعمل الأعمال، ومن ولد فيه كان كاتباً مباركاً مرزوقاً، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه.

١٢٠ - وفي رواية أخرى: يصلح للسفر والمعاش وطلب العلم وشراء الرقيق والماشية، ومن ضلّ فيه أو هرب يقدر عليه بعد نصف شهر.

---

(١) - (٥) العدد القوية، ص ٢٠٤.
(٦) العدد القوية، ص ٢٠٥.
(٧) الدروع الواقية، ص ١٠٥.
(٨) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.
(٩) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

أقول: فروردين عندهم بفتح الفاء وسكون الراء وفتح الواو ثمّ سكون الراء وكسر الدال.

اليوم العشرون

١٢١ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم جيّد مبارك يصلح لطلب الحوائج والسفر، فمن سافر فيه كانت حاجته مقضيّة، والبناء والتزويج والدخول على السلطان وغيره[١].

١٢٢ - وفي رواية أخرى: أنّه ولد فيه إسحاق عليه السلام محمود العاقبة جيّد لطلب الحوائج، طالب فيه بحقّك، وازرع ما شئت، ولا تشتر فيه عبداً[٢].

١٢٣ - وفي رواية أُخرى: يجتنب فيه شراء العبيد[٣].

١٢٤ - وفي رواية أُخرى: أنّه يوم متوسّط الحال، صالح للسفر والبناء ووضع الأساس وحصاد الزرع وغرس الشجر والكرم واتّخاذ الماشية، ومن هرب فيه كان بعيد الدرك، ومن ضلّ فيه خفي أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه[٤].

١٢٥ - وفي رواية: من مرض فيه مات، ومن ولد فيه يكون في صعوبة من العيش، ويكون ضعيفاً[٥].

١٢٦ - وفي رواية أُخرى: من ولد فيه كان حليماً فاضلاً[٦].

١٢٧ - قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من سافر فيه رجع سالماً غانماً، وقضى الله حوائجه وحصّنه من جميع المكاره[٧].

وقالت الفرس: إنّه يوم خفيف مبارك[٨].

١٢٨ - وفي رواية أُخرى: أنّه يوم محمود يحمد فيه الطلب للمعاش والتوجّه بالانتقال والأشغال والأعمال الرضيّة والابتداءات للأمور[٩].

وقال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: بهرام روز[١٠].

١٢٩ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم متوسّط صالح للسفر وقضاء الحوائج والبناء ووضع الأساس وغرس الشجر والكرم واتّخاذ الماشية، ومن هرب فيه بَعُد دركه، ومن ضلّ فيه خيف أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه، ومن ولد فيه صعب عيشته.

وقال سلمان رضي الله عنه: روز بهرام اسم ملك موكّل بالنصر والخذلان والحروب والجدال، وهو يوم جيّد مبارك[١١].

١٣٠ - وفي الرواية الأُخرى: يوم مبارك يصلح للسفر وطلب الحوائج[١٢].

---

(١) - (٦) العدد القوية، ص ٢١١.
(٧) - (١٠) العدد القوية، ص ٢١٢.
(١١) الدروع الواقية، ص ١٠٧.
(١٢) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.

١٣١ - **المكارم:** عنه عليه السلام جيّد مختار للحوائج والسفر والبناء والغرس والدخول إلى السلطان، يوم مبارك بمشيّة الله[1].

١٣٢ - **الزوائد:** عنه عليه السلام يوم جيّد محمود صالح مسعود مبارك لما يؤتى فاشتر فيه وبع واعمل ما شئت، ومن ولد فيه كان طويل العمر، ملكاً يملك بلداً أو ناحية منه، ومن مرض فيه أو في ليلته يخلص بإذن الله تعالى.

١٣٣ - وفي رواية أُخرى: يوم متوسّط يصلح للسفر والحوائج والبناء ووضع الأساسات وغرس الشجر والكرم واتّخاذ الماشية، ومن هرب فيه كان بعيد الدرك، ومن ضلّ فيه خفي أمره، ومن مرض فيه صعب مرضه، ومن ولد فيه عاش في صعوبة.

أقول: المضبوط عندهم بهرام بفتح الباء وسكون الهاء.

اليوم الحادي والعشرون

١٣٤ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم نحس مستمرّ يصلح فيه إراقة الدماء، فاتّقوا فيه ما استطعتم، ولا تطلبوا فيه حاجة ولا تنازعوا فيه، فإنّه رديء منحوس مذموم، ولا تلق فيه سلطاناً تتّقيه، فهو يوم رديء لسائر الأمور، ولا تخرج من بيتك، وتوقّ ما استطعت، وتجنّب فيه اليمين الصادقة، وتجنّب فيه الهوامّ، فإنّ من لسع فيه مات، ولا تواصل فيه أحداً، فهو أوّل يوم أريق فيه الدم وحاضت فيه حوّاء، ومن سافر فيه لم يرجع وخيف عليه ولم يربح، والمريض يشتدّ علّته ولم يبرأ، ومن ولد فيه يكون محتاجاً فقيراً[2].

١٣٥ - وفي رواية أُخرى: من ولد فيه يكون صالحاً[3].

قالت الفرس: إنّه يوم جيّد[4].

١٣٦ - وفي رواية أُخرى: يصلح فيه إهراق الدم، ولا تطلب فيه حاجة، وتتّقي فيه من الأذى[5].

١٣٧ - وفي رواية أُخرى: يكره فيه سائر الأعمال والفصد والحجامة ولقاء الأجناد والقوّاد والساسة[6].

قال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: رام روز[7].

١٣٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم نحس رديء، فلا تطلب فيه حاجةً، واتّق فيه السلطان، ومن سافر فيه خيف عليه، ومن ولد فيه يكون فقيراً محتاجاً. وقال سلمان رضي الله عنه: روز ماه اسم ملك موكّل بالفرح، يصلح لإهراق الدماء حسب[8].

---

(١) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

(٢) - (٧) العدد القوية، ص ٢٢٨.

(٨) الدروع الواقية، ص ١١١.

١٣٩ - وفي الرواية الأخرى: يوم نحس، وهو يوم إراقة الدم، فلا تطلب فيه حاجة[١].

١٤٠ - **المكارم:** عنه عليه السلام: يوم نحس مستمرّ[٢].

١٤١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام: يوم نحس مذموم أكل فيه آدم من الشجرة وعصى ربّه، فاحذره ولا تطلب فيه حاجة، ولا تلق سلطاناً، ولا تعمل عملاً، ولا تشارك أحداً واقعد في منزلك واستعذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه كان ضيّق العيش نكد الحياة، ومن مرض فيه يخاف عليه.

١٤٢ - وفي رواية أخرى: يتّقى فيه السلطان والسفر.

أقول: المضبوط عندهم رام بفتح الراء المهملة.

اليوم الثاني والعشرون

١٤٣ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم مختار حسن ما فيه مكروه، يصلح لكلّ حاجة وللشراء والبيع والصيد فيه والسفر، ومن سافر فيه ربح ويرجع معافىً إلى أهله سالماً، وطلب الحوائج والمهمّات وسائر الأعمال، والصدقة فيه مقبولة، ومن دخل على سلطان قضيت حاجته ويبلغ بقضاء الحوائج. وفي نسخة أُخرى: ومن قصد السلطان وجد مخافةً[٣].

١٤٤ - وفي رواية أخرى: خفيف صالح لكلّ شيء يلتمس فيه، والرؤيا فيه مقصوصة، والتجارة فيه مباركة، والآبق فيه يوجد، وإن خاصمت فيه كانت الغلبة لك، والتزويج فيه جيّد، ومن ولد فيه يكون عيشه طيّباً ويكون مباركاً، ومن مرض فيه يبرأ سريعاً[٤].

وقالت الفرس: إنّه يوم ثقيل[٥].

١٤٥ - وفي روية أُخرى: أنّه يحمد فيه كلّ حاجة، والأعمال السلطانيّة وسائر التصاريف في الأعمال المرضيّة، وهو يوم خفيف يصلح لكلّ حاجة يراد قضاؤها.

قال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه: بادروز[٦].

١٤٦ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام أنّه يوم صالح لقضاء الحوائج والبيع والشراء والدخول على السلطان، والصدقة فيه مقبولة، والمريض فيه يبرأ سريعاً والمسافر فيه يرجع معافىً.

وقال سلمان رضي الله عنه: روز باد اسم ملك موكّل بالريح، يوم خفيف يصلح لكلّ حاجة[٧].

١٤٧ - وفي الرواية الأُخرى: يوم صالح لكلّ شيء[٨].

---

(١) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.
(٢) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٣) - (٦) العدد القوية، ص ٢٥٩.
(٧) الدروع الواقية، ص ١١٣.
(٨) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.

١٤٨ - **المكارم:** عنه ﷺ: مختار صالح للشراء والبيع ولقاء السلطان والسفر والصدقة[١].

١٤٩ - **الزوائد:** عنه ﷺ: يوم سعيد مبارك مختار لما تريد من الأعمال فاعمل ما شئت، والق ما شئت، فإنّه مبارك، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً سعيداً، ومن مرض فيه أو في ليلته لا يخاف عليه ويخلص، ويستحبّ فيه الشراء والبيع.

بيان: قوله ﷺ «ويبلغ بقضاء الحوائج» أي حوائج غيره، أو هو تأكيد «مقصوصة» أي ينبغي أن يقصّ لغيره ليعبّرها.

اليوم الثالث والعشرون

١٥٠ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق ﷺ: إنّه يوم سعيد مختار ولد فيه يوسف النبيّ الصدّيق ﷺ يصلح لكلّ حاجة ولكلّ ما يريدونه، وخاصّة للتزويج والتجارات كلّها، وللدخول على السلطان والسفر، ومن سافر فيه غنم وأصاب خيراً، جيّد للقاء الملوك والأشراف والمهمّات وسائر الأعمال، وهو يوم خفيف مثل الذي قبله، يصلح للبيع والشراء، والرؤيا فيه كاذبة، والآبق فيه يوجد، والضالّة ترجع، والمريض يبرأ، ومن ولد فيه يكون صالحاً طيّب النفس حسناً محبوباً حسن التربية في كلّ حاله رخيّ البال[٢].

وفي نسخة أُخرى: يوم نحس مشوم، من ولد فيه لا يموت إلاّ مقتولاً، ولد فيه فرعون[٣].

١٥١ - قال مولانا أمير المؤمنين ﷺ: ولد فيه ابن يامين أخو يوسف، ومن ولد فيه يكون مرزوقاً مباركاً[٤].

وقالت الفرس: إنّه يوم خفيف يحمد فيه التزويج والنقلة والسفر والأخذ والعطاء ولقاء السلاطين، صالح لسائر الأعمال ولقضاء الحوائج[٥].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: ديبدين روز اسم الملك الموكّل بالنوم واليقظة وحراسة الأرواح حتى ترجع إلى الأبدان. وفي رواية أنّه اسم من أسماء الله تعالى[٦].

١٥٢ - **الدروع:** عن الصادق ﷺ أنّه ولد فيه يوسف ﷺ وهو يوم صالح لطلب الحوائج والتجارة والتزويج والدخول على السلطان، ومن سافر فيه غنم وأصاب خيراً، ومن ولد فيه كان حسن التربية. وقال سلمان رضي الله عنه: روز بندين اسم من أسمائه تعالى، يوم خفيف صالح لسائر الحوائج[٧].

وفي الرواية الأُخرى مثل الثاني والعشرين[٨].

---

(١) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٢) - (٦) العدد القوية، ص ٢٧٠-٢٧١.
(٧) الدروع الواقية، ص ١١٨.
(٨) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.

١٥٣ - **المكارم:** مختار جيّد خاصّة للتزويج والتجارات كلّها والدخول إلى السلطان(١).

١٥٤ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم سعيد مبارك لكلّ ما تريد: للسفر؛ والتحويل من مكان إلى مكان، وهو جيّد للحوائج ولقاء الملوك، ومن ولد فيه كان سعيداً وعاش عيشاً طيّباً، ومن مرض فيه أو في ليلته نجا بإذن الله تعالى.

١٥٥ - وفي رواية أُخرى: أنّ يوسف ولد فيه ويصلح للتزويج.

أقول: الاسم عندهم «ديبدين» بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثنّاة التحتانيّة وكسر الباء أو فتحها وكسر الدال المهملة، ومنهم من صحّحه «ديبادين» وفي نسخ الدروع تصحيفات.

اليوم الرابع والعشرون

١٥٦ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّه يوم نحس مستمرّ مذموم مشوم ملعون، ولد فيه فرعون لعنه الله وهو يوم عسير نكد، فاتّقوا الله ما استطعتم، لا ينبغي أن يبتدأ فيه بحاجة، ويكره في جميع الأحوال والأعمال نحس لكلّ أمر يطلب فيه، من سافر فيه مات في سفره(٢).

١٥٧ - وفي رواية أُخرى: ومن مرض فيه طالت مرضته، ومن ولد فيه يكون سقيماً حتى يموت نكداً في عيشه ولا يوفّق لخير، وإن حرص عليه جهده، ويقتل في آخر عمره أو يغرق(٣).

١٥٨ - وفي رواية أُخرى: أنّه جيّد للسفر، والرؤيا فيه كاذبة(٤).

١٥٩ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : من ولد في هذا اليوم علا أمره إلاّ أنّه يكون حزيناً حقيراً، ومن مرض فيه طال مرضه(٥).

وقالت الفرس: إنّه يوم خفيف جيّد(٦).

١٦٠ - وفي رواية أُخرى: أنّه رديء مذموم لا يطلب فيه حاجة، ولد فيه فرعون ذو الأوتاد(٧).

وقال سلمان الفارسي رحمه الله : دين روز اسم الملك الموكّل بالسعي والحركة. وفي رواية أُخرى: اسم الملك الموكّل بالنوم واليقظة وحراسة الأرواح حتى ترجع إلى الأبدان(٨).

١٦١ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام : أنّه يوم رديء نحس، فيه ولد فرعون فلا تطلب فيه أمراً من الأمور، ومن ولد فيه نكد عيشه ولم يوفّق لخير ويقتل آخر عمره أو يغرق، والمريض فيه يطول مرضه.

---

(١) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٢) - (٧) العدد القوية، ص ٣٠١.
(٨) العدد القوية، ص ٣٠٢.

وقال سلمان رضي الله عنه : روز دين اسم ملك موكّل بالنوم واليقظة والسعي والحركة وحراسة الأرواح إلى أن ترجع إلى الأبدان، يوم نحس مستمرّ والمولود فيه كما ذكر آنفاً[١].

١٦٢ - وفي الرواية الأخرى: يوم نحس مستمرّ، فيه ولد فرعون، من ولد فيه يقتل ولا يكون موفّقاً وإن حرص جهده، ويكون ما عاش نكداً[٢].

١٦٣ - **المكارم:** عنه عليه السلام : يوم مشوم[٣].

١٦٤ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم نحس مستمرّ مكروه لكلّ حال وعمل فاحذره ولا تعمل فيه عملاً، ولا تلق أحداً، واقعد في منزلك واستعذ بالله من شرّه ومن ولد فيه كان منحوساً، ومن مرض فيه أو في ليلته خيف عليه أو طال مرضه.

١٦٥ - وفي رواية أخرى: ولد فيه فرعون، والمولود فيه يقتل في آخر عمره إذا حرص في طلب الرزق أو يغرق.

أقول: «دين» بكسر الدال وسكون الياء.

اليوم الخامس والعشرون

١٦٦ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّه يوم مذموم نحس وهو اليوم الذي أصاب مصر فيه تسعة ضروب من الآفات، فلا تطلب فيه حاجةً، واحفظ فيه نفسك، فإنّه اليوم الذي ضرب الله عزّ وجلّ فيه أهل الآيات مع فرعون وهو شديد البلاء، والآبق فيه يرجع، ولا تحلف فيه صادقاً ولا كاذباً، وهو يوم سوء من سافر فيه لا يربح، ومن مرض فيه أجهد، ومن لم يفق من مرضه فاتّقه[٤].

١٦٧ - وفي رواية أخرى: من مرض فيه لا يكاد يبرأ، وهو إلى الموت أقرب من الحياة، ومن مرض فيه لا ينجو، ومن ولد فيه كان ملكاً مرزوقاً نجيباً من الناس تصيبه علّة شديدة ويسلم منها[٥].

١٦٨ - وفي رواية أخرى: من ولد فيه يكون فقيهاً عالماً[٦].

١٦٩ - وفي رواية أخرى: أنّه يوم جيّد للشراء والبيع والبناء والزرع، ويصلح لقضاء الحوائج، ومن ولد فيه كان كذّاباً نمّاماً لا خير فيه[٧].

١٧٠ - وقال أمير المؤمنين عليه السلام : استعيذوا فيه بالله تعالى[٨].

وقالت الفرس: إنّه يوم ثقيل رديء مكروه، أصيب فيه أهل مصر بسبع ضربات من البلاء، وهو يوم نحس، تفرّغ فيه للدعاء والصلاة وعمل الخير[٩].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه : أرد روز اسم الملك الموكّل بالجنّ والشياطين[١٠].

---

(١) الدروع الواقية، ص ١٢١.
(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) - (١٠) العدد القوية، ص ٣٠٩-٣١٠.

١٧١ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام إنّه يوم نحس رديء، فاحفظ نفسك فيه، ولا تطلب فيه حاجةً، فإنّه يوم شديد البلاء، ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات مع فرعون، والمريض فيه يجهد، والمولود فيه يكون مباركاً مرزوقاً نجيباً، وتصيبه علّة شديدة ويسلم منها. وقال سلمان رضي الله عنه : روز أرد اسم ملك موكّل بالجنّ والشياطين يوم نحس ضرب الله فيه أهل مصر بالآيات، فتفرّغ فيه للدعاء والصلاة وعمل الخير[١].

١٧٢ - وفي الرواية الأخرى عنه عليه السلام : يوم نحس مشوم. فيه أصيب أهل مصر بالآيات، فاتّقه جهدك، ومن مرض فيه لم يفق من مرضه[٢].

١٧٣ - **المكارم:** عنه عليه السلام : رديء مذموم يحذر فيه من كلّ شيء[٣].

١٧٤ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم نحس مكروه ثقيل نكد، فلا تطلب فيه حاجة، ولا تلق أحداً، ولا تسافر فيه، واقعد في منزلك، واستعذ بالله من شرّه، ومن ولد فيه كان ثقيل التربية نكد الحياة، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.

١٧٥ - وفي رواية أخرى: أنّه يوم ضرب الله فيه أهل الآيات مع فرعون والمولود فيها يكون نجيباً مباركاً مرزوقاً تصيبه علّة شديدة ويسلم منها.

أقول: المشهور في تصحيح الاسم أنّه بفتح الهمزة وسكون الراء المهملة ثمّ الدال المهملة، وقد يمدّ الهمزة، وبعضهم صحّحه بكسر الهمزة.

اليوم السادس والعشرون

١٧٦ - **العدد:** قال مولانا جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّه يوم مبارك للسيف، ضرب موسى عليه السلام فيه البحر فانفلق، يصلح لكلّ حاجة ما خلا التزويج والسفر، فاجتنبوا فيه ذلك، فإنّه من تزوّج فيه لم يتمّ تزويجه ويفارق أهله، ومن سافر فيه لم يصلح له ذلك فليتصدّق[٤].

١٧٧ - وفيه رواية أخرى: يوم صالح للسفر، ولكلّ أمر يراد إلاّ التزويج فإنّه من تزوّج فيه فرّق بينهما كما انفرق البحر لموسى عليه السلام ويكون عيشهما بغيضاً، ولا تدخل إذا وردت من سفرك فيه إلى أهلك، والنقلة فيه جيّدة، ومن ولد فيه يكون قليل الحظّ ويغرق كما غرق فرعون في اليمّ[٥].

١٧٨ - وفي رواية أخرى: من ولد فيه طال عمره[٦].

١٧٩ - فيه رواية أخرى: من ولد فيه يكون مجنوناً بخيلاً، ومن مرض فيه أجهد[٧].

---

(١) الدروع الواقية، ص ١٢٥.
(٢) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.
(٣) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٤) - (٧) العدد القوية، ص ٣١٩.

قالت الفرس: إنّه يوم جيّد مختار مبارك، ومن تزوّج فيه لا يتمّ أمره ويفارق أهله[١].

وقال سلمان الفارسي رَحِمَهُ اللّه: اشتاد روز اسم الملك الذي خُلق عند ظهور الدين[٢].

١٨٠ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام: إنّه يوم صالح، يصلح للسفر ولكلّ أمر يراد إلاّ التزويج، فمن تزوّج فيه فارق زوجته؛ لأنّ فيه انفلق البحر لموسى عليه السلام ولا تدخل فيه على أهلك إذا قدمت من سفر، والمريض فيه يجهد، والمولود فيه يطول عمره.

وقال سلمان رَحِمَهُ اللّه: روز أشتاد اسم ملك خُلق عند ظهور الدين يوم صالح لكلّ أمر إلاّ التزويج[٣].

١٨١ - وفي الرواية الأخرى: عنه عليه السلام: فيه فرق الله البحر لموسى عليه السلام وهو يوم صالح لكلّ أمر إلاّ للتزويج، فمن تزوّج فيه فرّق بينهما كما فرق الله البحر[٤].

١٨٢ - **المكارم:** عنه عليه السلام: صالح لكلّ حاجة سوى التزويج والسفر، وعليكم بالصدقة فإنّكم تنتفعون بها[٥].

١٨٣ - **الزوائد:** عنه عليه السلام: يوم صالح متوسّط للشراء والبيع والسفر وقضاء الحوائج والبناء والغرس والزرع، وهو يوم جيّد فسافر فيه، والق من شئت تغنم وتقض حوائجك، ومن ولد فيه كان متوسّط الحال، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ بعد مدّة، ويكره فيه التزويج.

١٨٤ - وفي رواية أخرى: هو يوم ضرب موسى بعصاه البحر، فلا تعبر على أهلك إذا أتيت من سفر، والمولود يطول عمره، والمريض يجهد.

أقول: المضبوط عند أكثرهم «أشتاد» بفتح الهمزة وسكون الشين المعجمة وفتح التاء ثمّ الألف ثمّ الدال المهملة، ونقل عن السيّد ركن الدين الآملي أنّه بالسين المهملة.

اليوم السابع والعشرون

١٨٥ - **العدد:** قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم مبارك مختار جيّد، يصلح لطلب الحوائج والشراء والبيع والدخول على السلطان والبناء والزرع والخصومة ولقاء القضاة والسفر والابتداءات والأسباب والتزويج، وهو يوم سعيد جيّد، وفيه ليلة القدر فاطلب ما شئت، خفيف لسائر الأحوال، اتّجر فيه، وطالب بحقّك، واطلب عدوّك؛ وتزوّج وادخل على السلطان، والق فيه من شئت، ويكره فيه إخراج الدّم، ومن مرض فيه مات، ومن ولد فيه يكون جميلاً حسناً طويل العمر كثير الرزق قريباً إلى الناس محبّباً إليهم[٦].

١٨٦ - وفي رواية أخرى: يكون غشوماً مرزوقاً[٧].

---

(١) - (٢) العدد القوية، ص ٣١٩.
(٣) الدروع الواقية، ص ١٢٨.
(٤) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.
(٥) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٦) - (٧) العدد القوية، ص ٣٣٢.

١٨٧ - قال أمير المؤمنين عليه السلام : ولد فيه يعقوب عليه السلام من ولد فيه يكون مرزوقاً محبوباً عند أهله لكنّه تكثر أحزانه ويفسد بصره[1].

وقالت الفرس: إنّه يوم جيّد، يحمد للحوائج وتسهيل الأمور والأعمال والتصرّفات ولقاء التجّار والسفر، والمسافر يحمد فيه أمره، من ولد فيه يكون مرزوقاً محبباً إلى الناس طويلاً عمره[2].

وقال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه : روز آسمان اسم الملك الموكّل بالطير[3].

١٨٨ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام : إنّه يوم صالح لكلّ أمر، والمولود فيه يكون حسناً جميلاً طويل العمر كثير الخير قريباً إلى الناس محبّباً إليهم.

قال سلمان رضي الله عنه : روز اسمان اسم ملك موكّل بالطير، والمولود فيه كما مرّ آنفاً[4].

١٨٩ - وفي الرواية الأخرى: يوم سعيد صالح لكلّ شيء تريده[5].

١٩٠ - **المكارم:** جيّد مختار للحوائج، وكلّ ما يراد، ولقاء السلطان[6].

١٩١ - **الزوائد:** عنه عليه السلام : يوم صاف مبارك من النحوس صالح للحوائج إلى السلطان وإلى الإخوان، والسفر إلى البلدان، فالق فيه من شئت، وسافر إلى حيث أردت ومن ولد فيه كان مباركاً خفيف التربية، ومن مرض فيه أو في ليلته نجا من مرضه سريعاً.

١٩٢ - ومن رواية أخرى: إنّه يكون طويل العمر كثير الخير.

أقول: آسمان بالألف الممدود كاسم السماء، ولذا قيل اسم ملك موكّل بالسماء، وقيل موكّل بالطير، وقيل بالمهمّات والأمور المتعلّقة بهذا اليوم.

اليوم الثامن والعشرون

١٩٣ - **العدد:** قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّه يوم مختار وصالح لكلّ حاجة وإخراج الدم وهو يوم سعيد مبارك، ولد فيه يعقوب عليه السلام يصلح للسفر وجميع الحوائج وكلّ أمر والعمارة والبيع والشراء والدخول على السلطان، قاتل فيه أعداءك فإنّك تظفر بهم والتزويج[7].

١٩٤ - وفي رواية أخرى: لا تخرج فيه الدم فإنّه رديء من مرض فيه يموت، ومن أبق فيه رجع، ومن ولد فيه يكون حسناً جميلاً مرزوقاً محبوباً محبّباً إلى الناس وإلى أهله مشغوفاً محزوناً طول عمره، ويصيبه الغموم، ويبتلى في بدنه ويعافى في آخر عمره، ويعمّر طويلاً ويبتلى في بصره[8].

---

(١) - (٣) العدد القوية، ص ٣٣٣.
(٤) الدروع الواقية، ص ١٣٤.
(٥) الدروع الواقية، ص ٢٤٢.
(٦) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.
(٧) - (٨) العدد القوية، ص ٣٤٥.

١٩٥ - قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون صبيح الوجه مسعود الجدّ مباركاً ميموناً، ومن طلب فيه شيئاً تمّ له وكانت عاقبته محمودة[١].

وقالت الفرس: إنّه يوم ثقيل منحوس[٢].

١٩٦ - وفي رواية أخرى: يحمد فيه قضاء الحوائج، ومبارك فيها وقضاء الأمور والمهمّات ودفع الضرورات ولقاء القوّاد والحجّاب والأجناد، وهو يوم مبارك سعيد، والأحلام تصحّ في يومها[٣].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: راهيادروز اسم الملك الموكّل بالقضاء بين الخلق. وروي: اسم الملك الموكّل بالسماوات[٤].

١٩٧ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام: إنّه يوم صالح لكلّ أمرٍ، ولد فيه يعقوب عليه السلام فمن ولد فيه يكون محزوناً وتصيبه الغموم ويبتلى في بدنه.

وقال سلمان رضي الله عنه: روز امياد اسم ملك موكّل بالسماوات وقيل بالقضاء بين الخلق، يوم مبارك سعيد، والأحلام تصحّ في يومها[٥].

١٩٨ - وفي الرواية الأخرى: يوم سعيد ولد فيه يعقوب عليه السلام، ومن ولد فيه يكون مرزوقاً محبّباً إلى أهله وإلى الناس، ويعمّر طويلاً وتصيبه الهموم ويبتلى في بصره[٦].

١٩٩ - **المكارم:** ممزوج[٧].

٢٠٠ - **الزوائد:** يوم مبارك سعيد لكلّ عمل وحاجة وسفر وبناء وغرس واعمل فيه ما شئت، والق من شئت، فإنّه يوم مبارك سعيد، ومن ولد فيه يكون مباركاً مقبلاً، ومن مرض فيه أو في ليلته برئ من مرضه.

٢٠١ - وفي رواية أُخرى: أنّ يعقوب عليه السلام ولد فيه، ومن ولد فيه يكون محزوناً طويلاً عمره، ويصيبه الغمّ ويبتلى في بدنه.

أقول: المضبوط في الاسم «رامياد» بفتح الراء المهملة ثمّ الألف وسكون الميم والياء المثنّاة التحتانيّة ثمّ الألف ثمّ الدال المهملة.

اليوم التاسع والعشرون

٢٠٢ - **العدد:** قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام: إنّه يوم مختار يصلح لكلّ حاجةٍ وإخراج الدّم، وهو يوم سعيد لسائر الأمور والحوائج والأعمال فيه بارك الله تعالى على الأرض المقدّسة، ويصلح للنقلة وشراء العبيد والبهائم ولقاء الإخوان والأصدقاء وفعل البرّ والحركة، ويكره فيه الدين والسلف والأيمان، من سافر فيه يصيب

---

(١) - (٤) العدد القوية، ص ٣٤٥.

(٥) الدروع الواقية، ص ١٣٨.

(٦) الدروع الواقية، ص ٢٤٣.

(٧) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

مالاً كثيراً إلاّ من كان كاتباً فإنّه يكره له ذلك، والرؤيا فيه صادقة، ولا تقصّها إلاّ بعد يوم، والمريض فيه يموت، والآبق فيه يوجد ولا تستحلف فيه أحداً، ولا تأخذ فيه من أحد، وادخل فيه على السلطان. ولا تضرب فيه حرّاً ولا عبداً. ومن ضلّت له ضالّة وجدها[(١)].

٢٠٣ - وفي رواية: من مرض فيه يبرأ، ومن ولد فيه يكون صالحاً حليماً[(٢)].

٢٠٤ - وفي رواية أخرى: أنّه متوسّط لا محمود ولا مذموم، تجتنب فيه الحركة[(٣)].

وقالت الفرس: إنّه يوم جيّد صالح يحمد فيه النقلة والسفر والحركة والمولود فيه يكون شجاعاً، وهو صالح لكلّ حاجة ولقاء الإخوان والأصدقاء والأودّاء، وفعل الخير، والأحلام فيه تصحّ في يومها[(٤)].

وقال سلمان الفارسي رضي الله عنه: مار اسفند روز اسم الملك الموكّل بالأوقات والأزمان والعقول والأسماع والأبصار. وفي رواية أُخرى: الموكّل بالأفئدة[(٥)].

٢٠٥ - **الدروع:** عن الصادق عليه السلام: إنّه يوم صالح لكلّ أمر، ومن ولد فيه يكون حليماً، ومن سافر فيه أصاب مالاً جزيلاً، ومن مرض فيه برئ سريعاً ولا تكتب فيه وصيّة.

وقال سلمان رضي الله عنه: مار اسفند اسم ملك موكّل بالأفئدة والعقول والأسماع والأبصار، يصلح للقاء الإخوان والأصدقاء، ولكلّ حاجة، والأحلام تصحّ فيه من يومها[(٦)].

٢٠٦ - وفي الرواية الأُخرى: يوم مبارك صالح لكلّ حاجة من لقاء السلطان والأصدقاء، وفعل البرّ وغير ذلك[(٧)].

٢٠٧ - **المكارم:** عنه عليه السلام: مختار جيّد لكلّ حاجة ما خلا الكاتب، فإنّه يكره له ذلك، ولا أرى له أن يسعى في حاجة إن قدر على ذلك. ومن مرض فيه برئ سريعاً، ومن سافر فيه أصاب مالاً كثيراً، ومن أبق فيه رجع[(٨)].

٢٠٨ - **الزوائد:** عنه عليه السلام: يوم مبارك سعيد قريب الأمر، يصلح للحوائج والتصرّف فيها ولقاء الملوك والسفر والنقلة، فاقض فيه كلّ حاجة، وسافر، والق من شئت، ومن ولد فيه كان مباركاً، ومن مرض فيه أو في ليلته يخاف عليه.

٢٠٩ - وفي رواية أُخرى: الذي يولد فيه يكون حليماً، والمسافر فيه يصيب مالاً كثيراً، وتكره فيه الوصيّة.

أقول: الاسم عندهم «مار اسفند» بفتح الميم ثمّ الألف والراء الساكنة ثمّ الهمزة المكسورة والسين المهملة الساكنة والفاء المفتوحة والنون الساكنة، وقيل: مار اسفندان، وقيل: إسپند، وقيل: إسپندان بالباء العجميّة فيهما.

---

(١) - (٥) العدد القوية، ص ٣٦٠.
(٦) الدروع الواقية، ص ١٤٢.
(٧) الدروع الواقية، ص ٢٤٣.
(٨) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

اليوم الثلاثون

٢١٠ - **العدد القوية:** قال مولانا أبو عبد الله جعفر بن محمّد الصادق عليه السلام : إنّه يوم مختار جيّد يصلح لكلّ شيء، وللشراء والبيع والزرع والغرس والبناء والتزويج والسفر وإخراج الدم[١].

٢١١ - وفي رواية أُخرى: لا تسافر فيه، ولا تتعرّض لغيره إلاّ المعاملة، وقلّل فيه الحركة، والسفر فيه رديء، ومن ولد فيه يكون حليماً مباركاً، وتعسر تربيته، ويسوء خلقه، ويرزق رزقاً يكون لغيره، ويمنع من التمتّع بشيء منه[٢].

٢١٢ - وفي رواية أُخرى: من ولد فيه كفي كلّ أمر يؤذيه، ويكون المولود فيه مباركاً صالحاً، يرتفع أمره ويعلو شأنه، ولد فيه إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام وفيه خلق الله العقل؛ وأسكنه رؤوس من أحبّ من عباده؛ ومن هرب فيه أخذ، ومن ضلّت منه ضالّة وجدها، ومن اقترض فيه شيئاً ردّه سريعاً، ومن مرض فيه برئ سريعاً[٣].

٢١٣ - قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام : من ولد فيه يكون حليماً مباركاً صادقاً أميناً يعلو شأنه، ومن ضاع له شيء يجده بإذن الله تعالى[٤].

قالت الفرس: إنّه يوم خفيف يحمد فيه سائر الأعمال والتصرّفات، ويصلح لشرب الأدوية المسهلة[٥].

وقال سلمان الفارسيّ رضي الله عنه : إيران روز اسم الملك الموكّل بالدهور والأزمنة[٦].

٢١٤ - **الدروع الواقية:** عن الصادق عليه السلام : إنّه يوم جيّد للبيع والشراء والتزويج، ومن ولد فيه يكون حليماً مباركاً، وتعسر تربيته، ويسوء خلقه ويرزق رزقاً يمنع منه، ومن هرب فيه أخذ، ومن ضلّت له ضالّة وجدها، ومن اقترض فيه شيئاً ردّه سريعاً.

وقال سلمان رضي الله عنه : روز أنيران اسم ملك موكّل بالدهور والأزمنة يوم سعيد مبارك يصلح لكلّ شيء تريده[٧].

٢١٥ - وفي الرواية الأُخرى: يوم سعيد مبارك يصلح لكلّ حاجة تلتمس[٨].

٢١٦ - **مكارم الأخلاق:** عنه عليه السلام مختار جيّد لكلّ شيء ولكلّ حاجة من شراء وبيع وزرع وتزويج؛ ومن مرض فيه برئ سريعاً، ومن ولد فيه يكون حليماً مباركاً، ويرتفع أمره، ويكون صادق اللسان صاحب وفاء[٩].

٢١٧ - **زوائد الفوائد:** عن الصادق عليه السلام : يوم مبارك ميمون مسعود مفلح منجح مفرّح،

---

(١) - (٦) العدد القوية، ص ٣٧٠.
(٧) الدروع الواقية، ص ١٤٤.
(٨) الدروع الواقية، ص ٢٤٣.
(٩) مكارم الأخلاق، ص ٤٦٤.

فاعمل فيه ما شئت، والق من أردت، وخذ وأعط وسافر وانتقل وبع واشتر، فإنّه صالح لكلّ ما تريد، موافق لكلّ ما يعمل، ومن ولد فيه كان مباركاً ميموناً مقبلاً حسن التربية موسّعاً عليه، ومن مرض فيه أو في ليلته لم تطل علّته ونجا سالماً بإذن الله تعالى.

٢١٨ - وفي رواية أخرى: يكره فيه السفر، والمولود فيه يرزق رزقاً واسعاً يكون لغيره، ويمنع من التمتّع بشيء منه، ومن هرب فيه أخذ، وإذا ضلّت فيه ضالّة وجدت، والقرض فيه يعود سريعاً، والله أحكم وأعلم.

بيان: الاسم عندهم بفتح الهمزة وكسر النون ثمّ الياء الساكنة ثمّ الراء المهملة المفتوحة. ثمّ اعلم أنّ الظاهر من أكثر هذه الروايات أنّ المراد بالأيّام المذكورة فيها أيّام الشهور العربيّة، ويظهر من بعضها كخبر سلمان ﷺ، أنّ المراد بها الشهور العجميّة وأيّامها، كما يظهر من أسمائها وتوافقها لما نقله المنجّمون عن الفرس في ذلك ويمكن أن يقال: لمّا كان في بدء خلق العالم شهر فروردين مطابقاً على بعض الشهور العربيّة ابتداءً وانتهاءً سرت السعادة والنحوسة في أيّام الشهرين معاً، كما نقل أنّ في أوّل خلق العالم كان الشمس في الحمل، وعند افتراقها سرتا فيهما أو اختصّتا بأحدهما. ويمكن حمل اختلاف الأخبار أيضاً على ذلك بأن يكون ما ورد في سعادة بعض الأيّام في بعض الأخبار ونحوسته بعينه في الأخرى بسبب اختلاف المقصود من الشهر فيهما وكون المراد في إحداهما العربيّة وفي الأخرى الفرسيّة، لكن التعيين والتخصيص مشكل، ولو أمكن رعايتهما معاً كان أولى، وسيأتي تمام القول في ذلك في الباب الآتي إن شاء الله تعالى.

٢٣ - باب يوم النيروز وتعيينه
وسعادة أيام شهور الفرس والروم ونحوستها وبعض النوادر

١ - **أقول:** رأيت في بعض الكتب المعتبرة: روى فضل الله بن عليّ بن عبيد الله بن محمّد ابن عبد الله بن محمّد بن عبيد الله بن الحسين بن عليّ بن محمّد بن الحسن بن جعفر ابن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب - تولاّه الله في الدارين بالحسنى - عن أبي عبد الله جعفر بن محمّد بن أحمد بن العبّاس الدوريستيّ، عن أبي محمّد جعفر بن أحمد بن عليّ المونسيّ القميّ، عن عليّ بن بلال، عن أحمد بن محمّد بن يوسف، عن حبيب الخير، عن محمّد بن الحسين الصائغ، عن أبيه، عن معلّى بن خنيس، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام يوم النيروز، فقال عليه السلام: أتعرف هذا اليوم؟ قلت: جعلت فداك، هذا يوم تعظّمه العجم وتتهادى فيه. فقال أبو عبد الله الصادق عليه السلام: والبيت العتيق الذي بمكّة، ما هذا إلاّ لأمر قديم أفسّره لك حتى تفهمه. قلت: يا سيّدي! إن علم هذا من عندك أحبّ إليّ من أن يعيش أمواتي وتموت أعدائي! فقال: يا معلّى! إنّ يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله فيه مواثيق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وأن يؤمنوا برسله وحججه، وأن يؤمنوا

بالأئمة عليهم السلام وهو أوّل يوم طلعت فيه الشمس، وهبّت به الرياح، وخلقت فيه زهرة الأرض. وهو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجوديّ، وهو اليوم الذي أحيى الله فيه الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم. وهو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبيّ صلى الله عليه وآله وهو اليوم الذي حمل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام على منكبه حتى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام فهشمها، وكذلك إبراهيم عليه السلام، وهو اليوم الذي أمر [فيه ظ] النبيّ صلى الله عليه وآله أصحابه أن يبايعوا علياً عليه السلام بإمرة المؤمنين، وهو اليوم الذي وجّه النبيّ صلى الله عليه وآله علياً عليه السلام إلى وادي الجنّ يأخذ عليهم البيعة له، وهو اليوم الذي بويع لأمير المؤمنين عليه السلام فيه البيعة الثانية، وهو اليوم الذي ظفر فيه بأهل النهروان وقتل ذا الثديّة وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا وولاة الأمر وهو اليوم الذي يظفر فيه قائمنا بالدجّال فيصلبه على كناسة الكوفة، وما من يوم نيروز إلاّ ونحن نتوقّع فيه الفرج، لأنّه من أيّامنا وأيّام شيعتنا، حفظته العجم وضيّعتموه أنتم.

وقال: إنّ نبيّاً من الأنبياء سأل ربّه كيف يحيي هؤلاء القوم الذين خرجوا فأوحى الله اليه أن يصبّ الماء عليهم في مضاجعهم في هذا اليوم، وهو أوّل يوم من سنة الفرس فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً، فصار صبّ الماء في النيروز سنّة.

فقلت: يا سيّدي! ألا تعرّفني - جعلت فداك - أسماء الأيّام بالفارسيّة؟ فقال عليه السلام: يا معلّى! هي أيّام قديمة من الشهور القديمة، كلّ شهر ثلاثون يوماً لا زيادة فيه ولا نقصان.

فأول: يوم من كلّ شهر «هرمزد روز» اسم من أسماء الله تعالى، خلق الله عزّ وجلّ فيه آدم عليه السلام. تقول الفرس: إنّه يوم جيّد صالح للشرب وللفرح، ويقول الصادق: إنّه يوم سعيد مبارك، يوم سرور، تكلّموا فيه الأمراء والكبراء واطلبوا فيه الحوائج، فإنّها تنجح بإذن الله ومن ولد فيه يكون مباركاً، وادخلوا فيه على السلطان، واشتروا فيه، وبيعوا، وزارعوا، واغرسوا، وابنوا وسافروا، فإنّه يوم مختار يصلح لجميع الأمور، وللتزويج، ومن مرض فيه يبرأ سريعاً، ومن ضلّت له ضالّة وجدها إن شاء الله.

الثاني: «بهمن روز» يوم صالح صاف، خلق الله فيه حوّاء عليها السلام وهو ضلع من أضلاع آدم عليه السلام وهو اسم الملك الموكّل بحجب القدس والكرامة، تقول الفرس: إنّه يوم صالح مختار، ويقول الصادق: إنّه يوم مبارك، تزوّجوا فيه وأتوا أهاليكم من أسفاركم، وسافروا فيه، واشتروا، وبيعوا، واطلبوا فيه الحوائج في كلّ نوع، وهو يوم مختار، ومن مرض فيه من أوّل النهار يكون مرضه خفيفاً، ومن مرض في آخره اشتدّ مرضه وخيف من موته في ذلك المرض.

الثالث: «أردي بهشت روز» اسم الملك الموكّل بالشفاء والسقم، يقول الفرس: إنّه يوم ثقيل، ويقول الصادق: إنّه يوم نحس مستمرّ، فاتّقوا فيه الحوائج وجميع الأعمال، ولا تدخلوا فيه على السلطان، ولا تبيعوا، ولا تشتروا ولا تزوّجوا، ولا تسألوا فيه حاجة، ولا

تكلّفوها أحداً، واحفظوا أنفسكم، واتّقوا أعمال السلطان، وتصدّقوا ما أمكنكم، فإنّه من مرض فيه خيف عليه، وهو اليوم الذي أخرج الله عزّوجلّ فيه آدم وحوّاء من الجنّة، وسلبا فيه لباسهما ومن سافر فيه قطع عليه أبداً.

الرابع: «شهريور روز» اسم الملك الذي خلقت فيه الجواهر عنه، ووكّل بها، وهو موكّل ببحر الروم، وتقول الفرس: إنّه يوم مختار، ويقول الصادق: إنّه يوم مبارك، ولد فيه هابيل بن آدم، وهو صالح للتزويج وطلب الصيد في البرّ والبحر، ومن ولد فيه يكون رجلاً صالحاً مباركاً ومحبّباً إلى الناس، إلاّ أنّه لا يصلح فيه السفر، ومن سافر فيه خاف القطع، ويصيبه بلاء وغمّ، ومن مرض فيه يبرأ سريعاً إن شاء الله تعالى.

الخامس: «اسفندار مذ روز» اسم الملك الموكّل بالأرضين، يقول الفرس: إنّه يوم ثقيل، ويقول الصادق: إنّه يوم نحس رديء، ولد فيه قابيل بن آدم، وكان ملعوناً كافراً، وهو الذي قتل أخاه ودعا بالويل والثبور على أهله، وأدخل عليهم الغمّ والبكاء، فاجتنبوه فإنّه يوم شؤم ونحس ومذموم، ولا تطلبوا فيه حاجة ولا تدخلوا فيه على السلطان، وادخلوا في منازلكم، واحذروا فيه كلّ الحذر من السباع والحديد.

السادس: «خرداد روز» اسم الملك الموكّل بالجبال، تقول الفرس: إنّه يوم خفيف، ويقول الصادق: إنّه يوم مبارك صالح للتزويج، ولطلب الحوائج لكلّ ما يسعى فيه من الأمر في البرّ والبحر والصيد فيهما، وللمعاش وكلّ حاجة ومن سافر فيه رجع إلى أهله سريعاً بكلّ ما يحبّه ويريده، وبكلّ غنيمة، فجدّوا في كلّ حاجة تريدونها فيه، فإنّها مقضيّة إن شاء الله تعالى.

السابع: «مرداد روز» اسم الملك الموكّل بالناس وأرزاقهم، يقول الفرس: إنّه يوم جيّد، ويقول الصادق: إنّه يوم سعيد مبارك، اعملوا فيه جميع ما شئتم من السعي في حوائجكم، من البناء والغرس والذرو والزرع. ولطلب الصيد، والدخول على السلطان، والسفر، فإنّه يوم مختار يصلح لكلّ حاجة إن شاء الله تعالى.

الثامن: «ديبار روز» اسم من أسماء الله تعالى، تقول الفرس: إنّه يوم جيّد ويقول الصادق: إنّه يوم مبارك صالح لكلّ حاجة يسعى فيها، وللشراء والبيع والصيد ماخلا السفر، فاتّقوا فيه ومن مرض فيه يبرأ سريعاً، وادخلوا فيه على السلطان وغيره، فإنّه يقضى فيه الحوائج، ومن دخل فيه على السلطان لحاجة فليسأله فيها.

التاسع: «آذر روز» اسم الملك الموكّل بالنيران يوم القيامة، تقول الفرس: إنّه يوم خفيف ويقول الصادق: إنّه يوم صالح خفيف سعيد مبارك من أوّل النهار إلى آخر النهار، يصلح للسفر ولكلّ ما تريد، ومن سافر فيه رزق مالاً كثيراً. ويرى في سفره كلّ خير، ومن مرض يبرأ سريعاً ولا يناله في علّته مكروه إن شاء الله تعالى، فاطلبوا الحوائج فيه فإنّها تقضى لكم بمشيّة الله تعالى وتوفيقه.

العاشر: «أبان روز» اسم الملك الموكّل بالبحر والمياه، تقول الفرس: إنّه يوم ثقيل، ويقول الصادق: إنّه يوم صالح لكلّ شيء ما خلا الدخول على السلطان وهو اليوم الذي ولد فيه نوح عليه السلام ومن ولد فيه يكون مرزوقاً من معاشه، ولا يصيبه ضيق، ولا يموت حتى يهرم، ولا يبتلى بفقر، ومن فرّ فيه من السلطان أو غيره أخذ ومن ضلّت له ضالّة وجدها، وهو جيّد للشراء والبيع والسفر، ومن مرض فيه يبرأ سريعاً إن شاء الله تعالى.

الحادي عشر: «خور روز» اسم الملك الموكّل بالشمس، يقول الفرس: إنّه يوم ثقيل مثل أمسه، ويقول الصادق إنّه اليوم الذي ولد فيه شيث بن آدم عليه السلام والنبيّ صلى الله عليه وآله وهو يوم صالح للشراء والبيع، ولجميع الأعمال والحوائج وللسفر، ما خلا الدخول على السلطان، فإنّه لا يصلح، والتواري عنه فيه أصلح من الدخول عليه، فاجتنبوا فيه ذلك، ومن ولد فيه يكون مباركاً مرزوقاً في معاشه طويل العمر، ولا يفتقر أبداً، فاطلبوا فيه حوائجكم ما خلا السلطان.

الثاني عشر: «ماه روز» اسم الملك الموكّل بالقمر، يقول الفرس: إنّه يوم خفيف يسمّى «روزبه» ويقول الصادق: إنّه يوم صالح جيّد مختار يصلح لكلّ شيء تريدونه مثل اليوم الحادي عشر، ومن ولد فيه يكون طويل العمر، فاطلبوا فيه حوائجكم وادخلوا على السلطان في أوّله، ولا تدخلوا في آخره، واستعينوا بالله عزّ وجلّ فيها فإنّها تقضى لكم بمشيّة الله تعالى.

الثالث عشر: «تير روز» اسم الملك الموكّل بالنجوم، يقول الفرس: إنّه يوم ثقيل شؤميّ جدّاً، ويقول الصادق: إنّه يوم نحس مستمرّ فاتّقوه في جميع الأعمال ما استطعتم، ولا تقصدوا ولا تطلبوا فيه الحاجة أصلاً ولا تدخلوا فيه على السلطان وغيره جهدكم، ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله العليّ العظيم.

الرابع عشر: «جوش روز» اسم الملك الموكّل بالبشر والأنعام والمواشي، تقول الفرس: إنّه يوم خفيف، ويقول الصادق: إنّه يوم جيّد صالح لكلّ عمل وأمر يراد ويحمد فيه لقاء الأشراف والعلماء، ولطلب الحوائج، ومن يولد فيه يكون حسن الكمال مشغوفاً بطلب العلم، ويعمّر طويلاً، يكثر ماله في آخر عمره، ومن مرض فيه يبرأ بمشيّة الله عزّ وجلّ.

الخامس عشر: «ديمهر روز» اسم من أسماء الله تعالى، تقول الفرس: إنّه يوم خفيف، ويقول الصادق: إنّه يوم صالح مبارك لكلّ عمل، ولكل حاجة تريدها إلاّ أنه من يولد فيه يكون به خرس أو لثغة، فاطلبوا فيه الحوائج فإنّها تقضى إن شاء الله.

السادس عشر: «مهر روز» اسم الملك الموكّل بالرحمة، تقول الفرس: إنّه يوم خفيف جيّد جدّاً، ويقول الصادق: إنّه يوم منحوس رديء مذموم، فلا تطلبوا فيه حوائجكم، ولا تسافروا فيه، فإنّه من سافر فيه هلك، ومن ولد فيه يكون لا بدّ مجنوناً، ومن مرض فيه لا يكاد ينجو، فاجهدوا في ترك طلب الحوائج والحركة فإنّها وإن قضيت تقضى بمشقّة، وربّما لم يتمّ فيها المراد، فاتّقوا ما استطعتم وتصدّقوا فيه.

السابع عشر: «نمروش روز» اسم الملك الموكّل بخراب العالم وهو جبرئيل عليه السلام يقول الفرس: إنّه يوم مختار خفيف متوسّط، ويقول الصادق: إنّه يوم صالح لكلّ ما يراد، جيّد موافق صافٍ مختار لجميع الحوائج، فاطلبوا فيه ما شئتم، وتزوّجوا وبيعوا واشتروا وازرعوا وابنوا وادخلوا على السلطان وغيره فإنّ حوائجكم تقضى بمشيّة الله تعالى.

الثامن عشر: «رش روز» اسم الملك الموكّل بالنيران، يقول الفرس: إنّه يوم خفيف، ويقول الصادق: إنّه يوم مختار جيّد مبارك صالح للسفر والزرع وطلب الحوائج والتزويج وكلّ أمر يراد، ومن خاصم فيه عدوّه أو خصمه غلب عليه وظفر فيه بقدرة الله تعالى.

التاسع عشر: «فروردين روز» اسم الملك الموكّل بأرواح الخلائق وقبضها يقول الفرس: إنّه يوم ثقيل، ويقول الصادق: إنّه يوم مختار صالح جيّد للسفر والتزويج وطلب الحوائج، ومن خاصم فيه عدوّاً ظفر به وغلبه بقدرة الله تعالى ويصلح لكلّ عمل وهو اليوم الذي ولد فيه إسحاق النبيّ عليه السلام، وهو يوم مبارك يصلح لكلّ ما تريد، ومن يولد فيه يكون مباركاً إن شاء الله تعالى.

العشرون: «بهرام روز» اسم الملك الموكّل بالنصر والخذلان في الحرب يقول الفرس: إنّه يوم خفيف، ويقول الصادق: إنّه يوم صالح جيّد مختار صاف، يصلح لطلب الحوائج والسفر خاصّة، والبناء والتزويج والعرس والدخول على السلطان وغيره فيه، فإنّه يوم مبارك يصلح إن شاء الله تعالى.

الحادي والعشرون: «رام روز» اسم الملك الموكّل بالفرح والسرور، تقول الفرس: إنّه يوم جيّد يتبرّك به، ويقول الصادق: إنّه يوم نحس مستمرّ، وهو يوم إهراق الدماء، فاتّقوا فيه ما استطعتم، ولا تطلبوا فيه حاجة، ولا تنازعوا فيه خصماً، ومن يولد فيه يكون محتاجاً فقيراً في أكثر أمره ودهره، ومن سافر فيه لم يربح وخيف عليه.

الثاني والعشرون: «باد روز» اسم الملك الموكّل بالرياح، يقول الفرس: إنّه يوم ثقيل، ويقول الصادق: إنّه يوم مختار جيّد صاف يصلح لكلّ حاجة تريدها، فاطلبوا فيه الحوائج فإنّه يوم جيّد خاصّة للشراء والبيع، وللصدقة فيه ثواب جزيل جليل عظيم، ومن يولد فيه يكون مباركاً محبوباً، ومن مرض فيه يبرأ سريعاً، ومن سافر فيه يخصب ويرجع إلى أهله معافى سالماً، ومن دخل فيه إلى السلطان بلغ محابّه ووجد عنده نجاحاً لما قصد له.

الثالث والعشرون: «ديبدين روز» اسم الملك الموكّل بالنوم واليقظة، يقول الفرس: إنّه يوم خفيف، ويقول الصادق: إنّه يوم مختار ولد فيه يوسف عليه السلام يصلح لكلّ أمر وحاجة، ولكلّ ما تريدونه، وخاصّة للتزويج والتجارات كلّها والدخول على السلطان والتماس الحوائج، ومن يولد فيه يكون مباركاً صالحاً ومن سافر فيه يغنم ويجد خيراً بمشيّة الله عزّ وجلّ.

الرابع والعشرين: «دين روز» اسم الملك الموكّل بالسعي والحركة يقول الفرس: إنّه يوم خفيف جيّد، ويقول الصادق: إنّه يوم منحوس، ولد فيه فرعون لعنه الله وهو يوم عسر نكد،

فاتّقوا فيه ما استطعتم، ومن سافر فيه مات في سفره وفي نسخة أُخرى: ومن يولد فيه يموت في سفره أو يقتل أو يغرق، ويكون مدّة عمره محزوناً مكدوداً نكداً ولا يوفّق لخير، ومن مرض فيه طال مرضه ولا يكاد ينتفع بمقصد ولو جهد جهده.

الخامس والعشرون: «أرد روز» اسم الملك الموكّل بالجنّ والشياطين تقول الفرس: إنّه يوم ثقيل، ويقول الصادق: إنّه يوم نحس رديء مذموم، وهو اليوم الذي أصاب فيه أهل مصر سبعة أضرب من الآفات، وهو يوم شديد البلاء ومن مرض فيه لم يكد ينج، ولا يبرأ، ومن سافر فيه لا يرجع ولا يربح، فلا تطلبوا فيه حاجة، واحفظوا فيه أنفسكم واحترزوا، واتّقوا فيه جهدكم.

السادس والعشرون: «أشتاد روز» اسم الملك الموكّل الذي خلق عند ظهور الدين، تقول الفرس: إنّه يوم جيّد، ويقول الصادق: إنّه يوم صالح مبارك ضرب فيه موسى عليه السلام البحر فانفلق، يصلح لكلّ حاجة ما خلا التزويج والسفر، واجتنبوا فيه ذلك، فإنّه من تزوّج فيه لم يتمّ أمره، ويفارق أهله، وفرّق بينهما، ومن سافر فيه لم يصلح ولم يربح ولم يرجع، وعليكم بالصدقة فإنّ المنفعة بها وافرة، ولمضارّه دافعة بمشيّة الله وعونه.

السابع والعشرون: «آسمان روز» اسم الملك الموكّل بالسماوات، يقول الفرس: إنّه يوم مختار، ويقول الصادق: إنّه يوم جيّد مختار يصلح لطلب الحوائج ولكلّ شيء تريده، ومن يولد فيه يكون جميلاً حسناً مليحاً، وهو جيّد للبناء والزرع والشراء والبيع والدخول على السلطان، فاعملوا ما شئتم واسعوا في حوائجكم.

الثامن والعشرون: «رامياد روز» اسم الملك الموكّل بالقضاء بين الخلق تقول الفرس: إنّه يوم ثقيل منحوس ويقول الصادق: إنّه يوم سعيد مبارك ممدوح ولد فيه يعقوب النبيّ عليه السلام يصلح للسفر ولجميع الحوائج، ومن يولد فيه يكون مرزوقاً محبّباً إلى الناس، محبّباً إلى أهله، محسناً إليهم، إلاّ أنّه يصيبه الغموم والهموم، ويبتلى في آخر عمره، ولا يؤمن عليه من ذهاب بصره.

التاسع والعشرون: «مهر اسفند روز» اسم الملك الموكّل بالأفنية والأزمان والعقول والأسماع والأبصار، تقول الفرس: إنّه يوم جيّد، ويقول الصادق: إنّه يوم مختار جيّد يصلح لكلّ حاجة ما خلا الكاتب، فإنّه يكره له ذلك، ولا أرى له أن يسعى لحاجة فيه إن قدر على ذلك ومن مرض فيه يبرأ سريعاً، ومن سافر فيه أصاب مالاً كثيراً إلاّ من كان كاتباً فإنّه يكره له ذلك، ولا أرى السعي في حاجته إن قدر عليه، ومن أبق له فيه آبق رجع إليه سريعاً ومن ضلّت له ضالّة وجدها.

الثلاثون: «أنيران روز» اسم الملك الموكّل بالأدوار والأزمان، يتبرّك فيه الفرس، ويقول الصادق: إنّه يوم مختار جيّد صالح لكلّ شيء، وهو اليوم الذي ولد فيه إسماعيل بن إبراهيم

عليه السلام وعلى ذرّيّتهما وعلى آلهما يصلح لكلّ شيء، ولكلّ حاجة من شراء وبيع وزرع وغرس وتزويج وبناء، ومن مرض فيه يبرأ سريعاً إن شاء الله. وقال أمير المؤمنين عليه السلام: من ولد فيه يكون حكيماً حليماً صادقاً مباركاً مرتفعاً أمره، ويعلو شأنه، ويكون صادق اللسان صاحب وفاء، ومن أبق له فيه آبق وجده، ومن ضلّت له فيه ضالّة وجدها إن شاء الله تعالى.

٢ - **المناقب:** حكي أنّ المنصور تقدّم إلى موسى بن جعفر عليه السلام بالجلوس للتهنئة في يوم النيروز وقبض ما يحمل إليه، فقال: إنّي قد فتّشت الأخبار عن جدّي رسول الله صلى الله عليه وآله فلم أجد لهذا العيد خبراً، وإنّه سنّة الفرس ومحاها الإسلام ومعاذ الله أن نحيي ما محاه الإسلام. فقال المنصور: إنّما نفعل هذا سياسةً للجند فسألتك بالله العظيم إلاّ جلست، فجلس إلى آخر ما أوردته في أبواب تاريخه عليه السلام[1].

بيان: هذا الخبر مخالف لأخبار المعلّى، ويدلّ على عدم اعتبار النيروز شرعاً وأخبار المعلّى أقوى سنداً وأشهر بين الأصحاب، ويمكن حمل هذا على التقيّة لاشتمال خبر المعلّى على ما يتّقى فيه، ولذا يتّقى في إظهار التبرّك به في تلك الأزمنة في بلاد المخالفين، أو على أنّ اليوم الذي كانوا يعظّمونه غير النيروز المراد في خبر المعلّى كما سيأتي في ذكر الاختلاف فيه.

٣ - **المتهجد:** روى المعلّى بن الخنيس عن مولانا الصادق عليه السلام في يوم النيروز قال: إذا كان يوم النيروز فاغتسل، والبس أنظف ثيابك، وتطيّب بأطيب طيبك وتكون ذلك اليوم صائماً (الخبر).

٤ - **وأقول:** وجدت في بعض كتب المنجّمين مروياً عن مولانا الصادق عليه السلام في أيّام شهور الفرس:

الأول: «هرمز» وهو اسم الله تعالى، وفيه خلق آدم وحوّاء، جيّد للتجارة وصحبة الملوك والصيد والبناء واللبس، ولا يصلح للحمّام والفصد والقرض والحرب والمناظرة.

والثاني: «بهمن» يوم مبارك يصلح لأكثر الأمور كالشركة والتجارة والسفر والنكاح والتحويل والزراعة وقطع الجديد ولبسه، ولا يصلح للفصد والحجامة والحمّام.

والثالث: «أردي بهشت» اسم ملك موكّل بالشفاء، وفيه أخرج آدم وحوّاء من الجنّة، فاتّق فيه، لكنّه يصلح للصيد وشراء الدوابّ، ومن سافر فيه ذهب ماله وقطع.

والرابع: «شهر يور» يوم جيّد ولد فيه هابيل، يصلح للعمارة والبناء والصلح والنكاح والتجارة والصيد، ولا يصلح للسفر والنقل والتحويل والحلق.

والخامس: «اسفندار مذ» يوم نحس فيه قتل قابيل هابيل، اتّق فيه إلاّ من العمارة وشرب الدواء وحلق الشعر واحذر الأسواء والمناظرة.

---

(١) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٣١٩.

والسادس: «خرداد» اسم ملك موكّل بالجبال، مبارك جيّد للصلح ولبس الجديد والتعليم والمناظرة والتزويج والسفر، واحذر فيه الفصد والتعليم والحرب.

والسابع: «مرداد» اسم ملك موكّل بالحيوانات، يوم جيّد يصلح لكتابة الكتب وإرسال الرسل والعمارة والنكاح والمعالجة، ولا يصلح للفصد والحجامة والزراعة والطلاق.

والثامن: «ديباذر» اسم من أسماء الله تعالى، يوم مبارك يصلح للبيع والشراء والضيافة والفصد وطلب الحوائج، ولا يصلح للسفر والصيد والمناظرة والحمّام.

والتاسع: «آذر» اسم ملك موكّل بالنار، أوّله جيّد وآخره رديء، يصلح للقاء الملوك وطلب الحوائج والسفر والصيد وشرب الدواء، ولا يشتري الملك فإنّه يخرب سريعاً.

والعاشر: «أبان» اسم ملك موكّل بالبحار، فيه ولد نوح عليه السلام، يصلح فيه لقاء العلماء والتجار والأكابر وكتابة الكتب وإرسال الرسل، وليحذر فيه من السفر والصيد والمعالجة والصعود على مرتفع، فإنّه يخاف عليه السقوط.

والحادي عشر: «خور» اسم ملك موكّل بالشمس، ولد فيه موسى عليه السلام جيّد للقاء الملوك والزرع والمناظرة والصيد والبناء والسفر وشراء الدوابّ، رديء للفصد والحمّام والنكاح ولبس الجديد وشراء المماليك.

والثاني عشر: «ماه» اسم ملك موكّل بالأرزاق، يقال لهذا اليوم «مخزن الأسرار» صالح لشرب الدواء والصيد والحمّام والزرع والتحويل، وليحذر فيه من الهرب فإنّه يظفر به.

والثالث عشر: «تير» اسم ملك موكّل بالكواكب، يوم نحس يصلح لمجالسة أهل الصلاح والاشتغال بالدعاء، وليحذر فيه جميع الأعمال لا سيّما لقاء الأكابر.

الرابع عشر: «جوش» اسم ملك موكلّ بالبهائم، ولد فيه إبراهيم عليه السلام جيّد للقاء الأشراف والتجارة والشركة والمناظرة والفصد، وليحذر فيه الأعمال السيّئة.

الخامس عشر: «ديب مهر» اسم ملك موكّل بالعرش، فيه نجا إبراهيم عليه السلام من النار، يصلح للتجارة والنكاح والسفر والصيد ولبس الجديد وقطعه واحذر فيه الفصد.

والسادس عشر: «مهر» اسم ملك موكّل بالجحيم، يوم نحس مستمرّ صالح لدخول الحمّام والحلق ولا يصلح لسائر الأعمال، خصوصاً السفر فإنّه يخاف عليه الهلاك.

والسابع عشر: «سروش» وهو اسم من أسماء الله تعالى، وقيل: اسم جبرئيل، يوم متوسّط يصلح لطلب الحاجات وفعل الخيرات، وليحذر سائر الأعمال.

الثامن عشر: «رشن» اسم ملك موكّل بالنار، يوم جيّد يصلح للسفر والتجارة والشركة والزراعة وقطع الثياب والفصد، وليحذر فيه الفسق والفجور والأعمال السيّئة.

والتاسع عشر: «فروردين» هو اسم ملك الموت، ولد فيه إسحاق، يصلح للصيد والحمّام والكتب والرسل والتحويل ولقاء الأشراف، وليحذر فيه من إخراج الدمّ وحلق الشعر.

والعشرون: «بهرام» اسم ملك موكّل بالحروب، متوسّط صالح للسفر والنكاح والفصد وحلق الشعر والمعالجة، وليحذر الخصومة والصيد والتقاضي للعرفاء.

والحادي والعشرون: «رام» اسم ملك موكّل بالروح، نحس، فليذكر الله وليصم وليتصدّق وليتب وليستغفر الله ويستعصم من المكاره، وليحذر الأعمال.

وفي بعض النسخ: اسم ملك موكّل بالسحاب، يوم مبارك جيّد للنكاح والسفر والمناظرة والبيع والشراء والعمارة، رديء للصيد والمعالجة ودخول الحمّام.

والثاني والعشرون: «باد» اسم ملك موكّل بالسحب، يوم مبارك صالح للسفر والنكاح والمناظرة والبيع والشراء والعمارة والفصد. وفي بعض النسخ: اسم من أسماء الله تعالى، يوم جيّد جداً، صالح للسفر والصيد والنكاح والحمّام والحلق، وليحذر فيه من الفسق والفجور.

والثالث والعشرون: «ديبدين» اسم من أسماء الله تعالى، يوم جيّد صالح للسفر والنكاح والفصد والحمّام وأخذ الشعر. وفي بعض النسخ: فيه ولد فرعون صالح للفصد حسب، وليحذر فيه من الطعام الرديء، ومن الأعمال خصوصاً السفر.

والرابع والعشرون: «دين» يوم نحس، فيه ولد فرعون، لا يصلح إلاّ للفصد، وليحذر الأطعمة وجميع الأعمال سيّما السفر. وفي بعض النسخ: نحس لا يصلح إلاّ للفصد.

والخامس والعشرون: «أرد» اسم ملك موكّل بالشياطين، وفيه هلك أهل مصر، يوم نحس وليخل فيه بنفسه، وليحذر من جميع الأعمال لا سيّما السفر والتجارة والنكاح والحمّام والصيد.

والسادس والعشرون: «أشتاد» اسم ملك موكّل بالإنس، فيه عبر موسى وقومه البحر، صالح لطلب الحاجة وغرس الأشجار وشراء الأملاك، وليحذر التحويل والسفر والعمارة والفصد والتزويج.

السابع والعشرون: «آسمان» اسم ملك موكّل بالسماوات، يوم مبارك جدّاً صالح للسفر خصوصاً في الضحى، ولدخول الحمّام والمناظرة، وليتّق الفصد والصيد والنكاح وشراء الدوابّ.

والثامن والعشرون: «رامياد» اسم ملك موكّل بالأرضين، يوم مبارك صالح للسفر والبيع والشراء والمناظرة وشرب الدواء، ويحذر الفصد والحمّام.

والتاسع والعشرون: «مار اسفندار» اسم ميكائيل عليه السلام يوم جيّد جدّاً صالح للقاء الأشراف وتعمير البلاد والنكاح، ولا يصلح للسفر وطلب العلم ولبس الجديد وقطعه وشراء الدواب.

والثلاثون: «أنيران» اسم ملك موكّل بالأيّام، فيه ولد إسماعيل عليه السلام صالح للسفر والشركة والزرع والفصد والحمّام، وليجتنب فيه الأعمال السيّئة وليعمل الخيرات. وفي بعض النسخ: اسم ملك موكّل بالحروب، متوسّط صالح للسفر والنكاح والفصد والحلق

والمعالجة، وليحذر فيه الأعمال السيّئة، وليشتغل بالخيرات.

٥ - رواية أخرى: روى أبو نصر يحيى بن جرير التكريتيّ في كتاب «المختار في الاختيارات» عن أبي الحسن القارئ، عن الحسن بن أحمد بن روح، عن محمّد بن إبراهيم، عن أبي عبد الله جعفر الصادق عليه السلام أنّه قال:

أول: يوم من الشهر خلق الله تعالى آدم فيه، وهو يوم سعد يصلح لمناظرة الأمراء.

اليوم الثاني: يصلح للتزويج والسفر والبيع والشراء وكلّ ابتداء.

اليوم الثالث: يوم نحس لا تلق فيه سلطاناً ولا تطلب فيه حاجة ولا بيعاً ولا شراء.

اليوم الرابع: ولد فيه قابيل بن آدم، وهو يوم صالح للتزويج. وطلب الحوائج غير السفر، فإنّه يسلب كما سلب آدم وحوّاء لباسهما.

اليوم الخامس: ملعون نحس قتل فيه قابيل هابيل، ودعا على أهله بالويل.

اليوم السادس: صالح للتزويج والسفر والحجامة ولقاء السلطان في كلّ حاجة.

اليوم السابع: صالح للمناظرة والخصومة وطلب الحوائج ولقاء القضاة وغيرهم والسفر وكلّ ابتداء.

اليوم الثامن: مثل أمسه سوى السفر فإنّه مكروه.

اليوم التاسع: يوم سعيد، اطلب فيه الحوائج تقضى لك.

اليوم العاشر: يوم سعد مثل أمسه.

اليوم الحادي عشر: من سافر فيه غنم، وإن هرب من السلطان ظفر به، ومن ولد فيه رزق رزقاً حسناً.

اليوم الثاني عشر: صالح لطلب الحوائج والسفر وكلّ ما يراد.

اليوم الثالث عشر: نحس رديء، فتوقّ فيه لقاء السلطان وغيره، واحذر فيه الرمي فإنّه مشوم.

اليوم الرابع عشر: صالح لكلّ حاجة، ومن يولد فيه يكون غنيّاً، ويكثر ماله في آخر عمره.

اليوم الخامس عشر: نحس، من سافر فيه هلك، ويناله المكروه، ومن ولد فيه يكون مجنوناً لا محالة.

اليوم السادس عشر: صالح لكلّ أمر، فاطلب فيه ما تريد.

اليوم السابع عشر: صالح لكلّ حاجة فاطلب فيه ما تريد.

اليوم الثامن عشر: صالح لكّل حاجة وللسفر، ومن سافر فيه قضيت حوائجه.

اليوم التاسع عشر: مثل أمسه في جميع أحواله.

اليوم العشرون: مثله.

اليوم الحادي والعشرون: يوم نحس، وفيه إراقة الدماء، فلا تلق فيه سلطاناً ولا تخرج من بيتك، ولا تطلب فيه حاجة.

اليوم الحادي والعشرون: مثل أمسه.

اليوم الثالث والعشرون: مثل أمسه.

اليوم الرابع والعشرون: يوم نحس مستمرّ مشوم، من ولد فيه قتل.

اليوم الخامس والعشرون: يوم نحس لا ينبغي أن يبدأ فيه بشيء.

اليوم السادس والعشرون: صالح فرق الله فيه البحر لموسى فاحذر فيه التزويج، فإنّه يوجب الفرقة كما انفرق البحر.

اليوم السابع والعشرون: صالح للتزويج وقضاء الحوائج، وهو يوم سعد فاطلب فيه ما شئت.

اليوم الثامن والعشرون: ولد فيه يعقوب عليه السلام يوم سعد من ولد فيه كان محبوباً إلى الناس.

اليوم التاسع والعشرون: صالح للسفر وكلّ حاجة، وهو يوم سعد.

اليوم الثلاثون: صالح للسفر وطلب الحوائج وإخراج الدّم وهو يوم سعد.

٦ - **أقول:** وروي أيضاً في بعض الكتب عن الصادق عليه السلام اختيارات أيّام شهور الفرس على وجه آخر هكذا:

اليوم الأول: «ارمزد» مختار في كلّ الشهور الاثني عشر لأنّه اسم الله تعالى.

الثاني: «بهمن» وسط في الشهور العشرة الأوائل، نحس في بهمن ماه، وسط في إسفندار مذ ماه.

الثالث: «أردي بهشت» وسط في فروردين، سعد في أردي بهشت، وخرداد وتير، وسط في مرداد، نحس في شهريور، وسط في مهر، ودي، وبهمن، سعد في آذر، واسفندار مذ.

الرابع: «شهريور» وسط في فروردين، وتير، ومهر إلى آخر الشهور سعد في خرداد، ومرداد، وشهريور.

الخامس: «إسفندار مذ» وسط في فروردين، ومرداد، ومهر، ودي، وبهمن، سعد في أردي بهشت، وخرداد، وتير، وشهريور، وأبان، وآذر، نحس في إسفندارمذ.

السادس: «خرداد» وسط في فروردين، وأردي بهشت، ومهر، وآذر وبهمن، سعد في خرداد، وتير، ومرداد، وشهريور، وأبان، ودي، وإسفندارمذ.

السابع: «مرداد» وسط في فروردين، وأردي بهشت، وخرداد، وتير ومهر، وآذر، وبهمن، سعد في مرداد، وشهريور، وأبان، ودي، وإسفندارمذ.

الثامن: «ديباذر» وسط في كلّ الشهور.

التاسع: «آذر» نحس في فروردين، واسفندار، وسط في أردي بهشت، ومهر، وأبان، وآذر، سعد في خرداد، وتير، ومرداد، وشهريور، ودي، وبهمن.

العاشر: «أبان» نحس في أبان، وسط في سائر الشهور.

الحادي عشر: «خور» نحس في خرداد، وسط في باقي الشهور.

الثاني عشر: «ماه» مختار في كلّ الشهور، لأنّه باسم القمر.

الثالث عشر: «تير» سعد في فروردين، وأردي بهشت، نحس في تير، وسط في سائر الشهور.

الرابع عشر: «جوش» سعد في أردي بهشت، وتير، ومرداد، وسط في باقي الشهور.

الخامس عشر: «دي مهر» نحس في أردي بهشت، سعد في أبان، وسط في باقي الشهور.

السادس عشر: «مهر» سعد في أرديبهشت وخرداد ومهر واسفندارمذ وسط في باقي الشهور.

السابع عشر: «سروش» سعد في أبان، وآذر، وبهمن، وسط في باقي الشهور.

الثامن عشر: «رشن» سعد في شهريور، ومهر؛ وسط في باقي الشهور.

التاسع عشر: «فروردين» سعد في فروردين، وتير، وآذر، وسط في باقي الشهور.

العشرون: «بهرام» نحس في مرداد، وآذر، ودي، وسعد في إسفندارمذ وسط في تتمّة الشهور.

الحادي والعشرون: «رام» وسط في خرداد، وتير، وآذر، ودي، سعد في تتمّة الشهور.

الثاني والعشرون: «باد» نحس في فروردين، وبهمن، سعد في مرداد، وشهريور، ودي، وسط في باقي الشهور.

الثالث والعشرون: «ديبدين» سعد في أبان، وسط في باقي الشهور.

الرابع والعشرون: «دين» سعد في فروردين، ودي، وبهمن، وإسفندارمذ وسط في تتمّة الشهور.

الخامس والعشرون: «أرد» سعد في فروردين، وأردي بهشت، ومهر وبهمن، وإسفندارمذ، وسط في تتمّة الشهور.

السادس والعشرون: «أشتاد» سعد في تير، وشهريور، ودي، وسط في تتمّة الشهور.

السابع والعشرون: «آسمان» وسط في فروردين، ومرداد، ومهر، وأبان، وآذر، وبهمن، وإسفندارمذ، سعد في تتمّة الشهور.

الثامن والعشرون: «رامياد» سعد في دي، وسط في باقي الشهور.

التاسع والعشرون: «ماراسفند» وسط في كلّ الشهور.

الثلاثون: «أنيران» نحس في خرداد، وسط في تتمّة الشهور.

أقول: هذه الروايات الأخيرة أخرجناها من كتب الأحكاميّين والمنجّمين لروايتهم عن أئمّتنا عليهم السلام ولا أعتمد عليها، وكانت في النسخ اختلافات كثيرة أشرنا إلى بعضها.

٧ - **العلل والعيون:** عن أحمد بن زياد الهمدانيّ، عن عليّ بن إبراهيم عن أبيه، عن أبي الصلت الهرويّ، عن عليّ بن موسى الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: أتى عليّ بن أبي طالب عليه السلام قبل مقتله بثلاثة أيّام رجل من أشراف تميم يقال له «عمرو» فقال له: يا أمير المؤمنين أخبرني عن أصحاب الرسّ في أيّ عصر كانوا؟ وأين كانت منازلهم ؟ ومن كان ملكهم؟ وهل بعث الله عزّ وجلّ إليهم رسولاً أم لا! وبماذا أهلكوا؟ فإنّي أجد في كتاب الله عزّ وجلّ ذكرهم ولا أجد خبرهم. فقال له عليّ عليه السلام : لقد سألت عن حديث ما سألني عنه أحد قبلك ولا يحدّثك به أحد بعدي إلاّ عنّي، وما في كتاب الله عزّ وجلّ آية إلاّ وأنا أعرف تفسيرها، وفي أيّ مكان نزلت من سهل أو جبل، وفي أيّ وقت من ليل أو نهار، وإنّ ههنا لعلماً جمّاً - وأشار إلى صدره - ولكن طلاّبه يسير، وعن قليل يندمون لو قد فقدوني!.

كان من قصّتهم يا أخا تميم أنّهم كانوا قوماً يعبدون شجرة صنوبر يقال لها «شاه درخت» كان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها «وشناب» كانت أنبطت لنوح عليه السلام بعد الطوفان، وإنّما سمّوا أصحاب الرسّ لأنّهم رسّوا نبيّهم في الأرض، وذلك بعد سليمان بن داود عليه السلام ، وكانت لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له «الرسّ» من بلاد المشرق، وبهم سمّي ذلك النهر، ولم يكن يومئذ في الأرض نهر أغزر منه، ولا أعذب منه، ولا قُرىً أكثر ولا أعمر منها، تسمّى إحداهنَّ، «أبان» والثانية «آذر» والثالثة «دي» والرابعة «بهمن» والخامسة «إسفندار» والسادسة «فروردين» والسابعة «أردي بهشت» والثامنة «أرداد» والتاسعة «مرداد» والعاشرة «تير» والحادية عشر «مهر» والثانية عشر «شهريور» وكانت أعظم مدائنهم، «اسفندار» وهي التي ينزلها ملكهم، وكان يسمّى تركوز بن غابور بن يارش بن سازن بن نمرود بن كنعان فرعون إبراهيم عليه السلام وبها العين والصنوبرة وقد غرسوا في كلّ قرية منها حبّة من طلع تلك الصنوبرة، وأجروا إليها نهراً من العين التي عند الصنوبرة، فنبتت الحبّة وصارت شجرة عظيمة، وحرّموا ماء العين والأنهار فلا يشربون منها ولا أنعامهم، ومن فعل ذلك قتلوه، ويقولون هو حياة آلهتنا فلا ينبغي لأحد أن ينقص من حياتها، ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرسّ الذي عليه قراهم، وقد جعلوا في كل شهر من السنة في كلّ قرية عيداً يجتمع إليه أهلها، فيضربون على الشجرة التي بها كلّة من حرير فيها من أنواع الصور، ثمّ يأتون بشاة وبقر، فيذبحونها قرباناً للشجرة، ويشعلون فيها النيران بالحطب، فإذا سطع دخان تلك الذبائح وقتارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر إلى السماء خرّوا للشجرة سجّداً، ويبكون

ويتضرعون إليها أن ترضى عنهم فكان الشيطان يجيء فيحرّك أغصانها ويصيح من ساقها صياح الصبيّ أن قد رضيت عنكم عبادي فطيبوا نفساً وقرّوا عيناً فيرفعون رؤوسهم عند ذلك، ويشربون الخمر ويضربون بالمعازف، ويأخذون الدستبند، فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم، ثمّ ينصرفون. وإنّما سمّت العجم شهورها بأبان ماه وآذرماه وغيرهما اشتقاقاً من أسماء تلك القرى، لقول أهلها بعض لبعض هذا عيد شهر كذا وعيد شهر كذا حتى إذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع إليهم صغيرهم وكبيرهم، فضربوا عند الصنوبرة والعين سرادقاً من ديباج عليه من أنواع الصور، له اثنا عشر باباً كلّ باب لأهل قرية منهم ويسجدون للصنوبرة خارجاً من السرادق، ويقرّبون لها الذبائح أضعاف ما قرّبوا للشجرة في قراهم، فيجيء إبليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكاً شديداً، فيتكلّم من جوفها كلاماً جهوريّاً، ويعدهم ويمنّيهم بأكثر ممّا وعدتهم ومنّتهم الشياطين كلّها، فيرفعون رؤوسهم من السجود، وبهم من الفرح والنشاط ما لا يفيقون ولا يتكلّمون من الشرب والعزف، فيكونون على ذلك اثني عشر يوماً ولياليها بعدد أعيادهم سائر السنة، ثمّ ينصرفون.

فلمّا طال كفرهم بالله عزّوجلّ وعبادتهم غيره بعث الله عزّوجلّ إليهم نبيّاً من بني إسرائيل من ولد يهودا بن يعقوب، فلبث فيهم زماناً طويلاً يدعوهم إلى عبادة الله عزّوجلّ ومعرفة ربوبيّته فلا يتّبعونه، فلمّا رأى شدّة تماديهم في الغيّ والضلال، وتركهم قبول ما دعاهم إليه من الرشد والنجاح، وحضر عيد قريتهم العظمى قال: يا ربّ إنّ عبادك أبوا إلاّ تكذيبي، والكفر بك، وغدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضرّ، فأيبس شجرهم أجمع، وأرهم قدرتك وسلطانك. فأصبح القوم وقد يبس شجرهم كلّها، فهالهم ذلك، وقطع بهم وصاروا فرقتين: فرقة قالت سحر آلهتكم هذا الرجل الذي زعم أنّه رسول ربّ السماء والأرض ليصرف وجوهكم عن آلهتكم إلى إلهه، وفرقة قالت: لا، بل غضبت آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم إلى عبادة غيرها، فحجبت حسنها وبهاءها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه. فأجمع رأيهم على قتله، فاتّخذوا أنابيب طوالاً من رصاص واسعة الأفواه، ثمّ أرسلوها في قرار العين إلى أعلى الماء واحدة فوق الأخرى مثل البرابخ، ونزحوا ما فيها من الماء، ثمّ حفروا في قرارها بئراً ضيّقة المدخل عميقة، وأرسلوا فيها نبيّهم، وألقموا فاها صخرة عظيمة، ثمّ أخرجوا الأنابيب من الماء وقالوا: نرجو الآن أن ترضى عنّا آلهتنا إذا رأت أنّا قد قتلنا من كان يقع فيها، ويصدّ عن عبادتها، ودفنّاه تحت كبيرها، يتشفّى منه فيعود لنا نورها ونضرتها كما كان. فبقوا عامّة يومهم يسمعون أنين نبيّهم عليه السلام وهو يقول: سيّدي قد ترى ضيق مكاني، وشدّة كربي، فارحم ضعف ركني، وقلّة حيلتي، وعجّل بقبض روحي، ولا تؤخّر إجابة دعوتي. حتى مات عليه السلام فقال الله جلّ جلاله لجبرئيل عليه السلام: يا جبرئيل! أيظنّ عبادي هؤلاء الذين غرّهم حلمي وأمنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسولي أن يقوموا لغضبي أو يخرجوا من سلطاني؟! كيف وأنا المنتقم ممّن عصاني، ولم يخش عقابي. وإنّي حلفت

بعزّتي وجلالي لأجعلنّهم عبرةً ونكالاً للعالمين، فلم يرعهم - وهم في عيدهم ذلك - إلاّ بريح عاصف شديدة الحمرة، فتحيّروا فيها وذعروا منها، وتضامّ بعضهم إلى بعض، ثمّ صارت الأرض من تحتهم حجر كبريت يتوقّد، وأظلّهم سحابة سوداء فألقت عليهم كالقبّة جمراً يلتهب، فذابت أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فتعوّذ بالله تعالى ذكره من غضبه ونزول نقمته ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العليّ العظيم[1].

بيان: قال الجوهريّ: «رسست رسّاً» أي حفرت بئراً، ورسّ الميّت أي قبر (انتهى) والكلّة بالكسر الستر الرقيق يخاط كالبيت يتوقّى فيه من البقّ والقتار: بالضمّ ريح البخور والقدر والشواء. والمعازف: الملاهي، وكأنّ المراد بالدستبند ما يسمّى بالفارسيّة بالسنج أيضاً، أو المراد التزيّن بالأسورة ويقال «كلام جهوريّ» أي عال وفي القاموس: قطع بزيد كعني فهو مقطوع به: عجز عن سفره بأيّ سبب كان، أو حيل بينه وبين ما يؤمّله. والبربخ بالبائين الموحّدتين والخاء المعجمة ما يعمل من الخزف للبئر ومجاري الماء.

فوائد مهمة جليلة:

الأولى: اعلم أنّ الأسماء المذكورة في خبر المعلّى لأيّام الشهر أكثرها موافق لما نقله المنجّمون عن الفرس، وظاهر في أنّ المراد بالشهور الواردة فيه هي شهور الفرس القديم لا الشهور العربيّة، وقد تقدّم القول فيه. وسمّوا كلّ يوم من أيّام الخمسة المسترقة أيضاً باسم: الأوّل أهنود، والثاني أشنود، والثالث إسفندمذ، والرابع دهشت، والخامس هشتويش. هذا هو المشهور، وذكروا فيها أسماء أُخر، وذكروا أنّ كلاً منها اسم ملك موكّل بذلك اليوم.

ثمّ إنّ المحقّقين اختلفوا في هؤلاء الملائكة، فمنهم من حملوها على ظواهرها وقالوا إنّ الله وكّل بكلّ شيء من المخلوقات ملكاً يحفظه ويربّيه ويصرفه إلى ما خلق له كما ورد في الأخبار: الملك الموكّل بالبحار، والملك الموكّل بالجبال والملائكة الموكّلة بالأشجار وسائر النباتات، والملائكة الموكّلة بالسحب والبروق والصواعق، وبكلّ قطرة من الأمطار، والملائكة الموكّلة بالأيّام والليالي والشهور والساعات. وبه يوجّه ما ورد من كلام اليوم والشهر والأرض والقبر وغيرها بأنّ المراد به كلام الملائكة الموكّلة بها. ومنهم من حملوها على أرباب الأنواع المجرّدة التي أثبتها أفلاطون ومن تابعه من الإشراقيّين، فإنّهم أثبتوا لكلّ نوع من أنواع الأفلاك والكواكب والبسائط العنصريّة والمواليد ربّاً يدبّره ويربّيه ويوصله إلى كماله المستعدّ له. والأوّل هو الموافق لمسلك الملّيّين وأرباب الشرائع، والثاني طريقة من لا يثبت الصانع ويقول بتأثير الطبائع وإن تابعهم بعض من يظهر القول بالصانع أيضاً، وليس هذا مقام تحقيق هذا الكلام.

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٤٦ باب ٣٨ ح ١، عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ١٨٣ باب ١٦ ح ١.

قال أبو ريحان: كلّ واحد من شهور الفرس ثلاثون يوماً، ولكلّ يوم منها اسم مفرد بلغتهم، وهي: (١) هرمز (٢) بهمن (٣) أردي بهشت (٤) شهريور (٥) إسفندارمذ (٦) خرداد (٧) مرداد (٨) دي (٩) باذر (١٠) آذر (١١) آبان (١٢) خرماه (١٣) تير (١٤) جوش (١٥) ديمهر (١٦) مهر (١٧) سروش (١٨) رشن (١٩) فروردين (٢٠) بهرام (٢١) رام (٢٢) باد (٢٣) ديبدين (٢٤) دين (٢٥) أرد (٢٦) أشتاد (٢٧) آسمان (٢٨) رامياد (٢٩) مارسفند (٣٠) أنيران. لا اختلاف بينهم في أسماء هذه الأيّام، وهي لكلّ شهر كذلك وعلى ترتيب واحد، إلاّ في «هرمز» فإنّ بعضهم يسمّيه «فرّخ»، وفي «أنيران» فإنّ بعضهم يسمّيه «به روز» ويكون مبلغ جميعها ثلاث مائة وستّين يوماً، وقد تقدّم أنّ السنة الحقيقيّة هي ثلاث مائة وخمسة وستون يوماً وربع يوم، فأخذوا الخمسة الأيّام الزائدة عليها وسمّوها بأسماء غير الموضوعة لأيّام كلّ شهر، وهي: أهشد كاه، اشتدكاه، إسفندكاه، إسفند مذكاه، بهشيشكاه.

أقول: ثمّ ذكر ما مرّ مع وجوه كثيرة أُخرى، فصار مبلغ أيّامهم ثلاث مائة وخمسة وستّين يوماً، وأهملوا ربع يوم حتى اجتمع من الأرباع أيّام شهر تامّ وذلك في مائة وعشرين سنة فألحقوه بشهور السنة حتى صار شهور تلك السنة ثلاثة عشر وسمّوها «كبيسةً» وسمّوا أيّام الشهر الزّائد بأسماء أيّام سائر الشهور، وعلى ذلك كانوا يعملون إلى أن زال ملكهم، وباد دينهم، وأهملت الأرباع بعدهم ولم يكبس بها السنون حتى تعود إلى حالها الأولى، ولا يتأخّر عن الأوقات المحمودة كثير تأخّر، من أجل أنّ ذلك أمر كان يتولاّه ملوكهم بمحضر الحسّاب وأصحاب الكتاب، وناقلي الأخبار والرواة، ومجمع الهرابذة والقضاة، واتّفاق منهم جميعاً على صحّة الحساب بعد استحضار من بالآفاق من المذكورين إلى دار الملك ومشاورتهم حتى يتّفقوا، وإنفاق الأموال الجمّة، حتى قال المقلّ في التقدير إنّه كان ينفق ألف ألف دينار، وكان يتّخذ ذلك اليوم أعظم الأعياد قدراً، وأشهرها حالاً وأمراً، ويسمّى «عيد الكبيسة» ويترك الملك لرعيّته خراجها، والذي كان يحول بينهم وبين إلحاق ربع يوم في كلّ أربع سنين يوماً واحداً بأحد الشهور أو الخمسة قولهم أنّ الكبس يقع على الشهور لا على الأعوام لكراهتهم الزيادة في عدّتها، وامتناع ذلك في الزمزمة لما وجب في الدين من ذكر اليوم الذي يزمزم فيه ليصحّ إذا زيد في عدد الأيّام يوم زائد. وكانت الأكاسرة رسمت لكلّ يوم نوعاً من الرياحين والزهر يوضع بين يديه، ولوناً من الشراب على رسم منتظم لا يخالفونه في الترتيب، والسبب في وضعهم هذه الأيّام الخمسة اللواحق في آخر أبان ماه ما بينه وبين آذر ماه أنّ الفرس زعموا أنّ مبدأ سنتهم من لدن خلق الإنسان الأوّل، وأنّ ذلك كان روز هرمز، وماه فروردين، والشمس في نقطة الاعتدال الربيعيّ متوسّطة السماء، وذلك أوّل الألف السابع من ألوف سني العالم عندهم، وبمثله قال أصحاب الأحكام من المنجّمين أنّ السرطان طالع العالم، وذلك أنّ الشمس في أوّل أدوار السند هند هي في أوّل الحمل على

متنصف نهايتي العمارة، وإذا كانت كذلك كان الطالع السرطان، وهو لابتداء الدور والنشوء عندهم كما قلنا. وقد قيل: إنّه سمّي بذلك لأنّه أقرب البروج رأساً من الربع المعمور، وفيه شرف المشتري المعتدل المزاج، والنشوء لا يكون إلاّ إذا عملت الحرارة المعتدلة في الرطوبة، فهو إذن أولى أن يكون طالع نشوء العالم وقيل: إنّما سمّي بذلك لأنّ بطلوعه تمّ طلوع الطبائع الأربع، وبتمامها تمّ النشوء، وأمثال ذلك من التشبيهات.

قال: ثمّ لمّا أتى زرادشت وكبس السنين بالشهور المجتمعة من الأرباع عاد الزمان إلى ما كان عليه، وأمرهم أن يفعلوا بها بعده كفعله، وائتمروا بأمره، ولم يسمّوا شهر الكبيسة باسم على حدة، ولم يكرّروا اسم شهر، بل كانوا يحفظونه على نوب متوالية، وخافوا اشتباه الأمر عليهم في موضع النوب، فأخذوا ينقلون الخمسة الأيّام ويضعونها عند آخر الشهر الذي انتهت إليه نوبة الكبيسة، ولجلالة هذا الأمر وعموم المنفعة فيه للخاصّ والعامّ والرعيّة والملك وما فيه من الأخذ بالحكمة والعمل بموجب الطبيعة كانوا يؤخّرون الكبس إذا جاء وقته وأمر المملكة غير مستقيم لحوادث، ويهملونه حتى يجتمع منه شهران، ويتقدّمون بكبسها بشهرين إذا كانوا يتوقّعون وقت الكبس المستأنف ما يشغل عنه، كما عمل في زمن يزدجرد بن شابور أخذاً بالاحتياط، وهوآخر الكبائس المعمولة، تولاّه رجل من الدستورين يقال له «يزدجرد الهزاريّ» وكانت النوبة في تلك الكبيسة لأبان ماه فألحق الخمسة بآخره وبقيت فيه لإهمالهم الأمر (انتهى) وإنّما أوردت هذا الكلام لما فيه من تأسيس ما سنورده في الفائدة التالية، ومزيد توضيح ما مرّ في خبر الرضا عليه السلام في تقدّم النهار على الليل وغير ذلك.

الفائدة الثانية: اعلم أنّ الشيخ الطوسيّ - قدّس سرّه القدّوسيّ - وسائر من تأخّر عنه ذكروا النيروز والأعمال المتعلّقة به: الغسل، والصوم، والصلاة، وغيرها، ولم يحقّقوا تعيين اليوم. فلا بدّ من التعرّض له والإشارة إلى الأقوال الواردة فيه. قال فحل الفقهاء المدقّقين محمّد بن إدريس رحمه الله في السرائر: قال شيخنا أبو جعفر في مختصر المصباح: يستحبّ صلاة أربع ركعات، وشرح كيفيّتها في يوم نيروز الفرس، ولم يذكر أيّ يوم هو من الأيّام، ولا عيّنه بشهر من الشهور الروميّة ولا العربيّة. والذي قد حقّقه بعض محصّلي الحساب وعلماء الهيئة وأهل هذه الصنعة في كتاب له أنّ يوم النيروز يوم العاشر من أيار وشهر أيار أحد وثلاثون يوماً فإذا مضى منه تسعة أيّام فهو يوم النيروز. يقال: نيروز، ونوروز، لغتان (انتهى).

وفسّره الشهيد رحمه الله بأوّل سنة الفرس، أو حلول الشمس برج الحمل، أو عاشر أيار.

قال جمال السالكين أحمد بن فهد الحليّ رحمه الله في كتاب المهذّب البارع في شرح المختصر النافع: يوم النيروز يوم جليل القدر وتعيينه من السنة غامض مع أنّ معرفته أمر مهمّ من حيث إنّه تعلّق به عبادة مطلوبة للشارع، والامتثال موقوف على معرفته، ولم يتعرّض

لتفسيره أحد من علمائنا سوى ما قاله الفاضل المنقّب محمّد بن إدريس، وحكايته «والذي قد حقّقه بعض محصّلي أهل الحساب وعلماء الهيئة وأهل هذه الصنعة في كتاب له أنّ يوم النيروز يوم العاشر من أيار».

وقال الشهيد: وفسّر بأوّل سنة الفرس أو حلول الشمس في برج الحمل أو عاشر أيار، والثالث إشارة إلى قول ابن إدريس، والأوّل إشارة إلى ما هو مشهور عند فقهاء العجم في بلادهم، فإنّهم يجعلونه عند نزول الشمس الجدي، وهو قريب ممّا قاله صاحب كتاب الأنواء، وحكايته اليوم السابع عشر من كانون الأوّل هو صوم اليهود، وفيه ترجع الشمس مصعدةً إلى الشمال، ويأخذ النهار من الليل ثلاث عشر ساعةً وهو مقدار ما يأخذ في كلّ يوم، وينزل الشمس برج الجدي قبله بيومين، وبعض العلماء جعله رأس السنة، وهو النيروز، فجعله حكايةً عن بعض العلماء، وقال بعد ذلك: اليوم التاسع من شباط، وهو يوم النيروز، ويستحبّ فيه الغسل، وصلاة أربع ركعات لما رواه المعلّى بن خنيس عن الصادق عليه السلام ثمّ ذكر الخبر، فاختار التفسير الأخير، وجزم به. والأقرب من هذه التفاسير أنّه يوم نزول الشمس برج الحمل لوجوه:

الأول: أنّه أعرف بين الناس وأظهر في استعمالهم، وانصراف الخطاب المطلق الشامل لكلّ مكلّف إلى معلوم في العرف وظاهر في الاستعمال أولى من انصرافه إلى ما كان على الضدّ من ذلك، ولأنّه المعلوم من عادة الشرع وحكمته. ألا ترى كيف علّق أوقات الصلاة بسير الشمس الظاهر، وصوم شهر رمضان برؤية الهلال، وكذا أشهر الحجّ وهي أمور ظاهرة يعرفها عامّة الناس بل الحيوانات؟.

فإن قلت: استعماله في نزول الشمس برج الحمل غير ظاهر الاستعمال في بلاد العجم، حتى أنّهم لا يعرفونه وينكرون على معتقده، فلم خصّصت ترجيح العرف الظاهر في بعض البلاد دون بعض؟ وأيضاً فإنّ ما ذكرته حادث ويسمّى «النيروز السلطانيّ» والأوّل أقدم، حتى قيل: إنّه منذ زمان نوح عليه السلام.

فالجواب عن الأوّل: أنّ العرف إذا تعدّد انصرف إلى العرف الشرعيّ فإن لم تكن فإلى أقرب البلاد واللغات إلى الشرع، فيصرف إلى لغة العرب وبلادها، لأنّها أقرب إلى الشرع. وعن الثاني بأنّ التفسيرين معاً متقدّمان على الإسلام.

الثاني: أنّه مناسب لما ذكره صاحب الأنواء من أنّ الشمس خلقت في «الشرطين» وهما أوّل الحمل، فيناسب ذلك إعظام هذا اليوم الذي عادت فيه إلى مبدأ كونها.

الثالث: أنّه مناسب لما ذكره السيّد رضي الدين عليّ بن طاووس أنّ ابتداء العالم وخلق الدنيا كان في شهر نيسان ولا شكّ أنّ نيسان يدخل والشمس في الحمل، وإذا كان ابتداء العالم في مثل هذا اليوم يناسب أن يكون يوم عيد وسرور، ولهذا ورد استحباب التطيّب فيه

بأطيب الطيب، ولبس أنظف الثياب، ومقابلته بالشكر والدعاء، والتأهّب لذلك بالغسل، وتكميله بالصوم والصلاة المرسومة له، حيث كان فيه ابتداء النعمة الكبرى، وهي الإخراج من حيّز العدم إلى الوجود، ثمّ تعريض الخلق لثوابه الدائم، ولهذا أمرنا بتعظيم يوم المبعث والغدير حيث كان فيه ابتداء منصب النبوّة والإمامة، وكذا المولدين.

فإن قلت: نسبته إلى الفرس يؤيّد الأوّل، لأنّهم واضعوه، والثاني وضعه قوم مخصوصون، ولم يوافقهم الباقون.

قلنا: يكفي في نسبته إليهم أن يقول به طائفة منهم، وإن قصروا في العدد عمّن لم يقل به. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ﴾[1] وليس القائل بذلك كلّ اليهود ولا كلّ النصارى، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[2] ليس إشارة إلى أهل الكتاب بأجمعهم بل إلى عبد الله بن سلام وأصحابه.

زيادة: وممّا ورد في فضله ويعضد ما قلناه ما حدّثني به المولى السيّد المرتضى العلامة بهاء الدين عليّ بن عبد الحميد النسّابة - دامت فضائله - رواه بإسناده إلى المعلّى بن خنيس عن الصادق عليه السلام أنّ يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ فيه النبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام العهد بغدير خمّ، فأقرّوا له بالولاية، فطوبى لمن ثبت عليها، والويل لمن نكثها، وهو اليوم الذي وجّه فيه رسول الله صلى الله عليه وآله عليّاً عليه السلام إلى وادي الجنّ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق، وهو اليوم الذي ظفر فيه بأهل النهروان وقتل ذا الثديّة، وهو اليوم الذي يظهر فيه قائمنا أهل البيت وولاة الأمر ويظفره الله تعالى بالدجّال فيصلبه على كناسة الكوفة، وما من يوم نوروز إلاّ نحن نتوقّع فيه الفرج، لأنّه من أيّامنا، حفظته الفرس وضيّعتموه. ثمّ إنّ نبيّاً من أنبياء بني إسرائيل سأل ربّه أن يحيي القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأماتهم الله، فأوحى إليه أن صبّ عليهم الماء في مضاجعهم، فصبّ عليهم الماء في هذا اليوم، فعاشوا وهم ثلاثون ألفاً فصار صبّ الماء في يوم النيروز سنّة ماضية لا يعرف سببها إلاّ الراسخون في العلم. وهو أوّل يوم من سنة الفرس. قال المعلّى: وأملى عليّ ذلك وكتبته من إملائه. وعن المعلّى أيضاً قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام في صبيحة يوم النيروز، فقال: يا معلّى! أتعرف هذا اليوم؟ قلت: لا، لكنّه يوم يعظّمه العجم يتبارك فيه. قال: كلاّ والبيت العتيق الذي ببطن مكّة ما هذا اليوم إلاّ لأمر قديم أفسّره لك حتى تعلمه قلت: تعلّمي هذا من عندك أحبّ إليّ من أن أعيش أبداً ويهلك الله أعداءكم.

قال: يا معلّى! يوم النيروز هو اليوم الذي أخذ الله ميثاق العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٦.

شيئاً، وأن يدينوا برسله وحججه وأوليائه، وهو أوّل يوم طلعت فيه الشمس، وهبّت فيه الرياح اللواقح، وخلقت فيه زهرة الأرض، وهو اليوم الذي استوت فيه سفينة نوح عليه السلام على الجوديّ، وهو اليوم الذي أحيى الله فيه القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت، فقال لهم الله موتوا ثمّ أحياهم الله وهو اليوم الذي هبط فيه جبرئيل عليه السلام على النبيّ صلى الله عليه وآله، وهو اليوم الذي كسر فيه إبراهيم عليه السلام أصنام قومه، وهو اليوم الذي حمل فيه رسول الله صلى الله عليه وآله أمير المؤمنين عليه السلام على منكبيه حتى رمى أصنام قريش من فوق البيت الحرام وهشمها - الخبر بطوله - والشاهد في هذين الحديثين من وجوه:

الأول: قوله أنّه اليوم الذي أخذ فيه العهد بغدير خمّ، وهذا تاريخ، وكان ذلك سنة عشرة من الهجرة وحسب فوافق نزول الشمس الحمل في التاسع عشر من ذي الحجّة على حساب التقويم، ولم يكن الهلال رئي بمكّة ليلة الثلاثين، فكان الثامن عشر من ذي الحجّة على الرؤية.

الثاني: كون صبّ الماء في ذلك اليوم سنّة شائعة، والظاهر أنّ مثل هذه السنّة العامّة الشاملة لسائر المكلّفين أن يكون صبّ الماء في وقت لا ينفر منه الطبع ويأباه، ولا يتصوّر ذلك مع كون الشمس في الجدي. لأنّه غاية القرّ في البلاد الإسلاميّة.

الثالث: قوله في الحديث الثاني «وهو أوّل يوم خلقت فيه الشمس» وهو مناسب لما قيل أنّ الشمس خلقت في الشرطين.

الرابع: قوله «وفيه خلقت زهرة الأرض» وهذا إنّما يكون في الحمل دون الجدي وهو ظاهر (انتهى كلامه رحمه الله).

وأقول: تحقيق الكلام في هذا المقام هو أنّك قد عرفت فيما مضى أنّ السنة الشمسيّة عبارة عن مدّة دورة الشمس بحركتها الخاصّة من أيّ مبدأ فرض، وتلك المدّة على ما استقرّ عليه رصد أبرخس ومن وافقه من المتقدّمين ثلاث مائة وخمسة وستّون يوماً وربع تامّ من يوم، وعلى سائر الأرصاد المشهورة لا يبلغ الكسر إلى الربع، بل أقلّ منه بدقائق معدودة، وهي على ما فصّله البرجنديّ في شرح التذكرة على رصد التباني ثلاثة عشر دقيقة وثلاثة أخماس دقيقة، وعلى حساب المغربيّ اثنتا عشرة دقيقة وعلى رصد مراغة إحدى عشرة دقيقة، وعلى رصد بعض المتأخّرين تسع دقائق وثلاثة أخماس دقيقة، وعلى رصد بطليموس أربع دقائق وأربعة أخماس دقيقة، فالفرس من زمان جمشيد أو قبله والروم من عهد إسكندر أو بعده كانوا يعتبرون الكسر ربعاً تامّاً موافقاً لرصد أبرخس، وإنّما الفرق بينهما أنّ الروم كانوا يكبسون الربع المذكور في كلّ أربع سنين فيزيدون على الرابعة يوماً تصير به ثلاثمائة وستّة وستّين، وأنّ الفرس إلى عهد يزد جرد آخر ملوك العجم أو بعض الأكاسرة السابقة عليه كانوا يكبسونه في كلّ مائة وعشرين سنة، فيزيدون على الأخيرة ثلاثين يوماً تصير به ثلاث مائة وخمسة وتسعين يوماً، وقد كان يتّفق لهم تجديد التاريخ وإسقاط ما مضى من السنة عند جلوس ملك

جديد منهم. وأمّا بعد ذلك العهد فكانوا لا يلتفتون إلى كبس الكسر المذكور أصلاً، فكانت سنوهم دائماً ثلاث مائة وخمسة وستّين، فمبدأ سني كلّ من هذه الطوائف كأوّل تشرين الأوّل للرّوم وأوّل فروردين ماه المسمّى بالنيروز لطوائف الفرس وكذا كلّ جزء من شهورهم كان غير مطابق لمبدأ سني الأخرى، ولا لجزء معيّن منها دائماً بل كلّ جزء من كلّ من هذه التواريخ لاختلاف طريق حسابهم دائر في كلّ جزء من الآخر بمرور الأيّام وأيضاً لم يكن شيء من تلك المبادئ ولا سائر الأجزاء مطابقاً دائماً لمبدأ فصل من الفصول ولا لشيء من أجزائها، بل كلّ منها دائر في أجزاء الفصول وبالعكس هكذا الحال إلى عهد السلطان جلال الدين ملك شاه السلجوقيّ، فأحبّ أن يوضع تاريخ في زمانه باسمه ممتازاً عن التواريخ المشهورة، فأمر من بحضرته من أهل الخبرة بذلك، فبنوا الحساب على رصد بطليموس أو من وافقه في نقصان الكسر عن الربع، اعتقاداً منهم أنّه أصحّ من الرصد المبنيّ عليه التواريخ المذكورة، ثمّ اعتبروا أوّل السنة حفظاً من أن يدور في الفصول يوم انتقال الشمس إلى الاعتدال الربيعيّ قبل نصف النهار، فكان حينئذ قد اتّفق ذلك الانتقال يوم الجمعة عاشر شهر رمضان سنةإحدى وسبعين وأربعمائة، وكان مطابقاً للثامن عشر من فروردين ماه اليزدجرديّ أوّل سنتهم، فجعلوا اليوم المذكور أوّل فروردين ماه من السنة الجلاليّة، وأسقطوا الأيّام السابقة عليه من درجة الاعتبار، وسمّوا هذا اليوم بالنوروز السلطانيّ، فاستقرّ الأمر في حساب السنين الشمسيّة على أن يعدّوا من النيروز المذكور ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً، فيجعلون اليوم السادس نيروز السنة الآتية، ثمّ يكبسون الكسر لكونه أقلّ من الربع في كلّ أربع سنين أو خمس سنين فتصير سنة الكبيسة ثلاثمائة وستّة وستّين يوماً. وهذه الطريقة مستمرّة إلى زماننا.

إذا عرفت هذا فنقول أوّلاً إنّ ما يلوح من توقّع ابن إدريس عن الشيخ أن يعيّن نيروز الفرس بيوم من الشهور العربيّة أو الروميّة، وكذا ما نقله عن بعض المحصّلين من تعيينه بعاشر أيار من الشهور الروميّة غريب جدّاً، لما عرفت من دوران أيّام شهور الفرس قديمهم وحديثهم في العربيّة والروميّة وبالعكس، لاختلاف اعتباراتهم في حساب السنين، فكيف يتصوّر تعيين يوم معيّن أو شهر معيّن من إحداهما بيوم أو شهر من الأخرى على وجه مصون من التغيير والتبديل بمرّ الدهور؟ فليس لتعيينه بعاشر أيار من بعض المحصّلين وجه محصّل سوى أنّه وجده مطابقاً له في بعض الأزمنة السابقة كزمان الصادق عليه السلام المستند إليه الروايات الواردة في النيروز فتوهّم لزوم حفظ تلك المطابقة له دائماً، فإنّه يستنبط ممّا سيتّضح عن قريب من التواريخ أنّ اتّفاق المطابقة المذكورة كان في أواسط المائة الثانية من الهجرة، وهو قريب من أواخر زمان الصادق عليه السلام. ومثل هذا التوهّم غير عزيز من الناس كما أورد الكفعمي رحمه الله في بيان الأعمال المتعلّقة بشهر شعبان أنّ الثالث والعشرين منه هو النيروز المعتضديّ مضبوطاً بالحادي عشر من حزيران تاسع شهور الروم كما هو مذكور في سرائر ابن إدريس مع وجهه، ومعلوم أنّ مثل ذلك لا يمكن أن ينضبط بالشهور العربيّة لدوران كلّ منهما في الأخرى.

وثانياً: أنّ ترديد الشهيد رحمه الله نيروز الفرس بين أوّل يوم من سنتهم وبين غيره كأوّل الحمل وعاشر أيار ترديد غريب شبيه بترديد مبتدأ السنة المعمولة عند العرب بين أوّل المحرّم وبين غيره، وذلك لأنّ كون النيروز أوّل يوم من سنة الفرس أمر في غاية الظهور، ومع ذلك منصوص عليه في أكثر أسانيد الرواية، فإنّما المطلوب هنا تعيين أوّل يوم من سنتهم بيوم معروف في زماننا هل هو أوّل الحمل أو غيره.

وثالثاً: إنّ ما ذكره ابن فهد رحمه الله من شهرة كونه أوّل سنة الفرس بين فقهاء العجم حقّ موافق للرواية، ولكن جعلهم ذلك عند نزول الشمس الجدي مبنيّ على ما ذكرنا من توهّم المطابقة الدائمة من اتّفاق الموافقة في بعض الأزمنة غفلةً عن دورانه في الفصول كما بيّنا، وهكذا حال ما نسبه صاحب كتاب الأنواء إلى بعض العلماء من أنّه السابع عشر من كانون الأوّل المطابق لما بعد نزول الشمس الجدي بيومين، وكذا ما اختاره من أنّه اليوم التاسع من شباط.

وبالجملة: البناء عل الغفلة المذكورة من الأعراض العامّة لجميع هذه التفسيرات، فمنشأ توهّم بعض العلماء الذي نقل مقالته صاحب كتاب الأنواء يمكن أن يكون اتّفاق الموافقة المذكورة في زمانه إن كان في أواسط المائة الثامنة من الهجرة، فإنّ الضوابط الحسابيّة - كما سيتّضح - دالّة على أن أوّل فروردين ماه الفرس الموسوم بالنيروز عندهم كان في السّنة العاشرة من الهجرة قريباً من نزول الشمس أوّل برج الحمل، وكان ذلك موافقاً لأواسط «آذار» من الروميّة، ومطابقاً لثامن عشر ذي الحجّة من العربيّة يوم عهد النبيّ صلى الله عليه وآله لأمير المؤمنين عليه السلام بالولاية في غديرخمّ بعد الرجوع عن حجّة الوداع كما صرّح به في الرواية، ثمّ في السنة الحادية عشرة منها بعد رحلة النبيّ صلى الله عليه وآله انتقلت سلطنة العجم إلى يزدجرد آخر ملوكهم، فأسقط ما مضى من السنة وجعل يوم جلوسه أوّل فروردين ويوم النيروز كما كان رسمهم وكان ذلك موافقاً لأواسط حزيران ومطابقاً للثاني والعشرين من ربيع الأوّل، وقد عرفت أنّ بناء حساب الفرس في عهد يزدجرد بل قبيله في زمان النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً على أخذ كلّ سنة ثلاثمائة وخمسة وستّين يوماً بدون رعاية الكبائس التي كانت متداولة بين قدمائهم، فلا محالة كان ينتقل نيروزهم في كلّ أربع سنين إلى يوم آخر من أيّام الشهور الروميّة قبل اليوم الذي كان فيه، لاعتبارهم الكبيسة في كلّ أربع، وقس عليه حال انتقاله بالنسبة إلى موضع الشمس من البروج أيضاً. فإنّ التفاوت لو كان لكان في كلّ سنة بقدر نقصان الكسر عن الربع في الواقع، وهو قليل جدّاً كما مرّ.

وبالجملة: انتقاله من أواسط حزيران وأواخر الجوزاء التي كان فيها في السنة الحادية عشرة من الهجرة إلى أواسط كانون الأوّل وأوائل الجدي وهو مدّة ستّة أشهر تقريباً إنّما هو في قريب من سبعمائة وثلاثين سنة، فيكون في أواسط المائة الثامنة كما ذكرنا.

وأمّا منشأ توهّم صاحب كتاب الأنواء فلا يمكن أن يكون مثله من وقوع الموافقة

المذكورة في زمانه لئلاّ يلزم تقدّم زمان الناقل على زمان المنقول عنه، فإنّ انتقاله إلى بعض أيّام شباط إنّما يكون قبل انتقاله إلى بعض أيّام كانون لما عرفت من أنّ انتقالاته في تلك الشهور، وكذا في البروج على خلاف تواليهما لزيادة قدرهما على قدره بمقدار ربع يوم أو قريب منه فغاية توجيهه أن يقال: يجوز أن يكون منشأ توهّمه موافقاً لما مرّ نقله من بعض المحصلين في اعتبار زمان الصادق عليه السلام فيه، والفرق أنّ بناء حساب بعض المحصّلين كان على اعتبار الإسقاط اليزدجرديّ، لوقوعه على طبق عادتهم المستمرّة، وبناء حساب صاحب كتاب الأنواء، وعلى عدم اعتباره، لوقوعه بعد زمان النبيّ صلى الله عليه وآله وكونه بمنزلة سائر التغيّرات الواقعة في السنن والآداب المعروفة في زمانه، فإنّ ما بين تاسع شباط وعاشر أيار قريب من المدّة التي أسقطها يزدجرد كما عرفت.

ورابعاً: بأنّ ما استدلّ أوّلاً على ما اختاره من التفاسير الستّة وهو كونه يوم نزول الشمس برج الحمل بأنّه أعرف بين الناس إلى آخره دعوىً بيّنة البطلان عند أهل الخبرة بالحساب والتواريخ، فإنّ كون نيروز الفرس دائراً في الفصول سيّما من زمان النبيّ إلى زمان ملك شاه أمر لم يسمع خلافه من أحدٍ منهم بل صرّح في شروح التذكرة وغيرها بأنّ الرّوم والفرس كانوا لم يلاحظوا في مبدأ سنيهم موضع الشمس، وأنّ جعل الاعتدال الربيعيّ مبدأ السنة مخصوص بالتاريخ الملكيّ ولا يوافقه شيء من التواريخ المشهورة، فكيف يمكن أن يجعل مثل ذلك مناطاً للأحكام الشرعيّة الثابتة قبل زمان ملك شاه بقريب من خمسمائة سنة؟ وأنّ ما ذكره من انصراف اللفظ عند فقدان العرف الشرعيّ إلى لغة العرب مسلّم ولكن أين إطلاق لفظ النيروز عند العرب على أوّل يوم نزول الشمس برج الحمل؟ بل أنّ بعض أهل اللغة فسّره على طبق ما في الرواية بأوّل سنة الفرس اعتماداً على الشهرة، وبعضهم كأحمد ابن محمّد الميدانيّ وهو من أقدمهم وأتقنهم لم يكتف به بل صرّح في كتابه المسمّى بالسامي في الأسامي بعد ذكر أسامي شهور الفرس وأيّامهم المشهورة بترجمة النيروز بـ «نخست روز أزفروردين ماه» ثمّ إن أغمضنا عن مثل تلك الحقيقة والتجأنا إلى حمله على العرف فلا شكّ لمن تتبّع من مظانّه أنّ العرف فيه لم يكن متعدّداً في زمان الخطاب، بل إنّما تجدّد بعده بدهور طويلة، فسمّى ملك شاه يوم نزول الشمس برج الحمل بالنوروز السلطانيّ، وخوارزم شاه يوم نزولها الدرجة التاسعة عشر منه وهي شرفها عند المنجّمين بالنوروز الخوارزم شاهي وآخر يوماً آخر بالنوروز المعتضديّ وهكذا. وإنكار الحدوث في الأوّل منها بل دعوى التقدّم على الإسلام والإغماض عن تقييده تارة بالسلطانيّ وتارةً بالجلاليّ وتارة بالملكيّ نسبة إلى كلّ من ألقاب السلطان جلال الدين ملك شاه كما هو مضبوط في الدفاتر والتقاويم ومحفوظ في مدوّنات أهل الهيئة والتنجيم ممّا يقضى منه العجب.

فإن قيل: لعلّ دعوى التقدّم على الإسلام مبنيّة على ما اشتهر أنّ مبدأ تاريخهم في عهد

جمشيد أو غيره كان موافقاً لأوّل الحمل، وانتقاله منه ودورانه في الفصول إنّما هو بسبب الكبائس والإسقاطات التي مرّ ذكرها.

قلنا: لو سلّمنا ذلك فلا ريب أنّ المراد بنيروزهم يوم يتجدّد في كلّ سنة يعتبرونه أوّلها لا ما لا يتّفق وقوعه إلاّ نادراً كما يلزم من التزام مطابقته لأوّل الحمل.

فإن قلت: لا يخرج عن ثلاثة احتمالات: إمّا أوّل الحمل مطلقاً، وإمّا فروردينهم مطلقاً، وإمّا فروردينهم المطابق لأوّل الحمل. والثالث ساقط بأنّه لا يتّفق إلاّ في مدةٍ مديدة، ومعلوم أنّ المراد به ما يتجدّد في كلّ سنة، والثاني أيضاً ساقط من جهة الحساب، فإنّا إذا جمعنا الأيّام من فروردينهم المضبوط في تقاويم زماننا إلى ثامن عشر شهر ذي الحجة من السنة العاشرة من الهجرة المنصوص في الرواية أنّه كان مطابقاً لنيروزهم فقسمنا على أيّام سنتهم الخالية من الكبائس من زمان النبيّ ﷺ إلى زماننا وهو ثلاثمائة وخمسة وستّون يبقى اثنان وتسعون أو ثلاث وتسعون، فيظهر أنّ فروردينهم كان بعد التاريخ المذكور بمثل هذه الأيّام فإذا سقط الاحتمالان تعيّن الاحتمال الأوّل وهو المطلوب، مع أنّه مؤيّد أيضاً بالحساب الدالّ على أنّ التاريخ المذكور كان قريباً من أوّل الحمل بيوم أو يومين مع احتمال المطابقة أيضاً بنحو المسامحة.

قلنا: سقوط الثاني ممنوع والبيان الحسابيّ المذكور مبنيّ على غفلة، أو تغافل عن الإسقاط اليزدجردي الواقع في السنة الحادية عشرة من الهجرة كما مرّ، فإنّه لو اعتبر الإسقاط المذكور في الحساب لظهر أنّ مطابقة فروردينهم اليزدجرديّ المضبوط في التقاويم لما بعد التاريخ المذكور لا ينافي أن يكون التاريخ المذكور أيضاً مطابقاً لفروردينهم المتداول قبل يزدجرد، فإنّ جلوس يزدجرد كان في يوم الثلاثاء الثاني والعشرين من شهر ربيع الأوّل من السنة الحادية عشرة كما مرّ. وتفاوت التاريخين موافق للمدّة المذكورة. فتبيّن أنّ الحساب لو جعل دليلاً على كون المراد به أوّل فروردين لكان أوفق للمطابقة من جعله دليلاً على أوّل الحمل للتفاوت بيوم أو يومين، فإنّه قادح ولو كان قليلاً. ولو فرضنا مطابقته أيضاً لكان غاية الأمر أن يكون في يوم الغدير اتّفق الأمران الغير المتّفقين إلاّ في مدّة مديدة فلا يفيد المطلوب. على أنّ مطابقة يوم الغدير للنيروز بأيّ معنى كان لا ينفع في المطلوب بدون مطابقة سائر الأيّام المذكورة في الروايتين موافقتها له، وستتّضح عن قريب استحالة مطابقتها لأوّل الحمل دون فروردين.

فإن قيل: يظهر من كلام كوشيار وأبي ريحان في بعض تصانيفهما أنّ الاعتدال الربيعيّ معتبر عند الأحكاميّين في طالع السنة وحساب الأدوار، وفيهم المشهورون من أهل الفرس كزردشت وجاماسب، فعلى ذلك يمكن أن يكون المراد بالنيروز المعتبر بأوّل سنة الفرس في الرواية ذلك الوقت بالاعتبار المذكور.

قلنا: أوّلاً سلّمنا اعتبار الوقت المذكور عندهم فيما اعتبروه فيه، ولكن لم ينقل أنّهم يعبّرون عنه بالنيروز أو يتباركون فيه ويجعلونه عيداً كما يفهم من الرواية.

وثانياً: أنّ التعبير عن الأحكاميّين بالفرس بمحض كون بعضهم منهم بعيد جدّاً، بل معلوم لأهل اللسان أنّ إطلاق الفرس المستعمل في مقابل الروم والعرب ليس إلاّ على الطائفة العظيمة التي من رعايا الملوك المشهورة من جمشيد وافريدون إلى كسرى ويزدجرد، فالمراد بنيروزهم وأوّل سنتهم يوم كان جعله عيداً في كلّ سنة معمولاً عند الملوك المذكورة في زمانهم، ولا خلاف بين أهل الخبرة في أنّه كان أوّل فروردينهم الدائر في الفصول بالأسباب التي قرّرنا.

وثالثاً: أنّ من تأمّل وأنصف علم أنّ التعبير عن ذلك اليوم بنيروز الفرس تارة وأوّل سنتهم أخرى لأجل أنه ليس يوماً معيّناً بحسب الفصل، وإلاّ فما المانع من التعبير عنه بأوّل الربيع وأوّل الحمل المعلوم لكلّ أحد بدون احتياج إلى تفسير أصلاً؟

ورابعاً: أنّ أهل اللغة صرّحوا بتفسير النيروز بأوّل يوم من فروردين الفرس، وإطلاقه على أوّل الربيع من زمان ملك شاه وفي زماننا مجاز بعلاقة ما التزموه من موافقة أوّل فروردينهم لأوّل الربيع دائماً، ووجوب انصراف اللفظ إلى الحقيقة سيّما المستعمل منه قبل حدوث المجاز ممّا أطبق عليه أهل اللسان. والعلامات المذكورة في الروايتين للنيروز لا يمكن تطبيقها على أوّل الربيع، فيجب حمله على أوّل فروردين، لإمكان التطبيق.

وخامساً: أنّ ما ذكره بقوله «ولأنّه المعلوم من عادة الشرع وحكمته الخ» قياس مع الفارق، فإنّ انتقال الشمس من برج الحوت إلى برج الحمل ليس كوصولها إلى نصف النهار وأمثاله المعلومة بالحسّ والعيان، بل محتاج إلى رصد وحساب لا يتيسّر تحقيقه لأكثر مهرة فنّ الهيئة والحساب فضلاً عن غيرهم وكفى بذلك عدم توافق رصدين فيه، فإنّ اليوم المذكور على ما يقتضيه رصد المتأخرين المبنيّ عليه أكثر التقاويم في زماننا مقدّم على ما يقتضيه رصد ابرخس بأيّام، وعلى ما يقتضيه رصد بطليموس بأقلّ منها، ومؤخّر عمّا يقتضيه رصد المحقّق الطوسيّ بقليل، وعمّا يقتضيه رصد التباني والمغربيّ بأكثر، فهل يجوّز من له أدنى معرفة بعادة الشرع في التكليفات أن نكون لمعرفة النيروز مكلّفين بتتبّع آراء هؤلاء ثمّ التمييز بين الحقّ والباطل منها، أو العمل بمقتضى كلّ منها مع ظهور التناقض، أو اختيار ما شئنا منها، أو الاتكال على ما اشتهر في زماننا سيّما مع علمنا بأنّه غير مشهور بل غير مذكور أصلاً في زمان النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام؟ ولهذا ما وقع في أحكام الشريعة من أمثاله ككراهة النكاح والسفر في زمان كون القمر في العقرب حمله المحقّقون على زمان كونه في صورتها المعلوم لأكثر عوامّ المكلّفين لا في برجها المحتاج إلى استخراج تقويمه، فعلى هذا يكون المناسب لعادة الشرع وحكمته التفسير الأوّل من التفسيرات المذكورة لخلوّه عن الكبائس، وغنائه عن الاحتياج إلى الأرصاد، وتيسّر حسابه على عامّة المكلّفين.

وسادساً: أنّ ما ذكره من مناسبة كون الشمس خلقت في الشرطين على ما نقله من صاحب كتاب الأنواء على تقدير حجّيّة المنقول عنه لا يفيد إلاّ كونها حين الخلقة في أوائل صورة الحمل، فإنّهما نجمان قريبان من رأسها يعدّان منزلاً من منازل القمر، فلو كان ذلك مناسباً لإعظام اليوم الذي عادت الشمس فيه إلى هذا الموضع لكان ينبغي إعظام يوم كونها فيه وهو في زمان النبيّ ﷺ كان في أواسط برج الحمل وفي زماننا انتقل إلى أواخره، بناء على أنّ حركة الثوابت ومنها كواكب الصور في كلّ سبعين سنة درجة كما هو المشهور بين أهل الأرصاد. وبهذا ظهر حال ما ذكره من مناسبة ما قيل من ابتداء خلق العالم في شهر «نيسان» لعدم مطابقة شيء من أيّام شهر نيسان من زمان النبيّ ﷺ إلى زماننا الأوّل الحمل الذي هو المطلوب إثباته، فتأمّل أوّلاً في حاصل قوله «ولا شكّ أنّ نيسان يدخل والشمس في الحمل» ثمّ فيما أتبعه تفريعاً عليه بقوله «وإذا كان - الخ - » فتحيّر واعتبر.

وسابعاً: أنّ ما ذكره من نزول الشمس الحمل في التاسع عشر - الخ - فقد عرفت عدم دلالته على المطلوب على تقدير مطابقته بحسب الحساب أيضاً فضلاً عن المخالفة.

وثامناً: أنّ ما ذكره من كون صبّ الماء المسنون في ذلك اليوم أوفق لأوّل الحمل لا الجدي، لو ساغ مثله في إثبات مناط الأحكام الشرعيّة لكان مؤيّداً لعاشر أيار لا لأوّل الحمل، فإنّه أوفق لذلك من كلّ من الجدي والحمل، لكونه بعد أوّل الحمل بقريب من شهرين، وكونه أقرب إلى اليوم المرسوم في زماننا، بـ«آب يا شان» هذا إذا كان المراد بصبّ الماء في الرواية رشّه على طريق الرسم الجاري في بعض البلاد، ولكن يظهر من ابن جمهور أنّه حمل سنّة صبّ الماء فيها على استحباب الغسل في النيروز وذلك ليس ببعيد.

وتاسعاً: أنّ ما ذكره من أنّ طلوع الشمس فيه كما في الرواية مناسب لأوّل الحمل بناء على مناسبة خلقها في الشرطين مبنيّ كما مرّ على الخلط بين صورة الحمل وبرجه، على أنّ ما قدّمناه من حديث الرضا عليه السلام يدلّ على أنّ أوّل خلق الشمس في موضع شرفها وهو الدرجة التاسعة عشرة من الحمل، ولا يبعد أن يكون الشرطان أيضاً حينئذ في تلك الدرجة، فلا يكون ما ذكره صاحب كتاب الأنواء مخالفاً للحديث المذكور، فيكونان متّفقين في عدم مطابقتهما لأوّل الحمل كما هو المطلوب. ثمّ إنّ خلق الشمس غير طلوعها فلمّا كانت حين خلقها في وسط السماء كما في الحديث المذكور فالظاهر أنّه أشار به ههنا إلى موافقة اليوم التالي لخلقها للنيروز لا يوم خلقها فتدبّر.

وعاشراً: أنّ ما ذكره من مناسبة ما في الرواية من خلق زهرة الأرض فيه لأوّل الحمل دون الجدي غير ظاهر، إذ لقائل أن يقول: لعلّ مبدأ خلقها أوّل الجدي، وظهورها على وجه الأرض بعده، مع أنّ ذلك متفاوت بحسب البلاد جدّاً، وأيضاً كونه غير مناسب للجدي لا يدفع سائر التفسيرات المذكورة للنيروز ولا يتعيّن بدونه المطلوب، فيجوز أن يكون خلق

زهرة الأرض وكذا خلق الشمس أو طلوعها في يوم يكون موافقاً من جهة الحساب المتداول بين الفرس في سنيهم لأوّل فروردينهم، فجعل يدور في الفصول على طبق دورانه فيها بالأسباب التي ذكرناها غير مرّة، فلو فرضناه في أوّل الخلق مطابقاً لأوّل نزول الشمس برج الحمل أيضاً لكان مثل مطابقته حينئذ لسائر الأوضاع الغير المطلوبة كمواضع سائر الكواكب فحفظ تلك المطابقة فيه غير لازم لئلاّ يختلّ به ما هو المطلوب ممّا استقرّ بينهم إلى زمان النبيّ ﷺ واستمرّ بعده إلى زماننا من ضوابط حساب السنين.

فإن قلت: رعاية الكبيسة كما نقل عن الفرس دالّة على أنّ مقصود أقدميهم منها محافظة وضع معيّن للشمس بالنسبة إلى مبدأ سنيهم في الجملة، فالمظنون أنّهم كانوا عيّنوا لذلك أوّل الربيع - كما قيل - لظهور امتيازه عن غيره بالحسن واعتدال الهواء وقوّة النشوء والنماء في معظم المعمورة، فبمحض حدوث دورانه في الفصول بحسب تجدّد الرسوم الاصطلاحيّ كيف سقط مقصودهم الأصليّ عن درجة الاعتبار بالكليّة وصار المعتبر مقتضى ما استقرّ بينهم من الرسوم الحادثة؟

قلنا: سلّمنا قصدهم بدون مضايقة في تعيينهم أوّل الربيع لذلك أيضاً مع أنّ ما يحصل من ضبط كبيستهم في مائة وعشرين سنة يحصل بدونها أيضاً في مدّة أكثر منه، والفرق بين القلّة والكثرة في مثلها مشكل، ومع أنّ الروم أيضاً مشاركون لهم في رعاية الكبيسة بل أضبط منهم فيها بدون التعيين المذكور ولكن نعلم أنّ المصالح متغيّرة بتغيّر الأزمنة والطبائع والعادات، فلعلّ الباعث لهم على الاتّفاق على خلاف ما سبق من بعضهم عروض مصلحة أهمّ منه لهم، والباعث لاعتبار مقتضى مصلحتهم في نظر الشارع مصلحة وحكمة أخرى خفيّة محجوبة عن عقولنا، فنحن الآن مكلّفون في الأحكام بتتبّع آثار الصادقين من ظواهر ما نقل إلينا عنهم، والاحتياط عن الوقوع في متابعة آرائنا بأمثال تلك الاستحسانات.

قال بعض الأفاضل بعد إيراد جملة ممّا ذكرنا: فتبيّن أنّ المراد بنيروز الفرس لا بدّ أن يكون أوّل سنتهم الذي هو أوّل فروردينهم بلا خلاف، وأنّه دائر في الفصول من قديم الأيّام بأسباب شتّى وخصوصاً من زمان النبيّ ﷺ بسبب إهمال معاصريهم منهم في حفظ الكبيسة واستقرار أمرهم عليه إلى الآن، فيكون أيّام سنتهم دائماً ثلاثمائة وخمسة وستّين بلا عروض وتفاوت فيه قطّ، وأنّ يوم الغدير في السنة العاشرة من الهجرة كان مطابقاً له، فإن اعتبر بما وقع بعدها في جلوس يزدجرد من إسقاط ما مضى من سنتهم وتجديد فروردينهم في التاريخ المذكور كما هو الظاهر بناءً على أنّه على طبق رسمهم المتداول بينهم وأنّ النيروز مبنيّ على مقتضى رسمهم يكون النيروز المعتبر شرعاً هو ما يضبطه المنجّمون في التقاويم من أوّل فروردينهم في كلّ سنة، وهو فيما نحن فيه من الزمان سنة ثمان وثمانين وألف من الهجرة مطابق ليوم الجمعة عاشر شهر شعبان وموافق للثامن والعشرين من أيلول الروميّ والثالث

والعشرين من مهر ماه الجلاليّ، وإن لم يعتبر بالإسقاط اليزدجرديّ بناءً على أنّه وقع بعد زمان النبيّ ﷺ وإكمال الدين وأنّ مثل ذلك في حكم المبتدعات الغير المعتبرة في الشرع يكون النيروز المذكور قبل فروردينهم المضبوط عند المنجّمين بقدر الأيام الساقطة، وعلى كلّ من الاحتمالين يتقدّم في كلّ أربع سنين بيوم على اليوم المطابق له من أيّام شهور الروم، وفي كلّ أربع سنين أو خمس سنين بيوم على ما كان مطابقاً له من أيّام الشهور الجلاليّة، ويتأخّر في كلّ سنة بأحد عشر يوماً غالباً وبعشرة أيّام في سني كبائس العرب عمّا كان موافقاً له من أيّام الشهور العربيّة وأيضاً يتأخّر في كلّ سنة بيوم عمّا كان مطابقاً له من أيّام الأسبوع دائماً، فظهر من هذا التصوير أنّ ما اشتهر من مطابقة نيروزهم ليوم انتقال الخلافة الصوريّة أيضاً إلى أمير المؤمنين عليه السلام بعد قتل عثمان كمطابقته ليوم الغدير إن كان مستنداً إلى نصّ - كما قيل - يؤيّد الاحتمال الأوّل، فإنّ كلاً من الواقعتين كان في أواخر شهر ذي الحجّة الحرام، وبينهما خمس وعشرون سنة، ولا يمكن أن يتّفق ذلك بدون إسقاط إلاّ في نيّف وثلاثين سنة، فالنصّ على كون كلّ من اليومين مطابقاً للنيروز هو في حكم النصّ على اعتبار الإسقاط المذكور، وأيضاً ثبوت الواقعتين المذكورتين في النيروز من أوضح الدلائل على بطلان كون المراد به يوم نزول الشمس ببرج الحمل، فإنّ اتّفاق نيروزين بهذا المعنى في شهر من الشهور العربيّة بفاصلة المدّة المذكورة غير ممكن قطعاً، فمن استدلّ بثبوت الواقعتين المذكورتين في النيروز على كون المراد به الاعتدال الربيعيّ فقد جعل ما يدلّ صريحاً على بطلان شيء دليلاً على صحّته (انتهى).

وأقول: ممّا يؤيّد ما مرّ ما ذكره أبو ريحان في كتاب «الآثار الباقية من القرون الخالية» حيث قال في عداد التواريخ المشهورة: ثمّ تاريخ ملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز، وهو على سني الفرس غير مكبوسة، وقد استعمل في الأزياج لسهولة العمل به، وإنّما اشتهر تاريخ هذا الملك من بين سائر ملوك فارس لأنّه قام بعد تبدّد الملك واستيلاء النساء عليه والمتغلّبة ممّن لا يستحقّه وكان مع ذلك آخر ملوكهم، وجرت على يده أكثر الحروب المذكورة والوقائع المشهورة مع عمر بن الخطّاب، حتى زالت الدولة وانهزم، فقتل بمرو الشاهجان.

ثمّ قال: ثمّ تاريخ أحمد بن طلحة المعتضد بالله، وهو على سني الروم وشهور الفرس بمأخذ آخر، وهو أنّها تكبس في كلّ أربع سنين بيوم، وكان السبب في ذلك على ما ذكر أبو بكر الصوليّ وحمزة بن الحسن الإصبهانيّ أنّ المتوكّل بينا هو يطوف في متصيّد له إذ رأى زرعاً لم يدرك بعد ولم يستحصد، فقال: استأذنني عبيد الله بن يحيى في فتح الخراج وأرى الزرع أخضر فمن أين يعطي الناس الخراج؟ فقيل له: إنّ هذا قد أضرّ بالناس فهم يقترضون ويتسلّفون وينجلون عن أوطانهم وكثرت له شكاياتهم. فقال: هذا شيء حدث في أيّامي أم لم يزل كذا؟ فقيل له: بل هو جارٍ على ما أسّسه ملوك الفرس من المطالبة بالخراج في إبّان

النيروز، وصاروا به قدوة لملوك العرب. فأحضر المؤبد وقال له: قد كثر الخوض في هذا ولست أتعدّى رسوم الفرس، فكيف كانوا يفتحون الخراج على الرعيّة مع ما كانوا عليه من الإحسان والنظر؟ ولم استجازوا المطالبة في هذا الوقت الذي لم تدرك فيه الغلاّت والزروع؟ فقال المؤبد: وإنّهم وإن كانوا يفتحونها في النيروز، فما كان يجبى إلاّ وقت إدراك. فقال: وكيف ذلك! فبيّن له حال السنين وكميّاتها واحتياجها إلى الكبس، ثمّ عرّف أنّ الفرس كانوا يكبسونها فلمّا جاء الإسلام عطّل، فأضرّ ذلك بالناس، واجتمع الدهاقنة زمن هشام بن عبد الملك إلى خالد القسريّ فشرحوا له هذا وسألوه أن يؤخّر النوروز شهراً، فأبى وكتب إلى هشام بذلك، فقال: إنّي أخاف أن يكون هذا من قول الله ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ فلمّا كان أيّام الرشيد اجتمعوا إلى خالد بن يحيى بن برمك وسألوه أن يؤخّر النوروز نحو الشهرين، فعزم على ذلك فتكلّم أعداؤه فيه وقالوا: إنّه يتعصّب للمجوسيّة فأضرب عن ذلك وبقي الأمر على حاله. فأحضر المتوكّل إبراهيم بن العبّاس الصوليّ وأمره أن يوافق المؤبد على ما ذكره من النيروز ويحسب الأيّام ويجعل له قانوناً غير متغيّر، وينشىء عنه كتاباً إلى بلدان المملكة في تأخير النوروز، فوقع العزم على تأخيره إلى سبعة عشر يوماً من حزيران، ففعل ذلك ونفذت الكتب إلى الآفاق في المحرّم سنة ثلاث وأربعين ومائتين، فقال البحتريّ في ذلك قصيدة يمدح فيها المتوكّل، وقتل المتوكّل ولم يتمّ له ما دبّر، حتى قام المعتضد بالخلافة واستردّ بلدان المملكة من المتغلّبين عليها، وتفرّغ للنظر في أمور الرعيّة، فكان أهمّ شيء إليه أمر الكبيسة وإتمامه، فاحتذى ما فعله المتوكّل في تأخير النوروز، غير أنّه نظر من جهة أخرى، وذلك أنّ المتوكّل أخذ ما بين سنته وبين أوّل تاريخ الملك يزدجرد، وأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التي زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظنّاً منه أو ممّن تولّى ذلك له أنّ إهمالهم أمر الكبس هو من لدن ذلك الوقت، فوجده مائتين وثلاثاً وأربعين سنة، وحصّتها من الأرباع ستّون يوماً وكسر، فزاد ذلك على النوروز في سنة، وجعله منتهى تلك الأيّام، وهو أوّل يوم من خرداد ماه في تلك السنة، وكان يوم الأربعاء وافقه اليوم الحادي عشر من حزيران، ثمّ وضع النوروز على شهور الروم لتنكبس شهوره إذا كبست الروم شهورها، وكان المتولّي لإمضاء ما أمر وزيره أبو القاسم عبيد الله بن سليمان بن وهب، وقال عليّ بن يحيى في ذلك:

يوم نيروزك يوم واحد لا يتأخّر   من حزيران يوافي أبداً في أحد عشر

وهذا وإن دقّق في تحصيله فلم يعد به النوروز إلى ما كان عليه عند الكبس في دولة الفرس، وذلك أنّ إهمال كبسهم كان قبل هلاك يزدجرد بقريب من سبعين سنة، لأنّهم كانوا كبسوا السنة في زمان يزدجرد بن شابور بشهرين: أحدهما لما لزم السنة من التأخّر وهو الواجب، ووضعوا اللواحق خلفه علامة له، وكانت النوبة لأبان ماه كما سنذكره، والشهر الآخر

للمستأنف ليكون مفروغاً منه إلى مدّة طويلة، فإذا أسقط عن السنين التي بين يزدجرد بن شابور وبينه مائة وعشرون سنة بقي بالتقريب سبعون سنة لا بالتحقيق، فإنّ تواريخ الفرس مضطربة جدّاً وتكون حصّة هذا السبعين سنة من الأرباع قريباً من سبعة عشر يوماً، فكان يجب بالتحليل من القياس أن يؤخّر سبعة وسبعين يوماً لا ستّين يوماً، حتى يكون النوروز في ثمانية وعشرين من حزيران، ولكن المتولّي لذلك ظنّ أنّ طريقة الفرس في الكبس كانت شبيهة بالتي يسلكه الروم فيه، فحسب الأيّام من لدن زوال ملكهم، والأمر فيها على خلاف ذلك كما بيّنا وسنبيّن.

ثمّ قال: هذا التاريخ آخر المشهورة، ولعلّ أن يكون للأمم الشاسعة ديارها من ديارنا تواريخ لم تتّصل بنا أو متروكة كالمجوس في مجوسيّتها، فإنّها كانت تؤرّخ بقيام ملوكهم أوّلاً فأوّلاً، فإذا مات أحدهم تركوا تاريخه وانتقلوا إلى تاريخ القائم بعده منهم. انتهى ما أردت إيراده من كتابه.

وهذا وإن كان مؤيّداً لترك الكبس في زمان يزدجرد ودوران النيروز في الفصول لكن لا يدلّ على الإسقاط وينافي بعض الضوابط المتقدّمة، وسيأتي ممّا سننقل عنه ما يؤيّد ذلك أيضاً.

وبالجملة الأمر في الأخبار الواردة في ذلك مردّد بين أمور:

الأول: أن يكون بناؤها على إسقاط الأرباع والخمسة أيضاً كما كانت سنّة الملوك البيشداديّة أو بعض ملوك الهند كما أومأنا إليهما سابقاً، ويومئ إليه قوله عليه السلام في خبر المعلّى، «هي أيّام قديمة من الشهور القديمة كلّ شهر ثلاثون يوماً بلا زيادة فيه ولا نقصان» ويؤيّده الأخبار الكثيرة الدالّة على أنّ السنة ثلاثمائة وستّون يوماً فيكون أوّل الفروردين على هذا الحساب نوروزاً.

ويرد عليه أنّ حوالة النيروز والسنة على اصطلاح متروك لا يعلم تعيينه ولا ابتداء شهورها بعيد عن مقنّن القوانين كما عرفت.

الثاني: أن تكون مبنيّة على الفرس القديم الذي مرّ ذكره وهو قويّ لكن بناء أمر من الأمور الشرعيّة على اصطلاح متبدّل متغيّر يتّبع في كلّ زمان رأي سلطان من سلاطين الجور أو غفلتهم أو عدم تمكّنهم من الكبس كما وقع بعد يزدجرد بعيد جدّاً، وأيضاً الظاهر أنّ فضل هذا اليوم إمّا بسبب الأمور المقارنة له والأحوال الواقعة فيه وكثير من الأمور متعلّقة بما قبل زمان يزدجرد وكان قبل ذلك مبنيّاً على الكبس وبعده سقط ذلك، وإمّا بسبب بعض الأوضاع الفلكيّة أو الأرضيّة كدخول برج من البروج أو درجة من درجاتها أو ظهور الأزهار ونبات النباتات والأشجار ونحو ذلك وشيء منها غير منضبط في النيروز بهذا المعنى، ومع جميع ذلك فهو بحسب الدليل كأنّه أقوى من الجميع.

الثالث: أن يكون المراد بها النيروز القديم المبنيّ على الكبس في كلّ مائة وعشرين سنة كما عرفت، لأنّه الأصل عند الفرس، إنّما طرأ إسقاط الكبس لاختلال أحوالهم وعدم

تمكّنهم من ضبط قواعدهم. ويرد عليه ما مرّ من أنّ بناء تكليف عامّ يشترك فيه عوامّهم وخواصّهم على أمر غامض لا يطّلع عليه إلاّ الأوحدي من المنجّمين والهيويّين بل لا يمكن معرفته على التحقيق لأحد كما مرّ بعيد غاية البعد، إلاّ أن يقال إنّه عليه السلام علّم قاعدته المعلّى ولم يروها أو ترك الناس روايتها وهو أيضاً بعيد.

الرابع: أن يكون المراد ما اصطلح عليه الآن المنجّمون وهو دخول الشمس برج الحمل، بأن يكون عليه السلام علم أنّ قاعدة الفرس في القديم كان كذلك فتركت وأخّروا الكبس إلى المائة والعشرين تسهيلاً للأمر. أو يقال: إنّ نيروز الفرس هو أوّل فروردين مع رعاية الكبس بأيّ وجه كان في زمان قصير أو زمان طويل فيشمل النيروز الجلاليّ عموماً وإن لم يحدث بعد خصوص هذا النوع. ويؤيّده أنّ الأحكاميّين من الفرس وغيرهم جعلوا مبدأ السنة تحويل الشمس إلى الحمل كما قال كوشيار في كتاب مجمل الأصول «معلوم أن تحويل سنة العالم هو حلول الشمس أوّل ثانية من الحمل وطالع ذلك طالع السنة» وأمثال ذلك من كلماتهم وقد اشتمل الخبر على أنّ النيروز أوّل سنة الفرس، وأيّد أيضاً بما ورد أنّ ابتداء خلق العالم كان الشمس في الحمل، وبأنّا إذا حسبنا على القهقرى وجدنا عيد الغدير في السنة العاشرة من الهجرة مطابقاً لنزول الشمس أوّل الحمل، والظاهر أنّ ذلك مبنيّ على بعض الأرصاد، وعلى بعضها يتقدّم بيوم كما أومأ إليه ابن فهد رحمه الله وعلى بعضها بيومين كما أشار إليه غيره، وموافقته على بعض الأرصاد كافٍ في ذلك، وبأنّه أوّل نموّ أبدان الحيوانات والأشجار والنباتات كما قال سبحانه: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ وعنده تظهر قدرة الصانع وحكمته ولطفه، ورحمته، فهو أولى بأن يشكر فيه الربّ الكريم، وأن يجعل مبدأ السنة والعيد العظيم، وقد مرّ الكلام في أكثر ذلك فيما مضى.

وممّا يدلّ على عدم كونه مراداً أنّه معلوم أنّه لم يكن هذا مشهوراً في زمان الصادق عليه السلام وقد قال المعلّى: «دخلت على الصادق عليه السلام يوم النيروز» فلا بدّ من أن يكون يوماً معروفاً في ذلك الزمان ولم يكن إلاّ التاريخ اليزدجرديّ فلا يستقيم هذا إلاّ بتكلّف أومأنا إليه في أوّل الكلام والله يعلم حقائق الأمور.

الفائدة الثالثة: اعلم أنّه قد يستشكل في الأحاديث بأنّ وقوع النيروز بأيّ تفسير كان في التواريخ الماضية المذكورة في الروايتين المضبوطة عند المؤرّخين سنة وشهراً ويوماً كيوم المبعث وفتح مكّة ونصّ الغدير غير ممكن، لعدم جواز اجتماع يومين في ذلك فضلاً عن الجميع، لأنّ المبعث كان قبل الهجرة بقريب من ثلاث عشرة سنة، وفتح مكّة في السنة الثامنة من الهجرة ونصّ الغدير في العاشرة منها فكان وضع الأوّل بالنسبة إلى كلّ من الأخيرين يقتضي أن تكون الفاصلة بين النيروزين الواقعين فيهما بحسب الشهور العربيّة أكثر من سبعة أشهر، ووضع أحد الأخيرين بالنسبة إلى الآخر يقتضي أن تكون الفاصلة أقلّ من شهر، مع

أنّ الأوّل كان في أواخر رجب، والثاني في أواخر شهر رمضان، والثالث في أواخر شهر ذي الحجّة. ويمكن الجواب عنه بوجهين:

الأول: ما ذكره بعض الأفاضل، وهو أن يقال: من السنة التاسعة عشرة من مبعثه ﷺ التي وقع فيها قتل «پرويز» من ملوك العجم إلى آخر زمانه ﷺ اتّفق جلوس ثلاثة من ملوك العجم، هم: شيرويه، وأردشير، وتوران دخت، وكان الأوّلان قبل فتح مكة والأخير بعده، فيمكن إسقاط كلّ منهم برهة ممّا مضى من السنة عند جلوسه كما هو عادتهم المستمرّة، فكان ذلك منشأ لهذا الاختلاف فهذا أيضاً دليل بل دلائل أُخرى مستنبطة من الروايتين المذكورتين على بطلان كون المراد بالنيروز المعتبر شرعاً هو الاعتدال الربيعيّ، فإنّه على ذلك لا يمكن توجيه التواريخ المذكورة فيهما أصلاً، وكذا حال سائر ما مرّ من تفاسيره سوى أوّل فروردين فتعيّن أنّ المراد به أوّل فروردين كما هو المطلوب (انتهى).

الثاني: ما خطر ببالي وهو أنّه لم يصرّح في الحديث بالمبعث، بل قال: هبط فيه جبرئيل على النبيّ ﷺ ولا تلازم بينهما إذ المبعث هو أمر الرسول بتبليغ الرسالة إلى القوم، ويمكن أن يكون نزول جبرئيل عليه ﷺ قبل ذلك بسنين كما يومئ إليه بعض الأخبار أيضاً.

وأمّا كون كسر الأصنام في فتح مكّة فلا يظهر من هذا الخبر ولا من أكثر الأخبار الواردة فيه، بل صريح بعض الأخبار وظاهر بعضها كون ذلك قبل الهجرة فيمكن الجمع بينهما بالقول بتعدّد وقوع ذلك، ويكون أحدهما موافقاً للنيروز كما روي من كشف الغمّة من مسند أحمد بن حنبل، عن أبي مريم، عن عليّ عليه السلام قال: انطلقت أنا والنبيّ ﷺ حتى أتينا الكعبة، فقال لي رسول الله ﷺ: اجلس واصعد على منكبي، فنهضت به فرأى بي ضعفاً، وجلس لي نبيّ الله ﷺ وقال لي: اصعد على منكبي، فصعدت على منكبيه، قال: فنهض بي، قال: فإنّه يخيّل إليّ أني لو شئت لنلت أفق السماء، حتى صعدت على البيت وعليه تمثال صفر أو نحاس، فجعلت أزاوله عن يمينه وشماله ومن بين يديه ومن خلفه، حتى إذا استمكنت منه قال لي رسول الله ﷺ: اقذف به، فقذفت به فتكسّر كما تكسر القوارير، ثمّ نزلت وانطلقت أنا ورسول الله ﷺ نستبق حتى توارينا بالبيوت خشية أن يلقانا أحد من الناس. والأخبار بهذا المضمون كثيرة، وقد تقدّمت وكلّها دالّة على أنّ ذلك كان قبل الهجرة، وإلّا لم يكن لخوفهما وإخفائهما من القوم معنى، فارتفع التنافي على أيّ تفسير كان، لعدم معلوميّة تاريخ نزول جبرئيل عليه السلام ولا كسر الأصنام.

فإن قيل: قد صرّح في الخبر بأنّه اليوم الذي حمل فيه رسول الله ﷺ - الخ - فحمله على ما وقع في الليل بعيد.

قلنا: حمل اليوم على ما يشمل الليل شائع، وسراية فضل الليلة وبركاتها إلى اليوم كثيرة كمواليد النبيّ ﷺ والأئمّة عليهم السلام وغير ذلك.

فإن قيل: تاريخ فتح نهروان وقتل ذي الثديّة أيضاً مضبوط في مناقب ابن شهر آشوب بتاسع شهر صفر سنة تسع وثلاثين ولا يوافق فروردينهم لكونه في السنة المزبورة قبله في أواسط المحرّم أو بعده في أواسط شوال على اختلاف الاعتبارين كما مرّ، ولا أوّل الربيع لكونه فيها بعده في أواخر شوال، ولا يجري فيه شيء من التوجيهين.

قلنا: سنة الفتح المذكورة مضبوطة عند جمهور المؤرخين بما ذكر أو بثمان وثلاثين، وأمّا شهره ويومه فهم ساكتون عنهما، فلا اعتماد في مثل ذلك على نقل واحد منهم.

الفائدة الرابعة: قال أبو ريحان في الكتاب المذكور: قال بعض الحشويّة: إنّ سليمان بن داود عليه السلام لمّا افتقد خاتمه وذهب عنه ملكه ثمّ ردّ إليه بعد أربعين يوماً عاد إليه بهاؤه وأتته الملوك، وعكفت عليه الطيور، فقال الفرس: «نوروز آمد» أي جاء اليوم الجديد، فسمّي النوروز، وأمر سليمان الريح فحملته واستقبله الخطّاف، فقال: أيّها الملك! إنّ لي عُشّاً فيه بيضات فاعدل، فعدل ولمّا نزل حمل الخطّاف في منقاره ماء فرشّه بين يديه وأهدى له رجل جرادة، فذلك سبب رشّ الماء والهدايا في النيروز. وقالت علماء العجم: هو يوم مختار، لأنّه سمّي بهرمز، وهو اسم الله عزّ وجلّ الخالق الصانع المربّي للدنيا وأهلها الذي لا يقدر الواصفون على وصف جزء من أجزاء نعمه وإحسانه.

وقال سعيد بن الفضل: جبل دماوند وهو بفارس ترى عليه كلّ ليلة نوروز بروق تسطع وتلمع على صحو الهواء وتغيّمه على كلّ حال من الزمان، وأعجب من هذا نيران «كلواذا» وإن كان القلب لا يطمئن إليها دون مشاهدتها، فقد أخبرني أبو الفرج الزنجانيّ الحاسب أنّه شاهد ذلك مع جماعة قصدوا «كلواذا» سنة دخول عضد الدولة بغداد، وإذا بها نيران وشموع لا تحصى كثرة تظهر في الجانب الغربيّ من دجلة بإزاء كلواذا في الليلة التي يكون في صبيحتها النوروز فإنّ السلطان وضع هناك رصدة يتجسّسون الحقيقة كي لا يكون ذلك من المجوس أمراً مموّهاً، فلم يقفوا إلاّ أنّها كلّما قربوا منها تباعدت، وكلّما تباعدوا منها قربت، فقلت لأبي الفرج: إنّ يوم النيروز زائل عن مكانه لإهمال الفرس كبيستهم فلم لم يتأخّر عنه هذا الأمر؟ وإن لم يجب تأخّره فهل كان يتقدّم وقت استعمال الكبيسة؟ فلم يكن عنده جواب مقنع، وقال أصحاب النيرنجات: من لعق يوم النيروز قبل الكلام إذا أصبح ثلاث لعقات عسل وبخر بثلاث قطاع من شمع كان ذلك شفاءً من الأدواء. وكان النيروز فيه جرى الرسم بتهادي الناس بينهم السكّر والسبب فيه كما حكى مؤبد بغداد أنّ قصب السكّر إنّما ظهر في مملكة جم يوم النيروز، ولم يكن يعرف قبل ذلك الوقت، وهو أنّه رأى قصبة كثيرة الماء قد مجّت شيئاً من عصارتها، فذاقها فوجد فيها حلاوة لذيذة، فأمر باستخراج مائها وعمل منه السكّر، فارتفع في اليوم الخامس وتهادوه تبرّكاً به، وكذلك استعمل في المهرجان وإنّما خصّوا وقت الانقلاب الصيفيّ بالابتداء في السنة لأنّ الانقلابين أولى أن

يوقف عليهما بالآلات والعيان من الاعتدالين، وذلك أنّ الانقلابين هما أوائل إقبال الشمس إلى أحد قطبي الكلّ وإدبارها عنها بعينه، وإذا رصد الظلّ المنتصب في الانقلاب الصيفيّ والظلّ البسيط في الانقلاب الشتويّ في أيّ موضع اتّفق من الأرض لم يخف على الراصد يوم الانقلاب، ولو كان من علم الهندسة والهيئة بأبعد البعد، فأمّا الاعتدالان فإنّه لا يوقف على يومهما إلاّ بعد تقدّم المعرفة بعرض البلد والميل الكليّ، ثمّ لا يكون ذلك ظاهراً إلاّ لمن تأمّل الهيئة ومهر في علمها، وعرف آلات الرصد ونصبها والعمل بها، فكان الانقلابان لهذه الأسباب أولى بالابتداء من الاعتدالين، وكان الصيفيّ منهما أقرب إلى سمت الرؤوس الشماليّة، فآثروه على الشتويّ، وأيضاً فلأنّه هو وقت إدراك الغلاّت فهو أصوب لافتتاح الخراج فيه من غيره. وكثير من العلماء والحكماء اليونانيّين أقاموا الطالع لوقت طلوع «كلب الجبار» واستفتحوا به السنة دون الاعتدال الربيعيّ، من أجل أنّ طلوعه فيما مضى كان موافقاً لهذا الانقلاب أو بالقرب منه، وقد زال هذا اليوم أعني النيروز عن وقته حتى صار في زماننا يوافق دخول الشمس برج الحمل، وهو أوّل الربيع فجرى الرسم لملوك خراسان فيه أن يخلعوا على أساورتهم - أي قوّاد جيوشهم - الخلع الربيعيّة والصيفيّة. واليوم السادس منه وهو روز خرداد منه النوروز الكبير وعند الفرس عيد عظيم الشأن، قيل: إنّ فيه فرغ الله عن خلق الخلائق لأنّه آخر الأيّام الستّة المذكورة، وفيه خلق المشتري وأسعد ساعاته ساعات المشتري. وقال أصحاب النيرنجات: من ذاق صبيحة هذا اليوم قبل الكلام السكّر وتدهّن بالزيت دفع عنه في عامّة سنته أنواع البلايا. وقالوا: أمر جمشيد الناس أن يغتسلوا يوم النيروز بالماء ليتطهّروا من الذنوب، ويفعلوا ذلك كلّ سنة ليدفع الله عنهم آفات السنة. وزعم بعض الناس أنّ جم كان أمر بحفر أنهار، وأنّ الماء جرى فيها في هذا اليوم فاستبشر الناس بالخصب، واغتسلوا بذلك الماء المرسل فتبرّك الخلف بمحاكاة السلف. وقيل: بل السبب في الاغتسال هو أنّ هذا اليوم لهروزا وهو ملك الماء، والماء يناسبه، فلذلك صار الناس يقومون في هذا اليوم عند طلوع الفجر فيعمدون إلى ماء القِنى والحياض، وربما استقبلوا المياه الجارية فيفيضون على أنفسهم منها تبرّكاً ودفعاً للآفات، وفيه يرشّ الناس الماء بعضهم على بعض، وسببه هو سبب الاغتسال. ولمّا كان بعد جم جعلت الملوك هذا الشهر أعني فروردين ماه كلّه أعياداً مقسومة في أسداسه، فالخمسة الأولى للملوك، والثانية للأشراف، والثالثة لخدّام الملوك، والرابعة لحواشيه، والخامسة للعامّة، والسادسة للرُّعاة، إلى آخر ما قال.

وأقول: إنّما أوردت هذه الهذيانات لتطّلع على بعض خرافاتهم، ولأنّ فيها تأييداً لبعض ما أسلفنا في الفوائد السابقة. ووجدت في بعض الكتب المعتبرة: اعلم أنّ جمشيد ملك الدنيا وعمر أقاليم إيران، فاستوت له أسبابه، واستقامت له أموره يوم النيروز أوّل فروردين القديم، فصار أوّل سنة العجم، وهو يوم ولد فيه كيومرث بن هبة الله بن آدم عليه السلام وأمّا

النيروز السلطانيّ يوم نزول الشمس أوّل دقيقة من برج الحمل، فوضع في عهد السلطان جلال الدين ملك شاه بن الب أرسلان واتّفق يوم الخميس التاسع من شهر رمضان سنة إحدى وسبعين وأربعمائة، والمهرجان هو يوم النصف من مهرماه قصد إفريدون الضحّاك، وأسره بأرض المغرب وسجنه بجبل دماوند هذا اليوم، فقال إفريدون لأصحابه «اين كاركه من كردم مهرجان بان هست» فسمّي لذلك مهرجان، وأوّل من وضع رسم التهنئة في النيروز والمهرجان أفريدون (انتهى).

وأقول: روى المنجّمون والأحكاميّون في كتبهم عن أمير المؤمنين عليه السلام أيّاماً منحوسة في الشهر، وحملوه على شهور الفرس القديم، وهي: الثالث، والخامس والثالث عشر، والسادس عشر، والحادي والعشرون، والرابع والعشرون، والخامس والعشرون، وجمعوها في هذين البيتين بالفارسيّة:

هفت روزى نحس باشد در مهى زان حذر كن تا نيابى هيچ رنج
سه وپنج وسيزده با شانزده بيست ويك با بيست وچهار وبيست وپنج

وربما يحمل على الشهور العربيّة كما مرّ. ورووا أيضاً عن الصادق عليه السلام نحوسة بعض أيّام شهور الفرس القديمة كما نظمه سلطان المحقّقين نصير الملّة والدين الطوسيّ قدّس الله سرّه القدّوسيّ في هذه الأبيات بالفارسيّة:

زقول جعفر صادق خلاصه سادات زماه فارسيان هفت روز مذمومست
نخست روز سيّم بازپنجم وپس ازان چه روز سيزدهم روز شانزده شومست
ديگرز عشرسيم بيست ويك چه وچهار چه بيست وپنج كه آنهم بنحس مرقومست
بجز عبادت كارى مكن در اين ايّام اگرچه نيك وبدت هم ز رزق مقسومست
بماند بيست وسه روز أى خجسته مختار كه درعموم حوائج بخير موسومست
ولى چهارم وهشتم سفر مكن زنهار كه خوف هلك دراين هردونص محتومست
بروز پانزدهم پيش پادشاه مرو اگرچه سنك دلش برتونيز چون مومست
گريز نيز در اينروز ناپسند آمد كه ره مخوف وهو اى خلاص موسومت
مكن دوازدهم باكسى مناظره اى كه درخصومت اينروز صلح معدومست
زروز هاى گزيده همين چهار آنگه در اين حوائج در سلك نحس منظومست

ورووا أيضاً عن موسى كليم الله عليه السلام أنّ للشهور الروميّة أيّاماً منحوسة من توجّه فيها إلى القتال قتل، ومن سافر فيها لم يظفر بمقصوده، ومن تزوّج لم يتمتّع وهي: أربعة وعشرون يوماً في كلّ شهر يومان: وهي العاشر والعشرون من تشرين الأوّل، والأوّل والخامس عشر من تشرين الآخر، والخامس عشر والسابع عشر من كانون الأوّل، والسابع والرابع عشر من كانون الآخر، والسادس عشر والسابع عشر من شباط، والرابع واليوم العشرون من آذار،

والعشرون والثالث من نيسان والسادس والثامن من أيار، والثالث والثامن من حزيران، والعشرون والسادس من تموز والرابع والخامس عشر من آب، والأوّل والثالث من أيلول وفي بعض النسخ: التاسع والعاشر من تشرين الأوّل، والتاسع والثاني عشر من كانون الأوّل والثاني والرابع عشر من كانون الآخر، والثاني عشر والسادس عشر من شباط، والثالث والعاشر من حزيران، وفي بعضها: والرابع والحادي عشر من آب.

٨ - **المكارم:** عن أبي الحسن عليه السلام قال: لا تدع الحجامة في سبع من حزيران، فإن فاتك فأربع عشرة[1].

أبواب الملائكة

٢٤ - باب حقيقة الملائكة وصفاتهم وشؤونهم وأطوارهم

الآيات: البقرة: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ إلى آخر الآيات.

وقال تعالى: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾﴾. وقال تعالى: ﴿تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ «٢٤٨»

آل عمران: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ﴾ «١٨»

وقال سبحانه: ﴿فَنَادَتْهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُوَ قَآئِمٌ يُصَلِّي فِي ٱلْمِحْرَابِ﴾ «٣٩».

وقال عزّ وجلّ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ﴾ الآية «٤٢».

وقال عزّ وجلّ: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ﴾ الآية «٤٥».

الأنعام: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴿٨﴾ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴿٩﴾﴾. وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِي غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ «٩٣».

وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ «١٥٨».

الأنفال: ﴿أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ «٩ - ١٢».

الرعد: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ «١١».

وقال تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ «١٣».

---

(١) مكارم الأخلاق، ص ٦٧.

الحجر: ﴿مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ﴿٨﴾﴾.

وقال سبحانه: ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٥١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا﴾ إلى آخر القصّة.

الإسراء: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾.

مريم: ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾ «١٧».

الحج: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ «٧٥».

الفرقان: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَـٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

الأحزاب: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾ «٩».

سبأ: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾.

فاطر: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَـٰثَ وَرُبَـٰعَ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ «١».

الصافات: ﴿وَٱلصَّـٰٓفَّـٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّـٰلِيَـٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ إِنَـٰثًا وَهُمْ شَـٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾ أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمْ لَكُمْ سُلْطَـٰنٌ مُّبِينٌ ﴿١٥٦﴾ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا۟ بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ ٱلْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾ فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَـٰتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

الزمر: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ «٧٥».

فصلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ وقال سبحانه: ﴿فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

حمعسق [الشورى]: ﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «٥».

الزخرف: ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَـٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾

﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ (١٨) وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ (١٩)﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ (٦٠)﴾

الذاريات: ﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤)﴾.

الحاقة: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ «١٧»

المعارج: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ (٤)﴾.

المدثر: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠) وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ «٣١».

المرسلات: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦)﴾.

النبأ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨)﴾.

النازعات: ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥)﴾.

عبس: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦) قُتِلَ الْإِنسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧)﴾.

تفسير: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ﴾ قد مرّ تفسيرها في المجلّد الخامس، وتدلّ الآيات على كثير من أحوال الملائكة. ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ قال الطوسيّ رحمه الله: روي أنّ ابن صوريا وجماعة من يهود فدك أتوا النبيّ صلى الله عليه وآله فسألوه عن مسائل فأجابهم، فقال له ابن صوريا: خصلة واحدة إن قلتها آمنت بك واتّبعتك: أي ملك يأتيك بما أنزل الله عليك؟ قال: فقال: جبرئيل، قال: ذلك عدوّنا وينزل بالقتال والشدّة والحرب، وميكائيل ينزل باليسر والرخاء، فلو كان ميكائيل هو الذي يأتيك لآمنّا بك، فأنزل الله هذه الآية[1]: ﴿فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لا من تلقاء نفسه، وإنّما أضافه إلى قلبه لأنّه إذا أنزل عليه كان يحفظه ويفهمه بقلبه، ومعنى قوله ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ بأمر الله. وقيل: أراد بعلمه أو بإعلام الله إيّاه ما ينزّله على قلبك ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أي من الكتب موافقاً لها ﴿وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ معناه كان فيما أنزله من الأمر بالحرب والشدّة على الكافرين فإنّه هدى وبشرى للمؤمنين ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ﴾ معناه من كان معادياً لله أي يفعل فعل المعادي من المخالفة والعصيان، وقيل: المراد معاداة أوليائه ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ أعاد ذكرهما لفضلهما، ولأنّ اليهود خصّوهما بالذكر ﴿فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ﴾ إنّما لم يقل (لهم) لأنّه قد يجوز أن ينتقلوا عن العداوة بالإيمان (انتهى)[2].

---

(١) تفسير التبيان للطوسي، ج ١ ص ٣٦٣. (٢) مجمع البيان، ج ١ ص ٣١٥.

وأقول: الظاهر أنّ التعبير بالكافرين عنهم لبيان أنّ هذا أيضاً من موجبات كفرهم، وتدلّ الآية على أنّه تجب محبّة الملائكة وأنّ عداوتهم كفر.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي نشاهده فنصدّقه ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا﴾ على ما اقترحوه لما آمنوا به فاقتضت الحكمة استئصالهم وذلك معنى قوله ﴿لَّقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ وقيل: معناه لو أنزلنا ملكاً في صورته لقامت الساعة أو وجب استئصالهم ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا﴾ أي الرسول والذي ينزل عليه ليشهد بالرسالة كما يطلبون ذلك ﴿لَّجَعَلْنَاهُ رَجُلًا﴾ لأنهم لا يستطيعون أن يروا الملك في صورته، لأنّ أعين الخلق تحار عن رؤية الملائكة إلاّ بعد التجسّم بالأجسام الكثيفة، ولذلك كانت الملائكة تأتي الأنبياء في صورة الإنس، وكان جبرئيل عليه السلام يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله في صورة دحية الكلبيّ وكذلك نبأ الخصم إذ تسوّروا المحراب وإتيانهم إبراهيم ولوطاً في صورة الضيفان من الآدميّين ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ﴾ قال الزجّاج: كانوا هم يلبسون على ضعفتهم في أمر النبيّ صلى الله عليه وآله فيقولون: إنّما هذا بشر مثلكم، فقال: لو أنزلنا ملكاً فرأوا هم الملك رجلاً لكان يلحقهم فيه من اللبس مثل ما لحق ضعفتهم منهم. وقيل: لو أنزلنا ملكاً لما عرفوه إلاّ بالتفكّر وهم لا يتفكّرون فيبقون في اللبس الذي كانوا فيه، وأضاف اللبس إلى نفسه لأنّه يقع عند إنزاله الملائكة[1].

وقال رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾ أي ملائكة يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم ويكتبونها، وفي هذا لطف للعباد لينزجروا عن المعاصي إذا علموا أنّ عليهم حفظة من عند الله يشهدون بها عليهم يوم القيامة ﴿تَوَفَّتْهُ﴾ أي تقبض روحه ﴿رُسُلُنَا﴾ أي أعوان ملك الموت، عن ابن عباس وغيره: قالوا: وإنّما يقبضون بأمره، ولذا أضاف التوفّي إليه في قوله ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ ﴿وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ أي لا يضيّعون أو لا يغفلون ولا يتوانون أو لا يعجزون[2].

وقال البيضاويّ في قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ﴾: حذف مفعوله لدلالة الظرف عليه، أي ولو ترى الظالمين ﴿فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ﴾ أي في شدائده، من «غمره الماء» إذا غشيه ﴿وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ﴾ بقبض أرواحهم كالمتقاضي الملظّى أو بالعذاب ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ﴾ أي يقولون لهم: أخرجوها إلينا من أجسادكم تغليظاً وتعنيفاً عليهم، أو أخرجوها من العذاب وخلّصوها من أيدينا ﴿الْيَوْمَ﴾ يريد به وقت الإماتة أو الوقت الممتدّ من الإماتة إلى ما لا نهاية له ﴿تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ﴾ أي الهوان يريد العذاب المتضمّن لشدّة وإهانة (انتهى)[3].

﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في الضمير الذي في ﴿لَهُ﴾ على وجوه:

---

(١) مجمع البيان، ج ٤ ص ١٣.
(٢) مجمع البيان، ج ٤ ص ٧٤.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٥.

أحدها: أنّه يعود إلى «من» في قوله: ﴿مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾.

والآخر: أنّه يعود إلى اسم الله تعالى وهو عالم الغيب والشهادة.

وثالثها: أنّه يعود إلى النبيّ ﷺ في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ﴾ واختلف في المعقّبات على أقوال: أحدها: أنّها الملائكة يتعاقبون تعقّب ملائكة الليل ملائكة النهار وملائكة النهار ملائكة الليل، وهم الحفظة يحفظون على العبد عمله، وقال الحسن: هم أربعة أملاك يجتمعون عند صلاة الفجر، وهو معنى قوله ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ وقد روي ذلك أيضاً عن أئمّتنا عليهم السلام.

والثاني: أنّهم ملائكة يحفظونه من المهالك حتى ينتهوا به إلى المقادير فيحولون بينه وبين المقادير، عن عليّ عليه السلام. قيل: هم عشرة أملاك على كلّ آدميّ يحفظونه من بين يديه ومن خلفه ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ أي يطوفون به كما يطوف الملك الموكّل بالحفظ، وقيل: يحفظون ما تقدّم من عمله وما تأخّر إلى أن يموت فيكتبونه، وقيل: يحفظونه من وجوه المهالك والمعاطب، ومن الجنّ والإنس، والهوامّ، وقال ابن عبّاس: يحفظونه ممّا لم يقدّر نزوله فإذا جاء المقدّر بطل الحفظ. وقيل: من أمر الله أي بأمر الله، وقيل: يحفظونه عن خلق الله، فتكون من بمعنى عن، قال كعب: لولا أنّ الله وكّل بكم ملائكته يذبّون عنكم في مطعمكم ومشربكم وعوراتكم لتخطفنّكم الجنّ (انتهى)(١).

وقال الرازيّ في تفسيره: روي أنّه قيل: يا رسول الله! أخبرني عن العبد كم معه من ملك؟ فقال عليه السلام: ملك عن يمينك للحسنات هو أمين على الذي على الشمال، فإذا عملت حسنة كتب عشراً، وإذا عملت سيّئة قال الذي على الشمال لصاحب اليمين: اكتب، قال: لا لعلّه يتوب، فإذا قال ثلاثاً قال: نعم، أكتب أراحنا الله منه فبئس القرين، ما أقلّ مراقبته لله واستحياءه منّا! [وملكان مما بين يديك ومن خلفك] فهو قوله تعالى: ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ﴾ وملك قابض على ناصيتك، فإذا تواضعت لربّك رفعك، وإن تجبّرت قصمك، وملكان على شفتيك يحفظان عليك الصلاة وملك على فيك لا يدع أن تدخل الحيّة في فيك، وملك على عينيك فهؤلاء عشرة أملاك على كلّ آدميّ، ملائكة الليل وملائكة النهار، فهم عشرون ملكاً على كلّ آدمي(٢).

ثم قال: فإن قيل: ما الفائدة في جعل هؤلاء الملائكة موكّلين علينا؟ قلنا: اعلم أنّ هذا الكلام غير مستبعد، وذلك لأنّ المنجّمين اتّفقوا على أنّ التدبير في كلّ يوم لكوكب على حدة، وكذا القول في كلّ ليلة، ولا شكّ أنّ تلك الكواكب لها أرواح عندهم، فتلك التدبيرات المختلفة في الحقيقة لتلك الأرواح وأمّا أصحاب الطلسمات فهذا الكلام مشهور

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٨.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ١٩ ص ١٨.

في ألسنتهم، ولذلك فإنّهم يقولون أخبرني طبائع التامّ، ومرادهم بالطبائع التامّ أنّ لكلّ إنسان روحاً فلكيّة تتولّى إصلاح مهمّاته ورفع بليّاته وآفاته، وإذا كان هذا متّفقاً عليه بين قدماء الفلاسفة وأصحاب الأحكام فكيف يستبعد مجيئه من الشرع؟ وتمام التحقيق فيه أنّ الأرواح البشريّة مختلفة في جواهرها وطبائعها، فبعضها خيّرة وبعضها شريرة، وبعضها قويّة القهر والسلطان وبعضها سخيفة، وكما أنّ الأمر في الأرواح البشريّة كذلك الأمر في الأرواح الفلكيّة، لكنّه لا شكّ أنّ الأرواح الفلكيّة في كلّ باب وصفة أقوى من الأرواح البشريّة، فكلّ طائفة من الأرواح تكون مشاركة في طبيعة خاصّة وصفة مخصوصة، فإنّها تكون في مرتبة روح من الأرواح الفلكيّة، مشاكلة لها في الطبيعة والخاصيّة، وتكون تلك الأرواح البشرية كأنّها أولاد لذلك الروح الفلكيّ، ومتى كان الأمر كذلك فإنّ ذلك الروح الفلكيّ يكون معيناً لها على مهماتها، ومرشداً لها إلى مصالحها، وعاصماً لها من صنوف الآفات، فهذا كلام ذكره محقّقو الفلاسفة، وإذا كان الأمر كذلك علمنا أن الذي وردت به الشريعة أمر معقول مقبول عند الكلّ، فكيف يمكن استنكاره من الشريعة؟

فإن قيل: ما الفائدة في اختصاص هؤلاء الملائكة مع بني آدم وتسليطهم عليهم؟

قلنا: فيه وجوه: **الأول**: أنّ الشياطين يدعون إلى الشرور والمعاصي، وهؤلاء الملائكة يدعون إلى الخيرات والطاعات.

الثاني: قال مجاهد: ما من عبد إلاّ ومعه ملك موكّل يحفظه من الجنّ والإنس والهوامّ في نومه ويقظته.

الثالث: أنّا نرى أنّ الإنسان قد يقع في قلبه داع قويّ من غير سبب، ثمّ يظهر بالآخرة أنّ وقع تلك الداعية في قلبه كان سبباً من أسباب مصلحته وخيراته، وقد ينكشف أيضاً بالآخرة أنّه كان سبباً لوقوعه في آفة أو معصية ومفسدة فظهر أنّ الداعي إلى الأمر الأوّل كان مريداً للخير والراحة، وإلى الأمر الثاني كان مريداً للفساد والمحنة، والأوّل هو الملك الهادي، والثاني هو الشيطان المغوي.

الرابع: أنّ الإنسان إذا علم أنّ الملائكة تحصي عليه أعماله كان إلى الحذر من المعاصي أقرب، لأنّ من آمن يعتقد جلالة الملائكة وعلوّ مراتبهم، فإذا حاول الإقدام على معصية واعتقد أنّهم يشاهدونها زجره الحياء منهم عن الإقدام عليها كما يزجره إذا حضر من يعظمه من البشر، وإذا علم أنّ الملائكة يكتبونها كان الردع أكمل.

فإن قيل: ما الفائدة في كتب أعمال العباد؟ قلنا: ههنا مقامان:

المقام الأول: أنّ تفسير الكتبة بالمعنى المشهور من الكتاب. قال المتكلّمون: الفائدة في تلك الصحف وزنها، فإن رجحت كفّة الطاعات ظهر للخلائق أنّه من أهل الجنّة وبالضدّ، قال القاضي: هذا يبعد، لأنّ الأدلّة قد دلّت على أنّ كلّ أحد قبل مماته عند المعاينة يعلم أنّه

من السعداء أو من الأشقياء، فلا يجوز توقيف حصول تلك المعرفة على الميزان ثمّ أجاب وقال: لا يمتنع ما رويناه لأمر يرجع إلى حصول سروره عند الخلق العظيم أنّه من أولياء الله في الجنّة وبالضدّ من ذلك في أعداء الله.

والمقام الثاني: وهو قول حكماء الإسلام أن الكتبة عبارة عن نقوش مخصوصة وضعت بالاصطلاح لتعريف بعض المعاني المخصوصة، فلو قدّرنا تلك النقوش دالّة على تلك المعاني لأعيانها وذواتها كانت تلك الكتبة أقوى وأكمل إذا ثبت هذا فنقول: إنّ الإنسان إذا أتى بعمل من الأعمال مرّات وكرّات كثيرة متوالية حصلت في نفسه بسبب تكرارها ملكة قويّة راسخة، فإن كانت تلك الملكة نافعة في السعادات الروحانيّة عظم ابتهاجه بها بعد الموت، وإن كانت الملكة ضارّة في الأحوال الروحانيّة عظم تضرّره بها بعد الموت، إذا ثبت هذا فنقول: إنّ التكرير الكثير لمّا كان سبباً لحصول تلك الملكة الراسخة كان لكلّ واحد من تلك الأعمال المتكرّرة أثر في حصول تلك الملكة الراسخة، وذلك الأثر وإن كان غير محسوس إلاّ أنّه حاصل في الحقيقة، وإذا عرفت هذا ظهر أنّه لا يحصل للإنسان لمحة ولا حركة ولا سكون إلاّ ويحصل منه في جوهر نفسه أثر من آثار السعادة أو أثر من آثار الشقاوة قلّ أو كثر، فهذا هو المراد من كتبة الأعمال عند هؤلاء والله العالم بحقائق الأمور (انتهى)[1].

وإنّما نقلنا كلامه لتطّلع على تحريفات الفلاسفة وتأويلاتهم للآيات والأخبار من غير ضرورة سوى الاستبعادات الوهميّة وعدم الاعتناء بكلام صاحب الشريعة.

﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا﴾ أي العابدين لغير الله والمعبودين ﴿أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[2] على الإنكار ليتعرفوا بخلافه ﴿قَالُوا سُبْحَانَكَ﴾ أي تنزيهاً لك عن أن يعبد سواك ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا﴾ أي ناصرنا وأولى بنا من دونهم، أي من دون هؤلاء الكفّار وما كنّا نرضى بعبادتهم إيّانا ﴿بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ﴾ أي إبليس وذريّته حيث أطاعوهم فيما دعوهم إليه من عبادة الملائكة وغيرهم ﴿أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ مصدّقون بالشياطين مطيعون لهم.

﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي الأنبياء بالرسالات والوحي ﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ﴾ جعلهم كذلك ليتمكّنوا بها من العروج إلى السماء ومن النزول إلى الأرض فمنهم من له جناحان ومنهم من له ثلاثة أجنحة ومنهم من له أربعة أجنحة، عن قتادة وقال: يزيد فيها ما يشاء، وهو قوله ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ قال ابن عبّاس: رأى رسول الله جبرئيل ليلة المعراج وله ستّمائة جناح، وقيل: أراد بقوله: ﴿يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ حسن الصوت، وقيل: هو الملاحة في العينين، وعن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: هو الوجه الحسن، والصوت الحسن، والشعر الحسن[3].

وقال الرازيّ: أقلّ ما يكون لذي الجناح أن يكون له جناحان، وما بعدهما زيادة. وقال

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٩ ص ١٨. (٢) سورة سبأ، الآية: ٤٠.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٣١.

قوم فيه: إنّ الجناح إشارة إلى الجهة، وبيانه هو أنّ الله ليس فوقه شيء وكلُّ شيء فهو تحت قدرته ونعمته، والملائكة لهم وجه إلى الله يأخذون منه نعمه ويعطون من دونهم ما أخذوا بإذن الله، كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ و قوله ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ وقال تعالى في حقّهم: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ فهما جناحان، وفيهم من يفعل الخير بواسطة، وفيهم من يفعله لا بواسطة، فالفاعل بواسطة فيه ثلاث جهات، وفيهم من له أربع جهات وأكثر، والظاهر ما ذكرناه أوّلاً، وهو الذي عليه إطباق المفسّرين.

وقال في قوله تعالى: ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الآيات هذه الأشياء الثلاثة المقسم بها يحتمل أن تكون صفات ثلاثة لموصوف واحد، ويحتمل أن تكون أشياء ثلاثة متباينة، أمّا على التقدير الأوّل ففيه وجوه:

الأول: أنّها صفات الملائكة، وتقريره أنّ الملائكة يقفون صفوفاً إمّا في السماوات لأداء العبادات كما أخبر الله تعالى عنهم أنّهم قالوا ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ۝١٦٥﴾ وقيل: إنّهم يصفّون أجنحتهم في الهواء ويقفون منتظرين وصول أمر الله إليهم، ويحتمل أيضاً أن يقال: معنى كونهم صفوفاً لأنّ لكلّ واحد منهم مرتبة ودرجة معيّنة في الشرف والفضيلة، أو في الذات والعلّيّة، وتلك الدرجات المترتّبة باقية غير متغيّرة، وذلك نسبة الصفوف. وأمّا قوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ۝٢﴾ فقال الليث: زجرت البعير أزجره زجراً إذا حثثته ليمضي، وزجرت فلاناً عن سوء فانزجر أي نهيته فانتهى، فعلى هذا الزجر للبعير كالحث وللإنسان كالنهي، فنقول: في وصف الملائكة بالزجر وجوه: **الأول**: قال ابن عبّاس: يريد الملائكة التي وكّلوا بالسحاب يزجرونها بمعنى أنّهم يأتون بها من موضع إلى موضع.

الثاني: المراد منه أنّ الملائكة لهم تأثيرات في قلوب بني آدم على سبيل الإلهامات، فهم يزجرونهم عن المعاصي زجراً.

الثالث: لعلّ الملائكة أيضاً يزجرون الشياطين عن التعرّض لبني آدم بالشرّ والإيذاء.

وأقول: قد ثبت في العلوم العقليّة أنّ الموجودات على ثلاثة أقسام: مؤثّر لا يقبل الأثر وهو الله سبحانه وهو أشرف الموجودات، ومتأثّر لا يؤثّر، وهو عالم الأجسام وهو أخسّ الموجودات، وموجود يؤثّر في شيء ويتأثّر عن شيء آخر وهو عالم الأرواح، وذلك لأنّها تقبل الأثر عن عالم كبرياء الله ثمّ إنّها تؤثّر في عالم الأجسام. واعلم أنّ الجهة التي باعتبارها تقبل الأثر من عالم كبرياء الله غير الجهة التي باعتبارها تستولي على عالم الأجسام وتقدر على التصرّف فيها، وقوله ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ إشارة إلى الأشرف من الجهة التي باعتبارها يقوى على التأثير في عالم الأجسام إذا عرفت هذا فقوله ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١﴾ إشارة إلى وقوفها صفاً في مقام العبوديّة والطاعة والخضوع والخشوع، وهي الجهة التي باعتبارها تقبل تلك الجواهر القدسيّة أصناف الأنوار الإلهيّة والكمالات الصمديّة، وقوله تعالى: ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ

زَجْرًا ﴿٢﴾﴾ إشارة إلى تأثير الجواهر الملكيّة في تنوير الأرواح القدسيّة البشريّة، وإخراجها من القوّة إلى الفعل، وذلك أنّه كالقطرة بالنسبة إلى البحر، وكالشعلة بالنسبة إلى الشمس، وأنّ هذه الأرواح البشريّة إنّما تنتقل من القوّة إلى الفعل في المعارف الإلهيّة والكمالات الروحانيّة بتأثيرات جواهر الملائكة، ونظيره قوله تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ وقوله ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ وقوله ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٥﴾﴾.

إذا عرفت هذا فنقول: في هذه الآية دقيقة أخرى، وهي أنّ الكمال المطلق للشيء إنّما يحصل إذا كان تامّاً وفوق التامّ، والمراد بكونه تامّاً أن تحصل الكمالات اللائقة به حصولاً بالفعل، والمراد بكونه فوق التامّ أن يفيض منه أصناف الكمالات والنوالات على غيره، ومن المعلوم أنّ كونه كاملاً في ذاته مقدّم على كونه مكمّلاً لغيره، إذا عرفت هذا فقوله ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ إشارة إلى استكمال جواهر الملائكة في ذواتها وقت وقوفها في مواقف العبوديّة وصفوف الخدمة والطاعة، وقوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾﴾ إشارة إلى كيفيّة تأثيراتها في إزالة ما لا ينبغي عن جواهر الأرواح البشريّة، وقوله تعالى: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾﴾ إشارة إلى كيفيّة تأثيراتها في إفاضة الجلايا القدسيّة والأنوار الإلهيّة على الأنوار الناطقة البشريّة، فهذه مناسبات عقليّة واعتبارات دقيقة تنطبق عليها هذه الألفاظ الثلاثة.

الثاني: أن تحمل هذه الصفات على النفوس البشريّة الطاهرة المقدّسة المقبلة على عبوديّة الله تعالى الذين هم ملائكة الأرض، وبيانه من وجهين:

الأول: أنّ قوله: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ المراد به الصفوف الحاصلة عند أداء الصلاة بالجماعة، وقوله: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ إشارة إلى قراءة «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» كأنّهم بسبب قراءة هذه الكلمة يزجرون الشياطين عن إلقاء الوساوس في قلوبهم في أثناء الصلاة، وقوله: ﴿فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا﴾ إشارة إلى قراءة القرآن في الصلاة، وقيل: إلى رفع الصوت بالقراءة كأنّه يزجر الشيطان بواسطة رفع الصوت.

والوجه الثاني: أنّ المراد بالأوّل الصفوف الحاصلة من العلماء المحقّين الذين يدعون إلى دين الله تعالى، وبالثاني اشتغالهم بالزجر عن الشبهات والشهوات وبالثالث اشتغالهم بالدعوة إلى دين الله والترغيب في العمل بشرائع الله.

الوجه الثالث: أن نحملها على أحوال الغزاة والمجاهدين في سبيل الله، فالمراد بالأوّل صفوف القتال كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا﴾[1] وبالثاني رفع الصوت بزجر الخيل، وبالثالث اشتغالهم وقت شروعهم في محاربة العدوّ بقراءة القرآن وذكر الله بالتهليل والتقديس.

---

(١) سورة الصف، الآية: ٤.

والوجه الرابع: أن نجعلها صفات لآيات القرآن، فالأوّل المراد به كونها أنواعاً مختلفة بعضها في دلائل التوحيد، وبعضها في بيان التكاليف والأحكام، وبعضها في تعليم الأخلاق الفاضلة، وهذه الآيات مترتّبة ترتيباً لا يتغيّر ولا يتبدّل، فهي تشبه أشخاصاً واقفين في صفوف معيّنة، وبالثاني الآيات الزاجرة عن الأفعال المنكرة، وبالثالث الآيات الدالّة على وجوب الإقدام على أعمال البرّ والخير، وصف الآيات بكونها تالية على قانون ما يقال شعر شاعر وكلام قائل، قال تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾(١) وأمّا الاحتمال الثاني هو أن يكون المراد بهذه الثلاثة أشياء متغايرة، فقيل المراد بقوله ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا﴾ الطير من قوله تعالى: ﴿وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ﴾ والزاجرات كلّ ما زجر عن معاصي الله، والتاليات كلّ ما يتلى من كتاب الله.

وأقول: فيه وجه آخر: وهو أنّ مخلوقات الله إمّا جسمانيّة، وإمّا روحانيّة، أمّا الجسمانيّة فإنّها مترتّبة على طبقات ودرجات لا تتغيّر البتّة فالأرض وسط العالم وهي محفوفة بكرة الماء، والماء محفوف بالهواء، والهواء بالنار، ثمّ هذه الأربعة بكرات الأفلاك إلى آخر العالم الجسمانيّ؛ فهذه الأجسام كأنّها صفوف واقفة على عتبة جلال الله تعالى، وأمّا الجواهر الروحانيّة الملكيّة فهي على اختلاف درجاتها وتباين صفاتها مشتركة في صفتين: إحداهما التأثير في عالم الأجسام بالتحريك والتصرّف وإليه الإشارة بقوله ﴿فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا﴾ فإنّا بيّنّا أنّ المراد من هذا الزجر السوق والتحريك، والثانية الإدراك والمعرفة والاستغراق في معرفة الله والثناء عليه، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا﴾ ولمّا كان الجسم أدنى منزلة من الأرواح المشتغلة بالتصرّف في الجسمانيّات وهي أدون منزلة من الأرواح المستغرقة في معرفة جلال الله المقبلة على تسبيح الله كما قال ﴿وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ لا جرم بدأ في المرتبة الأولى بذكر الأجسام ثمّ ذكر الأرواح المدبّرة لأجسام هذا العالم، ثمّ ذكر أعلى الدرجات وهي الأرواح المقدّسة المتوجّهة بكلّيتها إلى معرفة جلال الله والاستغراق في الثناء عليه، فهذه احتمالات خطرت بالبال، والعالم بأسرار كلام الله ليس إلاّ الله(٢).

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ﴾ قال البيضاويّ: أمر باستفتائهم حيث جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله، وهؤلاء زادوا على الشرك ضلالات أخرى: التجسيم وتجويز الفناء على الله، فإنّ الولادة مخصوصة بالأجسام الكائنة الفاسدة، وتفضيل أنفسهم عليه على وجه القسمة حيث جعلوا أوضع الجنسين له، وأرفعهما لهم، واستهانتهم بالملائكة حيث أنّثوهم، ولذلك كرّر الله إنكار ذلك وإبطاله في كتابه مراراً، وجعله ممّا يكاد السماوات يتفطّرن منه وتنشقّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً، والإنكار ههنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهما، ولأن فسادهما ممّا تدركه العامّة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٦ ص ١١٤-١١٧.

بمقتضى طباعهم، حيث جعل المعادل للاستفهام على التقسيم ﴿أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ﴾ وإنّما خصّ علم المشاهدة لأنّ أمثال ذلك لا تعلم إلاّ به، فإنّ الأنوثة ليست من لوازم ذاتهم ليمكن معرفته بالعقل الصرف، مع ما فيه من الاستهزاء والإشعار بأنّهم لفرط جهلهم ينبئون به كأنّهم قد شاهدوا خلقهم ﴿أَلَا إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ اللَّهُ﴾ لعدم ما يقتضيه وقيام ما ينفيه ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ فيما يتديّنون به ﴿أَصْطَفَى الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ﴾ استفهام إنكار واستبعاد، والاصطفاء أخذ صفوة الشيء ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يرتضيه عقل ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنّه منزّه عن ذلك ﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾ حجّة واضحة نزلت عليكم من السماء بأنّ الملائكة بناته ﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الذي أنزل عليكم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دعواكم ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ يعني الملائكة، ذكرهم باسم جنسهم وضعاً منهم أن يبلغوا هذه المرتبة، وقيل قالوا: إنّ الله صاهر الجنّ فخرجت الملائكة، وقيل: قالوا الله والشيطان أخوان ﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾ أنّ الكفرة أو الإنس والجنّ إن فسّرت بغير الملائكة ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في العذاب ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ حكاية اعتراف الملائكة بالعبوديّة بالردّ على عبدتهم، والمعنى: وما منّا أحد إلاّ له مقام معلوم في المعرفة والعبادة والانتهاء إلى أمر الله تعالى في تدبير العالم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ في أداء الطاعة ومنازل الخدمة ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ المنزّهون الله عمّا لا يليق به، ولعلّ الأوّل إشارة إلى درجاتهم في الطاعة وهذا في المعارف(١).

وقال الطبرسيّ رحمه الله ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ هذا قول جبرئيل للنبيّ صلى الله عليه وآله وقيل: إنّه قول الملائكة، وفيه مضمر أي: وما منّا معشر الملائكة ملك إلاّ وله مقام معلوم في السماوات يعبد الله فيه، وقيل: معناه أنّه لا يتجاوز ما أُمر به وترتّب له، كما لا يتجاوز صاحب المقام مقامه الذي حدّ له، فكيف يجوز له أن يعبد من هو بهذه الصفة وهو عبد مربوب؟ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ﴾ حول العرش ننتظر الأمر والنهي من الله تعالى، وقيل: القائمون صفوفاً في الصلاة. قال الكلبيّ: صفوف الملائكة في السماء كصفوف أهل الدنيا في الأرض، وقال الجبائيّ صافّون بأجنحتنا في الهواء للعبادة والتسبيح ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ أي المصلّون المنزّهون الربّ عمّا لا يليق به، ومنه قيل: فرغت من سبحتي أي من صلاتي، وذلك لما في الصلاة من تسبيح الله وتعظيمه، والمسبّحون القائلون سبحان الله على وجه التعظيم لله(٢).

وقال في قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ معناه ومن عجائب أمور الآخرة أنّك ترى الملائكة محدقين بالعرش يطوفون حوله ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ أي ينزّهون الله تعالى عمّا لا يليق به ويذكرونه بصفاته التي هو عليها وقيل: يحمدون الله تعالى حيث دخل الموحّدون الجنّة(٣).

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٧٢-٤٧٤. (٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٣٣٦.
(٣) مجمع البيان، ج ٨ ص ٤٢١.

وفي قوله ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾: يعني عند الموت، روي ذلك عن أبي عبد الله عليه السلام وقيل: تستقبلهم الملائكة إذا خرجوا من قبورهم في الموقف بالبشارة من الله تعالى، وقيل: إنّ البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر وعند البعث. ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ أي نحن معاشر الملائكة أنصاركم وأحبّاؤكم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ نتولّى إيصال الخيرات إليكم من قبل الله تعالى ﴿وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ نتولاّكم بأنواع الإكرام والمثوبة، وقيل: نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا أي نحن نحرسكم في الدنيا وعند الموت وفي الآخرة عن أبي جعفر عليه السلام [١].

وقال الرازيّ في قوله تعالى: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ﴾ الآية. هذا في مقابلة ما ذكره في وعيد الكفّار حيث قال ﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم﴾ ومعنى كونهم أولياء للمؤمنين أنّ للملائكة تأثيرات في الأرواح البشريّة بالإلهامات والمكاشفات اليقينيّة، والمقامات الحقّة كما أنّ للشياطين تأثيرات في الأرواح بإلقاء الوساوس فيها، وتخييل الأباطيل إليها، وبالجملة فكون الملائكة أولياء للأرواح الطيّبة الطاهرة حاصل من جهات كثيرة معلومة لأرباب المكاشفات والمشاهدات، فهم يقولون كما أنّ تلك الولاية كانت حاصلة في الدنيا فهي تكون باقية في الآخرة، فإنّ تلك العلائق لازمة غير قابلة للزوال، بل كأنّها تصير بعد الموت أقوى وأبقى، وذلك لأنّ جوهر النفس من جنس الملائكة، وهي كالشعلة بالنسبة إلى الشمس، والقطرة بالنسبة إلى البحر، والتعلّقات الجسدانيّة هي تحول بينها وبين الملائكة كما قال صلى الله عليه وآله «لولا أنّ الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا إلى ملكوت السماوات» فإذا زالت العلائق الجسمانيّة والتدبيرات البدنيّة فقد زال الغطاء والوطاء، فيتّصل الأثر بالمؤثّر، والقطرة بالبحر، والشعلة بالشمس، فهذا هو المراد من قوله: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ ثمّ قال: والأقرب عندي أنّ قوله ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ إشارة إلى الجنّة الجسمانيّة ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ إشارة إلى الجنّة الروحانيّة المذكورة في قوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ (انتهى)[٢].

﴿فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي جميع الملائكة أو طائفة مخصوصة منهم، وعلى الأوّل دوام تسبيحهم لا ينافي اشتغالهم بسائر الخدمات، مع أنّ تلك الخدمات أيضاً نوع من تسبيحهم ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ أي لا يملّون ولا يفترون.

وقال الرازيّ في قوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾: اعلم أنّ مخلوقات الله نوعان: نوع عالم الجسمانيّات وأعظمها السماوات، وعالم الروحانيّات وأعظمها الملائكة، فبيّن سبحانه كمال عظمته باستيلاء هيبته على الجسمانيّات فقال ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢١.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧ ص ١٢٣.

﴿يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ﴾ ثمّ انتقل إلى ذكر الروحانيّات فقال: ﴿وَالْمَلَٰئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ والجواهر الروحانيّة لها تعلّقان: تعلّق بعالم الجلال والكبرياء وهو تعلّق القبول فإنّ الأضواء الصمديّة إذا شرقت على الجواهر الروحانيّة استضاءت جواهرها وأشرقت ماهيّاتها، ثمّ إنّ الجواهر الروحانية إذا استفادت تلك القوى الربانيّة قويت بها على الاستيلاء على عالم الجسمانيّات، وإذا كان كذلك فلها وجهان: وجه إلى حضرة الجلال، ووجه إلى عالم الأجسام، والوجه الأوّل أشرف من الثاني. إذا عرفت هذا فنقول: أمّا الجهة الأولى وهي الجهة المقدّسة العلوية فقد اشتملت على أمرين: أحدهما التسبيح، والثاني التحميد، لأنّ التسبيح عبارة عن تنزيه الله تعالى عمّا لا ينبغي، والتحميد عبارة عن وصفه بكونه معطياً لكلّ الخيرات، وكونه منزّهاً في ذاته عمّا لا ينبغي مقدّم بالرتبة على كونه فيّاضاً للخيرات والسعادات، لأنّ وجود الشيء وحصوله في نفسه مقدّم على تأثيره في حصول غيره، فلهذا السبب كان التسبيح مقدّماً على التحميد، ولهذا قال ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ وأمّا الجهة الثانية وهي الجهة التي لتلك الأرواح إلى عالم الجسمانيّات فالإشارة إليها بقوله ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي الْأَرْضِ﴾ والمراد منها تأثيراتها في نظم أحوال هذا العالم وحصول الطريق الأصوب فيها (انتهى)[1].

واستدلّ بالآية على عصمة الملائكة، لأنّهم لو كانوا مذنبين كانوا يستغفرون لأنفسهم قبل استغفارهم لغيرهم، وفيه نظر.

﴿وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا﴾ فقالوا الملائكة بنات الله وسمّاه جزءاً لأنّ الولد جزء من الوالد، وهو يستلزم التركيب المنافي لوجوب الوجود ﴿لَكَفُورٌ مُّبِينٌ﴾ أي ظاهر الكفران ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا﴾ أي بالجنس الذي جعله له مثلاً، إذ الولد لا بدّ أن يماثل الوالد ﴿ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا﴾ أي صار وجهه أسود في الغاية، لما يعتريه من الكآبة ﴿وَهُوَ كَظِيمٌ﴾ أي مملوّ قلبه من الكرب ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ أي أوجعلوا له أو اتّخذ من يتربّى في الزينة يعني البنات ﴿وَهُوَ فِي الْخِصَامِ﴾ أي في المجادلة ﴿غَيْرُ مُبِينٍ﴾ أي غير مقرّر لما يدّعيه من نقصان العقل وضعف الرأي ﴿وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا﴾ كفر آخر تضمّنه مقالهم شنّع به عليهم، وهوجعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم عقلاً وأخسّهم صنفاً ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ﴾ أي أحضروا خلق الله إيّاهم فشاهدوهم إناثاً، فإنّ ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل وتهكّم لهم ﴿سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ﴾ التي شهدوا بها على الملائكة ﴿وَيُسْأَلُونَ﴾ أي عنها يوم القيامة[2].

﴿فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا﴾ أي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به.

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧ ص ١٤٤. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٧ ص ٢١٢.

قال الطبرسيّ ﷺ: روي أنّ ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال الرياح، قال: فالحاملات وقراً؟ قال: السحاب قال: فالجاريات يسراً؟ قال: السفن، قال: فالمقسّمات أمراً؟ قال: الملائكة وروي ذلك عن ابن عباس ومجاهد[1].

﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ قيل: أي كان مقداره من عروج غيرهم خمسين ألف سنة، وذلك من أسفل الأرضين إلى فوق السماوات السبع، وقيل: امتداد ذلك اليوم على بعض الكفّار كذلك، وقيل: معناه أنّ أول نزول الملائكة في الدنيا بأمره ونهيه وقضائه بين الخلائق إلى آخر عروجهم إلى السماء وهو القيامة هذه المدّة[2].

﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ قال الطبرسيّ ﷺ: أي من الملائكة وهم خزنتها مالك وثمانية عشر أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي، يخرج لهب النار من أفواههم، ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة، تسع كفّ أحدهم مثل ربيعة ومضر، نزعت منهم الرحمة، يرفع أحدهم سبعين ألفاً فيرميهم حيث أراد من جهنّم.

﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ أي وما جعلنا الموكّلين بالنار المتولّين تدبيرها إلاّ ملائكة جعلنا شهوتهم في تعذيب أهل النار ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ أي لم نجعلهم على هذا العدد إلاّ محنة وتشديداً في التكليف. لأنّ الكفّار استقلّوا هذا العدد وزعموا أنّهم يقدرون على دفعهم، وقد مرّ الكلام في تلك الآيات في كتاب المعاد[3].

﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ روى الطبرسيّ عن أبي حمزة الثماليّ عن أصحاب عليّ عنه عليه السلام أنّها الملائكة أُرسلت بالمعروف من أمر الله ونهيه ﴿فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا﴾ يعني الرياح الشديدات الهبوب ﴿وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا ۝﴾ الملائكة تنشر الكتب عن الله ﴿فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا﴾ هي آيات القرآن تفرق بين الحقّ والباطل والهدى والضلال ﴿فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا﴾ الملائكة تلقي الذكر إلى الأنبياء وتلقيه الأنبياء إلى الأمم[4].

وقال البيضاويّ[5]: أقسم بطوائف من الملائكة أرسلهنّ الله متتابعة، فعصفن عصف الرياح في امتثال أمره، ونشرن الشرائع في الأرض، أو نشرن النفوس الميّتة بالجهل بما أوحين من العلم، ففرقن بين الحقّ والباطل، فألقين إلى الأنبياء ذكراً، عذراً للمحقّين، ونذراً للمبطلين، أو بآيات القرآن المرسلة بكلّ عرف إلى محمّد ﷺ فعصفن سائر الكتب أو الأديان بالنسخ، ونشرن آثار الهدى والحكم في الشرق والغرب، وفرقن بين الحقّ والباطل،

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٥٣.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٢٠.
(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٨١.
(٤) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٢٨.
(٥) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٣٦٣.

فألقين ذكر الحقّ فيما بين العالمين أو بالنفوس الكاملة المرسلة إلى الأبدان لاستكمالها، فعصفن ما سوى الحقّ، ونشرن أثر ذلك في جميع الأعضاء، وفرقن بين الحقّ بذاته والباطل بنفسه فيرون كلّ شيء هالكاً إلاّ وجهه، فألقين ذكراً بحيث لا يكون في القلوب والألسنة إلاّ ذكرهم، أو برياح عذاب أرسلن فعصفن، ورياح رحمة نشرن السحاب في الجوّ ففرقن فألقين ذكراً أي تسبّبن له، فإنّ العاقل إذا شاهد هبوبها أو آثارها ذكر الله تعالى، وتذكّر كمال قدرته، ﴿عُرْفًا﴾ إمّا نقيض النكر، وانتصابه على العلّة، أي أرسلن للإحسان والمعروف أو بمعنى المتابعة من عرف الفرس وانتصابه على الحال ﴿عُذْرًا أَوْ نُذْرًا﴾ مصدران لعذر إذا محا الإساءة، وأنذر إذا خوّف، أو جمعان لعذر بمعنى المعذرة ونذر بمعنى الإنذار، أو بمعنى العاذر والمنذر، ونصبهما على الأوّلين بالعلّيّة أي عذراً للمحقّين ونذراً للمبطلين، أو البدليّة من ﴿ذِكْرًا﴾ على أنّ المراد به الوحي أو ما يعمّ التوحيد والشرك والإيمان والكفر، وعلى الثالث بالحاليّة، وقرأهما أبو عمرو وحمزة والكسائيّ وحفص بالتخفيف(١).

﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: اختلف في معنى الروح هنا على أقوال:

أحدها: أنّ الروح خلق من خلق الله تعالى على صورة بني آدم وليسوا بناس وليسوا بملائكة، يقومون صفّاً والملائكة صفّاً، هؤلاء جند وهؤلاء جند عن مجاهد وقتادة وأبي صالح، قال الشعبيّ: هما سماطا ربّ العالمين يوم القيامة، سماط من الروح، وسماط من الملائكة.

وثانيها: أنّ الروح ملك من الملائكة، وما خلق الله مخلوقاً أعظم منه، فإذا كان يوم القيامة قام هو وحده صفّاً، وقامت الملائكة كلّهم صفّاً واحداً، فيكون عظم خلقه مثل صفّهم، عن ابن مسعود وعن عطاء عن ابن عبّاس.

وثالثها: أنّه أرواح الناس تقوم مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد، عن عطيّة عن ابن عبّاس.

ورابعها: أنّه جبرئيل عليه السلام عن الضحّاك، وقال وهب: إنّ جبرئيل واقف بين يدي الله عزّ وجلّ ترعد فرائصه، يخلق الله عزّ وجلّ من كلّ رعدة مائة ألف ملك، فالملائكة صفوف بين يدي الله تعالى منكّسو رؤوسهم، فإذا أذن الله لهم في الكلام قالوا: لا إله إلاّ أنت ﴿وَقَالَ صَوَابًا﴾ أي لا إله إلاّ الله. وروى عليّ إن إبراهيم بإسناده عن الصادق عليه السلام قال: هو ملك أعظم من جبرئيل وميكائيل.

وخامسها: أنّ الروح بنو آدم، عن الحسن، وقوله ﴿صَفًّا﴾ معناه مصطفّين(٢).

وقال في قوله ﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا﴾ اختلف في معناه على وجوه:

أحدها: أنّه يعني الملائكة الذين ينزعون أرواح الكفّار عن أبدانهم بالشدّة، كما يغرق

---

(١) أي بسكون الذال في عذراً ونذراً.

(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٤٨.

النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدّ، روي عن عليّ عليه السلام وغيره، وقال مسروق: هي الملائكة تنزع نفوس بني آدم، وقيل: هو الموت ينزع النفوس، عن مجاهد، وروي ذلك عن الصادق عليه السلام.

وثانيها: أنّها النجوم تنزع من أفق إلى أفق أي تطلع ثمّ تغيب، قال أبو عبيدة: تنزع من مطالعها وتغرق في مغاربها. **وثالثها**: النازعات القسيّ تنزع بالسهم، والناشطات الأوهاق فالقسم بفاعلها وهم المجاهدون[1].

﴿وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا﴾ فيه أيضاً أقوال: **أحدها**: ما ذكرناه.

وثانيها: أنّها الملائكة تنشط أرواح الكفّار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافهم بالكرب والغمّ، عن عليّ عليه السلام والنشط الجذب، يقال: نشطت الدلو نشطاً نزعته.

وثالثها: أنّها الملائكة تنشط أنفس المؤمنين فتقبضها كما ينشط العقال من يد البعير إذا حلّ عنها، عن ابن عبّاس. **ورابعها**: أنّها أنفس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج عند رؤية موضعه من الجنّة، عن ابن عبّاس أيضاً.

وخامسها: أنّها النجوم تنشط من أفق إلى أفق أي تذهب يقال: حمار ناشط.

﴿وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا﴾ فيه أقوال أيضاً: **أحدها**: أنّها الملائكة يقبضون أرواح المؤمنين يسلّونها سلاً رفيقاً ثمّ يدعونها حتى تستريح كالسابح بالشيء في الماء يرمي به، عن عليّ عليه السلام.

وثانيها: أنّها الملائكة ينزلون عن السماء مسرعين، وهذا كما يقال للفرس الجواد سابح إذا أسرع في جريه. **وثالثها**: أنّها النجوم تسبح في فلكها، وقيل: هي خيل الغزاة تسبح في عدوها كقوله: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا﴾ وقيل: هي السفن تسبح في الماء.

﴿فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا﴾ فيه أيضاً أقوال: **أحدها**: أنّها الملائكة لأنّها سبقت ابن آدم بالخير والإيمان والعمل الصالح وقيل: إنّها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، وقيل: إنّها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنّة، عن عليّ عليه السلام.

وثانيها: أنّها أنفس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها وقد عاينت السرور، شوقاً إلى رحمة الله ولقاء ثوابه وكرامته. **وثالثها**: أنّها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير.

ورابعها: أنّها الخيل يسبق بعضها بعضاً في الحرب.

﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾ فيها أيضاً أقوال:

أحدها: أنّها الملائكة تدبّر أمر العباد من السنة إلى السنة، عن عليّ عليه السلام.

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٥٢.

وثانيها: أنّ المراد بذلك جبرئيل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل عليهم السلام يدبّرون أمور الدنيا، فأمّا جبرئيل عليه السلام فموكّل بالرياح والجنود، وأمّا ميكائيل فموكّل بالقطر والنبات، وأمّا ملك الموت فموكّل بقبض الأنفس، وأمّا إسرافيل فهو يتنزّل بالأمر عليهم.

وثالثها: أنّها الأفلاك يقع فيها أمر الله تعالى فيجري بها القضاء في الدنيا رواه عليّ بن إبراهيم[1].

وقال في قوله تعالى: ﴿فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ﴾ أي هذا القرآن أو هذه التذكرة في كتب معظمة عند الله، وهي اللوح المحفوظ، وقيل: يعني كتب الأنبياء المنزلة عليهم ﴿مَرْفُوعَةٍ﴾ في السماء السابعة، وقيل: مرفوعة قد رفعها الله عن دنس الأنجاس ﴿مُطَهَّرَةٍ﴾ لا يمسّها إلاّ المطهّرون، وقيل: مصونة عن أن تنالها أيدي الكفرة لأنّها في أيدي الملائكة، في أعزّ مكان، وقيل: مطهّرة من كلّ دنس، وقيل: مطهّرة من الشكّ والشبهة والتناقض ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ يعني الكتبة من الملائكة، وقيل: يعني السفراء بالوحي بين الله تعالى وبين رسله من السفارة، وقال قتادة: هم القرّاء يكتبونها ويقرؤونها، وروى فضيل بن يسار عن الصادق عليه السلام قال: الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة، كرام على ربّهم، بررة مطيعين وقيل: كرام عن المعاصي يرفعون أنفسهم عنها، بررة أي صالحين متّقين[2].

١ - **الاحتجاج**: بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ عليه السلام فيما احتجّ رسول الله صلى الله عليه وآله به على المشركين: والملك لا تشاهده حواسّكم لأنّه من جنس هذا الهواء، لا عيان منه، ولو شاهدتموه بأن يزاد في قوى أبصاركم لقلتم ليس هذا ملكاً بل هذا بشر (الخبر)[3].

٢ - **تفسير علي بن إبراهيم**: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج قال النبيّ صلى الله عليه وآله: وصعد جبرئيل، وصعدت معه إلى السماء الدنيا، وعليها ملك يقال له إسماعيل وهو صاحب الخطفة الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[4] وتحته سبعون ألف ملك تحت كلّ ملك سبعون ألف ملك، ثمّ مررت - وساق الحديث إلى قوله - حتى دخلت السماء الدنيا فما لقيني ملك إلاّ ضاحكاً مستبشراً، حتى لقيني ملك من الملائكة لم أر خلقاً أعظم منه كريه المنظر ظاهر الغضب فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا مالك خازن النار - ثمّ ساق الحديث إلى قوله - ثمّ مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه، وإذا بيده لوح من نور مكتوب فيه كتاب ينظر فيه لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين، فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: ثمّ رأيت ملكاً من الملائكة

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٥٣-٢٥٤.
(٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٦٧.
(٣) الإحتجاج، ص ٦٣.
(٤) سورة الصافات، الآية: ١٠.

جعل الله أمره عجيباً، نصف جسده النار والنصف الآخر ثلج، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو ينادي بصوت رفيع ويقول: سبحان الذي كفّ حرّ هذه النار فلا تذيب الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حرّ هذه النار، اللهمّ يا مؤلّف بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين.

فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: ملك وكّله الله بأكناف السماء وأطراف الأرضين وهو أنصح ملائكة الله لأهل الأرض من عباده المؤمنين، يدعو لهم بما تسمع منذ خلق. ورأيت ملكين يناديان في السماء، أحدهما يقول: اللهمّ أعط كلّ منفق خلفاً، والآخر يقول: اللهمّ أعط كلّ ممسك تلفاً. ثمّ مررنا بملائكة من ملائكة الله عزّوجلّ خلقهم الله كيف شاء، ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق أجسادهم إلاّ وهو يسبّح الله ويحمده من كلّ ناحية بأصوات مختلفة، أصواتهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله، فسألت جبرئيل عنهم، فقال: كما ترى خلقوا، إنّ الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلّمه كلمة قطّ، ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها، ولا خفضوها إلى ما تحتها، خوفاً لله وخشوعاً ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا فيها من الملائكة وعليهم الخشوع، وقد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلاّ يسبّح الله ويحمده بأصوات مختلفة، وكذا السماء الثالثة ثمّ صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها من الملائكة الخضوع مثل ما في السماوات فبشّروني بالخير لي ولأمّتي، ثمّ رأيت ملكاً جالساً على سرير، وتحت يديه سبعون ألف ملك، تحت كلّ ملك سبعون ألف ملك - وساق الحديث إلى قوله - ثمّ صعدنا إلى السماء السابعة. قال: ورأيت من العجائب التي خلق الله وصوّر على ما أراده ديكاً رجلاه في تخوم الأرضين السابعة، ورأسه عند العرش، وهو ملك من ملائكة الله خلقها الله كما أراد، رجلاه في تخوم الأرضين السابعة ثمّ أقبل مصعداً حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة، وانتهى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه إلى قرب العرش وهو يقول: سبحان ربّي حيث ما كنت لا تدري أين ربّك من عظم شأنه وله جناحان في منكبيه إذا نشرهما جاوز المشرق والمغرب، فإذا كان في السحر نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول: سبحان الله الملك القدّوس، سبحان الله الكبير المتعال لا إله إلاّ الله الحيّ القيّوم، وإذا قال ذلك سبّحت ديوك الأرض كلّها، وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ، فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكتت ديوك الأرض كلّها، ولذلك الديك زغب أخضر، وريش أبيض كأشدّ بياض ما رأيته قطّ، وله زغب أخضر أيضاً تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضرة ما رأيتها قطّ[(١)].

أقول: الخبر بطوله قد مضى في باب المعراج[(٢)].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٦ في تفسيره لسورة الإسراء، الآية: ١.

(٢) مرّ في ج ١٨ ص ٢٠٠ ح ٣٤. [النمازي].

٣ - **التفسير:** عن بعض أصحابه يرفعه إلى الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّ لله ملكاً في صورة الديك الأملح الأشهب، براثنه في الأرض السابعة، وعرفه تحت العرش، له جناحان: جناح بالمشرق، وجناح بالمغرب فأمّا الجناح الذي في المشرق فمن ثلج، وأمّا الجناح الذي في المغرب فمن نار، وكلّما حضر وقت الصلاة قام على براثنه ورفع عرفه من تحت العرش، ثمّ أمال أحد جناحيه على الآخر يصفق بهما كما يصفق الديكة في منازلكم، فلا الذي من الثلج يطفئ النار، ولا الذي من النار يذيب الثلج، ثمّ ينادي بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أنّ محمّداً عبده ورسوله خاتم النبيّين، وأنّ وصيّه خير الوصيّين، سبّوح قدّوس ربّ الملائكة والروح، فلا يبقى في الأرض ديك إلاّ أجابه، وذلك قوله ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾[1].

٤ - ومنه: في قوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ قال الصادق عليه السلام: خلق الله الملائكة مختلفة، وقد رأى رسول الله صلى الله عليه وآله جبرئيل وله ستّمائة جناح على ساقه الدرّ مثل القطر على البقل، قد ملأ ما بين السماء والأرض. وقال: إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا صارت رجله اليمنى في السماء السابعة، والأخرى في الأرض السابعة، وإنّ لله ملائكة أنصافهم من برد وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلّف بين البرد والنار، ثبّت قلوبنا على طاعتك. وقال: إن لله ملكاً بُعد ما بين شحمة أذنه إلى عينيه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير. وقال: إنّ الملائكة لا يأكلون ولا يشربون ولا ينكحون، وإنّما يعيشون بنسيم العرش، وإنّ لله ملائكة ركّعاً إلى يوم القيامة، وإنّ لله ملائكة سجّداً إلى يوم القيامة. ثمّ قال أبو عبد الله عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ما من شيء خلقه الله أكثر من الملائكة، وإنّه ليهبط في كلّ يوم وفي كلّ ليلة سبعون ألف ملك، فيأتون البيت الحرام فيطوفون به، ثمّ يأتون رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يأتون أمير المؤمنين عليه السلام فيسلّمون عليه، ثمّ يأتون الحسين فيقيمون عنده، فإذا كان السحر وضع لهم معراج إلى السماء، ثمّ لا يعودون أبداً[2].

٥ - وقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الله خلق إسرافيل وجبرئيل وميكائيل من سبحة واحدة، وجعل لهم السمع والبصر وجودة العقل وسرعة الفهم[3].

٦ - ومنه: قال أمير المؤمنين عليه السلام في خلقة الملائكة: وملائكة خلقتهم وأسكنتهم سماواتك، فليس فيهم فترة، ولا عندهم غفلة، ولا فيهم معصية هم أعلم خلقك بك، وأخوف خلقك منك، وأقرب خلقك إليك، وأعملهم بطاعتك ولا يغشاهم نوم العيون، ولا

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٨٢ في تفسيره لسورة النور، الآية: ٤١.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨١ في تفسيره لسورة فاطر، الآية: ١.

(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٢ في تفسيره لسورة فاطر، الآية: ١.

سهو العقول، ولا فترة الأبدان، لم يسكنوا الأصلاب ولم تضمّهم الأرحام، ولم تخلقهم من ماء مهين، أنشأتهم إنشاءً فأسكنتهم سماواتك وأكرمتهم بجوارك وائتمنتهم على وحيك، وجنّبتهم الآفات ووقيتهم البليّات وطهّرتهم من الذنوب، ولولا تقويتك لم يقووا، ولولا تثبيتك، لم يثبتوا، ولولا رحمتك لم يطيعوا، ولولا أنت لم يكونوا، أما إنّهم على مكانتهم منك وطواعيتهم إيّاك ومنزلتهم عندك وقلّة غفلتهم عن أمرك لو عاينوا ما خفي عنهم منك لاحتقروا أعمالهم، ولأزروا على أنفسهم، ولعلموا أنّهم لم يعبدوك حقّ عبادك، سبحانك خالقاً ومعبوداً! ما أحسن بلاءك عند خلقك[١].

بيان: في القاموس: الطواعية: الطاعة وقال: زرى عليه زرياً وزراية ومزرية: عابه وعاتبه، كأزرى لكنّه قليل.

٧ - **التفسير:** عن أبيه، عن القاسم بن محمّد، عن سليمان بن داود المنقريّ عن حمّاد، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه سئل: هل الملائكة أكثر أم بنو آدم؟ فقال: والذي نفسي بيده لملائكة الله في السماوات أكثر من عدد التراب في الأرض وما في السماء موضع قدم إلاّ وفيها ملك يسبّحه ويقدّسه، ولا في الأرض شجر ولا مدر إلاّ وفيها ملك موكّل بها يأتي الله كلّ يوم بعملها والله أعلم بها، وما منهم أحد إلاّ ويتقرّب كلّ يوم إلى الله بولايتنا أهل البيت، ويستغفر لمحبّينا، ويلعن أعداءنا، ويسأل الله أن يرسل عليهم العذاب إرسالاً[٢].

البصائر: عن عليّ بن محمّد، عن القاسم بن محمّد الإصبهانيّ مثله. «ج ٢ باب ٥ ح ٩».

٨ - **مجالس ابن الشيخ:** عن أبيه، عن المفيد، عن ابن قولويه، عن أبيه عن سعد، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن محبوب، عن ابن رئاب، عن محمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما خلق خلقاً أكثر من الملائكة، وإنّه لينزل كلّ يوم سبعون ألف ملك، فيأتون البيت المعمور فيطوفون به، فإذا هم طافوا به نزلوا فطافوا بالكعبة، فإذا طافوا بها أتوا قبر النبيّ صلى الله عليه وآله فسلّموا عليه، ثمّ أتوا قبر أمير المؤمنين عليه السلام فسلّموا عليه، ثم أتوا قبر الحسين عليه السلام فسلّموا عليه، ثمّ عرجوا وينزل مثلهم أبداً إلى يوم القيامة[٣].

٩ - وقال عليه السلام: من زار أمير المؤمنين عليه السلام عارفاً بحقّه غير متجبّر ولا متكبّر كتب الله له أجر مائة ألف شهيد، وغفر الله له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر وبعث من الآمنين، وهوّن عليه الحساب، واستقبلته الملائكة، فإذا انصرف شيّعته إلى منزله، فإن مرض عادوه، وإن مات تبعوه بالاستغفار إلى قبره[٤].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٨٢ في تفسيره لسورة فاطر، الآية: ١.

(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٢٦ في تفسيره لسورة غافر.

(٣) - (٤) أمالي الطوسي، ص ٢١٤ مجلس ٨ ح ٣٧٢.

١٠ - **الخصال:** عن عليّ بن محمّد بن الحسن القزوينيّ المعروف بابن مقبرة عن محمّد بن عبد الله الحضرميّ، عن أحمد بن يحيى الأحول، عن خلاّد المنقريّ عن قيس عن أبي حصين، عن يحيى بن وثّاب، عن ابن عمر، قال: كان على الحسن والحسين عليهما السلام تعويذان حشوهما من زغب جناح جبرئيل عليه السلام[١].

١١ - **ومنه:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن عبد الله بن مسكان، عن محمّد بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ جبرئيل أتاني فقال: إنّا معشر الملائكة لا ندخل بيتاً فيه كلب، ولا تمثال جسد، ولا إناء يبال فيه[٢].

الكافي: عن أبي عليّ الأشعريّ، عن محمّد بن عبد الجبّار، عن صفوان مثله.

بيان: لعلّه مخصوص بغير الحفظة، مع أنّه يمكن أن يكونوا مع عدم الدخول أيضاً مطّلعين على ما يصدر عنه.

١٢ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن ابن محبوب عن محمّد بن طلحة، بإسناده يرفعه إلى النبيّ صلى الله عليه وآله قال: الملائكة على ثلاثة أجزاء: فجزء لهم جناحان، وجزء لهم ثلاثة أجنحة، وجزء لهم أربعة أجنحة[٣].

الكافي: عن عدّة من أصحابه، عن سعد بن زياد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن عبد الله بن طلحة مثله[٤].

بيان: لعلّ المراد أنّ أكثر الملائكة كذلك، فلا ينافي ما ورد من كثرة أجنحة بعض الملائكة.

١٣ - **التوحيد والخصال:** عن أحمد بن الحسن القطّان، عن محمّد بن يحيى بن زكريّا، عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن تميم بن بهلول، عن نصر بن مزاحم المنقريّ، عن عمرو بن سعد، عن أبي مخنف لوط بن يحيى، عن أبي منصور، عن زيد بن وهب، قال: سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قدرة الله جلّت عظمته، فقام خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة لو أنّ ملكاً منهم هبط إلى الأرض ما وسعته لعظم خلقه وكثرة أجنحته، ومنهم من لو كلّفت الجنّ والإنس أن يصفوه ما وصفوه لبعد ما بين مفاصله وحسن تركيب صورته، وكيف يوصف من ملائكته من سبعمائة عام ما بين منكبيه وشحمة أذنه ومنهم من يسدّ الأفق بجناح من أجنحته دون عظم يديه، ومنهم من في السماوات إلى حجزته، ومنهم من قدمه على غير قرار في جوّ الهواء الأسفل والأرضون إلى ركبتيه، ومنهم من لو ألقي في نقرة

---

(١) الخصال، ص ٦٧، باب ٢ ح ٩٩.
(٢) الخصال، ص ١٣٨ باب ٣ ح ١٥٥.
(٣) الخصال، ص ١٥٣ باب ٣ ح ١٩١.
(٤) روضة الكافي، ح ٤٠٣.

إبهامه جميع المياه لوسعتها، ومنهم من لو ألقيت السفن في دموع عينيه لجرت دهر الداهرين، فتبارك الله أحسن الخالقين(١).

١٤ - **العيون:** عن محمّد بن أحمد بن الحسين بن يوسف البغداديّ، عن عليّ بن محمّد ابن عنبسة، عن دارم بن قبيصة، عن الرضا عن آبائه عليهم السلام : قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ لله ديكاً عُرفه تحت العرش، ورجلاه في تخوم الأرض السابعة السفلى، إذا كان في الثلث الأخير من الليل سبّح الله تعالى ذكره بصوت يسمعه كلّ شيء ما خلا الثقلين الجنّ والإنس، فتصيح عند ذلك ديكة الدنيا(٢).

١٥ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم، قال: سأل الزنديق فيما سأل أبا عبد الله عليه السلام فقال: ما علّة الملائكة الموكّلين بعباده يكتبون عليهم ولهم والله عالم السرّ وما هو أخفى؟ قال: استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه، ليكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة، أو عن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكفّ، فيقول: ربّي يراني وحفظتي عليّ بذلك تشهد. وإنّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكّلهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشياطين وهوامّ الأرض، وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله، إلى أن يجيء أمر الله عزّ وجلّ (٣).

١٦ - **تفسير علي بن إبراهيم:** في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿لَهُ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ يقول: بأمر الله من أن يقع في ركيّ، أو يقع عليه حائط، أو يصيبه شيء حتى إذاجاء القدر خلّوا بينه وبينه يدفعونه إلى المقادير، وهما ملكان يحفظانه بالليل، وملكان يحفظانه بالنهار يتعاقبان(٤).

بيان: الركيّ جمع الركيّة وهو البئر.

١٧ - **التفسير:** ﴿لَهُ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِۗ﴾ إنّها قرئت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال لقارئها: ألستم عرباً؟ كيف تكون المعقّبات من بين يديه وإنّما المعقّب من خلفه؟ فقال الرجل: جعلت فداك كيف هذا؟ فقال: إنّما نزلت «له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله» ومن الذي يقدر أن يحفظ الشيء من أمر الله؟! وهم الملائكة الموكّلون بالناس(٥).

بيان: قال الطبرسيّ رحمه الله في الشواذّ قراءة أبي البرهشم: «له معقبات من بين يديه ورقباء من خلفه يحفظونه بأمر الله» وروي عن أبي عبد الله عليه السلام : «له معقبات من خلفه ورقيب من بين يديه يحفظونه بأمر الله» وروي عن عليّ عليه السلام وابن عبّاس وعكرمة وزيد بن عليّ «يحفظونه

---

(١) التوحيد، ص ٢٧٨، الخصال ص ٤٠٠ باب ٧ ح ١٠٩.
(٢) عيون أخبار الرضا، ج ٢ ص ٧٧ باب ٣١ ح ٣٣٣. (٣) الإحتجاج، ص ٣٣٥.
(٤) - (٥) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٦١ في تفسيره لسورة الرعد، الآية: ١١.

بأمر الله»[١].

١٨ - **التوحيد:** عن أحمد بن محمّد العطّار، عن أبيه، عن الحسين بن الحسن بن أبان عن ابن أورمة، عن زياد القنديّ، عن درست بن أبي منصور، عن رجل عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً بُعد ما بين شحمة أذنه إلى عنقه مسيرة خمسمائة عام خفقان الطير[٢].

الكافي: عن العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن بعض أصحابه، عن القنديّ مثله[٣].

بيان: قال الجوهريّ: خفقت الراية تخفُق وتخفِق خفقاً وخفقاناً، وكذلك القلب والسراب: إذا اضطربا، ويقال: خفق ا لطير أي طار، وأخفق إذا ضرب بجناحيه.

١٩ - **التوحيد:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسن بن عليّ، عن يونس بن يعقوب، عن عمرو بن مروان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة أنصافهم من برد، وأنصافهم من نار، يقولون: يا مؤلّفاً بين البرد والنار ثبّت قلوبنا على طاعتك[٤].

٢٠ - **ومنه:** عن عليّ بن عبد الله بن أحمد الأسواريّ، عن مكّي بن أحمد البردعيّ، عن عديّ بن أحمد بن عبد الباقي، عن أحمد بن محمّد بن البراء، عن عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه، عن وهب ، عن ابن عبّاس، عن النبيّ صلى الله عليه وآله قال: إنّ لله تبارك وتعالى ديكاً رجلاه في تُخوم الأرض السابعة السفلى ورأسه عند العرش وباقي عنقه تحت العرش، وملك من ملائكة الله خلقه الله تعالى ورجلاه في تخوم الأرض السابعة مضى مصعداً فيها مدّ الأرضين حتى خرج منها إلى أفق السماء، ثمّ مضى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه إلى العرش وهو يقول: سبحانك ربّي. ولذلك الديك جناحان إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب، فإذا كان في آخر الليل نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح وهو يقول: سبحان الله الملك القدّوس الكبير المتعال، لا إله إلاّ هو الحيّ القيّوم. فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض كلّها وخفقت بأجنحتها، وأخذت في الصراخ، فإذا سكن ذلك الديك في السماء سكنت الديكة في الأرض، فإذا كان في بعض السحر نشر جناحيه فجاوزا المشرق والمغرب وخفق بهما وصرخ بالتسبيح: سبحان الله العزيز سبحان الله العظيم، سبحان الله العزيز القهّار، سبحان الله ذي العرش المجيد، سبحان الله ذي العرش الرفيع. فإذا فعل ذلك سبّحت ديكة الأرض، فإذا هاج هاجت الديكة في الأرض تجاوبه بالتسبيح والتقديس لله تعالى، ولذلك الديك ريش أبيض كأشدّ بياض ما رأيته قط، له زَغَب أخضر تحت ريشه الأبيض كأشدّ خضرة ما رأيتها قط، فما زلت مشتاقاً إلى أن أنظر إلى ريش ذلك الديك[٥].

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ١٥.
(٢) التوحيد، ص ٢٨١.
(٣) روضة الكافي، ح ٤٠٥.
(٤) التوحيد، ص ٢٨٢ ح ١١.
(٥) التوحيد، ص ٢٨٠ ح ٤.

بيان: قال الجوهريّ: التّخم منتهى كلّ قرية أو أرض، والجمع تخوم.

«وملك» أي وهو ملك، وفي بعض النسخ «وملكاً» فيكون عطف تفسير لقوله «ديكاً» والصراخ: الصوت، والزّغب: الشُعَيرات الصُفر على ريش الفَرْخ، ذكره الجوهريّ.

٢١ - **التوحيد:** بالإسناد المتقدّم عن النبيّ ﷺ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً من الملائكة نصف جسده الأعلى نار، ونصفه الأسفل الثلج، فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار، وهو قائم ينادي بصوت له رفيع: سبحان الله الذي كفّ حرّ هذه النار فلا تذيب هذا الثلج، وكفّ برد هذا الثلج فلا يطفئ حرّ هذه النار اللهمّ يا مؤلّفاً بين الثلج والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين على طاعتك[١].

٢٢ - **ومنه:** بالإسناد عن النبي ﷺ قال: إنّ لله تبارك وتعالى ملائكة ليس شيء من أطباق أجسادهم إلاّ وهو يسبّح الله تعالى ويحمده من ناحيته بأصوات مختلفة لا يرفعون رؤوسهم إلى السماء، ولا يخفضونها إلى أقدامهم من البكاء والخشية لله عزّ وجلّ [٢].

٢٣ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن أحمد بن إدريس، عن محمّد بن أحمد، عن السّياريّ، عن عبد الله بن حمّاد، عن جميل بن درّاج، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام هل في السماء بحار؟ قال: نعم، أخبرني أبي عن أبيه عن جدّه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ إنّ في السماوات السبع لبحاراً عمق أحدها مسيرة خمسمائة عام، فيها ملائكة قيام منذ خلقهم الله عزّ وجلّ ، والماء إلى ركبهم ليس منهم ملك إلاّ وله ألف وأربعمائة جناح، في كلّ جناح أربعة وجوه، في كلّ وجه أربعة ألسن، ليس فيها جناح ولا وجه ولا لسان ولا فم إلاّ وهو يسبّح الله تعالى بتسبيح لا يشبه نوع منه صاحبه[٣].

٢٤ - **ومنه:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد، عن محمّد بن يحيى العطار، عن الحسين ابن الحسن بن أبان، عن ابن أورمة، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن أبي الحسن الشعيريّ، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ، قال: جاء ابن الكوّاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين والله إنّ في كتاب الله تعالى لآية قد أفسدت عليّ قلبي وشكّكتني في ديني! فقال له عليه السلام : ثكلتك أمّك وعدمتك وما تلك الآية قال: هو قول الله تعالى: ﴿وَٱلطَّيۡرُ صَٰٓفَّٰتٖۖ كُلّٞ قَدۡ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسۡبِيحَهُۥۗ﴾ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام يا ابن الكوا إنّ الله تعالى خلق الملائكة في صور شتّى، ألا إنّ لله تعالى ملكاً في صورة ديك أبج أشهب، براثنه في الأرضين السابعة السفلى، وعرفه مثنيٌّ تحت العرش، له جناحان: جناح في المشرق، وجناح في المغرب واحد من نار، والآخر من ثلج، فإذا حضر وقت الصلاة قام على براثنه ثمّ رفع عنقه من تحت العرش ثمّ صفق بجناحيه كما تصفق الديوك في منازلكم، فينادي: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أنّ محمّداً سيّد النبيّين، وأنّ وصيّه سيّد الوصيّين، وأنّ الله سبّوح

---

(١) - (٣) التوحيد، ص ٢٨٠-٢٨٢.

قدّوس ربّ الملائكة والروح. قال: فتخفق الديكة بأجنحتها في منازلكم فتجيبه عن قوله، وهو قوله عزّوجلّ: ﴿وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾ من الديكة في الأرض(١).

الاحتجاج: عن الأصبغ مثله. «ص ٢٢٧».

بيان: «ديك أبج» في بعض النسخ بالباء الموحّدة والجيم، وهو واسع مآق العين - ذكره الجوهريّ - وفي بعضها بالحاء المهملة من البحّة وهي غلظة الصوت وقد مرّ في التفسير «أملح» والملحة بياض يخالطه السواد، فالأشهب تفسير، إذ الشهبة بياض يصدعه سواد. والبرثن الكفّ مع الأصابع، ومخلب الأسد. والصفق: الضرب يسمع له صوت، والآية سيأتي تفسيرها المشهور.

٢٥ - **التوحيد:** عن أحمد بن الحسن القطّان، عن أحمد بن يحيى بن زكريّا عن بكر بن عبد الله بن حبيب، عن عليّ بن زياد، عن مروان بن معاوية، عن الأعمش، عن أبي حيّان التيميّ، عن أبيه، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: ليس أحد من الناس إلاّ ومعه ملائكة حفظة يحفظونه من أن يتردّى في بئر، أو يقع عليه حائط أو يصيبه سوء، فإذا حان أجله خلّوا بينه وبين ما يصيبه (الخبر)(٢).

٢٦ - **البصائر:** عن أحمد بن محمّد السّياريّ، عن عبيد الله بن أبي عبد الله الفارسيّ وغيره رفعوه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الكرّوبيّين قوم من شيعتنا من الخلق الأوّل جعلهم الله خلف العرش، لو قسّم نور واحد منهم على أهل الأرض لكفاهم. ثمّ قال: إنّ موسى عليه السلام لمّا أن سأل ربّه ما سأل أمر واحداً من الكرّوبيّين فتجلّى للجبل فجعله دكّاً(٣).

السرائر: عن السّياريّ مثله. «ج ٣ ص ٥٦٩».

٢٧ - **إكمال الدين:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن عمّه محمّد بن أبي القاسم عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن محمّد بن عليّ الكوفيّ، عن أبي الربيع الزهرانيّ عن جرير، عن ليث بن أبي سليم، عن مجاهد، قال: قال ابن عبّاس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: إنّ لله تبارك وتعالى ملكاً يقال له «دردائيل» كان له ستّة عشر ألف جناح، ما بين الجناح إلى الجناح هواء، والهواء كما بين السماء والأرض فجعل يوماً يقول في نفسه: أفوق ربّنا جلّ جلاله شيء؟ فعلم الله تبارك وتعالى ما قال، فزاده أجنحة مثلها، فصار له اثنان وثلاثون ألف جناح، ثمّ أوحى الله عزّوجلّ إليه أن طر، فطار مقدار خمسمائة عام، فلم ينل رأسه قائمة من قوائم العرش، فلمّا علم الله عزّوجلّ إتعابه أوحى إليه: أيّها الملك عد إلى مكانك فأنا عظيم فوق كلّ عظيم، وليس فوقي شيء ولا أوصف بمكان فسلبه الله أجنحته ومقامه من صفوف

(١) التوحيد، ص ٢٨٢. (٢) التوحيد، ص ٣٦٨.
(٣) بصائر الدرجات، ص ٨٢ ج ٢. نادر من الباب ٦ ح ٢.

الملائكة، فلمّا ولد الحسين عليه السلام هبط جبرئيل في ألف قبيل من الملائكة لتهنئة النبيّ صلى الله عليه وآله فمرّ بدردائيل فقال له: سل النبيّ صلى الله عليه وآله بحقّ مولوده أن يشفع لي عند ربّي، فدعا له النبيّ صلى الله عليه وآله بحقّ الحسين عليه السلام فاستجاب الله دعاءه وردّ عليه أجنحته، وردّه إلى مكانه[1].

أقول: تمامه في باب ولادة الحسين عليه السلام.

بيان: «أفوق ربّنا» لعلّه كان ذلك بمحض خطور البال بغير شكّ لئلا ينافي العصمة والجلالة.

٢٨ - **الإكمال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى عن العبّاس ابن موسى الورّاق، عن يونس، عن داود بن فرقد، قال: قال لي بعض أصحابنا: أخبرني عن الملائكة أينامون؟ قلت: لا أدري، فقال: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ ثمّ قال: ألا أطرفك عن أبي عبد الله عليه السلام بشيء؟ فقلت: بلى، فقال: سئل عن ذلك فقال: ما من حيّ إلاّ وهو ينام خلا الله وحده عزّ وجلّ والملائكة ينامون، فقلت: يقول الله عزّ وجلّ ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ﴾ قال: أنفاسهم تسبيح[2].

٢٩ - **الخرائج:** بإسناده عن سعد بن عبد الله، عن عبد الله بن عامر، عن العبّاس بن معروف، عن عبد الله بن عبد الرحمن البصريّ، عن أبي المغرا، عن أبي بصير، عن خيثمة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: نحن الذين تختلف الملائكة إلينا، فمنّا من يسمع الصوت، ولا يرى الصورة، وإنّ الملائكة لتزاحمنا على تكآتنا، وإنّا لنأخذ من زغبهم فنجعله سخاباً لأولادنا[3].

بيان: «التكأة» كهمزة ما يتّكأ عليه، قاله الجوهريّ. وقال: السخاب: قلادة تتّخذ من سكّ وغيره ليس فيها من الجوهر شيء، والجمع: سخب.

٣٠ - **الخرائج:** بإسناده عن سعد، عن عبد الله بن عامر، عن الربيع بن الخطّاب، عن جعفر بن بشير، عن أبان بن عثمان، عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ﴾[4] فقال: أما والله لربما وسّدناهم الوسائد في منازلنا. قيل: الملائكة تظهر لكم؟ فقال: هم ألطف بصبياننا منّا بهم. وضرب بيده إلى مساور في البيت فقال: والله لطال ما اتّكأت عليه الملائكة، وربّما التقطنا من زغبها[5].

بيان: في القاموس: المسور كمنبر متّكأ من أدم كالمسورة.

٣١ - **العياشي:** عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ

---

(١) كمال الدين، ص ٢٨٢ ح ٣٨.
(٢) كمال الدين، ص ٦٠٤ باب ٥٨ ح ٨.
(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٥١.
(٤) سورة فصلت، الآية: ٣٠.
(٥) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٥٠.

﴿ٱللَّهِۗ﴾ ثمّ قال: ما من عبد إلاّ ومعه ملكان يحفظانه، فإذا جاء الأمر من عند الله خلّيا بينه وبين أمر الله[١].

٣٢ - **المناقب:** سأل الصادق عليه السلام أبا حنيفة: أين مقعد الكاتبين؟ قال: لا أدري، قال: مقعدهما على الناجذين، والفم الدواة، واللسان القلم، والريق المداد[٢].

بيان: يحتمل أن يكون المراد فم الملك ولسانه وريقه، ولو كان المراد تلك الأعضاء من الإنسان فيمكن أن يكون بمحض تكلّمه ينقش في ألواحهم، فيكون مخصوصاً بالكلام.

٣٣ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير، عن صالح الحذّاء، عن أبي أسامة، قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فقال رجل: ما السنّة في دخول الخلاء؟ قال: يذكر الله ويتعوّذ بالله من الشيطان الرجيم، فإذا فرغت قلت: الحمد لله على ما أخرج منّي من الأذى في يسر وعافية.

قال رجل: فالإنسان يكون على تلك الحال ولا يصير حتى ينظر إلى ما يخرج منه، قال: إنّه ليس في الأرض آدميّ إلاّ ومعه ملكان موكّلان به، فإذا كان على تلك الحال ثنيا برقبته ثمّ قالا: يا ابن آدم انظر إلى ما كنت تكدح له في الدنيا إلى ما هو صائر[٣].

٣٤ - **ومنه:** عن العدّة، عن سهل، عن ابن محبوب، عن عبد الحميد، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا صعد ملكا العبد المريض إلى السماء عند كلّ مساء يقول الربّ تبارك وتعالى: ماذا كتبتما لعبدي في مرضه؟ فيقولان: الشكاية، فيقول: ما أنصفت عبدي إن حبسته في حبس من حبسي ثمّ أمنعه الشكاية، اكتبا لعبدي مثل ما كنتما تكتبان له من الخير في صحّته، ولا تكتبا عليه سيّئة حتى أُطلقه من حبسي فإنّه في حبس من حبسي[٤].

٣٥ - **ومنه:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن أحمد بن محمّد ابن أبي نصر البزنطيّ، عن درست، قال: سمعت أبا إبراهيم عليه السلام يقول: إذا مرض المؤمن أوحى الله عزّ وجلّ إلى صاحب الشمال: لا تكتب على عبدي ما دام في حبسي ووثاقي ذنباً، ويوحي إلى صاحب اليمين أن اكتب لعبدي ما كنت تكتب له في صحّته من الحسنات[٥].

٣٦ - **ومنه:** عن العدّة، عن البرقيّ، عن ابن أبي نجران، عن صفوان الجمّال، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من عاد مريضاً من المسلمين وكّل الله به أبداً سبعين ألفاً من الملائكة يغشون رحله، ويسبّحون فيه، ويقدّسون ويهلّلون ويكبّرون إلى يوم القيامة، نصف صلاتهم لعائد المريض[٦].

---

(١) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٢٠ ح ١٦ من سورة الرعد.
(٢) مناقب ابن شهرآشوب، ج ٤ ص ٢٥٣. (٣) الكافي، ج ٣ ص ٤١ باب ٤٦ ح ٣.
(٤) - (٥) الكافي، ج ٣ ص ٦٠ باب ٧٣ ح ٥ و٧.
(٦) الكافي، ج ٣ ص ٦٤ باب ٧٩ ح ٥.

٣٧ - ومنه: عن العدّة عن أحمد بن محمّد، عن عثمان ين عيسى، عن مهران بن محمّد، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: إنّ الميّت إذا مات بعث الله ملكاً إلى أوجع أهله فمسح على قلبه فأنساه لوعة الحزن، ولولا ذلك لم تعمر الدنيا(١).

٣٨ - ومنه: عن الحسين بن محمّد، عن معلّى بن محمّد، عن الحسن بن عليّ الوشّاء، عن أبان، عن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال جبرئيل: يا رسول الله إنّا لا ندخل بيتاً فيه صورة إنسان، ولا بيتاً يبال فيه، ولا بيتاً فيه كلب(٢).

٣٩ - ومنه: عن عليّ بن إبراهيم بن عمر اليمانيّ، عن جابر، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدّثني جبرئيل أنّ الله عزّ وجلّ أهبط إلى الأرض ملكاً، فأقبل ذلك الملك يمشي حتى وقع إلى باب عليه رجل يستأذن على ربّ الدار، فقال له الملك: ما حاجتك إلى ربّ هذه الدار؟ قال: أخ لي مسلم زرته في الله تبارك وتعالى، قال له الملك: ما جاء بك إلاّ ذاك؟ فقال: ما جاء بي إلاّ ذاك، قال: فإنّي رسول الله إليك، وهو يقرئك السلام ويقول: وجبت لك الجنّة، وقال الملك، إنّ الله عزّ وجلّ يقول: أيّما مسلم زار مسلماً فليس إيّاه زار، إيّاي زار وثوابه عليّ الجنة(٣).

٤٠ - ومنه: عن العدّة، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم، عن إسحاق بن عمّار، عن أبي قرّة، قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: من زار أخاه في الله في مرض أو صحّة لا يأتيه خداعاً ولا استبدالاً وكّل الله به سبعين ألف ملك ينادون في قفاه أن طبت وطابت لك الجنّة، فأنتم زوّار الله وأنتم وفد الرحمن حتى يأتي منزله. فقال له يسير: جعلت فداك، فإن كان المكان بعيداً؟ قال: نعم يا يسير وإن كان المكان مسير سنة، فإنّ الله جواد والملائكة كثير يشيّعونه حتى يرجع إلى منزله(٤).

٤١ - ومنه: عن محمّد بن يحيى، عن محمّد بن الحسين، عن ابن بزيع، عن صالح بن عقبة، عن عبد الله بن محمّد الجعفيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ المؤمن ليخرج إلى أخيه يزوره فيوكّل الله عزّ وجلّ به ملكاً فيضع جناحاً في الأرض وجناحاً في السماء يطلبه، فإذا دخل على منزله نادى الجبّار تبارك وتعالى: أيّها العبد المعظّم لحقّي المتّبع لآثار نبيّي! حقّ عليّ إعظامك، سلني أعطك، ادعني أجبك، اسكت أبتدئك، فإذا انصرف شيّعه الملك يظلّه بجناحه حتى يدخل إلى منزله، ثمّ يناديه تبارك وتعالى: أيّها العبد المعظّم لحقّي! حقّ عليّ إكرامك قد أوجبت لك جنّتي، وشفّعتك في عبادي(٥).

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١١٦ باب ١٥٥ ح ١.

(٢) الكافي، ج ٣ ص ٢٠٣ باب ٢٢٩ ح ٢٦.

(٣) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٢٧ باب زيارة الإخوان ح ٣.

(٤) - (٥) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٢٨ باب زيارة الإخوان ح ٧ و١٢.

٤٢ - ومنه: عن العدّة، عن سهل عن يحيى بن المبارك، عن ابن جبلة، عن إسحاق بن عمّار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله عزّ وجلّ الرحمة عليهما، فكانت تسعة وتسعين لأشدّهما حبّاً لصاحبه، فإذا توافقا غمرتهما الرحمة وإذا قعدا يتحدثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا، فلعلّ لهما سرّاً وقد ستره الله عليهما: فقلت: أليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ فقال: يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإنّ عالم السرّ يسمع ويرى[١].

٤٣ - ومنه: عن العدّة، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن محمّد بن سنان، عن إسحاق بن عمّار، عن الوصافيّ، عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان فيما ناجى الله عزّ وجلّ به موسى عليه السلام قال: يا موسى أكرم السائل ببذل يسير أو بردّ جميل، إنّه يأتيك من ليس بإنس ولا جانّ، ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خوّلتك ويسألونك فيما نوّلتك، فانظر كيف أنت صانع يا ابن عمران[٢].

٤٤ - ومنه: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من كتم صومه قال الله عزّ وجلّ لملائكته: عبدي استجار من عذابي فأجيروه، ووكّل الله عزّ وجلّ ملائكة بالدعاء للصائمين، ولم يأمرهم بالدعاء لأحد إلاّ استجاب لهم فيه[٣].

٤٥ - ومنه: عن عدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد، عن محمّد بن سنان، عن منذر بن يزيد، عن يونس بن ظبيان، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: من صام لله عزّ وجلّ يوماً في شدّة الحرّ فأصابه ظمأ وكّل الله به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشّرونه[٤].

٤٦ - ومنه: عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحسن التيمليّ، عن عليّ بن أسباط، عن رجل من أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إذا كان أيّام الموسم بعث الله ملائكة في صورة الآدميّين يشترون متاع الحاجّ والتجّار، قلت: فما يصنعون؟ قال: يلقونه في البحر[٥].

٤٧ - ومنه: عن العدّة، عن سهل، وعلي بن إبراهيم، عن أبيه، جميعاً عن ابن محبوب، عن داود الرقّي، عن أبي عبد الله عليه السلام قال ليس خلق أكثر من الملائكة إنّه لينزل كلّ ليلة من السماء سبعون ألف ملك، فيطوفون بالبيت الحرام ليلتهم وكذلك في كلّ يوم[٦].

٤٨ - **الاختصاص**: بإسناده عن المعلّى بن محمّد، رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ خلق الملائكة من نور (الخبر)[٧].

---

(١) أصول الكافي، ج ٢ ص ٤٣٠ باب المصافحة ح ١٤.
(٢) الكافي، ج ٤ ص ٣٠٥ باب ١١ ح ٣.
(٣) الكافي، ج ٤ ص ٣٣١ باب ٤٤ ح ١٠.
(٤) الكافي، ج ٤ ص ٣٣٠ باب ٤٤ ح ٨.
(٥) الكافي، ج ٤ ص ٥٧١ باب ٣٣٩ ح ٣٦.
(٦) روضة الكافي، ح ٤٠٢.
(٧) الإختصاص، ص ١٠٩.

٤٩ - ومنه: بإسناده عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: استأذن ملك ربّه أن ينزل إلى الدنيا في صورة آدميّ، فأذن له، فمرّ برجل على باب قوم يسأل عن رجل من أهل الدار، فقال الملك: يا عبد الله أيّ شيء تريد من هذا الرجل الذي تطلبه؟ قال: هو أخ لي في الإسلام أحببته في الله جئت لأسلّم عليه قال: ما بينك وبينه رحم ماسّة، ولا نزعتك إليه حاجة؟ قال: لا، إلاّ الحبّ في الله عزّ وجلّ، فجئت لأسلّم عليه. قال: فإنّي رسول الله إليك، وهو يقول: قد غفرت لك بحبّك إيّاه فيّ[1].

٥٠ - **كتاب الحسين بن سعيد:** عن ابن أبي عمير، عن معاوية بن عمّار، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ في السماء ملكين موكّلين بالعباد فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبّر وضعاه[2].

٥١ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن موسى بن جعفر، عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله أتاني جبرئيل عليه السلام فقال: يا محمّد كيف ننزل عليكم وأنتم لا تستاكون ولا تستنجون بالماء ولا تغسلون براجمكم[3]؟

بيان: قال في النهاية: فيه من الفطرة غسل البراجم. هي العقد التي في ظهور الأصابع يجتمع فيها الوسخ، الواحدة «برجمة» بالضمّ.

٥٢ - **مجالس الشيخ:** عن جماعة عن أبي المفضّل الشيبانيّ، عن محمّد بن جعفر الرزّاز، عن محمود بن عيسى بن عبيد، عن أحمد بن الحسن الميثميّ، عن المفضّل بن صالح، عن جابر الجعفيّ، عن أبي جعفر عن آبائه عليهم السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: لقي ملك رجلاً على باب دار كان ربّها غائباً، فقال له الملك: يا عبد الله ما جاء بك إلى هذه الدار؟ فقال: أخ لي أردت زيارته، قال: ألرحم ماسّة بينك وبينه أم نزعتك إليه حاجة؟ قال: ما بيننا رحم أقرب من رحم الإسلام وما نزعتني إليه حاجة، ولكنّي زرته في الله ربّ العالمين. قال فأبشر فإنّي رسول الله إليك وهو يقرئك السلام ويقول لك: إيّاي قصدت، وما عندي أردت بصنعك، فقد أوجبت لك الجنّة، وعافيتك من غضبي ومن النار حيث أتيته[4].

٥٣ - ومنه: عن جماعة، عن أبي المفضّل، عن عبد الله بن سليمان بن الأشعث عن إسحاق بن إبراهيم النهشلي، عن زكريّا بن يحيى، عن مندل بن عليّ، عن الأعمش، عن ابن جبير، عن ابن عبّاس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله يغدو إليه عليّ عليه السلام في الغداة، وكان يحبّ أن لا يسبقه إليه أحد، فإذا النبيّ صلى الله عليه وآله في صحن الدار وإذا رأسه في حجر دحية بن خليفة الكلبيّ، فقال: السلام عليك كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: بخير يا أخا رسول

---

(١) الإختصاص، ص ٢٢٤.
(٢) كتاب الزهد، ص ٦٢.
(٣) نوادر الراوندي، ص ١٩٢ ح ٣٤٩.
(٤) أمالي الطوسي، ص ٥٦٩ مجلس ٢٦ ح ١٢٣٦.

الله ﷺ فقال علي عليه السلام: جزاك الله عنّا أهل البيت خيراً، قال له دحية: إنّي أحبّك وإنّ لك عندي مديحة أهديها إليك، أنت أمير المؤمنين، وقائد الغرّ المحجّلين، وسيّد ولد آدم إلى يوم القيامة ما خلا النبيّين والمرسلين، ولواء الحمد بيدك يوم القيامة، تزفُّ أنت وشيعتك مع محمّد وحزبه إلى الجنان، فقد أفلح من والاك، وخاب وخسر من خلاّك بحبّ محمّد أحبّوك، وببغضه أبغضوك، لا تنالهم شفاعة محمّد ﷺ ادن من صفوة الله فأخذ رأس النبيّ ﷺ فوضعه في حجره، فانتبه النبيّ ﷺ فقال: ما هذه الهمهمة فأخبره الحديث، فقال: لم يكن دحية، كان جبرئيل، سمّاك باسم سمّاك الله تعالى به، وهو الذي ألقى محبّتك في قلوب المؤمنين، ورهبتك في صدور الكافرين[1].

٥٤ - **العلل:** لمحمّد بن عليّ بن إبراهيم: سئل أبو عبد الله عليه السلام عن الملائكة يأكلون ويشربون وينكحون؟ فقال: لا، إنّهم يعيشون بنسيم العرش، فقيل له: ما العلّة في نومهم؟ فقال: فرقاً بينهم وبين الله عزّ وجلّ، لأنّ الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو الله.

٥٥ - ومنه: قال: العلّة في الصيحة من السماء كيف يعلمها أهل الدنيا والصيحة هي بلسان واحد ولغات الناس تختلف؟ فقال: إنّ في كلّ بلد ملائكة موكّلون، فينادي في كلّ بلد ملك بلسانهم، وكذلك لإبليس شياطين موكّلون بكلّ بلدة ينادون فيهم بلسانهم ولغاتهم: ألا إنّ الأمر لعثمان بن عفّان.

٥٦ - **الإقبال:** في تعقيبات نوافل شهر رمضان وغيرها: وصلّ على جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنّة، وروح القدس والروح الأمين، وحملة عرشك المقرّبين، وعلى منكر ونكير، وعلى الملكين الحافظين، وعلى الكرام الكاتبين[2].

٥٧ - **النهج:** عن نوف البكاليّ، قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: أيّها المتكلّف لوصف ربّك، فصف جبرئيل وميكائيل وجنود الملائكة المقرّبين في حجرات القدس مرجحنّين متوالهة عقولهم أن يحدّوا أحسن الخالقين[3].

بيان: «التكلّف» التجشّم وارتكاب الشيء على مشقّة، وحجرة القوم بالفتح: ناحية دارهم، والجمع حجرات كجمرة وجمرات، وفي بعض النسخ «حجرات» بضمّتين، جمع حجرة بالضمّ وهي الغرفة، وقيل: الموضع المنفرد. وارجحنّ الشيء كاقشعرّ أي مال من ثقله وتحرّك. قال في النهاية: أورد الجوهري هذا الحرف في حرف النون على أن النونين أصليّة، وغيره يجعلهما زائدة من رجح الشيء كمنع إذا ثقل. قال ابن أبي الحديد: أي مائلين إلى جهة التحت خضوعاً لله سبحانه.

---

(١) أمالي الطوسي، ص ٦٠٤ مجلس ٢٧ ح ٢٥٠.
(٢) إقبال الأعمال، ص ٣٢٦. (٣) نهج البلاغة، ص ٣٦٦ خ ١٨٠.

وقال الكيدريّ: الارجحنان الميل، وارجحنّ الشيء اهتزّ (انتهى) ولعلّ المراد بحجرات القدس المواضع المعدّة لهم في السماوات، وهي محلّ القدس والتنزّه عن المعاصي ورذائل الأخلاق. والوله الحزن والحيرة والخوف، و«متولّهة عقولهم» على صيغة اسم الفاعل أي محزونة أو حائرة أو خائفة. وفي بعض النسخ على صيغة اسم المفعول، والأوّل أظهر. «أن يحدوا أحسن الخالقين» أي يدركوه بكنهه أي يدركوا مبلغ قدرته وعلمه، أو مقدار عظمته.

٥٨ - **كتاب النوادر:** لعليّ بن أسباط: عن يعقوب بن سالم الأحمر، عن رجل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا قبض رسول الله صلى الله عليه وآله بات آل محمّد بليلة أطول ليلة ظنّوا أنّهم لا سماء تظلّهم ولا أرض تقلّهم مخافة، لأنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وتر الأقربين والأبعدين في الله، فبينما هم كذلك إذ أتاهم آتٍ لا يرونه ويسمعون كلامه فقال: السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته، في الله عزاء من كل مصيبة ونجاة من كلّ هلكة، ودرك لما فات، إنّ الله اختاركم وفضّلكم وطهّركم وجعلكم أهل بيت نبيّه صلى الله عليه وآله واستودعكم علمه، وأورثكم كتابه، وجعلكم تابوت علمه، وعصا عزّه، وضرب لكم مثلاً من نوره، وعصمكم من الزلل، وآمنكم من الفتن، فاعتزوا بعزاء الله، فإنّ الله لم ينزع منكم رحمته، ولم يُدل منكم عدوّه فأنتم أهل الله الذين بكم تمّت النعمة، واجتمعت الفرقة، وائتلفت الكلمة، وأنتم أولياء الله، من تولاّكم نجا، ومن ظلمكم يزهق، مودّتكم من الله في كتابه واجبة على عباده المؤمنين، والله على نصركم إذا يشاء قدير، فاصبروا لعواقب الأمور فإنّها إلى الله تصير، فقد قبلكم الله من نبيّه صلى الله عليه وآله وديعة، واستودعكم أولياءه المؤمنين في الأرض، فمن أدّى أمانته آتاه الله صدقة، فأنتم الأمانة المستودعة، وهي المودّة الواجبة، ولكم الطاعة المفترضة، وبكم تمّت النعمة، وقد قبض الله نبيّه صلى الله عليه وآله وقد أكمل الله به الدين، وبيّن لكم سبيل المخرج، فلم يترك للجاهل حجّة، فمن تجاهل أو جهل أو أنكر أو نسي أو تناسى فعلى الله حسابه، والله من وراء حوائجكم، فاستعينوا بالله على من ظلمكم، واسألوا الله حوائجكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فسأله يحيى بن أبي القاسم فقال: جعلت فداك، ممّن أتتهم التعزية؟ فقال: من الله عزّ وجلّ [١].

أقول: قد مرّ مثله بأسانيد جمّة في المجلّد السادس، وسيأتي أيضاً في أبواب الجنائز.

٥٩ - **الكافي:** عن الحسين بن محمّد عن معلّى بن محمّد، عن الوشاء، عن محمّد بن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ لله عزّ وجلّ ديكاً رجلاه في الأرض السابعة، وعنقه مثنيّة تحت العرش، وجناحاه في الهواء، إذا كان في نصف الليل أو الثلث الثاني من آخر الليل

(١) الأصول الستة عشر ص ١٢١.

ضرب بجناحه وصاح: سبّوح قدّوس، ربّنا الله الملك الحقّ المبين، فلا إله غيره، ربّ الملائكة والروح. فتضرب الديكة بأجنحتها وتصيح[١].

٦٠ - **الاحتجاج:** في حديث الزنديق الذي سأل أبا عبد الله عليه السلام عن مسائل فأسلم أنّه سأل: ما علّة الملائكة الموكّلين بعباده يكتبون عليهم ولهم والله عالم السرّ وأخفى، فقال عليه السلام: استعبدهم بذلك وجعلهم شهوداً على خلقه لتكون العباد لملازمتهم إيّاهم أشدّ على طاعة الله مواظبة، وعن معصيته أشدّ انقباضاً، وكم من عبد يهمّ بمعصية فذكر مكانها فارعوى وكفّ، ويقول: ربّي يراني وحفظتي عليّ بذلك تشهد. وإنّ الله برأفته ولطفه أيضاً وكّلهم بعباده يذبّون عنهم مردة الشياطين وهوامّ الأرض وآفات كثيرة من حيث لا يرون بإذن الله إلى أن يجيء أمر الله عزّ وجلّ[٢].

بيان: «وكّلهم بعباده» أي جنس الملائكة، أو هذا النوع يعني الكتبة، والأوّل أوفق بسائر الأخبار الدالّة على المغايرة، وإن كان الثاني أنسب بسياق هذا الخبر.

٦١ - **الكافي:** عن محمّد بن أحمد، عن عبد الله بن الصلت، عن يونس، عمّن ذكره، عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبا محمّد! إنّ لله عزّ ذكره ملائكة يسقطون الذنوب عن ظهور شيعتنا كما تسقط الريح الورق من الشجر في أوان سقوطه، وذلك قوله عزّ وجلّ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ والله ما أراد بهذا غيركم[٣].

٦٢ - **دلائل الإمامة للطبريّ:** عن محمّد بن هارون بن موسى، عن أبيه عن محمّد بن همّام، عن أحمد بن الحسين المعروف بابن أبي القاسم، عن أبيه، عن بعض رجاله، عن حسن بن شعيب، عن محمّد بن سنان، عن يونس بن ظبيان، قال: استأذنت على أبي عبد الله عليه السلام فخرج إليّ معتّب فأذن لي فدخلت ولم يدخل معي كما كان يدخل، فلمّا أن صرت في الدار نظرت إلى رجل على صورة أبي عبد الله عليه السلام فسلّمت عليه كما كنت أفعل، قال: من أنت يا هذا؟ لقد وردت على كفر أو إيمان، وكان بين يديه رجلان كأنّ على رؤوسهما الطير، فقال: ادخل فدخلت الدار الثانية، فإذا رجل على صورته وإذا بين يديه خلق كثير كلّهم صورهم واحدة، فقال: من تريد؟ قلت: أريد أبا عبد الله عليه السلام فقال: قد وردت على أمر عظيم إمّا كفر أو إيمان، ثمّ خرج من البيت رجل حين بدأ به البيت فأخذ بيدي فأوقفني على الباب وغشي بصري من النور، فقلت: السّلام عليكم يا بيت الله ونوره وحجابه، فقال: وعليك السّلام يا يونس، فدخلت البيت فإذا بين يديه طائران يحكيان، فكنت أفهم كلام أبي

(١) روضة الكافي، ح ٤٠٦.
(٢) الإحتجاج، ص ٣٦٥.
(٣) روضة الكافي، ح ٤٦٩.

عبد الله عليه السلام ولا أفهم كلامهما، فلمّا خرجا قال: يا يونس سل، نحن محلّ النور في الظلمات، ونحن البيت المعمور الذي من دخله كان آمناً، نحن عترة الله وكبرياؤه، قال: قلت: جعلت فداك، رأيت شيئاً عجيباً، رأيت رجلاً على صورتك، قال: يا يونس، إنّا لا نوصف، ذلك صاحب السماء الثالثة يسأل أن أستأذن الله له أن يصير مع أخ له في السماء الرابعة. قال: فقلت: فهؤلاء الذين في الدار؟ قال: هؤلاء أصحاب القائم من الملائكة، قال: قلت: فهذان؟ قال: جبرئيل وميكائيل نزلا إلى الأرض فلن يصعدا حتى يكون هذا الأمر إن شاء الله، وهم خمسة آلاف يا يونس، بنا أضاءت الأبصار، وسمعت الآذان، ووعت القلوب الإيمان(١).

بيان: «على كفر أو إيمان» أي إن أنكرت ما رأيت كفرت، وإن قبلت آمنت «كأنّ على رؤوسهما الطير» أي لا يتحرّكان.

٦٣ - **الكافي:** عن عليّ، عن أبيه، عن النوفليّ، عن السكونيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ لله ملكاً رجلاه في الأرض السفلى مسيرة خمسمائة عام ورأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة يقول: سبحانك حيث كنت فما أعظمك. قال: فيوحي الله عزّ وجلّ إليه: ما يعلم ذلك من يحلف بي كاذباً(٢).

٦٤ - ومنه: عن عليّ، عن أبيه، ومحمّد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان جميعاً عن ابن أبي عمير، عن إبراهيم بن عبد الحميد، عن شيخ من أصحابنا يكنّى «أبا الحسن» عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى خلق ديكاً أبيض عنقه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة له جناح في المشرق، وجناح في المغرب لا تصيح الديوك حتى يصيح فإذا صاح خفق بجناحه ثمّ قال: [سبحان الله] سبحان الله العظيم الذي ليس كمثله شيء. قال: فيجيبه الله تبارك وتعالى فيقول: لا يحلف بي كاذباً من يعرف ما تقول(٣).

٦٥ - **الدر المنثور للسيوطيّ:** عن أنس، قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ أوّل من لبّى الملائكة. قال الله: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ﴾(٤) قال: فرادوه فأعرض عنهم فطافوا بالعرش ستّ سنين يقولون: لبّيك، لبّيك، اعتذاراً إليك، لبّيك نستغفرك ونتوب إليك(٥).

٦٦ - وعن ابن جبير أنّ عمر سأل النبيّ صلى الله عليه وآله عن صلاة الملائكة فلم يردّ عليه شيئاً، فأتاه جبرئيل، فقال: إنّ أهل السماء الدنيا سجود إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي الملك

(١) دلائل الإمامة، ص ١٢٥.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٧ ص ١٤٤٤ باب ٢٧٠ ح ٥ و١١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ٣٠. (٥) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٦.

والملكوت، وأهل السماء الثانية ركوع إلى يوم القيامة يقولون: سبحان ذي العزّة والجبروت، وأهل السماء الثالثة قيام إلى يوم القيامة يقولون: سبحان الحيّ الذي لا يموت(١).

٦٧ - وعن ابن عبّاس، قال: لمّا تواقف الناس يوم بدر أغمي على رسول الله ﷺ ساعة، ثمّ كشف عنه فبشّر الناس بجبرئيل في جند من الملائكة ميمنة الناس، وميكائيل في جند آخر ميسرة الناس، وإسرافيل في جند آخر، وإبليس قد تصوّر في صورة سراقة بن مالك المدلجيّ يؤيّد المشركين ويخبر أنّه لا غالب لكم اليوم من الناس، فلمّا أبصر عدوّ الله الملائكة نكص على عقبيه وقال: إنّي بريء منكم، إنّي أرى ما لا ترون، فتشبّث به الحرث بن هشام وهو يرى أنّه سراقة لمّا سمع من كلامه، فضرب في صدر الحرث فسقط الحرث وانطلق إبليس لا يرى حتى سقط في البحر، ورفع يديه وقال: يا ربّ موعدك الذي وعدتني(٢).

٦٨ - وعن الحسن في قوله «إني أرى ما لا ترون» قال: رأى جبرئيل عليه السلام معتجراً بردائه يقود الفرس بين يدي أصحابه ما ركبه(٣).

٦٩ - وعن أبي ذرّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إني أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وملك واضع جبهته لله ساجداً والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً، وما تلذّذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله. لوددت أنّي كنت شجرة تعضد(٤).

بيان: «أطّت السماء» قال في النهاية: الأطيط صوت الأقتاب، وأطيط الإبل أصواتها وحنينها، أي إنّ كثرة ما فيها من الملائكة قد أثقلها حتى أطّت. وهذا مثل وإيذان بكثرة الملائكة وإن لم يكن ثَمّ أطيط، وإنّما هو كلام تقريب أريد منه تقرير عظمة الله. وقال: الصعدات: الطرق، جمع صُعُد، وصُعُد جمع صعيد كطريق وطرق وطرقات وقيل: هي جمع «صعدة» كظلمة وهي فناء باب الدار وممرّ الناس بين الأندية (انتهى).

وقال الطيبيّ في شرح هذا الحديث: أي فخرجتم إلى الطرقات والصحارى وممرّ الناس، كفعل المحزون الذي يضيق به المنزل فيطلب الفضاء لبثّ الشكوى وقال في قوله «لوددت أني شجرة تعضد» هو بكلام أبي ذرّ أشبه، والنبيّ ﷺ أعلم بالله من أن يتمنّى عليه حالاً أوضع عمّا هو فيه (انتهى).

وأقول: هو إظهار الخوف منه تعالى، وهو لا ينافي القرب منه سبحانه، بل يؤكّده ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾(٥).

٧٠ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس، قال: جعل الله على ابن آدم حافظين في الليل،

---

(١) الدر المنثور، ج ١ ص ٤٦.
(٢) - (٣) الدر المنثور، ج ٣ ص ١٩٠.
(٤) الدر المنثور، ج ٣ ص ٢٦٥.
(٥) سورة فاطر، الآية: ٢٨.

وحافظين في النهار، يحفظان عمله ويكتبان أثره(١).

٧١ - وعن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله ينهاكم عن التعرّي، فاستحيوا من ملائكة الله الذين معكم الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلاّ عند إحدى ثلاث حاجات: الغائط، والجنابة، والغسل(٢).

٧٢ - وعن رجل من بني تميم قال: كنّا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ ألفاً؟ قلت لا، بل تسعة عشر ملكاً. فقال: ومن أين أنت علمت ذلك؟ قلت: لأنّ الله يقول: ﴿وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ قال: صدقت، هم تسعة عشر ملكاً بيد كلّ ملك منهم مرزبة من حديد لها شعبتان فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين ألفاً، بين منكبي كلّ ملك منهم مسيرة كذا وكذا(٣).

٧٣ - وعن أبي سعيد الخدريّ أنّ رسول الله ﷺ حدّثهم عن ليلة أسري به، قال: فصعدت أنا وجبرئيل إلى السماء الدنيا فإذا أنا بملك يقال له «إسماعيل» وهو صاحب سماء الدنيا، وبين يديه سبعون ألف ملك، مع كلّ ملك جنده مائة ألف، وتلا هذه الآية ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾(٤).

٧٤ - وعن ابن عبّاس، قال: ما أنزل الله على نبيّه آية من القرآن إلاّ ومعه أربعة حفظة من الملائكة يحفظونها حتى يؤدّونها إلى النبيّ ﷺ ثم قرأ ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ يعني الملائكة الأربعة ﴿لِّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَالَاتِ رَبِّهِمْ﴾(٥).

٧٥ - وعن سعيد بن جبير في قوله ﴿فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: أربعة حفظة من الملائكة مع جبرئيل ليعلم محمّد أن قد أبلغوا رسالات ربّهم. قال: وما جاء جبرئيل بالقرآن إلاّ ومعه أربعة من الملائكة حفظة(٦).

٧٦ - وعن الضحّاك بن مزاحم في قوله ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: كان النبيّ ﷺ إذا بعث إليه الملك بعث ملائكة يحرسونه من بين يديه ومن خلفه أن يتشبّه الشيطان على صورة الملك(٧).

٧٧ - وعن ابن عباس في قوله ﴿إِلَّا مَنِ ارْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ قال: هي معقّبات من الملائكة يحفظون النبيّ ﷺ من الشياطين، حتى يتبيّن الذي أرسل إليهم(٨).

٧٨ - وعن سعيد بن جبير ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ قال: الملائكة، ما في السماء موضع إلاّ عليه ملك إمّا ساجد وإمّا قائم حتى تقوم الساعة(٩).

---

(١) - (٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢٣. (٣ - ٤) الدر المنثور ج ٦ ص ٢٨٤.
(٥) - (٨) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٧٥. (٩) الدر المنثور، ج ٥ ص ٢٩٣.

٧٩ - وعن العلا بن سعد، أنّ رسول الله ﷺ قال يوماً لجلسائه: أطّت السماء وحقٌّ لها أن تئطّ، ليس منها موضع قدم إلاّ عليه ملك راكع أو ساجد، ثمّ قرأ ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾(١).

٨٠ - وعن مجاهد ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾ قال: أطّت السماء وما تلام أن تئطّ! إنّ السماء ما فيها موضع شبر إلاّ عليه جبهة ملك أو قدماه(٢).

٨١ - وعن أبي ذرّ، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّي أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون، إنّ السماء أطّت وحقّ لها أن تئطّ! ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ ملك واضع جبهته ساجداً لله(٣).

٨٢ - وعن حكيم بن حزام، قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال: هل تسمعون ما أسمع؟ قلنا: يا رسول الله ما تسمع؟ قال: أطيط السماء، وما تلام أن تئطّ! ما فيها موضع قدم إلاّ وفيه ملك راكع أو ساجد(٤).

٨٣ - **فردوس الأخبار:** عن سعد بن معاذ، قال: قال النبيّ ﷺ نقّوا أفواهكم بالخلال، فإنّها مسكن الملكين الحافظين الكاتبين، وإنّ مدادهما الريق وقلمهما اللسان، وليس شيء أشدّ عليهما من فضل الطعام في الفم(٥).

٨٤ - **سعد السعود:** قال: بعد أن ذكر الملكين الموكّلين بالعبد، وفي رواية أنّهما إذا أرادا النزول صباحاً ومساءً ينسخ لهما إسرافيل عمل العبد من اللوح المحفوظ فيعطيهما ذلك، فإذا صعدا صباحاً ومساءً بديوان العبد قابله إسرافيل بالنسخ التي انتسخ لهما حتى يظهر أنّه كان كما نسخ منه(٦).

تكملة: اعلم أنّه أجمعت الإماميّة بل جميع المسلمين إلاّ من شذّ منهم من المتفلسفين الذين أدخلوا أنفسهم بين المسلمين لتخريب أصولهم وتضييع عقائدهم على وجود الملائكة، وأنّهم أجسام لطيفة نورانيّة أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع وأكثر، قادرون على التشكّل بالأشكال المختلفة، وأنّه سبحانه يورد عليهم بقدرته ما يشاء من الأشكال والصور على حسب الحكم والمصالح، ولهم حركات صعوداً وهبوطاً، وكانوا يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام والقول بتجرّدهم وتأويلهم بالعقول والنفوس الفلكيّة والقوى والطبائع وتأويل الآيات المتظافرة والأخبار المتواترة تعويلاً على شبهات واهية واستبعادات وهميّة زيغ عن سبيل الهدى، واتّباع لأهل الجهل والعمى.

قال المحقّق الدوانيّ في شرح العقائد: الملائكة أجسام لطيفة قادرة على التشكّلات المختلفة، وقال شارح المقاصد: ظاهر الكتاب والسنّة وهو قول أكثر الأمّة أنّ الملائكة

(١) - (٥) الدر المنثور، ج ٥ ص ٢٩٣. (٦) سعد السعود، ص ٢٢٦.

أجسام لطيفة نورانيّة قادرة على التشكّلات بأشكال مختلفة كاملة في العلم والقدرة على الأفعال الشاقّة، شأنها الطاعة، ومسكنها السماوات، هم رسل الله تعالى إلى أنبيائه وأمنائه على وحيه، ﴿يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[1] و﴿لَا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[2].

وقال: الملائكة عند الفلاسفة هم العقول المجرّدة والنفوس الفلكيّة، ويخصّ باسم الكرّوبيّين ما لا تكون له علاقة مع الأجسام ولو بالتأثير، وذهب أصحاب الطلسمات إلى أنّ لكل فلك روحاً كلّيّاً يدبّر أمره، ويتشعّب منه أرواح كثيرة مثلاً للعرش أعني الفلك الأعظم روح يرى أثره في جميع ما في جوفه يسمّى بالنفس الكليّة والروح الأعظم، ويتشعّب منه أرواح كثيرة متعلّقة بأجزاء العرش وأطرافه كما أنّ النفس الناطقة تدبّر أمر بدن الإنسان ولها قوّة طبيعيّة وحيوانيّة ونفسانيّة بحسب كلّ عضو، وعلى هذا يحمل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾[4] وهكذا سائر الأفلاك، وأثبتوا لكلّ درجة روحاً يظهر أثره عند حلول الشمس تلك الدرجة، وكذا لكلّ من الأيّام والساعات والبحار والجبال والمفاوز والعمران وأنواع النبات والحيوانات وغير ذلك، على ما ورد في لسان الشرع من ملك الأرزاق، وملك البحار، وملك الأمطار، وملك الموت، ونحو ذلك. وبالجملة فكما ثبت لكلّ من الأبدان البشريّة نفس مدبّرة فقد أثبتوا لكل نوع من الأنواع بل لكلّ صنف روحاً يدبّره يسمّى بالطبائع التامّ لذلك النوع تحفظه عن الآفات والمخافات، ويظهر أثره في النوع ظهور أثر النفس الإنسانيّة في الشخص (انتهى).

وقال الرازيّ في تفسيره: إنّه لا خلاف بين العقلاء في أنّ أشرف الرتبة للعالم العلويّ هو وجود الملائكة فيه، كما أنّ أشرف الرتبة للعالم السفليّ هو وجود الإنسان فيه، إلاّ أنّ الناس اختلفوا في ماهيّة الملائكة وحقيقتهم، وطريق ضبط المذاهب أن يقال: الملائكة لا بدّ وأن تكون ذوات قائمة بأنفسها، ثمّ إنّ تلك الذوات إمّا أن تكون متحيّزة أو لا تكون، أمّا الأوّل ففيه أقوال: **أحدها**: أنّها أجسام لطيفة هوائيّة تقدر على التشكّل بأشكال مختلفة مسكنها السماوات، وهذا قول أكثر المسلمين.

وثانيها: قول طوائف من عبدة الأوثان، وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي هذه الكواكب الموصوفة بالإسعاد والإنحاس، فإنّها بزعمهم أحياء ناطقة، وأنّ المسعدات منها ملائكة الرحمة، والمنحسات منها هي ملائكة العذاب.

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٢٠.
(٢) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٣) سورة النبأ، الآية: ٢٠.
(٤) سورة الزمر، الآية: ٧٥.

وثالثها: قول معظم المجوس والثنويّة، وهو أنّ هذا العالم مركّب من أصلين أزليّين وهما النور والظلمة، وهما في الحقيقة جوهران شفّافان حسّاسان مختاران قادران متضادّا النفس والصورة مختلفا الفعل والتدبير، فجوهر النور فاضل خير نقيّ طيّب الريح كريم النفس، يسرّ ولا يضرّ، وينفع ولا يمنع، ويحيي ولا يبلي، وجوهر الظلمة على ضدّ ذلك. ثمّ إنّ جوهر النور لم يزل يولد الأولياء وهم الملائكة لا على سبيل التناكح بل على سبيل تولّد الحكمة من الحكيم والضوء من المضيء، وجوهر الظلمة لم يزل يولد الأعداء وهم الشياطين على سبيل تولّد السفه من السفيه لا على سبيل التناكح، فهذه أقوال من جعل الملائكة أشياء متحيّزة جسمانيّة.

القول الثاني: أنّ الملائكة ذوات قائمة بأنفسها وليست بمتحيّزة ولا أجسام، فههنا قولان: **أحدهما**: قول طوائف من النصارى، وهو أنّ الملائكة في الحقيقة هي الأنفس الناطقة بذاتها المفارقة لأبدانها على نعت الصفاء والخيريّة، وذلك لأنّ هذه النفوس المفارقة إن كانت صافية خالصة فهي الملائكة، وإن كانت خبيثة كدرة فهي الشياطين.

وثانيها: قول الفلاسفة وهي أنّها جواهر قائمة بأنفسها ليست بمتحيّزة البتّة، وأنّها بالماهيّة مخالفة لنوع النفوس الناطقة البشريّة، وأنّها أكمل قوّة منها، وأكثر علماً، وأنّها للنفوس البشريّة جارية مجرى الشمس بالنسبة إلى الأضواء ثمّ إنّ هذه الجواهر على قسمين:

منها: ما هي بالنسبة إلى أجرام الأفلاك والكواكب كنفوسنا الناطقة بالنسبة إلى أبداننا، ومنها: ما هي أعلى شأناً من تدبير أجرام الأفلاك بل هي مستغرقة في معرفة الله ومحبّته ومشتغلة بطاعته، وهذا القسم هم الملائكة المقرّبون، ونسبتهم إلى الملائكة الذين يدبّرون السماوات كنسبة أولئك المدبّرين إلى نفوسنا الناطقة فهذان القسمان قد اتّفقت الفلاسفة على إثباتهما. ومنهم: من أثبت أنواعاً أُخر من الملائكة، وهي الملائكة الأرضيّة المدبّرة لأحوال هذا العالم السفلي. ثم إنّ مدبّرات هذا العالم إن كانت خيرات فهم الملائكة، وإن كانت شريرة فهم الشياطين. ثمّ اختلف أهل العلم في أنّه هل يمكن الحكم بوجودها من حيث العقل أو لا سبيل إلى إثباتها إلاّ بالسمع؟ فالفلاسفة على الأوّل.

أقول: ثمّ ذكر بعض دلائلهم فقال: وأمّا الدلائل النقليّة فلا نزاع البتّة بين الأنبياء عليهم السلام في إثبات الملائكة، بل ذلك كالأمر المجمع عليه بينهم. ثمّ ذكر كثرة الملائكة وبعض الأخبار في ذلك، ثمّ قال: رأيت في بعض كتب التذكير أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله حين عرج به رأى الملائكة في موضع بمنزلة سوق بعضهم يمشي تجاه بعض، فسأل رسول الله صلى الله عليه وآله أنّهم إلى أين يذهبون؟ فقال جبرئيل عليه السلام: لا أدري إلاّ أنّي أراهم منذ خلقت، ولا أرى واحداً منهم قد رأيته قبل ذلك، ثمّ سألوا واحداً منهم، وقيل له: منذ كم خلقت؟ فقال: لا أدري غير أنّ الله تعالى يخلق كوكباً في كلّ أربعمائة ألف سنة، فخلق مثل ذلك الكوكب منذ خلقني أربعمائة ألف كوكب.

ثمّ قال: واعلم أنّ الله ذكر في القرآن أصنافهم وأوصافهم، وأمّا الأصناف فأحدها حملة العرش ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ﴾ الآية وثانيها الحافّون حول العرش ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ﴾ الآية وثالثها أكابر الملائكة، فمنهم جبرئيل وميكائيل لقوله ﴿وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ﴾ ثمّ إنّه وصف جبرئيل بأمور:

الأول: أنّه صاحب الوحي إلى الأنبياء ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ﴾

والثاني: أنّه قدّمه على ميكائيل.

والثالث: جعله ثاني نفسه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ﴾.

الرابع: سمّاه روح القدس.

الخامس: ينصر أولياءه ويقهر أعداءه مع آلاف من الملائكة مسوّمين

السادس: أنّه مدحه بصفات ستّة ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ إلى قوله ﴿أَمِينٍ﴾.

ومنهم: إسرافيل صاحب الصور، وعزرائيل قابض الأرواح، وله أعوان عليه.

ورابعها: ملائكة الجنّة ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ الآية.

وخامسها: ملائكة النار ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾ وقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً﴾ ورئيسهم مالك ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ وأسماء جملتهم «الزبانية» ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

وسادسها: الموكّلون ببني آدم لقوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ (١٧) مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ (١٨)﴾ وقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ﴾ الآية. وقوله ﴿وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً﴾.

وثامنها: الموكّلون بأحوال هذا العالم ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا﴾ وقوله ﴿فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا﴾.

وعن ابن عباس قال: إنّ لله ملائكة سوى الحفظة يكتبون ما يسقط من ورق الشجر، فإذا أصاب أحدكم عجزة بأرض فلاة فليناد: أعينوا عباد الله رحمكم الله.

وأمّا أوصاف الملائكة فمن وجوه:

أحدها: أنّهم رسل الله ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾ وقوله: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا﴾.

وثانيها: قربهم من الله بالشرف وهو المراد من قوله سبحانه: ﴿وَمَنْ عِندَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ وقوله ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ **وثالثها:** وصف طاعاتهم، وذلك من وجوه:

الأول: قوله تعالى حكاية عنهم: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ وقولهم ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ (١٦٥) وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ (١٦٦)﴾ والله تعالى ما كذبهم في ذلك.

الثاني: مبادرتهم إلى امتثال أمر الله، وهو قوله ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ﴾.

الثالث: أنهم لا يفعلون إلاّ بوحيه وأمره وهو قوله تعالى: ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾. **ورابعها:** وصف قدرتهم وذلك بوجوه:

الأول: أنّ حملة العرش وهم ثمانية يحملون العرش والكرسيّ الذي هو أصغر من العرش أعظم من جملة السماوات السبع لقوله تعالى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾.

الثاني: أنّ علوّ العرش شيء لا يحيط به الوهم، ويدلّ عليه قوله تعالى: ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ ثمّ إنّهم لشدّة قدرتهم ينزلون منه في لحظة واحدة.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ﴾ الآية. فصاحب الصور بلغ في القوّة إلى حيث إنه بنفخة واحدة منه يصعق من في السموات والأرض، وبالثانية منه يعودون أحياءاً.

الرابع: أنّ جبرئيل بلغ من قوّته أن قلع جبال آل لوط وبلادهم دفعة واحدة.

وخامسها: وصف خوفهم ويدلّ عليه بوجوه:

الأول: أنّهم مع كثرة عبادتهم وعدم إقدامهم على الزلاّت يكونون خائفين وجلين حتى كأنّ عباداتهم معاصٍ قال تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ وقال: ﴿هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾.

الثاني: قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ الآية، روي في التفسير أنّ الله تعالى إذا تكلّم بالوحي سمعه أهل السماوات مثل صوت السلسلة على الصفوان، ففزعوا، فإذا انقضى الوحي قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم؟ قالوا الحقّ وهو العليّ الكبير.

الثالث: روى البيهقيّ في شعب الإيمان عن ابن عبّاس قال: بينما رسول الله ﷺ بناحية ومعه جبرئيل عليه السلام إذ انشقّ أفق السماء فأقبل جبرئيل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض إلى آخر ما سيأتي برواية السيوطيّ في الباب الآتي (انتهى)(١).

وأقول: وإن قال في أوّل كلامه إنّ أكثر المسلمين قالوا بتجسّم الملائكة لكن يظهر من آخر كلامه أنّ المخالف في ذلك ليس إلاّ النصارى والفلاسفة الذين لم يؤمنوا بشريعة، وتكلّموا في جميع أمورهم على آرائهم السخيفة، وعقولهم الضعيفة.

وأقول: سئل المرتضى: نزول جبرئيل بالوحي في صورة دحية الكلبيّ كيف كان يتصوّر بغير صورته؟ هو القادر عليها أو القديم تعالى يشكّل صورة وليست صورة جبرئيل؟ فإن كان الذي يسمع من القرآن من صورة غير جبرئيل فيه ما فيه، وإن كان من جبرئيل فكيف يتصوّر بصورة البشر؟ وهذه القدرة قد رويت أنّ إبليس يتصوّر وكذلك الجنّ، أريد أن توضح أمر ذلك، وما كان يسمعه جبرئيل من الوحي من البارئ تعالى أو من حجاب وكيف كان يبلغه؟ وهل جبرئيل يعلم من صفات البارئ أكثر ممّا نعلمه أو مثله؟ وأين محلّه من السماء؟ وهل القديم إذا خطر ببال جبرئيل يكون متحيّراً فيه مثلنا، ويكون سبحانه لا تدركه الأوهام أو ميزه علينا وجميع الملائكة أيضاً.

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١ ص ٦٠-١٦٤.

فأجاب رحمه الله بأنّ نزول جبرئيل بصورة دحية كان بمسألة من النبيّ صلى الله عليه وآله تعالى في ذلك، فأمّا تصوّره فليس بقدرته، بل الله يصوّره كذلك صورة حقيقية لا تشكيل، والذي كان يسمعه النبيّ صلى الله عليه وآله من القرآن كان من جبرئيل في الحقيقة، وأمّا إبليس والجنّ فليس يقدرون على التصوّر، وكلّ قادر بقدرة فحكمهم سواء في أنّهم لا يصحُّ أن يصوّروا نفوسهم، بل إن اقتضت المصلحة أن يتصوّر بعضهم بصورة صوّره الله للمصلحة، فأمّا جبرئيل عليه السلام وسماعه الوحي فيجوز أن يكلّمه الله بكلام يسمعه فيتعلّمه، ويجوز أن يقرأه من اللوح المحفوظ فأمّا ما يعلم جبرئيل من صفات الله فطريقه الدليل، وهو والعلماء فيه واحد، فأمّا محلّه من السماء فقد روي أنّه في السماء الرابعة، فأمّا ما يخطر بباله فلا يجوز أن يتحيّر فيه، لأنّ جبرئيل معصوم لا يصحّ أن يفعل قبيحاً (انتهى) وفي بعض ما أفاده نظر لا يخفى على المتأمّل.

وسئل رحمه الله أيضاً: إذا حصل أهل الجنّة في الجنّة ما حكم الملائكة؟ هل يكونون في جنّة بني آدم أو غيرها؟ وهل يراهم البشر؟ وهم يأكلون ويشربون مثل البشر أو تسبيح وتقديس؟ وهل يسقط عنهم التكليف؟ وكذلك الجنّ.

فأجاب رحمه الله: أنّه يجوز أن يكونوا في الجنّة مع بني آدم، ويجوز أن يكونوا في جنّة سواها، فإنّ الجنان كثيرة جنّة الخلد، وجنّة عدن، وجنّة المأوى، وغير ذلك ممّا لم يذكره الله تعالى. فأمّا رؤية البشر لهم فلا يصلح إلاّ على أحد وجهين: إمّا أن يقوّي الله تعالى شعاع بصر البشر، أو يكثف الملائكة. فأمّا الأكل والشرب فتجوز، والله تعالى يثيبهم بما فيه لذّتهم، فإن جعل لذّتهم في الأكل والشرب جاز. وأمّا التكليف فإنّه يسقط عنهم، لأنّه لا يصحّ أن يكونوا مكلّفين مثابين في حالة واحدة. والكلام في الجنّ يجري هذا المجرى[1].

وقال الشيخ المفيد رحمه الله في كتاب المقالات: القول في سماع الأئمّة عليهم السلام كلام الملائكة الكرام وإن كانوا لا يرون منهم الأشخاص. وأقول بجواز هذا من جهة العقل، وأنّه ليس بممتنع في الصدّيقين من الشيعة المعصومين من الضلال، وقد جاءت بصحّته وكونه في الأئمّة عليهم السلام وكذا سمّيت من شيعتهم الصالحين الأبرار الأخيار واضحة الحجّة والبرهان. وهو مذهب فقهاء الإمامية وأصحاب الآثار منهم. وقد أباه بنو نوبخت وجماعة من أهل الإمامة لا معرفة لهم بالأخبار، ولم يمعنوا النظر، ولا سلكوا طريق الصواب[2].

وقال رحمه الله: في رؤية المحتضر الملائكة جائز من أن يراهم ببصره بأن يزيد الله تعالى في شعاعه ما يدرك به أجسامهم الشفّافة الرقيقة[3].

وقال: القول في نزول الملكين على أصحاب القبور ومساءلتهما الاعتقاد: وأقول: إنّ

(١) رسائل الشريف المرتضى، ج ٤ ص ٢٦-٣٥. (٢) أوائل المقالات، ص ٦٩.
(٣) أوائل المقالات، ص ٧٥-٧٦.

ذلك صحيح وعليه إجماع الشيعة وأصحاب الحديث. وتفسير مجمله أنّ الله تعالى ينزل على من يريد تنعيمه بعد الموت ملكين اسمهما مبشّر وبشير، فيسألانه عن ربّه جلّت عظمته وعن نبيّه ووليّه عليه السلام فيجيبهما بالحقّ الذي فارق الدنيا على اعتقاده والصواب، ويكون الغرض في مساءلتهما استخراج العلامة بما يستحقّه من النعيم، فيجد لذّتها منه في الجواب، ويُنزل جلّ جلاله على من يريد تعذيبه في البرزخ ملكين اسمهما ناكر ونكير، فيوكّلهما بعذابه، ويكون الغرض في مساءلتهما له استخراج علامة استحقاقه من العقاب بما يظهر في جوابه من التلجلج عن الحقّ، أو الخبر عن سوء الاعتقاد، أو إبلاسه وعجزه عن الجواب. وليس ينزل الملكان من أصحاب القبور إلاّ على ما ذكرناه[1].

وأمّا ما ذكره السيّد الداماد رحمه الله تبعاً للفلاسفة حيث قال: من الدائر على الألسن أنّ وصف القرآن بالنزول التي لا يتّصف به إلاّ المتحيّز بالذات دون الأعراض وسيّما غير القارّات كالأصوات إنّما هو بتبعيّة محلّه، سواء أخذ حروفاً ملفوظة، أو معاني محفوظة، وهو الملك الذي يتلقّف الكلام من جناب الملك العلاّم تلقّفاً سماعيّاً، أو يتلقّاه تلقّياً روحانيّاً، أو يتحفّظه من اللوح المحفوظ ثمّ ينزل به على الرسول، ولا يتمشّى هذا النمط إلاّ على القول بتجسّم الملائكة. وإنّما الخارجون عن دائرة التحصيل ممشاهم ذلك، فأمّا ما هو صريح الحقّ وعليه الحكماء الإلهيّون والمحصّلون من أهل الإسلام أنّ الملائكة على قبائل سفليّة وعلويّة أرضيّة وسماويّة، جسمانيّة وقدسانيّة، وفي القبائل شعوب وطبقات، كالقوى المنطبعة، والطبائع الجوهريّة، وأرباب الأنواع، والنفوس المفارقة السماويّة والجواهر العقليّة القادسيّة بطبقات أنواعها وأنوارها، ومنها روح القدس النازل بالوحي النافث في أرواح أولي القوّة القدسيّة بإذن الله سبحانه ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾[2] وفي الحديث عنه عليه السلام «أطّت السماء وحقّ لها أن تئطّ، ما فيها موضع قدم إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع» فالأمر غير خفيّ، اللهمّ إلاّ أن يسمّى ظهورهم العقلانيّ لنفوس الأنبياء عليهم السلام نزولاً، تشبيهاً للهيولى العقليّ والاعتلاق الروحانيّ بالنزول الحسّي والاتّصال المكانيّ، فيكون قولنا نزول الملك استعارة تبعيّة، وقولنا نزل الفرقان مجازاً مرسلاً بتبعيّة تلك الاستعارة التبعيّة.

قلت: لا يطمئنّ منّي أحد من الناس أن أستصحّ ذلك بجهة من الجهات، وإنّ فيه شقّاً لعصا الأمّة بفرقها المفترقة، وأحاديثها المتواترة، وخرقاً للقوانين العقليّة الفلسفيّة، ونسخاً للضوابط المقرّرة البيانيّة، فالأمّة مطبقة على أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله يرى جبرئيل عليه السلام وملائكة الله المقرّبين ببصره الجسماني، ويسمع كلام الله الكريم على لسانهم القدسيّ بسمعه الجسمانيّ، وقوائم الحكمة قائمة بالقسط أنّه إنّما ملاك الرؤية البشريّة والإبصار الحسّيّ انطباع الصورة في الحسّ المشترك وإنّما المبصَر المرئيّ بالحقيقة من الشيء الماثل بين يدي الحسّ الصورة

(١) أوائل المقالات، ص ٧٥-٧٦. (٢) سورة المدثر، الآية: ٣١.

الذهنيّة المنطبعة، وأمّا ذو الصورة بهويّته العينيّة ومادّته الخارجيّة فمبصَر بالعرض، مرئيّ بالمجاز، وإن كان مثوله العينيّ شرط الإبصار، والجليديّتان هما مسلكا التأدية لا لوحا الانطباع، وعلى هذه السنّة شاكلة السمع أيضاً، والإفاضة مطلقاً من تلقاء واهب الصور فإذا كانت النفس واغلة الهمّة في الجنبة الجسدانيّة، طفيفة الانجذاب إلى صقع الحقّ وعالم القدس لم يكن لنبطاسياها سبيل إلى التطبّع بالصورة من تلقاء واهب الصور إلاّ من مسلك الحاسّة الظاهرة، ومثول المادة الخارجيّة بين يديها، فأمّا إذا كانت قدسيّة الفطرة، مستنيرة الغريزة في جوهر جبلّتها المفطورة ثمّ في سجيّتها المكسوبة، صارت نقيّة الجوهر، طاهرة الذات، أكيدة العلاقة بعالم العقل، شديدة الاستحقاق لعالم الحسّ قاهرة الملكة، قويّة المنّة على خلع البدن ورفض الحواسّ، والانصراف إلى صقع القدس حيث شاءت ومتى شاءت بإذن ربّها، وقوّتها المتخيّلة أيضاً قليلة الإنغماس في جانب الظاهر، قويّة التلقي من عالم الغيب، فإنّها تخلص من شركة الطبيعة، وتعزل اللحظ عن الجسد في اليقظة فترجع إلى عالمها، وتتّصل بروح القدس، وبمن شاء الله من الملائكة المقرّبين، وتستفيد من هنالك العلم والحكمة بالانتقاش على سبيل الرشح كمرآة مجلوّة حوذي بها شطر الشمس، ولكن حيث إنّها يومئذ في دارغربيتها بعد بالطبع، ولم تنسلخ عن علاقتها الطبيعيّة بتدبّر جيوشها الجسديّة، وأمورها البدنيّة، تكون مثلها فيما تناله بحسب ذلك الشأن وتلك الدرجة تحوّل الملك لها على صورة مادّيّة متمثّلة في شبح بشريّ ينطق بكلمات إلهيّة مسموعة منظومة، كما قال عزّ من قائل ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾[1] وأعني بذلك ارتسام الصورة في لوح الانطباع لا من سبيل الظاهر والأخذ عن مادّة خارجيّة، بل بالانحدار إليه من الباطن، والحصول عن صقع الإفاضة، فإذن في السماع والإبصار المشهوريّين يرتفع المسموع والمبصر من الموادّ الخارجيّة إلى لوح الانطباع، ثمّ منه إلى الخيال والمتخيّلة ثمّ يصعد الأمر إلى النفس العاقلة، وفي إبصار الملك وسماع الوحي وهما الإبصار والسماع الصريحان ينعكس الشأن، فينزل الفيض إلى النفس من عالم الأمر، فهي تطالع شيئاً من الملكوت مجرّدة غير مستصحبة لقوّة خياليّة أو وهميّة أو غيرهما ثمّ يفيض عن النفس إلى القوّة الخياليّة، فتخيّله مفصّلاً منضمّاً بعبارة منظومة مسموعة، فتمثّل لها الصورة في الخيال من صقع الرحمة وعالم الإفاضة، ثمّ تنحدر الصورة المتمثّلة والعبارة المنتظمة من الخيال والمتخيّلة إلى لوح الانطباع، وهو الحسّ المشترك، فتسمع الكلام، وتبصر الصورة، فهذا أفضل ضروب الوحي والإيحاء، ويقال إنّه مخاطبة العقل الفعّال للنفس بألفاظ مسموعة مفصّلة، وله أنحاء مختلفة، ومراتب متفاضلة، بحسب درجات للنفس متفاوتة، وقد يكون في بعض درجاته لا يتخصّص المسموع والمبصر بجهة من جهات العالم بخصوصها، بل

(١) سورة مريم، الآية: ١٧.

الأمر يعمّ الجهات بأسرها في حالة واحدة. وفي الحديث أنّ الحارث بن هشام سأل رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ قال: أحياناً يأتي مثل صلصلة الجرس وهو أشدُّ عليَّ فيفصم عنّي وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يمثّل إليّ الملك رجلاً فيكلّمني، فأعي ما يقول. وربما تكون النفس المتنوّرة صقالتها في بعض الأحايين أتمّ، وسلطانها على قهر الصوارف الجسدانيّة والشواغل الهيولانيّة أعظم، فيكون عند الانصراف عن عالم الحسّ والاتّصال بروح القدس واستئناسها بجوهر ذاته المجرّدة (أعظم ظ) منه بالشبح المتمثّل فتشاهده ببصر ذاته العاقلة، ويستفيد منه وهو في صورته القدسيّة كما ورد في الحديث أنّ جبرئيل أتى النبيّ ﷺ مرّة في صورته الخاصّة كأنّه طبق الخافقين. ثمّ دون هذه الضروب لسائر درجاته ما يتّفق له من القوّة القدسيّة نصيب مرتبة النبوّة أن يرى ملائكة الله ويسمع كلام الله ولكن في النوم لا في اليقظة. وسبيل القول فيه أيضاً ما دريت، إلاّ أنّ الأمر هناك ينتهي إلى القوّة المتخيّلة ويقف عندها بمحاكاتها وتنظيمها وتفصيلها لما قد طالعته النفس من عالم الملكوت، من دون انحدار الصورة المتمثّلة والعبارة المنتظمة منها إلى الحسّ المشترك. فأمّا الرؤيا الصالحة لنفوس العرفاء والصالحين فواقعة في هذا الطريق، غير واصلة إلى درجة النبوّة وبلوغ الغاية. وفي الحديث أنّها جزء من ستّة وأربعين أو سبعين جزءاً من النبوّة، على اختلافات الروايات، وقصاراها في مرتبة الكمال وأقصاها للمحدَّثين - بالفتح على البناء للمفعول من التحديث - وهم الذين يرفضون عالم الشهادة ويصعدون إلى عالم الغيب، فربما يسمعون الصوت في اليقظة عن سبيل الباطن، ولكنّهم لا يعاينون شخصاً متشبّحاً. وفي كتاب الحجّة من كتاب الكافي لشيخ الدين أبي جعفر الكليني رحمه الله باب في الفرق بين الرسول والنبيّ ﷺ والمحدّث، وأنّ الأئمّة عليهم السلام محدّثون مفهّمون. وإذ قد انصرح لك من المسألة من سبيلها فقد استبان أنّ قولنا «نزل الملك» مجاز عقليّ مستعمل طرفاه في معنييهما الحقيقيّين والتجوّز فيه في الإسناد، إذ النزول حقيقة منسوب إلى الصورة المتشبّحة المتمثّلة وقد أسند بالعرض إلى الجوهر المجرّد القدسيّ وهو الملك، وليس هو من الاستعارة في شيء أصلاً، كما قولنا «تحرّك جالس السفينة» وقولنا: «أنا متحرّك» و «أنا ساكن» وقولنا «رأيت زيداً» إذا عنينا به شخصه الموجود في الخارج بهويّته العينيّة لا صورته الذهنيّة المرئيّة المنطبعة في الحسّ المشترك وسائر المقولات في وجود الاتصافات بالعرض كلّها على هذه الشاكلة. وأمّا ﴿نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ﴾ فمجاز مرسل لاتّباعه استعارة تبعيّة، بل من حيث إنّ النازل على الحقيقة محلّه وهو تلك الصورة البشريّة المتشبّحة النازلة أو تجوّز عقلي لا في شيء من الطرفين بل في الإسناد، على أنّ الأصوات والحروف والألفاظ ليست أعراضاً حالّة في لسان المتكلّم، بل هي تقطيعات عارضة للهواء من تلقاء حركة اللسان.

إن قلت: بنيت الأمر فيما أفدت على القول بالانطباع في باب الرؤية، فما سبيل القول هنالك على المذهبين الآخرين وهما خروج الشعاع أي في فيضانه من المبدأ الفيّاض منبثّاً في

الهواء المتوسّط بين الجليديّة وسطح المرئيّ على هيئة المخروط وحصول الإفاضة الإشراقيّة للنفس المستوجبة للإنكشاف الإبصاريّ ما دامت المقابلة بين المرئيّ والجليديّة على تلك الهيئة.

قلت: لست أكترث لذلك، إذا إنّما يسمّى ذلك الخلاف وتثليث القول في الموادّ الخارجيّة والرؤية من مسلك الجليديّة، ومن مذهب الظاهر، لا في الإبصار من سبيل الباطن ومذهب الغيب من دون الأخذ من مادّة خارجيّة. ثمّ الآراء الثلاثة متحاذية الأقدام في تطابق اللوازم واتّحاد الأحكام، حذو القذّة بالقذّة. والسواد الأعظم على مسلك الانطباع، ويشبه أن يكون الحقّ لا يتعدّاه، وما يتجشّمه فرق من فرق الإفاضة الإشراقيّة من إثبات صور معلّقة خياليّة في عالم معلّق مثالي ليستتبّ الأمر في صور المرايا والصور الخياليّة وأمور الإيحاءات ومواعيد النبوّات. قلت: لا أجد لاتّجاه البرهان إليه مساقاً، بل أجده بتماثيل الصوفيّة أشبه منه بقوانين الحكماء، وحقّ القول الفصل فيه على ذمّة كتبنا البرهانيّة (انتهى).

فلعلّه رحمه الله حاول تحقيق الأمر على مذاق المتفلسفين، ومزج رحيق الحقّ بمموهات آراء المنحرفين عن طرق الشرع المبين، مع تباين السبيلين، ووضوح الحقّ من البين، وقد اتّضح بما أسلفنا صريح الأمر لذي عينين، وسنذكر ما يكشف أغشية الشبه رأساً عن العين.

٨٥ - **أقول:** روينا بإسنادنا عن الحسن بن محمّد بن إسماعيل بن أشناس البزّاز عن محمّد ابن عبد الله بن المطّلب الشيبانيّ، عن جعفر بن محمّد بن جعفر العلويّ عن عبد الله بن عمر بن الخطّاب الزيّات، عن خاله عليّ بن نعمان الأعلم، عن عمير بن المتوكّل الثقفي البلخيّ، عن أبيه المتوكّل بن هارون، عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام عن أبيه الباقر، عن جدّه، عليّ بن الحسين عليه السلام. وبإسنادنا عن محمّد بن أحمد بن عليّ بن الحسن بن شاذان عن أحمد بن محمّد بن عيّاش الجوهريّ عن الحسن بن محمّد بن يحيى بن الحسن المعروف بابن أبي طاهر العلويّ، عن محمّد بن مطهّر الكاتب، عن أبيه عن محمّد بن شلقان المصريّ، عن عليّ بن النعمان - إلى آخر السند المتقدّم قال: وكان من دعائه عليه السلام في الصلاة على حملة العرش وكلّ ملك مقرّب: اللهمّ وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك، ولا يسأمون من تقديسك، ولا يستحسرون عن عبادتك، ولا يؤثرون التقصير على الجدّ في أمرك، ولا يغفلون عن الوله إليك وإسرافيل صاحب الصور الشاخص الذي ينتظر منك الإذن، وحلول الأمر، فينبّه بالنفخة صرعى رهائن القبور، وميكائيل ذو الجاه عندك، والمكان الرفيع من طاعتك وجبريل الأمين على وحيك، المطاع في أهل سماواتك، المكين لديك، المقرّب عندك، والروح الذي هو على ملائكة الحجب، والروح الذي هو من أمرك. اللهمّ فصلّ عليهم وعلى الملائكة الذين من دونهم، من سكّان سماواتك، وأهل الأمانة على رسالاتك، والذين لا يدخلهم سأمة من دؤوب، ولا إعياء من لغوب، ولا فتور، ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات، ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات الخشّع الأبصار فلا يرومون

النظر إليك، النواكس الأعناق الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك، المستهترون بذكر آلائك، والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك، والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنّم تزفر على أهل معصيتك: سبحانك ما عبدناك حقّ عبادتك فصلّ عليهم وعلى الروحانيّين من ملائكتك، وأهل الزلفة عندك، وحملة الغيب إلى رسلك، والمؤتمنين على وحيك، وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك، وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك، وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك. والذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك، وخزّان المطر، وزواجر السحاب، والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود، وإذا سبحت به خفيفة السحاب التمعت صواعق البروق، ومشيّعي الثلج والبرد، والهابطين مع قطر المطر إذا نزل، والقوّام على خزائن الرياح، والموكّلين بالجبال فلا تزول، والذين عرّفتهم مثاقيل المياه، وكيل ما تحويه لواعج الأمطار وعوالجها ورسلك من الملائكة إلى أهل الأرض بمكروه ما ينزل من البلاء، ومحبوب الرخاء والسفرة الكرام البررة، والحفظة الكرام الكاتبين، وملك الموت وأعوانه، ومنكر ونكير، ومبشّر وبشير ورومان فتّان القبور، والطائفين بالبيت المعمور ومالك والخزنة، ورضوان وسدنة الجنان والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، والذين يقولون: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ والزبانية الذين إذا قيل لهم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ ابتدروه سراعاً ولم ينظروه، ومن أوهمنا ذكره ولم نعلم مكانه منك وبأيّ أمر وكّلته، وسكّان الهواء والأرض والماء، ومن منهم على الخلق، فصلّ عليهم يوم تأتي كلّ نفس معها سائق وشهيد، وصلّ عليهم صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم، وطهارة على طهارتهم. اللهمّ وإذا صلّيت على ملائكتك ورسلك وبلّغتهم صلواتنا عليهم فصلّ علينا بما فتحت لنا من حسن القول فيهم، إنّك جواد كريم[1].

تبيان: أقول: الدعاء مرويّ برواية الحسنيّ أيضاً في الصحيفة الشريفة الكاملة المشهورة، ورواية الشيخ ورواية المطهّريّ كما فصّلناه في آخر المجلّدات ولنوضحه بعض الإيضاح وإن استقصينا الكلام في شرحه في الفرائد الطريفة. «اللهم وحملة عرشك الذين لا يفترون من تسبيحك» وفي رواية الحسنيّ «عن تسبيحك» والواو في قوله «وحملة» للعطف على الجمل المتقدّمة في الدعاء السابق أومن قبيل عطف القصّة على القصّة. وقيل: زائدة، وقيل: استئنافيّة وقيل: عطف بحسب المعنى على قوله «اللهمّ» فإنّه أيضاً جملة لأنّه بتأويل «أدعوك» ولا يخفى بعد ما سوى الأوّلين، وقوله «وحملة» مبتدأ، وخبره مقدّر، أي «هم مستحقّون لأن نصلّي عليهم» ويحتمل أن يكون «فصلّ عليهم» خبراً بتأويل مقول في حقّه، فدخول الفاء إمّا على مذهب الأخفش حيث جوّز دخول الفاء على الخبر مطلقاً، أو بتقدير «أمّا» أو باعتبار الاكتفاء بكون صفة المبتدأ موصولاً، ويحتمل أن يكون الموصول خبراً لا صفة، وكذا «صاحب» في الثاني و «ذو الجاه» في الثالث «والأمين» في الرابع. وكذا

---

(١) الصحيفة السجادية، ص ٤٢.

الموصول في الأخيرين، أو يقدّر فيهما بقرينة ما سبقهما «هما مقرّبان عندك» وقد مضى الكلام في معاني العرش وحملته وإن كان الأظهر هنا كون المراد بالعرش الجسم العظيم وبحملته الملائكة الذين يحملونه والفتور الانكسار والضعف. «ولا يسأمون من تقديسك» سئم من الشيء - كعلم - ملّ أي لا يحصل لهم من التسبيح والتقديس سأمة وملال، بل يتقوّون بهما كما مرّ، والتسبيح والتقديس كلاهما بمعنى التنزيه عن العيوب والنقائص. ويمكن حمل الأوّل على تنزيه الذات والثاني على تنزيه الصفات والأفعال، ويحتمل وجوهاً أخر. «ولا يستحسرون عن عبادتك» الاستحسار استفعال من «حسر» إذا أعيا وتعب، وعدم ملالهم لشدّة شوقهم، وكون خلقتهم خلقة لا يحصل بها لهم الملال بكثرة الأعمال. «ولا يؤثرون التقصير على الجدّ في أمرك» الإيثار الاختيار والجدّ - بالكسر - الاجتهاد والسعي «ولا يغفلون عن الوله إليك» الوله - محرّكة - الحزن، أو ذهاب العقل حزناً، والحيرة والخوف. ولعلّ المراد هنا التحيّر في غرائب خلقه سبحانه، أو لشدّة حبّهم له تعالى، أو للخوف منه جلّ وعلا. والأوسط لعلّه أظهر.

وإسرافيل هو ملك موكّل بنفخ الصور، والصور هو قرنه الذي ينفخ فيه كما قال سبحانه ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾[2] وقد مرّ تفصيله في كتاب المعاد.

«الشاخص الذي ينتظر منك الإذن» أي شخص ببصره، لا يطرف من يوم خلقته انتظاراً لما سوف يؤمر به بعد انقضاء أمر الدنيا، والمرتفع المادّ عنقه لذلك أو الرفيع الشأن والأوّل أظهر. قال الفيروزآباديّ: شخص كمنع شخوصاً: ارتفع، وبصره: فتح عينيه وجعل لا يطرف، وبصره: رفعه. والإذن في النفخ والأمر أيضاً فيه، أو المراد أمر القيامة «فينبه بالنفخة صرعى رهائن القبور» في القاموس: الصرع: الطرح على الأرض، وكأمير: المصروع، والجمع صرعى (انتهى) والصريع يطلق على الميّت، وعلى المقتول، لأنّهما يطرحان على الأرض وفي القاموس: الرهن: ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ منك، وكلّ ما احتسب به شيء فرهينة، وراهن الميّت القبر ضمنه إيّاه والرهينة كسفينة واحد الرهائن.

أقول: يمكن أن يكون المراد برهائن القبور مودعاتها أي الذين أقاموهم فيها إلى يوم البعث، أو من ارتهن بعمله في القبر كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ وروي عن النبيّ ﷺ إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكّوها باستغفاركم. ومثله في الأخبار كثير، فيكون من قبيل الإضافة إلى الظرف لا إلى المفعول كقولهم «يا سارق الليلة أهل الدار» وكما قيل في ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ أي مالك الأشياء يوم الدين. ثمّ اعلم أنّ أكثر نسخ الصحيفة

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٦٨.
(٢) سورة يس، الآية: ٥٣.

متّفقة على نصب «الرهائن» فهم إمّا بدل عن «صرعى» أوحال أو بيان أو صفة، لأنّ الإضافة لفظيّة. وفي رواية «ابن أشناس» بالجرّ بالإضافة، والأوّل أصوب. ثمّ إنّه عليه السلام اقتصر على ذكر النفخة الثانية لأنّه أشدّ وأفظع لاتّصالها بالقيامة واحتمال كون الكلام مشتملاً عليهما بأن يكون في الإذن والأمر إشارة إلى الأولى وقوله «فينبّه» إلى الثانية في غاية البعد.

وميكائيل هو من عظماء الملائكة، وروي أنّه رئيس الملائكة الموكّلين بأرزاق الخلق كملائكة السحب والرعود والبروق والرياح والأمطار وغير ذلك وفي اسمه لغات قال الزمخشريّ: قرئ «ميكال» بوزن قنطار، و«ميكائيل» بوزن «ميكاعيل» و «ميكئيل» كميكعيل و«ميكائل» كميكاعل و «ميكئل» كميكعل. قال ابن جنّي: العرب إذا نطقت بالعجميّ خلطت فيه (انتهى) والجاه: القدر والمنزلة «والمكان الرفيع من طاعتك» لعلّ المراد بالمكان المكانة والمنزلة، وبالرفعة العلوّ المعنويّ و(مِن) ابتدائيّة أي رفعة مكانه بسبب إطاعتك، أو تبعيضيّة أي له من درجات طاعتك منزلة رفيعة.

وجبرئيل من أعاظم الملائكة، وفي سائر روايات الصحيفة (وجبريل) بالكسر أو بالفتح، وفيه أيضاً لغات، قال الزمخشريّ: قرئ (جبرئيل) بوزن فقشليل، و(جبرئل) بحذف الياء، و(جبريل) بحذف الهمزة (وجبريل) بوزن قنديل و(جبرالّ) باللام المشدّدة، و(جبرائيل) بوزن جبراعيل، و(جبرائل) بوزن جبراعل (انتهى) وقيل: معناه عبد الله، وقيل: صفوة عبد الله، وقيل: صفوة الله وهو عليه السلام حامل الوحي، إمّا إلى جميع الأنبياء، أو إلى أولي العزم منهم، أو إلى بعض من غير أولي العزم أيضاً. «والمطاع في أهل سماواتك» أي هم جميعاً يطيعونه بأمر الله، والفقرتان إشارتان إلى قوله تعالى: ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾.

«المكين لديك»: ذو المكانة والمنزلة، و «لدى» ظرف مكان بمعنى «عند» كلدن، إلاّ أنّهما أقرب مكاناً من «عند» وأخصُّ منه فإن عند يقع على مكان وغيره، تقول «لي عند فلان مال» أي في ذمّته، ولا يقال ذلك فيهما.

«والروح الذي هو على ملائكة الحجب» قد مرّ ذكر الحجب، ويدلّ على أنّ الروح رئيس الملائكة الموكّلين بالحجب والساكنين فيها، والظاهر أنّه شخص واحد موكّل بالجميع، ويحتمل أن يكون اسم جنس، بأن يكون لملائكة كلّ حجاب رئيس يطلق عليه الروح.

«والروح الذي هو من أمرك» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ وظاهر هذه الفقرة أنّ الروح من جنس الملائكة أو شبيه بهم ذكر بينهم تغليباً لا الروح الإنسانيّ. واختلف المفسّرون فيه كما سيأتي في باب النفس والروح، فقيل: إنّه روح الإنسان، وقيل: إنّه جبرئيل، وظاهر الدعاء المغايرة. وقيل: إنّه ملك من عظماء الملائكة وهو الذي قال تعالى ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾ وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّ له سبعين ألف وجه، لكلّ وجه سبعون ألف لسان، لكلّ لسان سبعون ألف لغة يسبّح الله بتلك اللغات كلّها، يخلق الله تعالى بكلّ تسبيحة ملكاً يطير مع الملائكة إلى يوم القيامة، ولم يخلق

الله خلقاً أعظم من الروح غير العرش، ولو شاء أن يبلغ السماوات والأرضين السبع بلقمة واحدة لفعل. والجواب حينئذ أنّه من غرائب خلقه تعالى وقيل: خلق عظيم ليس من الملائكة وهو أعظم قدراً منها وهذا أظهر من سائر الأخبار كما رواه الكلينيّ وعليّ بن إبراهيم والصفّار وغيرهم بالأسانيد الصحيحة عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو مع الأئمّة عليهم السلام وهو من الملكوت[1]. وروى الكلينيّ بإسناده أنّه أتى رجل أمير المؤمنين عليه السلام يسأله عن الروح أليس هو جبرئيل؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: جبرئيل من الملائكة، والروح غير جبرئيل، فكرّر ذلك على الرجل، فقال له: لقد قلت عظيماً من القول! ما يزعم أحد أنّ الرّوح غير جبرئيل. فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: إنّك ضالّ تروي عن أهل الضلال، يقول الله عزّ وجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ﴾ والروح غير الملائكة[2]. وقد مرّت الأخبار في ذلك. فذكره عليه السلام الروح في دعاء الملائكة إمّا تغليباً كما عرفت، أو بزعم المخالفين تقيّة «وعلى الملائكة الذين من دونهم» أي بحسب المكان الظاهريّ، لأنّ السابقين كانوا حملة العرش والكرسيّ والساكنين فيهما، وفي الحجب وتلك فوق السماوات السبع، أو بحسب المنزلة والرتبة، أو بحسبهما معاً.

«وأهل الأمانة على رسالاتك» يدلّ على عدم انحصار التبليغ في جبرئيل عليه السلام فيمكن أن يكون نزولهم على غير أولي العزم أو إليهم أيضاً نادراً كما يدلّ عليه بعض الأخبار، أو المراد بهم الوسائط بينه تعالى وبين جبرئيل، كالقلم واللوح وإسرافيل وغيرهم كما مرّ، وفي بعض الأخبار القدسيّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله عن جبرئيل، عن ميكائيل، عن إسرافيل، عن اللوح، عن القلم عن الله عزّ وجلّ. أو المراد بهم الرسل إلى ملائكة السحاب والمطر والعذاب والرحمة وغيرهم من الملائكة الموكّلين بأمور العباد، والملائكة الحافظين للّوحين اللذين أثبت فيهما جميع الكتب السماويّة. أو الذين ينزلون على الأنبياء والأوصياء في ليلة القدر.

والذين لا تدخلهم سأمة من دؤوب ولا إعياء من لغوب ولا فتور السأمة الملالة والتضجّر، والدؤوب: التعب والإعياء والعجز واللغوب أيضاً الإعياء، ومنه قوله ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ ويمكن الفرق باختلاف مراتب التعجّب والعجز، وهذه الفقرة إمّا تعميم بعد التخصيص، فإنّ هذا وما سيأتي حال جميع الملائكة، فتشمل ملائكة الأرض أيضاً، بل ملائكة الحجب والعرش والكرسيّ، أو تخصيص بعد التعميم لذكر بعض الصفات الظاهرة الاختصاص بالبعض فيما بعد، ولا ينافي عموم هذه الصفات، لأنّها كمال لهم أيضاً، ومجموع الصفات مختصّة بهم، أو يكون العطف للتفسير لبيان بعض الصفات الأخر الثابتة لهم، ولذكر ما يستحقّون به الصلاة من الفضائل.

---

(١) - (٢) أصول الكافي، ج ١ ص ١٥٧ باب الروح التي يسدد... ح ٣ و٦.

«ولا تشغلهم عن تسبيحك الشهوات» أي ليست لهم شهوة حتى تشغلهم «ولا يقطعهم عن تعظيمك سهو الغفلات» إضافة السهو إلى الغفلات من قبيل إضافة المسبّب إلى السبب. أو الجزء إلى الكلّ، أو بيانيّة أي لا يمنعهم عن ذكر عظمتك أو العبادات المستلزمة لتعظيمك السهو الحاصل من الغفلات، أو السهو الذي هو من جملة الغفلات أو هو عينها «الخشع الأبصار فلا يرومون النظر إليك» في النسخ المشهورة «فلا يرمون النظر إليك» والخشوع الخضوع، وخشوع العين: التذلّل بها وعدم رفعها عن الأرض أو غمضها أو الروم: الطلب ولعلّ المراد أنّهم ينظرون إلى جهة أقدامهم حياءً أو خوفاً، أو إلى الجهة التي جعلها الله قبلتهم، ولا يرفعون أبصارهم إلى جهة العرش ويحتمل أن يكون المراد النظر القلبيّ أي لا يتفكّرون في كنه ذاتك وصفاتك، وما لا تصل إليه عقولهم من معارفك «النواكس الأعناق الذين قد طالت رغبتهم فيما لديك» في أكثر الروايات «النواكس الأذقان» وعلى التقديرين هو أن يطأطئ رأسه وهو أزيد تذلّلاً من الخشوع، والمراد بما لديه الدرجات العالية المرتفعة، ويحتمل أن يكون لهم بعض اللذات غير الطعام والشراب. والظاهر أنّ الوصفين لطائفة مخصوصة من الملائكة كما مرّ في خبر المعراج، ويحتمل التعميم.

«المستهترون» بصيغة المفعول قال الجوهريّ: فلان مستهتر بالشراب أي مولع به لا يبالي ما قيل فيه. والآلاء: النعم واحدها «ألى» بالفتح وقد يكسر مثل معى وأمعاء، أي هم متلذّذون حريصون في ذكر نعمائك الظاهرة والباطنة عليهم وعلى غيرهم «والمتواضعون دون عظمتك وجلال كبريائك» التواضع: التذلّل، و«دون» معناه أدنى مكان من الشيء، ثمّ استعمل بمعنى قدّام الشيء وعنده وبين يديه مستعاراً من معناه الحقيقيّ وهو ظرف لغو متعلّق بمتواضعون، والجلال والكبرياء: العظمة والعطف والإضافة للتأكيد والمبالغة، ويمكن أن يخصّ العظمة بالذات والكبرياء بالصفات «والذين يقولون إذا نظروا إلى جهنم تزفر على أهل معصيتك» قال الجوهريّ: الزفير اغتراق النفس للشدّة، والزفير أوّل صوت الحمار، والشهيق آخره. وقال الفيروزآبادي: زفر يزفر زفراً وزفيراً: أخرج نفسه بعد مدّه إيّاه، والنار سمع لتوقّدها صوت (انتهى) أي إذا سمعوا زفير جهنّم على العاصين خافوا من أن يكونوا مقصّرين في العبادة، فقالوا: سبحانك ما عبدناك حقَّ عبادتك، أي ننزّهك تنزيهاً عن كون عباداتنا لائقة بجنابك. فإنّهم لمّا رأوا شدّة عقوباته تعالى نظروا إلى أنفسهم وأعمالهم وإلى عظمته وجلاله فوجدوا أعمالهم قاصرة عمّا يستحقّه سبحانه ففزعوا إليه واعترفوا بالتقصير، ولجأوا إلى رحمته وعفوه وكرمه، أو أنّه لمّا طرأ عليهم الخوف عند سماع صوت العذاب وكان ذلك مظنّة أن يكون خوفهم من أن يعاقبهم ظلماً من غير استحقاق لعصمتهم نزّهوه تعالى عن أن يكون الخوف منه عن تلك الجهة، وعلّلوا الخوف بالتقصير فيما يستحقّه من العبادة.

وقال الوالد رحمه الله: يمكن أن يكون قولهم ذلك للتعجّب من مخالفتهم حتى استحقّوا العذاب، أو من الصوت المهول على خلاف العادة، فهذا توبة لهم من المكروه. ويمكن أن

يكون ذلك على سبيل الشفاعة لهم بأن ضمّوا أنفسهم مع العاصين، فكأنّهم يقولون: نحن وهم مقصّرون في عبادتك فارحمنا وإيّاهم.

«فصلّ عليهم» يمكن أن يكون خبراً أو كالخبر لقوله عليه السلام «والذين لا تدخلهم» مع عاطف عليه، وأن يكون الموصول في محلّ الجرّ عطفاً على «سكان سماواتك» ويكون قوله «فصلّ» تأكيداً للسابق وتمهيداً لأن يعطف عليهم غيرهم وعلى هذا يكون قوله «الخشع» و «المستهترون» مرفوعين على المدح.

«وعلى الروحانيين من ملائكتك» قال في النهاية: الملائكة الروحانيّون يروى بضمّ الراء وفتحها، كأنّه نسب إلى الرُوح والروْح، وهو نسيم الريح، والألف والنون من زيادات النسب. ويريد به أنّهم أجسام لطيفة لا يدركهم البصر (انتهى) وما قيل من أنهم الجواهر المجرّدة العقليّة والنفسيّة فهو رجم بالغيب وإنّما المعلوم أنّهم نوع من الملائكة. «وأهل الزلفة عندك» قال الجوهريّ: الزلفة والزلفى القرب والمنزلة (انتهى) وهو إمّا صفة أُخرى للروحانيّين، أو طائفة أُخرى غيرهم. «وحملة الغيب إلى رسلك والمؤتمنين على وحيك» في أكثر النسخ «وحمال الغيب» والحمال جمع الحامل، والغيب يطلق على الخفيّ الذي لا يدركه الحسّ ولا يقتضيه بديهة العقل، وهو قسمان: القسم الأوّل لا دليل عليه وهو المعنيُّ بقوله ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[1] وقسم نصب عليه دليل كالصانع وصفاته واليوم الآخر وأحواله كذا ذكره البيضاويّ. والمراد هنا إمّا الأعمّ أو الأوّل، «والمؤتمنين» إمّا تأكيد أو عطف تفسير لسابقه، أو المراد بهم طائفة أُخرى شأنهم تبليغ الأحكام والشرائع فقط، أو مع الثاني إن حملنا الأولى على الأوّل، والظاهر أنّ هاتين الفقرتين مؤكّدتان لما سبق من قوله «وأهل الأمانة على رسالتك» ويمكن تخصيص ما سبق ببعض المعاني التي ذكرناها هنا وهاتان بالبعض الآخر، إذ يمكن أن يكون لحمل الغيب طائفة مخصوصة كملائكة ليلة القدر وغيرهم، والأوّل أظهر، وتكرير المطلب الواحد بعبارات مختلفة في مقام الدعاء والخطب والمواعظ ممّا يؤكّد البلاغة.

«وقبائل الملائكة الذين اختصصتهم لنفسك» القبائل جمع القبيلة وهي الشعوب المختلفة، والكلام في التأكيد والتأسيس كما مرّ، والمراد بالاختصاص به تعالى أنّهم مشغولون بعبادته بخلاف ما سيأتي ممّن له شغل في النزول والعروج وسائر الأمور، وإن كان هذه الأمور أيضاً عبادة لهم، أو أنّه سبحانه يطلعهم على أسرار لم يطلع عليها غيرهم من الملائكة.

«وأغنيتهم عن الطعام والشراب بتقديسك» أي خلقتهم خلقة لا يحتاجون في بقائهم إلى الغذاء، وكما أنّا نتقوّى بالغذاء فهم يتقوّون بتسبيحه وتقديسه وعبادته.

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

«وأسكنتهم بطون أطباق سماواتك» الأطباق جمع طبق، يقال: السماوات أطباق وطباق، أي بعضها فوق بعض. قال الراغب: المطابقة هو أن يجعل الشيء فوق آخر بقدره، ومنه: طابقت النعل، ثمّ يستعمل الطباق في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة وفي ما يوافق غيره تارة كسائر الأشياء الموضوعة لمعنيين ثمّ يستعمل في أحدهما دون الآخر كالكأس والراوية ونحوهما، قال الله تعالى ﴿سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا﴾ أي بعضها فوق بعض[1] (انتهى) ويدلّ على الفرجة بين السماوات، وكونها مساكن الملائكة كما مرّ.

«والذين هم على أرجائها إذا نزل الأمر بتمام وعدك» إشارة إلى قوله سبحانه ﴿وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾[2] قال الطبرسيّ رحمه الله ﴿عَلَىٰ أَرْجَائِهَا﴾ معناه على أطرافها ونواحيها والملك اسم يقع على الواحد والجمع، والسماء مكان الملائكة، فإذا وهت صارت في نواحيها. وقيل: إنّ الملائكة على جوانب السماء تنتظر ما يؤمر به في أهل النار من السوق إليها، وفي أهل الجنّة من التحيّة والتكرمة فيها[3] (انتهى) وقيل: إنّه تمثيل لخراب السماء بخراب البنيان وانضواء أهلها إلى أطرافها وحواليها، ولفظة (إذا) ظرفيّة للمستقبل، والباء صلة للأمر، ويحتمل السببيّة. وتمام الوعد تمام مدّة الدنيا وانقضاؤه وحلول القيامة، أو المراد إتمام ما وعده الله من الثواب والعقاب للمطيعين والعاصين، وكلمة (هم) ليست في الروايات المشهورة.

«وخزان المطر» أي الملائكة الموكّلين بالبحر الذي ينزل منه المطر كما يظهر من بعض الأخبار، أو الموكّلين بتقديرات الأمطار، أو الذين يهيّجون السحاب بأمره تعالى، ولو كان من بخارات الأرض والبحار كما هو المشهور، فيكون قوله «وزواجر السحاب» عطف تفسير له، أي سائقتها من «زجر البعير» إذا ساقه، وبه فسّر قوله تعالى: ﴿فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا﴾ كما مرّ، والسحاب: جمع السحابة، وهي الغيم. «والذي بصوت زجره يسمع زجل الرعود» قال في النهاية: وفي حديث الملائكة «لهم زجل بالتسبيح» أي صوت رفيع عالٍ. وفي القاموس: الرعد صوت السحاب، أو اسم ملك يسوقه كما يسوق الحادي الإبل بحدائه (انتهى) والرعد هنا يحتمل الوجهين، وإن كان كونه اسماً للملك أظهر، وسيأتي تحقيق الرعد والبرق والسحاب في الأبواب الآتية. وصيغة الجمع هنا تدلّ على أنّ الرعد اسم لنوع هذا الملك إن كان اسماً له، وإضافة الزجل إلى الرعود بيانيّة إن أريد به الصوت، ولاميّة إن أريد به الملك.

«وإذا سبحت به خفيفة السحاب التمعت صواعق البروق» أقول: النسخ مختلفة في هذه الفقرة اختلافاً فاحشاً، ففي بعضها «سبحت» بتشديد الباء، وفي بعضها بتخفيفها «وخفيفة» في بعضها بالحاء المهملة والفائين، وفي بعضها بالخاء المعجمة ثمّ الفاء ثمّ القاف وفي

---

(١) مفردات الراغب الأصفهاني، ص ٣١١. (٢) سورة الحاقة، الآيتان: ١٦-١٧.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠ ص ١٠٨.

بعضها بالمهملة ثمّ الفاء ثمّ القاف. والسبح الجري والعوم. والخفيف أنسب، وعلى التشديد يحتمل أن يكون إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾[1] قال الفيروزآبادي: سبح بالنهر وفيه كمنع سبحاً وسباحةً بالكسر عام، وأسبحه عوّمه. وسبحان الله تنزيهاً له عن الصاحبة والولد، ونصبه على المصدر، أي أبرئ الله من السوء براءة. أو معناه السرعة إليه والخفّة في طاعته. وقال: حفّ الفرس حفيفاً سمع عند ركضه صوت، وكذلك الطائر والشجرة إذا صوّتت. وقال: الخفق صوت النعل، وخفقت الراية تخفُق وتخفِق خفقاً وخفقاناً - محرَّكة - : اضطربت وتحرَّكت، وخفقَ فلان: حرّك رأسه إذا نعس، والطائر: طار، والخفقان - محرّكة - : اضطراب القلب. وأخفق الطائر: ضرب بجناحيه. وفي النهاية: خفق النعال صوتها. وأمّا المهملة ثمّ الفاء ثمّ القاف كما كان في نسخة ابن إدريس رحمه الله - بخطّه فلم أجد له معنى فيما عندنا من كتب اللغة، ولعلّه من طغيان القلم. وفي الصحاح: لمع البرق لمعاً ولمعاناً أي أضاء، والتمع مثله. ولا يخفى أنّ هذه الفقرة من تتمّة الكلام السابق، وليس وصف الملك الآخر. وضمير «به» إمّا راجع إلى الملك، أو إلى زجره، أو إلى الزجل والباء للمصاحبة أو للسببيّة، وإضافة الخفيفة إلى السحاب على التقادير من إضافة الصفة إلى الموصوف والتأنيث باعتبار جمعيّة السحاب، وإذا حمل على المصدر فإسناد السبح إليه مجازيّ أو هو مؤوّل بذات الخفيفة. وعلى المعجمة والفائين أي السحاب الخفيفة سريعة السير، والحاصل على التقادير: إذا زجرت بسبب الملك أو زجره، أو صوّته السحاب ذات الصوت أو الاضطراب أو السرعة أضاءت الصواعق التي هي من جنس البروق وأشدّها، فالإضافة من قبيل «خاتم حديد» وربّما يقال هو من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي البروق المهلكة. قال الجزريّ: الصاعقة: الموت وكلّ عذاب مهلك وصيحة العذاب، والمخراق الذي بيد الملك سائق السحاب، ولا يأتي على شيء إلاّ أحرقه، أو نار تسقط من السماء. وصعقتهم السماء كمنع صاعقة مصدراً كالراعية أصابتهم بها (انتهى) وفي رواية ابن شاذان: وإذا ساق به متراكم السحاب التمعت صواعق البروق.

«ومشيعي الثلج والبرد والهابطين مع قطر المطر إذا نزل» أي إذا نزل المطر إلى الأرض لا عند نزوله إلى السحاب، ويحتمل أن يكون الضمير راجعاً إلى كلّ من الثلج والبرد والمطر لكنّه بعيد وقال الوالد: الظاهر أنّه عليه السلام أراد بقوله «إذا نزل» العموم، أي كلّما نزل، ليفيد فائدة يعتدّ بها، وتغيير العبارة في التشييع والهبوط إمّا لمحض التفنّن، أو لأنّ الغالب في الثلج والبرد في أكثر البلاد أنّهما للضرر، فلم ينسب الضرر إليهم صريحاً بخلاف المطر.

وأقول: يمكن على ما سيأتي في الخبر أنّ البرد ينزل من السماء إلى السحاب فتذيبه حتى

---

(١) سورة الرعد، الآية: ١٣.

يصير مطراً، أن يكون إشارة إلى ذلك، فإنّ الثلج والبرد يشايعونهما من أوّل الأمر بخلاف المطر، فإنّهم يهبطون معه بعد الذوبان، أو يقال: النكتة إسناد الخير إلى الله والضرر إليهم، لأنّ في التشييع نوع معاونة بخلاف الهبوط.

أقول: قد مرّ وسيأتي الأخبار في تفاصيل تلك الأمور.

«والقوّام على خزائن الرياح» القوّام جمع قائم ككفّار وكافر، أي الحافظين لها في خزائنها المرسلين لها قدر الحاجة بأمره تعالى ويمكن أن يكون كناية عن كون أسبابها بيدهم، وقيل: كلّ ما ورد في الكتاب الكريم الرياح بلفظ الجمع فهو في الخير كقوله تعالى: ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ وكلّ ما كان بلفظ المفرد فهو للشرّ كقوله سبحانه ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ وأقول: إذا اطّردت القاعدة في تلك العبارة فالنكتة في تخصيص الخير بالذكر ظاهرة، وستأتي الأخبار في أنواع الرياح وأساميها وصفاتها في الباب المختصّ بها.

«فلا تزول» أي الجبال بسبب حفظ الموكّلين لها، أو هم دائماً فيها لا يزولون عنها، والأوّل أظهر. «والذين عرفتهم مثاقيل المياه» المياه جمع الماء، وأصلها «ماه» وقيل «موه» ولهذا يردّ إلى أصله في الجمع والتصغير، فيقال «مياه» و «مويه» و «أمواه» وربّما قالوا «أمواء» بالهمزة، وماهت الركيّة كثر ماؤها «وكيل ما تحويه» أي مقدار ما تجمعه وتحيط به «لواعج الأمطار» أي شدائدها ومضرّاتها « وما تحرق النبات وتخرب الأبنية» كما أفيد «وعوالجها» أي متراكماتها، قال السيّد الداماد رحمه الله: اللواعج جمع لاعجة أي مشتدّاتها القويّة يقال: لاعجه الأمر إذا اشتدّ عليه، والتعج من لاعج الشوق ولواعجه ارتمض واحترق، وضرب لاعج أي شديد يلعج الجلد أي يحرقه. وكذلك «عوالجها» جمع عالج يعني متلاطماتها ومتراكماتها، وفي الحديث: إنّ الدعاء ليلقى البلاء فيعتلجان إلى يوم القيامة. يعني أنّ الدعاء في صعوده يلقى البلاء في نزوله فيعتلجان قال في الفائق: أي يصطرعان ويتدافعان وفي النهاية في حديث الدعاء: ما تحويه عوالج الرمال. هي جمع عالج وهو ما تراكم من الرمل ودخل بعضه في بعض.

«ورسلك» جمع الرسول «من الملائكة» بيان للرسل أو من للتبعيض، وقيل إنّ الملك اسم مكان، والميم فيه غير أصليّة بل زائدة، فالأصل «ملئك» ولذلك يجمع على الملائك والملائكة، نقلت حركة الهمزة إلى اللام، ثمّ حذفت لكثرة الاستعمال فقيل ملك، وقال بعضهم: أصله مألك بتقديم الهمزة من الألوكة الرسالة فقلبت الهمزة مكاناً ثمّ حذفت في كثرة الاستعمال للتخفيف فقيل ملك، وجمع على الملائكة، وقد يحذف الهاء فيقال ملائك. «إلى أهل الأرض» متعلّق برسلك «بمكروه ما ينزل» الباء للملابسة أو السببيّة، أي بالذي ينزل، وهو مكروه للطباع.

«من البلاء» بيان للمكروه والنازل، وإنّما سمّي المكروه النازل على العباد بلاءً لابتلاء الله

تعالى العباد وامتحانهم به هل يصبرون أم لا، وإن كان على المجاز «ومحبوب الرخاء» عطف على مكروه، وهو أيضاً من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي الرخاء المحبوب. وقيل: الإضافة بيانيّة. والرخاء: النعمة، يقال: رجل رخيّ البال، أي واسع الحال، والمراد إمّا نزولهم لأصل حصول البلاء والرخاء وتسبّب أسبابهما، أو للإخبار بهما في ليلة القدر وغيرها «والسفرة الكرام البررة» السفرة كالكتبة لفظاً ومعنىً، جمع «سافر» والسفر الكتاب، قال الجوهريّ: السفرة: الكتب قال الله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ﴾ وقد يظنّ أنّه جمع سفير، وهو المصلح بين الناس لكنّ الغالب في جمع السفير السفراء. والكرام: ضدّ اللئام وقيل: الكرام على الله الأعزّاء عليه، وقيل: الأسخياء الباذلين الاستغفار للعباد مع تماديهم في العصيان. والبررة: الأتقياء، وقد مرّ الكلام فيها، والمراد هنا الملائكة الكاتبون للوحي، المؤدّون إلى غيرهم، أو الموكّلون باللوح المحفوظ. وقيل: هم الكاتبون لأعمال العباد، وما بعده تأكيد له، ولا يخلو من بعد، إذ التأسيس أولى من التأكيد. وأيضاً الظاهر أنّه إشارة إلى ما ورد في الآية، وهي في سياق وصف القرآن كما عرفت سابقاً. ينفي هذا الدعاء ما مرّ من الأقوال في الآية سوى القول بأنّهم الملائكة.

«والحفظة الكرام الكاتبين» إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ وقال الطبرسيّ رحمه الله: وإنّ عليكم لحافظين من الملائكة يحفظون عليكم ما تعملون من الطاعات والمعاصي، ثمّ وصف الحفظة فقال: كراماً على ربّهم كاتبين يكتبون أعمال بني آدم[1] (انتهى) ويدلّ على تعدّدهم لكلّ إنسان قوله تعالى: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ ويدلّ كثير من الأخبار على أنّ ملائكة الليل غير ملائكة النهار، كما ورد في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾[2] أي تشهده ملائكة الليل وملائكة النهار، والحكمة في خلقهم وتوكيلهم على العباد مع كونه سبحانه أعلم بهم منهم كثيرة قد مرّ بعضها في بعض الأخبار.

«وملك الموت وأعوانه» اسم ملك الموت «عزرائيل» ويدلّ على أنّ له أعواناً كما دلّت عليه الآيات والأخبار، فإنّه تعالى قال ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾[3] وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾[4] وقال جلّ وعلا: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[5] وقال عزّ وجلّ: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[6] وقال ﴿الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ﴾[7].

وروى الصدوق في التوحيد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في جواب الزنديق المدّعي

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٧.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٨.
(٣) سورة الزمر، الآية: ٤٢.
(٤) سورة السجدة، الآية: ١١.
(٥) سورة الأنعام، الآية: ٦١.
(٦) سورة النحل، الآية: ٢٨.
(٧) سورة النساء، الآية: ٩٧.

للتناقض في القرآن المجيد حيث سأل عن هذه الآيات: إنّ الله يدبّر الأمور كيف يشاء ويوكّل من خلقه من يشاء بما يشاء، أمّا ملك الموت فإنّ الله عزّوجلّ يوكّله بخاصّة من يشاء من خلقه، ويوكّل رسله من الملائكة خاصّة بمن يشاء من خلقه تبارك وتعالى والملائكة الذين سمّاهم الله عزّوجلّ يوكّلهم بخاصّة من يشاء من خلقه والله تعالى يدبّر الأمور كيف يشاء[1]. وروى الطبرسيّ رحمه الله هذا الخبر في الاحتجاج: والجواب فيه هكذا: هو تبارك وتعالى أجلّ وأعظم من أن يتولّى ذلك بنفسه، وفعل رسله وملائكته فعله، لأنّهم بأمره يعملون، فاصطفى جلّ ذكره من الملائكة رسلاً وسفرة بينه وبين خلقه، وهم الذين قال الله فيهم ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ فمن كان من أهل الطاعة تولّت قبض روحه ملائكة الرحمة، ومن كان من أهل المعصية تولّت قبض روحه ملائكة النقمة، ولملك الموت أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة النقمة يصدرون عن أمره، وفعلهم فعله، وكلّ ما يأتونه منسوب إليه، إذ كان فعلهم فعل ملك الموت وفعل ملك الموت فعل الله لأنّه يتوفّى الأنفس على يد من يشاء، ويعطي ويمنع ويثيب ويعاقب على يد من يشاء وإنّ فعل أمنائه فعله كما قال ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾[2].

روى الصدوق في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه قال في ذلك: إنّ الله تبارك وتعالى جعل لملك الموت أعواناً من الملائكة يقبضون الأرواح بمنزلة صاحب الشرطة له أعوان من الإنس يبعثهم في حوائجه، فتتوفّاهم الملائكة ويتوفّاهم ملك الموت عن الملائكة مع ما يقبض هو، ويتوفّاهم الله عزّوجلّ عن ملك الموت[3].

«ومنكر ونكير، ومبشّر وبشير» الأخيران لم يكونا في أكثر الروايات، وقد مرّ في كتاب المعاد أنّ الأسماء لملكين أو لنوعين من الملائكة يأتيان الميّت في قبره للسؤال عن العقائد، أو عن بعض الأعمال أيضاً، فإن كان مؤمناً أتياه في أحسن صورة فيسمّيان مبشّراً وبشيراً، وإن كان كافراً أو مخالفاً أتياه في أقبح صورة فيسمّيان منكراً ونكيراً. ويحتمل مغايرة هذين النوعين للأوّلين، لكن ظاهر أكثر الأخبار الاتّحاد، ويؤيّده ترك الآخرين هنا في أكثر الروايات، بل في أكثر الأخبار عبّر عنهما بمنكر ونكير للمؤمن وغيره. وقد مضت الأخبار في ذلك. وتحقيق القول فيه فيمن يسأل وفيما يسأل عنه وكيفيّة الإحياء والسؤال قد مرّ في المجلّد الثالث فلا نعيدها حذراً من التكرار.

«ورومان فتّان القبور» أي ممتحن القبور والمختبر فيها في المسألة، ولم أر ذكر هذا الملك في أخبارنا المعتبرة سوى هذا الدعاء، وهو مذكور في أخبار المخالفين روى مؤلّف كتاب زهرة الرياض عن عبد الله بن سلام أنّه قال: سألت رسول الله عن أوّل ملك يدخل في

---

(١) التوحيد، ص ٢٦٨. (٢) الإحتجاج، ص ٢٤٠.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ص ٥٣ ح ٣٦٨.

القبر على الميّت قبل منكر ونكير، قال ﷺ: يا بن سلام يدخل على الميّت ملك قبل أن يدخل نكير ومنكر يتلألأ وجهه كالشمس اسمه «رومان» فيدخل على الميّت، فيدخل روحه ثمّ يقعده فيقول له: اكتب ما عملت من حسنة وسيّئة. فيقول: بأيّ شيء أكتب؟ أين قلمي؟ وأين دواتي؟ فيقول: قلمك إصبعك، ومدادك ريقك، اكتب. فيقول: على أيّ شيء أكتبه وليس معي صحيفة؟ قال: فيمزق قطعة من كفنه فيقول: اكتب فيها، فيكتب ما عمل في الدنيا من حسنة، فإذا بلغ سيّئة استحيى منه، فيقول له الملك: يا خاطئ أفلا كنت تستحيي من خالقك حيث عملتها في الدنيا والآن تستحيي منّي؟ فيكتب فيها جميع حسناته وسيّئاته، ثمّ يأمره أن يطويه ويختمه، فيقول: بأيّ شيء أختمه وليس معي خاتم؟ فيقول: اختمها بظفرك، ويعلّقها في عنقه إلى يوم القيامة كما قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾[1] الآية ثمّ يدخل بعد ذلك منكر ونكير.

وروى شاذان بن جبرئيل رحمه الله: في كتاب الفضائل عن أصبغ بن نباتة قال: إنّ سلمان رضي الله عنه قال لي: اذهب بي إلى المقبرة، فإنّ رسول الله ﷺ قال لي: يا سلمان! سيكلّمك ميّت إذا دنت وفاتك. فلمّا ذهبت به إليها ونادى الموتى أجابه واحد منهم، فسأله سلمان عمّا رأى من الموت وما بعده فأجابه بقصص طويلة، وأهوال جليلة وردت عليه - إلى أن قال -: لمّا ودّعني أهلي وأرادوا الانصراف من قبري أخذت في الندم فقلت: يا ليتني كنت من الراجعين! فأجابني مجيب من جانب القبر: كلاّ! إنّها كلمة هو قائلها ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون. فقلت له: من أنت؟ قال: أنا منبّه أنا ملك وكّلني الله عزّ وجلّ بجميع خلقه لأنبّههم بعد مماتهم ليكتبوا أعمالهم على أنفسهم بين يدي الله عزّ وجلّ، ثمّ إنّه جذبني وأجلسني وقال لي: اكتب عملك، فقلت: إنّي لا أحصيه. فقال لي: أما سمعت قول ربّك ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾[2] ثمّ قال لي: اكتب وأنا أملي عليك. فقلت: أين البياض؟ فجذب جانباً من كفني، فإذا هو ورق فقال: هذه صحيفتك، فقلت: من أين القلم؟ فقال: سبّابتك، قلت: من أين المداد؟ قال: ريقك، ثمّ أملى عليّ ما فعلته في دار الدنيا، فلم يبق من أعمالي صغيرة ولا كبيرة إلاّ أملاها كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾[3] ثمّ إنّه أخذ الكتاب وختمه بخاتم وطوّقه في عنقي فخيّل لي أنّ جبال الدنيا جميعاً قد طوّقوها في عنقي فقلت له: يا منبّه! ولم تفعل بي كذا؟ قال: ألم تسمع قول ربّك ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾[4] فهذا تخاطب به يوم القيامة ويؤتى بك وكتابك بين عينيك منشوراً تشهد فيه على نفسك. ثمّ انصرف عنّي - تمام الخبر -.

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٣.
(٢) سورة المجادلة، الآية: ٦.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٤٩.
(٤) سورة الإسراء، الآيتان: ١٣-١٤.

وفي رواية ابن شاذان «ومنكر وورمان فتّان القبور» وسائر الفقرات فيها بالرفع على سياقة صدر الدعاء «والطائفين بالبيت المعمور» قد مرّ وصف البيت وطائفيه «ومالك والخزنة» أي خزّان النار من الملائكة الموكّلين بها وبتعذيب أهلها ومالك رئيسهم. ورضوان بالكسر وفي بعض النسخ بالضمّ وهو اسم رئيس خزنة الجنان وخدمتها، والمشهور في الاسم الكسر والمصدر، وجاء بهما في القرآن واللغة. «وسدنة الجنان» أي خدمتها، وفي القاموس: سدن سدناً وسدانة: خدم الكعبة أو بيت الصنم وعمل الحجابة، فهو سادن والجمع سدنة.

«والذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» عطف تفسير لقوله «مالك والخزنة» إشارة إلى قوله سبحانه ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَـٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(١) «والذين يقولون» عطف تفسير لقوله «رضوان وسدنة الجنان» فالنشر على ترتيب اللفّ، ويحتمل أن يكون هذا حال بعض سدنة الجنان، فيكون تخصيصاً بعد التعميم، كذكر الزبانية بعد خزنة النيران. وتقديم أحوال أهل النار فيهما لأنّ الخوف أصلح بالنسبة إلى غالب الناس من الرجاء لغلبة الشهوات الداعية إلى ارتكاب السيّئات عليهم ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾ إشارة إلى قوله تعالى في وصف أهل الجنّة:

﴿وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(٢) وقال البيضاويّ: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم﴾ بشارة بدوام السلامة ﴿بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ متعلّق بعليكم أو بمحذوف، أي هذا بما صبرتم، لا بسلام فإنّ الخبر فاصل. والباء للسببيّة أو البدليّة(٣).

﴿فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ العقبى: الجزاء، أي نعم العقبى عقبى الدار لكم خاصّة أيّها المؤمنون. وروى الكلينيّ وعليّ بن إبراهيم بأسانيد معتبرة عن أبي جعفر عليه السلام في وصف حال المتقين في القيامة وبعد دخولهم الجنّة قال: ثمّ يبعث الله إليه ألف ملك يهنّئونه بالجنّة ويزوّجونه الحوراء. قال: فينتهون إلى أوّل باب من جنانه، فيقولون للملك الموكّل بأبواب جنانه: استأذن لنا على وليّ الله، فإنّ الله بعثنا إليه نهنّئه. فيقول لهم الملك: حتى أقول للحاجب فيعلمه مكانكم، قال: فيدخل الملك إلى الحاجب وبينه وبين الحاجب ثلاث جنان حتى ينتهي إلى أوّل باب فيقول للحاجب: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العالمين ليهنّئوا وليّ الله وقد سألوا أن آذن لهم عليه، فيقول الحاجب: إنّه ليعظم عليّ أن أستأذن لأحد على وليّ الله وهو مع زوجته الحوراء. قال: وبين الحاجب وبين وليّ الله جنّتان، قال: فيدخل الحاجب إلى القيّم فيقول له: إنّ على باب العرصة ألف ملك أرسلهم ربّ العزّة يهنّئون وليّ الله فاستأذن، فيقدم القيّم إلى الخدّام فيقول لهم: إنّ رسل الجبّار على باب العرصة وهم ألف ملك أرسلهم الله يهنّئون وليّ الله فأعلموه بمكانهم، قال: فيعلمونه فيؤذن

---

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٢) سورة الرعد، الآيتان: ٢٣-٢٤.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٤٢.

للملائكة فيدخلون على وليّ الله وهو في الغرفة ولها ألف باب، وعلى كلّ باب من أبوابها ملك موكّل به، فإذا أذن للملائكة بالدخول على وليّ الله فتح كلّ ملك بابه الموكّل به قال: فيدخل القيّم كلّ ملك من باب من أبواب الغرفة، قال: فيبلّغونه رسالة الجبّار جلّ وعزّ، وذلك قول الله عزّوجلّ: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ﴾ أي من أبواب الغرفة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾ إلى آخر الآية قال: وذلك قوله عزّوجلّ ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ يعني بذلك وليّ الله، وما هو فيه من الكرامة والنعيم، والملك العظيم الكبير أنّ الملائكة من رسل الله عزّ ذكره يستأذنون عليه فلا يدخلون عليه إلاّ بإذنه، فذلك الملك العظيم الكبير - الخبر -(١).

والزبانية الذين إذا قيل لهم ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ الزبانية هم الملائكة التسعة عشر الموكّلون بالنار، وهم الغلاظ الشداد، قال الجوهريّ: الزبانية عند العرب الشرط وسمّي بذلك بعض الملائكة لدفعهم أهل النار إليها، قال الأخفش: قال بعضهم: واحد زبانيّ، وقال بعضهم: زابن، وقال بعضهم: زبنية مثال عفرية، وقال: والعرب لا تكاد تعرف هذا وتجعله من الجمع الذي لا واحد له مثل أبابيل وعباديد. وقال: صليت اللحم وغيره أصليه صلياً مثل رميته رمياً إذا شويته. وفي الحديث «إنّه أتي بشاة مصليّة» أي مشويّة. ويقال أيضاً صليت الرجل ناراً إذا أدخلته النار وجعلته يصلاها، فإن ألقيته فيها إلقاءً كأنّك تريد الإحراق قلت: أصليته بالألف وصلّيته تصلية. وقرئ «ويصلّى سعيراً» ومن خفّف فهو من قولهم صلي فلان النار - بالكسر - يصلي صلياً: احترق. ويقال أيضاً صلي بالأمر إذا قاسى حرّه وشدّته. «ابتدروه سراعاً» أي حال كونهم مسرعين جمع سريع «ولم ينظروه» أي لم يمهلوه «ومن أوهمنا ذكره» أي الملائكة الذين تركنا ذكرهم على الخصوص وإن كانوا داخلين في العموم. قال الجوهريّ: أوهمت الشيء تركته كلّه، يقال أوهم من الحساب مائة أي أسقط، وأوهم من صلاته ركعة. «ولم نعلم مكانه منك» أي منزلته عندك أو نسبته إلى عرشك «وبأي أمر وكلته» عطف على قوله (مكانه) والظرف متعلّق بوكّلته قدّم عليه لمزيد الاهتمام، لأنّ المجهول هذا القيد لا أصل التوكيل، والمعنى: ولم نعلم توكيلك إيّاه بأيّ أمر من أمورك. وفيه بعض المنافاة لما يظهر من أكثر الأخبار من سعة علمهم عليهم السلام، واطّلاعهم على جميع العوالم أو المخلوقات، وأنّ الله أراهم ملكوت الأرضين والسماوات إلاّ أن يقال إنّه عليه السلام قال ذلك على سبيل التواضع والتذلّل، أو المعنى لا نعلمهم من ظاهر الكتاب والسنّة وإن علمنا من جهة أُخرى لا مصلحة في إظهارها، أو لا نعلم في هذا الوقت خصوص مكانه وعمله، فإنّه لا استبعاد في عدم علمهم عليهم السلام ببعض تلك الخصوصيّات الحادثة، أو قال عليه السلام ذلك بلسان غيره ممّن يتلو الدعاء، فإنّه عليه السلام جمع الأدعية وأملاها لذلك، بل هو من أعظم نعمهم على شيعتهم عليهم السلام.

(١) روضة الكافي، ح ٦٩.

«وسكان الهواء والأرض والماء» يدلّ على أنّ لكلّ منها سكّاناً من الملائكة كما روى الشيخ بسنده عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنّه نهى أن يبول الرجل في الماء الجاري إلاّ من ضرورة، وقال: إنّ للماء أهلاً. وفي وصيّة النبيّ صلى الله عليه وآله لعليّ عليه السلام قال: كره الله لأمّتي الغسل تحت السماء إلاّ بمئزر وكره دخول الأنهار إلاّ بمئزر، فإنّ فيها سكّاناً من الملائكة. وفي رواية أُخرى رواها الصدوق في المجالس قال: في الأنهار عمّار وسكّان من الملائكة. وروى أيضاً في العلل بإسناد عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ الله عزّ وجلّ وكّل ملائكة بنبات الأرض من الشجر والنخل فليس من شجرة ولا نخلة إلاّ ومعها من الله عزّ وجلّ ملك يحفظها وما كان فيها، ولولا أنّ معها من يمنعها لأكلها السباع وهوّام الأرض إذا كان فيها ثمرها - الخبر[1] -.

«ومن منهم على الخلق» أي الملائكة الذين هم مع الخلق أو مستولون عليهم أو موكّلون بهم من جملة سائر الملائكة، وهم أصناف شتّى قد مرّ أكثرها كالمعقّبات، ومن يثني برقبة المتخلّي ليعتبر بما صار إليه طعامه، والمشيّعين لعائد المريض ولزائر المؤمن، ومن يأتي منهم للسؤال ابتلاء، ومن يمسح يده على قلب المصاب ليسكّنه، والموكّلين بالدعاء للصائمين، والذين يمسحون وجه الصائم في شدّة الحرّ ويبشّرونه والملائكة الساكنين في حرم حائر الحسين عليه السلام يشيّعون الزّائرين ويعودون مرضاهم ويؤمّنون على دعائهم، والذين يدفعون وساوس الشياطين عن المؤمنين وأمثال ذلك كثيرة في الأخبار. وهذا بناء على أنّ الخلق بمعنى المخلوق، ويمكن حمله على المعنى المصدريّ، فيكون إشارة إلى ما روي في أخبار كثيرة أنّ لله ملكين خلاّقين، فإذا أراد أن يخلق خلقاً أمر أولئك الخلاّقين فأخذوا من التربة التي قال الله تعالى في كتابه ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾[2] فعجنوها في النطفة المسكنة في الرحم، فإذا عجنت النطفة بالتربة قالا: يا ربّ ما تخلق؟ قال: فيوحي الله تبارك وتعالى ما يريد من ذلك - الخبر - «فصل عليهم يوم تأتي كل نفس» (يوم) ظرف للصلاة، وربما يومئ إلى أنّ هذا الحكم يعمّ الملائكة أيضاً غير السائق والشهيد، وذكر اليوم بهذا الوصف لبيان أنّ الملائكة في هذا اليوم أيضاً لهم أشغال عظيمة، أو لبيان أنّ هذا اليوم يوم الاحتياج إلى الملائكة «معها سائق وشهيد» هما ملكان أحدهما يسوقه إلى المحشر، والآخر يشهد بعمله، وقيل: ملك واحد جامع للوصفين، وقيل: السائق كاتب السيّئات، والشهيد الحسنات، وقيل: السائق نفسه، والشهيد جوارحه وأعماله، ومحلّ (معها) النصب على الحاليّة من (كل) لإضافته إلى ما هو حكم المعرفة، ذكره البيضاويّ عند قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[3] وفي بعض النسخ (قائم)

---

(١) مرّ تمام الخبر، في ج ١٨ ص ٢٢٠ ح ٧٠. (٢) سورة طه، الآية: ٥٥.
(٣) سورة ق، الآية: ٢١.

مكان السائق والسائق أوفق بالآية، ولا يتغيّر المعنى، إذ المراد بالقائم من يقوم بأمره ويسوقه إلى محشره، ولعلّ المراد أقلّ من يكون مع كلّ أحد، أو المراد بهما الجنس، إذ ورد في كثير من الأخبار أنّه يشايع الأخيار آلاف من الملائكة، ومع بعض الأشرار أيضاً كذلك لشدّة تعذيبهم، وكذا الشهداء من الملائكة في أكثر الأخبار أكثر من واحد. «وصل عليهم» تأكيد لما سبق «صلاة تزيدهم كرامة على كرامتهم» أي تصير سبباً لمزيد قدرهم، ومنزلتهم عند ربّهم، «وطهارة على طهارتهم» أي موجباً لمزيد عصمتهم وتقدّسهم وتنزّههم وإن كانت العصمة عن الكبائر والصغائر لازمة لهم. ويمكن أن يكون فائدة هذا الدعاء راجعة إلينا لا إليهم «اللهمّ وإذا صلّيت» في بعض النسخ «إذ» بدون الألف و«عليهم» مكان «علينا» فعلى الأوّل المعنى: كلّ وقت صلّيت عليهم وبلّغتهم صلواتنا عليهم فصلّ علينا وارحمنا بسبب أنّك وفّقتنا لذلك، وصرنا سبباً لهذه الرحمة. وأيضاً الجواد الكريم يشفع كلّ نعمة منه بأخرى، ولا يكتفي بواحدة منها. وعلى النسخة الأخرى المعنى: لمّا صلّيت عليهم وبلّغتهم صلواتنا عليهم فصلّ عليهم تارة أخرى بسبب أنّهم صاروا سبباً لتوفيقك إيّانا للصلاة عليهم، وحسن القول فيهم. وفي بعض النسخ «إذ» و «علينا» وهو أظهر. والجواد في أسمائه تعالى هو الذي لا يبخل بعطائه، ويعطي كلاً ما يستحقّه، والكريم فيها هو الجواد المعطي الذي لا ينفد عطاؤه، أو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل. والكريم أيضاً الصفوح.

وأقول: إنّما أوردت هذا الدعاء الشريف هنا وأعطيت في شرحه بعض البسط لكونه فذلكة لسائر الأخبار والآيات الواردة في أصنافهم ودرجاتهم ومراتبهم مع تواتره سنداً ومتانته لفظاً ومعنى.

وقال النيسابوريّ في تفسيره: روي أنّ بني آدم عشر الجنّ، والجنّ وبنو آدم عشر حيوانات البرّ، وهؤلاء كلّهم عشر الطيور، وهؤلاء عشر حيوان البحر وكلّهم عشر ملائكة الأرض الموكّلين بها، وكلّ هؤلاء عشر ملائكة سماء الدنيا وكلّ هؤلاء عشر ملائكة السماء الثانية، وعلى هذا الترتيب إلى ملائكة السماء السابعة. ثمّ الكلّ في مقابلة الكرسيّ نزر قليل، ثم كلّ هؤلاء عشر ملائكة السرادق الواحد من سرادقات العرش التي عددها ستّمائة ألف، طول كلّ سرادق وعرضه وسمكه إذا قوبلت به السماوات والأرض وما فيها فإنّها كلّها يكون شيئاً يسيراً وقدراً قليلاً، وما مقدار موضع قدم إلاّ وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم، لهم زجل بالتسبيح والتقديس، ثمّ كلّ هؤلاء في مقابلة الملائكة الذين يحومون حول العرش كالقطرة في البحر، ولا يعرف عددهم إلاّ الله، ثمّ مع هؤلاء ملائكة اللوح الذين هم أشياع إسرافيل، والملائكة الذين هم جنود جبرائيل، وهم كلّهم سامعون مطيعون، لا يستكبرون عن عبادته ولا يسأمون.

فائدة: قال بليناس في كتاب «علل الأشياء»: إنّ الخالق عزّ وجلّ لمّا ضرب الخلقة بعضها ببعض وطال مكثها خلق الأرواح المتفكّرة القادرة، فخلقهنّ من حرارة الريح ونور النار،

فمنهم خلق خلقوا من حرّ الريح الباردة، ومنهم خلق خلقوا من نور النار الحارّة، ومنهم خلق خلقوا من حركة الماء البارد، ومنهم خلق خلقوا من حركة الماء الحارّ، ومنهم خلق خلقوا من الماء المالح، فخلق الله الخلقة العلويّة من هذه الثلاث طبائع وليس فيهم من طبيعة التراب شيء، ومن خلق منهم في السفل فإنّها خلقت من الطبائع الثلاث التي ذكرت مفردات غير مركّبات، إذ لو كانوا مركّبين إذاً لأدركهم الموت والافتراق، فهذه جميع أجناس المتفكّرة من الملائكة والجنّ والشّياطين وسكّان الريح الباردة والبحر والأرض السود والبيض، والكواكب العلويّة تشرق بنورها عليهم، فتتّصل أنوارهم بنورها ولا يشغلون مكاناً لأنّهم نور، ولا يأخذون مكان غيرهم فهم ملأوا الطبائع يدبّرونها ويقبلون عليها، وكلّ طبيعة من الطبائع فيها خلق عظيم من الروحانيّين، ولا يقع عليهم التفصيل والفناء، لأنّهم ليسوا مركّبين، وإنّما هم من جوهر واحد، فلذلك صاروا أكثر شيء عدداً لا يسأمون ولا ينامون ولا يملّون، يعملون دائبين بالليل والنهار بما وكّلوا به من حركة الفلك، وإدخال بعضها في بعض، وحركة الشمس والقمر والكواكب والأمطار والرياح والحرّ والبرد والإقبال والإدبار في النبات والحيوان والمعادن وأفاعيل الإنس والحيوان. وكلّهم يعمل دائباً بالأمر الذي وكّل به، وهم أجناس؛ جنس منهم في الفلك الأعلى، وهم قيام على أرجلهم لا يجلسون، لأنّ طبيعتهم روحانيّة لطيفة، فبلطافتهم لا يقدرون أن يجلسوا، لأنّها تجذبهم إلى العلو، وكلّهم يسبّحون للذي خلقهم منذ يوم خلقهم لا يعملون ولا يتحرّكون يميناً ولا شمالاً، وليس لهم عمل غير التسبيح للربّ، لهم غلظ وشدّة لحدّة طبائعهم، لأنّهم خلقوا من حرّ النار، وعلى فلك المشتري خلق عظيم من الروحانيّين كذلك، وهم خلق معتدل ساكن لأنّهم خلقوا من روح الماء، ليس لهم قسوة وفظاظة، يدبّرون فلك المشتري، ويقبلون ويتحرّكون مع حركته ويمجّدون الذي خلقهم، وفي فلك المرّيخ خلق عظيم من النورانيّين، وهم غلاظ شداد، لأنّهم خلقوا من نور النار اليابسة، فلذلك لا رأفة لهم ولا رحمة، يدبّرون ويقبلون مع المرّيخ في دوران الفلك لم يملكوا غير ذلك، لأنّهم لا رحمة لهم، ولذلك لم يوكّلوا بشيء من أعمال الناس، وفي فلك الشمس خلق من الكرّوبيّين لهم قسوة وفظاظة لشدّة طبائعهم، لأنّهم خلقوا من الريح والروح، ولهم أناة ونور، فهم موكّلون بأعمال بني آدم على الحرث والنسل، وهم الذين يحرّكون الشمس، وبحركتها يخرج البخار والدخان، فيرفعون ذلك البخار إلى القمر ثمّ إلى الشمس، ثمّ يصدّونه إلى الكواكب العالية، فيكون لهم غذاء، وهم على الثمار والزروع وولادة الحيوان، وهم المسلّطون على جميع الروحانيّين من تحتهم يعملون بأمرهم، وهم لطاف نورانيّون يدورون مع فلك الشمس، ويعملون معها ويعملون في إصلاح العالم وتوالد المواليد، وهم الذين يحفظون شيعة الشيطان وولده عن فساد العالم وخرابه، وحفظ الحيوان منهم. وإنّما سمّوا ملائكة لأنّهم ملكوا زمام الشيطان لئلاّ يخربوا

العالم. وفي فلك الزهرة أيضاً خلق من الروحانيّين لهم اعتدال وصلاح، فهم أحسنهم وجوهاً، ولهم ريح طيّب وبشر حسن، يحبّون الإنس وجميع ما تحتهم من الحيوان حبّاً شديداً، ولهم بهم رأفة ورحمة ورقّة، وهم الذين يسعون في تأليف الذكران والإناث من كلّ شيء لمكان النسل والولادة وبذلك وكّلوا. وفي فلك عطارد روحانيّون خلقوا من حرّ الريح الحارّة، فاتّصلوا بالروحانيّين الذين خلقوا من النور، وهم بين أيديهم مثل العبيد لا يغيبون عن أعينهم طرفة عين، يسارعون في خدمة ملائكة فلك الشمس، ويعملون بمسرّتهم فهم لهم شبيه الوزراء، وهم الموكّلون بالنبات وإصلاحه، وحفظ النبت إذا طلع عن وجه الأرض حتى يتمّ بتمامه، وهم أيضاً موكّلون بصغار الحيوان، والحفظ لهم عن مردة الشياطين. وإنّ القمر جرمه من الشمس وضوءه من نورها، وهما دائبان يعملان في الليل والنهار، وفلك القمر مملوٌّ من الملائكة، وهم ملائكة الرحمن مستبشرو الوجوه، لهم جمال وحسن صور، وليس فيهم غضب ولا شدّة ولا قسوة على ولد آدم لقربهم منهم، وهم أشبه الروحانيّين بالآدميّين، وهم متعطّفون على الحيوان، مصلحون للنبات، دائبون في مسيرة بني آدم. فلاتّصالهم بهم ربما ظهروا لهم وكلّموهم، وهم مسلّطون على السماء، يحرسون السماء من شيطانك وولده أن يسترقوا السمع من الملائكة الأعلى المتّصلين بفلك الشمس، وهم الموكّلون أيضاً بالحبّ المبذور في الأرض، يحفظونه لئلاّ تعرض له الشياطين ليفسدونه فإنّ شيطانك وولده لهم قوّة عظيمة في العالم والحرث والنسل، وكلّما لطفت خلقة من الروحانيّين ورقّت كان أكثر أجنحة، ومنهم من له ستّة أجنحة، ومنهم من له خمسة أجنحة، ومنهم من له أربعة أجنحة، وكذلك إلى جناح واحد. وأمّا المفكّرة التي في الطبائع حين ظهرت لحقوا بالطبائع، فهم مستجنّون في الماء والتراب والريح، لأنّهم خلقوا من حرّ الماء المالح والريح العاصف والتراب المنتن، وهم يسمّون شيطائيل وولده، وهم عصاة جفاة مفسدون في الأرض، لهم خبث عظيم، وقوّة شديدة، ومنظر قبيح، ووجوه سمجة، وأرواحهم قذرة، وهم على الفساد والطغيان، وفي خراب العالم، والخلقة العليا مسلّطة عليهم، يمنعونهم من خراب العالم وفساده (انتهى).

وأقول: إنّما أوردت ملخّصاً من كلامه لتعلم أنّ أكثر كلمات قدماء الحكماء الذين أخذوا العلوم من الأنبياء موافقة لما ورد في لسان الشرع، وإنّما أحدث المتأخّرون منهم ما أحدثوا بآرائهم العليلة الفاسدة.

٢٥ - باب آخر في وصف الملائكة المقربين

الآيات: الشعراء: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾.

النجم: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾.

التكوير: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾﴾.

تفسير: ﴿نَزَلَ بِهِ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: أي نزّل الله بالقرآن الروح الأمين يعني جبرئيل عليه السلام وهو أمين الله عليه لا يغيّره ولا يبدّله، وسمّاه روحاً لأنّه يحيي به الدين، وقيل: لأنه يحيى به الأرواح بما ينزل من البركات وقيل: لأنّه جسم روحانيّ ﴿عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾ يا محمّد، وهذا على سبيل التوسّع، لأنه تعالى يُسمعه جبرئيل فيحفظه، فينزل به على الرسول فيقرأه عليه، فيعيه ويحفظه بقلبه، فكأنّه نزل به على قلبه، وقيل: معناه: لقّنك الله حقّ تلقينه وثبّته على قلبك وجعل قلبك وعاءً له[١].

وقال البيضاويّ: القلب إن أراد به الروح فذاك، وإن أراد به العضو فتخصيصه لأنّ المعاني الروحانيّة إنّما تنزل أوّلاً على الروح، ثمّ تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلّق، ثمّ تتصعّد إلى الدماغ فينتقش بها لوح المتخيلة والروح الأمين جبرئيل فإنّه أمين على وحيه ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ﴾ عمّا يؤدّي إلى عذاب من فعل أو ترك[٢].

﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: يعني به جبرئيل أي القويّ في نفسه وخلقه ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي ذو قوّة وشدّة في خلقه عن الكلبي، وقال: من قوّته أنّه اقتلع قرى قوم لوط من الماء الأسود فرفعها إلى السماء ثمّ قلبها، ومن شدّته صيحته لقوم ثمود حتى أهلكوا وقيل: معناه ذو صحّة وخلق حسن عن ابن عبّاس وغيره. وقيل: شديد القوى في ذات الله، ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ أي صحّة في الجسم سليم من الآفات والعيوب، وقيل: ذو مرّة أي ذو مرور في الهواء ذاهباً وجائياً نازلاً وصاعداً ﴿فَٱسْتَوَىٰ﴾ جبرئيل على الصورة التي خلق عليها بعد انحداره إلى محمّد صلى الله عليه وآله وهو كناية عن جبرئيل أيضاً ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ يعني أفق المشرق، والمراد بالأعلى جانب المشرق، وهو فوق جانب المغرب في صعيد الأرض لا في الهواء. قالوا: إنّ جبرئيل عليه السلام كان يأتي النبيّ صلى الله عليه وآله في صورة الآدميّين، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله أن يريه نفسه على صورته التي خلق عليها، فأراه نفسه مرّتين: مرّة في الأرض، ومرّة في السماء، أمّا في الأرض ففي الأفق الأعلى، وذلك أنّ محمّداً صلى الله عليه وآله كان بحراء، فطلع له جبرئيل عليه السلام من المشرق، فسدّ الأفق إلى المغرب، فخرّ النبيّ صلى الله عليه وآله مغشيّاً عليه، فنزل جبرئيل في صورة الآدميّين فضمّه إلى نفسه، وهو قوله ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ﴾ وتقديره: ثمّ دنى أي قرب بعد بعده وعلوّه في الأفق الأعلى، فدنى من محمّد صلى الله عليه وآله قال الحسن وقتادة: ثمّ دنا جبرئيل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض فنزل إلى محمّد صلى الله عليه وآله وقال الزجّاج: معنى دنى وتدلّى واحد لأنّ معنى دنى قرب، وتدلّى زاد في القرب. وقيل: إنّ المعنى استوى جبرئيل أي ارتفع وعلا إلى

(١) مجمع البيان، ج ٧ ص ٣٥٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٦٤.

السماء بعد أن علّم محمّداً ﷺ عن ابن مسيّب، وقيل: استوى أي اعتدل واقفاً في الهواء بعد أن كان ينزل بسرعة ليراه النبيّ ﷺ وقيل: معناه استوى جبرئيل عليه السلام ومحمّد بالأفق الأعلى يعني السماء الدنيا ليلة المعراج ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ أي كان ما بين جبرئيل عليه السلام وبين رسول الله ﷺ قاب قوسين، والقوس ما يرمى به، وخصّت بالذكر على عادتهم يقال قاب قوس وقاد قوس، وقيل: معناه كان قدر ذراعين كما روي عن النبيّ ﷺ فمعنى القوس ما يقاس به والذراع يقاس به ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ قال الزجّاج: إنّ العباد قد خوطبوا على لغتهم ومقدار فهمهم، وقيل لهم في هذا ما يقال للذي يحدد فالمعنى: فكان على ما تقدرونه أنتم قدر قوسين أو أقلّ من ذلك وقال عبد الله بن مسعود: إنّ رسول الله ﷺ رأى جبرئيل وله ستّمائة جناح[1] وقال في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ أي إنّ القرآن قول رسول كريم على ربّه، وهو جبرئيل عليه السلام وهو كلام الله أنزله على لسانه ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾ أي فيما كلّف وأمر به من العلم والعمل وتبليغ الرسالة وقيل: ذي قدرة في نفسه، ومن قوّته قلع ديار قوم لوط بقوادم جناحه حتى بلغ بها السماء ثمّ قلبها ﴿عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ معناه متمكّن عند الله صاحب العرش وخالقه، رفيع المنزلة، عظيم القدر عنده، كما يقال «فلان مكين عند السلطان» والمكانة: القرب ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ﴾ أي في السماء تطيعه ملائكة السماء، قالوا: ومن طاعة الملائكة لجبرئيل عليه السلام أنّه أمر خازن الجنّة ليلة المعراج حتى فتح لمحمّد ﷺ أبوابها فدخلها، ورأى ما فيها، وأمر خازن النار ففتح له عنها حتى نظر إليها ﴿أَمِينٍ﴾ أي على وحي الله ورسالته إلى أنبيائه، وفي الحديث: أنّ رسول الله ﷺ قال لجبرئيل: ما أحسن ما أثنى عليك ربّك ﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾! فما كانت قوّتك؟ وما كانت أمانتك؟ فقال: أمّا قوّتي، بعثت إلى مدائن لوط فهي أربع مدائن، في كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماوات أصوات الدجاج ونباح الكلاب، ثمّ هويت بهنّ فقلبتهنّ.

وأمّا أمانتي، فإنّي لم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره ﴿وَلَقَدْ رَآهُ بِالْأُفُقِ الْمُبِينِ﴾ أي رأى محمّد ﷺ جبرئيل على صورته التي خلقه الله تعالى عليها حيث تطلع الشمس وهو الأفق الأعلى من ناحية المشرق ﴿وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ قرأها أهل البصرة غير سهل وابن كثير والكسائيّ بالظاء، والباقون بالضاد، فعلى الأوّل المعنى أنّه ليس على وحي الله تعالى وما يخبر به من الأخبار بمتّهم، فإنّ أحواله ناطقة بالصدق والأمانة، وعلى الثاني أي ليس ببخيل فيما يؤدّي عن الله، إذ يعلّمه كما علّمه الله تعالى[2].

١ - **مجالس الصدوق:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن أبي عبد الله البرقيّ، عن أبيه، عن خلف بن حمّاد، عن أبي الحسن العبديّ، عن الأعمش عن عباية بن

(١) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٨٨. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٢٨٠.

ربعيّ، عن عبد الله بن عباس، قال: إنّ رسول الله ﷺ لمّا أسري به إلى السماء انتهى به جبرئيل إلى نهر يقال له «النور» وهو قول الله عزّوجلّ ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ فلمّا انتهى به إلى ذلك النهر قال له جبرئيل: يا محمّد اعبر على بركة الله، فقد نوّر الله لك بصرك، ومدّ لك أمامك، فإنّ هذا نهر لم يعبره أحد لا ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل غير أنّ لي في كلّ يوم اغتماسة فيه، ثمّ أخرج منه فأنفض أجنحتي، فليس من قطرة تقطر من أجنحتي إلاّ خلق الله تبارك وتعالى منها ملكاً مقرّباً له عشرون ألف وجه، وأربعون ألف لسان، كلّ لسان يلفظ بلغة لا يفقهها اللسان الآخر[1].

٢ - **تفسير علي بن إبراهيم:** في خبر المعراج: قال جبرئيل: أقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل[2].

٣ - **ومنه:** عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: لما أسري بي إلى السماء رأيت ملكاً من الملائكة بيده لوح من نور لا يلتفت يميناً ولا شمالاً مقبلاً عليه كهيئة الحزين فقلت: من هذا يا جبرئيل؟ فقال: هذا ملك الموت مشغول في قبض الأرواح، فقلت: أدنني منه يا جبرئيل لأكلّمه، فأدناني منه، فقلت له: يا ملك الموت أكلّ من هو مات أو هو ميّت فيما بعد أنت تقبض روحه؟ قال: نعم، قلت: وتحضرهم بنفسك؟ قال: نعم، ما الدنيا كلّها عندي فيما سخّره الله لي ومكّنني منها إلاّ كدرهم في كفّ الرجل يقلّبه كيف يشاء، وما من دار في الدنيا إلاّ وأدخلها في كلّ يوم خمس مرّات وأقول إذا بكى أهل البيت على ميّتهم: لا تبكوا عليه، فإنّ لي إليكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد. قال رسول الله ﷺ: كفى بالموت طامّة يا جبرئيل! فقال جبرئيل: ما بعد الموت أطمّ وأعظم من الموت![3].

٤ - **ومنه:** في قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ قال: رأى جبرئيل على ساقه الدر مثل القطر على البقل له ستمائة جناح قد ملأ ما بين السماء والأرض[4].

٥ - **التوحيد:** عن أبيه، عن سعد، عن القاسم بن محمّد الإصفهانيّ، عن سليمان المنقريّ، عن حفص بن غياث أو غيره قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّوجلّ ﴿لَقَدْ رَأَىٰ﴾ الآية. وذكر مثله[5].

٦ - **معاني الأخبار:** قال: جبرئيل معناه عبد الله، وميكائيل معناه عبيد الله، وكذلك معنى إسرافيل عبيد الله[6].

---

(١) أمالي الصدوق، ص ٢٩٠ مجلس ٥٦ ح ١٠. ومرّ تمام الخبر، في ج ٣٧ ص ٧٠ ح ٣.
(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤٠١ في تفسيره لسورة الإسراء.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٣٩٨ في تفسيره لسورة الإسراء.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٣١٥ في تفسيره لسورة النجم.
(٥) التوحيد، ص ١١٦.
(٦) معاني الأخبار، ص ٤٩.

٧ - **الخصال:** عن الحسين بن أحمد بن إدريس، عن أبيه عن محمّد بن أحمد، عن أبي عبد الله الرازيّ، عن الحسن بن عليّ بن أبي عثمان، عن موسى بن بكر، عن أبي الحسن الأوّل، قال: قال رسول الله ﷺ: إنّ الله تبارك وتعالى اختار من كلّ شيء أربعة، اختار من الملائكة: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وملك الموت - الخبر(١).

٨ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن أبيه، عن أحمد بن النضر، عن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان بينا رسول الله جالساً وعنده جبرئيل عليه السلام إذ حانت من جبرئيل نظرة قبل السماء فانتقع لونه حتى صار كأنّه كُركُم، ثمّ لاذ برسول الله ﷺ فنظر رسول الله إلى حيث [نظر ظ] جبرئيل فإذا شيء قد ملأ بين الخافقين مقبلاً حتى كان كقاب من الأرض، ثمّ قال: يا محمّد إنّي رسول الله إليك أُخيّرك أن تكون ملكاً رسولاً أحبُّ إليك أو أن تكون عبداً رسولاً، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل وقد رجع إليه لونه فقال جبرئيل: بل كن عبداً رسولاً، فقال رسول الله: بل أكون عبداً رسولاً، فرفع الملك رجله اليمنى فوضعها في كبد السماء الدنيا، ثمّ رفع الأُخرى فوضعها في الثانية، ثمّ رفع اليمنى فوضعها في الثالثة، ثمّ هكذا حتى انتهى إلى السماء السابعة، بعد كلّ سماء خطوة، وكلّما ارتفع صغر حتى صار آخر ذلك مثل الصرّ، فالتفت رسول الله ﷺ إلى جبرئيل عليه السلام فقال: قد رأيتك ذعراً، وما رأيت شيئاً كان أذعر لي من تغيّر لونك! فقال: يا نبيّ الله لا تلمني، أتدري من هذا؟ قال: لا قال: هذا إسرافيل حاجب الربّ، ولم ينزل من مكانه منذ خلق الله السماوات والأرض، ولمّا رأيته منحطّاً ظننت أنّه جاء بقيام الساعة، فكان الذي رأيت من تغيّر لوني لذلك، فلمّا رأيت ما اصطفاك الله به رجع إليّ لوني ونفسي أما رأيته كلّما ارتفع صغر، إنّه ليس شيء يدنو من الربّ إلاّ صغر لعظمته، إنّ هذا حاجب الربّ، وأقرب خلق الله منه، واللوح بين عينيه من ياقوتة حمراء، فإذا تكلّم الربّ تبارك وتعالى بالوحي ضرب اللوح جبينه فنظر فيه، ثم ألقاه إلينا فنسعى به في السماوات والأرض، إنّه لأدنى خلق الرحمن منه، وبيني وبينه تسعون حجاباً من نور تقطع دونها الأبصار ما لا يعدّ ولا يوصف، وإنّي لأقرب الخلق منه، وبيني وبينه مسيرة ألف عام(٢).

بيان: قال الجوهريّ: حان له أن يفعل كذا يحين حيناً أي آن، وحان حينه أي قرب وقته، وقال: قال الكسائيّ: امتقع لونه إذا تغيّر من حزن أو فزع، قال: وكذلك انتقع وابتقع وبالميم أجود. وقال: الكركم الزعفران وقال: لاذ به لواذاً ولياذاً أي لجأ إليه وعاذ به. وفي القاموس: الصرّ طائر كالعصفور وأصغر «يدنو من الرب» أي من موضع مناجاته، أو من عرشه سبحانه «ما لا يعدو لا يوصف» أي دونها وقبل الوصول إليها ما لا يعدّ ولا يوصف

---

(١) الخصال، ص ٢٢٥ باب ٤ ح ٥٧.

(٢) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٧ في تفسيره لسورة الإسراء.

انقطع عندها الأبصار، ولا تقدر على النظر إليها وفي بعض النسخ «ما يعد» بدون «لا» فيمكن أن يكون بدلاً من «تسعون حجاباً» و(ما) موصولة، أي يحيط به العدد دون الوصف، والمراد بالحجب إمّا الحجب المعنويّة كما مرّ، أو المراد بينه وبين عرشه، أو بين منتهى خلقه، أو بين محلّ يصدر منه الوحي.

أقول: ورأيت بخطّ بعض المشايخ هذا الحديث منقولاً من كتاب «مدينة العلم» للصدوق ﷺ بحذف الإسناد عن جابر مثله.

٩ - **ومنه:** أيضاً عن الصادق عليه السلام: قال: إذا أمر الله ميكائيل بالهبوط إلى الدنيا فيما يأمره به صارت رجله في السماء السابعة والأخرى في الأرض السابعة.

١٠ - **ومنه:** عن الصادق عليه السلام قال: إنّ الله خلق حيّة قد أحدقت بالسماوات والأرض، قد جمعت رأسها وذنبها تحت العرش، فإذا رأت معاصي العباد أسفت واستأذنت أن تبلع السماوات والأرض.

١١ - **القصص:** بالإسناد المتقدّم في باب العوالم عن أبي جعفر عليه السلام أنّه قال: إنّ الله خلق الملائكة روحانيّين لهم أجنحة يطيرون بها حيث يشاء الله فأسكنهم فيما بين أطباق السماوات يقدّسونه الليل والنهار، واصطفى منهم إسرافيل وميكائيل وجبرئيل[1].

١٢ - **صحيفة الرضا:** عنه عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لمّا أسري بي إلى السماء رأيت في السماء الثالثة رجلاً قاعداً، رجل له في المشرق ورجل له في المغرب، وبيده لوح ينظر فيه ويحرّك رأسه، فقلت: يا جبرئيل! من هذا؟ قال: هذا ملك الموت[2].

١٣ - **الخرائج:** عن سعد بن عبد الله، عن محمّد بن عيسى اليقطينيّ، عن الحسن بن عليّ، عن جعفر بن بشير، عن معتب غلام الصادق عليه السلام قال: كنت مع أبي عبد الله بالعريض، فجاء يمشي حتى دخل مسجداً كان يعبد الله فيه أبوه، وهو يصلّي في موضع من المسجد، فلمّا انصرف قال: يا معتب ترى هذا الموضع؟ قلت: نعم، قال: بينما أبي عليه السلام قائم يصلّي في هذا المكان إذ دخل شيخ يمشي حسن السمت فجلس فبينما هو جالس إذ جاء رجل آدم حسن الوجه والتمسه، فقال الشيخ: ما يجلسك؟ ليس بهذا أُمرت، فقاما وانطلقا وتواريا عنّي فلم أر شيئاً، فقال: يا بنيّ! هل رأيت الشيخ وصاحبه؟ فقلت: نعم، فمن الشيخ وصاحبه؟ قال: الشيخ ملك الموت، والذي جاء فأخرجه جبرئيل[3].

١٤ - **ومنه:** عن سعد بن عبد الله، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن فضالة، عن أبان بن عثمان، عن زرارة، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: بينما أنا في الدار

(١) قصص الأنبياء للراوندي، ص ٣٦.

(٢) صحيفة الإمام الرضا عليه السلام ص ٩٨ ح ١٧٦.

(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٥٩ ح ٧٣-٧٤.

مع جارية لي إذ أقبل رجل قاطب بوجهه، فلمّا رأيته علمت أنّه ملك الموت. فاستقبله رجل آخر أطلق منه وجهاً وأطلق منه بشراً فقال له: ليس بذا أُمرت، فبينما أنا أُحدّث الجارية إذ قبضت[١].

بيان: «ليس بذا أمرت» أي بالتأخير، أو بملاقاة غير المتوفّى، أو بالقطوب للإمام. وفي الخبر السابق يحتمل الجلوس، أو قبض الإمام عليه السلام مع الاحتمالين الأوّلين، والله يعلم.

١٥ - **المتهجّد:** في تعقيب صلاة أمير المؤمنين: وباسمك المكتوب على جبهة إسرافيل، وبقوّة ذلك الاسم الذي ينفخ به إسرافيل في الصور، وأسألك باسمك المكتوب على راحة رضوان خازن الجنان[٢].

١٦ - **الاختصاص:** بإسناده عن ابن عبّاس، قال عبد الله بن سلام للنبيّ صلى الله عليه وآله فيما سأله: من أخبرك؟ قال النبيّ صلى الله عليه وآله: جبرئيل، قال: عمّن؟ قال قال: عن ميكائيل، قال: عمّن؟ قال قال: عن إسرافيل، قال: عمّن؟ قال قال: عن اللوح المحفوظ، قال: عمّن؟ قال: عن القلم، قال: عمّن؟ قال قال: عن ربّ العالمين، قال: صدقت، فأخبرني عن جبرئيل في زيّ الإناث أم في زيّ الذكور؟ قال: في زيّ الذكور، قال: فأخبرني ما طعامه قال: طعامه التسبيح، وشرابه التهليل. قال: صدقت يا محمّد، فأخبرني ما طول جبرئيل؟ قال: إنّه على قدر بين الملائكة، ليس بالطويل العالي ولا بالقصير المتداني له ثمانون ذؤابة، وقصّة جعدة، وهلال بين عينيه، أغرّ أدعج محجّل، ضوؤه بين الملائكة كضوء النهار عند ظلمة الليل، له أربع وعشرون جناحاً خضراء مشبّكة بالدرّ والياقوت مختّمة باللؤلؤ، وعليه وشاح بطانته الرحمة، وأزراره الكرامة ظهارته الوقار ريشه الزعفران، واضح الجبين، أقنى الأنف، سائل الخدّين مدوّر اللحيين، حسن القامة، لا يأكل ولا يشرب، ولا يملّ ولا يسهو، قام بوحي الله إلى يوم القيامة. قال: صدقت يا محمّد - ثمّ ساق الحديث إلى أن قال - وما الثلاثة؟ قال صلى الله عليه وآله: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وهم رؤساء الملائكة، وهم على وحي ربّ العالمين[٣].

بيان: «طعامه التسبيح» أي يتقوّون بالتسبيح والتهليل، كما يتقوّى الإنسان بالطعام والشراب ولا يبقى بدونهما والقصّة - بالضمّ - شعر الناصية ذكره الجوهريّ، وقال: الغرّة - بالضمّ - : بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم، يقال فرس أغرّ والأغرّ الأبيض، ورجل أغرّ أي شريف وقال: الدعج شدّة سواد العين مع سعتها، والأدعج من الرجال: الأسود. وقال: التحجيل بياض في قوائم الفرس أو في ثلاث منها أو في رجليه قلّ أو كثر بعد أن يجاوز الأرساغ ولا يجاوز الركبتين والعرقوبين لأنّها مواضع الأحجال وهي الخلاخيل والقيود،

---

(١) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٨٥٩ ح ٧٣-٧٤.
(٢) مصباح المتهجد، ص ٢١٧.
(٣) الإختصاص، ص ٤٥.

يقال فرس محجّل. وقال: الوشاح ينسج من أديم عريضاً ويرصّع بالجواهر وتشدّه المرأة بين عاتقها وكشحها (انتهى) والمراد بالوشاح إمّا المعنوي فالصفات ظاهرة أو الصوريّ فالمعنى أنّ بطانته علامة رحمة الله له أو للعباد، وكذا الباقيتان، والقنى احد يداب في الأنف.

١٧ - **الكافي**: عن عدّة من أصحابه، عن سهل بن زياد، عن ابن محبوب عن حنان بن سدير، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: أخبرني عن قول يعقوب لبنيه ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾[1] أكان يعلم أنّه حيّ وقد فارقه منذ عشرين سنة؟ قال: نعم، قال: قلت: كيف علم؟ قال: إنّه دعا في السحر وسأل الله أن يهبط عليه ملك الموت، فهبط عليه بريال وهو ملك الموت فقال له بريال: ما حاجتك يا يعقوب؟ قال له: أخبرني عن الأرواح التي تقبضها مجتمعة أو متفرّقة؟ قال: بل أقبضها متفرّقة روحاً روحاً، قال: أخبرني فهل مرّ بك روح يوسف فيما مرّ بك؟ قال: لا، فعلم يعقوب أنّه حيّ، فعند ذلك قال لولده: ﴿ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾[2].

بيان: «فتحسّسوا» التحسّس طلب الإحساس، أي تعرّفوا منهما وتفحّصوا عن حالهما «تقبضها مجتمعة» لعلّ السؤال عن الاجتماع والتفرّق في الأخذ، لأنّه إذا قبضها مجتمعة يمكن أن يغفل عن خصوص كلّ واحد بخلاف ما إذا أخذ روحاً روحاً، أو لأنّه إذا قبضها مجتمعة يمكن أن تسلم إليه بعد مرور الأيّام ليجتمع عدد كثير منها ولمّا يصل روح يوسف عليه السلام إليه بعد ذلك، وهذا الملك إمّا عزرائيل يقبض الأرواح من أعوانه، أو غيره يقبض منه، والأخير أظهر.

١٨ - **الكافي**: عن عدّة من أصحابه، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن الحكم عن معاوية بن ميسرة، عن الحكم بن عيينة، عن أبي جعفر عليه السلام قال: إنّ في الجنّة نهراً يغتمس فيه جبرئيل كلّ غداة، ثمّ يخرج منه فينتفض، فيخلق الله عزّ وجلّ من كلّ قطرة تقطر منه ملكاً[3].

١٩ - ومنه: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن عليّ بن الحكم، عن الحسين بن أبي العلا الخفّاف، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لما انهزم الناس يوم أحد - وساق الحديث الطويل إلى أن قال: - قال النبيّ صلى الله عليه وآله: يا ربّ وعدتني أن تظهر دينك، وإن شئت لم يعيك. فأقبل عليّ عليه السلام إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله أسمع دوياً شديداً وأسمع أقدم حيزوم وما أهمّ أضرب أحداً إلاّ سقط ميّتاً قبل أن أضرب. فقال: هذا جبرئيل وميكائيل وإسرافيل في الملائكة ثمّ جاءه جبرئيل فوقف إلى جنب رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا محمّد، إنّ هذه هي المواساة فقال: إنّ عليّاً منّي وأنا منه. فقال جبرئيل عليه السلام: وأنا منكما، ثمّ انهزم الناس - وساق الحديث إلى قوله - فأتبعهم جبرئيل عليه السلام فكلّما سمعوا وقع حوافر

(١) سورة يوسف، الآية: ٨٧.
(٢) روضة الكافي، ح ٢٣٨.
(٣) روضة الكافي، ح ٤٠٤.

فرسه جدّوا في السير، فكان يتلوهم، فإذا ارتحلوا قال هو ذا عسكر محمّد قد أقبل، فدخل أبو سفيان مكّة، فأخبرهم الخبر، وجاء الرعاة والحطّابون فدخلوا مكّة فقالوا: رأينا عسكر محمّد كلّما رحل أبو سفيان نزلوا يقدمهم فارس على فرس أشقر يطلب آثارهم فأقبل أهل مكّة على أبي سفيان يوبّخونه - إلى آخر الخبر[١].

٢٠ - ومنه: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد بن عيسى، عن ابن فضّال عن داود ابن فرقد، عن أبي يزيد الحمار عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى بعث أربعة أملاك في إهلاك قوم لوط: جبرئيل، وميكائيل، وإسرافيل، وكروبيل عليهم السلام فمرّوا بإبراهيم عليه السلام وهم معتمّون، فسلّموا عليه، فلم يعرفهم ورأى هيئة حسنة، فقال: لا يخدم هؤلاء أحداً إلاّ أنا بنفسي، وكان صاحب أضياف فشوى لهم عجلاً سميناً حتى أنضجه، ثمّ قرّبه إليهم، فلمّا وضعه بين أيديهم ورأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة، فلمّا رأى ذلك جبرئيل حسر العمامة عن وجهه وعن رأسه فعرفه إبراهيم، فقال: أنت هو؟ فقال: نعم، ومرّت امرأته سارة فبشّرها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب. فقالت ما قال الله، فأجابوها بما في الكتاب العزيز، فقال إبراهيم عليه السلام لهم: في ماذا جئتم؟ قالوا له: في إهلاك قوم لوط - وساق الحديث إلى أن قال: - فأتوا لوطاً وهو في زراعة له قرب المدينة فسلّموا عليه وهم معتمّون، فلمّا رآهم رأى هيئة حسنة عليهم عمائم بيض وثياب بيض فقال لهم: المنزل، فقالوا: نعم، فتقدّمهم ومشوا خلفه، فندم على عرضه عليهم المنزل، وقال: أيّ شيء صنعت! آتي بهم قومي وأنا أعرفهم؟! فالتفت إليهم فقال: إنّكم تأتون شراراً من خلق الله - وساق إلى قوله - فلمّا رأتهم امرأته رأت هيئة حسنة، فصعدت فوق السطح وصفقت فلم يسمعوا فدخنت، فلمّا رأوا الدخان أقبلوا يهرعون إلى الباب - وساق إلى قوله - فكاثروه حتى دخلوا البيت فأهوى جبرئيل نحوهم بإصبعه، فذهبت أعينهم - وساق إلى قوله - ثمّ اقتلعها جبرئيل عليه السلام بجناحه من سبع أرضين، ثمّ رفعها حتى سمع أهل السماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديكة، ثمّ قلبها وأمطر عليها وعلى من حول المدينة حجارة من سجّيل[٢].

٢١ - ومنه: عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد وعليّ بن إبراهيم، عن أبيه جميعاً عن أحمد بن محمّد بن أبي نصر، عن أبان بن عثمان، عن محمّد بن مروان، عمّن رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال: لمّا اتّخذ الله عزّ وجلّ إبراهيم خليلاً أتاه بُشراه بالخلّة، فجاءه ملك الموت في صورة شابّ أبيض عليه ثوبان أبيضان يقطر رأسه ماءً ودهناً، فدخل إبراهيم عليه السلام الدار، فاستقبله خارجاً من الدار، وكان إبراهيم رجلاً غيوراً، وكان إذا خرج في حاجة أغلق بابه وأخذ مفتاحه معه، ثمّ رجع ففتح فإذا هو برجل أحسن ما يكون من الرجال، فأخذ بيده وقال: يا عبد الله من أدخلك داري؟ فقال: ربّها أدخلنيها. فقال: ربّها أحقّ بها منّي، فمن

(١) روضة الكافي، ح ٥٠٢.

(٢) روضة الكافي، ح ٥٠٥.

أنت؟ قال: أنا ملك الموت، ففزع إبراهيم وقال: جئتني لتسلبني روحي؟ قال: لا، ولكن اتّخذ الله عبداً خليلاً فجئت لبشارته، فقال: من هو؟ لعلّي أخدمه حتى أموت! قال: أنت هو، فدخل على سارة فقال لها: إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذني خليلاً[١].

٢٢ - **الدر المنثور:** من عدّة كتب عن ابن عبّاس، قال: بينا رسول الله ﷺ ومعه جبرئيل يناجيه إذ انشقّ أفق السماء فأقبل جبرئيل يتضاءل ويدخل بعضه في بعض ويدنو من الأرض، فإذا ملك قد مثل بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد إنّ ربّك يقرئك السلام ويخيّرك بين أن تكون نبيّاً ملكاً، وبين أن تكون نبيّاً عبداً، قال رسول الله ﷺ: فأشار جبرئيل إليّ بيده أن تواضع فعرفت أنّه لي ناصح. فقلت: عبد نبيّ، فعرج ذلك الملك إلى السماء، فقلت: يا جبرئيل قد كنت أردت أن أسألك عن هذا، فرأيت من حالك ما شغلني عن المسألة فمن هذا يا جبرئيل؟ قال: هذا إسرافيل، خلقه الله يوم خلقه بين يديه صافّاً قدميه لا يرفع طرفه، بينه وبين الربّ سبعون نوراً ما منها نور يدنو منه أحد إلاّ احترق، بين يديه اللوح المحفوظ، فإذا أذن الله في شيء في السماء أو في الأرض ارتفع ذلك اللوح، فضرب جبهته فينظر فيه، فإن كان من عملي أمرني به، وإن كان من عمل ميكائيل أمره به، وإن كان من عمل ملك الموت أمره به قلت: يا جبرئيل على أيّ شيء أنت؟ قال: على الرياح والجنود، قلت: على أيّ شيء ميكائيل؟ قال: على النبات والقطر، قلت: على أي شيء ملك الموت؟ قال: على قبض الأنفس، وما ظننت أنّه هبط إلاّ لقيام الساعة وما ذاك الذي رأيت منّي إلاّ خوفاً من قيام الساعة[٢].

٢٣ - وعن ابن عبّاس قال: قال رسول الله ﷺ: أفضل الملائكة جبرئيل[٣].

٢٤ - وعن موسى بن أبي عائشة، قال: بلغني أنّ جبرئيل إمام أهل السماء[٤].

٢٥ - وعن جابر بن عبد الله قال: إنّ جبرئيل موكّل بحاجات العباد، فإذا دعاه المؤمن قال: يا جبرئيل احبس حاجة عبدي، فإنّي أحبّه وأحبّ صوته، وإذا دعا الكافر قال: يا جبرئيل اقبض حاجة عبدي فإنّي أبغضه وأبغض صوته.

وعن شريح بن عبيد أنّ النبيّ ﷺ لمّا صعد إلى السماء رأى جبرئيل في خلقته منظوم أجنحته بالزبرجد واللؤلؤ والياقوت، قال: فخيّل إليّ أنّ ما بين عينيه قد سدّ الأفق وكنت أراه قبل ذلك على صور مختلفة، وأكثر ما كنت أراه على صورة دحية الكلبيّ، وكنت أحياناً أراه كما يرى الرجل صاحبه من وراء الغربال[٥].

٢٧ - وعن حذيفة: لجبرئيل جناحان، وعليه وشاح من درّ منظوم، وهو برّاق الثنايا، أجلى الجبين، ورأسه محبّك حبك مثل اللؤلؤ كأنّه الثلج وقدماه إلى الخضرة[٦].

---

(١) روضة الكافي، ح ٥٨٩.

(٢) - (٦) الدر المنثور، ج ١ ص ٩١-٩٢.

بيان: قال في النهاية: رأسه محبّك أي شعر رأسه متكسّر من الجعودة، مثل الماء الساكن والرمل إذا هبّت عليهما الريح فيتجعّدان ويصيران طرائق.

٢٨ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس، عن النبيّ ﷺ قال: ما بين منكبي جبرئيل مسيرة خمسمائة عام للطائر السريع الطيران[١].

٢٩ - وعن وهب أنّه سئل عن خلق جبرئيل فذكر أنّ ما بين منكبيه من ذي إلى ذي خفق الطير سبعمائة عام[٢].

٣٠ - وعن ابن شهاب أنّ رسول الله سأل جبرئيل أن يتراءى له في صورته فقال جبرئيل: إنّك لن تطيق ذلك، قال: إنّي أحبّ أن تفعل، فخرج رسول الله ﷺ إلى المصلّى في ليلة مقمرة، فأتاه جبرئيل في صورته فغشي على رسول الله ﷺ حين رآه، ثمّ أفاق وجبرئيل مسنده وواضع إحدى يديه على صدره، والأخرى بين كتفيه، فقال رسول الله ﷺ: ما كنت أرى أنّ شيئاً ممّن يخلق هكذا، فقال جبرئيل: فكيف لو رأيت إسرافيل؟ إنّ له لاثني عشر جناحاً منها جناح في المشرق، وجناح في المغرب، وإنّ العرش على كاهله، وإنّه ليتضاءل الأحيان لعظمة الله حتى يصير مثل الوصع حتى ما يحمل عرشه إلاّ عظمته[٣].

بيان: قال في النهاية: فيه إن العرش على منكب إسرافيل، وإنّه ليتواضع لله حتى يصير مثل الوصع. يروى بفتح الصاد وسكونها، وهو طائر أصغر من العصفور، والجمع وصعان.

٣١ - **الدر المنثور:** عن أبي سعيد، عن النبيّ ﷺ قال: إنّ في الجنّة لنهراً ما يدخله جبرئيل من دخلة فيخرج فينتفض إلاّ خلق الله من كلّ قطرة تقطر منه ملكاً[٤].

٣٢ - **قال:** وروي أنّ جبرئيل أتى النبيّ ﷺ وهو يبكي، فقال له: ما يبكيك؟ قال: ما لي لا أبكي؟ فوالله ما جفّت لي عين منذ خلق الله النار مخافة أن أعصيه فيقذفني فيها. وقال: ما ضحك ميكائيل منذ خلقت النار[٥].

٣٣ - وعن عكرمة قال سأل رسول الله ﷺ جبرئيل عن أكرم الخلق على الله فعرج ثمّ هبط فقال: أكرم الخلق على الله جبرئيل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فأمّا جبرئيل

---

(١)- (٢) الدر المنثور، ج ١ ص ٩١-٩٢.

(٣) الدر المنثور، ج ١ ص ٩٢. في تفسير البرهان، سورة النجم، في رواية شريفة قال جبرئيل: يا محمّد لو رأيت اسرافيل الّذي رأسه تحت العرش ورجلاه تحت تخوم الأرض السابعة واللوح المحفوظ بين حاجبيه، وإنّه إذا ذكر اسم الله يبقى كالعصفور؛ الخبر. وفيه رواية اخرى في وصف خلقته وقوّته وأحواله وبكائه ودمعه وأنّه لو انسكب دمعه من السماء ليطبق ما بين السماء إلى الأرض، ومن عظمته أنّ جبرئيل طار ثلاثمائة عام ما بين شفة إسرافيل وأنفه فلم يبلغ إلى آخره؛ الخبر. [مستدرك السفينة ج ٥ لغة «سرف»].

(٤) - (٥) الدر المنثور، ج ١ ص ٩٢-٩٣.

فصاحب الحرب وصاحب المرسلين، وأمّا ميكائيل فصاحب كلّ قطرة تسقط، وكلّ ورقة تنبت، وكلّ ورقة تسقط، وأمّا ملك الموت، فهو موكّل بقبض روح كلّ عبد في برّ أو بحر، وأمّا إسرافيل فأمين الله بينه وبينهم[(١)].

٣٤ - وعن ابن عبّاس أنّ جبرئيل وقف على رسول الله ﷺ وعليه عصابة خضراء قد علاها الغبار، فقال رسول الله ﷺ: ما هذا الغبار الذي أرى على عصابتك؟ قال: إنّي زرت البيت فازدحمت الملائكة على الركن، فهذا الغبار الذي ترى ممّا تثير بأجنحتها[(٢)].

٣٥ - وعن ابن عبّاس قال: جلس رسول الله ﷺ مجلساً فأتاه جبرئيل فجلس بين يدي رسول الله ﷺ واضعاً كفّيه على ركبتي رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله حدّثني عن الإسلام، قال: الإسلام أن تسلم وجهك لله عزّ وجلّ، وأن تشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله. قال: فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت. فقال: يا رسول الله حدّثني عن الإيمان، قال: الإيمان أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيّين والموت والحياة بعد الموت، وتؤمن بالجنّة والنار والحساب والميزان، وتؤمن بالقدر كلّه خيره وشرّه، قال: فإذا فعلت ذلك فقد آمنت. قال: يا رسول الله حدّثني ما الإحسان؟ قال: الإحسان أن تعمل لله كأنّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنّه يراك[(٣)].

٣٦ - وعن أنس وغيره بأسانيد قال: بينما رسول الله ﷺ جالساً مع أصحابه إذ جاءه رجل عليه ثياب السفر يتخلّل الناس حتى جلس بين يدي رسول الله ﷺ فوضع يده على ركبة رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد ما الإسلام - وساقوا الحديث مثل ما مرّ إلى قولهم - يا رسول الله متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وأدبر الرجل فذهب. فقال رسول الله ﷺ: عليّ بالرجل، فاتّبعوه يطلبونه فلم يروا شيئاً، فقال رسول الله: ذلك جبرئيل، جاءكم ليعلّمكم دينكم[(٤)].

٣٧ - وعن وهب بن منبّه، قال: خلق الله الصور من لؤلؤة بيضاء في صفاء الزجاجة، ثمّ قال للعرش: خذ الصور، فتعلّق به، ثمّ قال: كن، فكان إسرافيل فأمره أن يأخذ الصور، فأخذه وبه ثقب بعدد كلّ روح مخلوقة ونفس منفوسة لا تخرج روحان من ثقب واحد، وفي وسط الصور كوّة كاستدارة السماء والأرض وإسرافيل واضع فمه على تلك الكوّة ثمّ قال له الربّ تعالى: قد وكّلتك بالصور، فأنت للنفخة وللصيحة. فدخل إسرافيل في مقدّم العرش، فأدخل رجله اليمنى تحت العرش، وقدّم اليسرى، ولم يطرف منذ خلقه الله ينظر متى يؤمر به[(٥)].

(١) الدر المنثور، ج ١ ص ٩٣.
(٢) الدر المنثور، ج ١ ص ١٣٢.
(٣) الدر المنثور، ج ١ ص ٩٣.
(٤) الدر المنثور، ج ١ ص ١٧٠.
(٥) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٣٨.

٣٨ - وعن ابن عبّاس عن النبيّ ﷺ في قوله تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ قال: الروح الأمين جبرئيل، رأيت له ستّمائة جناح من لؤلؤ قد نشرهما فيهما مثل ريش الطواويس[1].

٣٩ - وعن أبي سعيد الخدريّ، قال: قال رسول الله ﷺ كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ فينفخ قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكّلنا[2].

توضيح: قال الجوهريّ فيه كيف أنعم وصاحب القرن قد التقمه أي كيف أتنعّم من النعمة - بالفتح - وهي المسرّة والفرح والترفّه.

٤٠ - **الدر المنثور:** عن ابن مسعود، قال: الصور كهيئة القرن ينفخ فيه[3].

٤١ - وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: ما طرف صاحب الصور مذ وكّل به مستعداً ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر بالصيحة قبل أن يرتدّ إليه طرفه كأنّ عينه كوكبان درّيان[4].

٤٢ - وعن أبي سعيد قال: إنّ صاحبي الصور بأيديهما قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران[5].

٤٣ - وعنه عن النبيّ ﷺ قال: وما من صباح إلاّ وملكان موكّلان بالصور ينتظران متى يؤمران أن ينفخا في الصور فينفخا[6].

٤٤ - وعن كعب قال: إسرافيل له أربعة أجنحة: جناحان في الهواء، وجناح قد تسرول به، وجناح على كاهله، والقلم على أذنه، فإذا نزل الوحي كتب القلم ودرست الملائكة، وملك الصور أسفل منه جاث على إحدى ركبتيه، وقد نصب الأخرى، فالتقم الصور فحنى ظهره، وطرفه إلى إسرافيل وقد أمر إذا رأى إسرافيل قد ضمّ جناحه أن ينفخ في الصور[7].

وعن عائشة مثله[8].

٤٥ - وعن ابن عبّاس قال: لما نزلت ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ قال رسول الله ﷺ: كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن وحنى جبهته يستمع متى يؤمر؟ قالوا: كيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، وعلى الله توكّلنا[9].

٤٦ - عن قتادة ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ قال: فإذا نفخ في الصور[10].

٤٧ - وعن ابن مسعود ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾ قال جبرئيل في رفرف أخضر قد سدّ الأفق[11].

٤٨ - وعنه أيضاً: قال رأى جبرئيل له ستّمائة جناح قد سدّ الأفق[12].

---

(١) الدر المنثور، ج ٥ ص ٩٤.
(٢) - (٨) الدر المنثور، ج ٥ ص ٣٣٨.
(٩) - (١٠) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٨٢.
(١١) - (١٢) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢١.

٤٩ - وعن ابن عبّاس في الآية قال: إنّما عنى جبرئيل، إنّ محمّداً رآه في صورته عند سدرة المنتهى(١).

٥٠ - وعن معاوية بن قرّة قال: قال رسول الله ﷺ لجبرئيل: ما أحسن ما أثنى عليك ربّك ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ۝٢١﴾ ما كانت قوّتك؟ وما كانت أمانتك؟ قال: أمّا قوّتي فإنّي بعثت إلى مدائن قوم لوط وهي أربع مدائن وفي كلّ مدينة أربعمائة ألف مقاتل سوى الذراري، فحملتهم من الأرض السفلى حتى سمع أهل السماء أصوات الدجاج ونباح الكلاب، وهويت بهنّ فقتلتهن وأمّا أمانتي فلم أؤمر بشيء فعدوته إلى غيره(٢).

٥١- وعن أبي صالح في قوله ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ قال: جبرئيل ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ قال: على سبعين حجاباً يدخلها بغير إذن(٣).

٥٢ - وعن الخزرج قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: ونظر إلى ملك الموت عند رأس رجل من الأنصار، فقال: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن فقال ملك الموت: طب نفساً وقرّ عيناً، واعلم بأنّي بكلّ مؤمن رفيق، واعلم أنّي - يا محمّد - لأقبض روح ابن آدم، فإذا صرخ صارخ قمت في الدار ومعي روحه فقلت: ما هذا الصارخ؟ والله ما ظلمنا ولا سبقنا أجله ولا استعجلنا قدره، وما لنا في قبضه من ذنب، فإن ترضوا بما صنع الله تؤجروا، وإن تسخطوا تأثموا وتؤزروا وإنّ لنا عندكم عودة بعد عودة، فالحذر! الحذر! وما من أهل بيت شعر ولا مدر برّ ولا فاجر، سهل ولا جبل، إلاّ وأنا أتصفّحهم في كلّ يوم وليلة، حتى لأنا أعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله لو أردت أن أقبض روح بعوضة ما قدرت على ذلك حتى يكون الله هو يأذن بقبضها(٤).

٥٣ - وعن ابن عبّاس قال: وكّل ملك الموت بقبض أرواح الآدميّين فهو الذي يلي قبض أرواحهم، وملك في الجنّ، وملك في الشياطين، وملك في الطير والوحش والسباع والحيتان والنمل، فهم أربعة أملاك، والملائكة يموتون في الصعقة الأولى، وإنّ ملك الموت يلي قبض أرواحهم، ثمّ يموت، وأمّا الشهداء في البحر فإنّ الله يلي قبض أرواحهم، لا يكل ذلك إلى ملك الموت لكرامتهم عليه(٥).

٥٤ - وعن أبي جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام قال: دخل النبيّ ﷺ على رجل من الأنصار يعوده، فإذا ملك الموت عند رأسه، فقال رسول الله ﷺ: يا ملك الموت ارفق بصاحبي فإنّه مؤمن فقال: أبشر يا محمّد، فإنّي بكلّ مؤمن رفيق، واعلم يا محمّد أنّي لأقبض روح ابن آدم فيصرخ أهله، فأقوم في جانب من الدار فأقول: والله ما لي ذنب، وإنّ لي لعودة وعودة، الحذر! الحذر! وما خلق الله من أهل بيت مدر ولا شعر ولا وبر في برّ ولا بحر إلاّ وأنا

(١) - (٣) الدر المنثور، ج ٦ ص ٣٢١. (٤) - (٥) الدر المنثور، ج ٥ ص ١٧٣.

أتصفّحهم فيه في كلّ يوم وليلة خمس مرّات، حتى أنّي لأعرف بصغيرهم وكبيرهم منهم بأنفسهم، والله يا محمّد إنّي لا أقدر أن أقبض روح بعوضة حتى يكون الله تبارك وتعالى الذي يأمر بقبضه[1].

٥٥ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن يونس، عن الهيثم بن واقد، عن رجل، عن أبي عبد الله عليه السلام مثله بأدنى تغيير[2].

٥٦ - وعن عليّ، عن أبيه عن ابن محبوب، عن المفضّل بن صالح، عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام مثله أيضاً. لكن فيهما: خمس مرّات عند مواقيت الصلوات[3].

بيان: لا يخفى عدم دلالة هذه الأخبار على كون قابض أرواح الحيوانات ملك الموت، فإنّ الغرض منها المبالغة في عدم قدرته على فعل صغير أو كبير بدون إذنه سبحانه، فلا ينافي خبر ابن عبّاس، لكن ليس في أخبارنا تصريح بأحد الطرفين والتوقّف في مثله أحوط، وقد مضت الأخبار المناسبة لهذا الباب والذي قبله في كتاب المعاد وغيره.

٢٦ - باب عصمة الملائكة وقصة هاروت وماروت
وفيه ذكر حقيقة السحر وأنواعه

الآيات: البقرة: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ «١٠٢».

النساء: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ «١٧٢».

الأعراف: ﴿إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ﴾ «٢٠٦».

النحل: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

مريم: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

الأنبياء: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ

(١) الدر المنثور، ج ٥ ص ١٧٤.
(٢) - (٣) الكافي، ج ٣ ص ٧٢ باب ٨٥ ح ٢-٣.

وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّىٓ إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

التحريم: ﴿عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ «٦».

تفسير: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ أقول: هذه الآية ممّا يوهم نفي عصمة الملائكة، وللعلماء في تأويلها مسالك نشير إلى بعضها وإن أفضى إلى الإطناب.

قال السيّد المرتضى رضي الله عنه في كتاب الغرر والدرر: إن سأل سائل عن قوله عزّ وعلا ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ فقال: كيف ينزل الله سبحانه السحر على الملائكة؟ أم كيف تعلّم الملائكة الناس السحر والتفريق بين المرء وزوجه؟ وكيف نسب الضرر الواقع عند ذلك إلى أنّه بإذنه وهو تعالى قد نهى عنه وحذّر من فعله؟ وكيف أثبت العلم لهم ونفاه عنهم بقوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ثمّ بقوله ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾؟

الجواب: قلنا: في الآية وجوه كلّ منها يزيل الشبهة الداخلة على من لم يمعن النظر فيها:

أولها: أن يكون ﴿مَآ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ بمعنى الذي، فكأنّه تعالى خبّر عن طائفة من أهل الكتاب بأنّهم اتّبعوا ما تكذب فيه الشياطين على ملك سليمان وتضيفه إليه من السحر، فبرّأه الله عزّ وجلّ من قرفهم وأكذبهم في قولهم فقال تعالى ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ باستعمال السحر والتمويه على الناس، ثمّ قال ﴿يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ وأراد أنّهم يعلّمونهم السحر وما الذي أنزل على الملكين، وإنّما أنزل على الملكين وصف السحر وماهيّته وكيفيّة الاحتيال فيه ليعرفا ذلك ويعرّفاه الناس فيجتنبوه ويحذروا منه، كما أنّه تعالى قد أعلمنا ضروب المعاصي ووصف لنا أحوال القبائح لنجتنبها لا لنواقعها، إلاّ أنّ الشياطين كانوا إذا علموا ذلك وعرفوه استعملوه وأقدموا على فعله، وإن كان غيرهم من المؤمنين لمّا عرفه اجتنبه وحاذره وانتفع باطّلاعه على كيفيّته. ثمّ قال ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يعني الملكين، ومعنى ﴿يُعَلِّمَانِ﴾ يعلمان، والعرب تستعمل لفظة «علّمه» بمعنى أعلمه، قال القطاميّ:

تعلّم أنّ بعد الغيّ رشداً وأنّ لتانك الغمر انقشاعا

وقال كعب بن زهير:

تعلّم رسول الله أنّك مدركي وإنّ وعيداً منك كالأخذ باليد

ومعنى «تعلّم» في البيتين معنى «أعلم» والذي يدلّ على أنّه ههنا الإعلام لا التعليم قوله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ أي إنّهما لا يعرّفان صفات السحر وكيفيّته إلاّ بعد أن يقولا إنّما نحن محنة، لأنّ الفتنة بمعنى المحنة، من حيث ألقيا إلى المكلّفين أمراً لينزجروا عنه وليمتنعوا من مواقعته، وهم إذا عرفوه أمكن أن يستعملوه

ويتركوه، فقالا لمن يطلعانه على ذلك: لا تكفر باستعماله، ولا تعدل عن الغرض في إلقاء هذا إليك، فإنّه إنّما ألقي إليك واطّلعت عليه لتجتنبه لا لتفعله. ثمّ قال ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ أي فيعرفون من جهتهما ما يستعملونه في هذا الباب وإن كان الملكان ما ألقياه إليهم لذلك، ولهذا قال ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ لأنّهم لمّا قصدوا بتعلّمه أن يفعلوه ويرتكبوه لا أن يجتنبوه صار ذلك بسوء اختيارهم ضرراً عليهم.

وثانيها: أن يكون ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ موضعه موضع جرّ، ويكون معطوفاً بالواو على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ أي: واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين. ومعنى ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ أي معهما وعلى ألسنتهما كما قال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ﴾ أي على ألسنتهم ومعهم، وليس بمنكر أن يكون ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ معطوفاً على ملك سليمان وإن اعترض بينهما من الكلام ما اعترض، لأنّ ردّ الشيء إلى نظيره وعطفه على ما هو أولى هو الواجب وإن اعترض بينهما ما ليس منهما، ولهذا نظائر في القرآن وكلام العرب كثيرة: قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا﴾[1] و(قيم) من صفات الكتاب حال منه، لا من صفة (عوج) وإن تباعد ما بينهما، ومثله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[2] فالمسجد الحرام ههنا معطوف على الشهر الحرام أي يسألونك عن الشهر وعن المسجد الحرام. وحكي عن بعض علماء أهل اللغة أنّه قال: العرب تلفّ الخبرين المختلفين ثمّ ترمي بتفسيرهما جملة، ثقة بأنّ السامع يردّ إلى كلّ خبره كقوله عزّ وجلّ ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِۦ جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾[3] وهذا واضح في مذهب العرب كثير النظائر.

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ والمعنى أنّهما لا يعلّمان أحداً بل ينهيان عنه، ويبلغ من نهيهما عنه وصدّهما عن فعله واستعماله أن يقولا إنّما نحن فتنة ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ باستعمال السحر والإقدام على فعله، وهذا كما يقول الرجل: ما أمرت فلاناً بكذا ولقد بالغت في نهيه حتى قلت له إنّك إن فعلته أصابك كذا وكذا. وهذا هو نهاية البلاغة في الكلام، والاختصار الدالّ مع اللفظ القليل على المعاني الكثيرة، لأنّه أشعر بقوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ عن بسط الكلام الذي ذكرناه ولهذا نظائر في القرآن قال الله تعالى ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ﴾[4] ومثل قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[5] أي فيقال للذين اسودّت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم

---

(١) سورة الكهف، الآية: ١.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢١٧.
(٣) سورة القصص، الآية: ٧٣.
(٤) سورة المؤمنون، الآية: ٩١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٠٦.

وأمثاله أكثر من أن نورد. ثمّ قال تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ وليس يجوز أن يرجع الضمير على هذا الجواب إلى الملكين، وكيف يرجع إليهما وقد نفى تعالى عنهما التعليم؟ بل يرجع إلى الكفر والسحر، وقد تقدّم ذكر السحر وتقدّم أيضاً ذكر ما يدلّ على الكفر ويقتضيه في قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾ فدلّ ﴿كَفَرُوا﴾ على الكفر والعطف عليه مع السحر جائز، وإن كان التصريح وقع بذكر السحر دونه، ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾﴾(١) أي يتجنّب الذكرى الأشقى، ولم يتقدّم تصريح بالذكرى لكن دلّ عليها قوله ﴿سَيَذَّكَّرُ﴾ ويجوز أيضاً أن يكون معنى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا﴾ أي بدلاً ممّا علّمهم الملكان، ويكون المعنى أنّهم يعدلون عمّا علّمهم ووقفهم عليه الملكان من النهي عن السحر إلى تعلّمه واستعماله، كما يقول القائل: ليت لنا من كذا وكذا كذا أي بدلاً منه، كما قال الشاعر:

جمعت من الخيرات وطباً وعلبة   وصرّاً لأخلاف المزمّمة البزّل
ومن كلّ أخلاق الكرام تميمة   وسعياً على الجار المجاور بالبخل

يريد: جمعت مكان الخيرات ومكان أخلاق الكرام هذه الخصال الذميمة. و قوله تعالى: ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ فيه وجهان: أحدهما أن يكونوا يغوون أحد الزوجين ويحملونه على الشرك بالله تعالى، فيكون بذلك قد فارق زوجه الآخر المؤمن المقيم على دينه، ليفرّق بينهما اختلاف النحلة والملّة، والوجه الآخر أن يسعوا بين الزوجين بالنميمة والوشاية والإغراء والتمويه بالباطل حتى يؤول أمرهما إلى الفرقة والمباينة.

وثالث الوجوه في الآية أن تحمل ﴿مَا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ﴾ على الجحد والنفي، فكأنّه تعالى قال: واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان وما أنزل الله السحر على الملكين ولكنّ الشياطين كفروا يعلّمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت. ويكون قوله تعالى: ﴿بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ من المؤخّر الذي معناه التقديم، فيكون على هذا التأويل هاروت وماروت رجلين من جملة الناس هذان اسماهما، وإنّما ذكرا بعد ذكر الناس تمييزاً وتبييناً، ويكون الملكان المذكوران اللذان نفى تعالى عنهما السحر جبرئيل وميكائيل، لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تدّعي أنّ الله تعالى أنزل السحر على لسان جبرئيل وميكائيل إلى سليمان، فأكذبهما الله تعالى بذلك، ويجوز أن يكون هاروت وماروت يرجعان إلى الشياطين، كأنّه تعالى قال: ولكنّ الشياطين هارون وماروت كفروا، ويسوغ ذلك كما ساغ في قوله: ﴿وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ﴾(٢) يعني تعالى حكم داود وسليمان، ويكون قوله تعالى على هذا التأويل ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ راجعاً إلى هاروت وماروت اللذين هما من الشياطين أو من الإنس المتعلّمين للسحر من

(١) سورة الأعلى، الآيات: ١٠-١٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٧٨.

الشياطين والعاملين به، ومعنى قولهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾ يكون على طريق الاستهزاء أو التماجن والتخالع كما يقول الماجن من الناس إذا فعل قبيحاً أو قال باطلاً: هذا فعل من لا يفلح، وقول من لا ينجو، والله لا حصلت إلاّ على الخسران. وليس ذلك منه على سبيل النصيحة للناس وتحذيرهم من مثل فعل فعله، بل على جهة المجون والتهالك[1]. ويجوز أيضاً على هذا التأويل الذي تضمّن الجحد والنفي أن يكون هاروت وماروت اسمين للملكين، ونفى عنهما إنزال السحر بقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ ويكون قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ يرجع إلى قبيلتين من الجنّ أو إلى شياطين الجنّ والإنس فتحسن التثنية لهذا. وقد روي هذا التأويل في حمل ﴿مَآ﴾ على النفي عن ابن عبّاس وغيره من المفسّرين، وحكي عنه أيضاً أنّه كان يقرأ «على الملِكين» بكسر اللام، ويقول: متى كان العلجان ملَكين إنّما كانا ملِكين وعلى هذه القراءة لا ينكر أن يرجع قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ إليهما، ويمكن على هذه القراءة في الآية وجه آخر وهو أن لا يحمل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ على الجحد والنفي، وهو أن لا يكون هؤلاء الذين أخبر عنهم اتّبعوا ما تتلو الشياطين وتدّعيه على ملك سليمان واتّبعوا ما أنزل على هذين الملكين من السحر، ولا يكون الإنزال مضافاً إلى الله تعالى، وإن أُطلق لأنّه عزّ وجلّ لا ينزل السحر بل يكون منزله إليهما بعض الضلاّل والعصاة، وأن يكون معنى ﴿أُنزِلَ﴾ وإن كان من الأرض حمل إليهما لا من السماء أنّه أتى به عن نجود الأرض والبلاد وأعاليهما، فإنّ من هبط من نجد من البلاد إلى غورها يقال نزل وهبط وما جرى هذا المجرى.

فأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فيحتمل وجوهاً:

منها: أن يريد الله تعالى بالإذن العلم من قولهم: «أذنت فلاناً بكذا وكذا» إذا أعلمته و«أذنت بكذا وكذا» إذا أُسمعته وعلّمته، وقال الشاعر:

في سماع يأذن الشيخ له وحديث مثل ماذيّ مشار

ومنها: أن يكون «إلا» زائدة، ويكون المعنى: وما هم بضارّين به من أحد إلاّ بأن يخلّي الله تعالى بينهم وبينه، ولو شاء لمنعهم بالقهر والقسر زائداً على منعهم بالنهي والزجر.

ومنها: أن يكون الضرر الذي عنى به أنّه لا يكون إلاّ بإذنه، وأضافه إليه هو ما يلحق المسحور عن الأدوية والأغذية التي أطعمه إيّاه السحرة، ويدّعون أنّها موجبة لما يقصدونه فيه من الأمور، ومعلوم أنّ الضرر الحاصل عن ذلك من فعل الله تعالى بالعادة، لأنّ الأغذية لا توجب ضرراً ولا نفعاً، وإن كان المعرض للضرر من حيث كان كالفاعل له هو المستحقّ للذمّ، وعليه يجب العوض.

ومنها: أن يكون الضرر المذكور إنّما هو ما يحصل من التفريق بين الأزواج لأنّه أقرب إليه

---

(١) هكذا هي، والظاهر: التهتُّك.

في ترتيب الكلام، والمعنى أنّهم إذا أغرّوا أحد الزوجين فكفر فبانت منه زوجته فاستضرّ بذلك كانوا ضارّين له بما حسّنوا له من الكفر، إلاّ أنّ الفرقة لم تكن إلاّ بإذن الله وحكمه، لأنّه تعالى هو الذي حكم وأمر بالتفريق بين مختلفي الأديان، فلهذا قوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ والمعنى أنّه لولا حكم الله تعالى وإذنه في الفرقة بين هذين الزوجين باختلاف الملّة لم يكونوا بضارّين له هذا الضرر من الضرر الحاصل عند الفرقة، ويقوّي هذا الوجه ما روي أنّه كان من دين سليمان أنّه من سحر بانت منه امرأته.

وأمّا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ﴾ ثمّ قوله تعالى: ﴿لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ ففيه وجوه:

أولها: أن يكون الذين علموا غير الذين لم يعلموا، ويكون الذين علموا الشياطين أو الذين خبّر عنهم بأنّهم نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم كأنّهم لا يعلمون، واتّبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان. والذين لم يعلموا هم الذين علموا السحر وشروا به أنفسهم.

وثانيها: أن يكون الذين علموا هم الذين لم يعلموا، لأنّهم علموا شيئاً ولم يعلموا غيره، فكأنّه تعالى وصفهم بأنّهم عالمون بأنّه لا نصيب لمن اشترى ذلك ورضيه لنفسه على الجملة، ولم يعلموا كنه ما يصير إليه من العقاب الذي لا نفاد له ولا انقطاع.

وثالثها: أن تكون الفائدة في نفي العلم بعد إثباته أنهم لم يعملوا بما علموه فكأنّهم لم يعلموا، وهذا كما يقول أحدنا لغيره: ما أدعوك إليه خير لك وأعود عليك لو كنت تعقل وتنظر في العواقب، وهو يعقل وينظر إلاّ أنّه لم يعمل بموجب علمه، فحسن أن يقال له مثل هذا القول. وقال كعب بن زهير يصف ذئباً وغراباً تبعاه ليصيبا من زاده:

إذا حضراني قلت لو تعلمانه ... ألم تعلما أنّي من الزاد مرمل

فنفى عنهما العلم ثمّ أثبته بقوله «ألم تعلما أنّي من الزاد مرمل» وإنّما المعنى في نفيه العلم عنهما أنّهما لم يعملا بما علما، فكأنّهما لم يعلما.

ورابعها: أن يكون المعنى أنّ هؤلاء القوم الذين قد علموا أنّ الآخرة لا حظّ لهم فيها مع عملهم القبيح إلاّ أنّهم ارتكبوه طمعاً في حطام الدنيا وزخرفها، فقال تعالى ﴿وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾ أي الذي آثروه وجعلوه عوضاً عن الآخرة لا يتمّ لهم ولا يبقى عليهم وأنّه منقطع زائل، ومضمحلّ باطل، وأنّ المآل إلى المستحقّ في الآخرة، وكلّ ذلك واضح بحمد الله (انتهى)[1].

وأقول: قال في الصحاح: والغمرة الشدّة والجمع غمر. قال القطاميّ يصف سفينة نوح: وحان لتالك الغمر انحسار. وقال: الانحسار الانكشاف. وقال: قشعت الريح السحاب أي

(١) أمالي المرتضى، ج ٢ ص ٧٦-٨٣.

كشفته فانقشع. وقال: الوطب سقاه اللبن خاصّة. وقال: العلبة محلب من جلد. وقال: صررت الناقة شددت عليها الصرار وهو خيط يشدّ فوق الخلف والتودية لئلاّ يرضعها ولدها. وقال: الخلف - بالكسر - حلمة ضرع الناقة. والمزمّمة من الزمام. والبزل: جمع البازل، وهو جمل أو ناقة كمل لها تسع سنين. والماذي: العسل الأبيض. ويقال: شُرت العسل أي اجتنيتها، وأشرت لغة ذكره الجوهريّ واستشهد بالبيت.

وقال الرازيّ في تفسير هذه الآية: أمّا قوله ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ ففيه مسائل: المسألة الأولى قوله ﴿وَاتَّبَعُوا﴾ حكاية عمّا تقدّم ذكره وهم اليهود، ثمّ فيه أقوال: أحدها أنّهم اليهود الذين كانوا في زمان محمّد ﷺ وثانيها أنّهم الذين تقدّموا من اليهود وثالثها أنّهم الذين كانوا في زمن سليمان من السحرة، لأنّ أكثر اليهود ينكرون نبوّة سليمان ويعدّونه من جملة الملوك في الدنيا، فالذين منهم كانوا في زمانه لا يمتنع أن يعتقدوا فيه أنّه إنّما وجد ذلك الملك العظيم بسبب السحر. ورابعها أنّه يتناول الكلّ، وهذا أولى، لأنّه ليس صرف اللفظ إلى البعض أولى من صرفه إلى غيره، إذ لا دليل على التخصيص. وخامسها أنّه عائد إلى من تقدّم ذكره في قوله ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ قال السدّيّ: لمّا جاءهم محمّد ﷺ عارضوه بالتوراة فخاصموه بها، فاتّفقت التوراة والقرآن، فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وسحر هاروت وماروت، فلم يوافق القرآن، فهذا هو قوله ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كِتَابَ اللَّهِ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ﴾ ثمّ أخبر عنهم بأنّهم اتّبعوا كتب السحرة.

المسألة الثانية: ذكروا في تفسير ﴿تَتْلُوا﴾ وجهين:

أحدهما: أنّ المراد منه التلاوة والإخبار.

وثانيهما: قال أبو مسلم: ﴿تَتْلُوا﴾ أي تكذب على ملك سليمان يقال تلا عليه إذا كذب، وتلا عنه إذا صدق، وإذا أبهم جاز الأمران، والأقرب هو الأوّل، لأنّ التلاوة حقيقة في الخبر، إلاّ أنّ المخبر لا يقال في خبره إذا كان كذباً أنّه يقول على فلان وأنّه قد تلا على فلان، ليميّز بينه وبين الصدق الذي لا يقال على فلان بل يقال روى عن فلان وأخبر عن فلان، وتلا عن فلان وذلك لا يليق إلاّ بالإخبار والتلاوة، ولا يمتنع أن يكون الذي كانوا يخبرون به عن سليمان ما يتلى ويقرأ فيجتمع فيه كلّ الأوصاف.

المسألة الثانية: اختلفوا في الشياطين، فقيل: المراد شياطين الجنّ، وهو قول الأكثرين، وقيل: شياطين الإنس، وهو قول المتكلّمين من المعتزلة، وقيل: شياطين الإنس والجنّ معاً، أمّا الذين حملوه على شياطين الجن فقالوا: إنّ الشياطين كانوا يسترقون السمع ثمّ يضمّون إلى ما سمعوا أكاذيب يلفّقونها ويلقونها إلى الكهنة، وقد دوّنوها في كتب يقرؤونها ويعلّمونها الناس، وفشا ذلك في زمان سليمان حتى قالوا: إنّ الجنّ تعلم الغيب، فكانوا

يقولون هذا علم سليمان وما تمّ له ملكه إلاّ بهذا العلم، وبه سخّر الجنّ، والإنس والريح التي تجري بأمره. وأمّا الذين حملوه على شياطين الإنس فقالوا: روي في الخبر أنّ سليمان كان قد دفن كثيراً من العلوم التي خصّه الله بها تحت سرير ملكه حرصاً على أنّه إن هلك الظاهر منها بقي ذلك المدفون، فلمّا مضت مدّة على ذلك توصّل قوم من المنافقين إلى أن كتبوا في خلال ذلك أشياء من السحر تناسب تلك الأشياء من بعض الوجوه، ثمّ بعد موته واطّلاع الناس على تلك الكتب أوهموا الناس أنّه من عمل سليمان، وأنّه ما وصل إلى ما وصل إليه إلاّ بسبب هذه الأشياء، فهذا معنى ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ واحتجّ القائلون بهذا الوجه على فساد القول الأوّل بأنّ شياطين الجنّ لو قدروا على تغيير كتب الأنبياء وشرائعهم بحيث يبقى ذلك التحريف مخفيّاً فيما بين الناس لارتفع الوثوق عن جميع الشرائع، وذلك يفضي إلى الطعن في كلّ الأديان. فإن قيل: إذا جوّزتم ذلك على شياطين الإنس فلم لا يجوز مثله من شياطين الجنّ قلنا الفرق أنّ الذي يفتعله الإنسان لا بدّ وأن يظهر من بعض الوجوه، أمّا لو جوّزنا هذا الافتعال من الجنّ وهو أن يزيد في كتب سليمان بخطّ مثل خطّ سليمان فإنّه لا يظهر ذلك ويبقى مخفيّاً فيفضي إلى الطعن في جميع الأديان.

المسألة الرابعة: أما قوله ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ فقيل: في ملك سليمان، عن ابن جريح. وقيل: على عهد ملك سليمان، والأقرب أن يكون المراد: واتّبعوا ما تتلو الشياطين افتراءً على ملك سليمان، لأنّهم كانوا يقرؤون من كتب السحر فيقولون: إنّ سليمان إنّما وجد ذلك الملك بسبب هذا العلم، فكانت تلاوتهم لتلك الكتب كالافتراء على ملك سليمان - والله أعلم -.

المسألة الخامسة: اختلفوا في المراد بملك سليمان، فقال القاضي: إنّ ملك سليمان هو النبوّة، أو يدخل فيه النبوّة، وتحت النبوّة الكتاب المنزل عليه والشريعة، فإذا صحّ ذلك ثمّ أخرج القوم صحيفة فيها ضروب السحر وقد دفنوها تحت سرير ملكه ثمّ أخرجوها بعد موته وأوهموا أنّها من جهته صار ذلك منهم تقوّلاً على ملكه في الحقيقة. والأصحّ عندي أن يقال: القوم لمّا ادّعوا أنّ سليمان إنّما وجد تلك المملكة بسبب ذلك العلم كان ذلك الادّعاء كالافتراء على ملك سليمان - والله أعلم -.

المسألة السادسة: السبب في أنّهم أضافوا السحر إلى سليمان وجوه:

أحدها: أنّهم أضافوا السحر إلى سليمان تفخيماً لشأنه، وتعظيماً لأمره، وترغيباً للقوم في قبول ذلك منهم.

وثانيها: أنّ اليهود ما كانوا يقرّون بنبوّة سليمان، بل كانوا يقولون إنّما وجد ذلك الملك بسبب السحر.

وثالثها: أنّ الله تعالى لمّا سخّر الجنّ لسليمان فكان يخالطهم ويستفيد منهم أسراراً

عجيبة، فغلب على الظنون أنّه عليه السلام استفاد السحر منهم. أمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ﴾ فهذا تنزيه له عليه السلام عن الكفر، وذلك يدلّ على أنّ القوم نسبوه إلى الكفر والسحر. وقيل فيه أشياء:

أحدها: ما روي عن بعض أحبار اليهود أنّهم قالوا: ألا تعجبون من محمّد يزعم أنّ سليمان كان نبيّاً وما كان إلاّ ساحراً؟! فأنزل الله هذه الآية.

وثانيها: أنّ السحرة من اليهود، زعموا أنّهم أخذوا السحر عن سليمان، فنزّهه الله عنه.

وثالثها: أنّ قوماً زعموا أنّ قوام ملكه كان بالسحر فبرّأه الله منه، لأنّ كونه نبيّاً ينافي كونه ساحراً كافراً، ثمّ بيّن تعالى أنّ الذي برّأه منه لاحق بغيره، فقال: ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾، يشير به إلى ما تقدّم ذكره ممّن اتّخذ السحر كالحرفة لنفسه وينسبه إلى سليمان ثمّ بيّن تعالى ما به كفروا، فقد كان يجوز أن يتوهّم أنّهم كفروا لا بالسحر فقال تعالى ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

واعلم أنّ الكلام في السحر يقع من وجوه:

الأوّل: في البحث عنه بحسب اللغة، فنقول: ذكر أهل اللغة أنّه في الأصل عبارة عمّا لطف وخفي سببه، والسحر - بالفتح -: هو الغذاء لخفائه ولطف مجاريه. قال لبيد:

ونسحر بالطعام وبالشراب. قيل فيه وجهان: **أحدهما**: أنّا نعلّل ونخدع كالمسحور والمخدوع، والآخر نغذّى وأيّ الوجهين كان فمعناه الخفاء. وقال:

فإن تسألينا ممّ نحن؟ فإنّنا عصافير من هذا الأنام المسحّر

وهذا الوجه يحتمل من المعنى ما احتمله الأوّل، ويحتمل أيضاً أن يريد بالمسحّر أنّه ذو السحر، والسحر هو الرئة، وما تعلّق بالحلقوم. وهذا أيضاً يرجع إلى معنى الخفاء، ومنه قول عائشة «توفّي رسول الله بين سحري ونحري» وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ يعني من المجوّف الذي يطعم ويشرب يدلّ عليه قولهم ﴿مَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ وقال تعالى حكاية عن موسى عليه السلام أنّه قال للسحرة ﴿مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ﴾ وقال: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ﴾ فهذا هو معنى السحر في أصل اللغة.

الوجه الثاني: اعلم أنّ لفظ السحر في عرف الشرع مختصّ بكلّ أمر مخفيّ سببه، ويتخيّل على غير حقيقته، ويجري مجرى التمويه والخداع، ومتى أطلق ولم يقيّد أفاد ذمّ فاعله، قال تعالى ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ﴾ يعني موّهوا عليهم حتى ظنّوا أنّ حبالهم وعصيّهم تسعى، وقال تعالى: ﴿يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ﴾ وقد يستعمل مقيّداً فيما يمدح ويحمد، روي أنّه قدم على رسول الله صلى الله عليه وآله الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم وقال لعمرو: خبّرني عن الزبرقان فقال: مطاع في ناديه، شديد العارض، مانع لما وراء ظهره. قال الزبرقان: هو والله يعلم أنّي أفضل منه. فقال عمرو: إنّه زمر المروءة ضيق العطن أحمق الأب لئيم الخال يا

رسول الله صدقت فيهما أرضاني فقلت أحسن ما علمت وأسخطني فقلت أسوأ ما علمت فقال رسول الله ﷺ: إنّ من البيان لسحراً. فسمّى النبيّ ﷺ بعض البيان سحراً، لأنّ صاحبه يوضح الشيء المشكل ويكشف عن حقيقته بحسن بيانه وبليغ عبارته.

فإن قيل: كيف يجوز أن يسمّي ما يوضح الحقّ وينبئ عنه سحراً وهذا القائل إنّما قصد إظهار الخفيّ لا إخفاء الظاهر، ولفظ السحر إنّما يكون عند إخفاء الظاهر؟

قلنا: إنّما سمّاه سحراً لوجهين: **الأول:** أنّ ذلك العذر للطفه وحسنه استمال القلوب، فأشبه السحر الذي يستميل القلوب فمن هذا الوجه سمّي سحراً لا من الوجه الذي ظننت.

الثاني: أنّ المقتدر على البيان يكون قادراً على تحسين ما يكون قبيحاً وتقبيح ما يكون حسناً، فذلك يشبه السحر من هذا الوجه في أقسام السحر.

واعلم أنّ السحر على أقسام: **القسم الأول:** سحر الكلدانيّين والكذّابين الذين كانوا في قديم الدهر، وهم قوم يعبدون الكواكب ويزعمون أنّها هي المدبّرة لهذا العالم، ومنها تصدر الخيرات والشرور والسعادة والنحوسة، وهم الذين بعث الله تعالى إبراهيم مبطلاً لمقالتهم، وراداً عليهم في مذاهبهم. وهؤلاء فرق ثلاث:

الفريق الأول: هم الذين زعموا أنّ هذه الأفلاك والكواكب واجبة الوجود في ذواتها، وأنّه لا حاجة بهذيّة ذواتها وصفاتها إلى موجب ومدبّر وخالق وعلّة البتّة. ثمّ إنّها هي المدبّرة لعالم الكون والفساد، وهؤلاء هم الصابئة الدهريّة.

والفريق الثاني: الذين قالوا: الجسم يستحيل أن يكون واجباً لذاته، لأنّ كلّ جسم مركّب، وكلّ مركّب فإنّه مفتقر إلى كلّ واحد من أجزائه، وكلّ واحد من أجزائه غيره، فكلّ جسم هو مفتقر إلى غيره، فهو ممكن لذاته وكلّ ممكن لذاته فهو مؤثّر فله مؤثّر، وهذه الأجرام الفلكيّة والكوكبيّة لا بدّ لها من مؤثّر. ثمّ قالوا: ذلك المؤثّر إمّا أن يكون حادثاً أو قديماً، فإن كان حادثاً افتقر إلى مؤثّر آخر ولزم التسلسل وهو محال، وإن كان قديماً فإمّا أن يكون كلّ ما لا بدّ منه في مؤثّريّته حاصلاً في الأزل أو ليس كذلك، ويدخل في هذا التقسيم قول من يقول إنّه إنّما خلق العالم في الحيّز الذي خلقه فيه، لأنّ خلقه في ذلك الحيّز أصلح من خلقه في حيّز آخر، أو لأنّ خلقه كان موقوفاً على انقضاء الأزل، أو لأنّ خلقه كان موقوفاً على حضور وقت معيّن إمّا مقدّر أو محقّق. فإن قلنا إنّ كلّ ما لا بدّ منه في مؤثّريّته كان حاصلاً في الأزل لزم أن يكون الأثر واجب الترتّب عليه في الأزل، لأنّ الأزل لو لم يكن واجب الترتّب عليه فهو إمّا ممتنع الترتّب عليه، فهو ليس بمؤثّر البتّة وقد فرضناه مؤثّراً، هذا خلف، وإن كان ممكن الترتّب عليه وممكن اللاترتّب عليه أيضاً، فلنفرض تارة مصدراً للأثر بالفعل وأُخرى غير مصدر له بالفعل، فامتياز الحيّز الذي صار المؤثّر فيه مصدراً للأثر بالفعل عن الحيّز الذي لم يصر فيه كذلك إمّا أن يتوقّف على انضمام قيد إليه أو لم يتوقّف، فإن توقّف لم يكن

الحاصل قبل انضمام هذا القيد إليه كلّ ما لا بدّ منه في المؤثّرية وقد فرضناه كذلك، وهذا خلف، وإن لم يتوقّف فقد ترجّح الممكن من غير مرجّح البتّة، وتجويزه يسدّ باب الاستدلال بالممكن على وجود الصانع. وأمّا إن قلنا بأنّ كلّ ما لا بدّ منه في المؤثّريّة ما كان حاصلاً في الأزل، فإن استمرّ ذلك السلب وجب أن لا يصير البتّة مؤثّراً، لكنّا قد فرضناه مؤثّراً في الأزل، هذا خلف، وإن تغيّر فقد حدث بعض ما لا بدّ منه في المؤثّرية، فإن كان حدوثه لا لأمر فقد وقع الممكن لا عن مؤثّر، وهو محال، وإن كان حدوثه لأمر لم يكن الشيء الذي فرضناه حادثاً أوّلاً كذلك، لأنّه حصل قبله حادث آخر وكنّا فرضناه حادثاً أوّلاً، وهذا خلف. وأيضاً فإنّا نتقل الكلام إليه، ويلزم التسلسل وهو محال.

قالوا: وهذا يقتضي استناد الممكنات إلى مؤثّر تامّ المؤثريّة في الأزل، ومتى كان كذلك وجب كون الآثار أزليّة دائمة، فهذا يقتضي أن لا يحصل في العالم شيء من التغيّرات البتّة، لكنّ التغيّرات مشاهدة قطعاً، فلا بدّ من حيلة، فنقول ذلك المؤثّر القديم الواجب لذاته، إلاّ أنّ كلّ حادث مسبوق بحادث آخر حتى يكون انقضاء المتقدّم شرطاً لحصول المتأخّر عن ذلك المبدأ القديم وعلى هذا الطريق يصير المبدأ القديم مبدأً للحوادث المتغيّرة، فإذن لا بدّ من توسّط حركة دائمة يكون كلّ جزء منها مسبوقاً بالآخر لا إلى أوّل، وهذه الحركة يمتنع أن تكون مستقيمة، وإلاّ لزم القول بأبعاد غير متناهية، وهو محال، فلا بدّ من جرم متحرّك بالاستدارة وهو الفلك، فثبت أنّ حركات الأفلاك كالمبادئ القريبة للحوادث الحادثة في هذا العالم، والمدبّرات الملاصقة بها، فلا جرم قالوا بإلهيّتها، واشتغلوا بعبادتها وتعظيمها، واتّخذوا لكلّ واحد منها هيكلاً مخصوصاً وصنماً معيّناً فاشتغلوا بخدمتها، فهذا هو دين عبدة الأصنام والأوثان. ثمّ إنّ هؤلاء قالوا: إنّ المبدأ الفاعليّ لا يكفي وجوده في حصول الفعل، بل لا بدّ من حضور المبدأ القابليّ المنفعليّ، ولا يكفي حضوره أيضاً ما لم تكن الشرائط حاصلة والموانع زائلة، وربّما حدث أمر مشكل غريب في العالم الأعلى يصلح لإفادة هيئة غريبة في مادة العالم الأسفل، فإذا لم تكن المادّة السفليّة متهيّئة لقبول تلك الهيئة من الأشكال العلويّة لم تحدث تلك الهيئة، ثمّ إنّ فوات تلك التهيّؤ تارة تكون لأجل كون المادّة ممنوّة بالمعوّقات المانعة عن قبول ذلك الأثر، وتارة لأجل فوات بعض الشرائط لكن لو تهيّأت لنا تقدمة المعرفة بطبيعة ذلك التشكّل وبوقت حدوثه وبطبيعة الأمور المعتبرة في كون المادّة السفليّة قابلة لذلك الأثر لكان يمكننا تهيئة المادّة لقبول ذلك الأثر وإماطة الموانع عنها، وتحصيل المعدات لها، حتى يتمّ ذلك الفيضان، ويسري في القابليّات، لما تقرّر أنّ الفعل التامّ متى لقي المنفعل التامّ ظهر الفعل التامّ لا محالة. فإذا عرفت هذا فالساحر هو الذي يعرف القوى العالية الفعّالة بسائطها ومركّباتها، ويعرف ما يليق لكلّ واحد من العوالم السفليّة، ويعرف المعدّات ليعدّها، والعوائق لينحّيها، معرفة بحسب الطاقة البشريّة، فحينئذ يكون الإنسان متمكّناً من استجذاب ما يخرق العادة، ومن دفع ما يدافعها، بتقريب المنفعل

من الفاعل. وهذا معنى قول بطليموس «علم النجوم منك ومنها» فهذا هو الإشارة إلى خلاصة قول الفلاسفة الصابئة في حقيقة السحر وماهيّته.

الفريق الثالث: الذين أثبتوا لهذه الأفلاك والكواكب فاعلاً مختاراً خلقها وأوجدها بعد العدم، إلاّ أنّهم قالوا: إنّه سبحانه أعطاه قوّة عالية نافذة في هذا العالم، وفوّض تدبير هذا العالم إليهم. قالوا: الذليل على كون هذه الأجرام الفلكيّة أحياءً وجهان:

الأوّل: أنّه لا شكّ أنّ الحياة أشرف من الجماديّة فكيف يحسن في الحكمة خلق الحياة في الأجسام الخسيسة نحو أبدان الديدان والخنافس، وإخلاء هذه الأجرام الشريفة النورانيّة الروحانيّة عن الحياة.

الثاني: أنّ هذه الأفلاك متحرّكة بالاستدارة، فحركتها إمّا أن تكون طبيعيّة، أو قسرية أو إراديّة، لا جائز أن تكون طبيعيّة، لأنّ المهروب عنه بالطبع لا يكون بعينه مطلوباً بالطبع، وكلّ نقطة فرضنا الفلك متحرّكاً عنه فإنّ حركته عنها هي عين حركته إليها فيستحيل كون تلك الحركة طبيعيّة، ولا جائز أن تكون قسريّة لأنّ القسر هو الذي يكون على خلاف الطبيعة، فإذ قد بطلت الطبيعيّة، وجب بطلان كونها قسريّة، ولمّا بطل القسمان ثبت كونها إراديّة، فثبت أنّ الأفلاك والكواكب أجرام حيّة عاقلة. قالوا: إذا ثبت هذا فنقول: الوقوف على جميع الطبائع العلويّة والسفليّة ممّا لا يفي به وسع البشر، وطاقة النفس الناطقة لوجوه أربعة:

أوّلها: أنّه لا سبيل إلى إثبات الكواكب إلاّ بواسطة القوّة الباصرة، ولا ارتياب أنّها عن إدراك الصغير من البعيد قاصرة، فإنّ أصغر كوكب ممّا في القدر السابع من الفلك الثامن وهو الذي يمتحن به حدّة البصر مثل كرة الأرض بضعة عشر مرّة، وإنّ كرة الأرض أعظم من العطارد كذا ألف مرّة، فلو تكوكب الفلك الأعظم بكواكب على قدر الكواكب الصغيرة المذكورة من الثوابت فلا شكّ أنّ الحسّ لا يدركه، والبصر لا يمتدّ عليه، فضلاً عمّا يكون في مقدار عطارد أو أصغر منه. وعلى هذا التقدير لا يبعد أن يكون في السموات كواكب كثيرة فعّالة وإن كنّا لا نعرف وجودها فضلاً عن أن نعرف طبائعها، ولهذا نقل صاحب كتاب «تنكلوشا» عن روايات البشر أنّه بقي في الفلك وراء الكواكب المرصودة كواكب لم ترصد، إمّا لفرط صغرها أو لخفاء آثارها وأفعالها.

وثانيها: أنّ الكواكب التي نراها ليست بأسرها مرصودة، بل المرصودة منها ألف واثنان وعشرون، والبواقي غير مرصودة، وممّا يحقّق ذلك ما ثبت بالدلالة أنّ المجرّة ليست إلاّ أجرام كوكبيّة صغيرة جداً مرتكزة في فلك الثوابت على هذا السمت المخصوص، وظاهر أنّ الوقوف على طبائعها متعذّر.

وثالثها: أنّ هذه الكواكب المرصودة ممّا لم يحصل الوقوف التامّ على طبائعها، لأنّ أقوال الأحكاميّين ضعيفة قليلة الحاصل، لا سيّما في طبائع الثوابت.

ورابعها: أنّا بتقدير أن نعرف طبائع هذه الكواكب على بساطتها لكنّه لا يمكننا الوقوف على طبائعها حال امتزاجها إلاّ على سبيل التقريب البعيد عن التحقيق.

ثمّ إنّا نعلم أنّ الحوادث الحادثة في هذا العالم لا تصدر عن طبائعها البسيطة وإلاّ لدامت هذه الحوادث بدوام تلك الطبائع، بل إنّما تحصل عن امتزاجاتها، وتلك الامتزاجات غير متناهية، فلا سبيل إلى الوقوف عليها على سبيل القياس، فقد ثبت بهذه الوجوه الأربعة تعذّر الوقوف على طبائعها الفعّالة، وأمّا القوى المنفعلة فالوقوف التامّ عليها كالمتعذّر، لأنّ القبول التامّ لا يتحقّق إلاّ مع شرائط مخصوصة في القابل من الكمّ والكيف والوضع والأين وسائر المقولات، والموادّ السفليّة غير ثابتة على حالة واحدة، بل هي أبداً في الاستحالة والتغيّر، وإن كان لا يظهر في الحسّ، فقد ظهر بما قرّرنا أنّ الوقوف التامّ على أحوال القوى الفعّالة السماوية والقوى الأرضيّة المنفعلة غير حاصل للبشر، ولو حصل ذلك لأحد لوجب أن يكون ذلك الشخص عالماً بجميع التفاصيل الحاصلة من الماضية والآتية، وأن يكون متمكّناً من إحداث جميع الأمور التي لا نهاية لها.

ثمّ قالوا: فهذه المباحث والملامح ممّا يوهن العقل عن التمكّن من هذه الصناعة، إلاّ أنّه نعم ما قيل من أنّ ما لا يدرك كله لا يترك كله فالقوى البشريّة وإن قصرت عن اكتناه هذه القوى العالية الفعّالة والسافلة المنفعلة ولكن يمكنها الاطّلاع على بعض أحوالها، وإن كان ذلك القدر تافهاً حقيراً بالنسبة إلى ما في الوجود لكنّه عظيم بالنسبة إلى قدرة الإنسان وقوّته، لأنّ الأحكاميّين من أهل النجوم قد وقفوا بسبب التجارب المتطاولة قرناً بعد قرن على كثير من أحوال السبعة السيّارة وكثير من الثوابت، وعرفوا من أحوال البروج والحدود والوجوه والمثلّثات ما يعظم الانتفاع بمعرفته لمن اطّلع عليه وأحاط به، وليس يلزمنا أنّه لمّا تعذّر علينا تحصيل اليقين التامّ بها بواسطة البراهين المنطبقة أن يترك الانتفاع بها مع ما تشاهد من صحّة قوانينها الكليّة، كما لا يلزم من عدم قيام الدلائل الطبيعية على طبائع الأغذية والأدوية البسيطة والمركّبة أن لا ينتفع بها، بل هذه الصناعة أولى بالرعاية من صناعة الطبّ، وذلك لأنّهما بعد اشتراكهما في عدم البراهين المنطبقة على مطالبها امتازت هذه الصناعة عن صناعة الطبّ بوصف نافع، وذلك أنّ الدواء المتناول لو لم ينفع يحصل من تناوله ضرر عظيم، وأمّا هذه الصناعة فلو لم تنفع لم تضرّ.

وأمّا ظنّ حصول النفع فهو قائم في الموضعين، وإذا كان كذلك كانت هذه الصناعة أولى بالرعاية من صناعة الطبّ.

فإن قال قائل: كيف السبيل إلى معرفة طبائع هذه الكواكب والبروج؟ وأمّا التجربة فهي متعذّرة، وذلك لأنّ أقلّ ما لا بدّ منه في التجربة أن يعود الأمر مرّتين، وعودة الفلك إلى شكله المعين ممتنع عند بعض الفلاسفة، ولو أمكن على بعده فإنّما يقع لو عاد جميع الكواكب إلى

الموضع الذي كان واقفاً عليه في المرّة الأولى وذلك ممّا لا يحصل إلاّ بعد المدّة التي تسمّى بعمر العالم، فأيّ عمر يفي بذلك؟ وأيّ عقل يصل إليه؟

الجواب: أنّه لا حاجة في هذه التجربة إلى عود الفلك إلى الشكل الأوّل من جميع الوجوه، بل لمّا رأينا كوكباً حصل في برج وصدر عنه أثر وشاهدنا هذا الأثر مع حصوله في ذلك البرج مدّة بعد أُخرى غلب على ظنّنا أنّ حصوله في ذلك البرج مستعقب لهذا الأثر، وهذا القدر كاف في حصول الظنّ. وأيضاً قد تحصل معرفة طبائع هذه الكواكب على سبيل الإلهام، يحكى عن جالينوس أنّه عرف كثيراً من الأمور الطبّية برؤيا رآها، وإذا كان ذلك ممكناً فلا سبيل إلى دفعه.

قالوا: إذا ثبت ذلك فإنّ التجارب التي مارسها الأحكاميّون من المنجّمين دلّت على أنّ لكلّ اختصاصاً بأشياء معيّنة في هذا العالم من الأمكنة والأزمنة والأيّام والساعات والأغذية والروائح والأشكال التي يتعلّق بها كوكب معيّن في وقت يكون الكوكب فيه قويّاً على ذلك الفعل الذي يطلب منه لم يبعد أن يحصل ذلك الأثر الخارق للعادة لا سيّما إذا كان المتولّي لمباشرة ذلك العمل قويّ النفس صافي الروح، بحيث يكون روحه في الاستعلاء والاستيلاء من جوهر الأرواح السماويّة، فهناك يتمّ الأمر، ويحصل الغرض، فهذا مجموع أقوال الصابئة في تقرير هذا النوع من السحر.

أمّا المعتزلة فقد اتّفقت كلمتهم على أنّ غير الله لا يقدر على خلق الجسم والحياة واللون والطعم، واحتجّوا بوجوه ذكرها القاضي ولخصها في تفسيره، وفي سائر كتبه، ونحن ننقل تلك الوجوه وننظر فيها:

أولها: وهو النكتة العقليّة التي عليها يقولون أنّ كل ما سوى الله إمّا متحيّز أو قائم بالمتحيّز، فلو كان غير الله فاعلاً للجسم والحياة لكان ذلك الغير متحيّزاً وذلك المتحيّز لا بدّ وأن يكون قادراً بالقدرة، إذ لو كان قادراً لذاته لكان كلّ جسم كذلك - بناء على أنّ الأجسام متماثلة - لكنّ القادر بالقدرة لا يصحّ منه فعل الجسم والحياة. ويدلّ عليه وجهان:

الأول: أنّ العلم الضروريّ حاصل بأنّ الواحد منّا لا يقدر على خلق الجسم والحياة ابتداءً، فقدرتنا مشتركة في امتناع ذلك عليها فهذا الامتناع حكم مشترك فلا بدّ له من علّة مشتركة، ولا مشترك ههنا إلاّ كوننا قادرين بالقدرة، وإذا ثبت هذا وجب من كان قادراً بالقدرة أن يتعذّر عليه فعل الجسم والحياة.

والثاني: أنّ هذه القدرة التي لنا لا شكّ أنّ بعضها يخالف بعضاً، فلو قدرنا قدرة صالحة لخلق الجسم والحياة لم يكن مخالفتها لهذه القدرة أشدّ من مخالفة بعض هذه القدرة للبعض فلو كفى ذلك القدر من المخالفة في صلاحيتها لخلق الجسم لوجب في هذه القدرة التي يخالف بعضها بعضاً أن تكون صالحة لخلق الجسم والحياة ولمّا لم يكن كذلك علمنا أنّ القادر بالقدرة لا يقدر على خلق الجسم والحياة.

وثانيها: أنّا لو جوّزنا ذلك لتعذّر الاستدلال بالمعجزات على النبوّات لأنّا لمّا جوّزنا استحداث الخوارق بواسطة تمزيج القوى السماويّة بالقوى الأرضيّة لم يمكننا القطع بأنّ هذه الخوارق التي ظهرت على أيدي الأمناء صدرت عن الله تعالى، بل يجوز فيها أنّهم أتوا بها من طريق السحر. وحينئذ يبطل القول بالنبوّات من كلّ الوجوه.

وثالثها: أنّا لو جوّزنا أن يكون في الناس من يقدر على خلق الجسم والحياة والألوان لقدر ذلك الإنسان على تحصيل الأموال العظيمة من غير تعب لكنّا نرى من يدّعي السحر متوسّلاً إلى اكتساب الحقير من المال بجهد جهيد فعلمنا كذبه، وبهذا الطريق يعلم فساد ما يدّعيه قوم من الكيمياء. فإنا نقول لو أمكنهم ببعض الأدوية أن يقلبوا غير الذهب ذهباً لكان إمّا أن يمكنهم ذلك بالقليل من الأموال فكان ينبغي أن يغنوا أنفسهم بذلك عن المشقّة والذلّة، أو لا يمكن إلاّ بالآلات العظام والأموال الخطيرة، فكان يجب أن يظهروا ذلك للملوك المتمكّنين من ذلك، بل كان يجب أن يفطن الملوك لذلك، لأنّه أنفع لهم من فتح البلاد الذي لا يتمّ إلاّ بإخراج الأموال والكنوز، وفي علمنا بانصراف النفوس والهمم عن ذلك دلالة على فساد هذا القول. قال القاضي: فثبت بهذه الجملة أنّ الساحر لا يصحّ أن يكون فاعلاً لشيء من ذلك.

واعلم أنّ هذه الدلائل ضعيفة جداً، أمّا الوجه الأوّل فنقول: ما الدليل على أنّ كلّ ما سوى الله تعالى إمّا أن يكون متحيّزاً أو قائماً بالمتحيّز، أما علمتم أنّ الفلاسفة مصرّون على إثبات العقول والنفوس الفلكيّة والنفوس الناطقة، وزعموا أنّها في أنفسها ليست بمتحيّزة ولا قائمة بالمتحيّز، فما الدليل على فساد القول بها؟

فإن قالوا: لو وجد موجود هكذا لزم أن يكون مثلاً لله تعالى.

قلنا: لا نسلّم، وذلك لأنّ الاشتراك في السلوب لا يقتضي الاشتراك في الماهيّة سلّمنا ذلك لكن لم لا يجوز أن يكون بعض الأجسام يقدر على ذلك لذاته؟ قوله «الأجسام متساوية فلو كان جسم كذلك لكان كلّ جسم كذلك» قلنا: ما الدليل على تماثل الأجسام؟

فإن قالوا: إنّه لا معنى للجسم إلاّ الممتدّ في الجهات، الشاغل للأحياز، فلا تفاوت بينها في هذا المعنى.

قلنا: الامتداد في الجهات والشغل للأحياز صفة من صفاتها ولازم من لوازمها ولا يبعد أن تكون الأشياء المختلفة في الماهيّة مشتركة في بعض اللوازم، سلّمنا أنه يجب أن يكون قادراً بالقدرة، فلم قلتم إنّ القادر بالقدرة لا يصحّ منه خلق الجسم والحياة؟ قوله «لأنّ القدرة التي لنا مشتركة في هذا الامتناع، فهذا الامتناع حكم مشترك، فلا بدّ له من علّة مشتركة، ولا مشترك سوى كوننا قادرين بالقدرة».

قلنا: هذه المقدّمات بأسرها ممنوعة، فلا نسلّم أنّ الامتناع حكم معلّل، وذلك لأنّ الامتناع عدميّ، والعدميّ لا يعلّل. سلّمنا أنّه أمر وجوديّ، ولكن من مذهبهم أنّ كثيراً من

الأحكام لا يعلّل، فلم لا يجوز أن يكون ههنا كذلك؟ سلّمنا أنّه معلّل، فلم قلتم: إنّ الحكم المشترك لا بدّ له من علّة مشتركة، أليس أنّ القبح حصل في الظلم معلّلاً بكونه ظلماً وفي الكذب بكونه كذباً وفي الجهل بكونه جهلاً؟ سلّمنا أنّه لا بدّ من علّة مشتركة، لكن لا نسلّم أنّه لا مشترك إلاّ كوننا قادرين بالقدرة، فلم لا يجوز أن تكون هذه القدرة التي لنا مشتركة في وصف معيّن وتلك القدرة التي تصلح لخلق الجسم تكون خارجة عن ذلك الوصف، فما الدليل على أنّ الأمر ليس كذلك؟

أمّا الوجه الثاني: وهو أنّه ليست مخالفة تلك القدرة لبعض هذه القدرة أشدّ من مخالفة بعض هذه القدرة للبعض، فنقول: هذا ضعيف، لأنّا لا نعلّل صلاحيتها لخلق الجسم بكونها مخالفة لهذه القدرة، بل لخصوصيّتها المعيّنة التي لأجلها خالفت سائر القدر، وتلك الخصوصيّة معلوم أنّها غير حاصلة في سائر القدر ونظير ما ذكروه أن يقال: ليست مخالفة الصوت للبياض أشدّ من مخالفة السواد للبياض، فلو كانت تلك المخالفة مانعة للصوت من صحّة أن يرى لوجب لكون السواد مخالفاً للبياض أن يمتنع رؤيته، ولمّا كان هذا الكلام فاسداً فكذا ما قالوه والعجب من القاضي أنّه لمّا حكى هذه الوجوه عن الأشعريّة في مسألة الرؤية زيّفها بهذه الأسئلة، ثمّ إنّه نفسه تمسّك بها في هذه المسألة التي هي الأصل في إثبات النبوّة، والردّ على من أثبت متوسّطاً بين الله وبيننا.

أمّا الوجه الثالث: وهو أنّ القول بصحّة النبوّات لا يبقى مع تجويز هذا الأصل. فنقول: إمّا أن يكون القول بصحّة النبوّات متفرّعاً على فساد هذه القاعدة أو لا يكون فإن كان الأوّل امتنع إفساد هذا الأصل بالبناء على صحّة النبوّات وإلاّ وقع الدور، وإن كان الثاني فقد سقط هذا الكلام بالكليّة.

وأمّا الوجه الرابع: فلقائل أن يقول: الكلام في الإمكان غير، وفي الوقوع غير، ونحن لا نقول بأنّ هذه الحالة حاصلة لكلّ أحد بل هذه الحالة لا تحصل للبشر إلاّ في الأعصار المتباعدة، فكيف يلزمنا ما ذكرتموه. فهذا هو الكلام في النوع الأوّل من السحر[١].

النوع الثاني من السحر: سحر أصحاب الأوهام والنفوس القوية[٢]

قالوا: اختلف الناس في أنّ الذي يشير إليه كلّ إنسان بقوله «أنا» ما هو؟ فمن الناس من يقول: إنّه هو هذه البنية، ومنهم من يقول: إنّه جسم سارٍ في هذه البنية، ومنهم من يقول: إنّه موجود ليس بجسم ولا جسمانيّ أمّا إذا قلنا: إنّ الإنسان هو هذه البنية فلا شكّ أنّ هذه البنية مركّبة من الأخلاط الأربعة، فلم لا يجوز أن يتّفق في بعض الأعصار النادرة أن يكون مزاج

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣ ص ٢٠٣-٢٠٨.

(٢) هذا النوع من السحر والأنواع الأخرى هي من كلام الفخر الرازي في تفسيره.

من الأمزجة في ناحية من النواحي يقتضي القدرة على خلق الجسم والعلم بالأمور الغائبة عنّا؟ وهكذا الكلام إذا قلنا إنّ الإنسان جسم سارٍ في هذه البنية، أمّا إذا قلنا إنّ الإنسان هو النفس فلم لا يجوز أن يقال: النفوس مختلفة، فيتّفق في بعض النفوس أن تكون لذاتها قادرة على هذه الحوادث الغريبة مطّلعة على الأسرار الغائبة عنّا فهذا الاحتمال ممّا لم تقم دلالة على فساده سوى الوجوه المتقدّمة وقد بان بطلانها.

ثمّ الذي يؤكّد هذا الاحتمال وجوه: **أوّلها**: أنّ الجذع الذي يتمكّن الإنسان من المشي عليه لو كان موضوعاً على الأرض لا يمكنه المشي عليه لو كان كالجسر على هاوية تحته، وما ذاك إلاّ لأنّ تخيّل السقوط متى قوي أوجبه.

وثانيها: أجمعت الأطبّاء على نهي المرعوف عن النظر إلى الأشياء الحمر، والمصروع عن النظر إلى الأشياء القويّة اللمعان والدوران، وما ذاك إلاّ لأنّ النفوس خلقت مطيعة للأوهام.

وثالثها: حكى صاحب الشفاء عن أرسطو في طبائع الحيوان أنّ الدجاجة إذا تشبّهت كثيراً بالديكة في الصوت وفي الجواب مع الديكة نبت على ساقيها مثل الشيء النابت على ساق الديك. ثمّ قال صاحب الشفاء: وهذا يدلّ على أنّ الأحوال الجسمانيّة تابعة للأحوال النفسانيّة.

ورابعها: أجمعت الأمم على أنّ الدعاء مظنّة للإجابة وأجمعوا على أنّ الدعاء اللسانيّ الخالي عن المطلب النفسانيّ قليل البركة عديم الأثر، فدلّ ذلك على أنّ للهمم والنفوس آثاراً، وهذا الاتّفاق غير مختصّ بملّة معيّنة، ونحلة مخصوصة.

وخامسها: أنّك لو أنصفت لعلمت أنّ المبادئ القريبة للأفعال الحيوانيّة ليست إلاّ التصوّرات النفسانيّة. لأنّ القوّة المحرّكة المخلوقة المطبوعة المغروزة في العضلات صالحة للفعل وتركه أو ضدّه، ولن يترجّح أحد الطرفين على الآخر إلاّ لمرجّح وما ذاك إلاّ تصوّر كون الفعل جميلاً أو لذيذاً، أو تصوّر كونه قبيحاً أو مؤلماً فتلك التصوّرات هي المبادئ لصيرورة القوى العضليّة مبادئ بالفعل لوجود الأفعال بعد أن كانت كذلك بالقوّة، وإذا كانت هذه التصوّرات هي المبادئ لمبادئ هذه الأفعال فأيّ استبعاد في كونها مبادئ للأفعال بأنفسها وإلغاء الواسطة عن درجة الاعتبار.

وسادسها: التجربة والعيان شاهدان بأنّ هذه التصوّرات مبادئ قريبة لحدوث الكيفيّات في الأبدان، فإنّ الغضبان يشتدّ سخونة مزاجه حتى أنّه يفيد سخونة قويّة. يحكى عن بعض الملوك أنّه عرض له فالج فأعي الأطبّاء مزاولة علاجه، فدخل عليه بعض الحذّاق منهم على حين غفلة منه، وشافهه بالشتم والقدح في العرض، فاشتدّ غضب الملك وقفز من مرقده قفزة اضطراريّة لما ناله من شدّة ذلك الكلام، فزالت تلك العلّة المزمنة والمرضة المهلكة! وإذا

جاز كون التصوّرات مبادئ لحدوث الحوادث في البدن فأيّ استبعاد من كونها مبادئ لحدوث الحوادث خارج البدن. **وسابعها**: أنّ الإصابة بالعين أمر قد اتّفق عليه العقلاء، وذلك أيضاً يحقّق إمكان ما قلناه.

إذا عرفت هذا فنقول: النفوس التي تفعل هذه الأفاعيل قد تكون قويّة جداً فتستغني في هذه الأفعال عن الاستعانة بالآلات والأدوات، وقد تكون ضعيفة فتحتاج إلى الاستعانة بهذه، وتحقيقه أنّ النفس إذا كانت قويّة مستعلية على البدن شديدة الانجذاب إلى عالم السماوات كانت كأنّها روح من الأرواح السماويّة فكانت قويّة على التأثير في موادّ هذا العالم، أمّا إذا كانت ضعيفة شديدة التعلّق بهذه اللذات البدنيّة فحينئذ لا يكون لها تصرّف البتّة إلاّ في هذا البدن، فإذا أراد هذا الإنسان صيرورتها بحيث يتعدّى تأثيرها من بدنها إلى بدن آخر اتّخذ تمثال ذلك الغير، ووضعه عند الحسّ ليشتغل الحسّ به، فيتبعه الخيال عليه، وأقبلت النفس الناطقة عليه، فقويت التأثيرات النفسانيّة والتصرّفات الروحانيّة، ولذلك اجتمعت الأمم على أنّه لا بدّ لمزاول هذه الأعمال من الانقطاع عن المألوفات والمشتهيات وتقليله الغذاء والانقطاع عن مخاطبة القلب، فكلّما كانت هذه الأمور أتمّ كان ذلك التأثير أقوى، فإذا اتّفق أن كانت النفس مناسبة لهذا الأمر نظراً إلى ماهيّتها وخاصيّتها عظم التأثير.
والسبب اللمّيّ فيه أنّ النفس إذا اشتغلت بالجانب الواحد استعملت جميع قوّتها في ذلك الفعل، وإذا اشتغلت بالأفعال الكثيرة تفرّقت قوّتها وتوزّعت على تلك الأفعال، فتصل إلى كلّ واحد من تلك الأفعال شعبة من تلك القوّة، وجدول من ذلك النهر، ولذلك ترى أنّ إنسانين يستويان في قوّة الخاطر إذا اشتغل أحدهما بصناعة واحدة واشتغل الآخر بصناعتين، فإنّ ذا الفنّ الواحد يكون أقوى من ذي الفنّين، ومن حاول الوقوف على حقيقة مسألة من المسائل فإنّه حال تفكّره فيها لا بدّ وأن يفرغ خاطره عمّا عداه فإنّه عند تفريغ الخاطر يتوجّه الخاطر بكلّيّته إليه، فيكون الفعل أسهل وأحسن، وإذا كان كذلك، فإذا كان الإنسان مشغول الهمّ والهمّة بقضاء اللذات وتحصيل الشهوات كانت القوّة النفسانيّة مشغولة بها مستغرقة فيها، فلا يكون انجذابها إلى تحصيل الفعل الغريب الذي يحاوله انجذاباً قويّاً، لا سيّما وهنا آفة أخرى، وهي أنّ مثل هذه النفس اعتادت الاشتغال باللذات من أوّل أمرها إلى آخره ولم تشتغل قطّ باستحداث هذه الأفعال الغريبة، فهي بالطبع حَنون إلى الأوّل عزوف للثاني فإذا وجدت مطلوبها من النمط الأوّل فأنّى تلتفت إلى الجانب الآخر؟ فقد ظهر من هذا أنّ مزاولة هذه الأعمال لا تتأتّى إلاّ مع التجرّد عن الأحوال الجسمانية وترك مخالطة الخلق والإقبال بالكلّيّة على عالم الصفا والأرواح، وأمّا الرقى فإن كانت معلومة فالأمر فيها ظاهر، لأنّ الغرض منها أنّ حسّ البصر كما شغلناه بالأمور المناسبة لذلك الغرض فحسّ السمع نشغله أيضاً بالأمور المناسبة لذلك الغرض، فإنّ الحواسّ متى تطابقت نحو التوجّه إلى الغرض الواحد كان توجّه النفس إليه حينئذ أقوى، وأمّا إذا كانت بألفاظ غير معلومة حصلت للنفس

هناك حالة شبيهة بالحيرة والدهشة ويحصل للنفس في أثناء ذلك انقطاع عن المحسوسات وإقبال على ذلك الفعل، وجدّ عظيم، فيقوى التأثير النفسانيّ، فيحصل الغرض. وهكذا القول في الدخن، قالوا: فقد ثبت أنّ هذا القدر من القوّة النفسانيّة مستقلّ بالتأثير، فإن انضمّ إليه النوع الأوّل من السحر وهو الاستعانة بالكواكب وتأثيراتها عظم التأثير. بل ههنا نوعان آخران:

الأول: أنّ النفوس التي فارقت الأبدان قد يكون فيها ما هو شديد المشابهة لهذه النفس في قوّتها وفي تأثيراتها، فإذا صارت هذه النفوس صافية لم يبعد أن ينجذب إليها ما يشابهها من النفوس المفارقة، ويحصل لتلك النفوس نوع ما من التعلّق بهذا البدن، فتعاضد النفوس الكثيرة على ذلك الفعل، وإذا كملت القوّة تزايدت قوى التأثير.

الثاني: أنّ هذه النفوس الناطقة إذا صارت صافية عن الكدورات البدنيّة صارت قابلة للأنوار الفائضة من الأرواح السماويّة والنفوس الفلكيّة، فتتقوّى هذه النفوس بأنوار تلك الأرواح، فتقوى على أمور غريبة خارقة للعادة. فهذا شرح سحر أصحاب الأوهام والرقى.

النوع الثالث من السحر: الاستعانة بالأرواح الأرضية

واعلم أنّ القول بالجنّ ممّا أنكره بعض المتأخّرين من الفلاسفة والمعتزلة أمّا أكابر الفلاسفة فإنّهم ما أنكروا القول به، إلاّ أنّهم سمّوها بالأرواح الأرضيّة، وهي في أنفسها مختلفة، منها خيّرة ومنها شريرة، فالخيّرة هم مؤمنو الجنّ والشريرة هم كفّار الجنّ وشياطينهم، ثمّ قال: خلق منهم هذه الأرواح جواهر قائمة بأنفسها لا متحيّزة ولا حالّة في المتحيّز، وهي قادرة عالمة مدركة للجزئيّات واتّصال النفوس الناطقة بها أسهل من اتّصالها بالأرواح السماويّة، إلاّ أنّ القوّة الحاصلة للنفوس الناطقة بسبب اتّصالها بهذه الأرواح الأرضيّة أضعف من القوّة الحاصلة لها بسبب اتّصالها بتلك الأرواح السماويّة، أمّا أنّ الاتّصال أسهل فلأنّ المناسبة بين نفوسنا وبين هذه الأرواح الأرضيّة أسهل، فإنّ المشابهة والمشاكلة بينها أتمُّ وأشدُّ من المشاكلة بين نفوسنا وبين الأرواح السماويّة، وأمّا أنّ القوّة الحاصلة بسبب الاتّصال بالأرواح السماويّة أقوى فلأنّ الأرواح السماويّة بالنسبة إلى الأرواح الأرضيّة كالشمس بالنسبة إلى الشعلة والبحر بالنسبة إلى القطرة والسلطان بالنسبة إلى الرعيّة قالوا: وهذه الأشياء وإن لم يقم على وجودها برهان قاهر فلا أقلّ من الاحتمال والإمكان. ثمّ إنّ أصحاب الصنعة وأرباب التجربة شاهدوا أنّ الاتّصال بهذه الأرواح الأرضيّة يحصل بأعمال سهلة قليلة من الرقى والدخن والتجريد، فهذا النوع هو المسمّى بالعزائم وعمل تسخير الجنّ.

النوع الرابع من السحر: التخيلات والأخذ بالعيون

فهذا النوع مبنيّ على مقدّمات إحداها أنّ أغلاط البصر كثيرة، فإنّ راكب السفينة إذا نظر إلى الشطّ رأى السفينة واقفة والشطّ متحرّكاً، وذلك يدلّ على أنّ الساكن يُرى متحركاً

والمتحرّك يُرى ساكناً، والقطرة النازلة ترى خطّاً مستقيماً، والزبالة التي تدار بسرعة ترى دائرة، والقبّة ترى في الماء كالإجاصة، والشخص الصغير يرى في الضباب عظيماً، وكبخار الأرض الذي يريك قرص الشمس عند طلوعها عظيماً، فإذا فارقته وارتفعت صغرت، وأمّا رؤية العظيم من البعيد صغيراً فظاهر، فهذه الأشياء قد هدت العقول إلى أنّ القوّة الباصرة قد تبصر الشيء على خلاف ما هو عليه في الجملة لبعض الأسباب العارضة.

وثانيها: أنّ القوّة الباصرة إنّما تقف على المحسوس وقوفاً تامّاً إذا أدركت المحسوس في زمان له مقدار فأمّا إذا أدركت المحسوس في زمان صغير جداً ثمّ أدركت بعده محسوساً آخر وهكذا فإنّه يختلط البعض بالبعض، ولا يتميّز بعض المحسوسات عن البعض، ولذلك فإنّ الرحى إذا أخرجت من مركزها إلى محيطها خطوطاً كثيرة بألوان مختلفة ثمّ استدارت فإنّ الحسّ يرى لوناً واحداً كأنّه مركّب من كلّ تلك الألوان.

وثالثها: أنّ النفس إذا كانت مشغولة بشيء فربّما حضر عند الحسّ شيء آخر فلا يشعر الحسّ به البتّة، كما أنّ الإنسان عند دخوله على السلطان قد يلقاه إنسان ويتكلّم معه فلا يعرفه ولا يفهم كلامه، لما أنّ قلبه مشغول بشيء آخر وكذا الناظر في المرآة فإنّه ربّما قصد أن يرى قذاة في عينه فيراها ولا يرى ما هو أكثر منها إن كان بوجهه أثر أو بجبهته أو بسائر أعضائه التي تقابل المرآة وربما قصد أن يرى سطح المرآة هل هو مستو أم لا فلا يرى شيئاً ممّا في المرآة.
إذا عرفت هذه المقدّمات سهل عند ذلك تصوّر كيفيّة هذا النوع من السحر، وذلك لأنّ المشعبذ الحاذق يظهر عمل شيء يشغل أذهان الناظرين به ويأخذ عيونهم إليه حتى إذا استغرقهم الشغل بذلك الشيء والتحديق نحوه عمل شيئاً آخر عملاً بسرعة شديدة، فيبقى ذلك العمل خفيّاً لتفاوت الشيئين أحدهما اشتغالهم بالأمر الأول، والثاني سرعة الإتيان بهذا العمل الثاني، وحينئذ يظهر لهم شيء آخر غير ما انتظروه، فيتعجّبون منه جداً، ولو أنّه سكت ولم يتكلّم بما يصرف الخواطر إلى ضدّ ما يريد أن يعمل ولم تتحرّك النفوس والأوهام إلى غير ما يريد إخراجه لفطن الناظرون لكلّ ما يفعله. فهذا هو المراد من قولهم إنّ المشعبذ يأخذ بالعيون لأنّه بالحقيقة يأخذ بالعيون إلى غير الجهة التي يحتال، وكلّما كان أخذه للعيون والخواطر وجذبه لها إلى سواء مقصوده أقوى كان أحذق في عمله، وكلّما كانت الأحوال التي تفيد حسّ البصر نوعاً من أنواع الخلل أشدّ كان هذا العمل أحسن مثل أن يجلس المشعبذ في موضع مضيء جداً، فإنّ الضوء الشديد يفيد البصر كلالاً واختلالاً، وكذا الظلمة الشديدة، وكذلك الألوان المشرقة القويّة تفيد البصر كلالاً واختلالاً، والألوان المظلمة قلّما تقف القوّة الباصرة على أحوالها فهذا مجامع القول في هذا النوع من السحر.

النوع الخامس من السحر:

الأعمال العجيبة التي تطرأ من تركيب الآلات المركّبة على النسب الهندسيّة تارة وعلى

ضروب الخيلاء أُخرى مثل فارسين يقتتلان فيقتل أحدهما الآخر وكفارس على فرس في يده بوق كلّما مضت ساعة من النهار ضرب البوق من غير أن يمسّه أحد، ومنه الصور التي تصوّرها الروم وأهل الهند حتى لا يفرق الناظر بينها وبين إنسان حتى يصوّرونها ضاحكة وباكية وحتى يفرق فيها بين ضحك السرور وضحك الخجل وضحك الشامت، فهذه الوجوه من لطيف أمور التخاييل وكان سحر سحرة فرعون من هذا الضرب. ومن هذا الباب تركيب صندوق الساعات ويندرج في هذا الباب علم جرّ الأثقال، وهو أن يجرّ ثقيلاً عظيماً بآلة خفيفة وهذا في الحقيقة لا ينبغي أن يعدّ من باب السحر، لأنّ له أسباباً معلومة تعيينيّة من اطّلع عليها قدر عليها، إلاّ أنّ الاطّلاع عليها لمّا كان عسراً شديداً لا يصل إليه إلاّ الفرد بعد الفرد لا جرم عدّ أهل الظاهر ذلك من باب السحر. «ومن هذا الباب عمل ارجعانوس الموسيقار في هيكل أورشليم العتيق عند تجديده إيّاه وذلك أنّه اتّفق له أن كان مجتازاً بفلاة من الأرض، فوجد فيها فرخاً من فراخ البراصل - والبراصل هو طائر عطوف - فكان يصفر صفيراً حزيناً بخلاف صفير سائر البراصل، فكانت البراصل تجيئه بلطائف الزيتون فتطرحها عنده، فيأكل بعضها ويفضل بعضها عن حاجته، فوقف هذا الموسيقار هناك وتأمّل هذا الفرخ وعلم أنّ في صفيره المخالف لصفير البراصل ضرباً من التوجّع والاستعطاف، حتى رقّت له الطيور وجاءته بما يأكله، فتلطّف لعمل آلة تشبه الصفارة إذا استقبل الريح بها أدّت ذلك الصفير، ولم يزل يجرّب ذلك حتى وثق بها وجاءته البراصل بالزيتون كما كانت تجيء إلى ذلك الفرخ، لأنّها تظنّ أنّ هناك فرخاً من جنسها، فلمّا صحّ له ما أراد أظهر النسك وعمد إلى هيكل أورشليم، وسأل عن الليلة التي دفن فيها «اسطرحن» الناسك القيّم بعمارة ذلك الهيكل، فأخبر أنّه دفن في أوّل ليلة من آب، فأخذ صورة من زجاج مجوّف على هيئة البرصلة، ونصبها فوق ذلك الهيكل، وجعل فوق تلك الصورة قبّة، وأمرهم بفتحها في أوّل آب، فكان يظهر صوت البرصلة بسبب نفوذ الريح في تلك الصورة، وكانت البراصل تجيء بالزيتون حتى كانت تمتلئ القبّة كلّ يوم من ذلك الزيتون، والناس اعتقدوا أنّه من كرامات ذلك المدفون؛ ويدخل في هذا الباب أنواع كثيرة لا يليق شرحها في هذا الموضع.

النوع السادس من السحر: الاستعانة بخواصّ الأدوية من أن يجعل في طعامه بعض الأدوية المبلّدة المزيلة للعقل، والدخن المسكرة نحو دماغ الحمار إذا تناوله الإنسان تبلّد عقله وقلّت فطنته، واعلم أنّه لا سبيل إلى إنكار الخواصّ، فإنّ أثر المغناطيس مشاهد، إلاّ أنّ الناس قد أكثروا فيه، وخلطوا الصدق بالكذب، والباطل بالحقّ.

النوع السابع من السحر: تعليق القلب. وهو أن يدّعي الساحر أنّه قد عرف الاسم الأعظم وأنّ الجنّ يطيعونه وينقادون له في أكثر الأمور، فإذا اتّفق أن كان السامع لذلك ضعيف العقل قليل التميّز اعتقد أنّه حقّ وتعلّق قلبه بذلك، وحصل في نفسه نوع من الرعب والمخافة، فإذا

حصل الخوف ضعفت القوى الحساسة، فحينئذ يتمكّن الساحر من أن يفعل حينئذ ما شاء، وإنّ من جرّب الأمور وعرف أحوال العالم علم أنّ لتعلّق القلب أثراً عظيماً في تنفيذ الأعمال وإخفاء الأسرار.

النوع الثامن من السحر: السعي بالنميمة والتضريب من وجوه خفيّة لطيفة وذلك شائع في الناس، فهذا جملة الكلام في أقسام السحر وشرح أنواعه وأصنافه والله أعلم.

المسألة الحادية عشرة: في أقوال المسلمين أنّ هذه الأنواع هل هي ممكنة أم لا؟ أمّا المعتزلة فقد اتّفقوا على إنكارها إلاّ النوع المنسوب إلى التخيّل والمنسوب إلى إطعام بعض الأدوية المبلّدة والمنسوب إلى التضريب والنميمة، فأمّا الأقسام الخمسة الأول فقد أنكروها، ولعلّهم كفّروا من قال بها وجوّز وجودها. وأمّا أهل السّنة فقد جوّزوا أن يقدر الساحر على أن يطير في الهواء ويقلب الإنسان حماراً والحمار إنساناً، إلاّ أنّهم قالوا إنّ الله تعالى هو الخالق لهذه الأشياء عندما يقرأ الساحر رقى مخصوصة وكلمات معيّنة، فأمّا أن يكون المؤثّر في ذلك الفلك والنجوم فلا وأمّا الفلاسفة والمنجّمون والصابئة فقولهم على ما سلف تقريره.

واحتجّ أصحابنا على فساد قول الصابئة أنّه قد ثبت أنّ العالم محدث فوجب أن يكون موجده قادراً، فإنّ الشيء الذي حكم العقل بأنّه مقدوره إنّما يصحّ أن يكون مقدوراً له لكونه ممكناً، والإمكان قدر مشترك بين كلّ الممكنات، فإذن كلّ الممكنات مقدور لله، ولو وجد شيء من تلك المقدورات بسبب آخر يلزم أن يكون ذلك السبب مزيلاً لتعلّق قدرة الله تعالى بذلك المقدور، فيكون الحادث سبباً لعجز الله، وهو محال. فثبت أنّه يستحيل وقوع شيء من الممكنات إلاّ بقدرة الله، وعنده يبطل كلّ ما قاله الصابئة.

قالوا: إذا ثبت هذا النوع فندّعي أنّه لا يمتنع وقوع هذه الخوارق بإجراء العادة عند سحر السحرة، فقد احتجّوا على وقوع هذا النوع من السحر بالقرآن والخبر. أمّا القرآن فقوله تعالى في هذه الآية ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ والاستثناء يدلّ على حصول الآثار بسببه. وأمّا الأخبار فأحدها ما روي أنّه عليه السلام سُحِر، وأنّ السحر عمل فيه حتى قال: إنّه ليخيّل إليّ أنّي أقول الشيء وأفعله ولم أقله ولم أفعله، وأنّ امرأة يهوديّة سحرته وجعلت ذلك السحر تحت راعوفة البئر، فلمّا استخرج ذلك زال عن النبيّ صلى الله عليه وآله العارض ونزلت المعوّذتان بسببه.

وثانيها: أنّ امرأة أتت عائشة فقالت لها: إنّي ساحرة، فهل لي من توبة؟ فقالت: وما سحرك؟ فقالت: صرت إلى الموضع الذي فيه هاروت وماروت ببابل أتعلّم علم السحر، فقالا لي: يا أمة الله! لا تختاري عذاب الآخرة بأمر الدنيا فأبيت، فقالا لي: اذهبي فبولي على ذلك الرماد، فذهبت لأبول عليه، ففكّرت في نفسي فقلت: لا فعلت، وجئت إليهما

فقلت: قد فعلت، فقالا لي: ما رأيت لمّا فعلت، فقلت: ما رأيت شيئاً، فقالا لي: أنت على رأس أمرك، فاتّقي الله ولا تفعلي، فأبيت، فقالا لي: اذهبي فافعلي، فذهبت ففعلت، فرأيت كأنّ فارساً مقنّعاً بالحديد قد خرج من فرجي فصعد إلى السماء، فجئتهما فأخبرتهما، فقالا: إيمانك قد خرج عنك، فقد أحسنت السحر. فقلت: وما هو؟ قالا: لا تريدين شيئاً فتصوّرينه في وهمك إلاّ كان، فصوّرت في نفسي حبّاً من حنطة، فإذا أنا بحبّ فقلت: انزرع، فانزرع، فخرج من ساعته سنبلاً، فقلت: انطحن، فانطحن فقلت: انخبز، فانخبز، وأنا لا أريد شيئاً أصوّره في نفسي إلاّ حصل، فقالت عائشة: ليست لك توبة.

وثالثها: ما يذكرونه من الحكايات الكثيرة في هذا الباب، وهي مشهورة، أمّا المعتزلة فقد احتجّوا على إنكاره بوجوه: أحدها: قوله تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ وثانيها قوله تعالى في صفة محمّد ﷺ ﴿وَقَالَ ٱلظَّٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا﴾ ولو صار ﷺ مسحوراً لما استحقّوا الذمّ بسبب هذا القول. وثالثها أنّه لو جاز ذلك من الساحر فكيف يتميّز المعجز من السحر؟ ثمّ قالوا: هذه الدلائل يقينيّة، والأخبار التي ذكرتموها من باب الآحاد، فلا تصلح معارضة لهذه الدلائل.

المسألة الثانية عشرة: في أنّ العلم بالسحر ليس بقبيح ولا محظور.

اتّفق المحقّقون على ذلك، لأنّ العلم لذاته شريف، وأيضاً لعموم قوله تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] ولأنّ السحر لو لم يعلم لما أمكن الفرق بينه وبين المعجز، والعلم بكون المعجز معجزاً واجب، وما يتوقّف الواجب عليه فهو واجب، فهذا يقتضي أن يكون تحصيل العلم بالسحر واجباً، وما يكون واجباً كيف يصير حراماً وقبيحاً.

المسألة الثالثة عشرة: في أنّ الساحر هل يكفر أم لا؟ اختلف الفقهاء في أنّ الساحر هل يكفر أم لا؟ روي عن النبيّ ﷺ أنّه قال: من أتى كاهناً أو عرافاً فصدّقهما بقول فقد كفر بما أنزل على محمّد. واعلم أنّه لا نزاع بين الأمّة في أنّ من اعتقد أنّ الكواكب هي المدبّرة لهذا العالم، وهي الخالقة لما فيه من الحوادث والخيرات والشرور فإنّه يكون كافراً على الإطلاق، وهذا هو النوع الأوّل من السحر، وأمّا النوع الثاني وهو أن يعتقد أنه قد يبلغ روح الإنسان في التصفية والقوّة إلى حيث يقدر بها على إيجاد الأجسام والحياة والقدرة وتغيير البنية والشكل فالأظهر إجماع الأمّة أيضاً على تكفيره، أمّا النوع الثالث وهو أن يعتقد الساحر أنّه قد يبلغ في التصفية وقراءة الرقى وتدخين بعض الأدوية إلى حيث يخلق الله تعالى في عقب أفعاله على سبيل العادة الأجسام والحياة والقدرة وتغيير البنية والشكل، فهنا المعتزلة اتّفقوا على تكفير من يجوّز ذلك، قالوا: لأنّه مع هذا الاعتقاد لا يمكنه أن يعرف صدق الأنبياء والرسل، وهذا ركيك من القول، فإنّ لقائل أن يقول: إنّ الإنسان لو ادّعى النبوّة وكان كاذباً

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٩.

في دعواه فإنّه لا يجوز من الله تعالى إظهار هذه الأشياء على يده لئلاّ يحصل التلبيس، أمّا إذا لم يدّع النبوّة وظهرت هذه الأشياء على يده لم يفض ذلك إلى التلبيس، لأنّ المحقّ يتميّز عن المبطل، بما أنّ المحقّ تحصل له هذه الأشياء مع ادّعاء النبوّة، وأمّا سائر الأنواع التي عددناها من السحر فلا شكّ أنّه ليس بكفر.

فإن قيل: إنّ اليهود لمّا أضافوا السحر إلى سليمان، قال الله تعالى تنزيهاً عنه ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ وهذا يدلُّ على أنّ السحر على الإطلاق كفر، وأيضاً قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وهذا أيضاً يقتضي أن يكون السحر على الإطلاق كفراً. وحكى عن الملكين أنّهما لا يعلّمان أحداً السحر حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر، وهو يدلّ على أنّ السحر كفر على الإطلاق. قلنا: حكاية الحال يكفي في صدقها صورة واحدة فنحملها على سحر من يعتقد إلهيّة النجوم.

ثمّ قال بعد إيراد المسألة الرابعة عشرة في حكم قتل الساحر: فهذا هو الكلام الكلّي في السحر، ولنرجع إلى التفسير:

أمّا قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فظاهر الآية يقتضي أنّهم كفروا لأجل أنّهم كانوا يعلّمون الناس السحر لأنّ ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلّيّة، وتعليم ما لا يكون كفراً لا يوجب الكفر فصارت الآية دالّة على أنّ تعليم السحر كفر، وعلى أنّ السحر أيضاً كفر، ولمن منع ذلك أن يقول: لا نسلّم أنّ ترتيب الحكم على الوصف مشعر بالعلّيّة، بل المعنى أنّهم كفروا وهم مع ذلك يعلّمون السحر.

فإن قيل: هذا مشكل لأنّ الله أخبر في آخر الآية أنّ الملكين يعلّمان السحر فلو كان تعليم السحر كفراً لزم تكفير الملكين، وإنّه غير جائز لما ثبت أنّ الملائكة بأسرهم معصومون، وأيضاً فلأنكم دللتم على أنّه ليس كلّ ما يسمّى سحراً فهو كفر.

قلنا: اللفظ المشترك لا يكون عامّاً في جميع مسمّياته، فنحن نحمل هذا السحر الذي هو كفر على النوع الأوّل من الأشياء المسمّاة بالسحر، وهو اعتقاد إلهيّة الكواكب والاستعانة بها في إظهار المعجزات وخوارق العادات، فهذا السحر كفر، والشياطين إنّما كفروا بإتيانهم بهذا السحر لا بسائر الأقسام، وأمّا الملكان فلا نسلّم أنّهما إنّما علّما هذا النوع من السحر، بل لعلّهما يعلّمان سائر الأنواع على ما قال تعالى ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وأيضاً فبتقدير أن يقال إنهما علّما هذا النوع إنّما يكون كفراً إذا قصد المعلّم أن يعتقد المتعلّم حقيّته وكونه صواباً، فأمّا أن يعلّمه ليتحرز عنه فهذا التعليم لا يكون كفراً، وتعليم الملائكة كان لأجل أن يصير المكلّف محترزاً عنه على ما قال الله تعالى حكاية عنهما ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ وأمّا الشياطين الذين علّموا الناس السحر فكان مقصودهم اعتقاد حقّيّة هذه الأشياء، فظهر الفرق.

المسألة الخامسة عشرة: قرأ نافع وابن كثير وعاصم وأبو عمرو بتشديد (لكنّ)

و(الشياطين) بالنصب، على أنّه اسم لكنّ، والباقون (لكن) بالتخفيف و(الشياطين) بالرفع، والمعنى واحد.

أمّا قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾ ففيه مسائل:

الأولى: ما في قوله ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ فيه وجهان:

الأول: بمعنى أنّه الذي، ثمّ هؤلاء اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

أولها: أنّه عطف عل السحر، أي يعلّمون الناس السحر، ويعلّمونهم ما أنزل على الملكين أيضاً.

وثانيها: أنّه عطف على قوله ﴿مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ أي واتّبعوا ما تتلو الشياطين افتراء على ملك سليمان وما أنزل على الملكين، لأنّ السحر منه ما هو كفر وهو الذي تتلو الشياطين، ومنه ما تأثيره بالتفريق بين المرء وزوجه وهو الذي أنزل على الملكين، فكأنّه تعالى أخبر عن اليهود بأنّهم اتّبعوا كلا الأمرين ولم يقتصروا على أحدهما.

وثالثها: أنّ موضعه جرّ عطفاً على ﴿مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ وتقديره: ما تتلو الشياطين افتراءً على ملك سليمان وعلى ما أنزل على الملكين، وهو اختيار أبي مسلم. وأنكر في الملكين أن يكون السحر نازلاً عليهما، واحتجّ عليه بوجوه:

الأول: أنّ السحر لو كان نازلاً عليهما لكان منزله هو الله تعالى وذلك غير جائز، لأنّ السحر كفر وعبث ولا يليق بالله تعالى إنزال ذلك.

الثاني: إنّ قوله ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ يدلّ على أنّ تعليم السحر كفر، ولو ثبت في الملائكة أنّهم يعلّمون السحر لزمهم الكفر، وذلك باطل.

الثالث: كما لا يجوز في الأنبياء أن يبعثوا لتعليم السحر فكذلك في الملائكة بالطريق الأولى.

الرابع: أنّ السحر لا يضاف إلاّ إلى الكفرة والفسقة والشياطين المردة، فكيف يضاف إلى الله ما ينهى عنه ويتوعّد عليه بالعقاب؟! وهل السحر إلاّ الباطل المموّه؟ وقد جرت عادة الله تعالى بإبطاله، كما قال في قصّة موسى عليه السلام: ﴿مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ﴾.

ثمّ إنّه سلك في تفسير الآية مسلكاً آخر يخالف قول أكثر المخالفين، فقال كما أنّ الشياطين نسبوا السحر إلى ملك سليمان مع أنّ ملك سليمان كان مبرّأً عنه، فكذلك نسبوا ما أنزل على الملكين إلى السحر، مع أنّ المنزل عليهما كان مبرّءاً عن السحر، وذلك لأنّ المنزل عليهما كان هو الشرع والدين والدعاء إلى الخير وأنّهما كانا يعلّمان الناس ذلك مع قولهما إنّما نحن فتنة توكيداً لبعثهم على القبول والتمثّل، فكانت طائفة تتمثّل وأُخرى تخالف وتعدل عن ذلك «ويتعلمون منهما» أي من الفتنة والكفر مقدار ما يفرّقون به بين المرء وزوجه، وهذا تقرير مذهب أبي مسلم.

الوجه الثاني: أن يكون ﴿مَآ﴾ بمعنى الجحد، ويكون معطوفاً على قوله ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ﴾ كأنّه قال: لم يكفر سليمان ولم ينزل على الملكين سحر لأنّ السحرة كانت تضيف السحر إلى سليمان وتزعم أنّه مما أنزل على الملكين ببابل هاروت وماروت، فردّ الله عليهم في القولين. وقوله ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ جحد أيضاً، أي لا يعلّمان أحداً بل ينهيان عنه أشدّ النهي، وأمّا قوله ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي ابتلاء وامتحان ﴿فَلَا تَكْفُرْ﴾ فهو كقولك ما أمرت فلاناً بكذا حتى قلت له: إن فعلت كذا نالك كذا، أي ما أمرته به، بل حذّرته عنه.

واعلم أنّ هذه الأقوال وإن كانت حسنة إلاّ أنّ القول الأوّل أحسن منها وذلك لأنّ عطف قوله ﴿وَمَآ أُنزِلَ﴾ على ما يليه أولى من عطفه على ما بعد عنه إلاّ لدليل منفصل. أما قوله لو نزل السحر عليهما لكان منزل ذلك السحر هو الله تعالى، قلنا: تعريف صفة الشيء قد يكون لأجل الترغيب في إدخاله في الوجود، وقد يكون لأجل أن يقع الاحتراز عنه، كما قال الشاعر:

عرفت الشرّ لا للشرّ لكن لتوقّيه

قوله ثانياً: إنّ تعليم السحر كفر لقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ فالجواب أنّا بيّنا أنّه واقعة حال فيكفي في صدقها صورة واحدة، وهي ما إذا اشتغل بتعليم سحر من يقول بإلهيّة الكواكب ويكون قصده من ذلك التعليم إثبات أنّ ذلك المذهب حقّ. قوله ثالثاً: إنّه لا يجوز بعثة الأنبياء لتعليم السحر فكذا الملائكة. قلنا: لا نسلّم أنّه لا يجوز بعثة الأنبياء لتعليمه بحيث يكون الغرض من ذلك التعليم التنبيه على إبطاله. قوله رابعاً: إنّما يضاف السحر إلى الكفرة أو المردة فكيف يضاف إلى الله ما ينهى عنه؟ قلنا: فرق بين العمل وبين التعليم، فلم لا يجوز أن يكون العمل به منهيّاً عنه وأمّا تعليمه لغرض التنبيه على فساده فإنّه يكون مأموراً به.

المسألة الثانية: قرأ الحسن (الملِكين) بكسر اللام، وهو مرويّ أيضاً عن الضحّاك وابن عبّاس، ثمّ اختلفوا، فقال الحسن: كانا علجين أقلفين ببابل يعلّمان الناس السحر، وقيل: كانا رجلين صالحين من الملوك، والقراءة المشهورة بفتح اللاّم، وهما كانا ملكين نزلا من السماء، وهاروت وماروت اسمان لهما. ثمّ قيل: هما جبرئيل وميكائيل عليهما السلام، وقيل: أمّا الذين كسروا اللام فقد احتجّوا بوجوه:

أحدها: أنّه لا يليق بالملائكة تعليم السحر.

وثانيها: كيف يجوز إنزال الملكين مع قوله ﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكًا لَّقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾.

وثالثها: لو أنزل الملكين لكان إمّا أن يجعلهما في صورة رجلين أو لا يجعلهما كذلك، فإن جعلهما في صورة رجلين مع أنّهما ليسا برجلين كان ذلك تجهيلاً وتلبيساً وهو غير جائز، ولو جاز ذلك فلم لا يجوز أن يكون كلّ واحد من الناس الذين نشاهدهم لا يكون في الحقيقة إنساناً بل ملكاً من الملائكة! وإن لم يجعلهما في صورة الرجلين قدح ذلك في قوله تعالى:

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ والجواب عن الأوّل أنّا سنبيّن وجه الحكمة من إنزال الملائكة لتعليم السحر وعن الثاني أنّ هذه الآية عامّة، وقراءة الملكين بفتح اللام متواترة وخاصّة، والخاصُّ يقدّم على العامّ. وعن الثالث أنّ الله تعالى ينزلهما في صورة رجلين، وكان الواجب على المكلّفين في زمان الأنبياء أن لا يقطعوا على من صورته صورة الإنسان بكونه إنساناً، كما أنّ في زمان الرسول ﷺ كان الواجب على من شاهد دحية الكلبي أن لا يقطع بكونه من البشر، بل الواجب التوقّف فيه.

المسألة الثالثة: إذا قلنا بأنّهما كانا من الملائكة فقد اختلفوا في سبب نزولهما، فروي عن ابن عبّاس أنّ الملائكة لمّا قالت ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾[1] فأجابهم الله تعالى بقوله ﴿إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ثمّ إنّ الله وكّل عليهم جمعاً من الملائكة وهم الكرام الكاتبون فكانوا يعرجون بأعمالهم الخبيثة فعجبت الملائكة منهم، ومن تبقية الله إيّاهم مع ما يظهر منهم من القبائح، ثمّ أضافوا إليها عمل السحر فازداد تعجب الملائكة، فأراد الله تعالى أن يبتلي الملائكة فقال لهم: اختاروا ملكين من أعظم الملائكة علماً وزهداً وديانة لإنزالهما إلى الأرض فأختبرهما، فاختاروا هاروت وماروت، وركّب فيهما شهوة الإنس وأنزلهما ونهاهما عن الشرك والقتل والزنا والشرب، فنزلا فذهبت إليهما امرأة من أحسن النساء وهي الزهرة فراوداها عن نفسها فأبت إلاّ بعد أن يعبدا الصنم وإلاّ بعد أن يشربا، فامتنعا أوّلاً ثمّ غلبت الشهوة عليهما، فأطاعا في كلّ ذلك، فعند إقدامهما على الشرب وعبادة الصنم دخل سائل عليهم فقالت: إن أظهر هذا السائل للناس ما رأى منّا فسد أمرنا فإن أردتما الوصول إليّ فاقتلا هذا الرجل، فامتنعا منه، ثمّ اشتغلا بقتله، فلمّا فرغا من القتل طلبا المرأة فلم يجداها. ثمّ إنّ الملكين عند ذلك ندما وتحسّرا وتضرّعا إلى الله تعالى فخيّرهما بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، فاختارا عذاب الدنيا، وهما معذّبان ببابل، معلّقان بين السماء والأرض يعلّمان الناس السحر.

ثمّ لهم في الزهرة قولان: **أحدهما**: أنّ الله تعالى لمّا ابتلى الملكين بشهوة بني آدم أمر الله الكوكب الذي يقال له «الزهرة» وفلكها حتى هبط إلى الأرض إلى أن كان ما كان، فحينئذ ارتفعت الزهرة وفلكها إلى موضعها من السماء موبّخين لهما على ما شاهداه منهما.

والقول الثاني: أنّ المرأة كانت فاجرة من أهل الأرض وواقعاها بعد شرب الخمر وقتل النفس وعبادة الصنم، ثمّ علّماها الاسم الذي به كانا يعرجان إلى السماء، فتكلّمت به وعرجت إلى السماء، وكان اسمها «بيدخت» فمسخها الله تعالى وجعلها هي الزهرة.

واعلم أنّ هذه الرواية فاسدة مردودة غير مقبولة، لأنّه ليس في كتاب الله ما يدلّ عليها، بل فيه ما يبطلها من وجوه:

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

الأول: ما تقدّم من الدلائل الدالّة على عصمة الملائكة عن كلّ المعاصي.

وثانيها: أنّ قولهم إنّهما خيّرا بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاسد، بل كان الأولى أن يخيّرا بين التوبة والعذاب، لأنّ الله تعالى خيّر بينهما من أشرك به طول عمره فكيف يبخل عليهما بذلك.

وثالثها: أنّ من أعجب الأمور قولهم إنّهما يعلّمان الناس السحر في حال كونهما معذّبين ويدعوان إليه وهما يعاقبان.

ولمّا ظهر فساد هذا القول فنقول: السبب في إنزالهما وجوه:

أحدها: أنّ السحرة كثرت في ذلك الزمان، واستنبطت أبواباً غريبة، وكانوا يدّعون النبوّة ويتحدّون الناس بها، فبعث الله تعالى هذين الملكين لأجل أن يعلّما الناس أبواب السحر حتى يتمكّنوا من معارضة أولئك الذين كانوا يدّعون النبوّة كذباً، ولا شكّ أنّ هذا من أحسن الأغراض والمقاصد.

وثانيها: أنّ العلم بكون المعجزة مخالفاً للسّحر متوقّف على العلم بماهيّة المعجزة والناس كانوا جاهلين بماهيّة السحر فلا جرم تعذّرت عليهم معرفة حقيقة المعجزة فبعث الله هذين الملكين لتعريف ماهيّة السحر لأجل هذا الغرض.

وثالثها: لا يمتنع أن يقال: السحر الذي يوقع الفرقة بين أعداء الله والألفة بين أولياء الله كان مباحاً عندهم أو مندوباً، فالله تعالى بعث الملكين لتعليم السحر لهذا الغرض. ثمّ إنّ القوم تعلّموا ذلك منهما واستعملوه في الشرّ وإيقاع الفرقة بين أولياء الله والألفة بين أعداء الله.

ورابعها: أن تحصيل العلم بكلّ شيء حسن ولمّا كان السحر منهيّاً عنه وجب أن يكون متصوّراً معلوماً، لأنّ الذي لا يكون متصوّراً امتنع النهي عنه.

وخامسها: لعلّ الجنّ كان عندهم أنواع من السحر لم يقدر البشر على الإتيان بمثلها، فبعث الله الملائكة ليعلّموا البشر أموراً يقدرون بها على معارضة الجنّ.

وسادسها: يجوز أن يكون ذلك تشديداً في التكليف من حيث إذا علّمه ما أمكنه أن يتوصّل به إلى اللذات العاجلة ثمّ منعه من استعمالها كان ذلك في نهاية المشقّة، فيستوجب به الثواب الزائد، كما ابتلي قوم طالوت بالنهر على ما قال ﴿فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّيٓ﴾ فثبت بهذه الوجوه أنه لا يبعد من الله تعالى إنزال الملكين لتعليم السحر.

المسألة الرابعة: قال بعضهم: هذه الواقعة إنّما وقعت في زمان إدريس عليه‌السلام لأنهما إذا كانا ملكين نزلا بصورة البشر لهذا الغرض فلا بدّ من رسول في وقتهما ليكون ذلك معجزة له، ولا يجوز كونهما رسولين، لأنه ثبت أنّه تعالى لا يبعث الرسول من الملائكة إلى الإنس - والله أعلم.

المسألة الخامسة: «هاروت وماروت» عطف بيان لملكين، علمان لهما وهما إسمان

أعجميّان بدليل منع الصرف، ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا، وقرأ الزهريّ، «هاروتُ وماروتُ» بالرفع على: هما هاروت وماروت، وأمّا قوله تعالى: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ فاعلم أنّه تعالى شرح حالهما فقال: وهذان الملكان لا يعلّمان السحر إلاّ بعد التحذير الشديد من العمل به، وهو قولهما ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ والمراد ههنا بالفتنة المحنة التي بها يتميّز المطيع عن العاصي، كقولهم «فتنت الذهب بالنار» إذا عرض على النار ليتميّز الخالص عن المشوب. وقد بيّنّا الوجوه في أنّه كيف يحسن بعثة الملكين لتعليم السحر، فالمراد أنّهما لا يعلّمان أحداً السحر ولا يصفانه لأحد ولا يكشفان له وجوه الاحتيال حتى يبذلا له النصيحة، فيقولا له ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ أي هذا الذي نصفه لك وإن كان الغرض فيه أن يتميّز السحر من المعجز ولكنّه يمكنك أن تتوصل إلى المفاسد والمعاصي، فإيّاك بعد وقوفك عليه أن تستعمله فيما نهيت عنه، أو تتوصّل به إلى شيء من الأغراض العاجلة.

أمّا قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: ذكروا في تفسير هذا التفريق وجهين:

الأوّل: أنّ هذا التفريق إنّما يكون بأن يعتقد أنّ ذلك السحر مؤثّر في هذا التفريق فيصير كافراً وإذا صار كافراً بانت منه امرأته، فيحصل التفريق بينهما.

الثاني: يفرق بينهما بالتمويه والتخييل والتضريب وسائر الوجوه المذكورة.

المسألة الثانية: أنّه تعالى لم يذكر ذلك لأنّ الذي يتعلّمون منهما ليس إلاّ هذا القدر لكن هذه الصورة تنبيهاً على سائر الصور، فإنّ استنامة المرء إلى زوجه وركونه إليها معروف زائد على كل مودّة فنبّه بذكر ذلك، على أنّ السحر إذا ما أمكن به هذا الأمر على شدّته فغيره به أولى.

أمّا قوله ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ﴾ فإنّه يدلّ على ما ذكرناه، لأنّه أطلق الضرر ولم يقصره على التفريق بين المرء وزوجه، فدلّ ذلك على أنّه تعالى إنّما ذكره لأنّه أعلى مراتبه.

أمّا قوله ﴿بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ فاعلم أنّ الإذن حقيقة في الأمر، والله لا يأمر بالسحر ولأنّه تعالى أراد عيبهم، وذمّهم، ولو كان قد أمرهم به لما جاز أن يذمّهم عليه فلا بدّ من التأويل، وفيه وجوه: **أحدها:** قال الحسن: المراد منه التخلية، يعني الساحر إذا سحر إنساناً فإن شاء الله منعه منه وإن شاء خلّى بينه وبين ضرر السحر.

وثانيها: قال الأصمّ: المراد: إلاّ بعلم الله، وإنّما سمّي الأذان أذاناً لأنّه إعلام الناس وقت الصلاة وسمّي الإذن إذناً لأنّ بالحاسّة القائمة بذلك يدرك الإذن، وكذلك قوله ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ﴾ أي إعلام، وقوله ﴿فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ معناه فاعلموا، وقوله ﴿فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ﴾ يعني أعلمتكم.

وثالثها: أنّ الضرر الحاصل عند فعل السحر إنّما يحصل بخلق الله تعالى وإيجاده وإبداعه، وما كان كذلك فإنّه يصحّ أن يضاف إلى إذن الله تعالى كما قال ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

ورابعها: أن يكون المراد بالإذن الأمر، وهذا الوجه لا يليق إلاّ بأن يفسّر التفريق بين المرء وزوجه بأن يصير كافراً، والكفر يقتضي التفريق فإنّ هذا حكم شرعيّ، وذلك لا يكون إلاّ بأمر الله.

أمّا قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ ففيه مسائل:

المسألة الأولى: إنّما ذكر لفظ الشراء على سبيل الاستعارة لوجوه:

أحدها: أنّهم لمّا نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم وأقبلوا على التمسّك بما تتلو الشياطين فكأنّهم قد اشتروا ذلك السحر بكتاب الله.

وثانيها: أنّ الملكين إنّما قصدا بتعليم السحر الاحتراز عنه ليصل بذلك الاحتراز إلى منافع الآخرة، فلمّا استعمل السحر فكأنّه اشترى بمنافع الآخرة الدنيا.

وثالثها: أنّه لمّا استعمل السحر علمنا أنّه إنّما تحمّل المشقّة ليتمكّن من ذلك الاستعمال، فكأنّه اشترى بالمحن التي تحمّلها قدرته على ذلك الاستعمال.

المسألة الثانية: قال الأكثرون: الخلاق النصيب، قال القفّال: يشبه أن يكون أصل الكلمة من الخلق معناه التقدير، ومنه خلق الأديم، ومنه يقال: قدّر الرجل كذا درهماً رزقاً على عمل كذا. وقال الآخرون: الخلاق الخلاص، قال أميّة بن أبي صلت:

يدعون بالويل فيها لا خلاق لهم ... إلاّ سرابيل قطران وأغلال

بقي في الآية سؤال وهو أنّه كيف أثبت لهم العلم أوّلاً في قوله ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا۟﴾ ثمّ نفاه عنهم في قوله ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ والجواب من وجوه:

أحدها: أنّ الذين علموا غير الذين لم يعلموا، فالذين علموا هم الذين علّموا السحر ودعوا الناس إلى تعلّمه، وهم الذين قال الله في حقّهم ﴿نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[1] وأمّا الجهّال الذين يرغبون في تعلّم السحر فهم الذين لا يعلمون، وهذا جواب الأخفش وقطرب.

وثانيها: لو سلّمنا أنّ القوم واحد ولكنّهم علموا أشياء وجهلوا أشياء أُخر علموا أنّه ليس لهم في الآخرة خلاق ولكنّهم جهلوا مقدار ما فاتهم من منافع الآخرة، وما حصل لهم من مضارّها وعقوباتها.

وثالثها: لو سلّمنا أنّ القوم واحد والمعلوم واحد ولكنّهم لم ينتفعوا بعلمهم بل أعرضوا

(١) سورة البقرة، الآية: ١٠١.

عنه فصار ذلك العلم كالعدم كما سمّى الله تعالى الكفّار صمّاً وبكماً وعمياً إذ لم ينتفعوا بهذه الحواسّ ويقال للرّجل في شيء يفعله لكنّه لا يضعه موضعه: صنعت ولم تصنع (انتهى)[١].

وإنّما أوردت أكثر كلامهم في هذا المقام مع طوله واشتماله على الزوائد الكثيرة لمناسبته لما سيأتي في بعض الأبواب الآتية، ولتطّلع على مذاهبهم الواهية في تلك الأبواب. وسأل شيخنا البهائي رحمه الله بعض أخلاّئه عن قول البيضاوي في تفسير هذه الآية حيث قال «وما روي من أنّهما مثّلا بشرين وركّبت فيهما الشهوة فتعرّضا لامرأة يقال لها الزهرة فحملتهما على المعاصي والشرك، ثمّ صعدت السماء بما تعلّمت منهما، فمحكيٌّ عن اليهود، ولعلّه من رموز الأوائل، وحلّه لا يخفى على ذوي البصائر» بيّنوا حتى نصير من ذوي البصائر. فأجاب الشيخ رحمه الله بعد أن أورد هذه القصّة نحواً ممّا رواه الرازيّ في هذه القصّة: هي ما رواه قدماء المفسّرين من العامّة عن ابن عبّاس، ولم يرتض بهذه الرواية متأخّروهم وأطنب الفخر الرازيّ وغيره في تزييفها، وقال: إنّها فاسدة مردودة غير مقبولة لوجوه ثلاثة إلى آخر ما نقلناه من الوجوه في عرض كلامه - ثمّ قال: وفي كلّ من هذه الوجوه نظر، أمّا الأوّل فلأنّه لم يثبت بقاؤهما على العصمة بعد أن مثّلهما الله سبحانه بصورة البشر وركّب فيهما قوّتي الشهوة والغضب وجعلهما كسائر بني آدم كما يظهر من القصّة. وأمّا الثاني فلأنّ التخيير بين التوبة والعذاب وإن كان هو الأصلح بحالهما لكن فعل الأصلح مطلقاً غير واجب عليه سبحانه على مذهب هذا المفسّر، بل فعل الأصلح الذي من هذا القبيل غير واجب عندنا أيضاً، فإنّا لا نوجب عليه سبحانه كلّ ما هو أصلح بحال العبد كما ظنّه مخالفونا، وشنّعوا علينا بما شنّعوا، بل إنّما نوجب عليه سبحانه كلّ أصلح لو لم يفعله كان مناقضاً لغرضه كما ذكرته في الحواشي التي علّقتها على تفسير البيضاويّ، ولعلّه سبحانه لم يلهمهما التوبة وأغفلهما عنها لمصلحة لا يعلمها إلاّ هو، فلا بخل منه سبحانه على هذا التقدير.

وأما الثالث: فلأنّ التعليم حال التعذيب غير ممتنع، وظنّي أنّ تزييف الفخر الرازيّ لهذه الرواية هو الباعث على عدول البيضاويّ عن حمل هذه القصّة على ظاهرها وتنزيلها على محضر الرمز والذي سمعته من والدي رحمه الله في حلّه أنّه إشارة إلى أنّ شخص العالم العامل الكامل المقرّب من حظائر القدس قد يوكل إلى نفسه الغرّارة ولا يلحقه التوفيق والعناية، فينبذ علمه وراء ظهره، ويقبل على مشتهيات نفسه الخبيثة الخسيسة، ويطوي كشحه عن اللذات الحقيقيّة، والمراتب العليّة، فينحطّ إلى أسفل سافلين، والشخص الناقص الجاهل المنغمس في الأوزار قد يختلط بذلك الشخص العالم قاصداً بذلك الفساد والفحشاء، فيدركه بذلك التوفيق الإلهيّ فيستفيد من ذلك العلم ما يضرب بسببه صفحاً عن أدناس دار الغرور، وأرجاس عالم الزور، ويرتفع ببركة ما يعلمه عن حضيض الجهل والخسران، إلى

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣ ص ٢٠٨-٢٢٢.

أوج العزّة والعرفان، فيصير به المتعلّم في أرفع درج العلاء، والمعلّم في أسفل درك الشقاء. ورأيت في بعض التفاسير أنّ المراد بالملكين المذكورين الروح والقلب، فإنّهما من العالم الروحانيّ أهبطا إلى العالم الجسمانيّ لإقامة الحقّ، فافتتنا بزهرة الحياة الدنيا، ووقعا في شبكة الشهوة، فشربا خمر الغفلة، وزنيا ببغيّ الدنيا، وعبدا صنم الهوى، وقتلا نفسهما بحرمانهما من النعيم الباقي، فاستحقّا أليم النكال، وفظيع العذاب. هذا وهذه القصّة كما رواها علماء العامّة عن ابن عبّاس فقد رواها علماؤنا رضوان الله عليهم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام وذكرها الشيخ الجليل أبو عليّ الطبرسيّ في مجمع البيان لكن بين ما رواه العامّة وما رواه أصحابنا اختلاف يسير فإنّ الرواية التي رواها أصحابنا ليس فيها أنّهما يعلّمان الناس السحر في وقت تعذيبهما، بل هي صريحة في أنّ التعليم كان قبل التعذيب، وكذلك ليس فيها أنّ تلك المرأة تعلّمت منهما الاسم الأعظم وصعدت ببركته إلى السماء. والحاصل أنّ هذه القصّة مرويّة من طرقنا ومن طرق العامّة معاً، وليس من جملة الحكايات الغير المسندة، كما يظهر من كلام الفاضل الدوانيّ في شرح العقائد العضديّة حيث قال: إنّ هذه القصّة ليست في كتاب الله، ولا في سنّة رسول الله ما يدلّ على صدقها. ثمّ إنّه استدلّ على أنّه من جملة الأكاذيب بأنّ تمكّن تلك المرأة من الصعود إلى السماء بما تعلّمته من الملكين أعني الاسم الأعظم وعدم تمكّنها من ذلك مع علمهما به غير معقول. ولا يخفى أنّ دليله هذا إنّما يتمّ لو ثبت أنه - جلّ اسمه - لم ينسهما الاسم الأعظم بعد اقترافهما تلك الكبائر العظيمة، واستحقاقهما الطرد والخذلان ودون ثبوته خرط القتاد (انتهى كلامه رحمه الله).

﴿لَّن يَسْتَنكِفَ﴾ أي لم يأنف، ولم يمتنع المسيح ﴿أَن يَكُونَ﴾ أي من أن يكون ﴿عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾ أي ولا هم يستكبرون عن الإقرار بعبوديّة الله سبحانه. قال الطبرسي رحمه الله: استدلّ بهذه الآية من قال إنّ الملائكة أفضل من الأنبياء، قالوا: إنّ تأخير ذكر الملائكة في مثل هذا الخطاب يقتضي تفضيلهم، لأنّ العادة لم تجر بأن يقال: لن يستنكف الأمير أن يفعل كذا ولا الحارس، بل يقدّم الأدون ويؤخّر الأعظم، فيقال: لن يستنكف الوزير أن يفعل كذا ولا السلطان. وأجاب أصحابنا عن ذلك بأن قالوا: إنّما أخّر ذكر الملائكة لأنّ جميع الملائكة أفضل وأكثر ثواباً من المسيح، وهذا لا يقتضي أن يكون كلّ واحد منهم أفضل منه وإنّما الخلاف في ذلك، وأيضاً فإنّا وإن ذهبنا إلى أنّ الأنبياء أفضل من الملائكة فإنّا نقول مع قولنا بالتفاوت أنّه لا تفاوت كثيراً في الفضل بينهما ومع التقارب والتداني يحسن أن يقدّم ذكر الأفضل، ألا ترى أنّه يحسن أن يقال: ما يستنكف الأمير فلان ولا الأمير فلان، إذا كانا متساويين في المنزلة أو متقاربين[1].

---

(١) مجمع البيان، ج ٣ ص ٢٥٠.

وقال البيضاويّ: لعلّه أراد بالعطف المبالغة باعتبار التكثير لا باعتبار التكبير، كقولك أصبح الأمير لا يخالفه رئيس ولا مرؤوس.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ أي مطلق الملائكة أو المقرّبين منهم ﴿وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ أي يخضعون بالعبادة أو التذلّل ﴿لَا يُشۡرِكُونَ﴾ به غيره[1].

﴿وَلِلَّهِ يَسۡجُدُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ قال البيضاويّ: أي ينقاد انقياداً يعمّ الانقياد لإرادته وتأثيره طبعاً، والانقياد لتكليفه وأمره طوعاً، ليصحّ إسناده إلى عامّة أهل السماوات والأرض. وقوله ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾ بيان لهما، لأنّ الدبيب هو الحركة الجسمانيّة، سواء كان في أرض أو سماء، والملائكة عطف على المبيّن به عطف جبرئيل على الملائكة للتعظيم، أو عطف المجرّدات على الجسمانيّات، وبه احتجّ من قال: إنّ الملائكة أرواح مجرّدة، أو بيان لما في الأرض والملائكة تكرير لما في السماوات، وتعيين له إجلالاً وتعظيماً، والمراد بهما ملائكتهما من الحفظة وغيرهم، و(ما) لما استعمل للعقلاء كما استعمل لغيرهم كان استعماله حيث اجتمع القبيلان أولى من إطلاق (مَن) تغليباً للعقلاء ﴿وَهُمۡ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٩ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ يخافون أن يرسل عذاباً من فوقهم أو يخافونه وهو فوقهم بالقهر وقوله ﴿وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ والجملة حال من الضمير في ﴿لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ﴾ أو بيان له وتقرير، لأنّ من خاف الله لم يستكبر عن عبادته ﴿وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ﴾ من الطاعة والتدبير، وفيه دليل على أنّ الملائكة مكلّفون مدارون بين الخوف والرجاء[2].

وقال في قوله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ﴾ حكاية قول جبرئيل حين استبطأه رسول الله ﷺ لمّا سئل عن أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيب ورجا أن يوحى إليه فيه، فأبطأ عليه خمسة عشر يوماً وقيل أربعين، حتى قال المشركون: ودعه ربّه وقلاه، ثمّ نزل تبيان ذلك، والتنزّل النزول على مهل، لأنّه مطاوع نزل، وقد يطلق بمعنى النزول مطلقاً كما يطلق نزل بمعنى أنزل والمعنى: وما ننزل وقتاً غبّ وقت إلاّ بأمر الله تعالى على ما تقتضيه حكمته ﴿لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ﴾ وهو ما نحن فيه من الأماكن والأحايين لا ننتقل من مكان إلى مكان أو لا ننزل في زمان دون زمان إلاّ بأمره ومشيّته ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ أي تاركاً لك، أي ما مكان عدم النزول إلاّ لعدم الأمر به، ولم يكن ذلك عن ترك الله لك وتوديعه إيّاك كما زعمت الكفرة، وإنّما كان لحكمة رآها فيه[3].

﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ أي لا يعيون منها ﴿لَا يَفۡتُرُونَ﴾ حال من الواو في ﴿يُسَبِّحُونَ﴾.

﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَلَدٗا﴾ نزلت في خزاعة حيث قالوا: الملائكة بنات الله ﴿سُبۡحَٰنَهُۥۚ﴾،

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ١٣٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٤٠٦.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٥٨.

تنزيه له عن ذلك ﴿بَلْ عِبَادٌ﴾ أي بل هم عباد من حيث هم مخلوقون، وليسوا بأولاد ﴿مُّكْرَمُونَ﴾ مقرّبون. ﴿لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ﴾ لا يقولون شيئاً حتى يقوله كما هو ديدن العبيد المقرّبين ﴿وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ﴾ ولا يعملون قط ما لم يأمرهم به ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ لا تخفى عليه خافية ممّا قدّموا وأخّروا أو هو كالعلّة لما قبله والتمهيد لما بعده، فإنّه لإحاطتهم بذلك يضبطون أنفسهم ويراقبون أحوالهم ﴿وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ﴾ من عظمته ومهابته ﴿مُشْفِقُونَ﴾ مرتعدون، وأصل الخشية خوف مع تعظيم. ولذلك خصّ بها العلماء، والإشفاق خوف مع اعتناء فإن عدّي بمن فمعنى الخوف فيه أظهر، وإن عدّي بعلى فبالعكس.

﴿وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ﴾ أي من الملائكة أو من الخلائق ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ أي من ظلم بالإشراك وادّعاء الربوبيّة، وعلى تقدير إرجاع الضمير إلى الملائكة لا ينافي عصمتهم، فإنّ الفرض لا ينافي امتناع الوقوع، كقوله تعالى: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾.

﴿عَلَيْهَا﴾ أي على النار ﴿مَلَائِكَةٌ﴾ تلي أمرها وهم الزبانية ﴿غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ غلاظ الأقوال، شداد الأفعال، أو غلاظ الخلُق، شداد الخلْق، أقوياء على الأفعال الشديدة ﴿لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ﴾ فيما مضى ﴿وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ فيما يستقبل أو لا يمتنعون عن قبول الأوامر والتزامها، ويؤدّون ما يؤمرون به.

قال الطبرسيّ رحمه‌الله: في هذا دلالة على أنّ الملائكة الموكّلين بالنار معصومون عن القبائح لا يخالفون الله في أوامره ونواهيه، وقال الجبائي: إنّما عنى أنّهم لا يعصونه ويفعلون ما يأمرهم به في دار الدنيا، لأنّ الآخرة ليست بدار تكليف، وإنّما هي دار جزاء المؤمنين وإنّما أمرهم الله تعالى بتعذيب أهل النار على وجه الثواب لهم بأن جعل سرورهم ولذّاتهم في تعذيب أهل النار، كما جعل سرورهم ولذّاتهم في الجنّة (انتهى)(١).

وأقول: كون الآخرة دار جزاء الملائكة غير معلوم، وإنّما المعلوم أنّها دار جزاء الإنس، فلا ينافي كون الملائكة مكلّفين فيها، بل يمكن أن يكون جزاؤهم مقارناً لأفعالهم من حصول اللذات الحقيقيّة، ورفع الدرجات الصوريّة والمعنويّة، بل أصل خدماتهم وجزاؤهم كما ورد أنّ طعامهم التسبيح وشرابهم التقديس. وقال الشيخ المفيد رحمه‌الله في كتاب المقالات: أقول: إنّ الملائكة مكلّفون وموعودون ومتوعّدون، قال الله تبارك وتعالى: ﴿۞ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(٢) وأقول: إنهم معصومون مما يوجب لهم العقاب بالنار، وعلى هذا القول جمهور الإماميّة وسائر المعتزلة وأكثر المرجئة وجماعة من أصحاب الحديث، وقد أنكر قوم من الإماميّة أن تكون الملائكة مكلّفين، وزعموا أنّهم إلى الأعمال مضطرّون، ووافقهم على ذلك جماعة من أصحاب الحديث(٣).

---

(١) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٦٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٢٩.
(٣) أوائل المقالات، ص ٧١.

١ - **العلل:** عن محمّد بن عليّ بن بشار القزوينيّ، عن المظفّر بن أحمد القزوينيّ قال: سمعت أبا الحسين محمّد بن جعفر الأسديّ الكوفيّ، يقول في سهيل والزهرة: إنّهما دابّتان من دوابّ البحر المطيف بالدنيا في موضع لا تبلغه سفينة، ولا تعمل فيه حيلة، وهما المسخان المذكوران في أصناف المسوخ، ويغلط من يزعم أنّهما الكوكبان ولو كانا ملكين لعصما فلم يعصيا، وإنّما سمّاهما الله عزّوجلّ في كتابه ملكين بمعنى أنّهما خلقا ليكونا ملكين، كما قال الله عزّوجلّ لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ بمعنى ستكون ميّتاً ويكونون موتى[١].

بيان: المطيف بالدنيا على بناء الإفعال أي المحيط، يقال: فلان يرشّح للوزارة أي يربّى ويؤهّل لها. ثمّ إنّ هذا الكلام إن كان قاله الأسديّ من قبل نفسه فيرد عليه أنّ الملائكة ليست أمراً تحصل لذات بعد أن لم تكن، بل الظاهر أنّها من الحقائق التي لا تنفكّ كالإنسانيّة والحيوانيّة، إلاّ أن يكون مراده أنّهما لم يكونا من الملائكة، بل كانا ممّا يصلحان ظاهراً أن يخلطا بالملائكة كالشيطان.

٢ - **تفسير عليّ بن إبراهيم:** عن أبيه، عن الحسن بن محبوب، عن عليّ بن رئاب، عن محمّد بن قيس، عن أبي جعفر عليه السلام قال: سأله عطا - ونحن بمكّة - عن هاروت وماروت، فقال أبو جعفر عليه السلام: إنّ الملائكة كانوا ينزلون من السماء إلى الأرض في كلّ يوم وليلة، يحفظون أعمال أوساط أهل الأرض من ولد آدم والجن، فيكتبون أعمالهم ويعرجون بها إلى السماء، قال: فضجّ أهل السماء، من معاصي أهل أوساط الأرض، فتوامروا فيما بينهم ممّا يسمعون ويرون من افترائهم الكذب على الله تبارك وتعالى وجرأتهم عليه ونزّهوا الله ممّا يقول فيه خلقه ويصفون فقالت طائفة من الملائكة: يا ربّنا ما تغضب ممّا يعمل خلقك في أرضك وما يصفون فيك الكذب ويقولون الزور ويرتكبون المعاصي وقد نهيتهم عنها، ثمّ أنت تحلم عنهم وهم في قبضتك وقدرتك وخلال عافيتك. قال أبو جعفر عليه السلام: فأحبّ الله أن يري الملائكة القدرة ونافذ أمره في جميع خلقه، ويعرف الملائكة ما منّ به عليهم ممّا عدله عنهم من صنع خلقه، وما طبعهم عليه من الطاعة، وعصمهم به من الذنوب. قال: فأوحى الله إلى الملائكة أن انتدبوا منكم ملكين حتى أهبطهما إلى الأرض ثمّ أجعل فيهما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلته في ولد آدم، ثمّ أختبرهما في الطاعة لي قال: فندبوا لذلك هاروت وماروت، وكانا أشدّ الملائكة قولاً في العيب لولد آدم واستيثار غضب الله عليهم. قال: فأوحى الله إليهما أن اهبطا إلى الأرض، فقد جعلت فيكما من طبائع المطعم والمشرب والشهوة والحرص والأمل مثل ما جعلت في ولد آدم. قال: ثمّ أوحى الله إليهما انظرا أن لا تشركا بي شيئاً، ولا تقتلا النفس التي حرّم الله، ولا تزنيا، ولا تشربا الخمر. قال: ثمّ كشط عن السماوات السبع ليريهما قدرته، ثمّ أهبطهما إلى الأرض في صورة البشر ولباسهم، فهبطا ناحية بابل، فرفع لهما بناء مشرف فأقبلا نحوه، فإذا بحضرته

---

(١) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٦٦ باب ٢٣٩ ذيل حديث ٥.

امرأة جميلة حسناء مزيّنة معطّرة مسفرة مقبلة نحوهما، قال: فلمّا نظرا إليها وناطقاها وتأمّلاها وقعت في قلوبهما موقعاً شديداً لموضع الشهوة التي جعلت فيهما، فرجعا إليها رجوع فتنة وخذلان وراوداها عن نفسها. فقالت لهما: إنّ لي ديناً أدين به، وليس أقدر في ديني على أن أجيبكما إلى ما تريدان إلاّ أن تدخلا في ديني الذي أدين به، فقالا لها: وما دينك؟ قالت: لي إله من عبده وسجد له كان لي السبيل إلى أن أجيبه إلى كلّ ما سألني، فقالا لها: وما إلهك؟ قالت: إلهي هذا الصنم، قال: فنظر أحدهما إلى صاحبه، فقال: هاتان خصلتان ممّا نُهينا عنهما: الشرك، والزنا، لأنّا إن سجدنا لهذا الصنم وعبدناه أشركنا بالله، وإنّما نشرك بالله لنصل إلى الزنا، وهو ذا نحن نطلب الزنا فليس نعطى إلاّ بالشرك، قال: فائتمرا بينهما، فغلبتهما الشهوة التي جعلت فيهما فقالا لها: نجيبك إلى ما سألت، فقالت: فدونكما، فاشربا هذه الخمر فإنّه قربان لكما، وبه تصلان إلى ما تريدان، فائتمرا بينهما فقالا: هذه ثلاث خصال ممّا نهانا ربّنا عنها: الشرك، والزنا، وشرب الخمر، وإنّما ندخل في شرب الخمر والشرك حتى نصل إلى الزنا، فائتمرا بينهما، فقالا: ما أعظم البليّة بك! قد أجبناك إلى ما سألت، قالت: فدونكما فاشربا من هذه الخمر، واعبدا هذا الصنم، واسجدا له فشربا الخمر، وعبدا الصنم، ثمّ راوداها عن نفسها، فلمّا تهيّأت لهما وتهيّآ لها دخل عليهما سائل يسأل هذه فلمّا رآهما ورأياه ذعرا منه فقال لهما: إنّكما ناءان ذعران، قد خلوتما بهذه المرأة المعطّرة الحسناء، إنّكما لرجلا سوء، وخرج عنهما. فقالت لهما: لا وإلهي ما تصلان الآن إليّ وقد اطّلع هذا الرجل على حالكما وعرف مكانكما، ويخرج الآن ويخبر بخبركما، ولكن بادرا إلى هذا الرجل فاقتلاه قبل أن يفضحكما ويفضحني ثمّ دونكما، فاقضيا حاجتكما وأنتما مطمئنّان آمنان قال: فقاما إلى الرجل فأدركاه فقتلاه ثمّ رجعا إليها، فلم يرياها وبدت لهما سوآتهما ونزع عنهما رياشهما وأُسقطا في أيديهما، قال: فأوحى الله إليهما أن أهبطتكما إلى الأرض مع خلقي ساعة من النهار فعصيتماني بأربع من معاصي كلّها قد نهيتكما عنها وتقدّمت إليكما فيها فلم تراقباني ولم تستحييا منّي وقد كنتما أشدّ من نقم على أهل الأرض المعاصي واستجرّ أسفي وغضبي عليهم لما جعلت فيكما من طبع خلقي وعصمتي إيّاكما من المعاصي، فكيف رأيتما موضع خذلاني فيكما؟ اختارا عذاب الدنيا أو عذاب الآخرة، فقال أحدهما لصاحبه: نتمتّع من شهواتنا في الدنيا إذ صرنا إليها إلى أن نصير إلى عذاب الآخرة. فقال الآخر: إنّ عذاب الدنيا له مدّة وانقطاع، وعذاب الآخرة دائم لا انقطاع له فلسنا نختار عذاب الآخرة الدائم الشديد على عذاب الدنيا المنقطع الفاني. قال: فاختارا عذاب الدنيا، فكانا يعلّمان الناس السحر في أرض بابل، ثمّ لمّا علّما الناس السحر رفعا من الأرض إلى الهواء، فهما معذّبان منكّسان معلّقان في الهواء إلى يوم القيامة[1].

---

(١) تفسير القمي، ج ١ ص ٦٤ في تفسيره لسورة البقرة، الآية: ١٠٢.

العياشي: عن محمّد بن قيس مثله[(١)].

بيان: أن «انتدبوا» في بعض النسخ «أن اندبوا» وهو أصوب، إذ الظاهر من كلام أكثر اللغويين أنّ الانتداب لازم، قال الجوهريّ: ندبه إلى الأمر فانتدب أي دعاه فأجاب. ونحوه قال الفيروزآباديّ. لكن قال في المصباح المنير انتدبته في الأمر فانتدب يستعمل لازماً ومتعدّياً، وقال: كشطت البعير كشطاً من باب ضرب مثل سلخت الشاة إذا نحّيت جلده، وكشطت الشيء كشطاً نحّيته وقال الفيروزآبادي: الكشط رفعك الشيء عن الشيء قد غشّاه، وإذا السماء كشطت قلعت كما يقلع السقف، وكشط الجلّ عن الفرس كشفه. وفي النهاية: فيه يراود عمّه على الإسلام أي يراجعه ويراوده. وفي القاموس: سقط في يده وأُسقط - مضمومتين - ذلّ وأخطأ، أو ندم وتحيّر. وقال: نكسه: قلبه على رأسه كنكّسه (انتهى).

وأقول: يمكن حمل الخبر على التقيّة بقرينة كون السائل من علماء العامّة.

٣ - **العيون وتفسير الإمام:** بالإسناد إلى أبي محمّد العسكريّ عن آبائه عن الصادق جعفر بن محمّد عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ قال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ من السحر والنيرنجات ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ﴾ الذين يزعمون أنّ سليمان به ملك، ونحن أيضاً به نظهر العجائب حتى ينقاد لنا الناس ونستغني عن الانقياد لعليّ وقالوا: كان سليمان كافراً ساحراً ماهراً بسحره ملك ما ملك، وقدر على ما قدر، فردّ الله عزّ وجلّ عليهم فقال: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ﴾ ولا استعمل السحر كما قال هؤلاء الكافرون، ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾[(٢)] الذي نسبوه إلى سليمان وإلى ما ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾. وكان بعد نوح عليه السلام قد كثر السحرة والمموّهون فبعث الله عزّ وجلّ ملكين إلى نبيّ ذلك الزمان بذكر ما يسحر به السحرة، وذكر ما يبطل به سحرهم ويردّ به كيدهم، فتلقّاه النبيّ عن الملكين وأدّاه إلى عباد الله بأمر الله عزّ وجلّ، وأمرهم أن يقفوا به على السحر وأن يبطلوه، ونهاهم أن يسحروا به الناس، وهذا كما يدلّ على السمّ ما هو وعلى ما يدفع به غائلة السمّ ثمّ يقال للمتعلّم ذلك هذا السمّ فمن رأيته يسمّ فادفع غائلته بكذا وإيّاك أن تقتل بالسمّ أحداً ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ﴾[(٣)]، يعني أنّ ذلك النبيّ أمر الملكين أن يظهرا للناس بصورة بشرين ويعلّماهما ما علّمهما الله من ذلك، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ﴾ ذلك السحر وإبطاله ﴿حَتَّىٰ يَقُولَآ﴾ للمتعلّم ﴿إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ﴾ امتحان للعباد ليطيعوا الله فيما يتعلّمون من هذا، ويبطلوا به كيد الساحر، ولا يسحروهم، فلا تكفر باستعمال هذا السحر وطلب الإضرار به ودعاء الناس إلى أن يعتقدوا أنّك به تحيي وتميت وتفعل ما لا يقدر عليه إلاّ الله عزّ وجلّ فإنّ ذلك كفر قال

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧١ ح ٧٥ من سورة البقرة.

(٢) - (٣) سورة البقرة، الآية: ١٠٢.

الله عزّ وجلّ ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ﴾ يعني طالبي السحر ﴿مِنْهُمَا﴾ يعني ممّا كتبت الشياطين ﴿عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ من النيرنجات ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ يتعلّمون من هذين الصنفين ﴿مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ﴾ هذا من يتعلّم للإضرار بالناس، يتعلّمون التضريب بضروب الحيل والتمائم والإيهام أنّه قد دفن في موضع كذا وعمل كذا ليحبّب المرأة إلى الرجل والرجل إلى المرأة أو يؤدّي إلى الفراق بينهما. ثمّ قال عزّ وجلّ: ﴿وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ أي ما المتعلّمون لذلك بضارّين به من أحد إلاّ بإذن الله، يعني بتخلية الله وعلمه، فإنّه لو شاء لمنعهم بالجبر والقهر. ثمّ قال ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ﴾ لأنّهم إذا تعلّموا ذلك السحر ليسحروا به ويضرّوا فقد تعلّموا ما يضرّهم في دينهم ولا ينفعهم فيه؛ بل ينسلخون عن دين الله بذلك، ولقد علم هؤلاء المتعلّمون ﴿لَمَنِ اشْتَرَاهُ﴾ بدينه الذي ينسلخ عنه بتعلّمه ﴿مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ أي من نصيب في ثواب الجنّة. ثم قال عزّ وجلّ ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ رهنوها بالعذاب ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم قد باعوا الآخرة وتركوا نصيبهم من الجنّة، لأنّ المتعلّمين لهذا السحر هم الذين يعتقدون أن لا رسول، ولا إله، ولا بعث، ولا نشور. فقال ﴿وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾ لأنّهم يعتقدون أن لا آخرة، فهم يعتقدون أنّها إذا لم تكن آخرة فلا خلاق لهم في دار بعد الدنيا، وإن كان بعد الدنيا آخرة فهم مع كفرهم بها لا خلاق لهم فيها. ثمّ قال ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ﴾ إذ باعوا الآخرة بالدنيا ورهنوا بالعذاب الدائم أنفسهم ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ أنّهم قد باعوا أنفسهم بالعذاب، ولكن لا يعلمون ذلك لكفرهم به، فلمّا تركوا النظر في حجج الله حتى يعلموا عذابهم على اعتقادهم الباطل وجحدهم الحق.

قال يوسف بن محمّد بن زياد وعليّ بن محمّد بن سيار عن أبويهما أنّهما قالا: فقلنا للحسن أبي القائم عليه السلام: فإنّ قوماً عندنا يزعمون أنّ هاروت وماروت ملكان اختارتهما الملائكة لمّا كثر عصيان بني آدم، وأنزلهما الله مع ثالث لهما إلى الدنيا، وأنّهما افتتنا بالزهرة، وأرادا الزنا بها، وشربا الخمر، وقتلا النفس المحترمة، وأنّ الله تبارك وتعالى يعذّبهما ببابل، وأنّ السحرة منهما يتعلّمون السحر، وأنّ الله مسخ تلك المرأة هذا الكوكب الذي هو الزهرة.

فقال الإمام عليه السلام: معاذ الله من ذلك، إنّ ملائكة الله معصومون محفوظون من الكفر والقبائح بألطاف الله، قال الله عزّ وجلّ فيهم ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾(1) وقال عزّ وجلّ: ﴿وَلَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِندَهُ﴾ يعني من الملائكة ﴿لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ۝١٩ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ۝٢٠﴾(2) وقال عزّ وجلّ: في الملائكة أيضاً ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ۝٢٦ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ۝٢٧ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

---

(1) سورة التحريم، الآية: ٦.
(2) سورة الأنبياء، الآيتان: ١٩-٢٠.

وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾(١) ثمّ قال عليه السلام: لو كان كما يقولون كان الله قد جعل هؤلاء الملائكة خلفاء على الأرض، وكانوا كالأنبياء في الدنيا، أو كالأئمّة فيكون من الأنبياء والأئمّة عليهم السلام قتل النفس والزنا. ثمّ قال عليه السلام: أولست تعلم أنّ الله عزّ وجلّ لم يخل الدنيا قطّ من نبيّ أو إمام من البشر؟ أو ليس الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ﴾ يعني إلى الخلق ﴿إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ﴾(٢) فأخبر أنّه لم يبعث الملائكة إلى الأرض ليكونوا أئمّة وحكّاماً، وإنّما أرسلوا إلى أنبياء الله.

قالا قلنا له: فعلى هذا لم يكن إبليس أيضاً ملكاً؟ فقال: لا، بل كان من الجنّ أما تسمعان الله عزّ وجلّ يقول: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ﴾(٣) فأخبر عزّ وجلّ أنّه كان من الجنّ، وهو الذي قال الله عزّ وجلّ: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ﴾(٤).

قال الإمام الحسن بن عليّ عليهما السلام: حدّثني أبي عن جدّي عن الرضا عن آبائه عن عليّ عليهم السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ اختارنا معاشر آل محمّد، واختار النبيّين، واختار الملائكة المقرّبين، وما اختارهم إلاّ على علم منه بهم أنّهم لا يواقعون ما يخرجون به عن ولايته، وينقلعون به عن عصمته، وينتمون به إلى المستحقّين لعذابه ونقمته. قالا: فقلنا له: فقد روي لنا أنّ عليّاً عليه السلام لمّا نصّ عليه رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمامة عرض الله عزّ وجلّ ولايته في السماوات على فئام من الناس وفئام من الملائكة، فأبوها فمسخهم الله ضفادع، فقال عليه السلام: معاذ الله! هؤلاء المكذبون لنا المفترون علينا، الملائكة هم رسل الله، فهم كسائر أنبياء الله ورسله إلى الخلق، فيكون منهم الكفر بالله؟ قلنا: لا، قال: فكذلك الملائكة، إنّ شأن الملائكة لعظيم، وإنّ خطبهم لجليل(٥).

الاحتجاج: بالإسناد إلى أبي محمّد العسكري عليه السلام من قوله: «فقلنا للحسن أبي القائم» إلى آخر الخبر. «ص ٤٣١».

توضيح: قال في النهاية: الفئام مهموزاً الجماعة الكثيرة (انتهى).

وأقول: قد فسّر في خبر فضل يوم الغدير بمائة ألف.

٤ - **العيون:** عن تميم بن عبد الله القرشيّ، عن أبيه، عن أحمد بن عليّ الأنصاريّ، عن عليّ بن محمّد بن الجهم، قال: سمعت المأمون يسأل الرضا عليّ بن موسى عليه السلام عمّا يرويه الناس من أمر الزهرة، وأنّها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت وما يروونه من أمر سهيل،

---

(١) سورة الأنبياء، الآيات: ٢٦-٢٨. (٢) سورة يوسف، الآية: ١٠٩.
(٣) سورة الكهف، الآية: ٥٠. (٤) سورة الحجر، الآية: ٢٧.
(٥) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٤١ باب ٢٧ ح ١.

وأنه كان عشّاراً باليمن، فقال: كذبوا في قولهم، إنّهما كوكبان، وإنّما كانتا دابّتين من دوابّ البحر، فغلط الناس وظنّوا أنّهما كوكبان، وما كان الله ليمسخ أعداءه أنواراً مضيئة ثمّ يبقيها ما بقيت السماء والأرض، وإنّ المسوخ لم تبق أكثر من ثلاثة أيّام حتى ماتت، وما تناسل منها شيء، وما على وجه الأرض اليوم مسخ، وإنّ التي وقع عليها اسم المسوخيّة مثل القردة والخنزير والدبّ وأشباهها إنّما هي مثل ما مسخ الله على صورها قوماً غضب عليهم ولعنهم بإنكارهم توحيد الله وتكذيبهم رسله، وأمّا هاروت وماروت فكانا ملكين علّما الناس السحر ليتحرّزوا به من سحر السحرة، ويبطلوا به كيدهم، وما علّما أحداً من ذلك إلاّ قالا له: إنما نحن فتنة فلا تكفر، فكفر قوم باستعمالهم لما أمروا بالاحتراز منه، وجعلوا يفرّقون بما يعرفون به بين المرء وزوجه، قال الله عزّوجلّ: ﴿وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ يعني بعلمه[1].

٥ - **العلل:** عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن إسماعيل بن مهران، عن محمّد ابن الحسن زعلان عن أبي الحسن عليه السلام أنّه عدّ المسوخ، وساق الحديث إلى أن قال: ومسخت الزهرة لأنّها كانت امرأة فتن بها هاروت وماروت[2].

٦ - **ومنه:** بإسناد آخر عن الصادق عليه السلام وأمّا الزهرة فإنّها كانت امرأة تسمّى «ناهيد» وهي التي تقول الناس إنّه افتتن بها هاروت وماروت[3].

٧ - **ومنه:** بإسناد آخر عن الرضا عليه السلام: وأمّا الزهرة فكانت امرأة فتن بها هاروت وماروت، فمسخها الله عزّوجلّ الزهرة[4].

٨ - **ومنه:** بإسناد آخر عن الصادق عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: وأمّا الزهرة فكانت امرأة نصرانيّة، وكانت لبعض ملوك بني إسرائيل وهي التي فتن بها هاروت وماروت، وكان اسمها «ناهيل» والناس يقولون «ناهيد»[5].

أقول: سنذكر الأخبار بأسانيدها في باب المسوخات إن شاء الله.

٩ - **العياشي:** عن زرارة، عن أبي الطفيل، قال: كنت في مسجد الكوفة فسمعت عليّاً وهو على المنبر وناداه ابن الكوّا وهو في مؤخّر المسجد فقال: يا أمير المؤمنين ما الهدى؟ قال لعنك الله - ولم يُسمعه - ما الهدى تريد ولكنّ العمى تريد، ثمّ قال له: ادن، فدنا منه، فسأله عن أشياء فاخبره، فقال: أخبرني عن هذه الكوكبة الحمراء - يعني الزهرة - قال: إنّ الله أطلع ملائكته على خلقه، وهم على معصية من معاصيه، فقال الملكان هاروت وماروت هؤلاء الذين خلقت أباهم بيدك، وأسجدت له ملائكتك يعصونك. قال: فلعلّكم إذا ابتليتم بمثل الذي ابتلوا هم به عصيتموني كما عصوني قالا: لا وعزّتك. قال: فابتلاهما بمثل الذي ابتلى به بني آدم من

(١) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٤٥ باب ٢٧ ح ٢.
(٢) - (٥) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٦٢-٤٦٦ باب ٢٣٩ ح ١-٥.

الشهوة، ثمّ أمرهما أن لا يشركا به شيئاً، ولا يقتلا النفس التي حرّم الله، ولا يزنيا، ولا يشربا الخمر. ثمّ أهبطهما إلى الأرض، فكانا يقضيان بين الناس، هذا في ناحية وهذا في ناحية، فكانا بذلك حتى أتت أحدهما هذه الكوكبة تخاصم إليه وكانت من أجمل الناس، فأعجبته، فقال لها: الحقُّ لك ولا أقضي لك حتى تمكّنيني من نفسك، فواعدت يوماً، ثمّ أتت الآخر فلمّا خاصمت إليه وقعت في نفسه وأعجبته كما أعجبت الآخر، فقال لها مثل مقالة صاحبه. فواعدته الساعة التي واعدت صاحبه، فاتّفقا جميعاً عندها في تلك الساعة، فاستحيى كلّ واحد من صاحبه حيث رآه وطأطآ رؤوسهما ونكسا، ثمّ نزع الحياء منهما، فقال أحدهما لصاحبه: يا هذا! جاء بي الذي جاء بك، قال: ثمّ راوداها عن نفسها، فأبت عليهما حتى يسجدا لوثنها ويشربا من شرابها، وأبيا عليها وسألاها فأبت إلاّ أن يشربا من شرابها فلمّا شربا صلّيا لوثنها، ودخل مسكين فرآهما، فقالت لهما: يخرج هذا فيخبر عنكما، فقاما إليه فقتلاه، ثمّ راوداها عن نفسها فأبت حتى يخبراها بما يصعدان به إلى السماء، فأبيا وأبت أن تفعل، فأخبراها، فقالت ذلك لتجرّب مقالتهما وصعدت، فرفعا أبصارهما إليها فرأيا أهل السماء مشرفين عليهما ينظرون إليهما، وتناهت إلى السماء فمسخت، فهي الكوكبة التي ترى[١].

١٠ - ومنه: عن الحسن بن محبوب، عن أبي ولاّد، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: جعلت فداك، إنّ رجلاً من أصحابنا ورعاً مسلماً كثير الصلاة قد ابتلي بحبّ اللهو وهو يسمع الغناء، فقال: أيمنعه ذلك من الصلاة لوقتها أو من صوم أو من عيادة مريض أو حضور جنازة أو زيارة أخ؟ قال: قلت: لا ليس يمنعه ذلك من شيء من الخير والبرّ، قال: فقال: هذا من خطوات الشيطان مغفور له ذلك إن شاء الله. ثمّ قال: إنّ طائفة من الملائكة عابوا ولد آدم في اللّذات والشهوات أعني ذلكم الحلال ليس الحرام، قال: فأنف الله للمؤمنين من ولد آدم من تعيير الملائكة لهم، قال: فألقى الله في همّة أولئك الملائكة اللذات والشهوات كي لا يعيبون المؤمنين، قال: فلمّا أحسّوا ذلك من هممهم عجّوا إلى الله من ذلك، فقالوا: ربنا عفوك عفوك، ردّنا إلى ما خلقتنا له، واخترتنا عليه، فإنّا نخاف أن نصير في أمر مريج. قال: فنزع الله ذلك من هممهم، قال: فإذا كان يوم القيامة وصار أهل الجنّة في الجنّة استأذن أولئك الملائكة على أهل الجنّة فيؤذن لهم، فيدخلون عليهم فيسلّمون عليهم ويقولون لهم: سلام عليكم بما صبرتم في الدنيا عن اللذات والشهوات الحلال[٢].

بيان: أنف من الشيء - كعلم - : استنكف، ومرج الدين والأمر: خلط واضطرب.

١١ - **الإقبال:** عن زين العابدين عليه السلام في دعاء عرفة: اللهمّ إنّ ملائكتك مشفقون من خشيتك، سامعون مطيعون لك، وهم بأمرك يعملون، لا يفترون الليل والنهار يسبّحون[٣].

---

(١) تفسير العياشي، ج ١ ص ٧٣ ح ٧٦ من سورة البقرة.

(٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٢٦ ح ٤٣ من سورة الرعد. (٣) إقبال الأعمال، ص ٦٦٤.

١٢ - **الاحتجاج:** سأل الزنديق أبا عبد الله عليه السلام قال: فما تقول في الملكين هاروت وماروت وما يقول الناس بأنّهما يعلّمان السحر؟ قال: إنّهما موضع ابتلاء وموقف فتنة تسبيحهما اليوم لو فعل الإنسان كذا وكذا لكان كذا، ولو يعالج بكذا وكذا لصار كذا أصناف السحر، فيتعلّمون منهما ما يخرج منهما، فيقولان لهم: إنّما نحن فتنة فلا تأخذوا عنّا ما يضرّكم ولا ينفعكم[1].

أبواب العناصر وكائنات الجو والمعادن والجبال والأنهار والبلدان والأقاليم

٢٧ - باب النار وأقسامها

الآيات: يس: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.
الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

تفسير: قال الطبرسيّ رحمه الله: في قوله ﴿جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا﴾ أي جعل لكم من الشجر الرطب المطفئ للنار ناراً محرقة. يعني بذلك المرخ والعفار، وهما شجران تتّخذ الأعراب زنودها منهما، فبيّن سبحانه أنّ من قدر على أن يجعل في الشجر الأخضر الذي هو في غاية الرطوبة ناراً حامية مع مضادّة النار للرطوبة حتى إذا احتاج الإنسان حكّ بعضه ببعض فتخرج منه النار وينقدح قدر على الإعادة. وتقول العرب: في كلّ شجر نار واستمجد المرخ والعفار. وقال الكلبيّ: كلّ شجر تنقدح منه النار إلاّ العنّاب[2].

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ﴾ أي تستخرجونها بزنادكم من الشجر ﴿ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ﴾ التي تنقدح النار منها ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ﴾ لها، فلا يمكن أحداً أن يقول أنّه أنشأ تلك الشجرة غير الله تعالى. والعرب تقدح بالزند والزندة وهو خشب يحكّ بعضه ببعض فتخرج منه النار، ﴿نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً﴾ أي نحن جعلنا هذه النار تذكرة للنّار الكبرى، فإذا رآها الرائي ذكر جهنّم واستعاذ بالله منها، وقيل تذكرة لقدرة الله تعالى على المعاد ﴿وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ أي بُلغة ومنفعة للمسافرين، يعني الذين نزلوا الأرض القيّ وهو القفر، وقيل: للمستمتعين بها من الناس أجمعين المسافرين والحاضرين، والمعنى أنّ جميعهم يستضيئون بها في الظلمة، ويصطلون في البرد، وينتفعون بها في الطبخ والخبز، وعلى هذا فيكون المقوي من الأضداد، أي الذي صار ذا قوّة من المال والنعمة، والذاهب ماله النازل بالقواء من الأرض، أي متاعاً للأغنياء والفقراء (انتهى)[3].

---

(١) الاحتجاج، ص ٣٤٠.
(٢) مجمع البيان، ج ٨ ص ٢٩١.
(٣) مجمع البيان، ج ٩ ص ٣٧٣.

وقال الرازيّ في شجرة النار وجوه:

أحدها: أنّها الشجرة التي توري النار منها بالزند والزندة.

وثانيها: الشجرة التي تصلح لإيقاد النار كالحطب، فإنّها لو لم تكن لم يسهل إيقاد النار، لأنّ النار لا تتعلّق بكلّ شيء كما تتعلّق بالحطب.

وثالثها: أصول شعلها وفروعها شجرتها، ولولا أنّها ذات شعب لما صلحت لإنضاج الأشياء[1].

وقال البيضاويّ: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً﴾ أي تبصرة في أمر البعث، أو في الظلام أو تذكيراً أو أنموذجاً لنار جهنّم ﴿وَمَتَاعًا﴾ أي منفعة ﴿لِلْمُقْوِينَ﴾ للذين ينزلون القوى وهي القفر، وللذين خلت بطونهم أو مزاودهم من الطعام من أقوت الدار إذا خلت من ساكنيها (انتهى)[2].

وقال الجوهريّ: وفي المثل في كلّ شجر نار واستمجد المرخ والعفار أي استكثرا منها كأنّهما أخذا من النار ما هو جسمهما ويقال لأنّهما يسرعان الوري فشبّها بمن يكثر من العطاء طلباً للمجد. وقال المرخ شجر سريع الوري والعفار الزند وهو الأعلى والمرخ الزندة وهي الأسفل.

١ - **الخصال:** عن محمّد بن عليّ ماجيلويه، عن محمّد بن يحيى العطّار، عن أحمد بن محمّد بن يحيى الأشعري، عن صالح يرفعه بإسناده قال: أربعة القليل منها كثير، النار القليل منها كثير، والنوم القليل منه كثير، والمرض القليل منه كثير، والعداوة القليل منها كثير[3].

بيان: «النار» أي نار القيامة القليل منها كثير في الضرر، أو الأعمّ من نار الدنيا ونار الآخرة فالقليل منها كثير في النفع والضرر معاً، فإنّ قليلاً من النار يضيء كثيراً من الأمكنة وينتفع بها في جميع الأمور. ويحرق قليل منها عالماً. والنوم القليل منه كثير في المنفعة، والمرض والعداوة في الضرر فقط، وإن احتمل التعميم في الأوّل بل في الثاني أيضاً على تكلّف شديد.

٢ - **الخصال:** عن محمّد بن الحسن بن الوليد عن محمّد بن الحسن الصفّار عن محمد بن الحسين بن أبي الخطّاب، عن محمّد بن سنان، عن المفضّل، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن النيران، فقال: نار تأكل وتشرب، ونار تأكل ولا تشرب، ونار تشرب ولا تأكل، ونار تأكل ولا تشرب. فالنار التي تأكل وتشرب فنار ابن آدم وجميع الحيوان، والتي تأكل ولا تشرب فنار الوقود، والتي تشرب ولا تأكل فنار الشجرة، والتي لا تأكل ولا تشرب فنار القداحة والحباحب، الخبر[4].

بيان: «فنار ابن آدم» أي الحرارة الغريزيّة في بدن الحيوانات، فإنّها تحلّل الرطوبات

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٩ ص ١٨٤.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٣٧.
(٣) الخصال، ص ٢٣٨ باب ٤ ح ٨٤.
(٤) الخصال، ص ٢٢٧ باب ٤ ح ٦٢.

وتخرج الحيوان إلى الماء والغذاء معاً، ونار الوقود النار التي تتّقد في الحطب وتشتعل، فإنّها تأكل الحطب مجازاً أي تكسره وتفنيه وتقلبه ولا تشرب ماءً بل هو مضاد لها، ونار الشجرة هي الكامنة مادّتها أو أصلها في الشجر الأخضر كما مرّ، فإنّها تشرب الماء ظاهراً وتصير سبباً لنموّ شجرتها ولا تأكل ظاهراً، وإن كان للتراب أيضاً مدخل في نموّها، أو المعنى أنّ عند احتكاك الغصنين الرطبين يظهر الماء، فكأن النار الظاهر منها يشربها. والقداحة والقداح الحجر الذي يوري النار ذكره الجوهريّ. وقال: الحباحب - بالضمّ - اسم رجل بخيل كان لا يوقد إلاّ ناراً ضعيفة مخافة الضيفان، فضربوا بها المثال حتى قالوا نار الحباحب لما تقدحه الخيل بحوافرها، وربما قالوا نار أبي حباحب وهو ذباب يطير بالليل كأنّه نار وربّما جعلوا الحباحب اسماً لتلك النار. وقال الفيروزآباديّ: الحباحب - بالضمّ - ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج ومنه نار الحباحب، أو هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة، أو كان أبو حباحب من محارب وكان لا يوقد ناره إلاّ بالحطب الشخت لئلاّ ترى، أو هي من الحبحبة الضعف أو هي الشرر يسقط من الزناد (انتهى). والمراد بهذه النار ما كمن منها، أو من مادّتها في الحجر والحديد فإنّها لا تصل إليها ماء ولا غذاء، أو عند قدحها قبل اتّقادها في قطن أو حطب لا تصادف ماءً ولا شيئاً آخر.

٣ - **الاحتجاج:** عن هشام بن الحكم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال الزنديق له: أخبرني عن السراج إذا انطفى أين يذهب نوره؟ قال: يذهب ولا يعود، قال: فما أنكرت أن يكون الإنسان مثل ذلك إذا مات وفارق الروح البدن لم يرجع إليه أبداً؟ قال: لم تصب القياس، إنّ النار في الأجسام كامنة والأجسام قائمة بأعيانها كالحجر والحديد، فإذا ضرب أحدهما الآخر سطعت من بينهما نار يقتبس منها سراج له ضوء، فالنار ثابتة في أجسامها والضوء ذاهب - الخبر[1].

٤ - **تفسير علي بن إبراهيم:** ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾ وهو المرخ والعفار يكون في ناحية بلاد العرب، فإذا أرادوا أن يستوقدوا أخذوا من ذلك الشجر ثمّ أخذوا عوداً فحرّكوه فيه، فيستوقدوا منه النار[2].

فائدة: اعلم أنّ المشهور بين الحكماء والمتكلّمين أنّ العناصر أربعة: النار والهواء، والماء، والأرض، كما تشهد به الشواهد الحسّيّة والتجريبيّة، والتأمّل في أحوال التركيبات والتحليلات، ولقدماء الفلاسفة فيها اختلافات، فمنهم من جعل أصل العناصر واحداً والبواقي تحصل بالاستحالة، فقيل هو النار، وقيل الهواء، وقيل الماء، وقيل الأرض، وقيل البخار، ومنهم من جعله اثنين، فقيل النار والأرض، وقيل الماء والأرض، وقيل الهواء والأرض، ومنهم من جعله ثلاثة، فقيل النار والهواء والأرض، وإنّما الماء هواء متكاثف،

(١) الاحتجاج، ص ٣٣٢.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٣ في تفسير سورة يس.

وقيل الهواء والماء والأرض وإنّما النار هواء شديد الحرارة، وهذه الأقوال عندهم ضعيفة، وقد مرّ في الأخبار ما يدلّ على كون أصل العناصر بل الأفلاك الماء، أو هو مع النار، أو هما مع الهواء، وبالجملة لا ريب في وجود تلك العناصر الأربعة تحت فلك القمر وإنّما الإشكال في وجود كرة النار، وعلى تقدير وجودها هل كانت هواء انقلبت ناراً بحركة الفلك، أو كانت في الأصل ناراً، والمشهور أنّ هذه الأربعة عناصر المركّبات التامّة وأسطقساتها، ومنها تتركّب وإليها تنحلّ، وقيل: النار غير موجودة في المركّبات، لأنّها لا تنزل عن الأثير إلاّ بالقسر، ولا قاسر هناك.

ثمّ المشهور أنّ صور البسائط باقية في المركّبات، وقال الشيخ في الشفاء: لكنّ قوماً اخترعوا في قريب من زماننا هذا مذهباً غريباً، قالوا: إنّ البسائط إذا امتزجت وانفعل بعضها من بعض تأدّى ذلك بها إلى أن يخلع صورها فلا تكون لواحد منها صورته الخاصّة، وليست حينئذ صورة خاصّة واحدة فيصير لها هيولى واحدة وصورة واحدة، فمنهم من جعل تلك الصورة أمراً متوسّطاً بين صورها، ومنهم من جعلها صورة أخرى من النوعيّات. واحتجّ على فساد هذا المذهب بوجوه تركناها.

وذهب أنكساغورس وأصحابه إلى الخلط والكمون والبروز، وأنكروا التغيير في الكيفيّة والصورة، وزعموا أنّ الأركان الأربعة لا يوجد شيء منها صرفاً، بل هي تختلط من تلك الطبائع النوعيّة كاللحم والعظم والعصب والتمر والعسل والعنب وغير ذلك، وإنّما سمّي بالغالب الظاهر منها، ويعرض لها عند ملاقاة الغير أن يبرز منها ما كان كامناً فيها فيغلب ويظهر للحسّ بعدما كان مغلوباً غائباً عنه، لا على أنّه حدث بل على أنّه برز، ويمكن فيها ما كان بارزاً فيصير مغلوباً وغائباً بعدما كان غالباً وظاهراً. وبإزائهم قوم زعموا أنّ الظاهر ليس على سبيل البروز، بل على سبيل النفوذ من غيره فيه، كالماء مثلاً فإنّه إنّما يتسخّن بنفوذ أجزاء ناريّة فيه من النار والمجاورة له وهذان القولان سخيفان، والمشهور عندهم أنّ العناصر تفعل بعضها في بعض، فيستحيل في كيفيّتها وتحصل للجميع كيفيّة متوسّطة متشابهة هي المزاج، فتستعدّ بذلك لإفاضة صورة مناسبة لها من المبدأ.

ثمّ المشهور بينهم أنّ النّار التي تسطع عند ملاقاة الحجر والحديد أو عند احتكاك الخشبتين الرطبتين أو اليابستين إنّما هي بانقلاب الهواء الذي بينهما ناراً بسبب حرارة حدثت فيه من الاصطكاك والاحتكاك، لا بأن يخرج من الحجر أو الحديد أو الشجر نار، وظواهر الآيات والأخبار المتقدّمة لا ينافي ذلك.

وأمّا قوله عليه السلام في حديث هشام «إن النار في الأجسام كامنة» فالمراد بها إمّا النار التي تركّب الجسم منها ومن سائر العناصر أو المعنى أنّ ما هو سبب لإحداث النار حاصل في الأجسام وإن انطفت النيران المتولّدة منها وانقلبت هواء، والأوّل أظهر. والحاصل أنّ قياسك الروح على نار الفتيلة وغيرها حيث لم يمكن إعادتها إلى الأجسام قياس مع الفارق،

فإنّ الروح إمّا جسم أو جوهر مجرّد ثابت محفوظ يمكن إعادته، والنار الذي ذكرت انقلبت هواء وذهبت، فعلى تقدير استحالة إعادتها لا توجب إعادة الروح، بل ما يشبه الروح هو النار الكامن في الجسم الموجود فيه لا هذا الضوء الذاهب، وأمّا نار الشجرة فذات احتمالات أومأنا إليها سابقاً.

٢٨ - باب الهواء وطبقاته وما يحدث فيه من الصبح والشفق وغيرهما

الآيات: الأنعام: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ﴾ «٩٦».

المدثر: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَآ أَسۡفَرَ ۝٣٤﴾.

التكوير: ﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾.

الانشقاق: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ۝١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ۝١٨﴾.

الفجر: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ۝١﴾.

تفسير: ﴿إِذَا تَنَفَّسَ﴾ قال الرازيّ: إشارة إلى تكامل طلوع الصبح، وفي كيفيّة المجاز قولان: **أحدهما**: أنّه إذا أقبل الصبح أقبل بإقباله روح ونسيم فجعل ذلك نفساً له على المجاز، **والثاني**: أنّه شبّه الليل المظلم بالمكروب المحزون الذي خنق بحيث لا يتحرّك واجتمع الحزن في قلبه، وإذا تنفّس وجد راحة فههنا لمّا طلع الصبح فكأنّه تخلّص من ذلك الحزن، فعبّر عنه بالتنفّس، وهو استعارة لطيفة(١).

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ أي بالحمرة التي عند المغرب في الأفق، وقيل: البياض ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ أي وما جمع وما ضمّ ممّا كان منتشراً بالنهار، وقيل: وما ساق، لأنّ ظلمة الليل تسوق كلّ شيء إلى مسكنه، وقيل: وما طرد من الكواكب فإنّها تظهر بالليل وتخفى بالنهار ﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾ أي إذا استوى واجتمع وتكامل وتمّ ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾ أقسم بفجر النهار وهو انفجار الصبح كلّ يوم، وقيل: أراد بالفجر النهار كلّه(٢).

واعلم أنّ المذكور في كتب الحكماء والرياضيّين هو أنّ الصبح والشفق الأحمر والأبيض إنّما يظهر من وقوع ضوء الشمس على كرة البخار، قالوا: المستضيء بالشمس من كرة الأرض أكثر من نصفها دائماً، لما بيّن في محلّه أنّ الكرة الصغرى إذا قبلت الضوء من الكبرى كان المستضيء منها أعظم من نصفها، وظلّ الأرض على هيئة مخروط يلازم رأسه مدار الشمس وينتهي في فلك الزهرة كما علم بالحساب، والنهار مدّة كون المخروط تحت الأفق، والليل مدّة كونه فوقه فإذا ازداد قرب الشمس من شرقيّ الأفق ازداد ميل المخروط إلى غربيّه، ولا يزال كذلك حتى يرى الشعاع المحيط به، وأوّل ما يرى منه هو الأقرب إلى موضع

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٣١ ص ٧٢. (٢) مجمع البيان، ج ١٠ ص ٣٠٦.

الناظر، لأنّه صدق رؤيته، وهو موقع خطّ يخرج من بصره عموداً على الخطّ المماسّ للشمس والأرض، فيرى الضوء مرتفعاً عن الأفق مستطيلاً، وما بينه وبين الأفق مظلماً لقربه من قاعدة المخروط الموجب لبعد الضوء هناك عن الناظر، وهو الصبح الكاذب. ثمّ إذا قربت الشمس جداً يرى الضوء معترضاً وهو الصبح الصادق ثمّ يرى محمرّاً والشفق بعكس الصبح يبدو محمرّاً، ثمّ مبيضّاً معترضاً، ثمّ مرتفعاً مستطيلاً، فالصبح والشفق متشابهان شكلاً، ومتقابلان وضعاً، لأنّ هيئة آخر غروب الشمس مثل أوّل طلوع الفجر، ويختلفان لوناً بسبب اختلاف كيفيّة الهواء المخلوط، فإنّ لون البخار في جانب المشرق مائل إلى الصفاء والبياض، لاكتسابه الرطوبة من برودة الليل، وفي جانب المغرب مائل إلى الصفرة لغلبة الجزء الدخانيّ المكتسب بحرارة النهار، والجسم الكثيف كلّما كثر صفاؤه وبياضه ازداد قبوله للضوء، وكان الشعاع المنعكس منه أقوى من المنعكس من غيره، وقد عرف بالآلات الرصديّة أنّ انحطاط الشمس من الأفق عند طلوع الصبح الأوّل وآخر غروب الشفق يكون ثمانية عشرة درجة من دائرة الارتفاع المارّة بمركز الشمس في جميع الآفاق، ولكن لاختلاف مطالع قوس الانحطاط تختلف الساعات التي بين طلوع الصبح والشمس، وكذا بين غروب الشمس والشفق.

قال العلامة رحمه الله في كتاب المنتهى: اعلم أنّ ضوء النهار من ضياء الشمس وإنّما يستضيء بها ما كان كملاً في نفسه كثيفاً في جوهره كالأرض والقمر وأجزاء الأرض المتّصلة والمنفصلة، وكلّما يستضيء من جهة الشمس فإنّه يقع له ظلّ من ورائه، وقد قدّر الله تعالى بلطف حكمته دوران الشمس حول الأرض فإذا كانت تحتها وقع ظلّها فوق الأرض على شكل مخروط، ويكون الهواء المستضيء بضياء الشمس محيطاً بجوانب ذلك المخروط، فتستضيء نهايات الظلّ بلك الهواء المضيء، لكن ضوء الهواء ضعيف إذ هو مستعار، فلا ينفذ كثيراً في أجزاء المخروط بل كلّما ازداد بعداً ازداد ضعفاً، فإذن متى تكون في وسط المخروط تكون في أشدّ الظلام، فإذا قربت الشمس من الأفق الشرقيّ مال مخروط الظلّ عن سمت الرأس وقربت الأجزاء المستضيئة في حواشي الظلّ بضياء الهواء من البصر، وفيه أدنى قوّة فيدركه البصر عند قرب الصباح، وعلى هذا كلّما ازدادت الشمس قرباً من الأفق ازداد ضوء نهايات الظلّ قرباً من البصر إلى أن تطلع الشمس، وأوّل ما يظهر الضوء عند قرب الصباح يظهر مستدقّاً مستطيلاً كالعمود، ويسمّى الصبح الكاذب ويشبه بذنَب السرحان لدقّته واستطالته، ويسمّى الأوّل لسبقه على الثاني، والكاذب لكون الأفق مظلماً، أي لو كان يصدق أنّه نور الشمس لكان المنير ممّا يلي الشمس دون ما يبعد منه، ويكون ضعيفاً دقيقاً ويبقى وجه الأرض على ظلامه بظلّ الأرض، ثمّ يزداد هذا الضوء إلى أن يأخذ طولاً وعرضاً فينبسط في أرض الأفق كنصف دائرة وهو الفجر الثاني الصادق لأنّه صدقك عن الصبح وبيّنه لك.

١ - **الكافي**: عن عليّ بن محمّد ومحمّد بن الحسن، عن سهل بن زياد، عن ابن

محبوب، عن أبي ولّاد، قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الله خلق حجاباً من ظلمة ممّا يلي المشرق، ووكّل به ملكاً، فإذا غابت الشمس اغترف ذلك الملك غرفة بيديه ثمّ استقبل بها المغرب يتّبع الشفق، ويخرج من بين يديه قليلاً قليلاً ويمضي فيوافي المغرب عند سقوط الشفق، فيسرح في الظلمة ثمّ يعود إلى المشرق، فإذا طلع الفجر نشر جناحيه فاستاق الظلمة من المشرق إلى المغرب حتى يوافي بها المغرب عند طلوع الشمس[1].

بيان: هذا الخبر من معضلات الأخبار، ولعلّه من غوامض الأسرار، و«من» في قوله عليه السلام «من ظلمة» يحتمل البيان والتبعيض، والاستياق: السوق ولعلّ الكلام مبنيّ على استعارة تمثيليّة لبيان أنّ شيوع الظلمة واشتدادها تابعان لقلّة الشفق وغيبوبته وكذا العكس، وأنّ جميع ذلك بتدبير المدبّر الحكيم، وبتقدير العزيز العليم. وربّما يؤوّل الخبر بأنّ المراد بالحجاب الظلمانيّ ظلّ الأرض المخروطيّ من الشمس، وبالملك الموكّل به روحانيّة الشمس المحرّكة لها الدائرة بها، وبإحدى يديه القوّة المحرّكة لها بالذات التي هي سبب لنقل ضوئها من محلّ إلى آخر، وبالأخرى القوّة المحرّكة لظلّ الأرض بالعرض بتبعيّة تحريك الشمس التي هي سبب لنقل الظلمة من محلّ إلى آخر، وعوده إلى المشرق إنّما هو بعكس البدء بالإضافة إلى الضوء والظلّ وبالنسبة إلى فوق الأرض وتحتها ونشر جناحيه كأنّه كناية عن نشر الضوء من جانب والظلمة من آخر.

وأقول: لعلّ السكوت عن أمثال ذلك وردّ علمها إلى الإمام عليه السلام أحوط وأولى.

٢ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن عليّ بن أحمد بن أشيم عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سمعته يقول: وقت المغرب إذا ذهبت الحمرة من المشرق، وتدري كيف ذلك؟ قلت: لا، قال: لأنّ المشرق مطلّ على المغرب هكذا - ورفع يمينه فوق يساره - فإذا غابت ههنا ذهبت الحمرة من ههنا[2].

بيان: أطلّ عليه أي أشرف، وفي بعض النسخ بالظاء المعجمة، والمعنيان متقاربان، والمراد بالمشرق إمّا النصف الشرقيّ من السماء، أو ما قرب من الأفق الشرقيّ منها، والحاصل أنّ المغرب والمعتبر في دخول وقت الصلاة والإفطار هو غيبوبة القرص وذهاب آثاره من جانب المشرق مطلقاً، سواءً كانت على الجدران والجبال أو على كرة البخار، وسيأتي تمام القول في ذلك في كتاب الصلاة إن شاء الله تعالى.

٣ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن الحجّال، عن ثعلبة بن ميمون، عن عمران الحلبيّ، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام: متى تجب العتمة؟ فقال: إذا غاب الشفق، والشفق الحمرة. فقال عبيد الله: أصلحك الله إنّه يبقى بعد ذهاب الحمرة ضوء شديد

(١) - (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٤٢ باب ١٧٢ ح ٣ و١.

معترض، فقال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الشفق إنّما هو الحمرة، وليس الضوء من الشفق[(١)].

٤ - **ومنه**: عن عليّ بن إبراهيم، عن عليّ بن محمّد القاسانيّ، عن سليمان بن حفص المروزيّ، عن أبي الحسن العسكريّ عليه السلام قال: إذا انتصف الليل ظهر بياض في وسط السماء شبه عمود من حديد تضيء له الدنيا، فيكون ساعة ثمّ يذهب ويظلم، فإذا بقي ثلث الليل ظهر بياض من قبل المشرق فأضاءت له الدنيا فيكون ساعة ثمّ يذهب، فيكون وقت صلاة الليل، ثمّ يظلم قبل الفجر ثمّ يطلع الفجر الصادق من قبل المشرق. وقال: ومن أراد أن يصلّي صلاة الليل في نصف الليل فذاك له[(٢)].

بيان: قوله «ويظلم» أي البياض مجازاً، وفي بعض النسخ بالتاء، أي الدنيا ويمكن أن يكون المراد بالإضاءة ظهور الأنوار المعنويّة للمقرّبين بسبب فتح أبواب سماء الرحمة، ونزول الملائكة لإرشاد العباد وتنبيههم وندائهم إيّاهم من ملكوت السماوات، كما ورد في سائر الروايات، ويمكن أن تكون أنواراً ضعيفة تخفى على أكثر الناس في أكثر الأوقات وتظهر على أبصار العارفين الذين ينظرون بنور الله، كما أنّ الملائكة يراهم الأنبياء والأوصياء عليهم السلام ولا يراهم غيرهم. وقد يقال ظهور البياض كناية عن نزول الملك الذي ينزل نصف الليل إلى سماء الدنيا لينادي العباد فتضيء له الدنيا، أي يقوم الناس للعبادة فيظهر له نور من الأرض بسبب عبادتهم، كما ورد في الخبر أنّهم يضيئون لأهل السماء. «ثمّ يذهب» لأنّهم ينامون قليلاً كما ورد من سيرة رسول الله صلى الله عليه وآله ثمّ يقومون إذا بقي ثلث الليل. وظهور البياض من قبل المشرق، لأنّ الملك ينتقل إليه «ثمّ يظلم قبل الفجر» أي ينامون قليلاً. بالجملة الخبر من المتشابهات وعلمه عند من صدر عنه إن لم يكن من الموضوعات.

٥ - **الخرائج**: روي عن صفوان الجمّال، قال كنت بالحيرة مع أبي عبد الله عليه السلام إذ أقبل الربيع وقال: أجب أمير المؤمنين. فلم يلبث أن عاد، قلت: أسرعت الانصراف، قال: إنّه سألني عن شيء فاسأل الربيع عنه، فقال صفوان: وكان بيني وبين الربيع لطف، فخرجت إلى الربيع وسألته، فقال: أُخبرك بالعجب إنّ الأعراب خرجوا يجتنون الكمأة فأصابوا في البرّ خلقاً ملقى، فأتوني به فأدخلته على الخليفة، فلمّا رآه قال: نحّه وادع جعفراً، فدعوته فقال: يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء ما فيه؟ قال: في الهواء موج مكفوف، قال: ففيه سكّان؟ قال: نعم، قال: وما سكّانه؟ قال: خلق أبدانهم أبدان الحيتان، ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم أعرفة كأعرفة الديكة، ونغانغ كنغانغ الديكة، وأجنحة كأجنحة الطير من ألوان أشدّ بياضاً من الفضّة المجلوّة. فقال الخليفة: هلمّ الطشت. فجئت بها وفيها ذلك الخلق، وإذا هو والله كما وصفه جعفر، فلمّا خرج جعفر قال: يا ربيع هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس[(٣)].

---

(١) الكافي، ج ٣ ص ١٤٣ باب ١٧٢ ح ١١. (٢) الكافي، ج ٣ ص ١٤٥ باب ١٧٣ ح ٦.

(٣) الخرائج والجرائح، ج ٢ ص ٦٤٠ ح ٤٧.

بيان: قال الفيروزآبادي: الكمء نبات معروف، والجمع أكمؤ وكمأة أو هي اسم للجميع، أو هي للواحد والكمء للجمع. وقال: النغنغ الفرج ذو الربلات وموضع بين اللهاة وشوارب الحنجور، واللحمة في الحلق عند اللهازم، والذي يكون عند عنق البعير إذا اجترّ تحرّك. وقال: الديك - بالكسر - : معروف والجمع ديوك وأدياك وديكة كقردة. وقال: الشجا ما اعترض في الحلق من عظم ونحوه (انتهى).

ولمّا كان عليه السلام مستحقاً للخلافة متّصفاً بشرائطها دونه ولم يمكنه دفعه شبّهه بالشجا المعترض في الحلق الذي لا يمكن إساغته ولا دفعه. ولعلّ المراد بالموج المكفوف البحر الموّاج المكفوف عن السيلان. ويحتمل أن يكون إشارة إلى البحر المحيط، ويكون هذا الحيوان ممّا ارتفع منه مع السحاب، لكن ظاهر هذا الخبر والخبر الآتي أنّه بحر بين السماء والأرض غير المحيط.

٦ - **كشف الغمة:** قال محمّد بن طلحة: إنّ أبا جعفر محمّد بن عليّ عليه السلام لمّا توفّي والده عليّ الرضا عليه السلام وقدم الخليفة إلى بغداد بعد وفاته بسنة اتّفق أنّه خرج إلى الصيد، فاجتاز بطرف البلد في طريقه والصبيان يلعبون ومحمّد واقف معهم وكان عمره يومئذ إحدى عشر سنة فما حولها، فلمّا أقبل المأمون انصرف الصبيان هاربين ووقف أبو جعفر محمّد عليه السلام فلم يبرح مكانه، فقرب منه الخليفة، فنظر إليه وكان الله عزّ وعلا قد ألقى عليه مسحة من قبول، فوقف الخليفة وقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف مع الصبيان؟ فقال له محمّد مسرعاً: يا أمير المؤمنين لم يكن بالطريق ضيق لأوسّعه عليك بذهابي، ولم يكن لي جريمة فأخشاها، وظنّي بك حسن أنّك لا تضرّ من لا ذنب له. فوقف فأعجبه كلامه ووجهه، فقال له: ما اسمك؟ قال: محمّد، قال: ابن من أنت؟ قال: يا أمير المؤمنين أنا ابن عليّ الرضا، فترحّم على أبيه وساق جواده إلى وجهته، وكان معه بزاة، فلمّا بعد عن العمارة أخذ بازياً فأرسله على درّاجة، فغاب عن عينه غيبة طويلة، ثمّ عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فعجب الخليفة من ذلك غاية العجب، ثمّ أخذها في يده إلى داره في الطريق الذي أقبل منه، فلمّا وصل إلى ذلك المكان وجد الصبيان على حالهم، فانصرفوا كما فعلوا أوّل مرّة، وأبو جعفر لم ينصرف ووقف كما وقف أوّلاً، فلمّا دنا منه الخليفة قال: يا محمّد! قال: لبّيك يا أمير المؤمنين، قال: ما في يدي؟ فألهمه الله عزّ وجلّ أن قال: يا أمير المؤمنين إنّ الله تعالى خلق بمشيّته في بحر قدرته سمكاً صغاراً تصيدها بزاة الملوك والخلفاء، فيختبرون بها سلالة أهل النبوّة! فلمّا سمع المأمون كلامه عجب منه وجعل يطيل نظره إليه، وقال: أنت ابن الرضا حقّاً! وضاعف إحسانه إليه.

قال علي بن عيسى: إنّي رأيت في كتاب لم يحضرني الآن اسمه أنّ البزاة عادت وفي أرجلها حيّات خضر، وأنّه سئل بعض الأئمّة فقال قبل أن يفصح عن السؤال: إنّ بين السماء

والأرض حيّات خضر تصيدها بزاة شهب يمتحن بها أولاد الأنبياء وما هذا معناه والله أعلم[1]-.

٧ - **الدلائل للطبريّ:** عن عليّ بن هبة الله، عن الصدوق، عن محمّد بن موسى بن المتوكّل عن عليّ بن الحسين السعدآباديّ، عن أحمد البرقيّ، عن أبيه عن محمّد بن سنان، عن داوود بن كثير الرقيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّه لمّا خرج من عند المنصور نزل الحيرة، فبينا هو بها إذ أتاه الربيع فقال: أجب أمير المؤمنين فركب إليه وقد كان وجد في الصحراء صورة عجيبة لا تعرف خلقتها ذكر من وجدها أنّه رآها وقد سقطت مع المطر، فلمّا دخل عليه قال له: يا أبا عبد الله أخبرني عن الهواء أيّ شيء فيه؟ قال: بحر مكفوف، قال له: فله سكّان؟ قال: نعم قال: وما سكّانه؟ قال: أبدانهم أبدان الحيتان، ورؤوسهم رؤوس الطير، ولهم أعرفة كأعرفة الديكة، ونغانغ كنغانغ الديكة وأجنحة كأجنحة الطير، من ألوان أشدّ بياضاً من الفضّة، فدعا المنصور بالطست فإذا الخلق فيها لا يزيد ولا ينقص، فأذن له فانصرف. ثمّ قال للربيع: ويلك يا ربيع! هذا الشجا المعترض في حلقي من أعلم الناس[2].

٨ - **شرح النهج:** لمحمّد بن الحسين الكيدريّ ولابن ميثم رحمة الله عليهما قالا: روي أنّ زرارة وهشاماً اختلفا في الهواء أهو مخلوق أم لا؟ فرفع إلى الصادق عليه السلام بعض مواليه وقال: إنّي متحيّر، فإنّي أرى أصحابنا يختلفون فقال: ليس هذا بخلاف يؤدّي إلى الكفر والضلال.

بيان: يدلّ على أنّ الخطأ في أمثال تلك الأمور التي لا تعلّق لها بأصول الدين ولا فروعه لا يوجب ضلالاً ووبالاً، بل يومئ إلى أنّ العلم بها ليس ممّا يورث للإنسان فضلاً وكمالاً. ثمّ إنّه يحتمل أن يكون اختلافهما في وجود الهواء بمعنى الخلاء والبعد الذي هو مكان عند المتكلّمين كما ذكره ابن ميثم، وقد تقدّم كلامه في ذلك في الباب الأوّل، ويحتمل أن يراد به الهواء الذي هو أحد العناصر.

فائدة: اعلم أنّ في عدد طبقات الهواء مع طبقات سائر العناصر بين الحكماء خلافاً، فقال نصير الملّة والدين في التذكرة: طبقات العناصر ثمان: طبقة للنار الصرفة، ثمّ طبقة لما يمتزج من النار والهواء الحارّ التي تتلاشى فيه الأدخنة المرتفعة من السفل، وتتكوّن فيها الكواكب ذوات الأذناب والنيازك وما يشبههما من الأعمدة وذوات القرون ونحوها، وربّما يوجد هذه الأمور المتكوّنة في هذه الطبقة متحرّكة بحركة الفلك الأعظم، ثمّ طبقة الهواء الغالب التي تحدث فيها الشهب ثمّ طبقة الزمهريريّة الباردة التي هي منشأ السحب والرعد والبرق والصواعق ثمّ طبقة الهواء الحارّ الكثيف المجاور للأرض والماء، ثمّ طبقة الماء، وبعض هذه الطبقة منكشفة عن الأرض عناية من الحضرة الإلهيّة لتكون مسكناً للحيوانات

(١) كشف الغمة، ج ٢ ص ٣٤٤.
(٢) دلائل الإمامة، ص ١٤١.

المتنفّسة ثمّ طبقة الأرض المخالطة لغيرها التي تتولّد فيها الجبال والمعادن وكثير من النباتات والحيوانات، ثمّ طبقة الأرض الصرفة المحيطة بالمركز.

وقيل: إنّها تسع ثامنها الطبقة الطينيّة التي يخلط فيها الأرض بالماء، وتاسعها طبقة الأرض الصرفة، وباقي الطبقات على النحو المذكور. وقيل: إنّها سبع: الأولى كطبقة النار الصرفة، ثمّ الطبقات الخمس التي تحت النار الصرفة على النحو المذكور، وسابع الطبقات هي طبقة الأرض. وقيل: إنّها سبع الأولى طبقة للنار، وطبقة للماء، والطبقات الثلاث الأخيرة التي تعلّقت بالأرض بحالها على النحو المذكور، والهواء ينقسم إلى طبقتين باعتبار مخالطة الأبخرة وعدمها:

إحداهما: الهواء اللطيف الصافي من الأبخرة والأدخنة والهيئات المتصاعدة من كرتي الأرض والماء بسبب أشعّة الشمس وغيرها من الكواكب، لأنّ تلك الهيئات تنتهي في ارتفاعها إلى حدّ لا يتجاوزه، وهو من سطح الأرض وجميع نواحيها أحد وخمسون ميلاً وكسر قريب من تسعة عشر فرسخاً، فمن هذه النهاية إلى كرة الأثير هو الهواء الصافي، وهو شفّاف لا يقبل النور والظلمة والألوان كالأفلاك.

وثانيتهما: هي الهواء المتكاثف بما فيهما من الأجزاء الأرضيّة والمائيّة، وشكل هذا الهواء شكل كرة محيطة بالأرض والماء على مركزها وسطح مواز لسطحها لتساوي غاية ارتفاع الهيئات المذكورة عن مركز الأرض في جميع النواحي المستلزم لكريّة هذه الطبقة، لكنّها مختلفة القوام، لأنّ الأقرب إلى الأرض أكثف من الأبعد لأنّ الألطف يتصاعد أكثر من الأكثف، لكن لا يبلغ في التكاثف بحيث يحجب ما وراءه عن الأبصار، وهذه الكرة تسمّى كرة البخار، وعالم النسيم يعني مهبّ الرياح، لأنّ ما فوقها من الهواء الصافي ساكن لا يضطرب، وتسمّى كرة الليل والنهار، إذ هي القابلة للنور والظلمة، بما فيها من الأجزاء الأرضيّة والمائيّة القابلة لهما دون ما عداهما من الهواء الصافي.

وقال بعض المحقّقين منهم:

الأولى: أن يقال: طبقات العنصريّات سبع: أُولاها طبقة النار الصرفة، وثانيتها طبقة الهواء الصافي الذي يصل إليه الدخان، وثالثتها طبقة الهواء الذي يصل الدخان إليه ولم يصل إليه البخار، ويتكوّن في الطرف الأعلى منه النيازك وشبهها، وفي الطرف الأدنى منه الشهب، ورابعتها طبقة الهواء الذي يصل إليه البخار ويبقى على برودته الحاصلة، وهي الطبقة الزمهريريّة التي تتكون فيها السحب والرعد والبرق والصواعق، وخامستها طبقة الهواء الكثيف المجاور للأرض والماء، وسادستها طبقة الماء، وسابعتها طبقة الأرض. وهو الترتيب المختار عند بعض في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾[1] بأن يكون المراد

(١) سورة الطلاق، الآية: ١٢.

بالأرض غير السماوات وما فيها. وقالوا: إنّ الزرقة التي يظنّ الناس أنّها لون السماء فإنّها تظهر في كرة البخار، لأنّه لمّا كان الألطف منه أشدّ صعوداً عن الأكثف كانت الأجزاء القريبة من سطح كرة البخار أقلّ قبولاً للضوء، لكثرة البعد واللطافة من الأجزاء القريبة من الأرض، ولهذا تكون كالظلمة بالنسبة إلى هذه الأجزاء، فيرى الناظر في كرة البخار لوناً متوسّطاً بين الظلام والضياء، لأنّ الناظر إذا رأى شيئاً مظلماً من خلف شيء مضيء رأى لوناً مخلوطاً من الظلمة والضياء، أو لأنّ كرة البخار مستضيئة دائماً بأشعّة الكواكب وما وراءها لعدم قبول الضوء كالمظلم بالنسبة إليها، فإذا نفذ نور البصر من الأجزاء المستنيرة بأشعّة الكواكب ووصل إلى المظلم رأى الناظر ما فوقه من الجوّ المظلم بما يمازجه من الضياء الأرضيّ والضياء الكوكبيّ لوناً متوسطاً بين الظلام والضياء وهو اللون اللاجورديّ، كما إذا نظرنا من وراء جسم مشفّ أحمر مثلاً إلى جسم أخضر فإنّه يظهر لنا لون مركّب من الحمراء، والخضرة، وهذا اللون اللاجورديّ أشدّ الألوان مناسبة وتقوية بالنسبة إلى الأبصار، فظهوره للأبصار إنّما هو من العناية الإلهيّة ليكون للناظرين المتأمّلين في السماوات لذّة، وقوّة للأبصار في النظر، كما يكون لعقولهم لذّة عقليّة في التأمّل فيها.

أقول: هذا ما قالوا في ذلك رجماً بالغيب وأخذاً بالظنّ، والله يعلم حقائق مخلوقاته وحججه الكرام عليهم السلام.

٢٩ - باب السحاب والمطر والشهاب والبروق والصواعق والقوس وسائر ما يحدث في الجو

الآيات: البقرة: ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ «٢٢» وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ «١٦٤».

الأنعام: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ﴾ «٩٩».

الأعراف: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٥٧﴾﴾.

الرعد: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ﴿١٣﴾﴾.

إبراهيم: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ «٣٢».

الحجر: ﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا

خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم (٢١) وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين (٢٢)﴾.

النحل: ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ وقال تعالى: ﴿والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون﴾ «٦٥».

الحج: ﴿وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج﴾. وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة إن الله لطيف خبير (٦٣)﴾.

المؤمنون: ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون (١٨) فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعناب لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون (١٩)﴾.

النور: ﴿ألم تر أن الله يزجي سحابا ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاما فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار (٤٣) يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار (٤٤)﴾.

الفرقان: ﴿وهو الذي أرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماء طهورا (٤٨) لنحيي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناسي كثيرا (٤٩) ولقد صرفناه بينهم ليذكروا فأبى أكثر الناس إلا كفورا (٥٠)﴾.

النمل: ﴿وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ومن يرزقكم من السماء والأرض﴾ «٦٤».

العنكبوت: ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله﴾ «٦٣».

الروم: ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفا وطمعا وينزل من السماء ماء فيحيي به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون (٢٤)﴾. وقال تعالى: ﴿الله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفا فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يستبشرون (٤٨) وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين (٤٩) فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير (٥٠) ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون (٥١)﴾.

لقمان: ﴿وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ «١٠».

فاطر: ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحابا فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور (٩)﴾.

الصافات: ﴿إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب (١٠)﴾.

الزمر: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه

ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَٰمًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢١﴾﴾.

المؤمن [غافر]: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ «١٣».

حمعسق [الشورى]: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ وَهُوَ ٱلْوَلِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾.

الزخرف: ﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾﴾.

الجاثية: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ «٥».

ق: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

الذاريات: ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾﴾.

القمر: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾﴾.

الواقعة: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾.

الجن: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْءَانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

تفسير: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال البيضاويّ: خروج الثمار بقدرة الله ومشيّته ولكن جعل الماء الممزوج بالتراب سبباً في إخراجها ومادّة لها كالنطفة للحيوان بأن أجرى عادته بإفاضة صورها وكيفيّاتها على المادّة الممزوجة منهما أو أبدع في الماء قوّة فاعلة وفي الأرض قوّة قابلة تتولّد من اجتماعهما أنواع الثمار وهو قادر على أن يوجد الأشياء كلّها بلا أسباب وموادّ، كما أبدع نفوس الأسباب والموادّ، ولكن له في إنشائها مدرّجاً من حال إلى حال صنعاً وحكماً يجدّد فيها لأولي الأبصار عبراً وسكوناً إلى عظم قدرته ليس في إيجادها دفعة، و(من) الأولى للابتداء سواءً أريد بالسماء السحاب فإنّ ما علاك سماء، أو الفلك، فإنّ المطر يبتدئ من السماء إلى السحاب ومنه إلى الأرض على ما دلّت عليه الظواهر أو من أسباب سماويّة تثير الأجزاء الرطبة من أعماق الأرض إلى جوّ الهواء فتنعقد سحاباً ماطراً[1].

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ قيل: إنّما جمع السماوات وأفرد الأرض لأنّ السماوات طبقات متفاصلة بالذات مختلفة بالحقيقة بخلاف الأرضين ﴿بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ﴾ أي بنفعهم أو بالذي ينفعهم ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ﴾ (من) الأولى للابتداء، والثانية للبيان. وقال

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ٥٨.

البيضاويّ: السماء يحتمل الفلك والسحاب وجهة العلو[1]. وقال الرازيّ: فإن قيل: أفتقولون إنّ الماء ينزل من السماء على الحقيقة أو من السحاب أو تجوّزون ما قاله بعضهم من أنّ الشمس تؤثّر في الأرض فتخرج منها أبخرة متصاعدة، فإذا وصلت الجوّ بردت فثقلت فنزلت من فضاء المحيط إلى ضيق المركز اتّصلت، فتتولّد من اتّصال بعض تلك الذرّات بالبعض قطرات هي قطرات المطر.

قلنا: بل نقول: إنّه ينزل من السماء كما ذكر الله تعالى وهو الصادق في خبره، وإذا كان قادراً على إمساك الماء في السحاب فأيّ بعد في أن يمسكه في السماء؟ وأمّا قول من يقول إنّه من بخار الأرض فهذا ممكن في نفسه لكن القطع بأنّه كذلك لا يمكن إلاّ بعد القول بنفي الفاعل المختار وقدم العالم وذلك كفر، لأنّا متى جوّزنا أنّ الفاعل المختار قادر على خلق الجسم فكيف يمكننا مع إمكان هذا القسم أن نقطع بما قالوه؟ (انتهى)[2].

﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي بالنبات مجازاً ﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾ قال البيضاويّ: عطف على (أنزل) كأنّه استدلّ بنزول المطر وتكوّن النبات به وبثّ الحيوانات في الأرض، أو على (أحيا) فإنّ الدوابّ ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا، والبثّ النشر والتفريق[3]. وقال الرازيّ في تصريف الرياح وجه الاستدلال أنّها مخلوقة على وجه يقبل التصريف وهو الرقّة واللطافة، ثمّ إنّه سبحانه يصرّفها على وجوه يقع بها النفع العظيم في الإنسان والحيوانات ثمّ ذلك من وجوه:

أحدها: أنّها مادّة النفس التي لو انقطع ساعة عن الحيوان لمات لا جرم كان وجدانه أسهل من وجدان كلّ شيء، وبعد الهواء الماء، لأنّ الماء لا بدّ فيه من تكلّف الاغتراف بخلاف الهواء، فإنّ الآلات المهيأة لجذبه حاضرة أبداً ثمّ بعد الماء الحاجة إلى الطعام شديدة لكن دون الحاجة إلى الماء، فلا جرم كان تحصيل الطعام أصعب من تحصيل الماء، وبعد الطعام الحاجة إلى تحصيل المعاجين والأدوية النادرة قليلة، فلا جرم عزّت هذه الأشياء، وبعد المعاجين الحاجة إلى أنواع الجواهر من اليواقيت والزبرجد نادرة جداً، ولا جرم كانت في نهاية العزّة فثبت أنّ كلّ ما كان الاحتياج إليه أشدّ كان وجدانه أسهل، وكلّ ما كان الاحتياج إليه أقلّ كان وجدانه أصعب، وما ذلك إلاّ رحمة منه على العباد، ولمّا كانت الحاجة إلى رحمة الله أعظم الحاجات نرجو أن يكون وجدانها أسهل من وجدان كلّ شيء.

وثانيها: لولا تحرّك الهواء لما جرت الفلك، وهذا ممّا لا يقدر عليه أحد إلاّ الله تعالى، فلو أراد كلّ من في العالم أن يقلّب الريح من الشمال إلى الجنوب [أو] إذا كان الهواء ساكناً أن يحرّكه لتعذّر.

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٥٨.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٤ ص ٢٢٣.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٥٨.

﴿وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ سمّي السحاب سحاباً لانسحابه في الهواء، ومعنى التسخير التذليل، وإنّما سمّاه مسخّراً لوجوه:

أحدها: أنّ طبع الماء يقتضي النزول، فكان بقاؤه في جوّ الهواء على خلاف الطبع، فلا بدّ من قاهر يقسره على ذلك، ولذلك سمّاه بالمسخّر.

والثاني: أنّ هذا السحاب لو دام لعظم ضرره من حيث إنّه يستر ضوء الشمس ويكثر الإمطار، ولو انقطع لعظم ضرره لأنّه يفضي إلى القحط وعدم العشب.

الثالث: أنّ السّحاب لا يقف في موضع معيّن بل يسوقه الله تعالى بواسطة تحريك الرياح إلى حيث أراد وشاء، وذلك هو التسخير (انتهى)(١).

﴿لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ قال البيضاويّ: يتفكّرون فيها وينظرون إليها بعيون عقولهم، والكلام المجمل في دلالة هذه الآيات على وجود الإله ووحدته أنّها أمور ممكنة وجد كلّ منها بوجه مخصوص من وجوه محتملة وأنحاء مختلفة. إذ كان من الجائز مثلاً أن لا تتحرّك السماوات أو بعضها كالأرض، وأن تتحرّك بعكس حركتها وبحيث تصير المنطقة دائرة مارّة بالقطبين، وأن لا يكون لها أوج وحضيض أصلاً أو على هذا الوجه لبساطتها وتساوي أجزائها، فلا بدّ لها من موجد قادر حكيم يوجدها على ما تستدعيه حكمته، وتقتضيه مشيّته، متعالياً عن معارضة غيره، إذ لو كان معه إله يقدر على ما يقدر عليه الآخر فإن توافقت إرادتهما فالفعل إن كان لهما لزم اجتماع مؤثّرين على أثر واحد، وإن كان لأحدهما لزم ترجيح الفاعل بلا مرجّح وعجز الآخر النافي لإلهيّته، وإن اختلفت لزم التمانع والتطارد، كما أشار إليه بقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ (انتهى)(٢).

وأقول: قد مرّ في كتاب التوحيد بسط القول في الاستدلال بحدوث تلك الأشياء وإمكانها على افتقارها إلى صانع قديم واجب بذاته، واشتمالها على الحكم المتناهية على قدرته سبحانه وعلمه وحكمته ولطفه، وبانتظامها وتلازمها على وحدة صانعها، فلا نعيد الكلام فيها.

﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ قال الرازيّ: اختلف الناس فيه، فقال الجبائيّ: إنّه تعالى ينزّل الماء من السماء إلى السحاب ومن السحاب إلى الأرض قال: لأنّ ظاهر النصّ يقتضي نزول المطر من السماء، والعدول عن الظاهر إلى التأويل إنّما يحتاج إليه عند قيام الدليل على أنّ إجراء اللفظ على ظاهره غير ممكن وفي هذا الموضع لم يقم دليل على امتناع نزول المطر من السماء، فوجب إجراء اللفظ على ظاهره. وأمّا قول من يقول: إنّ البخارات الكثيرة تجتمع في باطن الأرض ثمّ تصعد وترتفع إلى الهواء فينعقد الغيم منها ويتقاطر وذلك هو المطر فقد احتجّ الجبائيّ على فساده بوجوه:

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٤ ص ٢٢٦-٢٢٨.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ١ ص ١٥٨.

الأول: أنّ البرد قد يوجد في وقت الحرّ بل في صميم الصيف، ونجد المطر في أبرد وقت ينزل غير جامد، وذلك يبطل قولهم.

الثاني: أنّ البخارات إذا ارتفعت وتصاعدت وتفرّقت لم يتولّد منها قطرات الماء.

الثالث: لو كان تولّد المطر من صعود البخارات فالبخارات دائمة الارتفاع من البحار، فوجب أن يدوم هناك نزول المطر، وحيث لم يكن الأمر كذلك علمنا فساد قولهم. قال: فثبت بهذه الوجوه أنّه ليس تولّد المطر من بخار الأرض.

ثمّ قال: والقوم إنّما احتاجوا إلى هذا القول لأنّهم اعتقدوا أنّ الأجسام قديمة، وإذا كان الأمر كذلك امتنع دخول الزيادة والنقصان فيها، وحينئذ لا معنى لحدوث الحوادث إلاّ اتّصاف تلك الذوات بصفة بعد أن كانت موصوفة بصفات أُخرى فلهذا السبب احتالوا في تكوين كلّ شيء عن مادّة معيّنة. وأمّا المسلمون فلمّا اعتقدوا أنّ الأجسام محدثة وأنّ خالق العالم فاعل مختار قادر على خلق الأجسام كيف شاء وأراد فعند هذا لا حاجة إلى استخراج هذه التكلّفات فثبت أنّ ظاهر القرآن يدلّ على أنّ الماء إنّما ينزل من السماء، ولا دليل على امتناع هذا الظاهر، فوجب القول بحمله على ظاهره فثبت أنّ الحقّ سبحانه ينزل المطر من السماء بمعنى أنّه يخلق هذه الأجسام في السماء، ثمّ ينزلها إلى السحاب ثمّ من السحاب إلى الأرض. **والقول الثاني**: المراد: أنزل من جانب السماء ماءً.

القول الثالث: أنزل من السحاب ماء، وسمّى الله السحاب سماء لأنّ العرب تسمّي كلّ ما فوقك سماء، كسماء البيت.

ثمّ قال: نقل الواحديّ في البسيط عن ابن عبّاس: يريد بالماء ههنا المطر(١).

أقول: ورجّح في موضع آخر نزول المطر من السحاب، قال لأنّ الإنسان ربما كان واقفاً على قلّة جبل عال ويرى الغيم أسفل، فإذا نزل من ذلك الجبل يرى ذلك الغيم ماطراً عليهم، وإذا كان هذا الأمر مشاهداً بالبصر كان النزاع فيه باطلاً، ولا ينزل نقطة من المطر إلاّ ومعها ملك. والفلاسفة يحملون ذلك الملك على الطبيعة الحالّة في تلك الجسميّة الموجبة لذلك النزول (انتهى).

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا﴾ منهم من قرأ «نُشُراً» بضمّ النون والشين. جمع نشور مثل رسل ورسول، أي رياحاً منشرة مفرّقة من كلّ جانب، وقرأ ابن عامر بضمّ النون وإسكان الشين بتخفيف العين، وقرأ حمزة بفتح النون وإسكان الشين مصدر نشرت الثوب ضدّ طويته، وهنا بمعنى المفعول، أو بمعنى الحياة فهو بمعنى الفاعل، وقرأ عاصم بالباء جمع بشير أي مبشّرات بالمطر أو الرحمة ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا﴾ قال الرازيّ: يقال أقلّ فلان

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٣ ص ١٠٥.

الشيء إذا حمله، أي حتى إذا حملت هذه الرياح سحاباً ثقالاً بما فيها من الماء، والمعنى أنّ السحاب المسبطر بالمياه العظيمة إنّما يبقى معلّقاً في الهواء لأنّه تعالى دبّر بحكمته أن يحرّك الرياح تحريكاً شديداً، فيحصل منها فوائد:

أحدها: أنّ أجزاء السحاب ينضمّ بعضها إلى بعض ويتراكم وينعقد السحاب الكثيف الماطر.

وثانيها: أنّ بسبب تلك الحركات الشديدة التي في تلك الرياح يمنة ويسرة يمتنع على تلك الأجزاء المائيّة النزول، فلا جرم يبقى معلّقاً في الهواء.

وثالثها: أنّ بسبب حركات تلك الرياح ينساق السحاب من موضع إلى موضع آخر، وهو الموضع الذي علم الله تعالى احتياجهم إلى نزول الأمطار وانتفاعهم بها.

ورابعها: أنّ حركة الرياح تارة تكون مفرّقة لأجزاء السحاب مبطلة لها.

وخامسها: أنّ هذه الرياح تارة تكون مقوّية للزرع والأشجار مكملة لما فيها من النشوء والنماء، وهي الرياح اللواقح، وتارة تكون مبطلة لها كما تكون في الخريف.

وسادسها: أنّ هذه الرياح تارة تكون طيّبة لذيذة موافقة للأبدان، وتارة تكون مهلكة إمّا بسبب ما فيها من الحرارة الشديدة كما في السموم أو بسبب ما فيها من البرد الشديد كما في الرياح المهلكة جداً.

وسابعها: أنّ تلك الرياح تارة تكون شرقيّة، وتارة تكون غربيّة وشماليّة وجنوبيّة، وهذا ضبط ذكره بعض الناس، وإلاّ فالرياح تهبّ من كلّ جانب من جوانب العالم، ولا ضبط لها، ولا اختصاص لجانب من جوانب العالم بها.

وثامنها: أنّ هذه الرياح تارة تصعد من قعر الأرض، فإنّ من ركب البحر يشاهد أنّ البحر يحصل له غليان شديد فيه بسبب تولّد الرياح في قعر البحر إلى ما فوق البحر، وحينئذ يعظم هبوب الرياح في وجه البحر، وتارة ينزل الريح من جهة الفوق، فاختلاف الرياح بسبب هذه المعاني أيضاً عجيب وعن السديّ أنّه تعالى يرسل الرياح فيأتي بالسحاب، ثمّ أنّه تعالى يبسطه في السماء كيف يشاء، ثمّ يفتح أبواب السماء فيسيل الماء على السحاب، ثمّ يمطر السحاب بعد ذلك، ورحمته هو المطر.

إذا عرفت هذا فنقول: اختلاف الرياح في الصفات المذكورة مع أنّ طبيعة الهواء واحدة وتأثيرات الطبائع والأنجم والأفلاك واحدة تدلّ على أنّ هذه الأحوال لم تحصل إلاّ بتدبير الفاعل المختار سبحانه وتعالى. ثمّ قال تعالى: ﴿سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾ والمعنى أنّا نسوق ذلك السحاب إلى بلد ميّت لم ينزل فيه غيث ولا تنبت فيه خضرة، والسحاب لفظه مذكّر، وهو جمع (سحابة) فيجوز فيها التذكير والتأنيث، فلذا أتى بهما في الآية، واللام في قوله ﴿لِبَلَدٍ﴾ إمّا بمعنى إلى، أو المعنى سقناه لأجل بلد ميّت ليس فيه حبّ نسقيه، والضمير في قوله ﴿بِهِ﴾

إمّا راجع إلى البلد، أو إلى السحاب، وفي قوله (أخرجنا به) عائد إلى الماء، وقيل: إلى البلد وعلى القول الأوّل فالله تعالى إنّما يخلق الثمرات بواسطة الماء.

وقال أكثر المتكلمين: إنّ الثمار غير متولّدة من الماء، بل الله تعالى أجرى عادته بخلق النبات ابتداء عقيب اختلاط الماء بالتراب. وقال جمهور الحكماء: لا يمتنع أن يقال: إنّه تعالى أودع في الماء قوّة وطبيعة، ثمّ إنّ تلك القوّة والطبيعة توجبان حدوث الأحوال المخصوصة. والمتكلّمون احتجّوا على فساد هذا القول بأنّ طبيعة الماء والتراب واحدة، ثمّ إنّا نرى أنّه يتولّد في النبات الواحد الأحوال المختلفة مثل العنب، فإنّ قشره بارد يابس، ولحمه وماؤه حارّ رطب، وعجمه بارد يابس، فتولّد الأجسام الموصوفة بالصفات المختلفة من الماء والتراب يدلّ على أنّها إنّما حدثت بإحداث الفاعل المختار لا بالطبع والخاصيّة (انتهى)[1].

﴿خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال الزمخشريّ: في انتصابهما وجوه:

الأول: أنّه لا يصحّ أن يكونا مفعولاً لهما، لأنّهما ليسا بفاعل الفعل المعلّل به إلاّ على تقدير حذف المضاف، أي إرادة خوف وطمع، أو على معنى: إخافة وإطماعاً.

والثاني: يجوز أن يكونا منتصبين على الحال من البرق، كأنّه في نفسه خوف وطمع، والتقدير: ذا خوف وذا طمع.

الثالث: أن يكونا حالاً من المخاطبين أي خائفين وطامعين[2].

وقال الرازيّ: في كونهما خوفاً وطمعاً وجوه:

الأول: إنّ عند لمعان البرق يخاف وقوع الصواعق ويطمع في نزول الغيث.

الثاني: أنّه يخاف من المطر من له فيه ضرر كالمسافر وكمن في جرابه التمر والزبيب ويطمع فيه من له [فيه] نفع.

الثالث: أنّ كلّ شيء يحصل في الدنيا فهو خير بالنسبة إلى قوم وشرّ بالنسبة إلى آخرين، فكذلك المطر خير في حقّ من يحتاج إليه في أوانه، شرّ في حقّ من يضرّه ذلك، إمّا بحسب المكان أو بحسب الزمان.

ثمّ اعلم أنّ حدوث البرق دليل عجيب على قدرة الله سبحانه، وبيانه أنّ السحاب لا شكّ أنّه جسم مركّب من أجزاء مائيّة وأجزاء هوائيّة، ولا شكّ أنّ الغالب عليه الأجزاء المائيّة، والماء جسم بارد رطب، والنار جسم حارّ يابس، فظهور الضدّ من الضدّ التامّ على خلاف العقل، فلا بدّ من صانع مختار يظهر الضدّ من الضدّ.

فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال: إنّ الريح احتقن في داخل جرم السحاب واستولى البرد

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٤ ص ١٤١. (٢) تفسير الكشاف، ج ٢ ص ٥١٨.

على ظاهره فانجمد السطح الظاهر منه، ثمّ إنّ ذلك الريح يمزّقه تمزيقاً عنيفاً فيتولّد من ذلك التمزيق الشديد حركة عنيفة، والحركة العنيفة موجبة للسخونة وهي البرق؟.

فالجواب: أنّ كلّ ما ذكرتموه على خلاف المعقول وبيانه من وجوه:

الأول: أنّه لو كان الأمر كذلك لوجب أن يقال أينما يحصل البرق فلا بدّ وأن يحصل الرعد وهو الصوت الحادث من تمزّق السحاب، ومعلوم أنّه ليس الأمر كذلك، فإنّه كثيراً ما يحدث البرق القويّ من غير حدوث الرعد.

الثاني: أنّ السخونة الحاصلة بسبب قوّة الحركة مقابلة بالطبيعة المائيّة الموجبة للبرد وعند حصول هذا المعارض القويّ كيف تحدث الناريّة؟ بل نقول: النيران العظيمة تنطفئ بصبّ الماء عليها، والسحاب كلّه ماء، فكيف يمكن أن يحدث فيه شعلة ضعيفة ناريّة؟

الثالث: من مذهبكم أنّ النار الصرفة لا لون لها البتّة، فهب أنّه حصلت الناريّة بسبب قوّة المحاكّة الحاصلة في أجزاء السحاب، لكن من أن يحدث ذلك اللون الأحمر؟ فثبت أنّ السبب الذي ذكره ضعيف، وأنّ حدوث النار الخالصة في جرم السحاب مع كونه ماءً خالصاً لا يمكن إلاّ بقدرة القادر الحكيم(١).

﴿وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ السحاب اسم الجنس، والواحدة سحابة. والثقال: جمع ثقيلة، أي الثقال بالماء واعلم أنّ هذا أيضاً من دلائل القدرة والحكمة، وذلك لأنّ هذه الأجزاء المائيّة إمّا يقال إنّها حدثت في جوّ الهواء، أو يقال إنّها تصاعدت من وجه الأرض، فإن كان الأوّل وجب أن يكون حدوثها بإحداث محدث حكيم قادر وهو المطلوب، وإن كان الثاني وهو أن يقال إنّ تلك الأجزاء تصاعدت من الأرض فلمّا وصلت إلى الطبقة الباردة من الهواء بردت فثقلت ورجعت إلى الأرض فنقول: هذا باطل، وذلك لأنّ الأمطار مختلفة، فتارة تكون القطرات كبيرة وتارة تكون صغيرة، وتارة تكون متقاربة وأُخرى تكون متباعدة تارة تدوم مدّة نزول المطر زماناً طويلاً وتارة قليلاً، فاختلاف الأمطار في هذه الصفات مع أنّ طبيعة الأرض واحدة وطبيعة الأشعّة المسخّنة للبخارات واحدة لا بدّ وأن يكون بتخصيص الفاعل المختار. وأيضاً فالتجربة دلّت على أنّ للدعاء والتضرّع في نزول الغيث أثراً عظيماً، ولذلك شرّعت صلاة الاستسقاء، فعلمنا أنّ المؤثّر فيه هو قدرة الفاعل لا الطبيعة الخاصّة (انتهى)(٢).

﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: تسبيح الرعد دلالته على تنزيه الله تعالى ووجوب حمده، فكأنّه هو المسبّح، وقيل: إنّ الرعد هو الملك الذي يسوق السحاب ويزجره بصوته، فهو يسبّح الله ويحمده. وروي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: إنّ ربّكم سبحانه

---

(١) - (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ١٩ ص ٢٤-٢٥.

يقول: لو أنّ عبادي أطاعوني لأسقيتهم المطر باللّيل وأطلعت عليهم الشمس بالنهار، ولم أسمعهم صوت الرعد. وكان ﷺ إذا سمع صوت الرعد قال: سبحان من يسبّح الرعد بحمده. وكان ابن عبّاس يقول: سبحان الذي سبّحت له. وروى سالم بن عبد الله، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا سمع الرعد والصواعق قال: اللهمّ لا تقتلنا بغضبك، ولا تهلكنا بعذابك، وعافنا قبل ذلك، قال ابن عبّاس: من سمع الرعد فقال: «سبحان الذي يسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته وهو على كل شيء قدير» فإن أصابته صاعقة فعليّ ذنبه.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ﴾ أي وتسبّح الملائكة من خيفة الله تعالى وخشيته. قال ابن عبّاس: إنّهم خائفون من الله ليس كخوف ابن آدم، لا يعرف أحدهم من على يمينه ومن على يساره، لا يشغله عن عبادة الله طعام ولا شراب ولا شيء. ﴿وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ﴾ ويصرفها عمّن يشاء، إلاّ أنّه حذف، ورووا عن أبي جعفر الباقر عليه السلام أنّ الصواعق تصيب المسلم وغير المسلم، ولا تصيب ذاكراً (انتهى)(١).

وقال الرازي: في قول الله تعالى: ﴿وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ﴾ أقوال: الأوّل أنّ الرعد اسم ملك من الملائكة، والصوت المسموع هو صوت ذلك الملك بالتسبيح والتهليل. عن ابن عبّاس أنّ اليهود سألت النبيّ ﷺ عن الرعد ما هو؟ فقال: ملك من الملائكة موكّل بالسحاب، معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب حيث يشاء الله تعالى. قالوا: فالصوت الذي يسمع؟ قال: زجرة السحاب. وعن الحسن أنّه خلق من الله ليس بملك، فعلى هذا القول الرعد اسم للملك الموكّل بالسحاب وصوته تسبيح لله تعالى، وذلك الصوت أيضاً مسمّىً بالرعد، ويؤكّد هذا ما روي عن ابن عباس: كان إذا سمع الرعد قال: سبحان الذي سبّحت له. وعن النبيّ ﷺ أنّ الله ينشئ السحاب فينطق أحسن المنطق، ويضحك أحسن الضحك، فنطقه الرعد، وضحكه البرق. واعلم أنّ هذا القول غير مستبعد، وذلك لأنّ عند أهل السنّة البنية ليست شرطاً لحصول الحياة، فلا يبعد من الله تعالى أن يخلق الحياة والعلم والقدرة والنطق في أجزاء السحاب فيكون هذا الصوت المسموع فعلاً له فكيف يستبعد ذلك ونحن نرى أنّ السمندر يتولّد في النار، والضفادع تتولّد في السحاب والدودة العظيمة ربّما تولّدت في الثلوج القديمة؟ وأيضاً إذا لم يبعد تسبيح الجبال في زمن داود عليه السلام ولا تسبيح الحصى في زمن محمّد ﷺ فكيف يبعد تسبيح السحاب؟

وعلى هذا القول فهذا الشيء المسمّى بالرعد ملك أو ليس بملك فيه قولان:

أحدهما: أنّه ليس بملك لأنّه عطف عليه الملائكة.

والثاني: أنّه لا يبعد أن يكون من جنس الملائكة وأفرد بالذكر على سبيل التشريف.

---

(١) مجمع البيان، ج ٦ ص ٢٢.

القول الثاني: أنّ الرعد اسم لهذا الصوت المخصوص، ومع ذلك فإنّ الرعد يسبّح لله تعالى، لأنّ التسبيح والتقديس وما يجري مجراهما ليس إلاّ وجود لفظ يدلّ على حصول النزاهة والتقديس لله تعالى، فلمّا كان حدوث هذا الصوت دليلاً على وجود موجود متعال عن النقص والإمكان كان ذلك في الحقيقة تسبيحاً وهو معنى قوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ﴾.

الثالث: أنّ المراد من كون الرعد مسبّحاً أنّ من سمع الرعد فإنّه يسبّح الله تعالى، فلهذا المعنى أضيف هذا التسبيح إليه.

الرابع: من كلمات الصوفيّة: الرعد صعقات الملائكة، والبرق زفرات أفئدتهم، والمطر بكاؤهم.

ثمّ قال: واعلم أنّ المحقّقين من الحكماء يذكرون أنّ هذه الآثار العلويّة إنّما تتمّ بقوى روحانيّة فلكيّة، فللسحاب روح معيّن من الأرواح الفلكيّة يدبّره وكذا القول في الرياح وسائر الآثار العلويّة. وهذا غير ما نقلنا أنّ الرعد اسم الملك.

ثمّ قال: أمر الصاعقة عجيب جداً، وذلك لأنّها نار تتولّد في السحاب. فإذا نزلت من السحاب فربما غاصت في البحر وأحرقت الحيتان تحت البحر! والحكماء بالغوا في وصف قوّتها. ووجه الاستدلال أنّ النار حارّة يابسة، وطبيعتها ضدُّ طبيعة السحاب، فوجب أن تكون طبيعتها في الحرارة واليبوسة أضعف من طبيعة النيران الحادثة عندنا على العادة، لكنّه ليس الأمر كذلك، فإنّها أقوى من نيران هذا العالم، فثبت أنّ اختصاصها بمزيد تلك القوّة لا بدّ وأن يكون بسبب تخصيص الفاعل المختار.

﴿وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ﴾ أي هؤلاء الكفّار مع ظهور هذه الدلائل يجادلون في الله، وهو يحتمل وجوهاً: **أحدها**: أن يكون المراد الردّ على الكافر الذي قال: أخبرنا عن ربّنا أمن نحاس أم حديد!...

وثانيها: أن يكون المراد الردّ على جدالهم في إنكار البعث وإبطال الحشر.

وثالثها: الردّ عليهم في طلب سائر المعجزات.

ورابعها: الردّ عليهم في استنزال عذاب الاستئصال.

﴿وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ﴾ المشهور أنّ الميم أصليّة وقيل زائدة، والمعنى: شديد القوّة، وقيل: شديد المكر، وقيل: شديد العقوبة، وقيل: شديد المغالبة وقيل: شديد الجدال(١).

﴿رِزْقًا لَّكُمْ﴾ قال البيضاويّ: أي تعيشون به، وهو يشمل المطعوم والملبوس مفعول (أخرج) و﴿مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ بيان له أو حال عنه، ويحتمل عكس ذلك، ويجوز أن يراد به المصدر فينتصب بالعلّة أو المصدر، لأنّ(أخرج) في معنى (رَزَق)(٢).

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ١٩ ص ٢٥. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٦٢.

﴿إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ﴾ قال البيضاويّ: بدل من كلّ شيطان، واستراق السمع اختلاسه سرّاً، شبّه به خطفتهم اليسيرة من قطّان السماوات لما بينهم من المناسبة في الجوهر، أو بالاستدلال من أوضاع الكواكب وحركاتها، وعن ابن عبّاس أنّهم كانوا لا يحتجبون عن السماوات فلمّا ولد عيسى عليه السلام منعوا من ثلاث سماوات. فلمّا ولد محمّد صلى الله عليه وآله منعوا من كلّها بالشهب، ولا يقدح فيه تكوّنها قبل المولد، لجواز أن يكون لها أسباب أُخر. وقيل: الاستثناء منقطع، أي ولكن من استرق السمع ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ أي فتبعه ولحقه شهاب ﴿مُّبِينٌ﴾ ظاهر للمبصرين، والشهاب شعلة نار ساطعة، وقد يطلق للكوكب والسنان لما فيهما من البريق (انتهى)[1].

وقال الرازيّ: لقائل أن يقول: إذا جوّزتم في الجملة أن يصعد الشيطان إلى السماوات ويختلط بالملائكة ويسمع أخباراً من الغيوب عنهم ثمّ إنّها تنزل وتلقي تلك الغيوب فعلى هذا التقدير يجب أن يخرج الإخبار عن المغيبات عن كونه معجزاً دليلاً على الصدق. ولا يقال: إنّ الله تعالى أخبر عن أنّهم عجزوا عن ذلك بعد مولد النبيّ صلى الله عليه وآله. لأنّا نقول: هذا المعجز لا يمكن إثباته إلاّ بعد القطع بكون محمّد صلى الله عليه وآله رسولاً، والقطع بهذا لا يمكن إلاّ بواسطة المعجز، وكون الإخبار عن الغيب معجزاً لا يثبت إلاّ بعد إبطال هذا الاحتمال، وحينئذ يلزم الدور، وهو باطل محال.

ويمكن أن يجاب عنه بأنّا نثبت كون محمّد صلى الله عليه وآله رسولاً بسائر المعجزات ثمّ بعد العلم بنبوّته نقطع بأنّ الله عجّز الشياطين عن تلقّف الغيب بهذا الطريق وعند ذلك يصير الإخبار عن الغيب معجزاً وحينئذ يندفع الدور (انتهى)[2].

وأقول: يمكن أن يقال: يجب في لطف الله وحكمته أن لا يمكّن الكاذب في دعوى النبوّة والإمامة من هذا، وإلاّ لزم الإغراء بالقبيح ولو بالنسبة إلى العوامّ ولذا قيل: لا تجري الشعبذة أيضاً على يد المدّعي الكاذب فتأمّل.

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ﴾ قيل: أي وما من شيء إلاّ ونحن قادرون على إيجاده وتكوينه أضعاف ما وجد منه، فضرب الخزائن مثلاً لاقتداره، أو شبّه مقدوراته بالأشياء المخزونة التي لا يحوج إخراجها إلى كلفة واجتهاد ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ﴾ من تلك الخزائن ﴿إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ اقتضته الحكمة وتعلّقت به المشيّة فإنّ تخصيص بعضها بالإيجاد في بعض الأوقات على بعض الصفات والحالات لا بدّ له من مخصّص حكيم. وقال عليّ بن إبراهيم: الخزانة الماء الذي ينزل من السماء فينبت لكلّ ضرب من الحيوان ما قدّر الله له من الغذاء.

وقال بعض المحققين: أقول: الأوّل كلام من خلا من التحصيل، والثاني تمثيل

(١) تفسير البيضاوي، ج ٢ ص ٣٧٤. (٢) تفسير الفخر الرازي، ج ١٩ ص ١٦٩.

للتقريب من أفهام الجمهور وتفسير في الظاهر، وأمّا في الباطن والتأويل فالخزائن عبارة عمّا كتبه القلم الأعلى أوّلاً على الوجه الكليّ في لوح القضاء المحفوظ عن التبديل، الذي منه يجري ثانياً على الوجه الجزئيّ في لوح القدر الذي فيه المحو والإثبات تدرّجاً على التنزّل، فإلى الأوّل أشير بقوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ﴾ وبقوله ﴿وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ وإلى الثاني بقوله ﴿وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ ومنه ينزل ويظهر في عالم الشهادة، وعن السجّاد عليه السلام: إنّ في العرش تمثال جميع ما خلق الله من البرّ والبحر، قال: وهذا تأويل قوله ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ﴾ الآية. أراد عليه السلام به ما ذكرناه (انتهى).

﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾ قيل: أي حوامل، شبّه الريح التي جاءت بخير من إنشاء سحاب ماطر بالحامل، كما شبّه ما لا يكون كذلك بالعقيم، أو ملقحات للشجر والسحاب، ونظيره الطوائح بمعنى المطيحات في قوله «ومختبط مما تطيح الطوائح».

﴿فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ﴾ أي فجعلناه لكم سقياً، يقال: سقيته حتى روي، وأسقيته نهراً، أي جعلته شراباً له. ﴿وَمَآ أَنتُمْ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ﴾ أي قادرين متمكّنين من إخراجه نفى عنهم ما أثبته لنفسه، أو حافظين في الغدران والعيون والآبار، وذلك أيضاً يدلّ على المدبّر الحكيم، كما يدلّ عليه حركة الهواء في بعض الأوقات من بعض الجهات على وجه ينتفع به الناس، فإنّ طبيعة الماء تقتضي الغور، فوقوفه دون حدّ لا بدّ له من سبب مخصّص. ﴿لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ﴾ قيل: أي ما تشربونه، و (لكمْ) صلة (أنزَلَ) أو خبر ﴿شَرَابٌ﴾ و (مِن) تبعيضيّة متعلّقة به، وتقديمها يوهم حصر المشروب فيه، ولا بأس به، لأنّ مياه العيون والآبار منه، لقوله ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ﴾ وقوله ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾.

﴿وَمِنْهُ شَجَرٌ﴾ أي ومنه يكون شجر، يعني الشجر الذي يرعاه المواشي، وقيل: كلّ ما ينبت على الأرض شجر ﴿فِيهِ تُسِيمُونَ﴾ أي ترعون مواشيكم، من سامت الماشية وأسامها صاحبها، وأصلها السومة وهي العلامة، لأنّها تؤثّر بالرعي علامات. ﴿فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أنبت فيها أنواع النبات بعد يبسها ﴿لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ أي سماع تدبّر وإنصاف.

﴿وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً﴾ أي ميتة يابسة، من همدت النار إذا صارت رماداً ﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ أي تحرّكت بالنبات ﴿وَرَبَتْ﴾ أي انتفخت ﴿وَأَنۢبَتَتْ﴾ على المجاز لأنّ المنبت هو الله تعالى ﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي من كلّ نوع من أنواع النبات ﴿بَهِيجٍ﴾ البهجة: حسن الشيء ونضارته، والبهيج بمعنى المبهج، قال المبرّد: هو الشيء المشرق الجميل.

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ أي ألم تعلم، وقيل: المراد الرؤية بالبصر ﴿فَتُصْبِحُ ٱلْأَرْضُ﴾ إنّما لم يقل أصبحت ليدلّ على بقاء أثر المطر زماناً، وإنّما لم ينصب جواباً للاستفهام، لأنّه لو نصب لأعطى عكس ما هو الغرض، لأنّ معناه إثبات الأخضر فينقلب بالنصب إلى نفس الاخضرار

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصل علمه أو لطفه إلى كل ما جلّ ودقّ ﴿خَبِيرٌ﴾ بالتدابير الظاهرة والباطنة[١].

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال الرازيّ: من قال إنّ المراد بالسماء السحاب قال إنّ الله تعالى أصعد الأجزاء المائيّة من قعر الأرض ومن البحار إلى السماء حتى صارت عذبة صافية بسبب ذلك التصعيد، ثمّ إنّ تلك الذرّات تأتلف وتتكيّف ثمّ ينزله الله على قدر الحاجة إليه، ولولا ذلك لم ينتفع بتلك المياه لتفرّقها في قعر الأرض، ولا بماء البحر لملوحته، ولأنّه لا حيلة في إجراء مياه البحار على وجه الأرض، لأنّ البحار هي الغاية في العمق. وهذه الوجوه إنّما يتمحّلها من ينكر الفاعل المختار، وأمّا من أقرّ به فلا حاجة له إلى شيء منها. ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي بتقدير يسلمون معه من المضرّة ويصلون به إلى المنفعة في الزرع والغرس والشرب وبمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم. ﴿فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ قيل: جعلناه ثابتاً في الأرض، قال ابن عبّاس: أنزل الله تعالى من الجنّة خمسة أنهار: سيحون وجيحون، ودجلة، والفرات، والنيل، ثمّ يرفعها عند خروج يأجوج ومأجوج ويرفع أيضاً القرآن. ﴿وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾ أي كما قدرنا على إنزاله نقدر على رفعه وإزالته. ولمّا نبّه سبحانه على عظم نعمته بخلق الماء ذكر بعده النعم الحاصلة من الماء فقال: ﴿فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ﴾ وإنّما خصّهما لكثرة منافعهما، فإنّهما يقومان مقام الطعام ومقام الإدام ومقام الفاكهة رطباً ويابساً. وقوله ﴿لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ﴾ أي في الجنّات، فكما أنّ فيها النخيل والأعناب فيها الفواكه الكثيرة، وقوله ﴿وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ﴾ قال الزمخشريّ يجوز أن يكون هذا من قولهم: فلان يأكل من حرفة يحترفها، ومن صنعة فعلها يعنون أنّها طعمته وجهته التي يحصل منها رزقه، كأنّه قال: وهذه الجنّات وجوه أرزاقكم ومعاشكم منها تتعيّشون[٢].

﴿أَلَمْ تَرَ﴾ بعين عقلك وألم تعلم ﴿أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ أي يسوقه، ومنه البضاعة المزجاة، فإنّها يزجيها كلّ أحد ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُۥ﴾ بأن يكون قزعاً فيضمّ بعضها إلى بعض، وبهذا الاعتبار صحّ ﴿بَيْنَهُۥ﴾ إذ المعنى: بين أجزائه ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ أي متراكماً بعضه على بعض ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي من فتوقه جمع خلل كجبال في جبل ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ قيل: أي من الغمام وكلّ ما علاك فهو سماؤك ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ قيل: أي قطع عظام تشبه الجبال في عظمها أو جمودها ﴿مِنۢ بَرَدٍ﴾ بيان للجبال والمفعول محذوف أي ينزل حينئذ ماءً من السماء من جبال، ويجوز أن تكون (مِن) الثانية والثالثة للتبعيض واقعة موقع المفعول، وقيل: المراد بالسماء المظلّة وفيها جبال من برد كما في الأرض جبال من حجر، وعليه ظواهر كثير من الأخبار ولم يدلّ دليل قاطع على نفيه.

قال الرازيّ: قال أهل الطبائع إنّ تكوّن السحاب والمطر والثلج والبرد والطلّ والصقيع

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣ ص ٩.

(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣ ص ٨٨.

في أكثر الأمر يكون من تكاثف البخار، وفي الأقلّ من تكاثف الهواء، أمّا الأوّل فالبخار الصاعد إن كان قليلاً وكان في الهواء من الحرارة ما يحلّل ذلك البخار فحينئذ ينحلّ وينقلب هواءً، وأمّا إن كان البخار كثيراً ولم يكن في الهواء من الحرارة ما يحلّله فتلك الأبخرة المتصاعدة إمّا أن تبلغ في صعودها إلى الطبقة الباردة من الهواء أو لا تبلغ، فإن بلغت فإمّا أن يكون البرد قويّاً أو لا يكون، فإن لم يكن البرد هناك قويّاً تكاثف ذلك البخار بذلك القدر من البرد واجتمع وتقاطر، فالبخار المجتمع هو السحاب والمتقاطر هو المطر، والديمة والوابل إنّما يكون من أمثال هذه الغيوم، وأمّا إن كان البرد شديداً فلا يخلو إمّا أن يصل البرد إلى الأجزاء البخاريّة قبل اجتماعها وانحلالها أو بعد صيرورتها كذلك، فإن كان على الوجه الأوّل نزل ثلجاً، وإن كان على الوجه الثاني نزل برداً، وأمّا إذا لم تبلغ الأبخرة إلى الطبقة الباردة فهي إمّا أن تكون قليلة أو تكون كثيرة، فإن كانت كثيرة فهي تنعقد سحاباً ماطراً وقد لا تنعقد، أمّا الأوّل فذاك لأحد أسباب خاصّة:

أولها: إذا منع هبوب الرياح عن تصاعد تلك الأبخرة.

وثانيها: أن تكون الرياح ضاغطة لها إلى اجتماع بسبب وقوف جبال قدّام الريح.

وثالثها: أن تكون هناك رياح متقابلة متصادفة فتمنع صعود الأبخرة حينئذ.

ورابعها: أن يعرض للجزء المتقدّم وقوف لثقله وبطء حركته ثمّ تلتصق به سائر الأجزاء الكثيرة المدد.

وخامسها: لشدّة برد الهواء القريب من الأرض فقد يشاهد البخار يصعد في الجبال صعوداً يسيراً حتى كأنّه مكبّة موضوعة على وهدة ويكون الناظر إليها فوق تلك الغمامة، والذين يكونون تحت الغمامة يمطرون والذين يكونون فوقها يكونون في الشمس، أمّا إذا كانت الأبخرة القليلة الارتفاع قليلة لطيفة فإذا ضربها برد الليل وكثّفها وعقدها ما يكون محسوساً ونزل نزولاً متفرّقاً لا يحسّ به إلاّ عند اجتماع شيء يعتدّ به، فإن لم يجمد كان طلّاً وإن جمد كان صقيعاً، ونسبة الصقيع إلى الطلّ نسبة الثلج إلى المطر.

وإمّا أن يكون السحاب من انقباض الهواء، وذلك عندما يبرد الهواء وينقبض، وحينئذ تحصل منه الأقسام المذكورة.

والجواب: أنّا لمّا دلّلنا على حدوث الأجسام وتوسّلنا بذلك إلى كونه سبحانه قادراً مختاراً يمكنه إيجاد الأجسام لم يمكّنا القطع بما ذكرتموه، لاحتمال أنّه سبحانه خلق أجزاء السحاب دفعة لا بالطريق الذي ذكرتموه. وأيضاً فهب أنّ الأمر كما ذكرتم ولكنّ الأجسام بالاتّفاق ممكنة في ذواتها ولا بدّ لها من مؤثّر ثمّ إنّها متماثلة فاختصاص كلّ واحد منها بصفته المعيّنة من الصعود والهبوط واللطافة والكثافة والحرارة والبرودة لا بدّ له من مخصّص، فإذا كان هو سبحانه خالقاً لتلك الطبائع، وتلك الطبائع مؤثّرة في هذه الأحوال، وخالق السبب

خالق المسبّب، فكأن سبحانه هو الذي يزجي سحاباً، لأنّه هو الذي خلق تلك الطبائع المحرّكة لتلك الأبخرة من باطن الأرض إلى جوّ الهواء، ثمّ تلك الأبخرة ترادفت في صعودها والتصق بعضها بالبعض، فهو سبحانه هو الذي جعله ركاماً، فثبت أنّه على جميع التقديرات وجه الاستدلال بهذه الأشياء على القدرة والحكمة ظاهر بيّن (انتهى)(١).

﴿فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَآءُ﴾ الضميران للبرد والإصابة بإهلاك الزرع والمال، وقد يهلك الأنفس أيضاً ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ﴾ أي يقرب ضوء برق السحاب أن ﴿يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ أبصار الناظرين إليه من فرط الإضاءة، ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾ بالمعاقبة بينهما أو بنقص أحدهما وزيادة الآخر، أو بتغيير أحوالهما بالحرّ والبرد والظلمة والنور، أو ما يعمّ ذلك ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ أي في ما تقدّم ذكره ﴿لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾ أي لأولي البصائر والعقول، لدلالته على وجود الصانع القديم وكمال قدرته وإحاطة علمه ونفاذ مشيّته وتنزّهه عن الحاجة وما يفضي إليها لمن يرجع إلى بصيرة.

﴿بُشْرًا﴾ قرأ عاصم بالباء المضمومة، أي مبشّرات جمع بشور، وابن عامر بالنون والسكون، أي ناشرات للسحاب، والكسائيّ بفتح النون مصدراً ﴿بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ أي المطر كما مرّ.

﴿مَآءً طَهُورًا﴾ أي مطراً، وهو اسم لما يتطهّر به كالوضوء والوقود، وقيل: بليغاً في الطهارة ﴿لِّنُحْيِيَ بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ بالنبات، والتذكير لأنّ البلدة في معنى البلد ﴿وَأَنَاسِيَّ كَثِيرًا﴾ قيل: يعني أهل البوادي الذين يعيشون بالحياء، ولذلك نكّر الأنعام والأناسيّ، وتخصيصهم لأنّ أهل المدن والقرى يقيمون بقرب الأنهار والمنابع، فبهم وبما حولهم من الأنعام غنية عن سقي السماء.

﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ﴾ قال البيضاويّ: أي صرّفنا هذا القول بين الناس في القرآن وسائر الكتب، أو المطر بينهم في البلدان المختلفة، والأوقات المتغايرة والصفات المتفاوتة، من وابل وطلّ وغيرهما وعن ابن عبّاس: ما عام أمطر من عام، ولكنّ الله قسّم ذلك بين عباده على ما شاء، وتلا هذه الآية. أو في الأنهار أو في المنابع ﴿لِيَذَّكَّرُوا﴾ أي ليتفكّروا ويعرفوا كمال القدرة وحقّ النعمة في ذلك ويقوموا بشكره، أو ليعتبروا بالصرف عنهم وإليهم ﴿فَأَبَىٰ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا﴾ أي إلاّ كفران النعمة وقلّة الاكتراث لها أو جحودها بأن يقولوا: مطرنا بنوء كذا، ومن لا يرى الإمطار إلاّ من الأنواء كان كافراً، بخلاف من يرى أنّها من خلق الله والأنواء وسائط أو أمارات يجعله الله تعالى(٢).

﴿فَأَنبَتْنَا﴾ عدل به من الغيبة إلى التكلّم لتأكيد اختصاص الفعل بذاته، والتنبيه على أنّ

---

(١) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٣ ص ١٣. (٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٢٣١.

إنبات الحدائق البهيّة المختلفة المتباعدة الطبائع من الموادّ المتشابهة لا يقدر عليه غيره تعالى كما أشار إليه بقوله: ﴿مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ﴾ أي شجر الحدائق - وهي البساتين - من الإحداق وهو الإحاطة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي بأسباب سماويّة وأرضيّة.

﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ﴾ مقدّر بأن، أو الفعل فيه منزّل منزلة المصدر كقولهم «تسمع بالمعيدي خير من أن تراه» أو صفة لمحذوف تقديره: آية يريكم بها البرق ﴿خَوْفًا﴾ من الصاعقة وللمسافر ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيث وللمقيم ﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾ أي متّصلاً تارة في السماء أو في سمتها ﴿كَيْفَ يَشَآءُ﴾ سائراً وواقفاً، مطبقاً وغير مطبق، من جانب دون جانب إلى غير ذلك ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾ أي قطعاً تارة أخرى ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ أي المطر ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾ في التارتين ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ يعني بلادهم وأراضيهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ بمجيء الخصب ﴿أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم﴾ أي المطر ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ تكرير للتأكيد والدلالة على تطاول عهدهم بالبطر واستحكام يأسهم وقيل: الضمير للمطر أو السحاب أو الإرسال ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ أي لآيسين قانطين. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ أي أثر الغيث من النبات والأشجار وأنواع الثمار، ولذلك جمعه ابن عامر وحمزة والكسائيّ وحفص ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني الذي قدر على إحياء الأرض بعد موتها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ لقادر على إحيائهم ﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾ أي فرأوا الأثر أو الزرع فإنّه مدلول عليه بما تقدّم، وقيل: السحاب، لأنّه إذا كان مصفرّاً لم يمطر، واللام موطّئة للقسم دخلت على حرف الشرط، وقوله ﴿لَّظَلُّوا۟﴾ جواب سدّ مسدّ الجزاء[1].

﴿مِن كُلِّ زَوْجٍ﴾ أي صنف ﴿كَرِيمٍ﴾ أي كثير المنفعة[2] ﴿فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ على حكاية الحال الماضية استحضاراً لتلك الصورة البديعة الدالّة على كمال الحكمة، ولأنّ المراد بيان إحداثها بهذه الخاصيّة ولذلك أسنده إليها، ويجوز أن يكون اختلاف الأفعال للدلالة على استمرار الأمر ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ أي بالمطر النازل منه، وذكر السحاب كذكره، أو بالسحاب فإنّه سبب السبب، أو الصائر مطراً ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ أي بعد يبسها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ﴾ أي مثل إحياء الموات نشور الأموات في صحّة المقدوريّة، إذ ليس بينهما إلاّ احتمال اختلاف المادّة في المقيس، وذلك لا مدخل له فيها، وقيل: في كيفيّة الإحياء فإنّه تعالى يرسل ماءً من تحت العرش ينبت منه أجساد الخلق[3].

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ الخطف الاختلاس، والمراد اختلاس كلام الملائكة مسارقة، (وأتبعَ) بمعنى تبع، و الشهاب ما يرى كوكباً انقضّ، وما قيل إنّه بخار يصعد إلى الأثير فيشتعل فتخمين إن صحّ لم يناف ذلك، إذ ليس فيه ما يدلّ على أنّه ينقضّ من الفلك، ولا في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَـٰبِيحَ وَجَعَلْنَـٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَـٰطِينِ﴾ فإنّ كلّ نيّر

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٤٣.
(٢) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٣٥٦.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤١٨.

يحصل في الجوّ العالي فهو مصباح لأهل الأرض وزينة للسماء من حيث إنّه يرى كأنّه على سطحه، ولا يبعد أن يصير الحادث لما ذكر في بعض الأوقات رجماً للشياطين يتصعّد إلى قرب الفلك للتسمّع، وما روي أنّ ذلك حدث بميلاد النبيّ صلى الله عليه وآله إن صحّ فلعلّ المراد كثرة وقوعه أو مصيره دحوراً، واختلف في أنّ المرجوم يتأذّى به فيرجع أو يحرق به لكن قد يصيب الصاعد مرّة وقد لا يصيب كالموج لراكب السفينة، ولذلك لا يرتدعون عنه رأساً. ولا يقال: إنّ الشيطان من النار فلا يحترق، لأنّه ليس من النار الصرف كما أنّ الإنسان ليس من التراب الخالص، مع أنّ النار القويّة إذا استولت على الضعيفة استهلكتها. ﴿ثَاقِبٌ﴾ أي مضيء كأنّه يثقب الجوّ بضوئه[1].

﴿أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ قال الرازيّ: وهو المطر، وقيل: كلّ ماء كان في الأرض فهو من السماء، ثمّ إنّه تعالى ينزله إلى بعض المواضع ثمّ يقسّمه ﴿فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ أي فأدخله ونظمه ينابيع في الأرض عيوناً ومسالك ومجاري كالعروق في الأجسام ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك، أو مختلفاً أصنافه من برّ وشعير وسمسم ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ وذلك لأنّه إذا تمّ جفافه جاز له أن ينفصل من منابته وإن لم تتفرّق أجزاؤه، فتلك الأجزاء كأنّها هاجت للتفرّق ثم يصير حطاماً فتاتاً ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ يعني أنّ من شاهد هذه الأحوال في النبات علم أنّ أحوال الحيوان والإنسان كذلك، وأنّه وإن طال عمره فلا بدّ له من الانتهاء إلى أن يصير مصفرّ اللون منحطم الأعضاء والأجزاء، ثمّ عاقبته الموت فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات مذكّرة حصول مثل هذه الأحوال في نفسه وفي حياته فحينئذ تعظم نفرته من الدنيا وطيّباتها. قال الواحدي: الينابيع جمع ينبوع وهو يفعول من نبع، وهو نصب بنزع الخافض كأن التقدير: فسلكه في ينابيع ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي يخضرّ، والحطام: ما تفتّت وتكسّر من النبت (انتهى)[2].

﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا﴾ أي أسباب رزق كالمطر ﴿يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ قال البيضاويّ: أي المطر الذي يغيثهم من الجدب ولذلك خصّ بالنافع منها ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟﴾ أيسوا منه ﴿وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ﴾ في كلّ شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان ﴿وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ﴾ الذي يتولّى عباده بإحسانه ونشر رحمته ﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ المستحقّ للحمد على ذلك[3].

﴿مَآءًۢ بِقَدَرٍ﴾ أي بمقدار ينفع ولا يضرّ ﴿فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ مال عنه النماء ﴿كَذَٰلِكَ﴾ مثل ذلك الإنشاء ﴿تُخْرَجُونَ﴾ تنشرون من قبوركم[4] ﴿مِن رِّزْقٍ﴾ أي من مطر وسمّاه رزقاً لأنّه سببه ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ بعد يبسها ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ﴾ باختلاف جهاتها وأحوالها. ﴿مَآءً مُّبَٰرَكًا﴾ أي كثير المنافع ﴿فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ﴾ أي أشجاراً وثماراً ﴿وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ أي حبّ الزرع الذي من

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٣ ص ٤٥١.
(٢) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٩ ص ٢١.
(٣) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٩٢.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ١٠١.

شأنه أن يحصد كالبرّ والشعير ﴿وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ﴾ طوالاً أو حوامل، من أبسقت الشاة إذا حملت، فيكون من أفعل فهو فاعل. وإفرادها بالذكر لفرط ارتفاعها وكثرة منافعها ﴿لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ أي منضود بعضه فوق بعض، والمراد تراكم الطلع أو كثرة ما فيه من التمر ﴿رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ﴾ علّة لأنبتنا أو مصدر، فإنّ الإنبات رزق ﴿وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا﴾ أي أرضاً جدبة لا نماء فيها ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ كما حييت هذه البلدة يكون خروجكم أحياء بعد موتكم(١).

﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ۝١﴾ قال الطبرسيّ رحمه الله: روي أن ابن الكوّاء سأل أمير المؤمنين عليه السلام وهو يخطب على المنبر فقال: ما الذاريات ذرواً؟ قال: الرياح قال: فالحاملات وقرا؟ قال: السحاب، قال: فالجاريات يسراً؟ قال: السفن؟ قال: فالمقسّمات أمراً؟ قال: الملائكة. وروي ذلك عن ابن عبّاس ومجاهد فالذاريات: الرياح تذرو التراب وهشيم النبت أي تفرّقه، فالحاملات: السحاب تحمل ثقلاً من الماء من بلد فتصير موقرة به، والوقر - بالكسر - : ثقل الحمل على ظهر أو في بطن ﴿فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا﴾ أي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً إلى حيث سيّرت، وقيل: هي السحاب تجري يسيراً إلى حيث سيّرها الله من البقاع وقيل: هي النجوم السبعة السيّارة ﴿فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤﴾ الملائكة يقسّمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم الله تعالى بهذه الأشياء لكثرة ما فيها من المنافع للعباد ولما تضمّنته من الدلالة على وحدانيّة الله تعالى وبدائع صنعه، وقيل: التقدير القسم بربّ هذه الأشياء (انتهى)(٢).

﴿بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ أي منصبّ، قال الرازيّ: المراد من الفتح والأبواب والسماء إمّا حقائقها فنقول: للسماء أبواب تفتح وتغلق ولا استبعاد فيه، وهو على طريقة الاستعارة، فإنّ الظاهر أنّ الماء كان من السحاب، وعلى هذا فهو كما يقول القائل في المطر الوابل: جرت ميازيب السماء، وفتح أفواه القرب، أي كأنّه كان ذلك(٣).

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ﴾ قال البيضاويّ: أي العذب الصالح للشرب. ﴿مِنَ ٱلْمُزْنِ﴾ أي من السحاب، وقيل: هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب. ﴿أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ﴾ بقدرتنا. ﴿جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا﴾ أي مالحاً ﴿فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ أمثال هذه النعم الضروريّة. ﴿لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا﴾ أي لوسّعنا عليهم الرزق، وتخصيص الماء الغدق وهو الكثير بالذكر لأنّه أصل المعاش والسعة، وعزّة وجوده بين العرب(٤).

أقول: سيأتي تفسير باقي السورة في باب الجنّ، وفيه ما يناسب هذا الباب.

١ - **تفسير علي بن إبراهيم:** عن أبيه، عن عليّ بن الحكم، عن سيف بن عميرة، عن أبي بكر الحضرميّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: خرج هشام بن عبد الملك حاجّاً معه

---

(١) تفسير البيضاوي، ج ٤. ص ١٠١.
(٢) مجمع البيان، ج ٩ ص ٢٥٣.
(٣) تفسير الفخر الرازي، ج ٢٩ ص ٣٦.
(٤) تفسير البيضاوي، ج ٤ ص ٢٣٧.

الأبرش الكلبيّ، فلقيا أبا عبد الله في المسجد الحرام، فقال هشام للأبرش: تعرف هذا؟ قال: لا، قال هذا الذي تزعم الشيعة أنّه نبيّ من كثرة علمه فقال للأبرش: لأسألنه عن مسألة لا يجيبني فيها إلاّ نبيّ أو وصيّ نبيّ. فقال هشام: وددت أنّك فعلت ذلك. فلقي الأبرش أبا عبد الله عليه السلام فقال: يا أبا عبد الله! أخبرني عن قول الله ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فما كان رتقهما وما كان فتقهما؟ فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا أبرش! هو كما وصف نفسه كان عرشه على الماء، والماء على الهواء، والهواء لا يحدّ، ولم يكن يومئذ خلق غيرهما، والماء يومئذ عذب فرات، فلمّا أراد أن يخلق الأرض أمر الرياح فضربت الماء حتى صار موجاً، ثمّ أزبد فصار زبداً واحداً، فجمعه في موضع البيت، ثمّ جعله جبلاً من زبد، ثمّ دحى الأرض من تحته، فقال الله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ ثمّ مكث الربّ تبارك وتعالى إلى ما شاء فلمّا أراد أن يخلق السماء أمر الرياح فضربت البحور حتى أزبدتها، فخرج من ذلك الموج والزبد من وسطه دخان ساطع من غير نار، فخلق منه السماء، وجعل فيها البروج والنجوم ومنازل الشمس والقمر، وأجراها في الفلك، وكانت السماء خضراء على لون الماء الأخضر، وكانت الأرض غبراء على لون الماء العذب، وكانتا مرتوقتين ليس لهما أبواب، ولم يكن للأرض أبواب وهو النبت، ولم تمطر السماء عليها فتنبت، ففتق السماء بالمطر، وفتق الأرض بالنبات، وذلك قوله عزّ وجلّ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا﴾ فقال الأبرش: والله ما حدّثني بمثل هذا الحديث أحد قطّ! أعد عليّ، فأعاد عليه، وكان الأبرش ملحداً فقال: وأنا أشهد أنّك ابن نبيّ - ثلاث مرّات[1].

٢ - **العلل:** عن أبيه، عن الحميريّ، عن هارون، عن ابن صدقة، عن جعفر بن محمّد عن أبيه عليهما السلام قال: كان عليّ عليه السلام يقوم في المطر أوّل مطر يمطر حتى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه، فيقال له: يا أمير المؤمنين، الكنّ! الكنّ! فيقول: إنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش. ثمّ أنشأ يحدّث فقال: إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت به أرزاق الحيوان، وإذا أراد الله تعالى أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه أوحى الله عزّ وجلّ فمطر منه ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى السماء الدنيا فتلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال، ثمّ يوحي الله عزّ وجلّ أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الملح في الماء ثمّ انطلقي به إلى موضع كذا وكذا وعباباً وغير عباب، فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به، فليس من قطرة تقطر إلاّ ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلاّ بقدر معدود ووزن معلوم إلاّ ما كان يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنّه نزل منها ماء منهمر بلا عدد ولا وزن[2].

---

(١) تفسير القمي، ج ٢ ص ٤٤ في تفسيره لسورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

(٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤١ باب ٢٢٢ ح ٨.

القرب: عن هارون، عن ابن صدقة مثله[١].

٣ - **التفسير:** في رواية أبي الجارود، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ فهي الأنهار والعيون والآبار[٢].

وقال عليّ بن إبراهيم في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾ أي يثيره من الأرض ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ فإذا غلظ بعث الله ريحاً فتعصره فينزل منه الماء، وهو قوله ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي المطر[٣].

٤ - **ومنه:** عن أبيه، عن العرزميّ، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن حارث الأعور، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: سئل عن السحاب أين يكون؟ قال: يكون على شجر كثيف على ساحل البحر يأوي إليها، فإذا أراد الله أن يرسله أرسل ريحاً فأثاره[٤].

٥ - **قرب الإسناد:** عن السنديّ بن محمّد، عن أبي البختريّ، عن جعفر، عن أبيه عليهما السلام أنّ عليّاً عليه السلام قال: السحاب غربال المطر، ولولا ذلك لأفسد كلّ شيء يقع عليه[٥].

٦ - وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ قال: من ماء السماء ومن ماء البحر، فإذا أمطرت فتحت الأصداف أفواهها في البحر فيقع فيها من ماء المطر، فيخلق اللؤلؤة الصغيرة من القطرة الصغيرة، واللؤلؤة الكبيرة من القطرة الكبيرة[٦].

بيان: هذا أحد الوجوه في تأويل الآية الكريمة، ورواه المفسّرون عن ابن عبّاس، ويؤيّده أنّ البحر العذب لا يخرج منه اللؤلؤ على المشهور، ولعلّ الخلق من القطرتين معناه أنّ لهما مدخلاً في خلقهما لا أنّهما مادّتهما، وسيأتي تمام القول في ذلك في محلّه.

٧ - **معاني الأخبار:** عن الحاكم عبد الحميد بن عبد الرحمان النيسابوريّ عن أبيه، عن عبيد الله بن محمّد بن سليمان، عن أبي عمرو الضرير، عن عباد بن عباد المهلّبيّ، عن موسى ابن محمّد بن إبراهيم التيميّ، عن أبيه، قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وآله فنشأت سحابة، فقالوا: يا رسول الله هذه سحابة ناشئة، فقال: كيف ترون قواعدها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشدّ تمكّنها! قال: كيف ترون بواسقها؟ قالوا: يا رسول ما أحسنها وأشدّ تراكمها! قال: كيف ترون جونها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنه وأشدّ سواده! قال: كيف ترون رحاها؟ قالوا: يا رسول الله ما أحسنها وأشدّ استدارتها! قال: فكيف ترون برقها؟ أخفواً أم

---

(١) قرب الإسناد، ص ٧٣ ح ٢٣٥.
(٢) تفسير القمي، ج ٢ ص ٦٦ في تفسيره لسورة المؤمنون، الآية: ١٨.
(٣) تفسير القمي، ج ٢ ص ٨٢ في تفسيره لسورة النور، الآية: ٤٣.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٢٤٩ في تفسيره لسورة الشورى.
(٥) قرب الإسناد، ص ١٣٦ ح ٤٧٩.
(٦) قرب الإسناد، ص ١٣٧ ح ٤٨٥.

وميضاً أم يشقّ شقّاً؟ قالوا: يا رسول الله بل يشقّ شقّاً. قال رسول الله ﷺ: الحيا. فقالوا: يا رسول الله ما أفصحك! وما رأينا الذي هو أفصح منك. فقال: وما يمنعني من ذلك وبلساني نزل القرآن ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾[(١)]؟

ثمّ قال: حدّثنا الحاكم، قال: حدّثني أبي، قال: حدّثني أبو عليّ الرياحيّ، عن أبي عمرو الضرير بهذا الحديث. وقال: أخبرني محمّد بن هارون الزنجانيّ، قال: حدّثنا عليّ بن عبد العزيز، عن أبي عبيد قال: القواعد هي أصولها المعترضة في آفاق السماء، وأحسبها تشبّه بقواعد البيت وهي حيطانه والواحدة قاعدة، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ﴾ وأمّا البواسق ففروعها المستطيلة التي في وسط السماء إلى الأفق الآخر، وكذلك كلّ طويل فهو باسق، قال الله عزّ وجلّ ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ والجون هو الأسود اليحموميّ، وجمعه «جون» وأمّا قوله «فكيف ترون رحاها» فإنّ رحاها استدارة السحابة في السماء ولهذا قيل: «رحا الحرب» وهو الموضع الذي يستدار فيه لها، والخفو: الاعتراض من البرق في نواحي الغيم، وفيه لغتان: يقال: خفا البرق يخفو خفواً ويخفي خفياً. والوميض أن يلمع قليلاً ثم يسكن وليس له اعتراض، وأمّا الذي شقّ شقّاً فاستطالته في الجوّ إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يميناً ولا شمالاً. قال الصدوق: الحيا المطر[(٢)].

بيان: قال الزمخشريّ في الفائق: سأل النبيّ ﷺ عن سحائب مرّت فقال: كيف ترون قواعدها وبواسقها ورحاها أجون أم غير ذلك؟ ثمّ سأل البرق فقال: أخفواً أم وميضاً أم يشقّ شقّاً؟ قالوا: يشقّ شقّاً، فقال رسول الله ﷺ: جاءكم الحيا. أراد بالقواعد ما اعترض منها كقواعد البنيان، وبالبواسق ما استطال من فروعها، وبالرحى ما استدار منها. الجون في الجون كالورد في الورد، والخفو والخفي اعتراض البرق في نواحي الغيم. قال أبو عمرو: هو أن يلمع من غير أن يستطير وأنشد:

بيت إذا ما لاح من نحو أرضه سنا البرق يكلا خفيه ويراقبه

والوميض لمعه ثمّ سكونه، ومنه أومض إذا أومأ، والشقّ استطالته إلى وسط السماء من غير أن يأخذ يميناً وشمالاً، أراد: أيخفو خفواً أم يميض وميضاً ولذلك عطف عليه «يشق شقّاً» وإظهار الفعل هنا بعد إضماره في ما قبله نظير المجيء بالواو في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ بعد تركها في ما قبلها (انتهى).

أقول: قد مرّ بعض القول فيه في المجلّد السادس.

٨ - **العلل:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن أيّوب بن نوح، عن صفوان بن يحيى، عن معاوية بن عمّار، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: الصاعقة لا تصيب المؤمن. فقال له رجل:

---

(١) معاني الأخبار، ص ٣١٩.

(٢) معاني الأخبار، ص ٢٣٠.

فإنّا قد رأينا فلاناً يصلّي في المسجد الحرام فأصابته، فقال أبو عبد الله عليه السلام : إنّه كان يرمي حمام الحرم(١).

٩ - وبهذا الإسناد قال: الصاعقة تصيب المؤمن والكافر، ولا تصيب ذاكراً(٢).

بيان: لعلّ المراد بالمؤمن أوّلاً الكامل في الإيمان، وثانياً مطلق المؤمن بقرينة أنّ رمي حمام الحرم لا يخرج عن مطلق الإيمان، ويحتمل أن يكون الرامي مخالفاً وأسند الإصابة إلى الرمي تقيّة.

١٠ - التفسير: عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر المعراج قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فصعد جبرئيل وصعدت معه إلى السماء الدنيا وعليها ملك يقال له «إسماعيل» وهو صاحب الخطفة التي قال الله عزّ وجلّ ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وتحته سبعون ألف ملك تحت كلّ ملك سبعون ألف ملك - الخبر -(٣).

١١ - ومنه: ﴿وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ﴾ قال: المارد الخبيث ﴿لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝ دُحُورًا﴾ يعني الكواكب التي يرمون بها ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ أي واجب ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ﴾ يعني يسمعون الكلمة فيحفظونها ﴿فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وهو ما يرمون به فيحرقون، وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: عذاب واصب أي دائم وجع قد خلص إلى قلوبهم. وقوله ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ مضيّ إذا أصابهم بقوّة(٤).

١٢ - العيون ومعاني الأخبار: عن محمّد بن إبراهيم الطالقانيّ، عن أبي عقدة عن عليّ بن الحسن بن فضّال، عن أبيه، قال: قال الرضا عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: خوف للمسافر وطمع للمقيم(٥).

١٣ - الاحتجاج والخصال: في ما أجاب الحسن بن عليّ عليه السلام عن أسئلة ملك الروم وقال السائل: ما قوس قزح؟ قال: ويحك! لا تقل قوس قزح، فإنّ قزح اسم شيطان، وهو قوس الله، وعلامة الخصب، وأمان لأهل الأرض من الغرق(٦).

١٤ - الاحتجاج: عن الأصبغ قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين! أخبرني عن قوس قزح. قال: ثكلتك أمّك يا ابن الكوّاء! لا تقل قوس قزح فإنّ قزح اسم الشيطان، ولكن قل: قوس الله إذا بدت يبدو الخصب والريف(٧).

---

(١) - (٢) علل الشرائع، ج ٢ ص ٤٤١ باب ٢٢٢ ح ٦-٧.
(٣) تفسير القمي، ج ١ ص ٤١٠ في تفسيره لسورة الإسراء.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ١٩٤ في تفسيره لسورة الصافات.
(٥) عيون أخبار الرضا، ج ١ ص ٢٦٤ باب ٢٨ ح ٥١، معاني الأخبار، ص ٣٧٤.
(٦) الإحتجاج، ص ٢٦٧. (٧) الإحتجاج، ص ٢٦٣.

١٥ - **العلل:** عن محمّد بن شاذان بن أحمد البرواذيّ، عن محمّد بن محمّد الحرث السمرقنديّ، عن صالح بن سعيد الترمذيّ، عن عبد المنعم بن إدريس عن أبيه، عن وهب بن منبّه قال: أهل الكتابين يقولون: لمّا هبط نوح من السفينة أوحى الله عزّوجلّ إليه: يا نوح! إنّني خلقت خلقي لعبادتي وأمرتهم بطاعتي، فقد عصوني وعبدوا غيري واستوجبوا بذلك غضبي فغرقتهم، وإنّي قد جعلت قوسي أماناً لعبادي وبلادي وموثقاً بيني وبين خلقي يأمنون به إلى يوم القيامة من الغرق، ومن أوفى بعهده منّي؟ ففرح نوح عليه السلام بذلك وتباشر، وكانت القوس فيها سهم ووتر، فنزع الله عزّوجلّ السهم والوتر من القوس وجعلها أماناً لعباده وبلاده من الغرق[1].

بيان: هذه الأخبار تدلّ على أنّه ما دام يظهر القوس في الجوّ لا تصيبهم الطوفان والغرق.

١٦ - **قصص الراوندي:** بإسناده إلى الصدوق، عن أبيه، عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله عليه السلام أنّ قوماً من بني إسرائيل قالوا لنبيّ لهم: ادع لنا ربّك يمطر علينا السماء إذا أردنا فسأل ربّه ذلك فوعده أن يفعل، فأمطر السماء عليهم كلّما أرادوا، فزرعوا فنمت زروعهم وحسنت، فلمّا حصدوا لم يجدوا شيئاً، فقالوا: إنّما سألنا المطر للمنفعة فأوحى الله تعالى إنّهم لم يرضوا بتدبيري لهم، أو نحو هذا[2].

١٧ - **المحاسن:** عن أبيه، عن عليّ بن الحكم، عن الوشّاء، عن أبان الأحمر عمّن ذكره، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: لولا أنّ الله حبس الريح على أهل الدنيا لأخوت الأرض، ولولا السحاب لخربت الأرض فما أنبتت شيئاً، ولكن الله يأمر السحاب فيغربل الماء فينزل قطراً، وإنّه أرسل على قوم نوح بغير حساب[3].

بيان: «لأخوت الأرض» أي خلت من الناس أو من الخير أو خربت وانهدمت قال الفيروزآباديّ: خوت الدار: تهدّمت، وخوت وخويت: خلت من أهلها وأرض خاوية: خالية من أهلها، وخوى - كرمى - : تابع عليه الجوع، والزند: لم يور، كأخوى، والنجوم خيّاً: أمحلت فلم تمطر، كأخوت وخوّت.

١٨ - **الخصال:** عن أبيه، عن سعد بن عبد الله، عن اليقطينيّ، عن القاسم بن يحيى، عن جدّه الحسن، عن أبي بصير ومحمّد بن مسلم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: ما أنزلت السماء قطرة من ماء منذ حبسه الله عزّوجلّ ولو قد قام قائمنا لأنزلت السماء قطرها، ولأخرجت الأرض نباتها[4].

١٩ - **تفسير الإمام:** في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يعني المطر ينزل مع كلّ قطرة ملكاً يضعها في موضعها الذي يأمره به ربّه عزّوجلّ[5].

---

(١) علل الشرائع، ج ١ ص ٣٦ باب ٢٢ ح ١.
(٢) قصص الأنبياء للراوندي، ص ١٨٠.
(٣) المحاسن، ج ٢ ص ٣٤.
(٤) الخصال، ص ٦٢٦ حديث الأربعمائة.
(٥) تفسير الإمام العسكري، ص ١٥٠.

٢٠ - **العياشي:** عن يونس بن عبد الرحمن، أنّ داود قال: كنّا عنده فارتعدت السماء فقال: سبحان من يسبّح له الرعد بحمده والملائكة من خيفته.

فقال أبو بصير: جعلت فداك، إنّ للرعد كلاماً؟ فقال: يا أبا محمّد سل عمّا يعنيك ودع ما لا يعنيك[1].

بيان: يدلّ على أنّ التفكّر في حقائق المخلوقات وأمثالها ممّا لم يؤمر الخلق به، بل لا فائدة لهم فيه.

٢١ - **العياشي:** عن أبي بصير، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سألته عن الرعد أيّ شيء يقول؟ قال: إنّه بمنزلة الرجل يكون في الإبل فيزجرها «هاي، هاي» كهيئة ذلك، قلت: فما البرق؟ قال لي: تلك مخاريق الملائكة تضرب السحاب فتسوقه إلى الموضع الذي قضى الله فيه المطر[2].

الفقيه: عن أبي بصير مثله[3].

٢٢ - **قال:** وروي أنّ الرعد صوت ملك أكبر من الذباب وأصغر من الزنبور[4].

٢٣ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن ابن بزيع، عن محمّد بن الفضيل، عن الكنانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يموت المؤمن بكلّ ميتة إلاّ الصاعقة لا تأخذه وهو يذكر الله عزّ وجلّ[5].

٢٤ - ومنه: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الصاعقة لا تصيب ذاكراً[6].

٢٥ - **الكافي:** عن عليّ بن إبراهيم، عن هارون بن مسلم، عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: كان عليّ عليه السلام يقوم في المطر أوّل ما يمطر حتى يبتلّ رأسه ولحيته وثيابه، فقيل له: يا أمير المؤمنين الكنّ! الكنّ! فقال: إنّ هذا ماء قريب العهد بالعرش، ثمّ أنشأ يحدّث فقال: إنّ تحت العرش بحراً فيه ماء ينبت أرزاق الحيوانات، فإذا أراد الله عزّ ذكره أن ينبت به ما يشاء لهم رحمة منه لهم أوحى الله إليه فمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى يصير إلى سماء الدنيا - فيما أظنّ - فيلقيه إلى السحاب، والسحاب بمنزلة الغربال، ثمّ يوحي إلى الريح أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الماء ثمّ انطلقي به إلى موضع كذا وكذا فأمطري عليهم فيكون كذا وكذا عباباً وغير ذلك، فتقطر عليهم على النحو الذي يأمرها به فليس من قطرة تقطر إلاّ ومعها ملك حتى يضعها موضعها، ولم ينزل من السماء قطرة من مطر إلاّ بعدد معدود

(١) - (٢) تفسير العياشي، ج ٢ ص ٢٢٢ ح ٢٢-٢٣ من سورة الرعد.
(٣) - (٤) من لا يحضره الفقيه، ص ١٩٦ ح ١٤٩٧ و١٤٩٨.
(٥) - (٦) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨٠ باب أن الصاعقة لا تصيب ذكراً، ح ١-٢.

ووزن معلوم إلاّ ما كان من يوم الطوفان على عهد نوح عليه السلام فإنّه نزل من ماء منهمر بلا وزن ولا عدد[١].

٢٦ - **قال:** وحدّثني أبو عبد الله عليه السلام قال: قال لي أبي عليه السلام: قال أمير المؤمنين عليه السلام: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّ وجلّ جعل السحاب غرابيل للمطر هي تذيب البرد حتى يصير لكي لا يضرّ شيئاً يصيبه، والذي ترون فيه من البرد والصواعق نقمة من الله عزّ وجلّ يصيب بها من يشاء من عباده. ثمّ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: لا تشيروا إلى المطر ولا إلى الهلال فإنّ الله يكره ذلك[٢].

العلل: عن أبيه، عن عبد الله بن جعفر الحميريّ، عن هارون بن مسلم مثله إلى قوله «فإنه نزل منها ماء منهمر بلا عدد ولا وزن»[٣] وقد مرّ في ما تقدّم.

قرب الإسناد: عن هارون مثله إلى آخر الخبر. «ص ٧٣ ح ٢٣٥».

بيان: «أول ما يمطر» أي أوّل كلّ مطر، أو المطر الذي يمطر أوّل السنة. وفي العلل: «أول مطر يمطر» وهو يؤيّد الثاني. والكنَّ بالنصب على الإغراء أي اطلبه أو ادخله، وهو بالكسر ما يستتر به من بناء ونحوه. «في ما أظن» ليس هذا في العلل وقرب الإسناد، وعلى تقديره هو كلام الراوي، أي أظنّ أنّ الصادق عليه السلام ذكر السماء الدنيا. «ثم يوحي إلى الريح» في الكتابين «ثم يوحي الله إلى السحاب أن اطحنيه وأذيبيه ذوبان الملح في الماء» وهذا ظاهر وآخر الخبر صريحاً يدلّ على أنّ ما ينزل من السماء برد، فإذا أراد أن يصيّره مطراً أمر الريح أو السحاب أن يطحنه ويذيبه، والآية أيضاً تحتمل ذلك، بل هو أظهر فيها إذ الظاهر أنّ مفعول ينزل هو الودق، ولكن ذكر البحر في أوّل الخبر لا يلائم ذلك، إلاّ أن يقال: الجبال في ذلك البحر، أو يكون مرور ذلك الماء على تلك الجبال فبذلك ينجمد، أو يحمل من ذلك البرد فينزل، وعلى ما فتحه المتفلسفون من أبواب التأويل فالأمر هيّن.

«ماء منهمر» أي منصبّ سائل من غير تقاطر أو كثير من غير أن يعلم وزنها وعددها الملائكة. «لا تشيروا إلى المطر» لعلّ المراد به الإشارة إليهما على سبيل المدح كأن يقول: ما أحسن هذا الهلال وما أجود هذا المطر! أو أنّه ينبغي عند رؤيتهما الاشتغال بالدعاء لا الإشارة إليهما كما يفعله السفهاء، أو لا ينبغي عند رؤيتهما التوجّه إليهما عند الدعاء والتوسّل بهما، كما أنّ بعض الناس يظنّون أنّ للهلال وأمثاله مدخلاً في نظام العالم فيتوسّلون به ويتوجّهون إليه، وهذا أظهر بالنسبة إلى الهلال، ويؤيّده ما روي في الفقيه عن الصادق عليه السلام أنّه قال: إذا رأيت هلال شهر رمضان فلا تشر إليه، ولكن استقبل القبلة وارفع يديك إلى الله عزّ وجلّ وخاطب الهلال - الخبر- وقيل: المراد بالإشارة الإشارة المعنوية والقول بأنّهما

---

(١) - (٢) روضة الكافي، ح ٣٢٦.

(٣) علل الشرائع ج ١ باب ٢٢٢ ح ٨.

مؤثّران في العالم، وقيل: هو نهي عن الإشارة إلى كيفيّة حدوثهما فإنّ ذلك يضرّ باعتقاد العامّة، كما قيل نظيره في قوله تعالى: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾[١].

٢٧ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن ابن عيسى، عن الحسين بن سعيد، عن ابن العرزميّ، رفعه قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام وسئل عن السحاب أين تكون؟ قال: تكون على شجر على كثيب على شاطئ البحر يأوي إليه، فإذا أراد الله عزّ وجلّ أن يرسله أرسل ريحاً فأثارته، ووكّل به ملائكة يضربونه بالمخاريق وهو البرق فيرتفع، ثم قرأ هذه الآية: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ﴾[٢] الآية. والملك اسمه الرعد[٣].

تفسير علي بن إبراهيم: عن أبيه، عن العرزميّ، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن الحارث الأعور عنه عليه السلام مثله إلى قوله «فيرتفع».

بيان: «تكون على شجر» يحتمل أن يكون نوع من السحاب كذلك، أو يكون كناية عن انبعاثه عن البحر وما قرب منه، وقيل: «على شجر» أي على أنواع منها ما يكون على الكثيب وهو اسم موضع على ساحل البحر اليمن يأتي السحاب إلى مكّة منها. وفي النهاية: في حديث عليّ عليه السلام «البرق مخاريق الملائكة» هي جمع مخراق، وهو في الأصل ثوب يلفّ ويضرب به الصبيان بعضهم بعضاً، أراد أنّها آلة تزجر بها الملائكة السحاب وتسوقه، ويفسّره حديث ابن عبّاس: البرق سوط من نور تزجر به الملائكة السحاب.

٢٨ - **نوادر الراوندي:** بإسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال: قال عليّ عليه السلام: المطر الذي منه أرزاق الحيوان من بحر تحت العرش، فمن ثمّ كان رسول الله صلى الله عليه وآله يستمطر أوّل مطر، ويقوم حتى يبتلّ رأسه ولحيته، ثمّ يقول: إنّ هذا ماء قريب عهد بالعرش. وإذا أراد الله تعالى أن يمطر أنزله من ذلك إلى سماء بعد سماء حتى يقع على الأرض. ويقال: المزن ذلك البحر، وتهبّ ريح من تحت ساق عرش الله تعالى تلقح السحاب، ثمّ ينزل من المزن الماء، ومع كلّ قطرة ملك حتى تقع على الأرض في موضعها[٤].

٢٩ - **مجالس الشيخ:** عن الحسين بن عبيد الله الغضائريّ، عن التلعكبريّ عن محمّد ابن همّام، عن عبد الله الحميريّ، عن الطيالسيّ، عن زريق الخلقانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: ما برقت قطّ في ظلمة ليل ولا ضوء نهار إلّا وهي ماطرة[٥].

الكافي: عن عليّ بن إبراهيم، عن صالح بن السنديّ، عن جعفر بن بشير عن زريق، عن أبي العبّاس، عنه عليه السلام مثله. «الروضة ح ٢٦٧».

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩.
(٢) سورة فاطر، الآية: ٩.
(٣) روضة الكافي، ح ٢٦٨.
(٤) نوادر الراوندي، ص ١٩٣ ح ٣٥٥.
(٥) أمالي الطوسي، ص ٦٩٧ مجلس ٣٩ ح ١٤٨٩.

بيان: قال الفيروزآباديّ: برقت السماء بروقاً: لمعت أو جاءت ببرق، والبرق: بدا، والرجل: تهدّد وتوعّد كأبرق (انتهى) والحاصل أنّ البرق يلزمه المطر وإن لم يمطر في كلّ موضع يلوح فيه البرق.

٣٠ - **دعوات الراوندي:** كان أمير المؤمنين عليه السلام إذا أصابه المطر مسح به صلعته وقال: بركة من السماء لم يصبها يد ولا سقاء[1].

٣١ - **كتاب الغارات:** لإبراهيم الثقفيّ بإسناده، قال: سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى: ﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا﴾ قال: الرياح، ويلك! قال: فما الحاملات وقراً؟ قال: السحاب، ويلك! قال: فما الجاريات يسراً؟ قال: السفن، ويلك! قال: فما المقسّمات أمراً؟ قال: الملائكة، ويلك! قال: فما قوس قزح؟ قال: ويلك! لا تقل قوس قزح فإنّ قزحاً الشيطان، ولكنّها القوس، وأمان أهل الأرض، فلا غرق بعد قوم نوح[2].

٣٢ - **كتاب جعفر بن محمّد بن شريح:** عن عبد الله بن طلحة، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الصاعقة لا تصيب ذاكراً لله تعالى[3].

٣٣ - **تفسير علي بن إبراهيم:** في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ فهي الأنهار والعيون والآبار. وقال عليّ بن إبراهيم في قوله ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا﴾: أي يثيره من الأرض ﴿ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ فإذا غلظ بعث الله رياحاً فتعصره فينزل منه الماء وهو قوله ﴿فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ﴾ أي المطر[4].

٣٤ - **الكافي:** عن محمّد بن يحيى، عن أحمد بن محمّد، عن محمّد بن إسماعيل، عن محمّد بن الفضيل، عن أبي الصباح الكنانيّ، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: يموت المؤمن بكلّ ميتة إلاّ الصاعقة لا تأخذه وهو يذكر الله[5].

٣٥ - ومنه: عن عليّ بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن ابن أذينة، عن بريد العجليّ، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: إنّ الصواعق لا تصيب ذاكراً، قلت: وما الذاكر؟ قال: من قرأ مائة آية[6].

٣٦ - ومنه: عن حميد بن زياد، عن الحسن بن محمّد بن سماعة، عن وهب بن حفص، عن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن ميتة المؤمن، قال: يموت المؤمن بكلّ ميتة، يموت غرقاً، ويموت بالهدم، ويبتلى بالسبع، ويموت بالصاعقة، ولا تصيب ذاكراً لله عزّ وجلّ[7].

---

(١) الدعوات للراوندي، ص ٢١٠ ح ٥٢٥. (٢) الغارات، ج ١ ص ١٧٨.
(٣) الأصول الستة عشر، ص ٧٧.
(٤) تفسير القمي، ج ٢ ص ٨٢ في تفسيره لسورة النور، الآية: ٤٣.
(٥) - (٧) أصول الكافي، ج ٢ ص ٥٨٠ باب أن الصاعقة لا تصيب ذاكراً، ح ١-٣.

٣٧ - **توحيد المفضل:** قال: قال الصادق عليه السلام: فكّر يا مفضّل في الصحو والمطر كيف يعتقبان على هذا العالم لما فيه صلاحه، ولو دام واحد منهما عليه كان في ذلك فساده، ألا ترى أنّ الأمطار إذا توالت عفنت البقول والخضر، واسترخت أبدان الحيوان، وخصر الهواء فأحدث ضروباً من الأمراض، وفسدت الطرق والمسالك. وإنّ الصحو إذا دام جفّت الأرض، واحترق النبات، وغيض ماء العيون والأودية، فأضرّ ذلك بالناس، وغلب اليبس على الهواء فأحدث ضروباً أخرى من الأمراض؟ فإذا تعاقبا على العالم هذا التعاقب اعتدل الهواء، ودفع كلّ واحد منهما عادية الآخر، فصلحت الأشياء واستقامت.

فإن قال قائل: ولم لا يكون في شيء من ذلك مضرّة البتّة؟ قيل له: ليمضّ ذلك الإنسان ويؤلمه بعض الألم فيرعوي عن المعاصي، فكما أنّ الإنسان إذا سقم بدنه احتاج إلى الأدوية المرّة البشعة ليقوم طباعه ويصلح ما فسد منه، كذلك إذا طغى وأشر احتاج إلى ما يعضّه ويؤلمه ليرعوي ويقصر عن مساويه، ويتنبّه على ما فيه حظّه ورشده.

ولو أنّ ملكاً من الملوك قسم في أهل مملكته قناطير من ذهب وفضّة ألم يكن سيعظم عندهم ويذهب له به الصوت؟ فأين هذا من مطرة رواء إذ يعمر به البلاد ويزيد في الغلاّت أكثر من قناطير الذهب والفضّة في أقاليم الأرض كلّها؟ أفلا ترى المطرة الواحدة ما أكبر قدرها وأعظم النعمة على الناس فيها وهم عنها ساهون؟! وربما عاقت عن أحدهم حاجة لا قدر لها فيذمر ويسخط إيثاراً للخسيس قدره على العظيم نفعه جهلاً بمحمود العاقبة، وقلّة معرفة لعظيم الغناء والمنفعة فيها.

تأمّل نزوله على الأرض وتدبّر في ذلك، فإنّه جعل ينحدر عليها من علو ليغشى ما غلظ وارتفع منها فيرويه، ولو كان إنّما يأتيها من بعض نواحيها لما علا المواضع المشرفة منها ولقلّ ما يزرع في الأرض، ألا ترى أنّ الذي يزرع سيحاً أقلّ من ذلك؟ فالأمطار هي التي تطبق الأرض، وربّما تزرع هذه البراري الواسعة وسفوح الجبال وذراها فتغلّ الغلّة الكثيرة، وبها يسقط عن الناس في كثير من البلدان مؤونة سياق الماء من موضع إلى موضع، وما يجري في ذلك بينهم من التشاجر والتظالم، حتى يستأثر بالماء ذو العزّة والقوّة ويحرمه الضعفاء.

ثمّ إنّه حين قدّر أن ينحدر على الأرض انحداراً جعل ذلك قطراً شبيهاً بالرشّ ليغور في قعر الأرض فيرويها ولو كان يسكبه انسكاباً كان ينزل على وجه الأرض فلا يغور فيها ثمّ كان يحطم الزروع القائمة إذا اندفق عليها، فصار ينزل نزولاً رقيقاً فينبت الحبّ والمزروع ويحيي الأرض والزرع القائم، وفي نزوله أيضاً مصالح أخرى، فإنّه يلين الأبدان، ويجلو كدر الهواء فيرتفع الوباء الحادث من ذلك، ويغسل ما يسقط على الشجر والزرع من الداء المسمّى «اليرقان» إلى أشباه هذا من المنافع.

فإن قال قائل: أوليس قد يكون منه في بعض السنين الضرر العظيم الكثير لشدّة ما يقع منه،

أو برد يكون فيه تحطّم الغلاّت وبخورة يحدثها في الهواء فيتولّد كثير من الأمراض في الأبدان، والآفات في الغلاّت؟ قيل: بلى، قد يكون ذلك الفرط لما فيه من صلاح الإنسان وكفّه عن ركوب المعاصي والتمادي فيها فيكون المنفعة فيها يُصلح له من دينه أرجح ممّا عسى أن يرزأ في ماله[1].

بيان: «يعتقبان» أي يأتي كلّ منهما عقيب صاحبه، و«خصر الهواء» بكسر الصاد المهملة، يقال خصر يومنا أي اشتدّ برده، وماء خصر: بارد، وفي أكثر النسخ بالحاء المهملة والسين من حسر أي كلّ، وهو لا يستقيم إلاّ بتكلّف وتجوّز، وفي بعضها بالخاء المعجمة والثاء المثلثة من قولهم خثر إذا غلظ. والبشع: الكريه المطعم الذي يأخذ بالحلق. والقنطار معيار، ويروى أنّه ألف ومائتا أوقية، ويقال: هو مائة وعشرون رطلاً، ويقال: هو ملء مسك الثور ذهباً.

قوله عليه السلام: «ويذهب له به الصوت» أي يملأ صيت كرمه وجوده الآفاق. والذمر: الملامة والتهدّد، والحطم: الكسر، والاندفاق: الانصباب، واليرقان آفة للزرع وقوله «مما عسى أن يرزأ» من الرزء المصيبة.

٣٨ - **الدر المنثور:** عن ابن عبّاس، قال: السحاب الأسود فيه المطر، والأبيض فيه الندى، وهو الذي ينضج الثمار[2].

٣٩ - وعن ابن عبّاس، قال: ما من عام بأقلّ مطراً من عام، ولكنّ الله يصرفه حيث يشاء، ثمّ قرأ هذه الآية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَٰهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا﴾ الآية[3].

٤٠ - وعن عمر مولى عفرة، قال: سأل النبيّ صلى الله عليه وآله جبرئيل. فقال: إنّي أحبّ أن أعلم أمر السحاب، فقال جبرئيل: هذا ملك السحاب فاسأله، فقال: تأتينا صكاك مختمة: اسق بلاد كذا وكذا، كذا وكذا قطرة[4].

٤١ - وعن ابن عبّاس، قال: قال: إذا رمي الشهاب لم يخطئ من رمي به، وتلا ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾[5].

٤٢ - وفي رواية أخرى عنه، قال: لا يقتلون بالشهاب ولا يموتون، لكنّها تخرق وتخرج من غير قتل[6].

٤٣ - وعن ابن عبّاس، قال: ما أرسل الله شيئاً من ريح أو ماء إلاّ بمكيال إلاّ يوم نوح ويوم عاد، فأمّا يوم نوح فإنّ الماء طغى على خزّانه فلم يكن لهم عليه سبيل، ثمّ قرأ: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَآءُ﴾ وأمّا يوم عاد فإنّ الريح عتت على خزّانها فلم يكن لهم عليها سبيل، ثمّ قرأ ﴿بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ﴾ وعن عليّ عليه السلام مثله إلاّ أنّه قال: لم تنزل قطرة من ماء إلاّ بمكيال على يد ملك[7].

---

(١) توحيد المفضل، ص ١٤٨.
(٢)- (٤) الدر المنثور، ج ٥ ص ٧٣.
(٥) - (٦) الدر المنثور، ج ٥ ص ٢٧١.
(٧) الدر المنثور، ج ٦ ص ٢٥٩.

٤٤ - وعن الزهريّ، عن عليّ بن الحسين عليهما السلام، عن ابن عبّاس، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وآله جالساً في نفر من أصحابه فرمي بنجم فاستنار، قال: ما كنتم تقولون إذا كان هذا في الجاهليّة؟ قالوا: كنّا نقول: يولد عظيم أو يموت عظيم قال: فإنّها لا يرمى بها لموت أحد ولا لحياته، ولكن ربّنا إذا قضى أمراً سبّح حملة العرش، ثمّ يسبّح أهل السماء الذين يلون حملة العرش، فيقول الذين يلون حملة العرش لحملة العرش: ماذا قال ربّكم؟ فيخبر أهل كلّ سماء سماء حتى ينتهي الخبر إلى أهل هذه السماء، وتخطف الجنّ السمع فيرمون، فما جاءوا به على وجهه فهو حقّ، ولكنّهم يحرّفونه ويزيدون فيه. قال معمّر: قلت للزهريّ: أكان يرمى بها في الجاهليّة؟ قال: نعم، قال: أرأيت ﴿وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا﴾[1] قال: غلظت وشدّد أمرها حين بعث رسول الله صلى الله عليه وآله [2].

تتميم: اعلم أنّ الفلاسفة أثبتوا عناصر أربعة: النار، والهواء، والماء، والأرض وقالوا: النار حارّ يابس، والهواء حارّ رطب، والماء بارد رطب، والأرض بارد يابس، وكرة النار عندهم ملاصقة لكرة فلك القمر متحرّكة بحركتها بالتبع ولها كرة واحدة، وتحتها الهواء وله أربع طبقات:

الأولى: ما يمتزج منه مع النار وهي التي تتلاشى فيها الأدخنة المرتفعة من السفل، وتتكوّن فيها الكواكب ذوات الأذناب وما يشبهها من النيازك والأعمدة وغيرها.

الثانية: الهواء الصرف أو القريب من الصرافة، وتضمحلّ فيها الأدخنة اللطيفة، ويحصل منها الشهب.

الثالثة: الهواء البارد بما يخالطه من الأبخرة الباقي على برودته لعدم وصول أثر الشعاع المنعكس من وجه الأرض إليه.

الرابعة: الهواء الكثيف المجاور للأرض والماء الغير الباقي على صرافة برودته المكتسبة لمكان الأشعّة المنعكسة.

ثمّ كرة الماء، وهي غير تامّة، محيطة بثلاثة أرباع الأرض تقريباً. ثمّ الأرض وهي كرة مصمتة وقد أحاط بقريب من ثلاثة أرباعها الماء، فالماء على هيئة كرة مجوّفة غير تامّة قد قطع بعض جوانبها وملئت من الأرض. فالآن مجموع الماء والأرض بمنزلة كرة واحدة تامّة الهيئة. وللماء طبقة واحدة هي البحر المحيط بالأرض، ولم يبق على صرافته لنفوذ آثار الأشعّة فيه ومخالطته بالأجزاء الأرضيّة وليس له ما يميّز بين أبعاضه بحيث تختلف في الأحكام اختلافاً يعتدّ به، والأرض ساكنة في الوسط بحيث ينطبق مركز حجمها على مركز العالم هذا هو المشهور بينهم وزعم بعض الأوائل منهم أنّ الأرض متحرّكة حركة وضعيّة

---

(١) سورة الجن، الآية: ٩.

(٢) الدر المنثور، ج ٥ ص ٢٣٥.

دوريّة من المغرب إلى المشرق وأنّ شروق الكواكب وغروبها بسبب ذلك لا بسبب حركة الفلك وهذا قول ضعيف متروك عندهم.

وللأرض ثلاث طبقات: **الأولى**: الأرض الصرفة المحيطة بالمركز.

الثانية: الطبقة الطينيّة وهي المجاورة للماء.

الثالثة: الطبقة المنكشفة من الماء، وهي التي تحتبس فيها الأبخرة والأدخنة، وتتولّد فيها المعادن والنباتات والحيوانات، وتنقسم إلى البراري والجبال، وهي المعروفة بالربع المسكون المنقسم إلى الأقاليم السبعة. وأما السبب في انكشافها فقد قيل: هو انجذاب الماء إلى ناحية الجنوب لغلبة الحرارة فيها بسبب قرب الشمس، لكون حضيض الشمس في البروج الجنوبيّة، وكونها في القرب أشدّ شعاعاً من كونها في البعد، وكون الحرارة اللازمة من الشعاع الأشدّ أقوى لا محالة، وشأن الحرارة جذب الرطوبات، وعلى هذا يمكن أن تنتقل العمارة من الشمال إلى الجنوب ثمّ من الجنوب إلى الشمال وهكذا بسبب انتقال الأوج من أحدهما إلى الآخر، وتكون العمارة دائماً إلى حيث أوج الشمس لئلاً يجتمع في الصيف قرب الشمس من سمت الرأس وقربها من الأرض فتبلغ الحرارة إلى حدّ النكاية والإحراق، ولا البعدان في الشتاء فيبلغ البرد إلى حدّ النكاية والتفجيع، وقيل: سببه كثرة الوهاد والأغوار في ناحية الشمال باتّفاق من الأسباب الخارجة، فتنحدر المياه إليها بالطبع وتبقى المواضع المرتفعة مكشوفة، وقيل: ليس له سبب معلوم غير العناية الإلهيّة ليصير مستقرّاً للإنسان وغيره من الحيوانات ومادّة لما يحتاج إليه من المعادن والنباتات.

ثمّ إنّهم يقولون بأنّ كلاً من تلك العناصر الأربعة قابل للكون والفساد أي ينقلب بعضها إلى بعض بلا توسّط أو بتوسّط واحد أو أكثر، كالماء ينقلب حجر المرمر، فإنّه يحصل من مياه صافية جارية مشروبة تجتمع في وهاد تتحجّر حجراً قريب الحجم من حجمها في زمان قليل كما ينقل من بعض محالّ مراغة من بلاد آذربايجان، وقيل: الحقّ أنّ ذلك إنّما هو بخاصيّة في بعض المواضع من الأرض خلق الله فيها قوّة معدنيّة شديدة التأثير في التحجير إذا صادفتها المياه تحجّرت، وربّما كانت في باطن الأرض فظهرت بالزلازل. ومن هذا القبيل ما نقل من انقلاب بعض الناس حجراً، وقد شوهدت في بعض البلاد أشباح حجريّة على هيئة أشخاص إنسيّة من رجال ونساء وولدان لا يعوزها من التشكيل والتخطيط شيء، وأشخاص بهيميّة وسائر أمور تتعلّق بالإنسان على حالات مخصوصة وأوضاع يغلب على الظنّ أنّها كانت قوالب إنسيّة وما يتعلّق بها، فلا يبعد ظهور مثل هذه القوّة على قوم غضب الله عليهم (انتهى).

وقالوا: الحجر ينحلّ بالحيل الإكسيريّة ماءً سيّالاً، والهواء ينقلب ماءً كما يشاهد في قلل الجبال وغيرها أنّ الهواء بسبب البرد يغلظ ويصير سحاباً متقاطراً وكما يشاهد من ركوب

القطرات على الطاس المكبوب على الجمد، والماء ينقلب هواءً بالحرّ الحاصل من تسخين الشمس أو النار كما يشاهد من البخار الصاعد من الماء المسخّن، فإنّ البخار أجزاء هوائيّة متكوّنة من الماء مستصحبة لأجزاء مائيّة لطيفة مختلطة بها، والهواء ينقلب ناراً كما في كور الحدّادين إذا ألحّ النفخ عليها وسدّ الطرق التي يدخل منها الهواء الجديد يحدث فيه نار من انقلاب الهواء إليها، ومن هذا القبيل الهواء الحارّ الذي منه السموم المحرقة، والنار أيضاً تنقلب هواءً كما يشاهد في شعلة المصباح، فإنّها لو بقيت على الناريّة لتحرّكت إلى مكانها الطبيعيّ على خطّ مستقيم فاحترقت ما حاذاها وليس كذلك.

ثمّ إنّهم قالوا: إذا تصغّرت تلك العناصر وامتزجت وتماسّت وفعل بعضها في بعض بقواها المتضادّة تحصّل منها كيفيّة متوسّطة هي المزاج، والتركيب قد يكون تامّاً يحصل به مزاج ويستعدّ بذلك لإفاضة صورة نوعيّة تحفظ التركيب زماناً طويلاً، وقد يكون ناقصاً لا يبقى مدّة مديدة بل تنحلّ بأدنى سبب مثل كائنات الجوّ.

قال صاحب المقاصد: المركّبات التي لا مزاج لها ثلاثة أنواع، لأنّ حدوثه إمّا فوق الأرض أعني في الهواء، وإمّا على وجه الأرض، وإمّا في الأرض فالنوع الأوّل منه ما يتكوّن من البخار، ومنه ما يتكوّن من الدخان وكلاهما بالحرارة فإنّها تحلّل من الرطب أجزاءً هوائيّة ومائيّة وهي البخار، ومن اليابس أجزاء أرضيّة تخالطها أجزاء ناريّة وقلّما يخلو عن هوائيّة وهي الدخان، فالبخار المتصاعد قد يلطف بتحليل الحرارة أجزاؤه المائيّة فيصير هواءً، وقد يبلغ الطبقة الزمهريريّة فيتكاثف فيجتمع سحاباً ويتقاطر قطراً إن لم يكن البرد شديداً، وإن أصابه برد شديد يجمد السحاب قبل تشكّله بشكل القطرات نزل ثلجاً، أو بعد تشكّله بذلك نزل برداً صغيراً مستديراً إن كان من سحاب بعيد لذوبان الزوايا بالحركة والاصطكاك، وإلاّ فكبيراً غير مستدير في الغالب، وإنّما يكون البرد في هواء ربيعيّ أو خريفيّ لفرط التحليل في الصيفيّ والجمود في الشتويّ، وقد لا يبلغ البخار المتصاعد الطبقة الزمهريريّة، فإن كثر صار ضباباً، وإن قلّ وتكاثف ببرد الليل فإن انجمد نزل صقيعاً، وإلاّ فطلاًّ، فنسبة الصقيع إلى الطلّ نسبة الثلج إلى المطر. وقد يكون السحاب الماطر من بخار كثير تكاثف بالبرد من غير أن يتصعّد إلى الزمهريريّة لمانع مثل هبوب الرياح المانعة للأبخرة من التصاعد، أو الضاغطة إيّاها إلى الاجتماع بسبب وقوف جبال قدّام الريح وثقل الجزء المتقدّم وبطء حركته.

وقد يكون مع البخار المتصاعد دخان، فإذا ارتفعا معاً إلى الهواء البارد وقد انعقد البخار سحاباً واحتبس الدخان فيه فإن بقي الدخان على حرارته قصد الصعود، وإن برد قصد النزول، وكيف كان فإنّه يمزّق السحاب تمزيقاً عنيفاً فيحدث من تمزيقه ومصاكّته صوت هو الرعد، وناريّة لطيفة هي البرق، أو كثيفة هي الصاعقة.

وقد يشتعل الدخان الغليظ بالوصول إلى كرة النار كما يشاهد عند وصول دخان سراج

منطفئ إلى سراج مشتعل فيرى فيه الاشتعال فيرى كأنّه كوكب انقضّ وهو الشهاب، وقد يكون لغلظه لا يشتعل بل يحترق ويدوم فيه الاحتراق فيبقى على هيئة ذؤابة أو ذنب أو حيّة أو حيوان له قرون، وربّما يقف تحت كوكب ويدور مع النار بدوران الفلك إيّاها، وربما تظهر فيه علامات هائلة حمر وسود بحسب زيادة غلظ الدخان، وإذا لم ينقطع اتّصال الدخان من الأرض ونزل اشتعاله إلى الأرض يرى كأنّ تنّيناً ينزل من السماء إلى الأرض وهو الحريق (انتهى).

وقال في المواقف: وأمّا الدخان فربما يخالط السحاب فيحرقه، إمّا في صعوده بالطبع أو عند هبوطه للتكاثف بالبرد، فيحدث من خرقه له ومصاكّته إيّاه صوت هو الرعد، وقد يشتعل بقوّة التسخين الحاصل من الحركة والمصاكّة فلطيفه ينطفئ سريعاً وهو البرق، وكثيفه لا ينطفئ حتى يصل إلى الأرض وهي الصاعقة.

وقال شارحه: وإذا وصل إليها فربما صار لطيفاً ينفذ في المتخلخل ولا يحرقه ويذيب الأجسام المندمجة، فيذيب الذهب والفضّة في الصرّة مثلاً ولا يحرقها إلاّ ما احترق من الذوب، وقد أخبرنا أهل التواتر بأنّ الصاعقة وقعت بشيراز على قبّة الشيخ الكبير أبي عبد الله بن حفيف، فأذاب قنديلاً فيها ولم يحرق شيئاً منها. وربما كان كثيفاً غليظاً جداً فيحرق كلّ شيء أصابه، وكثيراً ما تقع على الجبل فتدكّه دكّاً. ويحكى أنّ صبيّاً كان في صحراء فأصاب ساقيه صاعقة فسقط رجلاه ولم يخرج منه دم لحصول الكيّ بحرارتها.

وقال الرازيّ في المباحث المشرقيّة: إذا ارتفع بخار دخانيّ لزج دهنيّ وتصاعد حتى وصل إلى حيّز النار من غير أن ينقطع اتّصاله عن الأرض اشتعلت النار فيه نازلة، فيرى كأنّ تنّيناً ينزل من السماء إلى الأرض، فإذا وصلت إلى الأرض احترقت تلك المادّة بالكلّيّة وما يقرب منها، وسبيل ذلك سبيل السراج المنطفئ إذا وضع تحت السراج المشتعل فاتّصل الدخان من الأوّل إلى الثاني فانحدر اللهب إلى فتيلته.

وقال في شرح المواقف في سبب الهالة والقوس: قد تحدث في الجوّ أجزاء رطبة رشّيّة صقيلة كدائرة تحيط تلك الأجزاء بغيم رقيق لطيف لا تحجب ما وراءه عن الأبصار، فينعكس منها أي من تلك الأجزاء الواقعة على ذلك الوضع ضوء البصر لصقالتها إلى القمر، فيرى في تلك الأجزاء ضوءه دون شكله. فإنّ الصقيل الذي ينعكس منه شعاع البصر إذا صغر جداً بحيث لا ينقسم في الحسّ أدّى الضوء واللون دون الشكل والتخطيط كما في المرآة الصغيرة. وتلك الأجزاء الرشّيّة مرايا صغار متراصّة على هيئة الدائرة، فيرى جميع تلك الدائرة كأنّها منوّرة بنور ضعيف وتسمّى الهالة، وإنّا لا نرى الجزء الأوّل الذي يقابل القمر من ذلك الغيم، لأنّ قوّة الشعاع تخفي حجم السحاب الذي لا يستره، فلا يرى فيه خيال القمر، كيف والشيء إنّما يرى على الاستقامة نفسه لا شبحه بخلاف أجزائه التي لا تقابله فإنّها تؤدّي خيال ضوئه كما عرفت. قيل: وأكثر ما تتولّد الهالة عند عدم الريح، فإن تمزّقت من جميع الجهات دلّت

على الصحو. وإن ثخن السحاب حتى بطلت دلّت على المطر، لأنّ الأجزاء المائيّة قد كثرت، وإن انخرقت من جهة دلّت على ريح تأتي من تلك الجهة، وإن اتّفق أن توجد سحابتان على الصفة المذكورة إحداهما تحت الأُخرى حدثت هناك هالة تحت هالة، وتكون التحتانيّة أعظم لأنّها أقرب إلينا. وزعم بعضهم أنّه رأى سبع هالات معاً.

واعلم أنّ هالة الشمس وتسمّى «الطُفاوة» نادرة جداً، لأنّ الشمس تحلّل السحب الرقيقة، ومع ذلك فقد زعم ابن سينا أنّه رأى حول الشمس هالة تامّة في ألوان قوس قزح، ورأى بعد ذلك هالة فيها قوسيّة قليلة، وإنّما تنفرج هالة الشمس إذا كثف السحاب وأظلم. وحكى أيضاً أنّه رأى حول القمر هالة قوسيّة اللون، لأنّ السحاب كان غليظاً فشوّش في أداء الضوء وعرض ما يعرض للقوس، وقد يحدث مثل ذلك الذي ذكرناه من الأجزاء الرشيّة الصقيلة على هيئة الاستدارة في جهة خلاف الشمس وهي قوس قزح.

وتفصيله أنّه إذا وجد في خلاف جهة الشمس أجزاء رشيّة لطيفة صافية على تلك الهيئة وكان وراءها جسم كثيف إمّا جبل أو سحاب كدر وكانت الشمس قريبة من الأفق فإذا أدبر على الشمس ونظر إلى تلك الأجزاء انعكس شعاع البصر عنها إلى الشمس، ولمّا كانت صغيرة جداً لم يؤدّ الشكل بل اللون الذي يكون مركّباً من ضوء الشمس في لون المرآة، وتختلف ألوانها بحسب اختلاف أجزاء السحاب في ألوانها، وبحسب ألوان ما وراءها من الجبال، وألوان ما ينعكس منها الضوء من الأجرام الكثيفة.

وفي المباحث المشرقيّة: زعم بعضهم أنّ السبب في حدوث أمثال هذه الحوادث اتّصالات فلكيّة وقوى روحانيّة اقتضت وجودها، وحينئذ لا تكون من قبيل الخيالات، وهو أن يرى صورة شيء مع صورة شيء آخر مظهر له كالمرآة، فيظنّ أنّ الصورة الأولى حاصلة في الشيء الثاني ولا يكون فيه بحسب نفس الأمر.

قال الإمام: هذا الذي ذكره لا ينافي ما ذكرناه، فإنّ الصحّة والمرض قد يستندان إلى أسباب عنصريّة تارة، وإلى اتّصالات فلكيّة وتأثيرات نفسانيّة أُخرى، لكن هذا الوجه يؤيّده أنّ أصحاب التجارب شهدوا بأنّ أمثال هذه الحوادث في الجوّ تدلّ على حدوث حوادث في الأرض، فلولا أنّها موجودات مستندة إلى تلك الاتّصالات والأوضاع لم يستمرّ هذا الاستدلال (انتهى).

وقال بعضهم: إنّ الله سبحانه إذا أراد أن يلطف بقوم أو يغضب عليهم بإحداث حدث في الأرض وتكوين كائن من إمطار مطر أو إرسال ريح وما أشبههما أمر الملائكة السماويّة خصوصاً الملكين الموكّلين بالشمس أن يفعلوا في الأرض بتوسّط الملائكة الموكّلين بها، أفاعيل الملائكة أن يحرّكوا شيئاً منها ويخلطوه حتى يحصل من اختلاطه ما يشاء، فإنّ كلّ ما يتكوّن في الجو والأرض إنّما يحدث من اختلاط العناصر والأرضيّات، فأوّل ما يحدث من

ذلك قبل أن يمتزج امتزاجاً تامّاً يحصل بسبب الكيفيّة الوحدانيّة المسمّاة بالمزاج هو البخار والدخان، وذلك لأنّ الملائكة إذا هيّجوا بإسخان السماويّات الحرارة بخّروا من الأجسام المائيّة ودخّنوا من الأجسام الأرضيّة، وأثاروا أجزاء إمّا هوائيّة ومائيّة مختلطين وهو البخار، وإمّا ناريّة وأرضيّة كذلك وهو الدخان، ثمّ حصل بتوسطّهما موجودات شتّى غير تامّة المزاج من الغيم والمطر والثلج والبرد والضباب والطلّ والصقيع والرعد والبرق والصاعقة والقوس والهالات والشهب والرياح والزلازل وانفجارات العيون والقنوات والآبار والنزوز، كلّ ذلك بإذن الله سبحانه وتوسّط ملائكته، كما قال سبحانه إشارة إلى بعض ذلك ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُزْجِى سَحَابًا﴾ الآية. والتأمّل في بناء الحمّام وعوارضه نعم العون على إدراك ماهيّة الجوّ وكثير من حوادثه، بل التدبّر في ما يرتفع من أرض معدة الإنسان إلى زمهرير دماغه ثمّ ينزل منه في ثقب وجهه يعين على ذلك كسائر الأمور الأنفسيّة على الأحكام الآفاقيّة (انتهى).

وقال بعض المحقّقين في تحقيق ألوان القوس: توضيح المقام يستدعي مقدّمتين:

الأولى: أنّ سائر الألوان المتوسّطة بين الأسود والأبيض إنّما تحدث عن اختلاط هذين اللونين، وبالجملة الأبيض إذا رئي بتوسّط الأسود أو بمخالطة الأسود حدثت عن ذلك الألوان الأخر، فإن كان النيّر هو الغالب رئي الأحمر وإن لم يكن غالباً رئي الكراثيّ والأرجوانيّ، وغلبته في الكراثيّ أكثر وفي الأرجوانيّ أقل.

الثانية: أنّ اللون الأسود هو بمنزلة عدم الإبصار، لأنّا إذا لم نر الشمس والمضيء ظننّا أنّا نرى شيئاً أسود، فالمكان من الغمام الذي يكون الأبيض فيه غالباً على الأسود نراه أحمر، والمكان الذي يكون فيه الأسود غالباً نراه ارجوانيّاً، والمكان الذي فيه الأسود بين الغالب والمغلوب نراه كراثيّاً.

فإذا تمهّد هذا فنقول: إذا رأى البصر النيّر بتوسّط الغمام على تلك الشرائط رأى القوس على الأكثر ذات ألوان ثلاثة: الأوّل منها وهو الدور الخارج الذي يلي السماء أحمر لقلّة سواده وكثرة بياضه، والثاني وهو الذي دونه كراثيّ لتوسّطه بين الأوّل والثالث في قلّة السواد وكثرته وقلّة البياض وكثرته، والدور الثالث ممّا يلي الأرض ارجوانيّ لكثرة سواده وقلّة بياضه، فأمّا الدور الأصفر الذي قد يرى أحياناً بين الدور الأحمر والكراثيّ فإنّه ليس يحدث بنحو الانعكاس فإنّما يرى بمجاورة الأحمر اللون الكراثيّ، والعلّة في ذلك أنّ الأبيض إذا وقع على جنب الأسود رئي أكثر بياضاً، ولمّا كان الدور الأحمر فيه بياضاً والكراثيّ مائلاً إلى السواد رئي طرف الأحمر لقربه من الكراثيّ أكثر بياضاً من الأحمر وما هو أكثر بياضاً من الأحمر وهو الأصفر، فلهذا يرى طرف الدور الأحمر القريب من الكراثيّ أصفر. وقد يظهر أحياناً قوسان معاً كلّ واحدة منهما ذات ثلاثة ألوان على النحو الذي ذكرناه في الواحدة، لكن وضع ألوان القوس الخارجة بالعكس من الداخلة، يعني دورها الخارج الذي يلي

السماء ارجوانيّ، والذي يليه كرائيّ، والذي يتلو هذا أحمر، ولا يبعد أن يكون أحد القوسين عكساً للآخر (انتهى).

وأقول: هذا ما ذكره القوم في هذا المقام، وكلّها مخالفة لما ورد في لسان الشريعة، ولم يكلّف الإنسان الخوض فيها والتفكّر في حقائقها، ولو كان ممّا ينفع المكلّف لم يهمل صاحب الشرع بيانها، وقد ورد في كثير من الأخبار النهي عن تكلّف ما لم يؤمر المرء بعلمه. قال صاحب المواقف وشارحه بعد إيراد هذه المباحث: ما ذكرناه كلّه آراء الفلاسفة حيث نفوا القادر المختار، فأحالوا اختلاف الأجسام بالصور إلى استعداد في موادّها، وأحالوا اختلاف آثارها إلى صورها المتباينة وأمزجتها المتخالفة، وكلّ ذلك إلى حركات الأفلاك وأوضاعها. وأمّا المتكلّمون فقالوا: الأجسام متجانسة بالذات لتركّبها من الجواهر الفردة، وإنّها متماثلة لا اختلاف فيها، وإنّما يعرض الاختلاف للأجسام لا في ذواتها بل بما يحصل فيها من الأعراض بفعل القادر المختار (انتهى).

ثمّ اعلم أنّ ما يشاهد من انعقاد السحب في قلل الجبال وتقاطرها مع أنّ الواقف على قلّة الجبل لا يرى سحاباً ولا مطراً ولا ماءً، والذين تحت السحاب ينزل عليهم المطر لا ينافي الظواهر الدالّة على أنّ المطر من السماء بوجهين: أوّلهما أنّه يمكن أن ينزل عليهم المطر من السماء إلى السحاب رشحاً ضعيفاً لا يحسّ به أو قبل انعقاد السحاب على الموضع الذي يرتفع منه. وثانيهما أن نقول بحصول الوجهين معاً وانقسام المطر إلى القسمين، فمنه ما ينزل من السماء، ومنه ما يرفع من بخار البحار والأراضي النديّة. ويؤيّده ما رواه شيخنا البهائي - قدّس الله روحه - في كتاب «مفتاح الفلاح» حيث قال: نقل الخاصّ والعامّ أنّ المأمون ركب يوماً للصيد فمرّ ببعض أزقّة بغداد على جماعة من الأطفال، فخافوا وهربوا وتفرّقوا، وبقي واحد منهم في مكانه، فتقدّم إليه المأمون وقال له: كيف لم تهرب كما هرب أصحابك؟ فقال: لأنّ الطريق ليس ضيّقاً فيتّسع بذهابي، ولا بي عندك ذنب فأخافك لأجله، فلأيّ شيء أهرب؟! فأعجب كلامه المأمون فلمّا خرج إلى خارج بغداد أرسل صقره فارتفع في الهواء ولم يسقط على وجه الأرض حتى رجع وفي منقاره سمكة صغيرة، فتعجّب المأمون من ذلك، فلمّا رجع تفرّق الأطفال وهربوا إلّا ذلك الطفل فإنّه بقي في مكانه كما في المرّة الأولى، فتقدّم إليه المأمون وهو ضامّ كفّه على السمكة وقال له: قل أيّ شيء في يدي؟ فقال: إنّ الغيم حين أخذ من ماء البحر تداخله سمك صغار فتسقط منه فيصطادها الملوك فيمتحنون بها سلالة النبوّة. فأدهش ذلك المأمون فقال له: من أنت؟ قال: أنا محمّد بن عليّ الرضا - وكان ذلك بعد واقعة الرضا عليه السلام وكان عمره عليه السلام في ذلك الوقت إحدى عشر، وقيل عشر سنين - فنزل المأمون عن فرسه وقبّل رأسه وتذلّل له ثمّ زوّجه ابنته[1].

---

(١) مفتاح الفلاح، ص ١٦٧.

أقول: وقد مرّ في أبواب تاريخه عليه السلام. وسئل السيّد المرتضى: الرعد والبرق والغيم ما هو؟ وقوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ﴾[1] وهل هناك برد أم لا؟ فأجاب - قدّس سرّه - : إنّ الغيم جسم كثيف وهو مشاهد لا شكّ فيه، وأمّا الرعد والبرق فقد روي أنّهما ملكان، والذي نقوله هو أنّ الرعد صوت من اصطكاك أجرام السحاب، والبرق أيضاً من تصادمهما. وقوله: ﴿مِن جِبَالٍ﴾ إلى آخره لا شبهة فيه أنّه كلام الله، وأنّه لا يمتنع أن تكون جبال البرد مخلوقة في حال ما ينزل البرد.



(١) سورة النور، الآية: ٤٣.

فهرس الجزء الخامس والخمسون

فهرس الجزءُ السادس والخمسون

رموز الكتاب

ب : لقرب الاسناد.
بشا : لبشارة المصطفى.
تم : لفلاح السائل.
ثو : لثواب الاعمال.
ج : للاحتجاج.
جا : لمجالس المفيد.
جش : لفهرست النجاشي.
جع : لجامع الاخبار.
جم : لجمال الاسبوع.
جنة : للجنة الواقية.
حة : لفرحة الغري.
ختص : لكتاب الإختصاص.
خص : لمنتخب البصائر.
د : للعدد القوية.
سر : للسرائر.
سن : للمحاسن.
شا : للإرشاد.
شف : لكشف اليقين.
شي : لتفسير العياشي.
ص : لقصص الأنبياء.
صا : للإستبصار.
صبا : لمصباح الزائر.
صح : لصحيفة الرضا (ع).
ضا : لفقه الرضا (ع).
ضوء : لضوء الشهاب.
ضه : لروضة الواعظين.
ط : للصراط المستقيم.
طا : لامان الأخطار.
طب : لطب الأئمة.

ع : لعلل الشرائع.
عا : لدعائم الاسلام.
عد : للعقائد.
عدة : لعدة الداعي.
عم : لاعلام الورى.
عين : للعيون والمحاسن.
غر : للغرر والدرر.
غط : لغيبة الشيخ الطوسي.
غو : لغوالي اللئالي.
ف : لتحف العقول.
فتح : لفتح الأبواب.
فر : لتفسير فرات الكوفي.
فس : لتفسير علي بن ابراهيم.
فض : لكتاب الروضة.
ق : للكتاب العتيق الغروي.
قب : لمناقب ابن شهرآشوب.
قبس : لقبس المصباح.
قضا : لقضاء الحقوق.
قل : لإقبال الأعمال.
قية : للدروع الواقية.
ك : لإكمال الدين.
كا : للكافي.
كش : لرجال الكشي.
كشف : لكشف الغمة.
كف : لمصباح الكفعمي.
كنز : لكنز جامع الفوائد وتأويل الآيات الظاهرة معاً.
ل : للخصال.
لد : للبلد الأمين.

لي : لأمالي الصدوق.
م : لتفسير الإمام العسكري (ع).
ما : لأمالي الطوسي.
محص : للتمحيص.
مد : للعمدة.
مص : لمصباح الشريعة.
مصبا : للمصباحين.
مع : لمعاني الأخبار.
مكا : لمكارم الأخلاق.
مل : لكامل الزيارة.
منها : للمنهاج.
مهج : لمهج الدعوات.
ن : لعيون أخبار الرضا (ع).
نبه : لتنبيه الخاطر.
نجم : لكتاب النجوم.
نص : للكفاية.
نهج : لنهج البلاغة.
ني : لغيبة النعماني.
هد : للهداية.
يب : للتهذيب.
يج : للخرائج.
يد : للتوحيد.
ير : لبصائر الدرجات.
يف : للطرائف.
يل : للفضائل.
ين : لكتابي الحسين بن سعيد أو لكتابه والنوادر.
يه : لمن لا يحضره الفقيه